تجريد الأغاني

تأليف

ابن واصل الحموي

المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

القسم الأول — الجزء الثاني

تحقيق

طه حسين و إبراهيم الإبياري

تجريد الأغاني

تأليف

ابن واصل الحموي

المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

القسم الثاني — الجزء الأول

تحقيـــق

الدكتور طه حسين و ابراهيم الأبياري

[illegible]

[illegible]

[illegible]

١٣٧٦ ١٩٥٧

أخبار معن بن أوس (*)

هو مَعْن بن أوس بن نصر بن زياد بن أسحم بن زياد بن أسعد بن أسحم بن رَبيعة بن عَدِيّ بن ثَعلبة بن ذُؤَيب بن عدّاء بن عثمان بن مُزينة بن أدّ بن طابخة ابن اليأس بن مُضر بن نِزار .   نسبه

ونُسبوا إلى مُزينة ، وهى امرأة ، وهى ابنة كَلب بن وَبْرة . وأبوهم فى الحقيقة عَمرو بن أدّ بن طابخة .   نسبتهم إلى مزينة

ومعن بن أوس شاعرٌ مُخَضْرَم ، فحْل مُجيد ، من مُخضرمى الجاهلية والإسلام . وله مدائحُ فى جماعة من أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم . ووَفد على عُمر بن الخطاب رضى الله عنه مُستعيناً على بعض أمره ، وخاطبه بقصيدة أولُها :   مخضرم ووفوده على عمر بن الخطاب

تأوّبه طيفٌ[1] بذاتِ الجَرائمِ   فنامَ رَفيقاه وليس بنائمِ

وامتد عُمره إلى زمن الفِتنة بين عبد الله بن الزُّبير ومروان بن الحكم .   زمنه

وكان مُعاوية بن أبى سُفيان يفضِّل مُزينة فى الشعر ، ويقول : كان أشعرُ أهل الجاهلية منهم ، وهو زهير ؛ وكان أشعرُ أهل الإسلام منهم ، وهو ابنُه كعب ، ومعن بن أوس .   معاوية وتفضيله مزينة فى الشعر

وذُكر أن معن بن أوس كان مِئْناثاً (٢) . وكان يُحسن صُحبة بناته وتربيتهن ، فوُلدت لبعض عَشيرته ابنة ، فكرهها وأظهر جزعاً من ذلك ، فقال مَعن :   كان مئناثاً وشعره فى شىء من ذلك

(*) مر ابن واصل عن أخبار بيهس ، وهو شاعر فارس من شعراء الدولة الأموية ، ذكره أبو الفرج فى أسطر ؛ كما مر على أخبار محمد بن الحارث بن بسخنر المغنى .

(١) ذات الجرائم : موضع .

(٢) أى من عادته أن يلد الإناث ، وكذلك المرأة مئناث أيضاً .

رأيتُ رجالاً يَكرهونَ بناتِهم وفيهنّ ـ لا تُكذَبْ ـ نساءٌ صَوَالِحُ
وفيهنّ ـــ والأيام تعثُر بالفتى ـــ نوادبُ لا يَمْلَلْنَه ونَوائحُ

بينه و بين عبيدالله ابن العباس فى دين عليه

وذُكر أنّ معن بن أوس مرّ به عُبيدُ الله بن العبّاس بن عبد المُطلب ، وقد كُفّ بصره ، فقال له : يا مَعْن ، كيف حالُك ؟ فقال له : ضَعُف بصرى ، وكثُر عِيالى ، وغَلبنى الدَّين . قال : وكم دَينك ؟ قال: عشرةُ آلاف درهم . فبعث بها إليه . ثم مَرّ به من الغد ، فقال له : كيف أصبحت يا معن ؟ فقال :

أخذتُ بعَين المـال حتّى نَهِكْتُه وبالدَّين حتى ما أكاد أُدانُ
وحتى سألتُ القَرْض عند ذوى الغِنَى فَردَّ فلانٌ حاجتى وفُلان

فقال له عُبيد الله : اللهُ المُستعان ، إنا بعثنا إليك بالأمس لُقمةً فما لُكتَها حتى انتُزِعت من يدك . قال : فأىُّ شىء للأهلِ والجيران والقرابة ؟ فبعث إليه بعَشرة آلافِ درهم أُخرى . فقال مَعن يمدحه :

وإنّك فَرْعٌ من قريش وإنّما تَمُجّ النّدى منها البُحور[1] الفَوارِعُ
ثَووا قادةً للنـاس ، بَطحاءُ مكةٍ لهم وسِقاياتُ الحَجيج الدّوافع
فلمّا دُعُوا للموت لم تبْكِ منهمُ على حادثِ الدّهر العُيونُ الدّوامع

تمثل أحد أبناء روح بشعر له على فاحشة

وحكى الأصمعىُّ قال :

دخلتُ خَضراء رَوْح ، فإذا رجلٌ من ولده عَلَى فاحشةٍ يُؤتى . فقلتُ : قَبحك الله ! هذا مَوضع كان أبوك يَضرب فيه الأعناق و يُعطى اللُّهَى وأنت تفعل فيه ما أرى ! فالتفت إلىّ من غَير أن يزول عن الفاحشة ، ثم قال :

وَرِثْنا المَجْد عن آباء صدقٍ أسأْنا فى ديارِهُم الصَّنِيعا
إذا الحسبُ الرّفيعُ تواكلتْه بناةُ السَوْء أوشك أنْ يَضيعا

---

(١) فى التجريد : « النجوم » مكان « البحور » .

والشعرُ لمعن بن أوس .

فضله عبد الملك ابن مروان على الشعراء

وذَكر أنَّ عبد الملك بن مروان قال يوماً ، وعنده جماعة من أهـــل بيته وولده : لِيقُلْ كُلُّ واحدٍ منكم أحسنَ شعر سَمِع به . فذَكروا لامرىء القيس، وطَرفة ، فأكثروا ، حتى أتَوْا على محاسن ما قالوا . فقال عبـــد الملك : أشعرهم والله الذى يقول :

وذِى رَحِمٍ قلَّمْتُ أظفار (١) غَيظه ... بحِلْمِىَ عنـــه وَهْوَ ليس له حِلْمُ
إذا سُـمْتُه وَصْـلَ القرابة سـامنى ... قَطِيعتهـا ، تلك السفاهـةُ والظُّـلم
وأسعى لـكى أبْنى ويَهْدِمُ صـالحى ... وليس الذى يَبْنى كمن شأنُه الهَدْم
يُحـاول رَغْمِى لا يُحـاول غـيرَه ... وكالموت عِندى (٢) أن ينالَ له رَغْم
فمـــا زِلْتُ فى لِينٍ له وتعطُّفٍ ... عليـــه كما تَحْنُو على الوَلد الأُم
لأستَلَّ منـــه الضِّغن حتى سَللته ... وقد كان ذا ضِغْنٍ يَضِـيق به الحِلْم

شعره الذى فيه الغنـاء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار معن بن أوس ، هو :

وأىُّ أخٍ تَبْـلُو فتَحْمـدَ أمرَه ... إذا لَجَّ خَصْمٌ أو نَبا بك مَـنزلُ
إذا أنت لم تُنصف أخاك وجدتَه ... على طرف الهِجْران (٣) إن كان يَعقل
ستَقْطع فى الدُّنيا إذا ما قطعتَنى ... يَمينَك فانظُر أىَّ كَفٍّ تُبدِّل
إذا انصرفتْ نفسى عن الشىء لم تـكد ... إليـه بوجْهٍ آخِرَ الدَّهر تُقْبِل

---

(١) فى غير التجريد : « ضغنه » .

(٢) فى ديوان معن طبعة أوربة : « أن يمر به الرغم » . وفى الأمالى للقالى (٢ : ١٠٢) : « أن يحل به الرغم » . وفى خزانة الأدب (٣ : ٢٣٩) : « أن يحل به رغم » .

(٣) فى التجريد : « إن كنت تعقل » .

أخبار الحسين بن عبد الله

نسبه

هو الحسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن العبّاس بن عبد المُطلب بن هاشم .

شيء عنه

كان من فتيان بني هاشم وظرفائهم وشعرائهم ، وروى الحديث ، وحُمل عنه . وله شعر صالح .

من روايته

ومما روى من الحديث أنه روى عن عكرمة عن ابن عبّاس ، قال : مرّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على حسّان بن ثابت وهو في ظل فارع [1] ، وحوله أصحابه ، وجارية حسّان شيرين تغنّيه :

هـــل عليّ ويحكما　　إن لهوتُ من حَرَج

فضحك النبيّ صلّى الله عليه وسلم وقال : لا حَرج إن شاء الله .

حديث زواجه عابدة

وذكر أن عمرة بنت عبيد الله بن العبّاس — وهي عمة الحسين بن عبد الله — تزوّجها شُعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، فولدت له محمداً ، وشعيباً ، وعابدَة — وكان يقال لها : عابدة الحُسن . وعابدة الحسناء — وخَطب عابدةَ هذه بكّارُ بن عبد الملك ، وأنْ خالها الحسين بن عبد الله ، فامتنعت على بكّار وتزوجت الحسين فقال له بكار كيف تزوجتْك عابدةُ واختارتك مع فقرك ؟ فقال له الحسين بن عبد الله : أتعيِّرنا بالفقر وقد نحلنا الله تعالى الكوثر !

بينه وبين ابن معاوية

وكان الحسين أمّه أم ولد . وتزوّج عابدةَ بنت شعيب ، ورُدَّ بسببها على ولد عمرو بن العاص أموالُهم في دولة بني العبّاس

وكان عبد الله بن مُعاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب صديقاً للحسين هذا ، ثم تنكّر ما بينهما ، فقال فيه ابنُ معاوية :

---

(١) فارع : حصن كان لحسان بالمدينة .

إنّ ابنَ عَمِّكَ وابنَ أُ ... ـك مُعْلَمٌ شاكى السِّلاحِ
يَقِصُ[1] العَدوَّ وليس يَرْ ... ضَى حين يَبْطِشُ بالجِراحِ
لا تَحسبنّ أذى ابن عمـ ... ـك شُرْبَ ألبان اللِّقاحِ
بل كالشَّجاة وراء اللَّها ... ةِ إذا تَسَوَّغُ[2] بالقَراحِ
فاخْتَرْ لنفسك مَنْ يُجِيـ ... ـبك تحت أطراف الرِّماحِ
من لا يزال يَسوءه ... بالغَيب أن يلحاكَ لاحِى

فأجابه الحسين بن عبد الله :

أَرْعِدْ لمن يَخشى وأَبْـ ... ـرِقْ غيرَ قومك بالسِّلاحِ
لَسْنا نُقِرّ[3] لقائلٍ ... إلّا المُقَرَّطِ[4] بالصَّلاحِ

والشعرُ الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار الحسين بن عبد الله، يقوله فى زوجته عابدةَ الحسن بنت شُعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، وهى التى تقدّم ذكرها، وهو : شعره الذى فيه الغناء

أعابدَ حُيِّيتم على النَّأى عابدَا ... سقاكِ إلهى المُبْرِقاتِ[5] الرَّواعدَا
أعابدُ ما شمسُ النَّهار إذا بدت ... بأحسنَ ممّا بين عَيْنَيك عابدا

وله فيها قبل أن يتزوجها : وله فى عابدة قبل زواجه بها

أعابدَ[6] إن الحبَّ لا شك قاتِلى ... لئن لم تُقارِضْنى هوى النَّفس عابدهْ
فإن لم تُريدى فىَّ أجْراً ولا هوًى ... لـكم غيرَ قَتلى يا عُبيدُ فَراشِده
فكَمْ ليلةٍ قد بِتُّ أرعى نُجومها ... وعَبْدةُ لا تدرى بذلك راقِده

(١) يقص : يكسر .
(٢) الشجاة : ما يعترض فى الحلق . واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق . والقراح : الماء الخالص .
(٣) فى التجريد : « العامل » .
(٤) المقرط : الموسوم .
(٥) الرواية فى غير التجريد : « سقاك الإله المنشآت » .
(٦) فى بعض أصول الأغانى : « أعاذل » .

أخبار فضالة بن شريك

نسبه

هو فَضالة بن شَريك بن سَلْمان [1] بن خُويلد بن سَلمة بن عامر، مُوقد النار، أبن الحَرِيش بن نُمير بن والبة بن الحارث بن ثَعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة بن مُدركة بن الياس بن مُضر بن نزار.

وكان شاعراً فاتكاً صُعلوكاً. وكان مُخَضْرَماً، أدرك الجاهلية والإسلام.

أبناؤه

وكان له أبنان شاعران، أحدهما: عبدُ الله بن فَضالة، وهو الذي قال له أبنُ الزُّبير: إنّ وراكبها — وقد ذكر ذلك [2].

والثاني: فاتك [3] بن فضالة، وكان جواداً ممدّحا.

هجاؤه عاصم بن عمر وسبب ذلك

وذُكر أنّ فضالةَ بن شَريك مرّ بعاصم بن عُمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهو مُتَبَدٍّ [4] بناحية المدينة، فنزل به فلم يَقْرِه شيئاً ولم يَبعث إليه ولا إلى أصحابه بشيء، وقد عَرف بمكانهم [5]، فأرتحلوا. وألتفت فَضالةُ إلى مولًى لعاصم وقال له: قل له: أما والله لأُطوّقنّك طوقاً لا يَبلى. وقال يهجوه:

ألا أيّها الباغي القِرَى لستَ واجداً ... قِرَاكَ إذا ما بِتَّ فى دار عاصمِ
إذا جئته تبغى القِرَى بات نائماً ... بَطيناً وأمسى ضيفُه غيرَ [6] طاعمِ

(١) كذا فى بعض أصول الأغانى. وهى رواية ابن عساكر (٣٤ : ٥٤١) ومعجم الشعراء للمرزبانى. والذى فى سائر الأصول: «سليمان».

(٢) انظر الجزء الأول.

(٣) فى الأصل: «وشريك». تحريف. وله يقول الأقيشر:

وفد الوفود فكنت أفضل وافد ... يافاتك بن فضالة بن شريك

(٤) متبد: مقيم بالبادية.

(٥) فى غير التجريد: «وقد عرفوه مكانهم».

(٦) فى بعض أصول الأغانى: «غير نائم».

فدَعْ عاصماً أُفٍّ لأفعال عاصمٍ ... إذا حُصِّل الأقوامُ أهلُ المكارم
فتًى من قُريش لا يجود(١) لسائلٍ ... ويَحسب أنّ البُخلَ ضَربةُ لازِم
فلولا يدُ الفاروق قَلَّدْتُ عاصماً ... مُطوَّقةً يُحْدَى بها في المَواسم

فلما بلغت أبياتُه عاصماً أستعدى عليه عمرو بن سعيد بن العاص، وهو يومئذ أميرُ المدينة. فهرب فَضالةُ إلى دمشق وعاذ بيزيد بن مُعاوية بن أبي سفيان، وعرَّفه ذنبه وما يخاف من عاصم. فأعاده وكتب إلى عاصم يُخبره أنّ فضالة بن شريك أتاه مُستجيراً به، وأنه يُحب أنْ يَهبه له، ولا يذكر لمُعاوية شيئاً من أمره، ويَضمن له أنه لا يعود لهجائه. فقبل ذلك عاصم، وشَفَّع يزيدَ بن معاوية. فقال فضالةُ يمدح يزيدَ بن معاوية:

إذا ما قُريشٌ فاخرت بقَديمها ... أتيتَ(٢) بمَجدٍ يا يزيدُ تَليدِ
بمَجد أميرِ المُؤمنين ولم يَزل ... أبوك أمينُ الله غيرَ بَليد
به عَصم اللهُ الأنامَ من الرَّدى ... وأدركَ تَبْلاً من معاشرَ(٣) صِيد
ومَجدِ أبي سُفيان ذي الباع والنَّدى ... وحَرْبٍ وما حربُ العُلاَ بزَهيد
فمَن ذا الذي إن عدَّد الناسُ مجدَه ... يَجيء بمَجدٍ مثلِ مَجد يزيد

شعره الذي فيه الغناء

وله أيضاً فيه. وهو الشعر الذي فيه الغناء، وأفتتح به أبو الفرج أخبار فضالة:

إنّ حَرْباً وإنّ صَخْراً أبا سُفْـ ... ـيانَ حازَا مجداً وعِزّاً تَليدَا
فهما وارثا العُلا عن جُدودٍ ... وَرِثوها آباءَهم والجُدودا

ومنها:

وحَوى إرْثَها مُعاويةُ القَرْ ... مُ(٤) وأعطَى صَفْوَ التُّراث يَزيدا

(١) في غير التجريد: «بنائل» مكان «لسائل».
(٢) في غير التجريد: «فخرت». (٣) التبل: الثأر. والصيد: المزهوون لا يلتفتون يميناً أو شمالا؛ الواحد: أصيد.
(٤) القرم: السيد.

بعض أخبار مروان الأصغر

نسبه — من آل أبى حفصة .

قال أبو الفرج : قد مَضى نسبُه ونَسب أبيه وأهله .

آخر آله شعراً — وكان مروان هذا آخِر مَن بقى منهم يُعَدّ فى الشعراء . و بقى بعده منهم مُتَوّج ، وكان ساقطاً باردَ الشِّعر .

رأى أبى هفان فيهم — وحُكى أن أبا هِفّان كان يقول :

شِعر آل أبى حفصة بمنزلة الماء الحار ، أبتداؤه فى غاية الحرارة ، ثم تلين حرارته ، ثم يفتُر ثم يبرُد ، وكذلك كانت أشعارهم ، إلا أن ذلك الماء لما أنتهى إلى مُتوّج جَمَد .

شعره الذى فيه الغناء وسببه — وذُكر أن المُنتصر بالله كان قد أظهر الخلاف لأبيه المُتوكِّل فى كُل شئ حتى فى التشيُّع . وكان أبوه المتوكِّل فى غاية الأنحراف عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، والبُغض له . وكذلك كان مَروان بن أبى حفصة الأصغر وسائر بنى أبى حَفصة . فطَرد المُنتصر مروانَ الأصغر وأقصاه وأخرجه عن جُلسائه

فقال الشعر الذى فيه الغناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار مروان الأصغر ، وهو :

لقد طال عَهْدِى بالإمام محمدٍ ... وما كنتُ أخشى أن يطُولَ به عَهدِى

فأصبحتُ ذا بُعْدٍ ودارى قريبةٌ ... فواعَجَبا من قُرْبِ دارى ومن بُعْدِى

وسأل بُنانَ بن عمرو المُغنى ، فغنّى فيها المُنتصر يَستعطفه .

قصة هجائه ابن الجهم فى حضرة المتوكل

وذكر أنّ مروان الأصغر طَعن عليه علىُّ بن الجَهم عند المتوكل وثَلبه ، حسداً على موضعه منه . فقال المتوكل يوماً لمَروان ، وعلىُّ بن الجهم حاضر : أُهْجُ علىّ ابن الجَهم ولا تُبْقِ عليه . فقال مروان :

لعَمرك ما الجَهْمُ بن بدر بشاعرٍ ... وهذا علىٌّ بعده يَدَّعى الشِّعْرَا
ولكنْ أبى قد كان جاراً لأمّه ... فلما ادَّعى الأشعار أوْهمنى أمْرا

فضحك المُتوكل وقال : زِدْه بحياتى . فقال فيه :

بِنْتَ(١) بدْرٍ يا عَليّه ... قُلتِ إنى قُرشيّه
قلتِ ما ليس بحقّ ... فاسكُتِى يا نَبطيّهْ
اسكُتى يا بنت جَهم ... اسكُتى يا(٢) حَلْقِيّهْ

فأخذ عَبّادة المُخنّث الأبيات فغنّاها على الطَّبل ، وجاء به مَن كان يُغَنّى ، والمتوكلُ يَضحك ويضرب بيديه ورجلَيه ، وعلىٌّ مُطرق كأنه مَيِّت . ثم قال : علىّ بالدَّواة . فأُتى بها ، فكتب :

بَلاءٌ ليس يُشبهه بلاءٌ ... عداوةُ غير ذى حَسبٍ ودِينِ
يُبيحك منه عرضاً لم يَصُنْه ... ويَقْدح منك فى عِرْضٍ مَصُونِ

...و وابن الجهم وابن المدبر فى شعر بعقبه منتحل، أنشده المتوكل فى مرضه

وذكر أنّ عبد الله بن طاهر بن الحُسين كان اُعتل علّة ، فقال فيه عوفُ ابن مُحَلّم :

فإن تكُ حُمّى الرِّبع(٣) شَفّك وِرْدُها ... فعُقْباك منها أن يَطول لك العُمْرُ
وَقيْناك لو نُعطَى المُنَى فيك والهَوى ... لكان بنا الشَّكوى(٤) وكان لك الأجر

(١) فى غير التجريد . « يابن » . (٢) وصف للأتان التى تشتهى السفاد .
(٣) حمى الربع : هى التى تنوب فى اليوم ثم تدع المريض يومين ، ثم ترده فى اليوم الرابع .
(٤) فى التجريد : « الحمى » .

ثم حُمّ المُتوكل حُمّى الرِّبع، فدخل إليه مروان الأصغر فأنشده قصيدةً على هذا الرويّ، وأدخل هذين البيتين فيها، فسُر بها المتوكل. فقال له علىّ بن الجهم: ياأمير المؤمنين، هذا شعرٌ مقول. والتفت علىّ إلى إبراهيم بن المُدبِّر وقال: يا أمير المؤمنين، هذا يعلم. فالتفت إليه المتوكل، وقال: أتعرفه؟ فقال إبراهيم: ما سمعتُ هذا قبل اليوم. فشتم المتوكلُ علىّ بن الجهم وقال: هذا من حسدك وشَرِّك وكذبك! فلما خرجوا قال علىّ بن الجهم لإبراهيم بن المدّبر: ويحك! أما تعرف هذا الشعر؟ فقال: بلى! وأنشده إياه. فلما كان من الغد قال علىّ بن الجهم للمتوكل: يا أمير المؤمنين، قد اعترف إبراهيم بالشعر وأنشده، فقال المُتوكل لإبراهيم: أكذاك هو؟ فقال: كذب يا أمير المؤمنين، ما سمعتُ به قطّ. فازداد المتوكل على علىّ غيظًا وله شتمًا. فلما خرجوا، قال علىّ بن الجهم لإبراهيم: ما فى الأرض شرٌّ منك! فقال له إبراهيم: أنت أحمق، أتريدنى أجىء إلى شعر قاله فيه شاعر يُحبه ويُعجبه شعره فأقول له: إنى أعرفه، وأوقع نفسى وعرضى فى لسان الشاعر، لترتفع أنت عنده، ويسقط ذاك، ويُبغضنى أنا!

أخبار ابن سيابة

هو إبراهيم بن سَيَابه، مولى بنى هاشم . ويقال : إن جَدّه حَجّام أعتقه بعض الهاشميّين .

ولاؤه وشىء عن جده

وليست له نَباهة ولا شعرٌ شريف . وكان مُنقطعاً بمودّته ومَدحه إلى إبراهيم الموصلى وابنِه إسحاق ، وكانا يذكُرانه للخُلفاء والوزراء ويُذكّرانهم به إذا غنّيا فى شعره ، فيَنفعانه بذلك . وكان خليعاً ماجناً طيبَ النادرة .

صلته بإبراهيم الموصلى وابنه

وذُكر أنه عَشِق جارِيةً سوداء ، فلامه أهلُه فى ذلك وعابوه ، فقال :

شعره فى سوداء لامه أهله على حبه لها

يكونُ الخالُ فى وجهٍ قَبيحٍ ... فيكسوه المَلاحةَ والجَمالاَ

فكيف يُلام مَشغوفٌ[1] على مَن ... يراها كلَّها فى العَين خالا

وذُكر أن إبراهيم بن سَيَابه لقى ابناً لسَوّار بن عبد الله القاضى ، أمردَ ، فقبّله إبراهيم وعانقه ، وكان معه دايةٌ له يقال لها : رُخَاص . فقيل لها : إنه لم يُقبّله تقبيل السلام وإنما قَبّله تقبيل الشّهوة . فلحقتْه الدايةُ فشتمتْه وسَمّعته كُلّ ما يكره . فقال إبراهيم :

هو وابن لسوار قبله ودابة له

أإن لثَمتُك سِرًّا ... فأبصرتنى رُخاصُ

وقال فى ذاك قومٌ ... علىّ انتقاصى حِراص

فهاكَ فاقتصَّ منّى ... إن الجُروحِ قِصاص

هجرْتَنى وانتنى ... شَتيمةٌ وانتقاص

وذُكر أنه سخط الفضلُ بن الربيع على ابن سَيابة ، فتوسّل إليه أن يرضى عنه ، فامتنع . فكتب إليه هذه الأبيات :

شعر له فى استرضاء الفضل بن الربيع

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « معشوق » . وفى بعض آخر « مفتون » .

إن كان جُرمى قد أحاط بحُرْمتى وأحِطْ بجُرمى عَفوكَ المأمولا
فكَم ارتحينك للتى لا يُرتَجى فى مِثلها أحدٌ فنِلْتُ السُّولا
وقُطِعتُ (١) عنك فلم أجد لىَ مَذهبا ووجدتُ حِلْمك لى عليك دَليلا
هَبْني أسأتُ وما أسأتُ أُقِرُّ كى يَزدادَ عَفْوُك بعد طَوْلِك (٢) طُولا
والعَفو أجملُ والفضّل بأُمرىء لم يَعْدم الرّاجُون منه جَميلا

فلما قرأها الفضلُ دَمَعت عيناه ورضى عنه وأوصله إليه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

هو وبشار وقد هيجه لمجانه

وذُكر أنه جاء إبراهيمُ بن سَيَابة إلى بشّار بن بُرد ، فقال : ما رأيت أعمى قطُّ إلا وقد عُوِّض من بصره . إما الحفظ والذكاء ، وإمّا حُسن الصوت ، فبأىِّ شىء عُوضت أنت ؟ قال : ألّا أَرى ثقيلاً مثلك . ثم قال له : من أنت ؟ ويحك ! قال : إبراهيم بن سَيابة . فتضاحك بشّار ثم قال : لو نُكح الأسد ما افترس وذَل . وكان ابنُ سيابة يُرمى بذلك . وتمثّل بشار :

لو نُكح الليثُ فى اسْته خَضعا ومات جُوعاً ولم ينل شِبَعا
كذلك السيفُ عند هِزَّته لو بَصق الناسُ فيه ما قَطعا

(١) فى غير التجريد : « وضللت » .
(٢) الطول : الفضل .

ذكر مقتل الوليد بن طريف الشاري

توجيه الرشيد إليه ابن مزيد

قيـــــل :

كان الوليد بن طريف رأسَ الخوارج وأشدَّهم بأسا وصـولةً ، فاشتدت شوكتُه وطالت أيّامه ، وأهمّ هارونَ الرشيد أمرُه ، فوجّه إليه الرشيدُ يزيدَ بن مَزيد بن زائدة الشَّيبانى ، ابن أخى مَعن بن زائدة ، فجعل يُخاتله ويُماكره .
وكانت البرامكة مُنحرفةً عن يزيد بن مَزيد ، فأغروا به الرشـيدَ وقالوا : إنما يتجافى عنه للرحم ، لأنه من عشـيرته ، وإلّا فشوكةُ الوليد يسـيرة ، وهو يُواعده ويَنتظر ما يكون من أمره . فكتب إليه الرشيدُ كتابَ مُغضب ، يقول فيـــه : « لو وَجّهتُ بأحد خَدَمى لقام بأكثر ممـا تقوم به ! ولكنّك مُداهن ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخّرت مُناجزة الوليد ليوجِّهن إليك مَن يأخذ رأسك إلى أمير المؤمنين » .

ابن مزيد والوليد والخوارج

فلقى يزيدُ بن مَزيد الوليدَ بن طريف عشيةَ خميس فى شهر رمضان . فيقال : إن يزيد جُهد عطشاً حتى رَمى بخاتمه فى فيه وجَعل يَلوكه ويقول : اللهم إنها ليلةٌ شديدة [1] فاسترها . وقال لأصحابه : فِداكم أبى وأُمّى ، إنما هى الخوارجُ ولهم حَمْلةٌ ، فاثبتوا لهم تحت التِّراس ، فإذا انقضتْ حَمْلتُهم فاحمـلوا ، فإنهم إذا انهزموا لم يَرْجِعوا . فكان كما قال ، حَملوا حملةً وثَبت يزيدُ ومَن معه من عَشيرته وأصحابه ، ثم حَمل عليهم فانكشفوا .

شبه أسد بأبيه يزيد

فيقال : إن أسد بن يَزيد بن مَزيد كان شَبيهاً بأبيه جدًّا ، وكان لا يَفصل

(١) فى بعض أصول الأغانى : « شدة شديدة » .

بينهما إلا المُتأمِّل ، وكان أكثرُ ما يُباعده منه ضربةً فى وجه يزيد تأخذ من قَصاص شَعْره مُنحرفةً على جَبْهته . فكان أسدٌ يتمنّى مثلها . فوقتْ له ضربةٌ ، فأخرج وجهَه من التُّرس فأصابتْه فى ذلك الموضع . فيقال : إنها لو خُطَّت على مثالِ ضربة أبيه يزيد ما عدا ، (١) جاءت كأنها هى .

قتل يزيد الوليد وخروج لأخته

وأُتبِع يزيدُ الوليدَ بن طريف ، فَلحِقه بعد مسافة بعيدة ، فأخذ رأسَه . وكان الوليدُ خَرج إليهم حيث خرج وهو يقول :

أنا الوليدُ بن طَرِيف الشارى قَسْورةٌ لا يُصطلَى بنارِى
جَورُكُمُ أخرجنى من دارى

فلما وقع فيهم السيفُ وأُخذ رأسُ الوليد ، صَبَّحتهم أختُه ليلى بنت طريف مستعدةً ، عليها الدِّرعُ والجَوْشن ، فجعلت تَحمِل على الناس ، فعُرِفت . فقال يزيد : دَعوها . ثم خرج إليها فضَرب بالرُّمح قَطاةَ فرسها . (٢) ثم قال : اغرُبى غَرَّب الله عليك ! فقد فَضَحْتِ العشيرة ! فاستحيتْ وانصرفتْ وهى تقول :

أيا شَجَر الخابور ما لك مُورِقًا كأنّك لم تَحزَنْ على ابن طَريفِ
فتًى لا يُحِبُّ الزاد إلّا مِن التُّقى ولا المالَ إلّا من قَنًا وسُيوف

شعره الذى فيه الغناء

وهذان البيتان هما الشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج خبر الوليد ويزيد بن مَزيد . وأولُ هذه الأبيات :

بتَلِّ نُباتَى (٣) رسمُ قبرٍ كأنه على عَلَمٍ فوق الجبال مُنيفِ
تَضمَّنَ جُوداً حاتميًّا ونائلا وسَوْرَةَ مِقدامٍ وقلْبَ حَصيف

(١) ما عدا ، أى ما جاوز خط ضربته مثال ضربة أبيه . وقوله بعد « جاءت كأنها هى » هى بيان لقوله « ما عدا » . (٢) قطاة الفرس : العجز حيث مقعد الرديف .

(٣) هذه رواية التجريد وبعض أصول الأغانى ومعاهد التنصيص (ص : ٤١٤) . والذى فى حماسة البحترى والكامل لابن الأثير . (٦ : ٩٨) : « تباثى » . وفى وفيات الأعيان : « بتل نهاكى » . قال ابن خلكان : وتل نهاكى ، أظنه فى بلد نصيبين ، وهو موقع الواقعة المذكورة ».

ألاَ قاتل اللهُ الجُثا(١) كيف أضمرت فتًى كان بالمَعروف غيرَ عَفِيف
فإنْ يَكُ أرْداه يزيدُ بن مَزْيدٍ فيا رُبَّ خَيْلٍ فَضَّها وصُفُوف
ألاَ يا لَقَومٍ للنَّوائب والرَّدى ودَهْرٍ مُلِحٍّ بالكرام عَنِيف
وللبَدْر من بين الكواكب قدهَوى(٢) وللشمس همَّت بعده بكُسوف
فيا شجرَ الخابُور ما لك مُورِقاً كأنك لم تحزَنْ على ابن طَريف
فتًى لا يُحِبُّ الزاد إلّا من التُّقى ولا المالَ إلاّ من قَناً وسُيوف
ولا الخيلَ إلا كُلَّ جَرْداء شِطْبةٍ وكُلَّ حِصَان باليدين(٣) غَروف
فلا تجزَعَا يا ٱبْنَى طَريف فإنّنى أرى الموتَ وَقَّاعا(٤) بكلِّ شَريف
فَقَدْناك فِقْدانَ الرَّبيع وليتَنا فَدَيناك من دَهمائنا بألُوف

ولما انصرف يزيد بن مَزيد بالظَّفر حُجب عن الرشيد برأى البرامكة، وأظهر الرشيدُ السخطَ عليه. فقال: وحقِّ أمير المُؤمنين لأَصيفَنَّ ولأَشتُونّ على ظَهر فرسى أو أَدخلَ. فارتفع الخبرُ بذلك، فأُذن له فدخل. فلما رآه الرشيدُ ضَحك وسُرَّ وقال: مرحباً بالأعرابىّ! وأَجلس وأَكرم، وعُلِم نَقاء صدره و بلاؤه، وأحسن الرشيدُ إليه، ومدَحه الشعراء بذلك وهَنَّئوه، وكان أَحسنَهم مِدْحة ليزيد بن مَزيد مُسلمُ بن الوليد صريعُ الغوانى، فقال فيه القصيدة البَديعة التى لم يُسمع بأحسن منها، وأولها:

أجْرَرْتُ ذَيل(٥) خَليعٍ فى الصِّبا غَزِلٍ وشمَّرتْ هِمَمُ العُذال فى عَذَلى

(١) الجثا: جمع جثوة، مثلث الجيم، وهى ما يتجمع من حجارة أو تراب. والرواية فى غير التجريد: «حيث أضمرت». (٢) فى بعض أصول الأغانى: «إذ».

(٣) الجرداء: القصيرة الشعر، وصف مستحب. والشطبة: السبطة اللحم، وقيل: الطويلة. والغروف: التى تغرف الجرى غرفاً فتنهب الأرض نهباً فى سرعتها.

(٤) فى بعض أصول الأغانى: «نزالا».

(٥) هذه رواية التجريد. وفى الديوان وأصول الأغانى: «حبل». أى أجررت حبل خليع فى الصبا، أى حبل من خلع عذاره فى الصبا.

هاج البُكاءَ على العَين الطَّمُوحِ هَوًى مُفرَّقٌ بين تَوديعٍ (١) ومُرْتَحلِ
كيف السلوُّ لقَلبٍ راح مُخْتَبلاً يَهْذِى بصاحب قَلْبٍ غيرِ مُخْتَبَلِ

يقول فيها :

يَفْتَرُّ عند أفترارِ الحَرْب مُبتسماً إذا تَغيَّر وجهُ الفارس البَطَلِ
مُوفٍ على مُهَجٍ فى يَوم ذى (٢) رَهَجٍ كأنه أجلٌ يَسعَى إلى أمل
ينالُ بالرِّفق ما يعيا الرِّجالُ به كالموت مُستعجلاً يأتى على مَهَل
لا يَرحلُ الناسُ إلّا نحو حُجرته كالبيت يُفْضِى إليه مُنتهى (٣) السُّبل
يَقْرِى المَنيّةَ أرواحَ الكُماة (٤) كما يَقرى الضُّيوفَ شُحومَ الكُومِ (٥) والبُزُل
يَكسو السُّيوفَ نُفوسَ (٦) الناكثين به ويَجعلُ الهامَ تيجانَ القَنا (٧) الذُّبُل
إذا أنتضى سيفَه كانت مسالكُه مَسالكَ المَوت فى الأبدان (٨) والقُلَل
لا تَكذبنّ فإنّ المَجدَ معدِنُه وِراثةٌ فى بَنى شَيبانَ لم تَزل
أَسلَمْ يزيدُ فما فى المُلك من أَوَدٍ إذا سَلِمْتَ وما فى الدّين من خَلَل
لولا دفاعُك بأسَ الرُّوم إذ مكرتْ عن بَيْضة الدّين لم تأمن من الشَّكَل

(١) فى الديوان : « ومحتمل » . والطموح : المرتفعة فى النظر إلى الأحبة ، وهم سائرون . يقول : هاج البكاء على العين هوى مفرق بين توديع ومحتمل ، أى مقسم ، بعضه فى توديع الأحباء وبعضه فى احتمالهم .

(٢) الرهج : الغبار . يقول : يوفى على المهج بالقتل فى يوم قد ثار نقعه من شدة القتال ، فهو يعمل عمل الأجل فى الأمل .

(٣) فى الديوان : « ملتقى » . يقول : لا يرحل الناس لطلب عطاء إلا نحو بيته ، كالبيت يعنى بيت الله الحرام بمكة — يفضى إليه ملتقى السبل ، أى عنده ملتقى الطرق كلها .

(٤) فى الديوان : « العداة » .

(٥) الكوم : العظام الأسنمة . واحدتها : كوماء . والبزل : جمع بزول ، وهو ما بلغ من الإبل تسع سنين .

(٦) فى الديوان . « رءوس الناكثين » .

(٧) الذبل : الرماح الرقيقة .

(٨) القلل : الرءوس . وهى فى الأصل : أعالى الأشياء .

والمارق ابنُ طريفٍ قد دلفتَ له ... بعارضٍ للمنايا مُسْبِلٍ هَطِلِ

ما كان جمعهمُ لمّا لقيتهمُ ... إلا كجمع جرادٍ ريعَ مُنْجَفِل

كم آمنٍ لك نائى الدار مُمتنع ... أخرجتَه من حُصون المُلك والخوَل

ومنها :

تراه فى الأمن فى دِرْعٍ مُضاعفةٍ ... لا يأمنُ الدهرَ أنْ يُدْعَى على عَجَل

لا يَعْبَق الطِّيبُ خَدَّيه ومَفْرِقَه ... ولا يُمَسِّح عَينيه من الكُحُل

حديث معن وامرأته فى تقديمه ابن أخيه وتأخيره بنيه

وقول مُسلم فى شعره : « تراه فى الأمن فى درع مضاعفة » ، له خبر ، وهو أن زوجة مَعن بن زائدة عاتبت مَعْناً فى تقديم ابن أخيه يزيد بن مَزيد وفَرْط إيثاره له ، فقالت : إنك لتقدِّمه وتؤخِّر بَنيك ، وتُشيد بذكره وتُخمل ذكرهم ، ولو نَبَّهتهم لانتبهوا ، ولو رَفعتهم لارتفعوا . فقال مَعن بن زائدة : إنّ يزيد قريبٌ لم تَبعُد رَحِمُه ، وله علىّ حقُّ الولد إذ كنتُ عمَّه ، وبعدُ فإنهم ألْوَط[(١)] بقلبى وأدنى من نفسى على قَدر ما تُوجبه واجبة الأبوة من تقديمهم ، ولكنّى لا أجد عندهم ما أجد عنده ، ولو كان ما يَضطلع به يزيدُ فى بَعيدٍ لصار قريباً ، وفى عدوّ لصار حَبيباً ، وسأُريكِ فى ليلتى هذه ما يتبيّن به عُذرى ويَنفسح به اللوم عنى : يا غلام ، أدع لى جَسّاسا وزائدة وعبدَ الله ، وفلاناً وفلانا ، حتى أتى على أسماء ولده . فلم يلبث أن جاءوا فى الغَلائل المُطيّبة والنِّعال السِّندية ، وذلك بعد هدأة من الليل ، فسلّموا ثم جلسوا . ثم قال : يا غلام ، أدع لى يزيد ، وقد أسبل ستراً بينه وبين المرأة ، فإذا به قد دخل عجلاً وعليه السلاحُ كُلّه . فوضع رُمحه بباب المجلس ثم أتى يُحْضِر[(٢)] . فقال له مَعن : ماهذه الهيئة أبا الزُّبير ؟ — وكان يزيد يُكنى أبا الزبير وأبا خالد — فقال : جاءنى رسولُ الأمير فسَبَق إلى نفسى أنه يريدنى لوجهٍ ، فقلت :

---

(١) ألوط : ألصق . (٢) يحضر : يسرع .

إن كان مضيتُ ولم أُعرِّج ، و إن يكن الأمر على غير ذلك فنَزْعُ هـذه الآلة عنِّى أيسرُ الخطب . فقال لهم : انصرفوا فى حِفظ الله . فقالت المرأة : قد تبيّن عُذرك . فأنشد معنٌ متمثِّلاً :

نفسُ عِصامٍ سوَّدت عِصاماَ ... وعَلَّمتـه الـكَرَّ والإقداما

وجعلته مَلِـكاً(١) هُماما

من شعر ليلى فى رثاء أخيها ابن طريف

ومما رثتْ به ليلى بنتُ طريف أخاها الوليد بن طَريف الشارى :

ذكرتُ الوليـد وأيامَه ... إذِ الأرضُ من شخصه بَلْقَعُ

وأقبلتُ أطلبُه فى السماء ... كما يَبتغى أنفَه الأجـدع

أضاعـك قومُك فَلْيطلبوا ... إفادةَ مثـل الذى ضيّعوا

لو أنّ السُّيوف التى حَدُّهـا ... يُصيبك تَعلمُ ما تَصنع

نَبتْ عنك أو جعلت هيبـةً ... وخوفاً لصَولك لا تَقْطع

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بطلا » .

ذكر بعض

اخبار عبد الله بن طاهر بن الحسين

لأبى الفرج فى التعريف به

قال أبو الفرج :

كان عبد الله له من علوّ المنزلة وعظم القدْر ولُطف المكان من الخلفاء ما يستغنى به عن تقْريظه والدّلالة عليه . وأمرُه فى ذلك مشهور عند الخاصّة والعامّة . وله مع ذلك فى الأدب المحل الذى لا يُدفع ، وفى السّماحة والشّجاعة ما لا يُقار به فيه كبيرُ أحد .

غضب عليه المأمون لتفريقه خراج مصر ثم رضى عنه حين سمع شعره

ذُكر أنّ المأمون أعطى عبدَ الله بن طاهر خراجَ مصر وضياعها كلّها لسنة ، ووهبه كُلّه وفرّقه فى الناس، فرجع صِفْراً من ذلك . فغاظ المأمونَ فِعْلُه . فدخل إليه عبد الله يومَ مَقْدَمه عليه وأنشده لنفسه :

نفسى فداؤك والأعناقُ خاضعةٌ ... للنائبات أبيًّا غيرَ مُهْتَضَم
إليكَ أقبلتُ من أرضٍ أقمتُ بها ... حولَيْن بعدكَ فى شَوْقٍ وفى ألم
أقفو مَساعيكَ اللاتى خُصِصتَ بها ... حَذْوَ الشِّراكِ على مِثْلٍ من الأَدَم
فكان فَضْلِيَ فيها أننى تَبَعٌ ... لِمَا سَنَنتَ من الإنعام والنِّعَم
ولو وُكلتُ إلى نفسى عَيِيتُ[(1)] بها ... لكنْ بدأتَ فلم أعجز ولم أَلُم

فضحك المأمون وقال : واللهِ ما نَفِسْتُ عليك مَكْرُمةً نِلْتَها ولا أُحدوثة حَسُن عنك ذِكْرُها ، ولكن هذا شىء إذا عوّدتَه نفسك افتقرتَ[(2)] ولم تقدر على لَمِّ شَعَثك و إصلاح حالك . وزال ما كان فى نفسه .

---

(1) فى غير التجريد : « غنيت » . (2) فى التجريد : « اقتصرت » .

وذُكر أن عبد الله بن طاهر لما اُفتتح مصر سوّغه المأمونُ خَراجَها . فصَعِد المِنْبر فلم ينزل حتى أجاز بها كلّها : ثلاثة آلافِ ألفِ دينار أو نحوها . فأتاه مُعَلّى الطائىّ ـ وقد أعلوه ما صَنع عبدُ الله بن طاهر بالناس فى الجوائز ، وكان عليه واجداً ـ فوقف بين يدى المِنبر وقال : أصلح الله الأمير ! أنا المُعَلّى ، قد بلغ مِنّى ما كان بى[1] إليك من جَفاء وغِلَظ ، فلا يغلُظَنّ علىّ قلبك ، ولا يَستخفنَّك الذى بلغك ، أنا الذى أقول :

يا أعظمَ الناسِ عفواً عندَ مقدرةٍ ... وأظلمَ الناسِ عند الجود للمالِ
تُغْلِى بما فيه رِقُّ الحمْد تَملكه ... وليس شىءٌ أعاضَ الحمدَ بالغَالى
لو يُصبح النّيلُ يجرى ماؤه ذَهباً ... لمَا أشرتَ إلى خَزْنٍ بمِثقال
تَفُك باليُسْر كَفَّ العُسر من زَمن ... إذا اُستطالَ على قومٍ بإقلال
لم تَخْلُ كَفُّك من جُود لمُختَبِطٍ ... أو مُرْهَفٍ فاتكٍ فى الرّأس[2] قَتّال
وما بَثَثْت رَعيلَ الخيل فى بَلَدٍ ... إلاّ عَصَفْنَ بأرزاقٍ وآجال
إن كنتُ منكَ على بالٍ مَقَتْتَ به ... فإنّ شُكرك مِن قلبى على بال
مازِلْتُ مُنْقَضباً[3] لولا مُجاهرةٌ ... من ألسُنٍ خُضْنَ فى صَدْرى بأقوال

فضحك عبدُ الله وسُرّ بما كان منه ، وقال : يا أبا السَّمراء ، أَقْرِضنى عشرةَ آلاف دينار ، فما أمسيتُ أملكها . وأقْرضه إياها . فدَفعها إليه .

خبر محمد بن يزيد الأموى

ذُكر أن عبد الله بن طاهر كان قال قصيدةً يفتخر فيها بمآثر أبيه وأهله ، ويَفتخر بقَتلهم محمداً الأمين بن الرشيد . فعارضه فيها محمدُ بن يزيدَ الأموىّ

(١) فى غير التجريد : « قد بلغ منى ما كان منك إلى » .
(٢) الرواية فى غير التجريد : « أو مرهف قاتل فى رأس قتال » .
(٣) منقضباً ، أى منقطعا .

الحِصْنىّ ، وكان رجلاً من ولد مَسْلمة بن عبد الملك بن مَروان ، فأفرط فى السَّبّ وتجاوز الحدّ فى قُبح الرد . ومن جُملة قوله :

مَنْ حُسينٌ مَن أبوك ومَن مُصعبٌ غالتهمُ[1] غُـولُ
نَسبٌ فى الفخر[2] مُؤتَشَبٌ وأبُوّاتٌ أراذيـــــل
قاتـــلُ المخلوعِ مقتولُ ودَم المقتول مَطـــــلول

وهى قصيدة طويلة .

حديث العباس الخراسانى مع الحصنى

فحكى العبّاسُ بن الفضل الخُراسانىّ ، وكان من وجوه قُوّاد طاهر وابنه عبد الله ، وكان أديباً عاقلا فاضلا ، قال :

إنّ عبدَ الله بن طاهر لمّا وُلّى مصر ورُدّ إليه تدبير أمر الشام ، عَلِم الحِصْنىّ أنه لا يُفلت منه إن هَرب ، ولا يَنجو من يده حيث حَلّ ، فثبت فى موضعه ، وأحرز حُرَمه ، وترك أمواله ودوابّه ، وكلّ ما يملكه فى موضعه ، وفتح بابَ حِصنه وجلس عليه ، ونحن نتوقّع من عبد الله بن طاهر أن يُوقع به . فلما شارَفْنا بلدَه ، وكُنّا على أن نَصبّحه ، دعانى عبدُ الله فى الليل فقال لى : بتْ عندى الليلة ، وليكُن فرسُك مُعَدًّا عندك لا يُرَدّ ، ففعلتُ . فلما كان فى السَّحر أمر أصحابَه وغِلْمانَه ألاّ يَرحلوا حتى تطلُعَ الشمس ، وركب فى السَّحر وأنا وخمسةٌ من خواصّ غِلْمانه معه ، فسار حتى صبّح الحِصْنىّ ، فرأى بابَه مفتوحاً ورآه جالساً مُسترسلاً ، فقصده وسلّم عليه ونزل عنده ، وقال له : ماأجلسك ها هنا وحملك على أن فتحتَ بابك ولم تتحصّن من هذا الجيش المُقبل ، ولم تَتَنَحّ عن عبــد الله بن طاهر مع ما فى نفسه عليك وما بَلغه عنك ؟ فقال له : إنّ ما قلتَ لم يَذهب علىّ ، ولكنى تأملتُ أمرى وعلمتُ أنّى قد أخطأتُ خطيئةً حملني عليها نَزَقُ الشباب وغِرّةُ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « غالتكم » . (٢) مؤتشب : غير صريح .

الحداثة ، وأنّى إن هربتُ منه لم أفُتْه ، فباعدتُ البناتِ والحُرم ، وأستسلمتُ بنفسى وكُلِّ ما أملكه ؛ ونحن أهلَ بيت قد أسرع القتلُ فينا ، ولى بمن مَضى أُسوة ، وإنى أثق أن الرجل إذا قتلنى وأخذ مالى شَفَى غَيْظه ولم يَتجاوز ذلك إلى الحُرَم ولا له فيهن أرب ، ولا يُوجب جُرمى إليه أكثرَ مما بذلتُه . قال : فوالله ما أتْقاه عبدُ الله إلا بدمُوعه تجرى على لِحْيته . ثم قال له : أتعرفنى ؟ قال : لا والله ! قال : أنا عبدُ الله بن طاهر ، وقد أَمَّن اللهُ رَوْعك ، وحقَن دَمَك ، وصان حُرَمك ، وحَرس نِعْمتك ، وعفا عن ذَنبك ؛ وما تعجَّلتُ إليك وحدى إلاّ لتأمنَ من قبل هُجوم الجيش ، لئلا يُخالط عَفْوى عنك روعةٌ تَلْحقُك . فبكى الحِصْنِىّ وقام فقبَّل رأسَه . وأدناه إليه عبدُ الله بن طاهر وضَمّه ، ثم قال له : إمّا[1] لا فلا بُدّ من عِتاب . يا أخى ، جَعلنى الله فداك ، قلتُ شعراً فى قومى أفخر بهم لم أطعن فيه على حَسَبك ، ولا أدّعيت فضلاً عليك ، وفخرتُ بقَتل رجلٍ هو وإن كان من قومك ، فهو من القوم الذين ثأرك عندهم ، وقد كان يَسعك السُّكوت ، أو إن لم تسكُت لا تُغرق ولا تسرف . فقال : أيّها الأمير ، قد عفوتَ ، فاجعله العفوَ الذى لا يشوبه تَثريب ، ولا يُكدِّر صفوه تأنيب . قال : قد فعلتُ ، فقم بنا ندخُل إلى مَنزلك لنوجب عليك حقًّا بالضِّيافة . فقام مسروراً فأدخلنا منزله ، فأتى بطعام كان قد أعَدّه ، فأكلْنا وجلسْنا نشرب فى مُسْتَشرَف له . وأقبل الجيشُ . فأمرنى عبدُ الله بأن ألقاهم وأرحِّلهم ، ولا ينزلَ أحدٌ منهم إلا فى المنزل — وهو على ثلاثة فراسخ — فنزلتُ فأرْحلتهم . وأقام عنده إلى العَصر . ثم دعا بدواةٍ وكتب له بتسويغه خَراجَه ثلاثَ سنين ، وقال له : إنْ نَشطتَ فالحقْ بنا وإلا فأقم مكانَك . فقال : أنا أتجهّز وألحقُ بالأمير . ففعل ولَحق بنا بمصر . فأقام مع عبد الله لا يفارقه حتى رحل إلى العراق ، فودَّعه وأقام ببلده .

---

(١) أى إن كنت لا أؤاخذك بما وقع منك ، فلا بد من عتاب . فحذفت « كان » واسمها وخبرها ، وبقيت « لا » النافية ، وعوض عن المحذوف « ما » .

أخبار أبي زبيد الطائي (*)

هو حَرملةُ بن المُنذر بن مَعْـدِيكرِب بن حَنظلة بن النُّعمان بن حَيَّـة بن سَعْنة (1) بن الحارث بن الحُويرث بن رَبيعـة بن مالك بن مِسكين (2) بن هَنِيء ابن الغَوث بن طِيِء بن أُدد بن زيد بن يَشجب بن عَريب بن زيد بن كَهلان . — نسبه

وكان نَصرانيًّا ، وعلى دينه مات . وهو ممّن أدرك الجاهليّة والإسلام فعُدّ من المُخَضرمين . وألحقه ابنُ سلام بالطَّبقة الخامسة فى الإسلام . وقد مضى أكثرُ أخباره فى أخبار الوليد بن عُقبة . — دينه وعصره

وكان من المُعمَّرين . ذُكر أنه عُمِّر مائة وخمسين سنة . وذُكر أنه كان طُوله ثلاثةَ عَشَر شِبْراً . — عمره وشيء من وصفه

وحَكى عمارة بن قابُوس قال : — وصفه النعمان بن المنذر

لقيتُ أبا زُبيـد الطائى فقلت له : هل رأيتَ النعمان بن المَنذر ؟ قال : إى والله ، قد أتيتُه وجالستُه . قال : فقلت : فَصِفْه لى . فقـال : كان أحمرَ أزرقَ أبرش قصيراً. فقلت : أخبرنى: أيسُرك أنه سَمع مقالَتَك هذه وأنّ لك حُمرَ النَّعَم ؟ قال : لا والله ، ولا سُودَها ، فقد رأيتُ مُلوك حِمْير فى مُلكها ، ومُلوك غسّان فى مُلكها، فما رأيتُ أحداً قطُّ كان أشدَّ عِزًّا منه . وكان ظَهرُ الكُوفة يُنبت الشَّقائق، فَحمى ذلك المكانَ فنُسب إليه ، فقيل : شقائق النُّعمان . فجلس ذاتَ يومٍ هناك وجلسنا بين يديه ، وكأن على رُءوسنا الطير ، وكأنه بازٍ . فقام رجلٌ من النـاس فقال له : أبيتَ اللعن ! أعطنى فإنِّى مُحتاج . فتأمّله طويلاً ثم أمر به فأُدنى إليه

(*) وقبل أخبار أبى زبيد ساق أبو الفرج أخبار متفرقة عن عمر بن أبى ربيعة والأحوص .

(1) فى التجريد : « ابن سعية » . (2) فى الأغانى : « سكر » . وفى جمهرة أنساب العرب (ص ٣٧٧) : « سفر » .

حتى قعد بين يديه ، ثم دعا بكِنانة فأُستخرج منها مَشاقِصَ (١) فجعل يجأ (٢) بها فى وَجهه حتى سمعنا قَرْع العِظام ، وخُضِبت لِحيته وصدرُه بدمه ، ثم أمر به فنُحِّى . ومكثنا مليًّا . ثم نَهض آخرُ فقال له : أبيتَ اللعن ! أعطنى. فتأمّله ساعةً ثم قال : أعطوه ألفَ درهم . فأخذها وأنطلق . ثم ألتفت النُّعمان عن يَمينه وشماله وخَلفه وقال : ما قولُكم فى رجل أزرقَ أحمرَ يُذْبح على هذه الأَكمة تَرون دَمه سائلاً حتى يَجرى إلى الوادى ؟ فقلنا له : أنت ــ أبيت اللعن ــ أعلَى برأيك عيناً . فدعا برجل على هذه الصِّفة فذُبح . ثم قال : ألا تسألوننى عما صَنعتُه ؟ فقلنا : ومن يسألك ــ أبيت اللعن ــ عن أمرك وما تَصنع ؟ فقال :

أما الأول ، فإنى خرجتُ مع أبى نتصيّد فمررتُ به وهو بفِناء بابه ، و بين يديه عُسٌّ من شراب أو لبن ، فتناولتُه لأشربَ منه ، فثار إلىّ فهَراقَ الإناء مِلأً وجهى وصدرى ؛ فأعطيتُ الله عهداً لئن أمكننى منه لأَخضبنّ وَجهه وصدرَه من دم لِحْيته .

وأما الآخر ، فكانت له عندى يَدٌ فكافأْتُه .

وأما الذى ذَبحتُه ، فإن عيناً لى بالشام كتب إلىّ : إن جبلة بن الأيهم قد بعث إليك رجلاً من صفته كذا وكذا ليغتالك ؛ فطلبتُه أياماً فلم أقدر عليه ، حتى كان اليوم .

منادمته للوليد بالرقة — وذُكر أنّ الوليد بن عُقبة بن أبى مُعيط كان أنقطع بالرَّقّة مُعتزلاً لعلىّ ــ عليه السلام ــ ومُعاوية ، ولم يحضُر شيئاً من الحُروب التى وقعت بينهما ؛ وأقام أبو زُبيد معه بالرقّة ، فكان يُحمل فى كُل أَحدٍ إلى الكنيسة فيحضُر مع النّصارى و يشرب

---

(١) مشاقص : جمع مشقص ، وهو نصل عريض ، أو سهم فيه ذلك .
(٢) يجأ : يضرب .

بها ، ثم يُحمل إلى منزله. فبَقِي على هذا الحال مُدةً ، ثم تُوفى فدُفن على البَلِيخ ، وهو نهـــر بالرقّة .

رثاه صديق له

وذُكر أنه كان له نَديم يشرب معه بالكُوفة ، فلما تُوفى أبو زُبيد بالرقّة أُخبر بوفاته ، فجاء إلى قبره فوقف عليه ثم قال :

يا هاجرى إذ جئتُ زائرَهُ   ما كان من عاداتك الهَجْرُ
يا صاحبَ القبر السلامُ على   مَن حال دُون لقائه القَبْرُ

وصاة الوليد بأن يدفن إلى جنبه

ولما حضرت الوليدَ الوفاةُ أوصى أن يُدفن إلى جنب أبى زُبيد .

وقيل : بل مات أبو زبيد بعده (١) .

(١) يظهر أن فى الترجمة نقصاً . فلم يذكر ابن واصل الشعر الذى فيه الغناء ، وهو ما يختم به ترجمة من يترجم لهم . وقد ذكره أبو الفرج ، وأوله :

قد كنت فى منظر ومستمع   عن نصر بهراء غير ذى فرس

(بهراء : قبيلة)

أخبار محمد بن أمية (*)

ابن أبي أمية

شيء عنه

كان كاتباً شاعراً ظريفاً . وكان يُنادم إبراهيم بن المهدىّ ، وربما عاشر علىّ ابن هشام ، إلاّ أنه كان انقطاعه إلى إبراهيم بن المهدىّ أكثر ، وربما كَتب بين يديه . وكان حَسن الخطّ والبَيان . وكان يكتب للمهدىّ على بيت المال ، وكان إليه خَتْم الكُتُب بحضرته . وكان يأنس به لأدبه وفضله . وزامله أربعَ دَفَعات حجَّها فى ذَهابه(1) ورُجوعه .

إعجاب أبي العتاهية بشعر له

وذُكر أن أبا العتاهية سمع مُخارقا يُغنِّى :

أُحبُّكِ حبًّا لو يُفَضُّ(2) يَسيرُه ... على الخَلق مات الخَلْقُ من شِدّة الحبّ
وأعلمُ أنِّي بعد ذاك مقصِّرٌ ... لأنَّكِ فى أعلى المَراتب من قَلْبي

فطَرِب وقال : يا أبا المُهنّأ ، من يقول هذا ؟ فقال : فَتًى من الكُتّاب يخدُم إبراهيمَ بن المَهدىّ . قال: تَعْنِي مُحمد بن أُمية ؟ قال : نعم فقال : أحسن والله ! ما يزال يأتى بالشيء المَليح يبدو له .

تطير ابن المهدى بشعر له غنى فيه الغزال وكانت معه نكبة البرامكة

وذُكر بعضُ من كان يَختلط بالبرامكة قال:

كنتُ عند إبراهيم بن المهدىّ ، وقد أصطبحنا ونحن فى أطيب ما كُنّا فيه ، إذ غنّى عمرو الغزّال ، وكان إبراهيم بن المهدى يَستثقله ، فى شعر مُحمد بن أمية :

ما تَمّ لى يومُ سرورٍ بمن ... أهواه مُذ كنت إلى اللّيل
أُغبطَ ما كنتُ بما نلتُه ... منه أتتنى الرُّسْلُ بالوَيْل
لا والذى يَعلم كُلَّ الذى ... أقول ذى العزّة والطَّوْل
مارُمْتُ مذ كنتُ لكم سَخطةً ... بالغَيب فى فِعل ولا قَول

(*) وقبل هذا ساق أبو الفرج أخباراً متفرقة مر عنها ابن واصل.

(1) فى غير التجريد : « فى ابتدائه » . (2) يفض : يفرق .

فتطيّر إبراهيم ووضع القدح من يده ، وقال : أعوذ بالله من شرّ ما قلتَ ! فوالله ما سكت – وأخذنا نتلافى إبراهيم – حتى دخل حاجبُه يعدو . فقال له : ما الخبر ؟ قال : خرج الساعةَ مسرورٌ من دار أمير المؤمنين حتى دخل دارَ جعفر ابن يحيى ، فلم يَلبث أنْ خرج ورأسُ جعفر بين يديه ، وقبض على أبيه . و إخوته وأصحابه . فقال إبراهيم : (إنّا لله و إنا إليه راجعون) ! يا غلام ، اُرفع مابين أيدينا. وتفرّقنا . ثم ما رأيتُ عَمْراً بعدها فى داره .

شعر له فى تفاحة أهدتها إليه جارية

وذُكر أن محمد بن أمية كان يُحب جاريةً يقال لهـا : خِداع ، فأهدت إليه يوماً تفاحة مُطيَّبة مَنقوشة ، فكتب إليها :

خِداعُ أهديتِ لنا خُدعـةً ... تُفاحـة طيبـةَ النَّشْرِ
ما زلتُ أرجوكِ وأخشى الهوى ... مُعتصماً بالله والصَّبْرِ
حتى أتتْنى منكِ(١) تفاحةٌ ... زَحزحتِ الأحزانَ من صَدرى
حَشوتِها مِسْكاً ونَقَّشتِها ... ونَقْشُ كَفَّيكِ من السِّحر
سَقياً لها تفَّاحةً أُهـديت ... إن لم(٢) تكُن من خُدَعِ الدَّهر

ومن شعره فى خداع

ومما قاله محمد بن أمية فى « خِداع » هذه :

عَجبـاً عجبْتُ لمُذنبٍ مُتغضِّبِ ... لولا قَبيـحُ فعاله لم أعجبِ
أخِداعُ طال على الفراش تقلُّبى ... وإليك طولُ تشوُّقى وتطرُّبى
لَهْفِى عليـكِ وما يُردّ تلهُّـفى ... قَصُرت يداى وعزّ وجهُ المَطلب

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغِناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبار محمد بن أمية :

رُبَّ وَعْدٍ منكِ لا أنساه لى ... أوْجَبَ الشُّكرَ وإن لم تفْعَلِى
أقطعُ الدهرَ بوعدٍ(٣) حسَنٍ ... وأُجلِّى غَمرةً ما تَنجلى
كلَّمـا أمّلتُ يوماً صـالحاً ... عَرَض المكروهُ لى فى أمَلى
وأرى الأيّام لا تُدْنى الذى ... أرتجى منكِ وتُدْنى أجَلى

(١) فى غير التجريد : « فى ساعة » مكان « تفاحة » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « لوم » . (٣) فى غير التجريد : « بظن » .

أخبار المتوكل الليثي (*)

نسبه وكنيته

هو المتوكّل بن عبد الله بن نَهْشل بن مُسافع بن وَهْب بن عمرو بن لَقِيط بن يَعمَر بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر بن عَبْد مَناة بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن اليأس بن مُضَر بن نِزار. ويُكنى: أبا جَهْمة.

عصره

شاعر من شُعراء الإسلام من أهل الكوفة. وكان في عَصر مُعاوية بن أبي سُفيان وابنه يَزيد، ومَدحهما. واجتمع معه الأخطل وناشده.

مناشدة الأخطل إياه

وذُكر أنّ الأخطل قَدِم الكوفة، فقال المتوكل بن عبد الله اللَّيثي لرجل من قومه: انطلِقْ بنا نُنشده ونَسمع من شِعره. فأتَياه فقالا له: أنشدنا يا أبا مالك. فقال: إني لخاثر (1) يومي هذا. فقال له المتوكل: أنشدنا أيُّها الرجل، فوالله لا تُنشدني قصيدةً إلاّ أنشدتك مِثلها وأشعرَ منها من شِعري. قال: ومَن أنت؟ قال: أنا المتوكل. قال: ويحك! أنشدني من شعرك. فأنشده:

للغانياتِ بذي المَجازِ (2) رُسُومُ ... فبِبَطْنِ مكّةَ عهدُهنّ قَديمُ

فبِمَنْحَرِ البُدْنِ المقلَّد من مِنًى ... حِلَلٌ تَلوح كأنّهن (3) نُجوم

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مثلَه ... عارٌ عليك إذا فعلتَ عَظِيم

والهمُّ ما لم تُمْضِه لسَبِيله ... داءٌ تضمّنه الضُّلوع مُقيم

وأنشد أيضاً:

الشِّعْرُ لُبُّ المَرْءِ يَعرِضُه ... والقولُ مثلُ مَواقع النَّبْلِ

(*) وقبل أخبار المتوكل ذكر أبو الفرج بعض أخبار لابن أبي عتيق.

(1) خثرت نفسه: غثت وثقلت. (2) ذو المجاز: موضع سوق بعرفة، وماء لهذيل بعرفة.

(3) حلل: جمع حلة، وهي الجماعة من بيوت القوم. وشبهها بالنجوم لتفرقها، ولضآلتها.

منها المُقصِّر عن رَمِيَّتِه ونوافذٌ يَذهبْن (١) بالخَصلْ

وأنشد أيضاً :

إنّنا معشرٌ خُلِقْنا صُدوراً من يُسوِّى الصُّدورَ بالأذنابِ

فقال له الأخطل : يا مُتوكل ، لو نَبحت الخمرُ فى جوفك كنتَ أشعرَ الناس.

شعره فى زوجته وقد طلبت الطلاق

وذُكر أنّ المتوكل اللّيثى كانت له امرأة يقال لها : رُهيمة ، وتكنى : أمّ بَكر ، كانت أُقعدت . فسألته الطلاقَ . فقال لها : ليس هذا حين الطلاق . فأبت عليه . فطلقها . ثم بَرئت بعد الطلاق . فقال فى ذلك قصيدةً أولُها :

طَرِبْتُ وشاقنى يا أمّ بَكرٍ دُعاء حَمامةٍ تَدعو حَماما
فبِتُّ وبات هَمّي لى نَجِيًّا أُعزِّى عنكِ قلباً مُستهاما

ومنها :

أبَى قلبى فما يَهوى سواها وإن كانت مودّتها (٢) غَراما
ينام الليلَ كُلُّ خليٍّ همٍّ وتأبَى العينُ منّى أنْ تناما
أُراعى التّاليات من الثُّريّا ودَمعُ العين يَنسجم انسجاما
على حينَ ارعويتُ وكان رأسى كأنّ على مَفارقه (٣) الثّغاما
سَعى الواشون حتى أزعجوها ورثَّ الحَبْلُ فانجذَم انجذاما

ومنها :

خَدلَجَّة (٤) لها كَفَلٌ وَثِير ينُوء بها إذا قامت قِياما
مُخصَّرة (٥) ترى فى الكَشْح منها على تَثْقِيل أسفلها انهضاما
إذا ابتسمت تَلألأ ضوءُ برقٍ تهلّل فى الدُّجنّة ثم داما

(١) الخصل : الخطر ، وهو السبق الذى يتراهن عليه .

(٢) الغرام : العذاب . (٣) الثغام : نبت أبيض .

(٤) الخدلجة : الممتلئة الذراعين والساقين . (٥) مخصرة : ضامرة الخصر .

شعره الذى فيه الغناء

وقال أيضاً ، وهو الشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخبار المُتوكل الليثى ، وهو :

أجَدَّ البينَ[1] جيرتك احتمالا ... وحَثَّ حُداتُهم بهمُ عِجالا
وفى الأظعان آنسةٌ لعوب ... ترى قتلى بغير دمٍ حَلالا

وهذان البيتان من قصيدة يمدح بها حَوْشَباً الشيبانى ، ومنها :

إذا وعدتْك معروفاً لوته ... وعجّلتِ التجرّم[2] والمطالا
لها بَشرٌ نقىّ اللون صافٍ ... ومَتْنٌ حُطّ[3] فاعتدل اعتدالا
إذا تمشى تأوّد جانباها ... وكاد الخصرُ ينخزل[4] انخزالا
تنوء بها روادفُها إذا ما ... وِشاحاها[5] على المتنين جالا
فإن تُصبحْ أميمة قد تولّت ... وعاد الوصلُ صِرْماً واعتلالا
فقد تدنو النّوى بعد اغتراب ... بها وتُفرّقُ الحىّ[6] الحِلالا
تُعبّس لى أميمةُ بعد أنس ... فما أدرى أسُخطاً أم دلالا
أبينى لى فرُبّ أخٍ[7] مُصافٍ ... رُزِئْتُ وما أُحبّ به بدالا
أصرمٌ منك هذا أم دلال ... فقد عنّى الدّلالُ إذاً وطالا
أم استبدلت بى وسئمت[8] وصلى ... فبُوحى لى به ودعى[9] المِحالا
فلا وأبيكِ ما أهوى خليلا ... أقاتله على وَصْلى قتالا
رأيت الغانياتِ صدَدْن لما ... رأين الشيبَ قد شمِل[10] اشتمالا

(١) فى غير التجريد : « اليوم » .
(٢) تجرم عليه : ادعى عليه الجرم .
(٣) حطه : امتد .
(٤) تأود : انعطف . وينخزل : ينقطع .
(٥) الوشاح : ما تشده المرأة على وسطها من أديم عريض مرصع بالجواهر .
(٦) الحلال : القوم الحالون .
(٧) المصافى : المخلص .
(٨) فى غير التجريد : « ومللت » .
(٩) المحال : الكيد والمكر .
(١٠) فى غير التجريد : « القذالا » مكان : « اشتمالا » .

من شعره فى مدح يزيد بن معاوية

ومن شعر المتوكل الليثى قصيدة يمدح بها يزيد بن معاوية بن أبى سفيان، أولها:

خليلىّ عُوجا اليومَ وانتظرانى ... فإنّ الهوى والهمَّ أمُّ أبانِ
هى الشمسُ يدنولى قريباً بعيدُها ... أرى الشمس ما أستطيعها وترانى
نأتْ بعد قُربٍ دارُها وتبدّلت ... بنا بدَلاً والدّهرُ ذو حَدَثان
فهاج الهوى والشوقَ لى ذكرُ حُرّةٍ ... من المُرجحنّات الثقّال(١) حَصَانِ

يقول فيها فى مدح يزيد بن معاوية :

أبا خالدٍ حَنّت إليك مطيّتى ... على بُعد مُنْتابٍ وهَوْل جَنانِ
تناهت قَلُوصى بعد إسآدِ السُّرى ... إلى مَلِكٍ جَزْلِ العَطاء(٢) هِجان
ترى الناسَ أفواجاً ينوبُون بابَه ... لبِكْرٍ من الحاجات أو(٣) لعَوان

(١) المرجحنات : السمان ؛ الواحدة : مرجحنة . والحصان : العفيفة .
(٢) الإسآد : الإسراع فى السير . والسرى : السير آخر الليل . والهجان : الرجل الحسيب .
(٣) العوان : الثيب . يريد الحاجات التى طلبت مرة بعد مرة .

أخبار الأفوه الأودي

نسبه ولقبه

وهو صَلاءة بن عَمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عَوف بن مُنبِّه بن أَوْد بن الصَّعب بن سَعد العَشيرة . والأفوه لقبٌ غَلب عليه .

لقب أبيه وشعره فيه

وكان يُقال لأبيه عمرو : فارس الشَّوهاء ، وفى ذلك يقول الأفوه :

أَبِى فارسُ الشَّوهاء عمرو بن مالك غداةَ الوَغى إذ مال بالجَدِّ عاثِرُ

مقامه بين قومه

وكان الأفوه من كِبار الشُّعراء القُدماء فى الجاهليّة ، وكان سيِّد قومه ، وقائدَهم فى حُروبهم ، وكانوا يصدُرون عن رأيه . والعربُ تعدُّه من حُكّامها .

شعره فى الفخر على بنى عامر وقد أودى قتلاهم

وذُكر أنه كانت بين الأفوه وقوم من بنى عامر دماء ، فأَدركَ الأفوه ثأره منهم ، وزاد فأَعطاهم دِياتِ من قُتل ، فضلاً على قَتلى قومه ، فقَبِلوا وصالحوه . فقال فى ذلك قصيدةً يفخر بها عليهم ، أولُها :

* سقَى دِمْنتَين لم نجد لهما أهلا [1] *

يقول فيها :

وإنّا لنُعطى المال دون دمائنا ونأبَى فما نَستام دون دَمٍ [2] عَقْلا

نقُود ونأبَى أن نُقاد وأن [3] نَرى لقوم علينا فى مُكارمة فَضْلا

---

(١) عجزه : « بحقلٍ لكم ياعز قد رابنى حقلا » . وحقل : مكان .

(٢) العقل : الدية . (٣) فى غير التجريد : « ولا » .

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الأفوه ، هو البيت الأول من قصيدته ، مع أبيات لـكُثير عزة . شعره الذى فيه الغناء

وذكر أبو الفــرج أن كُثيّرا ضمّ بيت الأفوه مُنتحلا له إلى شعره . ومن أبيات كُثير :

فيا عزَّ إنْ واشٍ وشَى بىَ عندكم ... فلا تُكرميه أن تقولى له[1] أهْـلا

كما نحن لو[2] واشٍ وشى بكِ عِندنا ... لقُلنــا تزَحزحْ لا قريباً ولا سَهلا

---

(١) فى غير التجريد : « مهلا » مكان « أهلا » .

(٢) فى التجريد : « كما أن واش لو » .

ذكر خبر أبي النشناش (*)

هو واللهبي بعد فراره من الحبس

ذُكر أنه كان لصًّا من تميم، وكان يَعترض القوافل (١) في شُذّاد من العرب، بين طريقى الحجاز والشام، فظَفر به بعضُ عمّال مَروان فحبَسه وقيَّده مُدة، ثم أمكنه الهربُ في وقت غِرَّة فهرب. فمر بغُراب على بانةٍ يَنتِف ريشه ويَنعَب، فجزِع من ذلك. ثم مَرَّ بحيٍّ من لِهْب فقال لهم: إنّ رجلاً كان في بلاء وشرّ وحبس وضيق فنجا من ذلك، فلقى في طريقه غُراباً على بانة يَنتف ريشه ويَنعَب. فقال له اللِّهْبيّ: يُؤخذ فيُعاد إلى حَبسه وقَيْده، ويطُول ذلك به، ثم يُقتَل ويُصلب. فقال: بفِيك التراب. فقال: بل بفيك. وأنشأ أبو النّشناش يقول:

وسائلةٍ أين ارتحالِي وسائلٍ ... ومن يسأل الصُّعلوكَ أين مذاهبُهْ
مَذاهِبه أنّ الفِجاج عريضةٌ ... إذا ضَنّ عنه بالنّوال أقاربُه
إذا المرءُ لم يَسرح سَوَاماً ولم يُرِح ... سَواماً ولم يَبسُط له الوجهَ صاحبه
فَللموتُ خيرٌ للفتى من قُعوده ... فقيراً ومِن مَولًى (٢) تَدِبُّ عَقاربه
ودَوِّيةٍ قوراء يُخشى بها (٣) الرَّدَى ... سَرتْ بأبي النَّشناش فيها ركائبه
ليُدرك ثأراً أو ليَكسِب مَغنماً ... ألا إنّ هذا الدهرَ جَمٌّ (٤) عجائبه

(*) ساق أبو الفرج أخبار أبي النشناش تكاد تتصل بأخبار الأفوه.

(١) في التجريد: «القبائل».

(٢) في بعض أصول الأغاني: «عديما ... تعاف مشاربه».

(٣) الدوية: المفازة. وقوراء: واسعة. وفي غير التجريد: «ودوية قفر يحار بها القطا».

(٤) في غير التجريد: «تترى».

فلم أرَ مثلَ الهمِّ [1] ضاجَعه الفتى ولا كسَوادِ اللَّيل أخفَق طالبُه
فعِشْ مُعذِراً [2] أومُتْ كريماً فإننى أرى الموت لا يُبقِى على مَن يُطالبه

والشعر الذى فيه الغناء، وأفتتح به أبو الفرج خبر أبى النَّشناش، هو : شعره الذى فيه الغناء

كأنْ لم ترَىْ قبلى أسيراً مُكبَّلاً ولا رجُلاً يُرمَى به [3] الرَّجَوانِ
كأنّ جوادٌ ضمَّهُ القيدُ بعد ما جرى سابقاً فى حَلْبةٍ ورِهانِ

(١) فى غير التجريد : « الفقر » . (٢) المعذر : الذى له عذر .

(٣) الرجوان : مثنى رجا ، وهى ناحية كل شىء . وخص به بعضهم ناحية البئر من أعلاها إلى أسفلها . ويرجى به الرجوان ، أى استهين به فكأنه يرمى به هنالك ويطرح فى المهالك .

ذكر خبر الجحّاف السلمى (*)

وبعض الحروب الواقعة بين قَيس وتغلب

نسبه — هو الجحّاف بن حَكيم بن عاصم بن قيس بن سِباع بن خُزاعىّ بن مُحاربىّ أبن فالج بن ذَكوان بن ثَعلبة بن بُهْثة بن سُلَيم بن منصور .

وقعة الحرجية — لما انقضت وقعةُ راهط ، كانت بين قيس وتَغلب ، بنواحى الجزيرة والموصل ، حُروب كثيرة فى وَقعات متعدّدة ؛ قُتل فى بعض تلك الوَقعات عُمَير بن الحُباب السُّلمى . فأتى أخوه تَميمٌ زُفَرَ بن الحارث الكِلابىّ وسأله القيامَ بنُصرته والأخذَ بثأر أخيه ، فأجابه إلى ذلك بعد امتناع . ووجّه زُفرُ بنُ الحارث يزيدَ بن حُمْران فى خَيل . فأساء إلى بنى الفَدَوْكس ــ رَهط الأخطل الشاعر ــ فقتل رجالَهم واستباح أموالَهم . وبَعث خيلاً أُخرى إلى بنى كَعب بن زُهير ، وخَيلاً أخرى إلى ناحية أُخرى ، فأكثروا من القتل . وبَلغ ذلك بنى تغلب ، فارتحلوا يُريدون عُبور دِجلة ، فَلَقِيهم أصحابُ زُفر بالكُحَيْل ــ وهو نهر أسفل من الموصل ــ فاقتتلوا قتالاً شديدا . وترجّل أصحابُ زفر أجمعون ، و بقى زُفر بن الحارث على بغلة له . فقتلوهم من لَيلتهم ، وبَقروا ما وجدوا من النِّساء . وذُكر أنّ مَن غَرِق فى دِجلة أكثرُ ممّن قُتل بالسَّيف ، وأنّ الدم كان فى دِجلة قريباً من رَمْية سهم . فلم يزالوا يَقتُلون مَن وجدوا حتى أصبحوا . فذُكر أنّ زُفر دخل معهم دجلةَ ، وكانت فيه بُحّة ، فجعل يُنادى ولا يُسمع صوتُه ، ففَقده أصحابُه وحَسبوا أنّه قُتل،

(*) ساق أبو الفرج قبل خبر الجحاف « خبر كثير وخندق الأسدى » ثم أخبار «منظور بن زبان» .

فتَذامروا [١] وقالوا : لئن قُتل شيخُنا فما صَنَعْنا شيئاً ! فأتبعوه ، فإذا هو فى الماء يَصيح بالناس ـ وتَغلب قد رَمت بأنفسها تَعبُر فى الماء ـ فخرج من الماء فأقام بموضعه . وهذه الوقعةُ تُسمَّى الحَرجيَّة ، لأنهم أُحْرجوا فألقوا أنفسهم فى الماء .

ليلة الهرير وشعر زفر

ثم وجّه زُفر جمعاً من أصحابه وأمرهم ألّا يلقَوا أحداً إلّا قتلوه . فقتلوا منهم قتْلاً ذَريعاً . ثم مضى زُفر فى جماعة من أصحابه حتى أتى رأس الأُثيل [٢] ، فوجد عسكراً من اليمن وتَغلب ، فقاتلهم بقيةَ ليلتهم ، فهربت تغلب وصَبرت اليمن . وهذه الليلة تُسمِّيها تغلب : ليلةَ الهَرير . وفى ذلك يقول زُفر بن الحارث :

ولمّا أنْ نَعى الناعى عُميراً ... حسبتُ سماءهم دُهيت بلَيْل
فلو نُبش المقابرُ عن عُمير ... تُخبِّرُ [٣] عن بَلاء أبى الهُذَيل
غداةَ يُقارع الأبطالَ حتى ... جَرى منهم دماً مَرْجُ [٤] الكُحَيْل
قَبيلٌ يَنهدون [٥] إلى قَبيلٍ ... تَساقَى الموتَ كيلاً بعد كَيل

شعر جرير

وفى ذلك يقول جرير ، يُعيِّر الأخطل :

أنسيتَ يومَك بالجزيرة بعد ما ... كانت عواقبُه عليك وَبالاَ
حملتْ عليك حُماةُ قيسٍ خيلَها ... شُعْثاً عوابسَ تَحمِل الأبطالا
ما زلتَ تَحسِبُ كُلّ شىء بعدهم ... خيلاً تُصَبّ [٦] عليكم ورِجالا
زُفر الرئيسُ أبو الهُذيل أبادكم ... فسَبى النِّساء وأحرز الأموالا

استنهاض الجحاف قومه لشعر الأخطل

فلما كانت سنة ثلاثٍ وسَبعين ، وقُتل عبد الله بن الزُّبير بمكة ، وهَدأت الفتْنة ، واُجتمع الناس على عَبد الملك بن مروان ، وتكافَّت قيسٌ وتَغلبُ عن

---

(١) تذامروا : حض بعضهم بعضاً على القتال . (٢) الأثيل : موضع .
(٣) فى غير التجريد : « فيخبر » .
(٤) المرج : الفضاء . والكحيل : موضع فى بلاد هذيل .
(٥) ينهدون : ينهضون . (٦) فى غير التجريد : « تكر » .

المَغازى بالشام والجزيرة ، وظَن كُلٌّ واحدٍ من الفريقين أن عنده فضلاً لصاحبه ، وتكلّم عبدُ الملك فى ذلك فلم يُحْكم الصُّلح بينهم ؛ فبينما هم على تلك الحال إذ أنشد الأخطلُ عند عبد الملك بن مروان ، وعنده وُجوه أصحابه ، قصيدةً يقول فيها :

ألا سائل الجحّاف هل هو ثائرٌ بقتلَى أُصيبت من سُلَيم وعامرِ

فوثب الجحّاف السُّلمى يجرّ مُطْرَفَه وما يَعلم من الغضب . فقال عبدُ الملك ابن مروان للأخطل : ما أحسبك إلا قد كسبتَ قومك شرًّا ! ومضى الجحّاف من فَوره ذلك ، فوَضع [1] عهداً من عبد الملك له على صدقات بكر وتغلب ، وصحبه من قومه ألفُ فارس .

وقعة البشر

قيل : فسار الجحّاف بهم حتى بلغ الرُّصافة ، ثم كشف لقومه أمرَه وأنشدهم شعرَ الأخطل . وقال لهم : إنما هى النارُ أو العار ، فمن صَبر فَلْيقْدم ، ومَن كره فَلْيرجع . فقالوا له : ما بأنفسنا عن نَفسك رغبةٌ . فأخبرهم بما يُريد . فقالوا : نحن معك فيما كُنتَ فيه من خَير وشَرّ . فارتحلوا ، فطَرقوا صُهَين ، بعد رُؤْبةٍ [2] من الليل . ثم صبّحوا البِشْر ، وهو واد لبنى تَغلب ، وأغاروا على بنى تغلب ليلاً ، وبَقروا من النِّساء من كانت حاملاً ، ومَن كانت غيرَ حامل قتلوها . فقُتل فى تلك الليلة ابنٌ للأخطل يقال له : أبو غِياث . ففى ذلك يقول جَرير له :

شَرِبتَ الخمر بعد أبى غِياثٍ فلا نَعِمتْ لك النَّشوات [3] بالاَ

وذُكر أنّ الأخطل وقع فى أيديهم ، وعليه عَباءةٌ دَنِسة . فسألوه ، فذَكر أنه عبدٌ فأطلقوه .

(١) فى غير التجريد : « فافتعل » .
(٢) الرؤبة : القطعة .
(٣) فى التجريد : « السوات » . وما أثبتنا من الديوان (ص ٤١٤) وبعض أصول الأغانى .

وجعل الجحّاف ينادى : من كانت حاملاً فإلىّ . فَصَعِدْن إليه ، فجعل يبقَرُ بُطونهن . ثم إن الجحّاف هَرب بعد هذه الفعلة ، وفرّق عنه أصحابُه ولحق بالروم. فلحقه عُبيدة بنُ هَمّام التّغلبى ، دون الدَّرْب . فكرّ عليه الجحّاف فهزمه وهزم أصحابه وقتلهم . ومكث زمانا فى الرُّوم ، وقال فى ذلك :

فإن تَطْرُدونى تَطْرُدونى وقد مضى ... من الوِرْد يومٌ فى دِماء[1] الأراقِمِ
لَدُن ذَرّ قَرْنُ الشمس حتى تلَبّستْ ... ظلاماً بِرَكْضِ المُقْرَبات[2] الصّلادِمِ

قدوم الجحاف على عبد الملك بعد الأمان

حتى إذا سكن غضبُ عبد الملك بن مَروان كلّمته القيسيّة فى أن يُؤَمِّنه ؛ فَلَانَ وتلكّأ . فقيل له : إنّا والله لانأمنهُ على المسلمين إن طال مُقامه أن يأتى بالرُّوم . فأمّنه ، فأقبل . فلما قدم على عبد الملك بن مروان لقيه الأخطل . فقال له الجحّاف :

أبا مالكٍ هل لُمْتَنى إذ حَضَضْتَنى ... على القَتْل أم هل لامَنى لك لائمِى
أبا مالكٍ إنّى أطعتُك فى التى ... حضضتَ عليها فِعْلَ حَرّانَ[3] حازمِ
فإن تَدْعُنى أخرى أُجِبْك بمثلها ... وإنّى لطَبٌّ بالوغَى جِدُّ عالِمِ

فقال الأخطل له : أراك والله شيخَ سَوْء ! وقال فيه جرير :

فإنك والجحّافَ يوم تَحُضّه ... أردتَ بذاك المُكْثَ والوِرْدُ أعجلُ
بكى دَوْبلٌ[4] لا يُرْقِئ الله دَمْعَه ... ألاَ إنما يَبكى من الذُّلّ دَوْبل
فما زالت القَتلى تَمُجّ[5] دماءها ... بدِجلةَ حتى ماء دِجلةَ[6] أشْكل

(١) الأراقم : حى من تغلب ، سموا بذلك لشبه عيونهم بعيون الأراقم .
(٢) المقربات من الخيل : التى ضمرت للركوب ، فهى قريبة معدة . والصلادم : الشديدة الصلبة ، الواحد : صلدم ، كزبرج .
(٣) حران ، أى ظامىء متعطش . (٤) الدوبل : ولد الخنزير .
(٥) فى الديوان (ص ٤٥٧) وأصول الأغانى : « تمور » ، أى تجرى .
(٦) أشكل : يضرب بياضه إلى الحمرة والكدرة .

فقال الأخطل : ما لجرير لعنه الله ! والله ما سمّتنى أمّى دَوبلاً إلّا وأنا صبىّ صغير، ثم ذهب ذلك عنى . وقال الأخطل :

لقد أوقع الجحّافُ بالبِشر وقعةً إلى الله منها المُشتكى والمُعوَّلُ
فسائل بنى مروان ما بالُ ذِمّةٍ وحبلٍ ضعيف لا يزال يُوصَّل
فإلّا تُغيِّرها قريشٌ بملكها يكن عن قريش مُستماز[1] ومَزْحل

فقال له عبد الملك ، لمّا أنشده هذه القصيدة : إلى أين يا بن النّصرانية ؟ قال : إلى النار . قال : أولَى لك لو قلتَ غيرها !

حمل الوليد الدماء والجحاف القتلى

ورأى عبدُ الملك أنه إن تركهم على حالهم لم يكن أحكمَ الأمر ، فأمر ابنه الوليدَ بن عبد الملك يحمل الدّماء التى كانت قبل ذلك بين قَيس وتَغلب ، وضمَّن الجحّافَ قتلى البِشر وألزمه إياها ، عُقوبةً له . فأدّى الوليدُ الحمالات . ولم يكن عند الجحّاف ما يحمل ، فلحق بالحجّاج بالعِراق يسأله ، لأنّه من هَوازن. فأبى مُساعدته وقال له : أعهدْتَنى خائناً لا أبا لك ! فقال له الجحّاف : أنت سيّد هوازن، وقد بدأنا بك ؛ أنت ابن عظيم القريتين ، وأمير العراق، وعمالتك فى كُل سنة خمسمائة ألف درهم ، وما بك بعدها حاجة إلى خيانة . فأعطاه ، وأدّوا البقية .

خروج الجحاف إلى الحج

ثم إن الجحّاف نَسك واستأذن فى الحجّ ، فأذن له ، فخرج حاجًّا فى المَشيخة الذين شَهدوا معه ، قد لَبسوا الصوف وأحرموا وأبْرَوْا أنوفهم — أى خرموها وجعلوا فيها البُرَى [2] — ومشَوا إلى مكّة . فلما قدِموا مكة والمدينة جعل الناسُ ينظرون إليهم و يعجبون منهم .

وذُكر أن الجحاف تعلّق بأستار الكعبة وجعل يقول : اللّهم اغفر لى وما أراك تفعل ! فسمعه ابنُ عمر رضى الله عنه ، فقال له : يا هذا ، لو كنتَ الجحّاف

(١) بملكها ، أى بقدرتها . ومستماز : مرتحل . ومزحل : متحول . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « مستراد » مكان « مستماز » . (٢) البرى : جمع برة ، وهى الحلقة فى أنف البعير.

لما زِدت على هذا ! فقال : فأنا الجحّاف . فسكت . وسَمعه محمدُ بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما يقول ذلك ، فقال له : يا عبد الله ، قُنوطك من عفو الله أعظم من ذَنبك .

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الجحّاف وحُروب تغلب وقيس ، هو شعرُ الجحّاف ، وهو : شعره الذى فيه الغناء

لله دَرُّ عِصابة [1] نادمتُهم — يومَ الرُّصافة مثلُهم لم يُوجَد
مُتقلّدين صفائحًا هنديّة — يتركْن مَن ضَربُوا كأنْ لم يُولد
وغدا الرجالُ الثائرون كأنما — أحداقُهم [2] قِطَعُ الحديد المُوقد

(١) فى غير التجريد : « صاحبتهم » .
(٢) فى غير التجريد : « أبصارهم » .

ذكر يوم الكلاب الأول

قبـاذ والمنذر

وكان من حديث الـكُلاب الأول أنّ قُبَاذ بن فَيروز ملك الفُرس لمّا مَلَكَ كان ضَعِيفَ المُلْك ، فوثبت ربيعةُ على المُنذر الأكبر بن ماء السماء — وهو ذو القَرْنين بن النُّعمان — فأخرجوه — وإنما سُمِّي ذا القَرْنين لأنه كان له ذُؤابتان — فخرج هارباً منهم حتى مات فى إياد ، وترك ٱبنَه المُنذرَ الأصغر فيهم ، وكان أذكى ولده . فٱنطلقت ربيعةُ إلى كِندةَ ، فجاءوا بالحارث بن عمرو بن حُجْرٍ آكل المُرَار ، فملّكوه ، وحَشدوا له وقاتلوا معـه . فظَهر على ما كانت العرب تَسكُن مِن أرض العِراق . وٱمتنع قُباذ أنْ يُمِدَّ المُنذَر بجيش . فلما رأى ذلك كتب إلى الحارث بن عمرو الغَسّانى : إنِّى فى غير[1] قومى ، وأنت أحقُّ مَن ضَمَّنى ، وأنا مُتحوِّل إليك . فزوّجه ٱبنتَه هنداً .

تفريق الحارث أولاده فى القبائل وما كان منهم

ففرّق الحارثُ بَنيه فى قبائل العرب : فصار شُرَحبيل بن الحارث فى بكر بن وائل والرِّباب ، وصار مَعْدِيكرب بن الحارث فى قَيس ، وصار سَلَمة بن الحارث فى بنى تَغْلب والنَّمِر بن قاسط وسَعد بن زيد مَناة . فلما هلك الحارثُ تشتّت أمرُ بنيه وتفرّقت كلمتهم ، وكانت المُغاورة بين الأحياء الذين معهم ، وتفاقم الأمر حتى جَمع كُل واحدٍ منهم لصاحبه الجُموع ؛ فسار شُرَحبيل ومن معـه من بنى تميم والقبائل فنزلوا الـكُلاب ـ وهو ماء بين الـكُوفة والبَصرة على سَبع ليالٍ من اليمامة ـ وأقبل سَلمة بن الحارث فى بنى تَغلب والنَّمر يُريدون الـكُلاب .

الحرب بين شرحبيل وسلمة

وكان أصحابُ[2] شُرحبيل وسَلَمَة يَنهَونهما عن الحَرْب والفَساد والتحاسُد

---

(١) الرواية فى التجريد : « فى عز من قومى » . (٢) فى غير التجريد : « فصحاء » .

ويحذِّرونهما غِرّات الحرب وشُـؤْمها . فأبيا إلّا التحاسُد واللَّجاجـة . ثم إنّ الفريقَيْن التقوْا بالكُلاب فاقتتلوا قتالاً شديدا ، وثبت بعضُهم لبعض ، حتى إذا كان آخر النّهار من ذلك اليوم خَذَلت بنو حَنظلة ، وعمرُو بن تَميم ، والرِّبابُ ، بكرَ بن وائل . فانصرفت بنو سعد وألفافُها عن بنى تَغلب ، وصَبر ابنا وائل : بكرٌ وتَغلب ، ليس معهم غيرهم ، حتى إذا غَشِيهم الليلُ نادى مُنادى سَلمـة : من أتى برأس شُرَحبيل فله مائةُ بعير . فقَصده أبو حَنَش — وهو عُصْم بن النُّعمان ابن مالك بن غِياث بن سَعد بن زُهير بن جُشَم بن بكر بن حبيب — فاحتزّ رأسه وأتى به . وقيل : إن بنى حَنظلة و بنى عمرو بن تَميم والرِّباب لمّا انهزموا خَرج معهم شُرَحبيل ، فقَصده ذو السُّنَيْنة — واسمه حَبيب بن عُتَيْبة ، أحد بنى جُشَم بن بكر ، وكانت له سنٌّ زائدة — فالتفت شُرحبيل، فضرب ذا السُّنينة على رُكْبته فأَطَنَّ رِجْلَه(١) — وكان ذو السُّنينة أخا أبى حَنَش لأُمه ، أُمهما سلمى بنت عدىّ ابن رَبيعة ، بنت أخى كُليب ومُهاهل — فقال ذو السُّنينة :قَتلنى الرجل ! فقال أبو حَنَش : قَتلنى الله إن لم أقتلْه ! فحَمَل عليه ، فلمّا غَشِيه قال : يا أبا حَنَش ، اللَّبن اللبن ! قال : قد هَرقت لنا لبناً كثيرا . فقال : يا أبا حنش ، أمَلِكاً بسُوقه ؟ فقال : إنه قد كان مَلِكى . فطعنه أبو حنش فأصاب رادفةَ السّرج(٢) ، فورَّعت عنه(٣) . ثم تناوله فألقاه عن فَرسه ، ونزل إليه فاحتزّ رأسه ، و بعث به إلى سَلمة مع ابن عم له يقال له : أبو أجأ بن كَعب . فألقاه بين يدى سَـلَمَة . فقال له سـلمة : لو كنت ألقيتَه إلقاءً رَفيقا ؟ فقال : ما صَنع بى وهو حىٌّ أشدُّ من هذا . وعرف أبو أَجأ النَّدامة فى وجه سَلمة والجَزع على أَخيه ، فهرب أبو أجأ وأبو حَنَش .

رثاء معديكرب لشرحبيل وهو الشعر الذى فيه الغناء

فقال مَعْديكرب بن الحارث — وكان صاحب سَـلَامةِ مُعتزلا للحرب —

---

(١) أطن رجله : قطعها . (٢) رادفة السرج : مؤخرته .

(٣) ورعت عنه : منعت .

يرثى أخاه شُرحبيل، وهو الشعر الذى فى بَعضه الغناء، وأُفتتح به أبو الفرج ذِكْر يوم الكُلاب:

إنّ جَنبى عن الفِراش لنابِى ... كتَجافِى الأسَرِّ فوق[1] الظِّرابِ
من حديث نَمَى إلىَّ فما تَرْ ... قأُ عينى[2] ولا أُسيغ شَرابى
مُرَّةٌ كالذُّعاف أكتُمها النا ... سَ على حَرِّ مَلَّةٍ[3] كالشِّهاب
مِن شُرَحبيلَ إذ تَعاوره الأَرْ ... ماحُ فى حال لَذَّة وشَباب
يابنَ أُمِّى ولو شَهِدْتُكَ إذ تد ... عو تميماً وأنت غيرُ مُجاب
لتركتُ الحُسام تجرى ظُباه[4] ... من دماء الأعداء يوم الكُلاب
ثم طاعنتُ مِن ورائك حتى ... تَبْلُغَ الرُّحبَ[5] أو تُبَزَّ ثِيابى
أين مُعطيكمُ الجزيلَ وحابيـ ... كم على الفقر بالمِئين[6] اللُّباب
فارس يَضرب الكَتيبة بالسَّيـ ... ف على نَحره كنَضْحِ[7] المَلاب
فارسٌ يَطعُن الكُماة جرىء ... تحته قارحٌ كلَون الغُراب

ولما قُتل شُرَحبيل قامت بنو سَعد بن زيد مناة بن تَميم دون عِياله فمنعوهم وحالوا بين الناس و بينهم، ودافعوا عنهم حتى أَلحقوهم بقومهم ومأمنهم.

---

(١) الأسر: البعير الذى يكون به السرر، وهو قرحة تخرج فى كركرته، لا يقدر أن يبرك إلا على موضع مستو من الأرض. والظراب: الحجارة الناتئة.
(٢) فى رواية: «فما أطعم غمضا».
(٣) الملة: الرماد الحار.
(٤) الظبا: جمع ظبة، وهى حد السيف.
(٥) أو تبز ثيابى، أى تنزع عنى بموتى.
(٦) اللباب: الخيار. وفى رواية: «الكباب» وهو الكثير من الإبل.
(٧) الملاب: ضرب من الطيب أو الزعفران.

أخبار عبد الله بن معاوية

هو عبد الله بن مُعاوية بن عبد الله بن جَعفر بن أبي طالب بن عبد المُطلب ابن هاشم . نسبه

وأم عبد الله بن جعفر ، وسائرِ بنى جعفر ، أسماء بنت عُميس الخَثْعمية ، وأُمها هِنْد بنت عمرو (١) ، امرأةٌ من جُرَش ، يقال لهـا الجُرَشيّة ، يقال إنهـا أكرمُ الناس أحماء ، أحماؤها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأبو بكر الصدِّيق ، وعليّ ابن أبي طالب ، وحَمزة ، والعبّاس ، وجعفر ذو الجَناحَيْن ، رضى الله عنهم . نسب أم عبد الله ابن جعفر

وإنما صار رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم وهؤلاء السادة من أَحمائها لأنه كان لها أربعُ بنات : ميمونة بنت الحارث ، زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ وأُم الفضل، زوج العبّاس بن عبد المطلب ، وهى أم بَنيه ؛ وسَلمى ، زوج حَمزة بن عبد المطلب وهؤلاء بنات الحارث . وأسماء بنتُ عُميس ، أُختهنّ لأُمهن ، كانت عند جَعفر ابن أبي طالب ، فلما قُتل بمُؤتة شَهيداً خَلَف عليها أبو بكر الصدِّيق رضى الله عنه . وهى أم ابنه محمد بن أبي بكر ؛ تُوفِّى عنها أبو بكر ، فخلف عليها عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، وولدت من جميعهم .

الرسول صلى الله عليه وسلم فى الأخوات المؤمنات

وقد روى ابنُ عبّاس قال :

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : الأخواتُ المُؤمنات: مَيمونة ، وأُم الفضل، وسَلمى ، وأسماء بنت عُميس أُختهن لأُمهنّ .

---

(١) فى غير التجريد : « بنت عوف » .

رواية ابن جعفر عن النبى صلى الله عليه وسلم

وأدرك عبدُ الله بن جَعفر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وروَى عنــه : فممّا رُوى عنه أنه قال : رأيتُ النبيّ صلّى الله عليه وسلم يأكل البِطّيخ بالرُّطَب .

مرور النبى صلى الله عليه وسلم به وهو يلعب ودعوته له

وروى أنه مرّ النبيُّ صلّى الله عليه وسلم بعبد الله بن جَعفر ، وهو يَصنع شيئاً من الطين من لُعب الصِّبيان ، فقال : ما تَصنع بهــذا ؟ قال : أبيعه . فقال : ماتَصنع بثمنه ؟ قال : أشترى به رُطَباً فآكُله . فقال النبيُّ صلّى الله عليه وسلم: اللهم بارك له فى صَفْقةِ يمينه . فكان يقال : ما أشترى شيئاً إلّا رَبح فيه .

سأله أعرابى فأعطاه راحلته بما عليها

وحُــكى أنّ أعرابيًّا وقف على مَروان بن الحَــكم أيامَ المَوسم بالمدينة يسأله ، فقال : يا أعرابىّ، ما عندنا ما نَصِلك ، ولــكن عليك بأبن جَعفر . فأتى الأعرابىُّ بابَ عبد الله بن جعفر ، فإذا ثَقَله[1] صار نحو مكة، وراحلتُه بالباب عليها متــاعُه وسيفٌ معلّق . فخرج عبدُ الله بن جعفر من داره ، فإذا الأعرابىُّ يقول :

أبو جعفرٍ من أهل بيت نُبوّة ... صــلاتهم للمُســلمين طَهورُ
أبا جعفر إنّ الحَجيــج ترحّلوا ... وليس لرَحلى فاعلمنّ بَعــير
أبا جعفــر ضَنّ الأمــيرُ بماله ... وأنت على ما فى يَديك أمير
وأنت أمرؤٌ من هاشم فى صَميمها ... إليك يَصير المجدُ حيث تَصير
أبا جعفر ما مثلَك اليوم أرتجى ... فلا تتركَنّى بالفَــلاة أَدُور

فقال : يا أعرابى ، سار الثَّقَل فدُونك الراحلةَ بما عليها ، و إياك أن تُخدَع عن السيف ، فإنّى أخذتُه بألف دينار . فأنشأ الأعرابىُّ يقول :

حَبانِىَ عبــدُ الله نفسِى فداؤُه ... بأَعْيسَ مَوّار سِباطٍ[2] مَشافِرُهْ
وأبيضَ مِن ماء الحَــديد كأنه ... شهابٌ بدا والليلُ داجٍ[3] عَساكِره

(١) الثقل : الحشم .
(٢) أعيس : جمل أبيض يخالط بياضه شقرة . والجمع : عيس . والموار : النشيط فى سيره . وسباط : لينة .
(٣) عساكر الليل : ظلامه .

وكُلُّ أمرىءٍ يرجو نوالَ ابنِ جعفرٍ سيَجْرى له باليُمْنِ واليُسْر[1] طائِره
فيا خيرَ خَلق الله نفساً ووالدًا وأكرمَه للجار حين يُجاوره
سأثنى بما أوليتَنى يابن جعفر وما شاكرٌ عُرْفاً كمن هو كافِره

هو ورجل يبيع سكراً

وذُكر أنّ رجلاً جَلب إلى المدينة سُكَّراً ، فكَسَد عليه ، فقيل له : لو أتيتَ ابنَ جَعفر قَبِله منك وأعطاك الثَّمن . فأتى ابنَ جَعفر فأخبره ، فأمر بإحضاره ، وبَسط له بِساطاً ووَضعه عليه ، وقال للناس : انتهِبوا . فلمّا رأى الناسَ يَنْتهبون ، قال : جُعلت فداءك ! آخُذ معهم ؟ قال : نعم . فجعل الرجلُ يَهِيل فى غرائره . ثم قال لعبد الله : أعطنى الثَّمَنَ . فقال له عبدُ الله : كم ثمنُ سُكَّرك ؟ فقال : أربعة آلاف دِرهم . فأمر له بها . ثم جاءه بعد ذلك فطلب ثمن سُكَّره . فأعطاه أربعة آلاف درهم أخرى . فقال الرجُل : والله ما يَدرى هذا ما يَفعل : أعطى أم أخذ ! لأُطالبنّه بالثمن ! فغدا عليه فقال : أصلحك الله ، ثمن سكّرى . فأطرق عبدُ الله مليًّا ، ثم رفع رأسَه إلى رجل ، فقال : ادفع إليه أربعة آلاف درهم . فلمّا ولّى ليقبَضها ، قال له : ابنُ جعفر : يا أعرابىّ ، هذه تمام اثنى عشَر ألف درهم . فانصرف الرجُل وهو يَعجب من فِعله .

سؤاله ربه حين أحس جفوة عبد الملك

وذُكر أنّ عبد الملك بن مروان لمّا وَلِى الخلافةَ جفا عبدَ الله بن جعفر ، فَراح يوماً إلى الجُمعة وهو يقول : اللهمّ إنك عوّدتنى عادةً جريتُ عليها ، فإن كان ذلك قد انقضى فاقْبِضْنى إليك . فتُوفِّى فى يوم الجُمعة الأُخرى .

وفاته ورثاء أبان له

وكانت وفاتُه سنةَ ثمانين ، وهو عام الجُحَاف ــ وهو سَيْلٌ كان بمكّة يَجحف الناسَ ، فذَهب بالإبل عليها الحُمولة ــ وكان الوالىَ يومئذٍ على المدينة أبانُ بن عثمان ابن عفّان ــ فى خلافة عبد الملك بن مروان ــ وهو الذى صلّى عليه . وشَهِده أهلُ المدينة كُلهم .

(١) فى غير التجريد : « والبشر » .

وكان رضى الله عنه مَأوى المساكين ومَلجأ الضُّعفاء . فلما فرغوا من دَفْنه قام أبانُ بن عُثمان على شَفِير القَبر فقال : رَحِمك الله يابنَ جَعفر ! إنّك كُنت لِرَحمك مُواصلا ، ولأهل الرِّيبة قاليا ، ولقد كنتَ فيما بينى وبينك كما قال الأعشى :

رعيتَ الّذى قد كان بينى و بينكم   من الوُدّ حتى غَيَّبتك المَقابرُ

فرحمك الله يوم وُلدت ، ويوم كُنت رجلا ، ويوم متّ ، ويوم تُبْعث حَيًّا . والله إن كانت هاشم أصيبت بك لقد عَمّ قُريشاً كُلّها هُلْكُك ، فما نَظن أن يُرى بعدك مِثلُك .

تعقيب لابن واصل حول رثاء الأشدق لابن جعفر وسنه

قُلت :

ثم ذكر أبو الفرج أن عمرو بن سَعيد الأشدق قام فأثنى عليه ، وجَرى بينه وبين المُغيرة بن نوفل كلامٌ . وذَكر أيضاً أن ابن جَعفر كان عمره سَبعين سنة . وهاتان غلطتان . أما الأشدق فكان قد قَتله عبدُ الملك قبل ذلك يقيناً ، فإن عَمراً قُتل وابنُ الزُّبير حَىٌّ ، وذلك قبل سنة ثمانين قَطْعاً . وأمّا أنّ عُمره سبعون ، فهذا يدُل على أنه وُلد سنة عَشْر للهجرة . وهذا غَلط ، فإن أباه قُتل سنة ثمان ، وكان عبدُ الله مُميِّزا . والرواية الصحيحة تَشهد به ، والأحرى أن يكون عمره نحو الثّمانين . فهاتان غَلطتان لا شك فيهما من أبى الفَرج .

مولد معاوية بن عبد الله بن جعفر

قال أبو الفرج :

وأم مُعاوية بن عبد الله بن جَعفر بن أبى طالب أمّ ولد . وكان من رِجالات قُريش ، ولم يكن فى وَلد عبد الله مثلُه . وذُكر أنه وُلد وأبوه عبد الله بن جعفر عند مُعاوية بن أبى سُفيان ، فأتاه البَشير بذلك ، وعَرف مُعاوية الخبر ، فقال : سَمِّــه معاوية ولك مائةُ ألف دِرهم . ففَعل . فأعطاه المال . وأعطاه عبدُ الله للذى بَشَّره به .

ابن جعفر وشأنه فى تأديب أولاده

وذُكر أنّ ابن جَعفر كان لا يُؤدِّب ولَده ويقول : إنْ يُرِد الله بهم خيراً يتأدّبوا . فلم يَنْجُب منهم غيرُ مُعاوية .

معاوية بن عبدالله وابن هرمة

وذُكر أن مُعاوية بن عبد الله بن جَعفر كان قد عوّد إبراهيم بن هَرمة البِرّ، فجاءه يوماً وقد أَضاق وأخذ خمسين ديناراً بدَيْن ، فدَفع(١) إليه مع جارية رقعةً فيها مديحٌ له ، يسأله فيه بِرًّا . فقال للجارية : قُولى له : أَيدينا ضَيِّقة ، وما عندنا شىء إلا شىء أخذناه بكُلْفة . فرجعت الجاريةُ بذلك . فأَخذ الرُّقعةَ فكتب فيها :

فإنّى ومدحَك غــيرَ المُصيــب كالكَلب يَنبح ضوءَ القَمَرْ
مدحتُك أرجــو لديك الثوابَ فكنتُ كعاصِر جَنْبِ الحَجَر

و بعث الجارية ومعها الرُّقعة . فدفعتْها إلى مُعاوية بن عبــد الله . فقال : ويحكِ ! هل عَلِم بهذا أحدٌ ؟ قالت : لا والله ، إنمــا دَفعها مِن يده إلى يدى . قال : خُذى هذه الدّنانير فادْفعيها إليه . فخرجْت بها إليه . فقال : كلاّ ، أليس زعم أنه لا يدفع إلىّ شيئاً ؟

سمى ابنه يزيد لصداقته ليزيد ابن معاوية

وذُكر أن مُعاوية بن عبد الله كان صديقاً ليزيد بن مُعاوية بن أبى سُفيان ، فوُلد له ولدٌ ، فسمّاه يزيدَ . فهو يزيد بن مُعاوية بن عبد الله بن جعفر .

أم عبد الله بن معــاوية

وأُم عبد الله بن مُعاوية بن عبد الله بن جعفر أُمّ عَوْن بنت عبّاس(٢) بن رَبيعة بن الحارث بن عبد المُطلب . وقد رَوى عبّاس(٢) عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وكان معه يوم حُنين ، وهو أحد مَن ثَبت معه .

شىء عنــه

وكان عبد الله بن مُعاوية من فِتيان بنى هاشم وأَجوادهم وشُعرائهم ، ولم يكُن محمودَ المذهب فى دِينه ، كان يُرْمَى بالزّندقة ويَستولى عليــه من يُعْرف بها ويَشتهر أمرُه فيهــا . وكان خَرج بالكوفة فى آخر أيام بنى مَروان ، ثم انتقل

(١) فى غير التجريد : « فرفع » . (٢) ويقال : « عياش » .

عنها إلى نَواحى الجبل ، فملك بلاداً واستولى عليها ، ثم صار إلى خُراسان ، فأَخذه أبو مُسلم صاحبُ الدعوة فقتله . وكان يُكنى : أبا مُعاوية .

مدح ابن هرمة له

ومَدحه إبراهيمُ بن هَرْمة بقصيدة أولُها :

عاتبِ النفسَ والفُؤادَ الغَوِيّا ... فى طِلابِ الصِّبا فلستَ صَبِيّا

يقول فيها :

أَحْبُ مَدْحاً أبا مُعاويةَ الما ... جدَ لا تَلْقه حَصُوراً عَيِيّا

بل كَريماً يَرتاح للمَجْد بَسّا ... ماً إذا هزّه السُّؤال حَيِيّا

ومنها :

ذُو وَفاء عند العِدات وأوصا ... ه أبوه ألّا يزالَ وَفِيّا

فرَعى عُقدة الوَصاة فأَكْرم ... بهما مُوصِياً وهذا وَصِيّا

يا بن أَسماء فاسْقِ دَلْوى فقد أَوْ ... ردتُها مَنْهَلا يَثُجّ رَوِيّا

يعنى أُمه أسماء ، وهى أُم عون المَذكورة (١) .

قصده ابن هرمة والغرماء على بابه فأنشده فأجازه

وحَكى ابنُ هَرمة قال :

أتيتُ عبدَ الله بن مُعاوية بن جَعفر ، فوجدتُ الناسَ بعضَهم على بعض على بابه ، فرآنى بعضُ الخدم فعرفنى ، فسألته عمّن رأيتُهم ببابه . فقال : عامّتهم غُرماء له . فقلتُ : ذلك شرٌّ ! واُستُؤذن لى ، فدخلتُ عليه ، فقلت : لم أعلم والله بهؤلاء الغُرماء ببابك . فقال: لا عليك، أَنشدنى. فقلتُ : أُعيذك بالله ،واُستحييتُ أن أُنشد . فأَبى إلا أن أُنشده . فأَنشدتُه قصيدتى التى أقولُ فيها :

حللتَ مَحَلّ القَلبِ من آل هاشمٍ ... فعُشُّك مَأْوَى بَيضِها المُتفلِّقِ

ولم تكُ فيها بالمُعرَّى نِصابُه ... إليها (٢) ولا ذا المَركَب المُتعلِّقِ

(١) يعنى أم عون بنت العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ولم تك بالمعرى إليها نصابه * لصاقا » .

فمَن مِثْلُ عبدِ الله أو مِثْلُ جعفر ... ومِثل أبيك الأريحىّ[1] المُرهّق

فقال: مَن ها هنا من الغُرماء؟ فقيل: فلان وفلان. فدعا باثنين منهم فسارّهما وخرجا. وقال لى: اتبعهما. فأعطيانى مالاً كثيرا.

من مدح ابن هرمة لـه

ومن مَدحه فيه قولهُ:

فإلاّ تُواتِ اليومَ سَلْمى فربما ... شَرِبنا بحَوض اللّهو غيرِ المُرنَّقِ

فدَعْها فقد أعذرتَ فى ذِكر وَصْلها ... وأجريت فيها شأوَ غَرْبٍ[2] ومَشْرِق

ولكنْ لعبدِ الله فانْطِق بِمِدْحةٍ ... تُجيرك مِن عُسْرِ الزّمان[3] المُطبِّق

شديدُ التأنِّى فى الأُمور مُجرّب ... متى يَعْرُ أمرُ القَوم يَفرِ[4] ويخلُق

ترى الخيرَ يَجْرِى فى أَسِرَّة وجهه ... كما لألأتْ فى السّيف جريةُ رَوْنق

كَريم إذا ما شاء عَدّله أباً ... له نسبٌ فوق السِّماكِ المُحلِّق

وأُمَّا لها فضلٌ على كُلِّ حُرة ... متى ما تُسابقْ بابنها اليوم تَسْبق

ذكر خروج عبد الله بن معاوية بالكوفة وما آلت إليه حاله

وفوده على عبدالله ابن عمر بن عبد العزيز والدعوة لنفسـه

قيل: إنّ عبد الله بن مُعاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب قَدِم الكُوفة زائراً لعبد الله بن عُمر بن عبد العزيز، وهو إذ ذاك أميرُ العراق، ومُستميحاً[5] له، فتزوّج بالكُوفة بنتَ الشَّرقىّ بن عبد المؤمن بن شَبَث بن رِبْعىّ الرّياحىّ، فلما وقعت العصبيّةُ أخرجه أهلُ الكوفة على بنى أُمية، وقالوا له: اُخرُج فأنت أحقُّ بهذا الأمر مِن بنى أُمية[6]. فاجتمعت إليه جماعةٌ، فلم

(١) المرهق: الكريم الجواد الذى يغشاه الناس.

(٢) أعذر: بلغ غاية العذر. والشأو: الغاية.

(٣) المطبق: العام.

(٤) يفرى: يقطع. ويخلق: يقدر ويسوى.

(٥) مستميحا له: سائلا إياه العطاء.

(٦) فى غير التجريد: «من غيرك» مكان «من بنى أمية».

يشعرُ عبدُ الله بن عُمر بن عبد العزيز إلاّ وقد خَرج عليه . فدعا الناسَ إلى بَيعته على الرِّضى من آل محمد صلّى الله عليه وسلّم ، فبايعــوه . ولم يَجتمع أهلُ المِصر كُلُّهم عليه ، وقالوا له : ما فينــا بقيَّة ، فقد قُتل جُمهورنا مع أهل هــذا البيت . وأشاروا عليه بقَصد فارسَ ونواحى المَشرق .

الوقعة بينه وبين عبد الله بن عمر

وقد ذُكر أنّ ظُهور عبد الله كان فى أيّام يزيدَ بن الوليد ، المَعروف بالناقص ، وأنه خَرج إلى ظَهر الـكوفة ممّا يَلى الحِيرةَ ، فقاتل قتالاً شديدا ؛ وأن عبد الله ابنُ عمر بن عبد العزيز دَسّ إلى رجلٍ من أصحــاب ابن مُعاوية ـ يقال له : ابن حَمزة ـ ووعده مواعيدَ ، على أن يَنهزم عنه وينهزمَ الناسُ بهزيمتــه . فبلغ ذلك ابنَ مُعاوية ، فذَكره لأصحابه وقال : إذا انهزم ابنُ حمزة فلا يَهولنّــكم . فلما التقوا انهزم ابنُ حمزة وانهزم الناسُ معه ، فلم يبق غيرُ ابن مُعاوية وحدَه ، فقال :

تفرّقتِ الظِّباءُ على خِداشٍ فما يَدْرِى خِداشٌ ما يَصِيدُ

تجمع الناس حوله

ثم ولّى وجهَه مُنهزماً فنجا ، وجَعل يجمع من الأطراف والنَّواحى مَن أجابه ، حتى صار فى عِدّة ، فغلب على ماهِ الـكُوفة وماهِ البَصرة[1] وهَمَدان وقُمّ وقُومَسَ والرّىّ وأصبهان وفارس ، وأقام بأصبهــان . وكان الذى أخــذ له البيعةَ بفارس محاربُ بن موسى ، مولَى بنى يَشْكُر . فدَخل دار الإمارة بنَعل وِرداء ، واجتمع الناس إليه ، فأخذهم بالبيعة . فقالوا : علامَ نُبايع ؟ فقال : على ما أحببتم وكَرِهتم . فبايعوا على ذلك . وكتب عبدُ الله بن مُعاوية بن جعفر كُتباً إلى الأمصار يدعو الناسَ إلى نفسه ، لا إلى الرِّضا من آل محمد صلّى الله عليه وسلّم . واستعمل أخاه الحسن على إصْطَخر ، وأخاه يزيدَ على شِيراز ، وأخاه عليًّا على كَرْمان ، وأخاه صالحاً على قُمّ ونواحيها . وقصدتْه بنو هاشم جميعاً ، منهم السفّاحُ ، والمَنصــور ، وعيسى بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس ؛ وقصــدتْه وجُوهُ قُريش من بنى أميــة

(١) ماه الكوفة : الدينور . وماه البصرة : نهاوند .

وغيرهم . فممّن قصده من بنى أميــة ، سليمانُ بن هِشام بن عبد الملك بن مَروان ، وعَمرو بن سُهيل بن عبد العزيز بن مروان . فمَن أراد منهم عملاً قلّده ، ومَن أراد صلةً وَصله .

الحرب بينه وبين مروان الحمار

فلم يزل مُقيماً فى هذه النَّواحى التى غَلَب عليهــا حتى وَلِى مروانُ بن محمد ، الذى يقال له : الحمار ، فوجّه إليه عامرَ بن ضُبَارة فى عَسكر كَثيف ، فسار إليــه . فلما قَرُب من أَصبهان نَدب عبدُ الله بن مُعاوية أصحابَه للخُروج إليه و إلى قتاله . فلم يَفعلوا ولا أجابوه .

حبس أبى مسلم له

فخرج على دَهَشٍ ومعــه إخوتُه قاصدين خُراسان ، وقد ظَهر بهــا أبو مُسلم — صاحبُ دعوة بنى العبّاس — ونَفى عنها نصرَ بن سيّار ، الوالىَ بها من قِبل بنى أُمية . فلما صار عبدُ الله بن مُعاوية فى بعض طريقه نَزل على رجل ذى نِعْمة ومُروءة وجاهٍ ، فسأله مَعُونته . فقال له ذلك الرجلُ : أنت من ولد رسول الله صلّى الله عليــــه وسلّم ؟ قال : لا . قال : فأنت إبراهيمُ الإمام الذى يُدْعَى له بخُراسان ؟ قال : لا . قال : لا حاجةَ لى فى نُصرتك . فخرج عبدُ الله بن مُعاوية إلى أبى مُسلم ، فحَبَسه عنده وجَعل عليه عَيناً يرفع إليه أخبارَه . فرفع إليه أنه يقول : ليس على الأرض أحمقُ منكم يأهل خُراسان فى طاعتكم هذا الرجلَ وتَسليمِكم إليه مقاليدَ أُموركم من غير أن تُراجعوه فى شىء أو تسألوه عنه ! والله ما رضيتْ الملائكة بهذا من الله تعالى حتى راجعتْه فى أمر آدم عليــــه السلام ، فقالت : (أَتجْعَــل فِيهاَ مَن يُفْسِد فيهــا ويَسْفِك الدِّماء) حتى قال لهم : (إنِّى أَعلم ما لا تَعلَمون) .

كتابه إلى أبى مسلم ومقتله

ثم كتب إليه عبدُ الله بن مُعاوية يَستعطفه برسالته المشهورة التى يقول فيها :

إلى أبى مُسلم ، من الأسير فى يدَيه ، أمّا بعد : فإنك مُستودَع ودائع ، ومُولِى صنائع ؛ وإن الودائع مرعيّــة ، وإن الصنائع عاريّة ؛ فاذكُر القِصاص ، واُطلب

الخلاص ؛ ونَبِّه للفِكر قلبك ، واتق الله ربك ؛ وآثِر طاعَته فيما يلقاك غدا ، على ما لا يلقاك أبدا ؛ فإنك لاقٍ ما أسلفت ، وغير لاقٍ ما خلَّفت . وفقّك الله لما يُنجيك ، وأتاك شُكر ما يُوليك[1] .

فلما قرأ كتابه رَمى به ، ثم قال : قد أفسد علينا أصحابَنا وأهلَ طاعتنا وهو مَحبوس فى أيدينا ، فلو خَرج ومَلك أمْرنا لأهلكنا . ثم أمضى تدبيرَه فى قتله .

وقيل : بل دسّ إليه سمًّا ، فمات منه ، ووجّه برأسه إلى ابن ضُبارة ، فحمله إلى مَروان .

سؤال سعيد عن مروان الحمار

[2]وحكى سعيدُ بن عمرو بن جَعدة بن هُبيرة أنه حَضر مروان الحمار يوم الزاب ، وهو يقاتل عبدَ الله بن علىّ بن عبيد الله بن العبّاس ، فسأل عنه ، فقيل له : هو الشابّ المُصْفَرّ الذى شَتم عندك عبدَالله بن مُعاوية لماجىء برأسه إليك . فقال : والله لقد هممتُ بقتله مراراً ، كُل ذلك يُحال بينى و بينه ، وكان أمر الله قدراً مَقدورا .

من قسوة عبد الله ابن معاوية

وذُكر أن عبد الله بن مُعاوية كان يَغضب على الرجل ، فيأمر بضَربه بالسِّياط وهو يتحدّث ، و يتغافل عنه حتى يموت تحت السِّياط . وأنه فَعل ذلك برجل ، فجعل يَستغيث ، ولا يلتفت إليه . فناداه : يا زِنديق ! أنت الذى تَزعُم أنه يُوحى إليك ! فلم يلتفت إليه ، وضَربه حتى مات .

وذُكر بعضُهم قال :

كان ابنُ معاوية أقسى خَلق الله ، فغَضِب على غلام له وأنا جالس عنده فى غُرفة بأصبهان ، فأمر أن يُرْمى منها إلى أسفل . ففُعِل ذلك ، فسقط ، فتعلَّق بدَرَابَزِين كان على الغُرفة ، فأمر بقَطع يده التى أمسك بها ، فقُطعت ، ومرَّ الغُلام يهوى حتى بلغ الأرض فمات .

(١) فى غير التجريد : « ما يبليك » . و يريد بالابلاء : الإنعام والإحسان .
(٢) هذا خبر لم يرد فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

من شعره

وكان مع هذه الحالة من ظُرفاء هاشم وشُعرائهم ، وهو الذى يقول :

ألاَ تزَعُ[1] القلبَ عن جَهله ... وعما تُؤنِّب مِن أجلِهِ
تبدَّلُ[2] بعد الصبا حِلْمُه ... وأَقْصر ذو العَذْل عن عَذْله
فلا تركبنّ الصنيعَ الذى ... تلوم أخاكَ على مِثْله
ولا يُعجبنّك قولُ امرىء ... يُخالِف ما قال فى فِعْله
ولا تُتْبِع الطَّرف مالا تَنال ... ولكن سَلِ اللهَ مِن فَضله
فكم من مُقِلٍّ ينالُ الغِنَى ... ويَحمد فى رِزقه كُلِّه

ولـه :

إذا افتقرتْ نَفْسى قَصَرْتُ افتقارَها ... عليها فلم يظهر لها أبداً فقرى
و إن تَلْقنى فى الدَّهر مَندوحةُ[3] الغِنَى ... يكنْ لأخلائى التوسُّع فى اليُسْر
فلا العُسر يُزْرى بى إذا هو نالنى ... ولا اليُسْر يوماً إنْ ظَفِرْتُ به فَخْرى

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عبد الله بن مُعاوية ، قاله عبدُ الله يُخاطب به الُحسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن العبّاس ، وكان صديقاً له ، ثم وَقع بينهما شرٌّ فتهاجرا ، وهو :

رأيت حُسيناً[4] كان شيئا مُلفقا ... فكشّفه التّمحيص[5] حتى بَدا ليَا
وعينُ الرِّضى عن كُلِّ عيب كَليلةٌ ... ولكنّ عينَ السُّخط تُبدِى المَساويا
وأنت أخى مالم تكُن لىَ حاجة ... فإنْ عرضتْ أيقنت أن لا أخَاليا

(١) تزع : تكف . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « فأبدل » .
(٣) المندوحة : السعة . (٤) فى غير التجريد : « رأيت قصيا » .
(٥) فى التجريد : « فحصه التكشيف » .

أخبار أبى وجزة

نســبه والتحاقه ببنى سعد

وهو يزيد بن عُبيد . وقيل : ابن أبى عُبيد . وانتسب إلى بنى سَعد بن بكر ابن هَوازن ، لولائه فيهم . وأصلُه من سُلَيم ، من بنى ضَبِيس بن هِلال بن قُدَم بن ظَفَر بن الحارث بن بُهْثَة بن سُلَيم ، ولكنه لحق أباه سِباء وهو صبىٌّ فى الجاهليّة ، فبيع بسُوق ذى المَجاز ، فابتاعه رجلٌ من بنى سَعد واستعبده . فلما كَبِر استعدى عمرَ بن الخطّاب رضى الله عنه وأعلمه قِصّته . فقال له : إنه لا سِباء على عربىّ ، وهذا الرجلُ قد امتنّ عليك ، فإن شئتَ فأقم عنده ، وإن شئتَ فالحق بقومك. فأقام فى سَعد وانتسب فيهم هو وولدُه .

فى بنى سعد استرضع النبى صلى الله عليه وسلم

وبنو سَعد هم أظآر[1] رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، كان مُسترضَعاً فيهم عند امرأة يقال لها : حَليمة . فلم يزل صلّى الله عليه وسلم فيهم حتى يَفَع . ثم أخذه جدُّه عبد المُطلب بن هاشم فردَّه إلى مكة . وجاءت حَليمة بعد الهجرة فأكرمها النبىُّ صلّى الله عليه وسلم وبَسط لها رداءه فجلست عليه . وبنو سَعد تفتخر بذلك على سائر هَوازن . وحَقِيقٌ بكلِّ فخر ومَكرُمة من اتصل منه صلّى الله عليه وسلم بأدنى سَبب أو وسيلة .

طبقته وروايته

وأبو وَجزة من التابعين ، رَوى عن جماعة من الصحابة ، ورأى عُمر رضى الله عنه ولم يَرْوِ عنه . وَروى عن أبيه حديثَ الاستسقاء ، قال : شَهدتُ عُمر بن الخطّاب وقد خَرج بالناس يَسْتسقى عامَ الرَّمادة ، فقام وقام الناسُ خلفه ، فجعل

---

(١) أظآر : جمع ظئر : وهى المرضعة .

يَستغفر الله رافعاً صوته ، لا يزيدُ على ذلك . فقلت في نفسي : ما له لا يَأخذ فيما جاء له ! ولم أعلم أنّ الاستغفار هـو الأستسقاء . فما برحنا حتى نَشأت سحابةٌ وأظلّتنا ، فسَقى الناس : وَقلّدَتْنا (١) السماء قَلْداً ، كُلّ خمس عشرة ليـلة ؛ حتى رأيتُ الأَرينة (٢) تأكلها صِغار الإبل من وراء حِقَاق العُرْفُط (٣) .

وَمات أبو وَجزة سنة ثلاثين ومائة . وهو أحد من شَبّب بعَجوز حيث يقول: موته وهو أحد من شبب بعجوز

يأيُّها الرجـلُ المُوكَّل بالصِّبا ... فيم ابنُ سَبعينَ المُعمَّرُ من (٤) دَدِ
حتّام أنت مُوكَّل بقديمـةٍ ... أمستْ تَجـدّدُ كاليمانى الجيِّـد
زان الجلالُ (٥) كمالَها ورَسابهـا ... عقـلٌ وفاضـلةٌ وشيمة سيِّد
ضَنَّت بنائِلها عليـك وأنتما ... غِرّان في طلب (٦) الشَّباب الأَغيد
فالآنَ ترجُو أن تُثيبك نائلاً ... هيهاتَ ! نائلُها مكانَ الفرْقَد

وذُكر أن أبا وَجزة هجا أبو المُزاحم حين عَيَّره بنَسبه، فقال : هجاؤه أبا المزاحم

دعتك سُليمٌ عبـدَها فأجبتَهـا ... وسعدٌ فما يدرى لأيهمـا العَبْدُ

فأجابه أبو وَجزة فقال :

أعيَّرتمونى أنْ دعتنى أخاهمُ ... سُليمٌ وأعطتْنى بأيمانهـا سَعدُ
فكنتُ وسيطاً (٧) في سُلَيم مُعاقِداً ... لسَعدٍ وسعدٌ ما يُحَلُّ لها عَقْدُ

وذُكر أنّ عبد الملك بن يزيد بن مُحمد بن عطيّة السّعديّ كان قد نُدب لقتال أبي حَمزة الأزدى الشّارى ، لمّا لجأ (٨) إلى المدينة فغلب عليها ، و بعث إليـه رجزه حين ندب لقتال أبي حمزة الشارى

(١) قلدتنا : مطرتنا . (٢) الأرينة : نبت عريض الورق .
(٣) العرفط : شجر العضاه . وحقاقه ، أى نبت سنتين وثلاث ، يريد : صغاره .
(٤) الدد : اللعب واللهو.
(٥) فى التجريد : « الجمال » .
(٦) فى التجريد : « فى طرف » .
(٧) الوسيط : الحسيب فى قومه . (٨) فى غير التجريد : « لما جاء » .

مروانُ بن محمد بمالٍ ، ففرّقه فيمن خَفّ معه من قومه . وكان ممّن فُرض له منهم أبو وجزة وأبناه ، فخرج مُعترضاً للعسكر على فرس وهو يقول :

قُل لأَبى حَمزة[1] هِيدِ هِيدِ   جئناك[2] بالعادية[3] الصِّنديدِ
بالبطل القَرْم أبى الوَليد   فارسِ قيسٍ نَجدِها[4] المَعْدود
فى خيلِ قيسٍ والكُماة[5] الصِّيدِ   كالسَّيف قد سُلّ من الغُمود
محضٍ هِجانٍ[6] ماجدِ الجُدود   فى القَرْع من قَيسٍ وفى العَمُود
فِدًى لعَبْدِ الملك الحَميد   مالى من الطارف والتّليد
يوم تَنادى الخيلُ بالصَّعيد   كأنه فى جُنَن[7] الحَديد

سِيدٌ مُدِلٌّ عَزّ كُلّ[8] سِيد

وسار ابنُ عطيّة فى قومه ، ولحقت به جيوشُ أهل الشام ، فلَقِى أبا حَمزة فى أثنى عشر ألفاً ، فقاتله يوماً إلى الليل حتى أصاب صَناديد عسكره ، فنادَوْا : يابن عطيّة ، إن الله عزّ وجلّ قد جعل الليلَ سَكَناً ، فاسكنوا حتى نَسْكن . فأبى وقاتلهم حتى قَتلهم جميعاً .

من مدحه لابن عطية

وكان أبو وجزة كثيرَ المَدح لابن عطية هذا ، ومما مَدحه به قصيدتُه التى أولُها :

حَنّ الفؤادُ إلى سُعدى ولم تُنْبِ   فيم الكثيرُ من التَّحْنان والطَّرب
قالت سعادُ أرى من شَيبه عجباً   فقلتُ مهلاً فما[9] فى الشَّيب من عجب

(١) هيد هيد ، أى النجا النجا .
(٢) فى التجريد : « أتاك » .   (٣) الهاء فى «العادية» للمبالغة .
(٤) القرم : السيد العظيم . والنجد : الشجاع الشديد البأس .
(٥) الصيد : جمع أصيد ، وهو الذى يرفع رأسه كبرا .
(٦) المحض : الخالص . والهجان : الكريم الحسب .
(٧) جنن الحديد ، يريد الدروع وما ستر .
(٨) السيد : الأسد . وعز : غلب .
(٩) فى غير التجريد : « مهلا سعاد فما » .

إمّا تَرَيْنى كسانى الدهرُ شيبتَه ... فإنّ ما مرّ منه عنك لم يَغِب
سَقياً لسُعدى على شَيبٍ ألمّ بنا ... وقبل ذلك حين الرأسُ لم يَشِب
كأنّ رِيقتَها بعد الكَرى اغتبقت ... صوبَ الثُّريا بماء الكَرْم(١) من حَلَب

يقول فى مديحها :

يَقصِدْنَ سيِّد قَيسٍ وابنَ سيِّدها ... والفارسَ العِدّ(٢) منها غيرَ ذى كَذِب
محمّد وأبوه وابنُه صنعوا ... له صنائعَ من مَجدٍ ومن حَسَب
إنى مَدحتهم لمّا رأيتُ لهم ... فضلاً على غيرهم من سائر العَرَب
إلّا تُثْبنى به لا يَجْزِنى أحدٌ ... ومَن يُثيب إذا ما أنت لم تُثِب

مدحه عبد الله ابن الحسن

وذُكر أن أبا وجزة قَدِم على عبد الله بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب، فمدَحه وإخوته، وقد أصابت قَومه سَنَةٌ مُجدبة، وأنشده قولَه يمدحه :

أُثنى على أبنَىْ رسول الله أفضلَ ما ... أثنى به أحدٌ يوماً على أحدِ
ذُريةٌ بعضُها من بعضها عَمِرَتْ ... فى أصل مَجدٍ رفيع السَّمْك والعَمَد
ماذا بَنى لهمُ من صالح حَسَنٌ ... بعد علىٍّ ليوم وابتنَوْا(٣) لغَد
فكرّم الله ذاك البيتَ تَكرِمةً ... تَبقى وتخلُد فيه آخرَ الأبد
مُهذَّبون هِجانٌ أُمهاتهمُ ... إذا نُسِبْن زُلالُ البارق(٤) البَرِد
مِن(٥) الفواطم ماذا ثَمّ من كرمٍ ... إلى العَواتك مجد غيرُ(٦) مُنْتَقَد

(١) اغتبق : شرب الغبوق، وهو شراب العشى، والصوب : المطر .
(٢) العد : الذى لا تنفد شجاعته . والرواية فى غير التجريد : « غير ذى الكذب » .
(٣) فى غير التجريد : « وحسن وعلى وابتنوا لغد » .
(٤) هجان : كرام . والبارق : السحاب ذو البرق . والبرد : ذو البرد .
(٥) فى غير التجريد : « بين » .
(٦) الفواطم، وذلك لأن أم الحسن والحسين فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجدتها فاطمة بنت أسد بن هاشم، أم أبيهما على، وكانت أسلمت . وجدة النبى صلى الله عليه وسلم لأبيه =

الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى وجزة ، هو من قصيدة يَمدح بها عبدَ الملكِ بن عطية ، وهو

طاف الخيالُ من أُمّ شَيبةَ فاعترى فالقومُ من سِنَةٍ نَشاوَى بالكَرَى
طافت بخُوصٍ (١) كالقِسِىّ وفِتْيةٍ هَجعوا قليلاً بعد ما مَلُّوا السُّرى

يقول فيها :

فلأمدَحنَّ بنى عطيــةَ كُلَّهم مَدْحاً يُوافِق فى المَواسم والقُرَى
الأكرمين أوائـلاً وأواخـرا والأحْلمين إذا تَخُولِجتِ (٢) الحُبا
والمانِعين من الهَضيمة جارَهم والجامِعين الرّاقعين (٣) لما وَهَى
والعاطفين على الضَّريك (٤) بفَضْلهم والسّابقين إلى المكارم مَن سَعَى

= فاطمة بنت عبد الله بن عمران بن مخزوم . والعواتك جدات النبى صلى الله عليه وسلم : عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان ، أم عبد مناف بن قصى ، جد هاشم ؛ وعاتكة بنت مرة بن هلال ، أم هاشم بن عبد مناف ؛ وعاتكة بنت الأوقص ، أم وهب بن عبد مناف بن زهرة ، جد النبى صلى الله عليه وسلم .

(١) الخوص : جمع أخوص ، وهو الغائر العينين . يريد خيلا .

(٢) تخولجت : تنوزعت . والحبا : جمع حبوة . والاحتباء : أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعمامة به ونحوها وتنازع الحبا يكون عند الخصومة . أى إنهم يحلمون حين يجهل غيرهم .

(٣) الهضيمة : الظلم والبغى . ووهى : تخرق وتشقق .

(٤) الضريك : الذى أصابه الزمن ، فافتقر وساءت حاله .

أخبار عقيل بن عُلَّفة (*)

نسبه — هو عَقِيل بن عُلَّفة بن الحارث بن مُعاوية بن ضِباب بن جابر بن يَرْبوع بن غَيْظ ابن مُرة بن سَعد بن ذُبيان بن بَغيض بن الرَّيْث بن غَطَفان بن سَعد بن قَيس عَيلان بن مُضر بن نِزار. ويكنى: أبا العَمَلَّس، وأبا الجَرْباء.

أمه وجدته — وأُم عَقيل بن عُلَّفة: العَوراء، وهى عَمرة بنتُ الحارث بن عَوف بن أبي حارثة بن مُرّة بن نُشْبة بن غَيظ بن مُرّة. وأُمها زَينب بنت حِصن بن حُذيفة.

وذُكر أنّ عَمرة العَوراء أُم عَقيل بن عُلَّفه، والبَرْصاء أُم شَبيب بن البَرْصاء، أختان.

من صفته — وعَقيل بن عُلَّفه شاعر مُجيد مُقِلّ إسلامى، من شُعراء الدولة الأُموية. وكان أعرجَ، شديدَ الجفاء والعَجْرَفيّة والبَذَخ (1) بنَسبه فى بنى مُرة، لا يَرى أنّ له كُفئًا. وهو فى بيتٍ شَرُف فى قومه من كلا طرفيه. وكان شديدَ الغَيرة، وكانت قُريش ترَغب فى مُصاهرته.

مصاهرة الخلفاء له — وتزوّج إليه خلفاؤها وأشرافها: فتزوّج يزيدُ بن عبد الملك بن مروان ابنته الجَرْباء؛ وتزوّج سَلَمة بن عبد الله بن المُغيرة ابنته عَمْرة، فولدت له يَعقوب بن سَلمة، وكان من أشراف قُريش وأجوادها؛ وتزوّج أُمَّ عمرو بنتَه ثلاثةُ نفر من بنى الحَكَم بن أبي العاصى بن أُمية: يحيى، والحارث، وخالد.

هو وعثمان بن حيان — وذُكر أنه دخل عَقيل بن عُلَّفه على عُثمان بن حَيّان، وهو أمير المدينة،

(*) فى هامش الأصل: «هو آخر المجلد الثالث من أصل المؤلف — أبقاه الله — المنقول منه، وهو بخطه».

(1) البذخ: الكبر.

فقال له عثمان : زوِّجنى ابنتك . فقال : أبَكرةً من إبلى تعنى ؟ فقال له عثمان : ويحك ! أمجنون أنت ؟ قال : أىّ شىء قلت لى ؟ قال : قلت : زوِّجنى ابنتك . فقال ! إن كنتَ عنيت بكرة من إبلى فنعم . فأمر به فوُجئت عُنقه . فخرج وهو يقول :

لحى الله دهراً ذَعذع المال كُلَّه وسوّد أمثالَ الإماء [١] العَوارِكِ

هو وسلامان حين خطب إليه ابنته

وذُكر أنه كان لعَقِيل بن عُلَّفة جارٌ من بنى سَلامان بن سعد ، فخطب إليه ابنته ، فغَضب عليه عَقيل ، وأخذ السّلامانىّ فكتَفه ، ودَهن اُستَه بشحم وألقاه فى قَرية النَّمل [٢] ، فأكلن خُصاه حتى وَرِم جسده ، ثم حلّه وقال : أيخطُب إلىّ عبدُ الملك بن مروان فأردّه ، وتجترىء أنت علىّ ! ثم أجدبتَ مراعى بنى مُرة ، فانتجع عَقيلٌ أرضَ جُذام ، وقُربهم بنو عُذرة . قال عَقيل : فجاءنى هُنَىٌّ مثلُ البَعرة ، فخطب إلىَّ ابنتى أمَّ جعفر ، فخرجتُ إلى أكمة قريبةٍ من الحىّ ، فجعلتُ أنبح كما يَنبح الكلبُ ، ثم تحمّلت وخرجتُ ، فأتبعنى جمعٌ من حُنّ ـ بطن من عُذرة ـ فقالوا : اُختر : إن شئتَ حبسناك ، وإن شئتَ حدرْناك وبُعَيرةً من رأس الجبل ، فإن سبقتَها خلَّينا عنك . فأرسلوا بُعَيرةً فسبقتُها . فخلَّوا سبيلى . فقلت لهم : ما طَمِعتُم بهذا من أحد ! فقالوا : أردنا أن نضع منك حيثُ رغبتَ عنَّا . فقلت فيهم :

لقد هزئتْ حُنٌّ بنا وتلاعبتْ وما لعبتْ حُنٌّ بذى حَسبٍ قَبْلِى
رويداً بنى حُنٍّ تَسِيحوا وتأمنوا وتَنتشر الأنعامُ فى بَلد سَهل

والله لأموتنّ قبل أن أضع كرائمى إلا فى الأكفاء .

---

(١) ذعذع المال : فرقه وبدده . وسود : جعله سيداً . والعوارك : الحيض . ويروى « اشباه » مكان « أمثال » . والبيت فى اللسان « ذعع » منسوب لعلقمة بن عبدة .

(٢) قرية النمل : مجتمع ترابها .

بينه وبين عمر بن عبد العزيز فى شأن بناته

وذُكر أنّ عُمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ قال لعَقيل بن عُلَّفة : إنّك تخرج إلى أقاصى البلاد وتَدع بناتِك فى الصحراء لا كالئَ لهن ، والناسُ يَنْسُبونك إلى الغَيْرة وتأبى أن تُزوِّجهن إلا الأكفاء ! قال : إنِّى أستعينُ عليهنّ بخَلَّتين تكلآنهن . قال : وما هما ؟ قال : العُرى والُجوع .

وبينه وبينه أيضاً وقدعاتب ابن أخته

وذُكر أنّ عُمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ عاتب رجلاً من قُريش ، أُمه أخت عَقيل بن عُلَّفة ، فقال له : قبَحك الله ! أشبهت خالك فى الَجفاء . فبلغت عَقيلاً ، فجاء حتى وقف على عُمر فقال له : ما وجدتَ لابن عمك شيئاً تُعيِّره به إلا خُئولتى ، فقَبح الله شرَّكما خالاً ! فغضب عمر بن عبد العزيز . فقال له صُخَير بن أبى الَجهم العَدوى ، وأمه قرشية أيضاً : آمين يا أمير المؤمنين ، فقَبح الله شرّكما خالا ، وأنا معكما أيضا . فقال عُمر لعَقيل : إنّك لأعرابىٌّ جافٍ جِلْف ، أمَا لو كنتُ تقدّمتُ إليك لأدّبنك ! والله لا أراك تقرأ من كتاب الله تعالى شيئاً ؟ قال: بلى ، إنى لأقرأ . قال : فاْقرأ . فقرأ (إذا زُلزلت الأرضُ زِلْزالها) حتى إذا بلغ آخرها قرأ (فَمَن يَعْمَل مِثْقال ذَرَّة شَرًّا يره . ومَن يعمل مِثْقال ذرَّة خيراً يره) فقال له : عمر : ألم أقل لك إنك لا تُحسن أن تقرأ . قال : أو لم أقرأ ! قال : لا والله ، إنّ الله جلّ وعز قدّم الخير وأنت قدمت الشر . فقال عَقيل :

خُذَا بَطْن هَرْشَى [(١)] أوقَفاها فإنه ... كلاَ جانبَىْ هَرْشَى لهنّ طَريقُ

فجعل القومَ يضحكون من عَجْرفيّته .

هو ويحيى بن الحكم وقد راوده على أن يزوج ابن خاله من ابنته

وذُكر أن عَقيل بن عُلَّفة دخل على يحيى بن الحَكَم ، وهو يومئذ أميرُ المدينة ، فقال له يحيى : أَنْكِح ابنَ خالى ـ يعنى ابن أوفى ـ ابنَتك . فقال له : إنّ ابن خالك ليَرْضى منِّى بدون ذلك . قال : وما هو ؟ قال : أن أكُفّ عنه

(١) هرشى : ثنية فى طريق مكة قريبة من الجحفة .

سَنَنَ الخيل (١) إذا غَشِيتْ سَوَامَه (٢) . فقال يحيى لحرسيَّيْن بين يديه : أخرجاه . فلما ولّى قال : أَعيــداه إلىّ . فأعاداه . فقال له عَقيل : ما لك تُكرِّنى إكرارَ الناضِــح (٣) ! قال : أمَا والله إنّى لأُكرّ (٤) أعرجَ جافيا . فقــال عَقيل : كذلك قلتُ :

تَعجّبتْ أنْ رأتْ رأسى تَجلَّله من الرّوائع شَيبٌ ليس من كِبَرِ
ومِن أَديمٍ تولّى بعــد جدّته والجفْن تخْلُق فيه شَفْرةُ (٥) الذّكَر

فقال له يحيى : فأنشــدنى قصيدتَك هــذه كُلّها . قال : ما انتهيتُ إلا إلى ما سمعتَ . قال : أمَا والله إنك لتقول فتقْصر . فقال : إنمــا يكفى من القِــلادة ما أَحاط بالرّقبة . قال : فأنــكحنى إحدى بناتِك . قال : أمّا أنت فنَعم . قال : أمَا والله لأملأنّك مالاً وشرفا . فقال : أمّا الشرفُ فقد حَمّلتُ ركائبى منه ما أطاقت، وكلّفتها تَجشُّم ما لم تُطق ؛ ولــكن عليك بهذا المال ، فإنّ فيه صلاحَ الأَيِّم ، ورضا الأَبِىّ . فزوّجه ثم خرج . فأهداها إليه (٦) . فلما قَدِمت إليه بَعث إليهــا يحيى مولاةً له لتنظرُ إليها . فجاءتها فجعلتْ تَغمِز عَضُدهــا . فرفعت يَدها فدقّت أنفها . فرجعت إلى يحيى وقالت : بعثْنى إلى أعرابية مَجنونةٍ صَنعت بى ما ترى . فنَهض إليها يحيى ، فقال لها : مالك ؟ قالت : ما أردتَ أنْ بَعثت إلىّ أمة تنظر إلىّ! ما أردتُ بما فعلتُ إلا أن يكون نَظرك إلىّ قبــل كُل ناظر ، فإن رأيتَ حسناً كُنت قد سبقتَ إلى بهجته ، و إن رأيتَ قَبيحاً كنتَ أحقّ مَنْ سَتره . فسُرّ بقولها ، وحَظيت عنده .

(١) سنن الخيل : عدوها لمرحها ونشاطها .
(٢) السوام : المال يخلى يرعى حيث شاء . (٣) الناضح : الدابة يستقى عليها الماء .
(٤) فى غير التجريد : « إنى لأكرك » .
(٥) الذكر : أجود السلاح وأيبسه . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « يخلق فيه الصارم الذكر » . وبها يدخل الإقواء البيت .
(٦) فى بعض أصول الأغانى : « فهداها » . وهدى العروس وأهداها واهتداها ، بمعنى .

وفى رواية : أنها قالت : إن كان ما تراه حسناً كنتَ أول من رآه ، و إن كان قبيحاً كنتَ أول من واراه .

تزوج يزيد بن عبد الملك ابنته الجرباء

وذكر أنّ يزيد بن عبد الملك بن مروان خَطب إلى عَقيل بن عُلَّفة ابْنَته الجرباء ، فقال له عقيل : قد زوّجتكها على ألاَّ يَزُفَّها إليك أعلاجُك[1] ، أكون أنا الذى أجيء بها إليك . قال : ذلك لك . فتزوجها . ومكثوا ما شاء الله ، ثم دَخل الحاجب على يزيد فقال له : بالباب أعرابيّ على بَعير ومعه امرأة على هَودج . فقال : أراه والله عَقيلا . فجاء بها حتى أناخ بعيره على بابه . ثم أخذ بيدها فأذْعنت . فدَخل بها على الخليفة . فقال له : إن أنتما وُدِم[2] بينكما فبارك الله لكما ، و إن كرهت شيئا فَضع يدَها فى يدى كما وضعتُ يدَها فى يدك ، ثم بَرِئت ذِمَّتك . فحملت الجِرباء بغلام من الخليفة ، فَفَرح به ونَحَلَه[3] وأعطاه . ثم مات الصبيّ ، فورثت أمه منه الثلث . ثم ماتت الجِرباء فورثها زوجُها وأبوها . فكَتب يزيد بن عبد الملك إلى أبيها : إنّ ابنَك وابنتك هلكا ، وقد حسبتُ ميراثَك منه فوجدتُه عشرة آلاف دينار ، فهلُم فاقْبِضه . فقال : أنّ مُصيبتى با بنى وابنتى تَشْغلنى عن المال وطَلَبه ، فلا حاجةَ لى فى ميراثهما ، وقد رأيتُ عندك فرساً سَبقتَ عليه الناس فأَعْطنيه أجعله فحلاً لخيلى . وأبى أن يأخذ المال . فبعث إليه يزيدُ بالفرس .

شعر ابنه علفه حين شد هو علية

وذُكر أنّ عَقيل بن عُلَّفة أتى يوماً منزلَه ، فإذا بَنُوه مع بناته وأُمّهم مُجتمعون ، فشدَّ على ابنه عَمَلَّس ، فحاد عنه ، وتغنّى ابنُه عُلَّفة :

قِفى يا بنةَ المُرِّىّ أسألْكِ ما الذى تُريدين فيما كنتِ مَنَّيتِنا قبلُ
نُخَبِّرْك إن لم تُنجزى الوعد أننا ذَوَا خُلّة لم يَبق بينهما وَصْل

(١) الأعلاج : جمع علج ، وهو الرجل الشديد الغليظ .

(٢) هذه رواية التجريد . وودم ، أى أدم ، قلبت الهمزه واوا ، وهذا جائز . يريد : الاتفاق والائمة . يقال : أدم الله بينهما ، أى وفق وألف . وفى غيره : « ودن » . والودن والودان : حسن القيام على العروس .

(٣) نحله : وهب له .

فإنْ شئتَ كان الصُّرم ما هبَّت الصَّبا   وإنْ شئتَ لا يفنَى التكارُم والبَذْل

فقال عَقيل : يا بن اللخناء ، متى مَنَّتْك نفسُك هذا ! وشدّ عليه بالسَّيف ، فحال عَمَلّس بينه و بينه . فشدّ على عَملَّس بالسيف وترك عُلَّفة لا يلتفت إليه ، فرماه بسَهم ، فأصاب رُكبته ، فسقطَ عَقيل وجعل يَتمعَّك (١) فى دمه ويقول :

إنّ بَنِىّ (٢) زَمّلونى بالدَّمِ   مَنْ يَلْقَ أبطالَ الرِّجال يُكْلَمِ
ومَن يكُن ذا أَوَدٍ يقَوَّمِ   شِنْشِنَةٌ (٣) أعرفهـا من أَخْزَمِ

وذُكر أنّ أصل هذا المثل : أن أَخزم كان فَحْلاً لرجل من العرب ، وكان مُنْجِباً، فضَرب فى إبل رجلٍ آخر ، ولم يعلم صاحبُه ، فرأى بعد ذلك من نَسله جَملاً، فقال : شِنْشنة أعرفها من أَخزم .

شعره فى تحريض بنى سهم على القتال

وذُكر أنّ الحرب نَشبت بين بنى سَهم بن مُرة ، وهم رَهط عقيل ، و بين بنى جَوشن بن غَطَفان ، وكان عَقيل بن عُلَّفة غائباً عنهم بالشام ، فكتب إلى بنى سَهم يُحرِّضهم على القتال :

فإمّا هلكتُ ولم آتِكم   فأَبلغْ أماثلَ سَهْمٍ رَسُولاَ
بأنّ التى سامكم قومُكم   همُ جَعلوها عليكم (٤) دَليلا
هَوانُ الحياة وضَيْمُ المماتِ   وكُلاًّ أراه طعاماً وَبيلا
فإن لم يكن غيرُ إحداهما   فسيرُوا إلى الموت سيراً جَميلا

فلما وردت الأبياتُ عليهم تكفَّل بالحرب الُحصين بن الُحمام المُرِّى ، أحد بنى سَهم ، وقال : إلىَّ كتب و بى نَوّه ، خاطب أماثلَ سهم وأنا من أماثلهم . فأَبلى فى تلك الُحروب بلاءً شديدا . فقال الُحصين من قصيدة طويلة :

(١) يتمعك : يتمرغ .
(٢) هذه رواية التجريد واللسان « سنن » . والذى فى الأغانى : « سربلونى » .
(٣) الشنشنة : الخليقة .   (٤) فى غير التجريد : « لقد جعلوها عليكم عدولا » .

يطأن من القتلى ومن قِصَد القنا خَبَاراً (١) فما يَنْهضن إلا تقحُّما
عليهنّ فِتيانٌ كساهم (٢) مُحرِّقٌ وكان إذا يكسو أجاد وأكرما
صفائحَ بُصْرَى أخلصتْها قُيونُها ومُطَّرِداً (٣) من نسج داودَ مُحكَما
تأخرتُ أستبقى الحياة فلم أجد لنفسِي حياةً مثلَ أن أتقدَّما
فلسْنا على الأعقاب تَدْمَى كُلُومُنا ولكنْ على أقدامنا تقطُر الدِّما
نُفَلِّق هاماً من رجالٍ أعزَّةٍ علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

وذُكر أنّ عُلَّفة بن عَقيل مات بالشام، وبلغ ذلك أباه عَقيلا فقال يرثيه، وهو من جيد الشعر: رثاؤه علفة ابنه

لَعَمْرِى لقد جاءت قوافل خَبَّرت بأمرٍ من الدنيا علىّ ثقيلُ
وقالوا ألا تبكى لَمصرع فارسٍ بَغتْه (٤) جُنودُ الشام غيرِ ضَئيل
فأقسمتُ لا أبكى على هُلْك هالِك أصاب سبيلَ اللهِ خيرَ سَبيل
كأنّ المَنايا تبتغى من خيارنا لها نَسبا أو تَهتدى بدَليل
تَحُلّ المَنايا حيث شاءت فإنها مُحلّلةٌ بعد الفَتَى ابن عَقيل
فتًى كان مولاه يَحُلّ برَبْوةٍ تَحُلّ الموالى بعده بمَسِيل

شعره الذى فيه الغناء والشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار عَقيل بن عُلفة، هو ثلاثة أبيات، أولها لعَقيل، والثانى والثالث لشَبيب بن البَرْصاء، والشعر:

ألا هل أسيرُ المالكيّةِ مُطلَقٌ فقد كاد لو لم يَعفُه اللهُ (٥) يَغلَقُ
سَلَا أمّ عمرو كيف أمسَى (٦) أسيرُها يُفادَى الأسارى حولَه وهو مُوثَق
فلا هو مقتولٌ ففى القتل راحةٌ ولا مُنْعَمٌ يوماً عليه فمُعْتَق

(١) القصد: جمع قصدة، وهى القطعة. والخبار: مالان من الأرض واسترخى.
(٢) محرق: لقب عمرو بن هند، لقب به لأنه حرق مائة من تميم.
(٣) قيون: جمع قين، وهو الحداد. ومطردا، أى درعا تبع بعضه بعضاً، أى إن حلقاته متصلة.
(٤) فى غير التجريد: «نعته».
(٥) يغلق: من غلق الرهن، وذلك إذا بقى فى يد المرتهن لا يقدر راهنه على تخليصه.
(٦) فى الأغانى: «فيم أضحى». مكان «كيف أمسى».

أخبار شبيب بن البرصاء

نسبه — هو شَبِيب بن يَزِيد بن جَمرة بن عَوف بن أبى حارثة بن مُرة بن نُشْبة ابن غَيْظ بن مُرة بن سَعد بن ذُبيان . وبقية النَّسب ذَكرناه فى نَسب عقِيل ابن عُلَّفة .

أمه — والبَرْصاء أُمه ، وأسمها قِرْصافة بنت الحارث بن عَوف . وهى خَالة عقِيل ، كما تقدّم ذكره . وإنما سُمِّيت البَرصاء لبياضها ، لا لأنّه كان بها بَرَص.

شيء عنه — وشَبيب شاعرٌ فَصيح إسلامىّ من شُعراء الدولة الأُموية ، بدوىٌّ لم يَحضُر إلاّ وافداً أو مُنْتجعا . وكان يُهاجى عَقِيل بن عُلَّفة ويُعاديه لشراسة كانت فى عَقيل وشَرّ عظيم . وكلاهما كان شريفاً سيِّدا فى قومه ، فى بيت شَرفهم وسُؤددهم . وكان شبيبٌ أعورَ ، أصاب عينَه رجلٌ من طيىء فى حرب كانت بينهم .

من جيد شعره — ومن جيِّد شِعر شَبيب قولُه من قصيدة :

ومُستَنْبِحٍ يَدعو وقد حال دونه ... من اللَّيل سَجْفَا ظُلْمة وسُتُورُها
رفعتُ له نارِى فلما اهتــدى لها ... زجرتُ كِلابى أنْ يَهِرَّ عَقُورهــا
فباتَ وقد أَسرى من الليل[1] عُقْبةً ... بليلةِ صِدْقٍ غاب عنها شُرورها
وإنّى لتَرّاكُ الضَّغينة قــد أرى ... ثَراها من المَولى[2] فما أَسْتَثِيرها

---

(١) العقبة : قدر فرسخين ، وقيل هى مقدار ما تسيره .

(٢) الثرى : الأثر ، والمولى : الصاحب وابن العم . والرواية فى غير التجريد : « قد بدا .... فلا أستثيرها » .

إذا قِيلت العَوراء ولَّيتُ سمعَها سِوای ولم أسأل بها[١] ما دَبيرُها
وحاجةِ نَفْسٍ قد بلغتُ وحاجةٍ تركتُ إذا ما النفسُ شحَّ ضَميرها
حياءً وصَبراً فى المواطن إنّنى حَيِيٌّ لدى أمثالِ تلك[٢] سَتِيرها
وأحبِس فى الحقِّ[٣] الكريمةَ إنما يقوم بحقّ النائبات صَبورها
ألم ترَ أنّا نُور قوم وإنما يُبَيِّن فى الظَّلماء للناس نُورُها

شعر له كان يتمثل به عبد الملك بن مروان

وكان عبد الملك بن مروان يتمثّل بقول شَبيب بن البَرصاء فى بَذْل النفس عند اللِّقاء ويُعجَب به :

دعانِى حِصْنٌ للفرار فساءنى مواطِنُ أن يُثْنَى علىَّ فأُشتَما
فقلتُ لحِصْنٍ نحِّ نفسك إنما يذُود الفتى عن حَوضه أن يُهدَّما
سيكفيك أطرافَ الأسنّة فارسٌ إذا رِيعَ نادَى بالجواد[٤] وبالحِمَى
إذا المرءلم يَغْش المكارهأوشكت حِبالُ الهُوَينى بالفتَى[٥] ان تَجذَّما

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار شَبيب ، هو البيتُ الثانى والثالث ، من الأبيات الثلاثة المذكورة فى أخبار عَقيل بن عُلَّفة[٦] .

---

(١) العوراء : الكلمة القبيحة . والدبير : ما خالفك ، ضد القبيل ، وهو ما وليك . ويقال : هو ما يدرى قبيلا من دبير ، أى ما يدرى شيئاً . والمعنى هنا : أنه لا يعقب على قول السوء ولا يسترسل فيه . والرواية فى الأغانى : « ولم أسمع لها » مكان « ولم أسأل » .
(٢) الستير : العفيف .
(٣) الكريمة : أى الناقة الكريمة
(٤) وبالحمى ، أى وبأهل الحمى ، يستنفرهم . والرواية فى التجريد : « فأنجما » مكان « وبالحمى » .
(٥) تجذم ، أى تتجذم : تتقطع .
(٦) يريد الأبيات القافية (ص ١٤٠٥) من هذا الجزء .

أخبار يزيد بن الحكم (*)

نسبه — هو يزيدُ بن الحَكم بن أبى العاص بن بِشر بن عَبد دُهْمان بن عبد الله ابن هَمّام بن أَبان بن يَسار بن مالك بن حُطَيط بن جُشَم بن قَسىّ ، وهو ثقيف .

شىء عن عثمان عمه — وعثمان عمُّه ، أحدُ من أسلم يومَ فَتح الطائف من ثقيف ، هو وأبو بَكْرة . وشَطُّ عُثمان بالبصرة مَنسوب إليه ، وكانت له هناك أرض أَقطعها وابتاعها . وقد رَوى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الحديثَ ، ورَوى عنه الحسنُ البصرى ـ رحمه الله ـ وغيرُه من التابعين .

رواية عثمان عن النبى صلى الله عليه وسلم — روى مُطَرِّف بن عبد الله قال : سمعتُ عثمان بن أبى العاصى الثَّقفى يقول : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

أُمَّ قومَك وأَقْدُرْهم بأَضعفهم ، فإن منهم الضعيفَ والكبير وذا الحاجة .

ورَوى عثمان بن أبى العاصى قال : قال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

اتخذوا مؤذِّنا لا يأخذ على أذانه أجرا .

نسب أمه — وأم يزيد بن الحكم بَكرة بنت الزِّبرقان بن بدر ، وهى أولُ أعرابية رَكبت البحر . وأمها هُنيدةُ بنت صَعصعة بن ناجية .

خبر يزيد مع الحجاج وقد ولاه فارس — وذُكر أنّ الحجاج بن يوسف ولَّى يزيدَ بن الحكم الثَّقفى كُورةً من فارس ، ودَفع إليه عهدَه بها ، فلما دَخل عليه ليودِّعه قال الحجاج له : أَنشدنى

(*) وقبل أخبار « يزيد بن الحكم » ساق أبو الفرج أخبار « دقاق » المغنية فى صفحتين إلا قليلا .

بعضَ شعركَ . وإنّما أراد أن يُنشده مديحًا له ، فأنشده قصيدةً يفخر فيها ويقول :

وأبِي الذي استلب[1] ابنَ كسرى رايةً … بيضاءَ تخفقُ كالعُقاب[2] الكاسرِ

فلما سمع الحجّاج فخرَه نهض مُغضَبًا ، وخرج يزيدُ من غير أن يُودّعه ، فقال الحجاج لحاجبه : أرتجع منه العهدَ ، فإذا ردّه فقُل له : أيما خيرٌ لك: ما ورّثك أبوك أم هذا ؟ فردّ على الحاجب العهدَ وقال : قُل له :

وَرِثتُ جدِّي مجدَه وفَعالَه … وورثتَ جدَّك أعنزًا بالطائفِ

خروجه إلى سليمان ابن عبد الملك

وخَرج عنه مُغضَبًا فلحق بسُليمان بن عبد الملك بن مروان ، فمدَحه بقصيدته التي أولها :

أَمسى بأسماءَ هذا القلبُ[3] معمودا … إذا أقول صحَا يَعتادُه عِيدَا
كأنّ أحورَ من غِزلانِ ذي بَقَرٍ … أَهدَى لها شبَهَ العَينين[4] والجيدا
أُجرِي على موعد منها فتُخْلِفني … فلا أملُّ ولا تُوفِي المواعيدا
كأنّني يومَ أُمسِي لا تُكلِّمني … ذو بُغْيةٍ يَبتغي ما ليس مَوْجودا

يقول فى المديح :

سُمِّيتَ باسم امرىء أشبهتَ شِيمتَه … عَدلاً وفَضلاً سليمانَ بنَ[5] داوُدا
أَحْمِدْ به فى الوَرَى الماضين من مَلِكٍ … وأنتَ أصبحتَ فى الباقين محْمُودا

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « سلب » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « الطائر » مكان « الكاسر » .

(٣) المعمود : الذى هده العشق .

(٤) الأحور : الذى بعينيه حور ، وهو شدة سواد المقلة فى شدة بياضها ، وذو بقر : موضع . والجيد ، أى وشبه الجيد ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

(٥) الرواية فى اللسان « عدل » :

سميت باسم نبى أنت تشبهه … حلماً وعلماً سليمان بن داودا

فقال له سليمان : كم كان أجرَى لك لعِمالة فارس ؟ قال : عشرون ألفاً . قال: فهى لك علىّ ما دُمتَ حيًّا .

شعره لابن المهلب لما خرج على يزيد ابن عبد الملك

وذُكر أنّ يزيد بن المُهلَّب بن أبى صُفرة لمّا خَرج بالعِراق على يزيدَ بن عبد الملك بن مروان أنشده يزيدُ بن الحكم الثَّقفى :

أبا خالدٍ قد هِجْتَ حرباً مَريرةً وقد شمّرتْ حربٌ عَوانٌ فشمِّرِ

فقال يزيدُ بن المُهلَّب : أَستعين بالله . ثم أنشده ، فلمّا بلغ إلى قوله :

وإنّ بَنى مروانَ قد زال مُلكهم فإنْ كنتَ لم تَشعُر بذلك فاشعُرِ

فقال يزيد : ما شعرت . ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله :

فمتْ ماجداً أوعِشْ كريماًفإن تَمُتْ وسيفُك مَشهورٌ بكفِّك تُعْذَرِ

فقال : هذا ما لا بُد لى منه .

نزل له ابن المهلب عن مال وهو فى السجن

وذُكر أنّ يزيد بن الحكم دَخل على يزيدَ بن المُهلَّب ، وهو فى سِجن الحجّاج وهو يُعذَّب ، وقد حَلَّ عليه نَجْمٌ(١) ، وكانت نجومه فى كُل أسبوع ستةَ عشر ألف درهم ، فقال له :

أَصبح فى قَيدك السماحةُ والجُو دُ وفَضلُ الصّلاح والحَسَبُ

لا بَطِرٌ إنْ تَتَابعَتْ نِعَمٌ وصابرٌ فى البلاء مُحتسِب

بَرَزتَ سَبْقَ الجياد(٢) فى مَهَلٍ وقَصَّرتْ دون سَعْيك العَرب

فالتفت يزيدُ بن المُهلَّب إلى مولًى له ، وقال: أعطه نجمَ هذا الأُسبوع ، ونصبر على العذاب إلى السبت الآخر .

(١) النجم : الدفعة من الدين .

(٢) فى التجريد : « الجراد » .

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيـــه الغناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار يزيد بن الحـــكم الثَّقفى ، هو :

تُـكاشرنى كُرْهاً كأنك ناصــحٌ وعينُك تُبْدِى أنّ صدرك لى[(١)] دَوِى

لسانُك لى حـــلوٌ وعينُك عَلقمٌ وشَرُّك مَبسوط وخيرُك[(٢)] مُنْطوى

(١) كاشره : ضحك فى وجهه وباسطه . ودوى صدره : مرض .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ملتوى » مكان « منطوى » .

أخبار أبى الأسود الدؤلى

نسبه هو ظالم بن عمرو بن سُفيان بن جَنـدل بن يَعْمَر بن حِلْس بن نُفَاثة بن عَدِىّ بن الدُّئل بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس ابن مُضرَ بن نِزار.

شىء عنه وهو من وُجوه التابعين وفُقهائهم ومُحدِّثيهم. روَى عن عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه؛ وعن علىّ بن أبى طالب، وابن عبّاس، رضى الله عنهما. واستعمله عُمر وعُثمان وعلىّ، وولاّه علىّ رضى الله عنه البصرَة بعد ابن عباس.

وضعه النحو وأبو الأسود هو الأصل فى وَضع علم النَّحو وعَقْد أُصوله، وأخَذ ذلك عن أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه.

ذُكر أن أبا الأسود الدؤلى دَخل على ابنتـه بالبصرة، فقالت له: يا أبةَ، ما أشدُّ الحرّ! — رفعت «أشد» وجرت «الحر» — فظن أنها تَستفهم منه: أىُّ زمانِ الحر أشد؟ وإنما قصدت التّعجب، فلَحنت. فقال لهـا: يا بُنية. شهرناجر. فقالت: يا أبة، إنما أُخبرك ولم أسألك. فقال: إنّا لله! فَسدت ألسنةُ أولادنا! ودَخـل على علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، ذهبت لُغة العرب لمّا خالطت العجم، وأوشكت إنْ تطاول عليها زمانٌ أنْ تَضمحلّ. فقال له: وما ذاك؟ فأخبره خَبرَ ابنته. فأمره أن يَشترى صُحفًا بدرهم، وأملى عليه: الكلام كُلّه لا يخرج عن اسم وفعل وحرف، جاء لمعنى. وهـذا القولُ أول كتاب سِيبويه. ثم رسم أُصول النحو كُلها، فنَقلها النَّحويون وفرّعوها.

هو وزياد فى نقط المصاحف

وذُكر أنّ زياداً أمر أبا الأسود الدُّؤلى أن ينقُط المَصاحف . فَنقطها ورَسم فى النحو رُسوما . ثم جاء بعده مَيمون الأقرن فزاد عليه فى حُدود العربيــة ، ثم زاد بعده فيها عَنبسةُ بن مَعْـدانـ المَهْرِىّ ، ثم جاء عبدُ الله بن أبى إسحاق الحضرمىّ ، وأبو عمرو بن العلاء ، فزادا فيه ؛ ثم جاء الخليلُ بن أحمد الأزدى البصرى ، وعلىّ بن حمزة الـكسائى الـكوفى ، مولى بنى كاهل من أسد ، فأَخذ عنهمـا البصريون والـكوفيون وتفرّع وكَثُر .

رأى الجاحظ فيه

وذَكر الجاحظُ أنّ أبا الأسود معدودٌ فى طبقات من الناس ، وهو فى كُلها مقدَّم مأثور عنه الفضـلُ فيها جميعها[1] : كانـ معدوداً فى التابعين والفُقهاء والشُّعراء والمُحدِّثين والأشراف والفُرسان والأُمراء والدُّهاة والنَّحويين والحاضرِى الجواب والشِّيعة[2] والبُخلاء والصُّلع الأشراف والبُخر الأشراف .

روايته عن عمر ابن الخطاب

فممّا رَوى من الحديث : قال أبوالأسود : قَدِمتُ المدينةَ فوافيتُها[3] وقد وقع فيها مرضٌ فهم يمُوتون موتاً ذريعا ، فجلستُ إلى عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، فمرّت به جنازة ، فأُثنِى على صاحبها خيراً . فقال عُمر: وجَبتْ . ثم مُرّ بأُخرى ، فأُثنى على صاحبها شرّا ، فقال عمر: وجبتْ . قال أبو الأسود : ما وجبتْ يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلتُ كما قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : أيُّما مُسلم شهـد له أربعةٌ بخَير أَدخله الله الجنّة . فقُلنا : وثلاثة ؟ فقال : وثلاثة . فقلنـا : واُثنان ؟ فقال : واُثنان . ولم نسأله عن الواحد .

وروى أبو الأَسود الدُّؤلى قال : خَطب عُمر بن الخطّاب يومَ الجمعة فقال : إن نَبِىّ الله صلَّى الله عليه وسلّم قال : لا تزال طائفة من أُمتى على الحقّ منصـورة حتى يأتى أمرُ الله جلّ وعزّ .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فى جميعها » . (٢) فى التجريد : « والشعراء » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « فوافقتها » .

هو وأعرابي جاء يسأله

وذكر أن أبا الأسود كان جالساً فى دِهليزه ، و بين يديه رُطَب ، فجاءه رجلٌ من الأعراب يقال له : أبن أبى الحمامة ، فقال : السلام عليك . فقال له أبو الأسود: كلمة مَقُولة . فقال . أدخل ؟ فقال : وراءك أوسعُ لك . قال : إنّ الرمضاء أحرقت رجلى . قال : بُلْ عليها أو ائت الجبلَ يَفِئْ عليك . قال : هَل عندك شيء تُطعمنيه ؟ قال : نأكل ونُطعم العِيال ، فإنْ فضل شيء فأنت أحقُّ به من الكلب. فقال : ما رأيت قطُّ ألأمَ منك . فقال أبو الأسود : بلى قد رأيت ، ولكنك قد أُنسيت . قال : أنا أبن أبى الحمامة . قال : انصرف وكُن بن أى طائر شئت . قال : أسألك بالله إلّا أطعمتَنى مما تأكل . فألقى إليه أبو الأسود ثلاثَ رُطَبات ، فوقعت إحداهن فى التُّراب ، فأخذها فمَسَحها بثَوبه . فقال أبو الأسود : دَعها فإن الذى تَمسحها منه أنظفُ من الذى تَمسحها به .قال : إنما كرهتُ أن أَدعها للشيطان . فقال : لا والله ، ولا لجبريل وميكائيل تدعُها .

رية له ... بها أهله

وذُكر أن أبا الأسود اُشترى جاريةً أعجبتْه ، وكانت حولاء ، فعابها عنده أهلُه بالحَول ، فقال :

يَعيبونَها عندى ولا عيبَ عندها ... سوى أنّ فى العَينين بعضَ التأخُّرِ
فإنْ يكُ فى العَينين سُوء فإنها ... مُهَفْهَفَة الأعلى رَدَاحُ [1] المُؤخَّرِ

شعره فى الحصين وقد رمى بكتابه

وذُكر أن أبا الأسود أَرسل إلى الُحصين بن أبى الُحرّ العَنبرىّ ، جد عُبيد الله ابن الحسن القاضى ، وهو يلى الخراج لزياد ، و إلى نُعيم بن مَسعود النَّهشلىّ ، وكان يلى مثلَ ذلك ، برسول ، وكتب معه إليهما ، وأراد أن يَبرّاه . فرمى الُحصين ابن أبى الُحرّ بكتاب أبى الأسود وراء ظهره ، وفعل ذلك نعيم . فقال أبو الأسود للحُصين :

(١) مهفهفة : ضامرة البطن . و رداح : ضخمة العجيزة ثقيلة الأوراك .

حسبت كتابى إذ أتاك تعرُّضاً لسَيبك[1] لم يَذهب رَجائى هنالِكا
وخَبَّرنى من كُنت أرسلتُ إنما أخذتَ كِتابى مُعرِضاً بِشمالكا
نظرتَ إلى عُنوانه فَنبذتَه كنبذِك نَعلاً أخلقتْ من نِعالكا
نُعَيمُ بن مَسعود أحقُّ بما أتى وأنت بما تأتى حقيقٌ بذالكا
يُصيب وما يَدرى ويُخطى وما دَرَى وكيف يكون النُّوكُ إلا كذلكا

هو ومعاوية حين لم يكتم عليه ضرطة

وذُكر أن أبا الأسود كان يُحدِّث معاوية بن أبى سُفيان يوماً ، فتحرّك فضَرَط . فقال لمعاوية : اُستُرها علىّ . فقال : نعم . فلما خرج أبو الأسود حدّث بها مُعاويةُ عمرو بنَ العاص ومروانَ بنَ الحكم . فلما غدا عليه أبو الأسود قال له عمرو بن العاص : ما فعلت ضَرْطتُك بالأمس يا أبا الأسود ؟ فقال : ذهبت كما تذهب الرِّيح مُقبلةً ومُدبرةً ، من شيخ ألان الدهرُ أعصابَه ولحمه عن إمساكها ؛ وكلّ أجوف ضَروط . ثم أقبل على مُعاوية وقال : إن امرأً ضَعُفت أمانته ومروءته عن كِتمان ضَرطة لحقيق بألاّ يُؤمَن على أمور المسلمين .

هو وامرأة تزوجها ثم وجدها على خلاف ما قالت

وذُكر أنّ أبا الأسود كان يَجلس إلى فناء امرأة بالبصرة فيتحدّث إليها ، وكانت بَرزةً[2] جميلة ، فقالت له : يا أبا الأسود ، هل لك فى أن أتزوّجك ، فإنّى صَناع[3] الكفّ ، حَسنة التّدبير ، قانعة بالميسور . قال : نعم . فجمعت أهلَها ثم تزوّجته . فوجدها بخلاف ما قدّره ؛ فأسرعت فى ماله ، ومدّت يدَها إلى خيانته ، وأفشت سرّه . فغدا على مَن كان حَضر تزويجه إياها ، فسألهم أن يَجتمعوا عنده ، ففعلوا . فقال لهم :

أَريتَ[4] امرأً كنت لم أبلُهُ أتانى فقال اتَّخذنى خليلاَ

---

(١) السيب : العطاء .
(٢) البرزة : الكهلة الجليلة تبرز للقوم فيجلسون إليها ويتحدثون .
(٣) صناع الكف : حاذقة ماهرة بعمل اليدين . (٤) أريت ، أى أرأيت .

فلم أستفد من لدنه فتيلا
كَذوب الحديث سَرُوقاً بَخيلا
نه ثم عاتبته عِتابا رَفيقا وقَوْلاً جَميلا
ــه غيرَ مُسْتَعْتِبٍ ولا ذاكرِ اللهِ إلاّ قَليلا
حقيقاً بتَوديعه وإتْباع ذلك صُرماً طَويلا

فقالوا : بلى والله يا أبا الأسود . فقال : تلك صاحبتكم ، وقد طلّقتُها ؛ وأنا أُحبّ أن أستُر ما أنكرتهُ من أمرها . فانصرفت معهم.

كان أبخر وما كان بينه وبين معاوية

وذُكر أن أبا الأسود كان أبخر ، فسارّ مُعاوية بن أبي سفيان يوماً بشيء ، فأصغى إليه مُمْسكاً بكُمه على أنفه ، فنحّى أبو الأسود يدَه عن أنفه وقال : لا والله لا تَسُود حتى تَصْبر على سِرار الشُّيوخ البُخْر .

شعره فى صديق لابنه

وذُكر أنّ أبا الأسود كان له ابنٌ يقال له : أبو حرب ، وكان له صديقٌ يُكثر زيارته ، وكان أبو الأسود يَستريب منه ، فقال مخاطباً لابنه :

أَحبِبْ إذا أحببتَ حُبًّا مُقاربًا فإنك لا تَدرى متى أنت نازِعُ
وأَبغِض إذا أبغضتَ بُغْضاً مُقاربا فإنك لا تَدرى متى أنت راجع
وكُنْ مَعْدِناً للحِلم واصفَحْ عن الخنا فإنك راءٍ ما علمتَ (٢) وسامِع

شعره فى جار له

وكان لأبي الاسود جارٌ يُكثر أذاه ، فقال أبو الأسود :

وإنى ليَثنينى عن الشَّتم (٣) والحُمق وعن سَبِّ ذى القُربى خلائقُ أربعُ
حياءٌ وإسلام وبُقيا (٤) وأنّنى كريمٌ ومِثْلى قد يضُرّ ويَنفع
وشتّان ما بينى وبينكَ إنّنى على كُل حالٍ أستقيم (٥) وتَظْلَع

(١) فى غير التجريد : « ألست » . (٢) فى غير التجريد : « ما عملت »
(٣) فى غير التجريد : « والخنا » مكان « والحمق » .
(٤) رواية الأغانى : « ولطف » مكان « وبقيا » . (٥) يظلع : يغمز فى مشيه .

ولہ فی صاحب

وله أيضاً فى صاحب يَنأى بُودّه عنه كلما قاربه :

بُليتُ بصاحبٍ إنْ أدْنُ شبراً يَزِدْنى فى مُباعــدةٍ ذِراعاً
وإن أمدُد له فى الوَصـل ذَرعى يزِدنى فوق قِيس[1] الذَّرع باعا
أبت نفسى له لا أتبّــاعا وتأبى نفسُــه إلا امتناعا
كلانا جاهــد أدنو ويَنأى فذلك ما استطعتُ وما استطاعا

شعره الذى فيه الغناء وسببه

وذُكر أنه كان لأبى الأسود امرأةٌ من عبد القَيس ، فأسنّ وضَعُف عما يُطيقه الشباب من أمر النساء ، وكانت له امرأة أخرى قَيْسية[2] ـ يقال لها : أمّ عَوف ـ قد أسنّت وعجزت ، وكانت مُوافقة له . فقال فيها ، وهو الشِّعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى الأسود :

أبى القلبُ إلا أمَّ عوف وحُبَّهـا عجوزا ومن يُحببْ عجوزاً يُفنَّـدِ
كسَحْق[3] يمانٍ قد تقادم عهدُه ورُقعتُه ما شئتَ فى العَين واليَد

شعره فى مقتل على ابن أبى طالب

وذُكر أن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لمّـا قتله عبــدُ الرحمن بن مُلْجم المُرادىّ ، وأظهر معاويةُ بن أبى سفيان الشماتةَ بقتله ، قال أبو الأسود :

ألاَ أبْلغ مُعــاوية بن حَرب فلا قرّت عيــونُ الشَّامتِينا
أفى شهر الصيــام فجعتمـونا بخَير النــاس طُرًّا أجمعينا
قتلتُم خير مَن ركب المطــايا وخَيَّسها[4] ومَن ركب السَّفينا
ومَن لَبس النِّعال ومن حَذاها ومَن قرأ المَثــانى والمِئينـا
إذا استقبلت وجه أبى حُسين رأيت البــدر راقَ الناظرينا
لقد علمتْ قريشٌ[5] حيثُ كانت بأنّك خيرُها حَسَبا ودِينـا

(١) قيس : قدر . (٢) الذى فى الأغانى : « قشيرية » .
(٣) السحق : الثوب البالى . ويروى : « كثوب » . (٤) خيسها : ذللها .
(٥) فى الأغانى : « حلت » مكان « كانت » .

شعره فى ابن الجارود وقصد كساه

وذُكر أن المُنذر بن الجارود كان صديقاً لأبى الأسود ، وكان كُل واحد منهما يَغْشَى صاحبه ، وكانت لأبى الأسود الدُّؤلى مُقَطَّعة [1] من بُرود يُكثر لُبسها . فقال له المُنذر : لقد أدمنت لُبس هذه المُقَطَّعة ! فقال له أبو الأسود : رُبّ مملول لا يُستطاع فِراقه . فَعلم المُنذر أنه قد احتاج إلى كُسوة ، فأهدى له ثِيابا . فقال له أبو الأسود يمدحه :

كساكَ ولم تَسْتَكسه فحَمِدْتَه ... أخٌ لك يُعطيك الجَزيلَ وناصرُ
وإن أحقّ الناس إن كنتَ حامدا ... بحمدك من يُعطيك [2] والعِرْضُ وافرُ

من شعره فى ابنه

ومن جيّد شعر أبى الأسود ممّا كان يُخاطب به ابنَه :

لا تُرسلنّ رسالةً مشهورةً ... لا تَستطيع إذا مضت إدراكَها
أكرِمْ صديقَ أبيك حيث لَقِيته ... وأحْبُ الكرامةَ مَن بَدَا فَحَباكَها
لا تُبدينّ نميمةً حُدِّثْتَها ... وتحفّظنّ من الذى أنباكَها

هو وزياد فى عذر لم يقبله

وذُكر أن أبا الأسود اعتذر إلى زياد بعُذر ، فلم يَقبله منه ، فقال :

إنّنى مُجرم وأنت أحقّ النّـ ... ـاس أن تَقبل الغَداةَ اعتذارى
فاعفُ عنى فقد سَفِهتُ وأنت الـ ... ـمرء تَعفو عن الهَنَات الكِبار

فتبسّم زياد وقال : أما إذا كان هذا قولُك فقد قبلتُ عُذرك ، وعفوتُ عن ذنبك .

وله يحث ابنه على العمل

وذُكر أنّ أبا حَرب بن أبى الأسود كان قد لَزِم منزلَ أبيه بالبَصرة ، لا يَنتجع أرضا ولا يطلُب الرزق فى تجارة ولا غيرها ، فعاتبه أبوه على ذلك . فقال أبو حرب : إن كان لى رِزق فسيأتينى . فقال أبو الأسود :

وما طَلَبُ المَعيشة بالتمنّى ... ولكنْ ألْقِ دَلْوكَ فى الدِّلاء
تَجِئْك بمَلْئِها يوماً ويوما ... تَجِئْك بحَمْأة [3] وقليلِ ماء

* * *

أبو نفيس

ثم ذَكر أبو الفرج أبا نَفيس التميمى ، ولم أختر له شيئا أرتضيه .

(١) المقطعة : شبه الجباب . (٢) فى الأغانى : «أعطاك» . (٣) الحمأة : الطين الأسود .

أخبار سويد بن كراع

ثم ذكر سُويد بن كُراع ، أحدَ بنى قيس بن عُكْل ، وكان من شُعراء الدولة الأُموية فى أيام جرير والفرزدق ، ولم أختر له إلا قوله من قصيدة يمدح بها بَغِيض بن عامر بن شمّاس بن لأى بن أنف الناقة بن عوف بن كعب بن زيد مَناة بن تميم ، وأولها :

شىء عنه وقصيدته فى مدح بغيض ابن عامر

أرتعتُ للزَّور إذ حيَّا فأرّقنى ولم يكن دانياً منّى ولا [1] صَدَدَا

يقول فيها :

لا يُبْعِد الله إذ ودَّعتُ أرضهمُ أخى بَغيضاً ولكنْ غيرُه بَعِدَا

ومن تُلاقيه بالمعروف مُعترفا إذا أُجرهِدَّ صفا المذموم [2] أو صَلَدا

لاقيتَه مُفْضِلاً تَنْدَى أنامله إنْ يُعْطِك اليومَ لا يمنعْك منه [3] غدا

تجىءُ عفواً إذا جاءت عطيّتُه ولا تُخالط تَزْييفاً [4] ولا زَهَدَا

بَحْرٌ إذا نكِس الأقوامُ [5] أو زَهِدوا لاقيتَ خيرَ يدَيه دائماً رَغَدا

لا يَحْسب المدحَ خَدْعاً حين تمدحه ولا يرَى البُخلَ مَنْهاةً له أبدا

إنى لرَافِدُه وُدِّى [6] ومُنْتَصرى وحافِظٌ غَيْبَه إن غاب أو شَهِدا

* * *

ثم ذكر أبو الفرج أبا الطَّمحان القينى ، وقد تقدّمت ترجمته قبل ذلك نسبه [7] .

---

(١) الزور : الطيف . والصدد : القصد والقرب .

(٢) الصفا : الحجر . واجرهد : لم ينبت . وصلد : املاس . وأو هنا بمعنى الواو . يريد ملس فلم يكن مظنة إنبات . وجعله صفا ، لأنه أندر إنباتاً . يصفه بالبخل أصلا وطبعا ، ثم لقى عنه هذا القليل الذى قد يكون .

(٣) فى الأغانى : « ذاك » مكان « منه » .

(٤) فى الأغانى : « ترنيقا » مكان « تزييفا » . والترنيق : التكدير . والزهد : القلة

(٥) فى الأغانى : « ضجروا » مكان « زهدوا » .

(٦) فى الأغانى : « ومنصرتى » مكان « ومنتصرى » .

(٧) هذا مكان ذكر أبى الطمحان حسبما أورده أبو الفرج ، وقد وضعناه حيث وضعه وأشرنا فى الموضع الذى قدمه فيه ابن واصل إلى ذلك .

أخبار أبى الطَّمَحان

نسبه — وهو حَنظلة بن الشَّرْقىّ ، أحد بنى القَيْن بن جَسْر بن شَيْع الله ، من قُضاعة .

شاعر مخضرم — وهو شاعر فارس صُعلوك ، خَبيث الدِّين فيما ذُكر . من المُخضرمين ، أدرك الجاهليّة والإسلام (١) .

ترب الزبير بن عبد المطلب — وكان تِرْباً للزُّبير بن عبد المُطلب ، عمّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فى الجاهلية ، ونديماً له .

خبره مع قيسبة السكونى — وحُكى أنه خَرج قَيْسبةُ بن (٢) كُلثوم السَّكُونىّ فى الجاهليّة ، وكان ملكاً ، يريد الحجّ وكانت العربُ فى الجاهليـة لا يَعرض بعضُهم لبعض . فمرّ ببنى عامر بن عُقَيل ، فوثبوا عليه فأسروه وأخذوا مالَه وما كان معه وألقوه فى الأغلال والقيود . فمكث كذلك ثلاثَ سنين ، وشاع خبرُه باليمن أن الجنّ استطارته (٣) . فبينا هو فى يومٍ شديدِ البرد فى بيتِ عجوزٍ منهم إذ قال لها : أتأذنين لى أن آتى الأَكمة فأتشرّق عليها (٤) ، فقد أضرّ بى القُرّ ؟ فقالت له : نَعم . وكانت عليه جُبّة له حِبَرةٌ لم يُترك عليه غيرُها . فتمشّى فى أغلاله وقُيوده حتى صَعِد الأَكمة ، ثم أقبل يَضرب ببصره نحو اليمن ، وتغشّته عَبرة فبكى ،

(١) العبارة فى الأغانى : « وهو من المخضرمين ، أدرك الجاهلية والإسلام ، فكان خبيث الدين فيهما كما يذكر » .

(٢) فى االتجريد : « قيس » . (٣) استطارته : ذهبت به .

(٤) أتشرق : أجلس بالمشرقة ، وهى حيث تشرق الشمس .

ثم رفع طَرْفه إلى السماء وقال : اللهم ساكنَ السموات ، فرِّج لى مما أنا فيه . فبينا هو كذلك إذ عرض له راكبٌ يسير . فأشار إليه أن أَقْبِل . فأقبل الراكب . فلما وقف الراكبُ عليه قال له : ما حاجتُك يا هذا ؟ قال له : أين تريد ؟ قال : أُريد اليمن . قال : ومَن أنت ؟ قال : أنا أبو الطَّمحان القَيْنى . فاستعبر باكيا . فقال له أبو الطَّمحان: مَن أَنت ؟ فإنى أرى عليك سِيما الخير ولِباس المُلوك ، وأنت بدار ليس فيها ملك ! قال: أنا قَيْسبة بن كُلثوم السَّكُونى ، خرجتُ عامَ كذا وكذا أُريد الحج ، فوثب علىّ هذا الحىُّ فصنعوا بى كما ترى ، وكَشف عن أغلاله وقُيوده ، فاستعبر أبو الطَّمحان . فقال له قَيسبةُ : هــل لك فى مائة ناقة حمراء ؟ فقال : ما أحوجنى إلى ذلك ! قال : فأَنِـخْ . فأناخ . ثم قال له : أمعك سِكِّين ؟ قال : نعم . قال : ارفع لى عن رَحْلِك . فرفع عن رَحْله حتى بدت خَشبةُ مُؤْخِره . فكَتب عليها قَيْسبة بالخط المُسْنَد ـ (١) وليس يكتب به غيرُ أهل اليمن ـ :

بَلِّغــا كِنْدةَ المــلوكَ جميعاً ... حيثُ سارت بالأكرمين الجِمالُ
أن رِدُوا العيْن بالخميس عِجــالاً ... واْصدُروا عنه والرَّوايا (٢) ثِقال
هَــزِئت جارتى وقالت عَجيبــا ... إذ رَأتنى فى جيــدىَ الأغلال
إنْ ترَيْنى عارِى العِظام أسِــيراً ... قد بَرانى تَضَعْضعٌ واْختِــلال
فلقــــد أقدُم الكتيبةَ بالسَّيـ ... ـف علىّ الســلاحُ والسِّرْبال

وكتب تحت الشعر إلى أخيــه أن يدفع إلى أبى الطَّمحان مائة ناقة حمراء ، ثم قال له : أقرىء هذا قومى ، فإنهم سيُعطونك مائة ناقة حمراء . فخرج تســير به ناقتُه حتى أَتى حَضْرموت ، فتشاغل بمـــا وَرد له ونسَى أَمر قَيْسبة حتى فَرَغ من حوائجه ، ثم سَمع نسوةً من عجائز اليمن يتذاكرْن قَيسبة ويَبكين ، فذكر أمره ، فأَتى أخاه الجَوْن بن كُلثوم ، وهو أخوه لأبيه وأمه ، فقال له : يا هذا ، إنى دالُّك

(١) المسند : خط حمير .

(٢) الخميس : الجيش من خمس فرق . والروايا : جمع راوية ، وهى المزادة فيها ماء .

على قَيسبة ، وقد جعل لى مائة ناقة حمراء . قال : فهى لك . فكشف عن الرحل، فلما قرأه الجونُ أمر له بمائة ناقة . ثم أتى قيسَ بن مَعديكرب الكِندىّ ، أبا الأشعث بن قيس ، فقال له : يا هذا، إن أخى فى بنى عُقَيل أسير فسِر معى بقَومك . فقال له : أتسير تحت لوائى حتى أطلُب ثأرَك وأُنجدك ، و إلاّ فأمض راشداً ؟ فقال له الجونُ : مَسُّ السماء أيسرُ من ذلك وأهونُ علىّ مما خَيَّرتَه . وضَجّت السَّكُون [١] ، ثم فاءوا ورَجعوا وقالوا له : ما عليك مِن هذا ؟ هو أبن عمك ويطلُب لك ثأرك . فأنعَم [٢] له بذلك ، وسار قيسٌ وسار الجون معه تحت لوائه ، وكندةُ والسَّكون معه أيضاً . فهو أولُ يومٍ أجتمعت فيه السَّكون وكِندة لقَيْس ، و به أدرك الشرف . فسار حتى أوقع بعامر بن عُقيل ، وقتل منهم مَقتلة عظيمة ، وأُستنقذ قَيسبة . وقال فى ذلك سَلامةُ بن صُبيح الكِندىّ :

لا تَشْتِمُونا إذ جَلبنا لكم ... أَلفَىْ كُمَيت كلّها [٣] سَلْهَبَهْ

نحن أَبلْنا الخيل فى أرضكم ... حتى ثأرنا بكمُ [٤] قَيسبة

وأعترضتْ من دُونه [٥] مَذْحِج ... فصادفوا من خَيلنا مَشْغَبه

من فسقه

ومما يُحكى من فِسْق أبى الطَّمحان أنه قيل له : ما أدنى ذُنوبك ؟ قال : ليلة الدَّيْر . فقيل : وما ليلة الدَّير ؟ قال : نزلتُ بدَير نَصرانية فأكلتُ عندها طَفَيْشَلاً [٦] بلحم خِنزير ، وشربتُ من خَمرها ، وزنيتُ بها ، وسرقتُ كساءها ، ثم أنصرفتُ عنها .

هو فى حرب الفساد

وذُكر أنّ أبا الطَّمحان القَيْنىّ كان مُجاوراً فى جَديلة من طيئ ، وكانت طيئ قد أُقتتلت بينها وتحاربت الحربَ التى يقال لها حربُ الفَساد ، وتحزّبت حِزْبين :

(١) السكون : بطن من كندة .
(٢) أنعم له : قال له : نعم .
(٣) سلهبة : طويلة .
(٤) فى الأغانى : « منكم » .
(٥) فى الأغانى : « دونهم » .
(٦) الطفيشل : نوع من المرق .

حزبَ جَديلة وحِزب الغَوث . وكانت هذه الحرب بينهم أربعة أيام ، ثلاثة منها للغوث وواحدٌ لجَديلة ، وكانت الكَرَّة على جَديلة فى آخر الأيام الثلاثة التى للغوث ، فانهزمت جديلةُ هزيمةً قبيحةً ، وهَربت فلحقت بكَلب وحالفتهم وأقامت فيهم عشرين سنة . وأُسر أبو الطمَحان القَينىّ ؛ أسره رجلان من طيئ اشتركا فيه . فاشتراه منهما بُجير بن أوس بن حارثةَ بن لأم الطائى ، فمدحه بقصيدة ، منها :

إذا قيل أىُّ الناس خيرٌ قبيلةً ... وأصبرُ يوماً لا تَوارَى[1] كواكبُه

فإنَّ بنى لأم بن عمرو أرومةٌ ... عَلت فوق صَعبٍ لا تُرام[2] مَراقبه

أضاءت لهم أحسابُهم ووُجوههم ... دُجَى اللَّيل حتى نَظَّم الجَزْع[3] ثاقبه

لهم مجلسٌ لا يَحْصَرون عن النَّدى ... إذا مَطلب المَعروف أجدبَ راكبه

فأطلقه وجَزَّ ناصيته . فمدحه بعدها بعدّة قصائد .

أنشد إسحاق الموصلى للرشيد من شعره وهو مكتئب فأجازه

وحكى إسحاق الموصلىّ قال :

دَخلتُ يوماً على الرشيد[4] فوجدته خاثراً متفكِّرا غير نَشيط، فأخذتُ أحادثه بمُلَح الأحاديث وطُرَفها ، أستميله لأن يَضحك ويَنْشط ، فلم يَفعل . وخَطر ببالى بيتان ، فأنشدتُه إياهما ، وهما :

ألا عَلِّلانى قبلَ نَوْح النَّوائح ... وقبل نُشوز النَّفس بين[5] الجوانح

وقبل غدٍ يا لَهْفَ نَفسى على غدٍ ... إذا راح أصحابى ولستُ برائح

فتنبَّه كالمُتفزِّع ثم قال : ويحك ! مَن يقول هذا ؟ قلت : أبو الطَّمحان القَينىّ يا أمير المؤمنين . فقال : صَدق والله ! أَعِدْها . فأعدتُهما عليه حتى حَفظهما . ثم دعا بالطعام فأكل . وبالشَّراب فشَرب ، وأمر لى بعشرين ألف درهم[6] .

(١) لا توارى ، أى لا تتوارى . (٢) فى الأغانى : « لا تنال » .

(٣) الجزع : الخرز اليمانى والصينى ، وفيه سواد وبياض ، وهو من أجل ذلك يختلط على الناظم فى الظلام . (٤) فى الأغانى : «المأمون» .

(٥) النشوز : الارتفاع . يريد خروج النفس عند الموت .

(٦) لم يشر ابن واصل إلى الشعر الذى فيه الغناء من أشعار أبى الطمحان ، مع أنه قد ساقه قبل ؛ هو الأبيات البائية المتقدمة .

أخبار الأسود بن يعفر

نسبه هو الأسود بن يَعْفُر[1] بن عبد الأسود بن جَندل[2] بن نَهشل بن دَارم بن مالك بن حَنظلة بن مالك بن زَيد مَناة بن تَميم . وأُمه من بنى عِجل .

طبقته شاعر مُتقدِّم فَصيح ، من شُعراء الجاهليّة ، ليس بالمُكْثِر . وجعله ابن سلّام فى الطبقة الثامنة[3] مع خِداش بن زُهير ، والمخبَّل السّعدى ، والنَّمِر بن تَولب .

من العشى وداليته وهو من العُشْى المَعدودين فى الشُّعراء . وقَصيدته الداليّة مَعدودة من مُختار أشعار العرب ، وأولُها :

نام الخَلِىُّ وما أُحِسُّ رُقادِى   والهمُّ مُحتَضِرٌ لدىَّ[4] وِسَادِى

يقول فيها :

ولقد علمتُ لو أنّ عِلْمى نافِعِى   أنّ السَّبِيل سبيلُ[5] ذى الأعْوادِ
ماذا أؤمِّل بعد آلِ مُحرِّق   تركوا منازلَهم وبعدَ[6] إيَادِ

---

(١) بضم الياء والفاء ، وبفتحها مع ضم الفاء وكسرها .

(٢) فى التجريد : « جرول » .

(٣) مكانه فى الطبقات لابن سلام بين شعراء الطبقة الخامسة. وليس بينهم هناك النمر بن تولب . ونقل البغدادى فى الخزانة (١ : ١٩٥ طبعة بلاق) : « قال السيوطى : وجعله محمد بن سلام فى الطبقة الثانية مع خداش بن زهير والمخبل السعدى والنمر بن تولب » .

(٤) سادى : بائت لا يبرح .

(٥) ذو الأعواد : مخاشن بن معاوية ، من أجداد أكثم بن صيفى . وقيل له : ذو الأعواد ، لسرير كانوا يحملونه عليه لما أسن . أى إن مصير كل حى مصير هذا الجد .

(٦) آل محرق : ملوك الحيرة من لخم. ومحرق — الذى أضيفوا إليه — امرؤ القيس بن عمرو . وقيل غيره . وكان أول من حرق العرب فى ديارهم . وإياد : قبيلة كان فناؤهم على يد سابور ذى الأكتاف .

أهلِ الخَوَرْنق والسَّدير وبارق ... والقَصْرِ ذى الشُّرفاتِ مِن[1] سِنْداد
نَزَلُوا بأنقُرةٍ يَسيل عليهمُ ... ماءُ الفُرات يجىء من[2] أَطْوَاد
ولقد غَنُوا فيها بأعظَمِ[3] عِيشةٍ ... فى ظِلِّ مُلْكٍ ثابت الأَوْتاد
فإذا النَّعيمُ وكُلُّ ما يُلْهَى به ... يوماً يَصِيرُ إلى بِلًى ونَفاد
جَرت الرِّياحُ على رسوم[4] ديارهم ... فكأنما كانوا على مِيعَاد

بين على بن أبى طالب ومولى لجرير بن يزيد فى بيت للأسود

وحكى سنانُ بن يزيد قال :

كنتُ مع مولاى جرير بن يزيد التَّميمى ، وهو يسير أمام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهو يقول :

يا فَرَسى سِيرى وأُمِّى الشامَا ... وخَلِّفى الأخوالَ والأعمامَا
وقَطِّعى الأجواز[5] والأعلاما ... وقاتِلى مَن خالف الإمَاما
إنّى لأرجو إن لَقِينا العاما ... جَمْعَ بنى مَيَّةَ الطَّغاما
أن نقتُل العاصىَ والهُماما ... وأن نُزيل مِن رجالٍ هاما

فلما انتهى إلى مدائن كسرى وقف علىٌّ رضى الله عنه وتوقَّفنا ، فتمثّل مولاى قولَ الأسود بن يعفُر :

جرتِ الرِّياحُ على مَحَلِّ ديارهم ... فكأنما كانُوا على مِيعاد

فقال له علىّ رضى الله عنه : لِمَ لم تقُل كما قال الله عز وجل : (كَمْ تَرَكُوا مِنْ

(١) الخورنق : من قصور النعمان بالحيرة ، بناه له سنمار ، وجزاه النعمان عليه بأن ألقاه من فوقه . والسدير : قصر بالحيرة . وقيل : نهر . وبارق : ماء بالعراق . وسنداد : منزل أسفل سواد الكوفة لإياد .

(٢) أنقرة : بلد بالحيرة . والأطواد : الجبال . والرواية فى الأغانى : « يفيض » فى الموضعين مكان : « يسيل ، ويجىء » .

(٣) فى المفضليات : « بأنعم » .

(٤) فى الأغانى : « محل » .

(٥) الأجواز : الفضاء . والأعلام : الجبال .

جَنَّاتٍ وعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ . كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ) . ثم قال : يابن أخى ، هؤلاء كفروا بالنّعمة فحلّت بهم النِّقمة ، فإياكم وكُفرَ النِّعمة فتحلّ بكم النِّقمة .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الأسود بن يَعْفر ، هو :

لا يَعْتَرى شَرْبَنا اللِّحاء وقد ... تُوهَبُ فينا القِيانُ(١) والحُلَلُ

وفِتْيَةٍ كالسُّيوف نادمتُهم ... لا حَصَرٌ فيهم ولا بَخَلُ

شعر أخيه حطائط وقد لامته أمه على جوده

وكان له ابنٌ يقال له : الجَرّاح شاعر . وكان له أخ يقال له : حُطائط شاعر ، وهو الذى يقول لما لامتْه أمه على فَرط جُوده :

أَرِينى جَواداً مات هُزْلاً لعلّنى ... أَرى ما تَرَيْنَ أو بخيلاً مُخَلَّدَا

ذَرِينى أكُنْ للمال ربًّا ولا يكُن ... لى المالُ ربًّا تَحْمَدِى غِبَّه غدا

ذَرِينى فلا أعيا بما حَلّ ساحتى ... أَسُودُ فأُكْفَى أو أُطِيع المُسوَّدا

ذَرِينى يكُن مالى لِعِرْضِى وقايةً ... يَقِى المالُ عِرضى قبل أن يتبدَّدا

(١) الشرب : القوم المجتمعون على الشراب . واللحاء : النزاع . والقيان : جمع قينة ، وهى الأمة المغنية .

أخبار أرطاة بن سُهيّة

هو أرطاة بن زُفَر بن عَبد الله بن مالك شدّاد بن عُقْفان بن أبى حارثة بن مُرة بن نُشْبة بن غَيْظ بن مُرّة بن عَوْف بن سَعد بن ذُبْيان . نسبه

وسُهيّة أمه . وهى بنتُ زامِل بن مَرْوان بن زُهَير . سَبِيَّــةٌ من كَلْب . أمه

وقد ذُكر أنها كانت لضِرار بن الأَزور ، ثم صارت إلى زُفَر ، وهى حاملٌ ، فجاءت بأرطاة من ضِرَار على فراش زُفَر . فلما ترعرع أرطاةُ جاء ضرارٌ إلى الحارث ابن عوف ، فقال له : هو بين ضرار وزفر زوجى أمه

يا حارثُ أفكُك لى بُنَيّ من زُفرْ   فى بعض من تُطلق من أَسْرَى مُضَرْ

إنّ أباهُ امرؤ سَوْء إن[1] كفرْ

فأعطاه الحارث إياه ، وقال : انطلق بابنك . فأدركه نَهشلُ بن حَريّ ابن غَطَفان ، فانتزعه منه وردّه إلى زُفَر . وفى مِصداق[2] ذلك يقول أرطاةُ لبعض أولاد زُفَر :

فإذا خَمِصتُمْ قلتُمُ يا عمَّنا   وإذا بَطِنتم قلتم ابْنَ الأَزْوَرِ

وكذلك غلبت أُمه سُهيّةُ على نَسبه .

وأرطاةُ شاعرٌ فصيح ، معدود فى طَبقات الشُّعراء المعدودين[3] فى شُعراء الإسلام فى دولة بنى أمية ، لم يَسْبقها ولم يتأخّر عنها . وكان امرأ صِدْقٍ شريفاً فى قومه جواداً . طبقته

---

(١) كفر : أى جحد حقه فى أبوته .   (٢) فى الأغانى : « تصداق » .

(٣) فى الأغانى : « من » .

هو وعبد الملك فيما ناقض به ابن البرصاء

وذُكر أنّ أرطاة بن سُهيَّة دَخل على عبد الملك بن مَروان ، فاستنشده شيئاً مما كان يُناقض به شَبِيبَ بن البَرْصاء ، فأنشده :

أبِي كان خيراً من أبيك ولم يَزل   جنيباً لآبائى وأنت[1] جَنيبُ

فقال له عبدُ الملك : كذبتَ ! شَبِيبٌ خيرٌ منك أباً . ثم أنشده :

وما زلتُ خيراً منك مُذْ عَضَّ كارهاً   برأسك عاديُّ النِّجادِ[2] رَسُوب

فقال له عبد الملك : صدقتَ ! أنت فى نفسك خيرٌ من شَبيب . فعَجِب مِن عبد الملك مَنْ حَضر ، ومِن مَعرفته بسائر الناس على بُعدهم منه فى بَواديهم . وكان الأمرُ على ما قال : شَبِيبٌ أشرفُ أباً من أرطاة ، وكان أرطاةُ أشرفَ فَعالاً ونَفساً من شَبيب .

هو وعبد الملك وقد أسن

وذُكر أنّ أرطاة بن سُهيَّة دَخل على عبد الملك بن مَروان ، فقال له : كيف حالُك يابن أرطاة ؟ — وكان قد أسنَّ — فقال : ضَعُفت أوصالى ، وضاع مالى ؛ وقَلَّ مِنِّى ما كنتُ أُحِب كَثْرَته ، وكَثُر ما كنتُ أُحِب قِلّته . قال : فكيف أنت فى شِعرك ؟ فقال : والله يا أميرَ المُؤمنين ما أَطربُ ولا أَغضبُ ولا أَرغبُ ولا أَرهبُ ، وما يكون الشِّعر إلّا من نَتائج هذه الأَربع ، على أنِّى القائلُ :

رأيتُ المرءَ تأكله اللَّيالِى   كأَكلِ الأرضِ ساقطةَ الحَديدِ
وما تَبْغِى المَنيَّة حين تأتى   على نَفس ابن آدمَ مِن مَزيد
وأعلم أنَّها ستكُرّ حتى   تُوَفِّى نَذْرها بأبِى الوَليد

فارتاع عبدُ الملك ثم قال : بل تُوفِّى نَذْرها بك وَيْلك ! وما لى ولك ؟ فقال : لا تُرَعْ يا أميرَ المُؤمنين ، فإنما عَنيتُ نَفسى — وكان أرطاةُ يُكنى

(١) الجنيب : الطائع المنقاد .

(٢) عادى : قديم . والنجاد : حمائل السيف . وعادى النجاد : أى سيف قديم . ورسوب : ماض يغيب فى الضريبة ويرسب .

أبا الوليد — فسكن عبدُ الملك ثم أستعبر باكياً وقال : أما والله على ذلك لَتُلِمَّنَّ بى[1] .

بينه وبين ابن قعنب وقد لاحاه

وذُكر أنّ أرطاة بن سُهَيَّة قال للربيع بن قَعنب :

لقد رأيتُك عُرياناً ومُؤتزراً فما عرفتُ أأنثى أنت أم ذَكَرُ

فقال له الربيع : لكن سُهَيَّة — يعنى أم أرطاة — قد عرفت . فغَلبت وأنقطع أرطاة .

تمثلت أم هشام بأبيات له حين عابها قرشى على زواجها بعمر بن عبد العزيز بعد ابن سهيل

وذُكر أنّ عبد الرحمن بن سُهَيل بن عمرو تزوّج أمّ هِشام بنتَ عبدِ الله أبن عُمرَ بن الخطّاب رضى الله عنه ، وكانت من أجمل نساء قُرَيش ، وكان يَجِد بها وَجْداً شديداً : فَمرِض مَرْضَته التى هَلك فيها ، فجعل يُديم النَّظر إليها وهى عندَ رأسه . فقالت له : إنك لتنظرُ إلىّ نَظَر رجُلٍ له حاجة ! قال : إى والله ، إنّ لى إليك حاجةً لو ظفرتُ بها لهان علىّ ما أنا فيه . فقالت: وما هى ؟ قال : أخاف أن تَتزوَّجى بعدى . قالت : فما يُرضيك من ذلك ؟ قال : أن تُوثِّقى لى بالأَيمان المُغلَّظة . فحَلفت له بكُل يَمين سكنتْ إليها نفسُه . ثم هلك . فلما قَضت عِدَّتها خَطبها عمرُ بن عبد العَزيز رضى الله عنه ، وهو إذ ذاك أميرُ المُؤمنين ، فأرسلت إليه : ما أُراك إلّا وقد بلغَتك يَمينى . فأرسل إليها : لك مكانَ كُل عَبدٍ وأمة عَبدان وأَمتان ، ومكانَ كُلِّ عِلقٍ عِلْقان[2] ، ومكانَ كُل شيء ضِعْفُه . فتزوَّجته . فدَخل عليها رجلٌ مُغفَّل من مَشيخة قُريش ، فلما رآها مع عُمر خاليةً[3] قال :

تبدلتِ بعد الخَيْزُرَان جريدةً وبعدَ ثيابِ الخَزِّ أحلامَ نائمِ

(١) أى لتنزلن بى .

(٢) العلق : النفيس من كل شيء .

(٣) فى الأغانى : « جالسة » .

فقال له عمر : ويْلك جعلتَنى! جريدةَ وأحلامَ نائم ! فقالت أمّ هاشم : ليس كما قلتَ ، ولكنْ كما قال أَرطاة بن سُهيّة :

وكائن ترى من ذاتِ بثٍّ وعَوْلةٍ بكت شَجْوَها بعد الحَنين المُرجَّع
وكانت كذات البَوِّ[1] لمّا تعطَّفت على قِطَع من شِلْوه المتمزّع
متى لا تجدْه تنصرفْ[2] لطِيّاتِها من الأرض أو تَعْمِد لإلْفٍ[3] فتَنْزِع
عن الدّهر فاصْفَح إنه غيرُ مُعْتِبٍ وفى غيرِ مَن قد وارتِ الأرضُ فاطْمع

خبر هذا الشعر وهو فى رثاء ابنه

وهذه الأبياتُ من قصيدةٍ يَرْثى بها أرطاةُ ابنَه عَمراً ، وكان مات فجَزِع عليه حتى كاد عقلُه يَذهب ، فأقام على قبره وضَرب بيتَه عنده ، وأقام حولاً لا يُفارقه . ثم إنّ الحَىّ أرادوا الرَّحيل لنُجْعة بَغوها ، فغدا على قَبره وناداه : رُحْ يا بن سَلْمى معنا . فقال له قومُه : ننشُدك الله فى نَفسك وعَقلك ودينك ! كيف يروح معك مَن مات منذ حَول ؟ فقال : أَنظرونى الليلةَ إلى الغداة . فأقاموا عليه ، فلمّا أصبح ناداه : اُغدُ يا بن سَلْمى معنا . فلم يزل الناسُ يُذكّرونه الله ويُناشدونه . فانتضى سيفَه وعَقر راحلته على قبره وقال : والله لا أَتبعكم ، فامضُوا إن شئتم أو أقيموا . فرَقُّوا له ورحِموه ، وأقاموا عامَهم ذلك وصبروا على مَنزلهم . وقال أرطاةُ هذه القصيدة ، وأولها :

وقفتُ على قَبر ابن سَلْمى فلم يكن وُقوفى عليه غيرَ مَبْكًى ومَجْزَعِ
هل أنت ابنَ سلمى إن نظرتُك رائحٌ مع الرَّكب أو غادٍ غداةَ غدٍ معى
أأنسى ابنَ سَلْمى وهو لم يأتِ دونه من الدّهر إلّا بعضُ صَيْفٍ ومَربَع
وقفت على جُثمان عَمرٍو فلم أجد سوى جَدثٍ عافٍ ببَيْداء بَلْقع

(١) البو : جلد الحوار يحشى ثم يقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر .
(٢) طياتها ، بالتشديد وخفف للشعر : جمع طية ، وهى الوجه والقصد .
(٣) فى الأغانى : « فتربع » .

وذُكر أنه كان يأتى قبرَ ابنه كُلَّ عشيَّة فيُنادبه : هل أنت رائحٌ معى يا بن سَلْمى ؟ ثم ينصرف . ويغدو عليه ويقول له مثلَ ذلك ، فمكث كذلك حولاً ، ثم تمثّل قولَ لَبيد بن ربيعة :

إلى الحولِ ثم اسمُ السلام عليكما ... ومَن يَبْكِ حولاً كاملاً فقد اعتذرْ

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أرطاة بن سُهية ، هو :

أعاذلتى ألا لا تَعْذُلينا ... أقِلِّى اللومَ إن لم تَنْفعينا

فقد أكثرتِ لو أغنيتِ شيئاً ... ولستُ بقابلٍ ما تأمُرينا



أخبار جعفر بن علبة

نسبه وكنيته
هو جعفر بن عُلبةَ بن رَبيعة بن عبدِ يَغوث بن مُعاوية بن صَلاءة بن المُعَقَّل ابن كعب. ويُكنى أبا عارم.

شاعر مخضرم
وهو من مُخضرَمى الدَّولتين: الأُموية والعبّاسية. شاعر مُقِلٌّ، غَزِل، فارس.

أبوه شاعر
وكان أبوه عُلْبَةُ بن رَبيعة شاعراً أيضاً.

إغارته على بنى عقيل ومقتله
وذُكر أنّ جعفر بن عُلْبَةَ شَرِب الخمر فسكر، فأخذه الوالى فحبسه، فأنشأ يقول فى حَبسه:

لقد زَعموا أنّى سكرتُ ورُبما ... يكونُ الفتى سكرانَ وهْوَ حَليمُ
لعمرُكَ ما بالسُّكر عارٌ على الفتى ... ولكنّ عاراً أنْ يُقال لَئيم
وإنّ فتًى دامت مواثيقُ عهده ... على دُونِ[1] ما لاقيتُه لكَريم

وذُكر أنّ جعفر بن عُلْبةَ خَرج هو وعلىُّ بن جُعدُب الحارثى، والنَّضر ابن مُضارب، وأغاروا على بنى عُقيل. وأن بنى عُقيل خَرجوا فى طَلبهم، وافترقوا عليهم فى الطريق، ووضعوا عليهم الأرصاد على المَضايق. وكانوا كلما أفلتوا من عُصبة لقيتْهم أُخرى، حتى انتهَوْا إلى بلاد بنى نَهد، فرجعت عنهم عُقيل. وقد كانوا فتكوا[2] فيهم، فذلك حين يقول جعفر بن عُلْبة:

وسائلةٍ عنّا بغَيْبٍ وسائلٍ ... بمَصدقنا فى الحَرب كيف نُحاوِلُ
عشيةَ قُرَّى سَحْبَلٍ إذ تَعطَّفت ... علينا الولايا[3] والعدوُّ المُباسِل

---

(١) فى بعض أصول الأغانى: «مثل». (٢) فى الأغانى: «قتلوا».

(٣) قرى سحبل: موضع فى بلاد بنى الحارث بن كعب. والرواية فى معجم البلدان والحماسة (ص ١٩ طبعة أوربة): «ألهفى بقرى ... الخ». والولايا: العشائر والقبائل. والرواية فى الأغانى: «السرايا». وهى جمع سرية، وهى الطائفة من الجيش.

إذا ما رُصِدْنا مَرْصَداً فرجتْ لنا بأيماننا بيضٌ جَلَتْها الصَّياقل
وقالوا لنا ثِنْتان لا بُدّ منهما صُدورُ رِماحٍ أُشْرِعتْ أو سَلاسل
فقلنا لهم تلكم إذاً بعد كَرَّة تُغادر صَرْعَى نَهْضُها مُتخاذِل
وقَتْلَى نُفوسٍ في الحياة زَهيدةٍ إذا اشْتَجر الخَطِّيُّ والموتُ نازل
ولم نَدْر إن جِضْنا[1] من الموت جَيضةً كمِ العُمرُ باقٍ والمَدَى مُتطاوِل
لهم صَدرُ سَيفي يومَ بَطحاءِ سَحْبَلٍ ولى منه ما ضُمَّت عليه الأَنامل

فاستعدتْ عليه بنو عُقيل السريَّ بنَ عبد الله الهاشميّ ، عاملَ مكة لأبي جعفر المَنصور ، فأَرسل إلى أَبيه عُلْبة بن رَبيعة ، فأخذه بهم ، وحبسه حتى دفعهم وسائرَ من كان معهم إليه . فأما النَّضرُ فاستُقيد[2] منه بجراحة ، وأما عليّ بن جُنْدُب فأفلت من الحبس ، وأما جَعفر بن عُلْبة فأقامت عليه بنو عُقيل بيّنة أنه قتل صاحبهم ، فقُتل به .

رواية أخرى عن مقتله

وذُكر أنّ السبب في قَتل جعفر بن عُلبة أنه كان يَزُور نساءً من بني عُقيل ابن كعب ، وكانوا هم و بنو الحارث بن كَعب مُتجاورين ، فأخذتْه بنو عُقيل وكشفوا دبُرَ قَميصه وضَربوه بالسياط وكَتَّفوه ، ثم أَقبلوا به وأَدبروا على النِّسوة اللاتي كان يتحدّث إليهن على تلك الحال ، ليَغيظوهنّ ويَفضحوه عندهن . فقال لهم : يا قوم ، لا تَفعلوا فإن هذا الفِعل مُثْلَةٌ ، وأنا أحلف بما يُثلج صُدوركم ألّا أزور بيوتكم أبداً ولا أَلِجَها . فلم يقبلوا ذلك منه . فقال لهم : فإذا لم تفعلوا ذلك فحَسْبُكم ما قد مَضى ومُنُّوا عليّ بالكَفّ عنّي ، فإني أَعُدُّها نعمةً لكم ويداً لا أكفرها أبداً ، أو فاقتلوني وأريحوني ، فأكونَ رجلاً آذى قوماً في دارهم فقتلوه . فلم يفعلوا ، وجَعلوا يكشفون عورتَه بين أيدي النِّساء ويضربونه ، ويُغرون به سُفهاءهم ،

(١) جاض : عدل وانحرف . ولم يرد هذا البيت في غير التجريد .
(٢) استقيد منه : اقتص منه .

ثم خَلُّوا سبيله . فلم تَمْض إلا أيامٌ قلائلُ حتى عاد جعفرٌ ومعه صاحبانُ له ، فَدفع راحلتَه حتى أَولجهـا البيُوت ، ثم مَضى . فلمّا كان فى نُقْرة من الرَّمل أَناخ هو وصاحباه ، وكانت عُقيلٌ أَقْفَى خَلْق الله للأثر ، فأتبعوه حتى أنتهوا إليه و إلى صاحبيه . وليس مع العُقيليين عصاً ولا سلاح ، فوثب عليهم جعفر وصاحباه بالسُّيوف ، فقتلوا منهم رجلاً وجرحوا آخر وأفترقوا . فاْستعدت عليهم عُقيلُ السّرىَّ بن عبد الله الهاشمىّ ، عاملَ المنصور على مكة ، فأَحضرهم وحَبسهم . فقال جعفرُ بن عُلْبة ، وهو فى الحبس :

عجبتُ لَمسْراها وأنَّى تَخلَّصت ... إلىّ وبابُ السِّجن دُونِىَ[1] مُغْلَقُ

أَلمَّت فحيَّت ثم قامت فودّعت ... فلما تولّت كادت النفسُ تَزهَق

فلا تَحسبِى أنِّى تخشَّعتُ بعدكم ... لشىء ولا أنِّى من الموت أُفرَق

وكيف وفى كَفِّى حُسامٌ[2] مُذَلَّق ... يَعَضُّ بهاماتِ الرِّجال ويَعْلَق

ولا أنّ قلبى يَزْدهيه وعيدُهم ... ولا أننى بالمَشْى فى القَيد أَخْرق

ولكنْ عرتْنى مِن هواكِ صبابةٌ ... كما كنتُ أَلقَى منكِ إذ أنا مُطْلَق

فأما الهوى والوُدّ منِّى فطامحٌ ... إليك وجُثْمانى بمكّة مُوثَق

شعره الذى فيه الغناء

والبيت الأول والثانى هما اللذان فيهما الغناء ، وأُفتتح بهما أبو الفرج أخبار جعفر بن عُلبة .

قلت : والذى رواه صاحب الحماسة :

هواى مع الرَّكب اليمانين مُصعد ... جَنيبٌ وجُثْمانى بمكّة مُوثَق

هو فى موته

قيل : وكان السرىّ ، عامل مكة ، يُؤْثر أنْ يدرأ عنه الحَدّ لخؤولته ــ أبى العباس السفّاح فى بنى الحارث ، ولأن أخت جَعفر كانت تحت السرىّ بن عبد الله ،

(١) هذه رواية التجريد والحماسة . والذى فى الأغانى : « بالقفل» مكان « دونى » .

(٢) مذلق : محدد .

وكانت حظيّة عنده ـ إلى أن أقاموا عنده قَسامةً[1] أنه قَتل صاحبهم ، وتوعّدوه بالخُروج إلى أبي جعفر المَنصور والتظلُّم إليه . فحينئذ دعا بجَعفر بن عُلبة فأقاد منه . فلما أُخرج للقَوَد قال له غلام من قومه : أَسقيك شربة من ماء بارد ؟ فقال له : اسكُت لا أُمَّ لك ! إنّي إذاً لمِهْياف[2] . وانقطع شِسْع نَعْله ، فوقف فأَصلحه . فقال له رجل : أما يَشغلك عن هذا ما أنت فيه ؟ فقال :

أشُـدّ قِبالَ نَعْلِي أن يراني ... عدُوِّى للحوادث مُسْتكِيناَ

وكان الذى تولى ضرب عُنقه نَجْبَـةُ بن كُليب ، أخو المجنون ، وهو أحـد بني عامر بن عُقيل . فقال في ذلك :

شفَى النفس ما قال ٱبن عُلْبَـةَ جعفر ... وقَوْلى له اُصـبر ليس ينفعُك الصَّـبرُ
أبا عارمٍ ، فينـا عُرامٌ وشـدّةٌ ... وبَسطةُ أيمانٍ سواعدُها شُـعْر
همُ ضَربوا بالسَّـيف هامةَ جعفر ... ولم يُنْجِـه بَرٌّ عَريضٌ ولا بَحر
وقُدْناه قَوْدَ البَـكْر قَسراً وعَنوةً ... إلى القَبر حتى ضَمَّ أثوابَه القَـبر

لعلبة أبيه في رثائه

وقال عُلبة يرثى ٱبنه جعفراً :

لَعمرك إنِّى يوم أسـلمتُ جعفراً ... وأصحـابَه للموت لَمّـا أُقاتلِ
لَمُجْتنبٌ حُبَّ المنـايا وإنّمـا ... يَهيج المَنـايا كُلُّ حقٍّ وباطِل
فراح بهم قومٌ ولا قومَ عنـدهم ... مُغلَّلة أيديهمُ في السـلاسل
ورُبَّ أخٍ لى غاب لو كان شاهداً ... رآه التّباليّون[3] لى غيرَ خاذل

---

(١) القسامة : اليمين ، اسم أقيم مقام المصدر . وقيل : هم الذين يحلفون .
(٢) المهياف : الذى لا يصبر على العطش .
(٣) التباليون : نسبة إلى تباله ، بلد باليمن .

أخبار العجير السلولى

نسبه

هو العُجير بن عُبيد الله بن كعب بن عَبيدة بن جابر بن عمرو بن سَلول ابن مُرة بن صَعصعة[1] .

من شعراء الإسلام وطبقته

شاعر مُقلّ إسلامىّ من شُعراء الدولة الأموية .

وجعله ابنُ سلّام فى طبقة أبى زُبيد الطائى ، وهى الخامسة من طبقات شُعراء الإسلام .

شعره فى جمل له نحره . وهو الشعر الذى فيه الغناء

وذُكر أنّ العُجير بن عبد الله السّلولى مرّ بقوم يَشربون . فسقوه . فلما انتشى قال : انحروا جملى وأطْعِمونا منه . فنحروه وطَبخوا وجعلوا يُطعمونه ويَسقونه ويُغنُّونه بشعرٍ قاله يومئذ ، وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار العُجير :

عَلِّلانى إنما الدنيا عَلَلْ   وأسقيانى عَلَلاً بعد نَهَلْ
وانشُلا ما اغبرّ من قِدريكما   واصبحانى أبعدَ اللهُ الجَمل
أصحبُ الصاحب ما صَاحبنى   وأكُفّ اللوم عنه والعَذَل
وإذا أتلف مالى[2] لم أقُل   أبداً يا صاحِ ما كان فَعل

فلما صحا سأل عن جمله . فقيل له : نحرته البارحة . فجعل يَبكى ويَصيح : واغُرْبتاه ! وهم يَضحكون منه . ثم وَهبوا له بعيراً ارتحله ، وانصرف إلى أهله .

شعره فى امرأته وقد لحظها تكلم فتى فى الحج

وذُكر أنّ العُجير حَجّ ، فنَظر إلى امرأته، وقد كان حَجّ بها معه ، وهى تَلحظ فتًى من بعيد وتُكلّمه ، فقال فيها :

---

(١) هذا ما ساقه ابن حبيب فى المؤتلف والمختلف (ص ١١٦) عن نسب العجير . وقد ساق أبو الفرج سلسلة النسب عن ابن سلام بخلاف كثير . وانظر خزانة الأدب للبغدادى (٢ : ٢٩٨) والمعارف لابن قتيبة (ص ٤٢) .

(٢) فى الأغانى : « وإذا أتلف شيئاً لم أقل » .

أيا ربِّ لا تَغفر لعَثْمةَ ذنبَهــا وإن لم يُعاقبها العُجَــيرُ فعاقِبِ
أشارت وعَقْــدُ الله بينى و بينها إلى راكب من دونه ألفُ راكب
حرامٌ عليكِ الحجُّ لا تقرَبِنَّــه إذا حان حَجُّ المُسلمات التوائب

شعره إلى امرأته وقد عاتبته على الجود

ومن جيِّـد الشعر ومُختاره قول العُجَـير ، وكان قد أتلف مالَه فى الجُود ، ثم جعل يَدَّان حتى أُثقل بالدَّين ، ثم تطاول إلى مال زَوجتــه ، فمَنعته وعاتبته على فعله :

سَلى الطارقَ المُعــتَرَّ يا أُمَّ مالك إذا ما أتانى بين قِدْرى ومَجْزِرى
أأبسُــط وَجهى إنه أوّل القِرى وأعرض[1] مَعروفى له دون مُنكَرَى
أقِى العِرْضَ بالمالِ التِّلاد وما عسى أخوك إذا ما ضيّع العِرْض يَشترى
إذا مُتّ يوماً فاحضُرى أُمّ خالد تُراثَك من طِرْفٍ وسَيف[2] وأقْدر

هو وبعض الأمراء فى غريم

وذكر أنّ العُجير السَّلولى وَقف لبعض الأُمراء ، وقد عَلِق به غريم من باهلة ، فقال له :

أتيتُك إنّ البــاهلىّ[3] أسترقّنى بدَيْنٍ ومَطلوبُ الدُّيون رَقيقُ
ثلاثتنا إنْ يَسّر الله فائزٌ بأجر ومُعْطًى حقَّــه وعَتيق

فأمر بقضاء دَينه .

وصية عبد الملك لمؤدب ولده بترويتهم شعره

وذُكر أن عبد الملك بن مروان قال لمُؤدِّب ولده : إذا روَّيتهم الشعر فلا تُروِّهم إلا مثل قول العُجير :

يَبين الجــارُ حين يَبين عنِّى ولم تأنسْ إلىّ كِلابُ جارى

(١) فى الأغانى : « وأبذل » .
(٢) الطرف : الكريم من الخيل . والأقدر : الفرس الذى إذا سار وقعت رجلاه مواقع يديه .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « يسوقنى » مكان « استرقنى » .

وتظعنُ جارتى من جَنب بيتى ولم تَسْتر بسِتْرٍ من[1] جِدارى
وتأمن أن أُطالع حين آتى عليها وهْى واضعةُ الخِمار
كذلك هَدْىُ آبائى قديماً تَوارثه النِّجار عن النِّجار
فهذا[2] هَدْيهم وهمُ[3] اُفتلَوْنى كما اُفتلِى العَتِيق من المِهار

(١) فى بعض أصول الأغانى : « جدار » .
(٢) فى الأغانى : « فهديى هديهم » .
(٣) افتلونى : فطمونى .

أخبار خزيمة بن نهد

هو خُزيمة بن نَهد بن زيد بن لَيث بن سُود بن أَسلم بن الحاف بن قُضاعة . نسبه

شاعر مُقل من قُدماء الشعراء فى الجاهلية . شاعر جاهلى

وكان يهوى فاطمة بنتَ يذكُر بن عَنزة بن أسد بن رَبيعة بن نِزار ، حبه فاطمة وقتله لأبيها

فخطبها من أبيها فلم يُزوِّجه إياها ، فقتله غِيلةً . وإيّاها عَنى بقوله :

إذا الجَوزاء أَردفت الثُّريّا ... ظَنَنتُ بآل فاطمة الظُّنونا

وحالت دون ذلك من هُمومى ... همومٌ تُخرج الشَّجَن الدَّفينا

أرى اُبنةَ يذكُرٍ ظَعَنت فحلّت ... جنوبَ الحَزن يا شَحَطا[1] مُبينا

وكانت صورة قَتله لأبيها أنه قال له : أُحب أن تخرج معى حتى نأتىَ بقَرظ . شعره الذى فيه الغناء وسببه

وخَرجا جميعاً ، فلما خلا خُزيمة بن نَهد بيذكُر قَتله . فلما رَجع ، وليس هو معه ، سأله أهلُه ، فقال : لستُ أدرى أين سلك . فكان فى ذلك شرٌّ بين قُضاعة ونزار ، اُبنى مَعدّ بن عَدنان ، وتكلّموا فيه فأَكثروا . ولم يَصِحّ على خُزيمة شىء يطالبونه به ، حتى قال خُزيمة بن نهد الشعر الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخباره ، وهو :

فتاةٌ كأنّ رضابَ العَبير ... بفِيها يُعَلّ به الزَّنجبيلُ

قتلتُ أباها على حُبها ... فتبخلُ إن بَخِلت أو تُنيل

فلما قال هذين البيتين تثاور الحيّان فاُقتتلوا وصاروا أحزاباً ، فكانت نِزار الحرب لمقتل أبى فاطمة

---

(١) ظعنت : ارتحلت . الحزن : ما غلظ من الأرض . يريد موضعاً بعينه .
وشحطا مبينا : بعداً قصيا .

ابن مَعدّ ، وكِندة ، وهى يومئذ تَنتسب فتقول : كندة بن جُنادة بن مَعدّ ؛ وحاء ، وهم يومئذ ينتسبون فيقولون : حاء بن عمرو بن أُد بن أُدد . وكانت قُضاعة تنتسب إلى معد ، وعك يومئذ تَنتمى إلى عدنان ، والأشعريون ينتمون إلى أشعر بن أُدد . وكانوا يتبدَّون [1] من تهامة إلى الشام ، وكانت منازلهم بالصِّفَاح [2] . وكان مَرّ وعُسفان [3] لربيعة بن نزار . وكانت قُضاعة بين مكّة والطائف . وكانت كِندة ، تسكُن من الغَمر [4] إلى ذات عِرق [5] ، وهو إلى اليوم يُسمَّى غَمر كندة ، وإياهُ يَعنى عُمر بن أبى ربيعة بقوله :

إذا سلكتْ غَمرَ ذى كِندة ... مع الصُّبح قَصدٌ لها الفَرقدُ

هنالك إمّا تُعزّى الهوى ... وإما على إثرهم تَكمد

وكانت منازل حاء بن عمرو بن أُدد ، والأشعر بن أُدد ، وعك بن عدنان بن أُدد ، فيما بين جُدَّة إلى البحر .

القارظان

وقيل : إنّ يذكر بن عَنزة ، الذى قتله خُزيمة بن نَهد ، هو أحد القارظَيْن [6] اللذين قال فيهما الهُذلى :

وحتى يَؤوبَ القارظان كلاهما ... ويُنْشَر فى القتلى كُليبٌ لوائلِ

والآخر من عَنزة أيضاً يقال له : أبو رُهْم . خرج يجمع القَرظ فلم يرجع ولم يُعرف له خَبر .

عود إلى حديث الحرب

فلما ظهرت نزار على أن خُزيمة بن نَهد قَتل يَذْكُر بن عَنزة ، قاتلوا قُضاعة أشد قتال ، فهُزمت قضاعة وقُتل خُزيمة ، وخَرجت قُضاعة متفرّقين ، فسارت تيم اللات بنُ أسد بن وبرة بن تَغلب بن حُلوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة ،

(١) يتبدون : ينزلون البادية .
(٢) الصفاح ، بالكسر : موضع بين حنين وأنصاب الحرم على يسرة الداخل إلى مكة .
(٣) مر : موضع بينه و بين مكة خمسة أميال . وعسفان : من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة .
(٤) الغمر : بئر قديمة بمكة . (٥) ذات عرق : مهل أهل العراق ، وهو الحد بين نجد وتهامة .
(٦) القارظ : جانى القرظ : وهو ورق السلم ، أو ثمر السنط .

و فِرقة من بنى رُفيـدة بن ثَور بن كَلب بن وَبْرة ، وفرقة من الأشعريين ، نحوَ البَحرين ، حتى وردوا هَجَر ، وبها قومٌ من النَّبط ، فنزلت عليهم هـذه البُطون وأَجلتْهُم ، وسُميت تلك القبائل تَنوخ ، لأن كاهنتهم الزَّرقاء بنت زُهير لما قالوا لها ، ما تَرين يا زَرقاء ! قالت : مُقام وتَنوخ ، ما وُلد مولود وأُنقفت[1] فَرُوخ . ولحق بهم قومٌ من الأَزد فصاروا فى تَنوخ ، ولحق سـائرَ قُضاعة موتٌ ذَريع . وخرجت فرقةٌ من بنى حُلوان بن عِمران بن الحـاف بن قُضاعة — يقال لهم : بنو زيد — فنزلوا عَبقر ، من أرض الجَزيرة، فنَسج نساؤهم الصُّوف وعمِلوا الزَّرابىّ[2] التى يقال لهـا : العَبقرية ؛ وعملوا البُرود التى يقال لها : التَّزيدية . وأغارت عليهم التُّرك فأَصابتهم ، وسَبت منهم . ومَضت بَهراء حتى لحقت بالتُّرك واستنقذوا ما فى أيديهم من بنى تَزيد ، وسـارت سُليح بن عمران بن الحـاف ابن قُضاعة ، يقودها الحِدْرجان ، حتى نزلوا ناحيـة فلسطين ، على بنى أذينة ، من عاملة . وسـارت أسلم بن الحاف حتى نزلوا من الحِجر إلى وادى القُرى . ثم انتقلت تَنُوح إلى الحِيرَة . فهم أولُ من اختطّها . وأغار عليهم سابورُ الأكبر ، فقاتلوه . فكان شـعارُهم يومئذ : يا آل عباد الله . فسمُّوا العِباد . وفرَّقهم سابور ، فنزل مُعظمهم بالحَضْر من الجَزيرة، يقودهم الضَّيزن بن مُعاوية التَّنوخى ، وهو الذى تقدَّم ذكره . وأخذ سابور الحَضْر منه . وأغارت حِمْير على بقيّة قُضاعة، وخَيَّروهم بين أن يُقيموا على خَراج يدفعونه إليهم أو يخرجوا عنهم ، فخرجوا — وهم : جَرم ، وكَلب ، والعلاف — فلحقوا بالشام . وأغارت عليهم بنو كِنانة بن خُزيمة بعد ذلك ، فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، فانهزموا ولحقوا بالسَّماوة .

---

(١) أنقفت ، بالبناء للمجهول : كسرت عنها بيضها .

(٢) الزرابى : الوسائد والبسط وكل ما اتكىء عليه .

أخبار المغيرة بن حبناء

نسبه ولقبه

هو المُغيرة بن حَبناء بن عمرو بن ربيعة بن أَسيد بن عبد عوف بن ربيعة ابن عامر بن ربيعة بن حَنظلة بن مالك بن زَيد مَناة بن تَميم . وحَبناء لقب غَلب على أبيه ، واْسمه جُبير بن عمرو ، ولُقِّب بذلك لِحَبن[1] كان أصابه .

هو وأبوه وأخوه شعراء

والمُغيرة شاعر إسلاميّ من شُعراء الدَّولة الأموية . وأبوه حَبناء شاعر . وأخوه صَخر شاعر ، وكان يُهاجي زياداً الأَعجم ، فأفحش كلّ واحد منهما على صاحبه ولم يَغلب أحدُهما الآخر ، بل كانا مُتكافئين .

هو وطلحة الطلحات

وذُكر أنّ المُغيرة بن حَبناء قَدِم على طَلحة الطَّلحات الخُزاعى فأنشده :

لقد كنتُ أسعى فى هواكَ وأبتغى ... رِضاكَ وأرجو منكَ مالستُ لاقيَا
وأبذُل نَفسى فى مواطن غيرُها ... أَحَبُّ وأَعصِى فى هواكَ الأَدانيا
حِفاظاً وتَمْسيكاً[2] لما كان بيننا ... لِتَجزِيَنى ما لا إخالُكَ جازيا
رأيتُك ما تنفكُّ منك رَغيبةٌ ... تُقَصِّر دونى أو تَحلُّ ورائيا
أرانى إذا اُستمطرتُ منك رَغيبةً ... لتُمْطِرَنى عادت عَجاجاً[3] وسافِيا
فأدليتُ دَلْوى فى دِلاء كثيرة ... فأُبْنَ مِلاءً غيرَ دَلوى كما هيا
ولستُ بلاقٍ ذا حِفاظٍ ونَجدة ... من القوم حُرًّا بالخَسيسة راضيا
فإن تَدْنُ منّى تَدْنُ منكَ مودّتى ... وإن تنأ عنّى تَلْقَنى[4] عنك نائيا

---

(١) الحبن : ورم فى البطن . (٢) تمسيكا : صيانة .

(٣) استمطر : طلب . والرغيبة : مايطلب وما يرغب فيه . والعجاج : الغبار . والسافى : الريح التى تحمل التراب . (٤) فى الأغانى : « تلفنى » .

فلما أنشده الشعر قال له : أمَا كُنّا أعطيناك شيئاً ؟ قال : لا . قال : فأمر طلحة خازنَه فأخرج دُرْجاً فيه حِجارةُ ياقوت ، فقال له : اُختر حجَرَين من هذه الأحجار أو أربعين ألفَ درهم . فقال : ما كنتُ لأختار حجارةً على أربعين ألفَ دِرهم . فأَمر له بالمال . فلمّا قَبضه سأله حجراً منها ، فوهبه له، فباعه بعشرين ألف درهم ، ثم مدحه فقال :

أَرى النـاسَ قد مَلُّوا الفَعال ولا أرى ... بنى خَلف إلا رِواء[1] المَـــوارِدِ
إذا نفعوا عادوا لمن ينفعونه ... وكائن ترى مِن نافع غـــير عائد
إذا ما انجلتْ عنهم غَمـاية[2] غَمرة ... من الموت أجلت عن كرامٍ[3] مَذاود
يسود غطاريفَ الملوك ملوكُهم ... وماجدُهم يعـلو على كل ماجـــد

بينه وبين أخيه فى جوائز المهلب

وذُكر أن المُغيرة بن حَبناء قَدم من عنـد المُهلَّب بن أبى صُفرة ، وهو مَلآن اليد من عطائه ، وكان كثير الإزراء على أخيـه صَخر بن حبناء والعيبِ عليـه ، فقال صخر له :

رأيتُك لمّـا نلت مالاً وعَضّـنا ... زمانٌ نَرى فى حَدِّ أنيـابه شَغْبا
تَجنَّى علىّ الدَّهر : أنك[4] مُذنب ... فأمسكْ ولا تجعل غِناك لنا ذَنبا

رأى الأصمعى فى شعره لأخيه

وكان الأصمعىّ يقول : لم يقل أحدٌ فى تَفضيل أخٍ على أخيه ، وهما لأبٍ وأُم ، مثلَ قول المُغيرة بن حَبناء لأخيه صَخر :

أبوك أبِى وأنتَ أخِى ولكنْ ... تَفاضلتِ الطبـائعُ والظُّروفُ
وأُمك حين تُنْسَب أمُّ صِدْقٍ ... ولكنّ ابنها طَبِعٌ[5] سَخيف

(١) الرواء ، بالفتح : الماء العذب ؛ وبالكسر : من الري . (٢) فى الأغانى : « غمامة » .
(٣) مذاود : كبيرة الذود والدفع عن العشيرة . الواحد : مذود .
(٤) فى الأغانى : « أنى » .
(٥) الطبع : الدنىء الخلق اللئيمة .

تمثل عبد الملك بهذا الشعر فى أخيه معاوية

وذُكر أنّ عبد الملك بن مروان كان إذا نظر إلى أخيه مُعاوية بن مَروان ، وكان ضَعيفاً، يتمثّل بهذين البيتين .

آخر هجاء لزياد الأعجم له

ووقع بين المُغيرة بن حَبناء وزياد الأعجم تهاجٍ كثيرة . وكان المُغيرة بن حَبناء أبرص ، وأخوه صخر أعور ، وأخوه الآخر مجذوماً . وكان بأبيه حَبن ، فلُقِّب حَبناء بذلك . فقال الأعجم يهجوهم :

إن حَبنـاء كان يُدعى جُبيراً فَدَعَوْه من لُؤمه حَبناءَ
ولَد العُورَ منه والبُرْص والجَذْ مَى وذو الداء يُنْتِج الأدواء

فيقال إن هذه الأبيات آخر ما تَهاجيا به ؛ لأن المُغيرة قال — وقد بلغه هذا الشعر — : ما ذنبنا فيما ذَكر ! هذه أدواء ٱبتلانا الله تعالى بها ، وإنى لأرجو أن يَجمع الله عليه هذه الأدواء كُلَّها . فبلغ ذلك زياداً من قوله ؛ فكَفَّ عنه ولم يَهجُه عقب هذه الأبيات ، ولا أَجابه بشىء . فأمسك عنه ، وتكافآ .

شعره الذى فيه الغناء وسببه

والشعر الذى فيه الغناء ، وٱفتتح به أبو الفرج أخبار المُغيرة بن حَبناء ، هو قوله :

إنّى ٱمرؤٌ كَفَّنى ربِّى ونَزَّهنى عن الأُمور التى فى غِبّها وَخَمُ
وإنمـا أنا إنسانٌ أَعيش كما عاش الرجالُ وعاشت قبلىَ الأُمم

وهذا البيتان من قصيدة مَدح بها المُغـيرةُ المُهلَّب بن أبى صُفرة ، وكان سبب قوله إياها أن المُهلَّب أنفـذ بعضَ بنيه فى جيش لقتال الأَزارقة ، وقد شدت منهم طائفةٌ تُغـير على نَواحى الأهواز ، وهو يومئذ مُقيمٌ بسابور ، وكان فيهم المُغـيرة ابن حَبناء . فلمـا طال مُقامه وٱستقر الجيشُ لحِق بأهله ، فَألَمّ بهم وأقام عنـدهم شهراً ، ثم عاد[1] وقد قَفل الجيشُ إلى المُهلَّب . فقيل له : إن الـكاتب خَطَّ[2]

(١) فى الأغانى : « عاود » .
(٢) فى الأغانى : « إن الكتاب خطوا » .

على اسمه ، وكتب أنه عصى وفارق مَركزه[1] بغير إذنه . فمضى المُغيرة إلى المُهلَّب وأنشده هذه القصيدةَ واعتذر إليه ، فعَذره وأمر بإطلاق عطائه و إزالة العَتب عنه . وفيها يقول :

ما عاقنى عن قُفول الجيش إذ قفلوا عِىٌّ بما صَنعوا حولى ولا صَمَمُ
ولو أردتُ قفُولاً ما تجَهَّمنى إذنُ الأمير ولا الكُتَّاب إذ رَقموا

(١) فى الأغانى : « مكتبه » .

أخبار سويد بن أبى كاهل

نسبه وكنيته

هو سُويد بن أبى كاهل بن حارثة بن حِسْل بن مالك بن عبد سعد بن جُشَم ابن ذُبيان بن كِنانة بن يَشْكر . وذُكر أن اسم أبيه شَبيب . ويكنى سُويد : أبا سعد .

طبقته

وجعله محمد بن سلام فى الطبقة السادسة ، وقَرَنه بعَنترة العبسى وطبقته . وهو شاعر متقدِّم من مُخَضرمى الجاهلية والإسلام .

أبوه شاعر

وأبوه أبو كاهل شاعر .

بينه وبين زياد الأعجم

وذُكر أنّ زياداً الأعجم قال يهجو بنى يشكُر :

إذا يَشْكُرىٌّ مسَّ ثوبَك ثوبُه   فلا تذكرنَّ الله حتى تَطهَّرَا
فلو أنَّ من لؤمٍ تموتُ قبيلةٌ   إذًا لأمات اللؤمُ لاشكَّ يَشْكرا

فأتت بنو يشكُر سويدَ بن أبى كاهل ليهجو زياداً، فأَبى عليهم . فقال زياد :

وأُنبئتُهم يَستصرخون ابنَ كاهل   وللُّؤم فيهم كاهلٌ وسَنامُ
فإن يأتنا يرجع سويدٌ ووجهُه   عليه الخزايا غَبرةٌ وقَتام
دعِىٌّ إلى ذُبيانَ طوراً وتارة   إلى يشكرٍ ما فى الجميع كِرام

فقال سويد : هذا ما طلبتم لى . وكان سويد مُغلَّباً[1] .

ومعنى قول زياد :

* دعِىٌّ إلى ذبيان طوراً وتارة *

---

(١) المغلب : الغالب والمغلوب ، ضد .

هو بين ذبيان ويشكر

فإن أُم سويد كانت قبل أبى كاهل عند رجل من بنى ذُبيان بن قَيس عَيلان ، فمات عنها ، فتزوّجها أبو كاهل اليشكرىّ ، وكانت فيما يقال حاملا ، فولدت عنده سُويداً ، فاستلحقه أبو كاهل . فكان سُويد إذا غَضب على بنى يشكر اُدّعى إلى ذُبيان ، وإن غضب على ذُبيان اُدّعى إلى يشكر .

شعره الذى فيه الغناء ورأى الأصمعى فيه

والشعر الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبار سُويد ، هو :

بسطتْ رابعةُ الحبلَ لنا ... فوصلنا الحبْلَ منها ما اتّسعْ
كيف تَرجون سِقاطى بعد ما ... جلّل الرأسَ بياضٌ وصَلَع
رُبَّ من أنضجتُ غيظاً صدرَه ... قد تمنّى لىَ موتاً لم يُطَع
ويَرانى كالشَّجا فى حَلقه ... عَسِراً مخرجُه ما يُنتزع
ويُحيِّينى إذا لاقيتُه ... وإذا أَمكنه لحمى[1] رَتَع
وأَبيتُ الليلَ ما أَهجَعه ... وبعَينىَّ إذا النجمُ طَلَع

وهى من قصيدة كان الأصمعى يفضِّلها ويقدِّمها ويقول : إن العرب كانت تُقدِّمها وتعدُّها من حكمها . وذُكر أنها كانت فى الجاهلية : تُسمّى اليتيمة .

(١) فى الأغانى : « وإذا أمكن من لحمى » .

أخبار العتابي

نسبه

هو كُلثوم بن عمرو بن أيّوب بن عُبيد بن حُبيش بن أوس بن مسعود ابن عبد الله بن عمرو بن كُلثوم الشاعر ، وهو ابن مالك بن عتاب بن سَعد بن زُهير بن جُشَم بن بكر بن حَبيب بن عمرو بن غَنم بن تَغلب .

شيء عنه

شاعر مترسِّل ، بليغ مطبوع ، مُتصرف فى فنون الشعر ، مقدَّم ، من شُعراء الدولة العباسية . ومَنصور النَّمرىّ تلميذه وراويته . وكان مُنقطعاً إلى البرامكة ، فوصَفوه للرشيد ووصلوه به ، فبلغ عنده كُل مبلغ ، وعظُمت فوائده منه . ثم فسدت الحالُ بينه و بين منصور وتباعدت .

الشعراء بباب المأمون وشعر له لم يستطيعوه

وذُكر أن الشعراء كثُروا بباب المأمون فأوذن بهم . فقال لعلىّ بن صالح صاحب المُصلّى : أعرِضْهم ، فمن كان مُجيداً فأوْصِلْه إلىّ ، ومن كان مُتخلفاً فاصرفه . وصادف ذلك شُغلاً من علىّ بن صالح ، كان يريد أن يتشاغل به من أمر نفسه ، فقام مُغضباً وقال : لأعُمَّنَّهم بالحِرمان . ثم جلس لهم ودعا بهم فجعلوا يتغالبون [1] على القُرب منه . فقال لهم : على رِسْلكم ، فإن المَدى أقربُ من ذلك ، هل فيكم من يُحسن أن يقول كما قال أخوكم العتّابى :

ماذا عسى مادحٌ يُثْنى عليك وقد ... ناداك فى الوَحْى تَقْدِيسٌ وتَطْهِيرُ

فُتَّ المَدائحَ إلا أنّ ألسُنَنا ... مُستنطَقات بما تَحوى الضَّمائير

فقالوا : لا والله ، ما فينا من يُحسن أن يقول مثلَ هذا . فانصرفوا جميعاً .

---

(١) يتغالبون : يتسابقون ويتدافعون .

حول التكلف فى شعره

وذكر أبو بكر بن سهل قال :

تذاكرنا شعر العَتّابى ، فقال بعضُنا : فيه تكلُّف ؛ ونَصره بعضُنا . فقال شيخٌ حاضر : ويحكم ! أيُقال إنّ فى شعره تكلُّفاً وهو القائل :

رُسُل الضّمير إليك تَتْرَى ... بالشّوق ظالعةً [1] وحَسْرَى
مُتزجِّيــات [2] ما يَنِيـ ... ـنَ على الوَجى من بَعد مَسْرى
ما جَفَّ للعينين بعـ ... ـدك يا قريرَ العَين مَجْرى
إنّ الصّبابة لم تَدع ... منِّى سِوى عظم مُعَرَّى
ومَدامِع عَبْرى على ... كَبِدٍ عليك الدهرَ حَرَّى

وهو الذى يقول :

فلو كان للشُّكر شخص يَبِينُ ... إذا ما تأمّله النّاظرُ
لمثّلتُه لك حتى تراه ... لِتعلم أنّى امرؤٌ شاكر

هو والمأمون

وذُكر أنّ المأمون كتب فى إشخاص العتّابى إليه ، فلما دخل عليه قال له : يا كُلثوم ، بلغتْنى وفاتُك فساءتنى ، ثم بلغتْنى وفادتُك فسرّتنى . فقال له : يا أمير المؤمنين ، لو قُسّمت هاتين الكلمتين على أهل الأرض لوسعتاها فضلاً وإنعاماً ، وقد خَصَصتنى منهما بما لم تبلغه أُمنية ، ولا ينبسط لسواه أمل ؛ لأنه لا دينَ إلا بك ، ولا دُنيا إلا معك . فقال : سَلْنى . فقال : يدُك بالعطاء أبسطُ من لسانى بالمسألة . فوصلة بصلاتٍ سنيّة . وبلغ به من التقديم والإكرام أعلى مَحَلّ .

هو وإسحاق بين يدى المأمون

وذكر أنّ العتّابى لما دخل على المأمون كان عنده إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، وكان العتّابى شيخاً جميلاً نبيلاً ، فأدناه المأمون وقرّبه ، وأقبل عليه بالمُداعبة

(١) الظالع : الذى يغمز فى مشيته . والحاسر : المتعب .

(٢) متزجيات : منساقات . ما ينين : وما يبطئن .

والمزاح . وظَن العتّابى أن المأمون أستخف به ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الإيناس قبل الإبساس[١] . فآشتبه على المأمون قولُه ، فنَظر إلى إسحاق مُستفهماً . فأومأ إليه ، وغَمزه على معناه[٢] حتى فهمه ، ثم قال : يا غلام ، ألف دينار . فأُتى بذلك . فوضعها بين يدى العتّابى ، وأخذوا فى الحديث . ثم غَمز المأمونُ إسحاق بن إبراهيم عليه . فجعل العتّابى لا يأخذ فى شىء إلا عارضه فيه إسحاق . فبقى العتّابى مُتعجِّباً . ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لى فى مسألة هـذا الشيخ عن آسمه ؟ قال : نعم ، سَلْه . فقال لإسحاق : من أنت ؟ وما آسمك ؟ فقال : أنا من الناس ، وآسمى « كُلْ بَصَل » . فتبسم العتّابى وقال : أما النسب فمعروف ، وأما الآسم فمُنكر . فقال له إسحاق : ما أقلّ إنصافك ، أتُنكر أن يكون الآسم « كُل بصل » وآسمك « كُلْثوم » وما كُلثوم من الأسماء ، أوليس البصل أطيَب من الثوم ! فقال العتابى : لله دَرُّك ! ما أحجَّك ! أتأذن لى يا أمير المؤمنين أن أصلَه بما وصلْتنى به ؟ فقال له المأمون : بل ذلك مُوفَّر عليك ، ونأمر له بمثله . فقال إسحاق : أمّا إذ أقررت ، فتوهَّمْنى . فقال : ما أظُنك إلا إسحاقَ الموصلى الذى تناهى إلينا خبره . قال : أنا حيثُ ظننتَ . فأقبل عليه بالتحية والسلام . فقال له المأمون ، وقد طال الحديثُ بينهما : أما إذ قد اتفقتما فآنصرفا متنادمَين . فآنصرف العتّابى إلى منزل إسحاق فأقام عنده .

رضى الرشيد عنه بعد موجدة عليه

وذُكر أن الرشيد وَجِد على العتّابى ، فدخل سرًّا مع المُتظلمين من غير إذن ، فمَثل بين يدى الرشيد وقال : يا أمير المؤمنين ، قد آدّتنى[٣] الناسُ لك ولنفسى فيك ، وردّنى آبتلاؤهم إلى شُكرك ، وما مع تذكُّرك قناعةٌ بغيرك ، ولنعم الصائنُ لنفسى كنت ، لو أعاننى عليك الصبر ، ولذلك أقول :

---

(١) الإبساس : أن يمسح الماسح ضرع الناقة ، يسكنها لتدر . يريد : الاطمئنان قبل المداعبة .
(٢) غمزه على معناه ، أى أشار . (٣) فى التجريد : « أدبنى » .

أخِضْنى المقامَ الغَمْرَ إن كان غَرّنى ... سَنَا خُلَّبٍ أو زلَّتِ القَدمانِ
أتتركُنى جَدْبَ المَعيشة (١) مُقفِراً ... وكَفَّاكَ من ماء النَّدى تَكِفانِ
وتجعلُنى سَهْمَ المَطامع بعد ما ... بلَلت يَمينى بالنَّدى ولِسانى

فخَرج وعليه الخِلَعُ ، وقد أمر له بجائزة سنية .

شعره الذى فيه الغناء

وهذه الأبياتُ هى الشِّعرالذى فيه الغناء . وافتتح به أبو الفرج أحبار العَتّابى .

هو ويحيى بن خالد وقد سأله فأقل كلامه

وذُكر أن العتّابى كَلَّمَ يحيى بن خالد فى حاجة بكلمات قليلة . فقال له يحيى : لقد نَزر (٢) كلامك اليوم . فقال : وكيف لا يَقِلُّ وقد تَكَنّفنى ذُلُّ المسألة ، وحَيرة الطلب ، وخَوف الرد . فقال : والله لئن قَلّ كلامك لقد كَثُرت فوائده . وقضى حاجته .

هو والعتابى وقد عابه بالأكل فى الطريق

وحكى عثمان الورّاق :

رأيتُ العتّابى يأكُل خُبزاً على الطريق ببابِ الشام ، فقلت له : ويحك ! أما تَسْتحى ؟ فقال : أرأيت لو كُنا فى دارٍ فيها بقر ، كنت تستحى وتحتشم أن تأكل وهى تراك ؟ فقلت : لا . قال : فاصبر حتى أُعلمك أنهم بَقر . ثم قام فوعظ وقَصّ ودعا ، حتى كثُر الزحام عليه ، ثم قال : رُوى لنا من غير وجه (٣) أنّ من دَخل (٤) لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار . فما بقى منهم أحد إلا أخرج لسانَه يُومىء به نحو أنفه ، و يقدِّره ليعلم هل يبلغ أرنبة أنفه أم لا . فلما تفرقوا قال لى العتّابى : ألم أُخبرك أنهم بَقر !

هو وصديق له فى ذنب

وذُكر أنّ العتابى أنكر على صديق له شيئاً ، فكتب إليه : إمّا أن تُقر

---

(١) فى الأغانى : « مقترا » . مكان « مقفرا » .
(٢) فى الأغانى : « ندر » .
(٣) فى الأغانى : « روى لنا غير واحد » .
(٤) فى الأغانى « أنه من بلغ لسانه أرنبة ... » .

بذَنبك فيكون إقرارُك حُجةَ علينا فى العفو عنك ، و إلا فطِبْ نفساً بالأنتصاف منك ، فإن الشاعر يقول :

أَقْرِر بذَنبك ثم اُطلُب تجاوُزَنا عنه فإن جُحود الذَّنب ذَنبانِ

هو وابن أكثم وقد سأله أن يستأذن له على المأمون

ذُكر أن العتّابى وقف بباب المأمون يلتمس الوُصول إليه ، فصادف يحيى ابن أكثم القاضى جالساً يَنتظر الإذن ، فقال له : إن رأيت — أعزك الله — أن تذكُر أمرى لأمير المُؤمنين إذا دخلتَ فأفعل . فقال : لستُ — أعزك الله — حاجباً . فقال له : و إن لم تكن حاجباً فقد يَفعل مثلُك مثلَ ما سألت . واُعلم أن الله عز وجل قد جَعل فى كُل شىء زكاة ، وجعل زَكاة الجاهِ رِفد[1] المُستعين . واُعلم أنّ الله عزّ وجلّ مُقبل عليك بالزِّيادة إن شكرت ، أو التَّغيير إن كفرت ، و إنى لك منذ اليوم أصلحُ منك لنفسك ، لأنّى أدعوك إلى اُزدياد فى نِعمتك ، وأنت تأبى . فقال له يحيى : أفعل وكرامة . وخرج الإذن ليحيى . فلما دخل لم يبدأ بشىء بعد السلام إلا بأن استأذن المأمونَ للعتّابى ، فأذن له .

حسده دعبل على شعر له

وذُكر أنّ دعبل بن علىّ الشاعر قال : ما حسدتُ أحداً قطُّ على شعر كما حَسدتُ العتّابى على قوله :

هَيبة الإخوان قاطعةٌ لأخى الحاجات عن طَلبه
فإذا ما هِبْتُ ذا أملٍ فات[2] ما أمّلت من سَببه

وهذا سَرقه العتّابى من قول علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : الهيبة مقرونة بالخَيبة ، والحياء مقرون بالحرمان ، والفُرصة تمُرّ مرّ السحاب .

أنشد ابن طاهر ثلاثاً فأجازه فيها

وذُكر أن العتّابى دَخل على عبد الله بن طاهر بن الحُسين ، فمَثل بين يديه وأنشده :

(١) الرفد ، بالكسر : العطاء والصلة . وبالفتح ، المصدر . (٢) فى الأغانى : « مات » .

حُسن ظنّى وحُسن ما عَوّد اللّــــهُ سِوَاى منك الغَــداة أتى بِى
أىّ شىء يكون أحسنَ من حُسـ ـنِ يقينٍ حَــدا إليــك رِكابى

فأمر له بجائزة . ثم دخلا عليه من الغد فأنشده :

ودُّك يَــكفِينيك فى حاجتى ورُؤْيتى كافيتى[1] عن سُؤالْ
وكيف أخشَى الفَقرماعشتَ لى وإنمـا كفّاكَ لى بيتُ مال

فأمر له بجائزة . ثم دخل عليه فى اليوم الثالث فأنشده :

بَهِجاتُ الثّياب يُخلقها الدّهـ ـر وثوبُ الثّناء غَضٌّ جَديدُ
فاُكسُنِى ما يَبِيد أصلحك اللـــه فإنى[2] أكسوكَ ما لا يَبيد

فأجازه وخلع عليه .

وذُكر أن منصور النّمرى سَعى بالعتّابى إلى الرشيد ، فاُغتاظ عليه وطلبه ، فستره جعفر بن يحيى عنــده مُدة ، وجَعل يستعطفه عليه حتى اُستل ما فى نفسه وأمّنه . فقال يمدح جعفر بن يحيى :

استرضى له جعفر الرشيد بعد سعى النمرى به

ما زلتُ فى غَمَــرات الموت مُطَّرحاً قد ضاق عنّى فسيحُ الأرض من حِيَلِى
فلم تزل دائباً تَسـعى بلُطْفِـك لى حتى اُختلستَ حياتى من يدَىْ أجلى

وذُكر أنّ العتّابى اُعتلّ ، فعاده عبدُ الله بن طاهر ، واُبنُ عمه إسحاق بن إبراهيم المُصعبىّ ، فقال الناس : هــذه خَطرةٌ خَطرتْ ! فبلغ العتّابى ذلك ، فــكتب إلى عبد الله بن طاهر :

شعره فى عيادة ابن طــاهر له فى مرضــه

قالوا الزيارةُ خَطرةٌ خَطرتْ ونِجارُ بِرّكَ[3] ليس بالخَطَرِ
أَبطل مقالهمُ[4] بثانيــــة تَسْتنفد المَعروف من شُــكرى

---

(١) فى الأغانى : «كافية» . (٢) فى الأغانى : «فالله يكسوك» مكان «فإنى أكسوك» .
(٣) النجار : الأصل . يريد : طبيعة برك . (٤) فى بعض أصول الأغانى : «مقالتهم» .

فلما بلغت أبياتُه عبدَ الله بن طاهر ضَحك من قوله ، ورَكب إليه هو وابن عمه إسحاق فعاداه مرةً ثانية .

شعره إلى ابن هشام يسترضيه

وذُكر أن عبد الله بن هشام بن بِسطام التَّغلبي عَتب على العتّابى فى شىء بلغه عنه ، فكتب إليه العتّابى :

لقد سُمْتَنى الهِجْران حتى أذقتَنى ... عُقوباتِ زَلَّاتٍ وسُوء مَناقبى
فها أنا ساعٍ فى هواك وصابرٌ ... على حَدِّ مَصقول الغِرارَيْن[1] قاضِب
ومُنصرفٌ عما كرهتَ وجاعلٌ ... رِضاك مثالاً بين عَينى وحاجِبى

فرضى عليه ووَصله صلةً سنيّة .

شعره لامرأته وقد ذكرته بحال النمرى وحاله

وذُكر أن العتابى كان مُقيماً برأس عَين ، ومعه امرأة له من باهلة ، فلامتْه وقالت : هذا منصور النَّمرى قد أخذ الأموال ، فحلّى نساءه ، وبنى داره ، واشترى ضياعاً ، وأنت هاهنا كما ترى ! فأنشأ يقول :

تلوم على تَرْكِ الغنَى باهليةٌ ... زوى الفقرُ عنها كُلَّ طِرْفٍ[2] وتالدِ
رأت حولَها النِّسوانَ يرفُلن[3] فى الثَّرى ... مقلدةً أعناقُها بالقَلائد
أسرّكِ أنّى نلتُ ما نال جَعفرٌ ... من العيش أو ما نال يَحيى بنُ خالد
وأن أميرَ المُؤمنين أعضّنى ... مُعضَّهما بالمُرهفات[4] البَوادر
دَعينى تَجِئْنى مِيتتى مُطمئنةً ... ولم أتَجشَّم هَولَ تلك المَوارد
فإن[5] رفيعاتِ الأمور مشوبة ... بمُستودعات فى بُطون[6] الأَساود

(١) الغراران : الحدان . وقاضب : قاطع .
(٢) الطرف : الجديد . والتالد : القديم .
(٣) الثرى : يريد الثراء .
(٤) البوادر : التى تثبت فى الضريبة . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « أغصنى مغصهما بالمشرقات » . (٥) فى الأغانى : « رأيت » .
(٦) الأساود : الحيات ؛ جمع : أسود .

أخبار الأبيرد

نسبه

هو الأبيرد بن المعذّر بن عمرو بن قيس بن عتّاب بن هَرْميّ بن رِياح ابن يَربوع بن مالك بن حَنظلة بن زيد مناةَ بن تميم .

شىء عنه شاعرا

شاعرٌ بدويّ من شعراء الإسلام ، من أوّل دولة بنى أمية . ليس بمُكثر ، ولا ممّن وَرد[1] إلى الخلفاء فمدحهم .

شعره فى امرأة أحبها تزوجت غيره

وذُكر أنّ الأُبيرد كان يَهوَى امرأةً من قومه ويُجَنُّ بها حتى شُهر ما بينهما ، فحُجبت عنه ، وخَطبها فأبَوْا أن يُزوِّجوه إياها ؛ ثم خَطبها رجلٌ من ولدِ حاجب ابن زُرارة فتزوّجته ، فقال الأُبيرد فى ذلك :

إذا ما أردتَ الحُسن فانظُر إلى التى ... تَبَغَّى لقيطٌ قومَه[2] فتخيَّرا
لها بشرٌ لو يدرُجُ الذَّر[3] فوقه ... لبانَ مكانَ الذَّر فيه وأثَّرا
لَعمرى لقد أمكنتِ منّا عدوَّنا ... وأقررتِ للواشى فأَخْنَى[4] وأَهْجَرا

استقل كسوة ابن بدر فهجاه

وذُكر أنّ الأُبيرد الرِّياحى قَدِم على حارثةَ بن بَدر فقال : ألبسنى بُرْدين أدخُلْ بهما على الأمير — يعنى عُبيد الله بن زياد — فكساه ثوبين ، فلم يَرْضهما ، فقال :

أحارثُ أَمْسِكْ فَضْلَ بُرْدَيك إنما ... أجاع وأعرى اللهُ من كُنتَ كاسِيا
وكنتُ إذا استمطرتُ منك سحابة ... لتُمْطِرنى عادت عَجاجاً[5] وسافِيا

---

(١) فى الأغانى : « وفد » .

(٢) كذا فى الأغانى « وتبغى » أى طلب إلى قومه أن يعينوه . والذى فى التجريد : « تنقى » أى اختار . (٣) فى التجريد : « النمل » .

(٤) أقررت : خضعت . وأخنى : قال الخنا والفحش . وأهجر : قال الهجر والباطل . والرواية فى الأغانى : « وأقررت للعادى » . (٥) السافى : الريح تحمل التراب .

أحارثُ عاوِدْ شُرْبَك الخمرَ إننى ... أرى ابنَ زياد عنك أصبح لاهيا

فبلغت أبياتُه هذه حارثة ، فقال : قَبَحه الله ! لقد شَهِد بما لم يعلم .

قلت : وقد تقدّم البيت الأوسط من هذه الأبيات للمُغيرة بن حَبناء ، فإما أن يكون سرقه من الأُبيرد ، وإما أن يكون قد تواردت الخواطر .

رثاؤه أخاه ومنه شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الأُبيرد ، هما بيتان من أول قصيدة يرثى بها الأُبيردُ أخاه ، وهى من مختار المراثى وجيد الشعر ، وهى :

تطاولَ لَيلى لم أنمْه تقلُّباً ... كأنّ فِراشى حال من دونه الجَمْرُ

أُراقِب من ليلِ التّمام نُجومَه ... لدُنْ غاب قُرصُ[1] الشمس حتى بدا الفَجر

تذكَّرت قَرْماً بانَ منِّى[2] بنَصره ... ونائله يا حَبَّذا ذلك الذُّكر

فإن تكن الأيامُ فرّقْن بيننا ... فقد عذرَتْنى فى صحابته[3] العُذر

وكنتُ أرى هَجْراً فراقك ساعةً ... ألا لا بل الموتُ التفرُّق والهَجر

أحقًّا عبادَ الله أن لستُ لاقياً ... بُريداً طوَالَ الدّهر ما لألأ[4] العُفْر

فتًى إن هو استغنى تخرّق فى الغِنى ... وإن قلّ مالاً لم يؤُد[5] متنَه الفقْر

وسامَى جَسيماتِ الأُمور فنالها ... على العُسر حتى أدرك العُسْرَ اليُسر

ترى القومَ فى العَزّاء[6] ينتظرونه ... إذا ضلّ رأىُ القوم أو حَزَب الأَمر

فليتك كنتَ الحىَّ فى الناس باقياً ... وكنتُ أنا المَيت الذى غيّب القَبر

فتًى يشترى حُسن الثناء بماله ... إذا السنةُ الشّهباء قلّ بها القطر

(١) فى الأغانى : « قرن » .
(٢) فى الأغانى : « منا » .
(٣) العذر ، بضمتين وسكن : العاذر : والروايه فى الأغانى : « فقد عذرتنا فى صحابتنا » .
(٤) العفر : الظباء . ولألأت : حركت أذنابها .
(٥) تخرق : أسرف . ولم يؤد : لم يرهق .
(٦) العزاء : الشدة .

كأنْ لم يُصاحبنا بُريدٌ بغِبْطة ولم تأتِنا يوماً بأخباره السَّفْر
لَعمرى لنعم المرء[1] عالى نَعِيَّه لنا ابنُ عُزيز[2] بعد ما قَصر العَصر
ولما نَعى الناعى بُريداً[3] تغوّلت بى الأرضُ فَرط الحزن وانقطع الظَّهر
عساكر تَغشى النفسَ حتى كأننى أخو سَكرة مالت بهامته الخمر
إلى الله أشكو فى بُريد مُصيبتى وبَثِّى وأحزاناً تضمَّنها الصدر
وقد كنتُ أستعفى الإله إذا اشتكى من الأجر لى فيه وإن سَرَّنى الأجر
وما زال فى عَينىّ بعدُ غشاوةٌ وسَمْعىَ عمّا كنتُ أسمعه وَقْر
على أننى أَقْنَى الحياء وأتَّقى شماتة أعداء عيونُهمُ[4] خُزر
فحيّاك عنّى الليلُ والصبحُ إن بدا وهُوجٌ من الأرواح غُدوتها شَهر
سَقى جدثاً لو أستطيع سقيتُه بأَوْدٍ[5] فروّاه الرّواعد[6] والقَطر
ولا زال يَرعى من بلادٍ ثوى بها نباتٌ إذا صاب الربيعُ بها نَضر
حلفتُ بربِّ الرافعين أكفَّهم وربِّ الهَدايا حيث حَلَّ بها النَّحر
ومُجتَمع الحجّاج حيثُ توافقت رِفاق من الآفاق تكبيرها جأر
يمينَ امرىء آلى وليس بكاذب وما فى يمينٍ بتَّها صادقٌ وِزْر
لئن كان أمسى ابنُ المعذَّر ثاوياً بُريدٌ لنعم المرء غَيَّبه القبر
هو الخلف المعروف والدين[7] والهُدى ومِسْعرُ حَرب لا كَهام[8] ولا غُمْر

---

(١) عالى : رفع صوته . والنعى : خبر الموت .

(٢) فى الأمالى (٣ : ٣) : « ابن عرين » .

(٣) تغولت ، أى كادت تميد بى . والذى فى التجريد : « تغلغلت » .

(٤) أقنى الحياء : ألزمه . و خزر : ضيقة ، كناية عن اللؤم والحسد .

(٥) أود : مكان . (٦) فى الأغانى : « الروافد » .

(٧) فى الأغانى : « والتقى » مكان « والهدى » .

(٨) مسعر حرب : مثيرها ومهيجها . والكهام : الكليل . والغمر : الذى لم يجرب الأمور .

فتًى كان يُغْلِى اللحمَ نِيئاً ولحمُه رخيصٌ لجاديه[1] إذا تُنزل القِدْر
فتَى الحىِّ والأضيافِ إن رَوَّحتهمُ بَلِيلٌ وزادُ السَّفرِ إن أَرمل[2] السَّفر
إذا جارةٌ حلَّت لديه وفَى بهــا فآبت ولم يُهتك لجارته سِتر
عَفيف على السوآت ما أُلتبست به صليبٌ فما يُلفَى لعود له كَسر
سلكتَ سَبيلَ العالمين فما لهم وراء الذى لاقيتَ مَعدًى ولا قصر
وكُل أمرئ يوماً سيلقى حِمامَه وإن نأت الدَّعوى وطال به العُمر
وأبليتَ خيراً فى الحياة وإنما ثوابُك عندى اليومَ أن يَنطق الشِّعر

(١) يغلى اللحم: يشتريه غاليا. والجادى: طالب المعروف.
(٢) روحتهم: هبت عليهم. وزاد السفر، أى كافلهم. وأرمل: نفذ زاده.

أخبار منصور النَّمَرى

هو منصور بن سَلَمة بن الزِّبرقان بن شَريك بن مُطعِم الكَبشِ الرَّخَم بن مالك ابن سَعد بن عامر الضَّحيان بن سعد بن الخَزرج بن تيم الله بن النَّمِر بن قاسط ابن هِنْب بن أَفْصى بن دُعْمِىّ بن جَديلة بن أَسد بن ربيعة بن نزار . — نسبه

وإنما سُمى عامر : الضَّحيان ، لأنه كان سَيِّد قومه وحاكمهم ، وكان يجلس لهم إذا أضحى النهار ، فسُمِّى الضَّحيان . — تلقيب عامر بالضحيان

وسُمى جد « منصور » : مُطعِمَ الكَبش الرَّخَم ، لأنه أطعم ناساً نزلوا به ونَحر لهم ، ثم رفع رأسَه فإذا هو برَخَم يحُمْن حول أضيافه ، فأمر أن يُذبَح لهم كبشٌ ويُرمى بين أيديهن ، ففُعِل ذلك ، فنَزلن عليه فمزَّقنه . فسُمِّى : مُطعم الكبش الرَّخَم . — تلقيب منصور بمطعم الكبش الرخم

وكان مَنصور النَّمرى شاعراً مُجيداً من شُعراء الدولة العبّاسية ، من أهل الجزيرة . وهو تلميذ العتّابى وراويتُه ، وعنه أَخذ ، ومن بَحره أَستقى ، وبمذهبه تشبَّه . ووصفه العتّابى للفضل بن يحيى بن خالد وقرَّظه عنده حتى أستقدمه من الجزيرة وأستصحبه ، ثم وصله بالرشيد وحَظى عنده . — شىء عنه

وكان يبلغه تقديمُ الرشيد لمروان بن أبى حفصة وتفضيلُه إياه على الشعراء فى الجوائز ، لِمَا كان يتعاطاه مروانُ من الطَّعن على آل علىّ بن أبى طالب — رضى الله عنهم — والقَدح فى إمامتهم ، وتَرجيح بنى العباس عليهم . فسلك مَنصور مَسلك مروان فى ذلك ونَحا نَحوه ولم يُصرِّح بالهجاء ، كما يفعل مروان ، ولكنّه حام ولم يقع ، وأومأ ولم يحقِّق ، لأنه كان يتشيّع . وكان مروان شديدَ — تشبهه بابن أبى حفصة فى تفضيل العباسيين على العلويين

العداوة لآل أبى طالب ، فكان يَنطق عن نيّة قويّة يقصد بها طلب الدنيا ، فلا يُبقى ولا يَذر .

أسف ابن أبى حفصة على معنى سبقه هو إليه

وذكر أن منصوراً النمرىّ أنشد الرشيد قصيدةً يمدحه بها ويُعرِّض بأولاد علىّ عليه السلام ، ويذكر فيها عَفوَ الرشيد عن يحيى بن عبد الله بن حَسن ابن حَسن — رضى الله عنهم — منها :

يُذلِّل من رِقابِ بَنى علىّ ومَنّ ليس بالمَنِّ الصَّغيرِ
مَنَنْتَ على ابن عبد الله يحيى وكانَ من الهَلاك[1] على شَفِير
فإنْ شَكروا فقد أنعمتَ فيهم وإلا فالنَّدامة للكفور
وإنْ قالوا بَنُو بنتٍ فحقٌّ ورُدُّوا ما يُناسب للذّكور

فتأسَّف مروانُ بن أبى حَفصة على هذا المَعنى ألّا يكون سبق منصوراً إليه ، وإلى قوله من هذه القصيدة :

وما لبنى بنساتٍ من تُراث مع الأعمامِ فى رقٍّ[2] الزَّبور

هو والرشيد وقد غضب من الإفراط فى مدحه

وذُكر أنّ الرشيد كان يَحتمل أن يُمدح بما يُمدح به الأنبياء فلا يُنكِر ذلك ولا يرُدّه ، حتى دَخل عليه نَفر من الشُّعراء فيهم رجلٌ من ولد زُهير بن أبى سُلمى ، فأفرط فى مَدحه حتى قال فيه :

* وكأنه بعد الرسول رسول *

فغضب الرشيدُ ولم يَنتفع به أحدٌ يومئذ ، وحَرم ذلك الرجلَ فلم يُعطه شيئاً . وأنشده منصورٌ النَّمرى قصيدةً مدحه بها وهجا آل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فَضجر الرشيدُ ثم قال : يابن اللخناء ، أتظُن أنك تتقرّب إلىّ بهجاء قوم أبوهم أبى ، ونَسبهم نسبى ، وأصلُهم أصلى ، وفَرْعهم فرعى ! فقال : ما شهدنا

(١) فى الأغانى : « الحتوف » . (٢) فى الأغانى : « ورق » .

إلّا بما علمنا . فازداد غضبُ الرشيد ، وأمر مسروراً فوجأ فى عُنقه(١) ، وأُخرج . ثم أُدخل إليه يوماً آخر فأنشده :

بَنى حَسَن ورَهطَ بنى حُسين عليكم بالسَّداد من الأُمور
فقد ذقتم قِراعَ بنى أبيكم غَداة الرَّوع بالبِيض الذُّكور
أحينَ شَفوكمُ من كلِّ وِتْرٍ وضمُّوكم إلى كَنَف وَثير
وجادتكم على ظمأٍ شديد سماءٌ من نوالهم(٢) الغزير
فما كان العُقوق لهم جزاءً بفعلهم وإدراك(٣) الثُّؤور
وإنك حين تُبلغهم أذاة وإن ظلَموا لمَحزونُ الضَّمير

فقال له : صدقت ! وإلّا فعليّ وعليّ ! وأمر له بثلاثين ألف درهم .

وحكى المُفضَّل قال : إعجاب الرشيد بشعر له أنشده إياه

حضرت الرشيدَ ، وقد دَخل عليه منصورٌ النَّمرى فأنشده :

ما تَنقضى حَسرةٌ منّى ولا جَزع إذا ذكرتُ شباباً ليس يُرْتجع
بانَ الشبابُ وفاتتْنى بلذّته صُروفُ دهرٍ وأيامٌ لها خُدَع
ما كنتُ أوفِى شبابى كُنْهَ غِرّته حتى انقضى فإذا الدنيا له تَبع

فتحرّك الرشيدُ لذلك ثم قال : أحسن والله ! لا يتهيّأ لأحدٍ يعيش(٤) حتى يخطُر فى رداء الشباب .

ومن هذه القصيدة :

أىّ امرئ باتَ من هارونَ فى سَخَط فليس بالصَّلوات الخمسِ يَنتفعُ

(١) وجأ فى عنقه : ضربه .
(٢) فى الأغانى : « وجادوكم على ظمأ سديد * سقيتم من نوالهم » .
(٣) الثؤور : جمع ثأر . والذى فى الأغانى : « وآدى للثؤور » .
(٤) فى الأغانى : « لا يهنأ أحد بعيش » .

إن المَكارم والمعروفَ أودية أحلَّك اللهُ منهــا حيثُ تتسع
إذا رفعتَ امرأً فاللهُ يرفعـــه ومَن وضعتَ من الأقوام مُتَّضِع

نبش الرشيد قبره والقصة فى ذلك

وحكى منصور بن جهور قال :

سألت العتّابى عن سبب غَضب الرشيد عليــه . فقال لى : إنّى استقبلت منصوراً النَّمرى يوماً من الأيام فرأيتُـه مغموماً واجماً وكئيباً حزيناً ، فقلت له : ما خبرك ؟ فقــال : تركت امرأتى تُطْلَق وقد عَسُر عليها ولادُها ، وهى يَدِى ورِجلى والقيِّمة بأمرى وأمر منزلى . فقلت له : لم لا تكتُب على فرجها « هارون الرشيد » ؟ فقال : ليكون ماذا ؟ فقلت : لتلد على المكان . قال : وكيف ذلك ؟ قلت : لقولك :

إن أَخلف الغيثُ لم تُخلف مخايلُه أو ضاق أمر ذكرناه فيتَّسعُ

فقال لى : يا كشخان(١) ، والله لئن تخلَّصتِ امرأتى لأذكرنّ قولك هــذا للرشيد . فلما ولدت امرأتُه أخبر الرشيدَ بما كان بينى وبينه . فغضب الرشيد لذلك وأمر بطلبى . فاستترتُ عند الفضل بن الرَّبيع . فلم يزل ميلُه(٢) فىّ حتى أَذِن لى فى الظهور . فلما دخلتُ عليه ، قال لى : قد بلغنى ما قلتَه للنَّمرىّ . فاعتذرتُ إليه حتى قبــل . ثم قلتُ : والله يا أمير المؤمنين ما حَمله على الكَذِب علىّ إلّا وُقوفى على مَيلِه إلى العَلوية ، فإن أراد أميرُ المؤمنين أن أُنشده شعره فى مَديحهم فعلتُ ؟ فقال : أنشدنى . فأنشدتُه :

شاءٌ من النــاس راتع هاملْ يعلِّلون النفوسَ بالبـــاطلْ

حتى بلغت إلى قوله :

إلّا مَساعير يَغضبون لهـــا بسَلَّة البِيض والقنــا الذَّابلْ

(١) الكشخان : الديوس . (٢) فى الأغانى : « يسأل » .

فغضب من ذلك غضباً شديداً ، وقال للفضل بن الربيع : أَحضره الساعة . فبعث الفضلُ فى ذلك، فوَجده قد تُوفى . فأَمر بنبشه و إحراق جُثَّته. فلم يزل الفضلُ يَلْطُف له حتى كَفَّ عنه .

طلبه الرشيد بشعر قاله فاسترضاه بغيره

وذُكر أنّ الرشيد حبس منصوراً النَّمرى بسبب الرَّفض[1] ، فخلَّصه الفضلُ ابن الربيع . ثم بَلغه شعره فى مَدح آل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقال للفضل : اُطلُبه. فستره الفضلُ عنده . وجعل الرشيدُ يُلِحّ فى طَلَبه ، حتى قال يوماً للفَضل : ويحك يا فضل ! تفَوِّتنى النَّمرى ! فقال له : ياسيدى ، هو عندى وقد حصّلته . قال : فجِئْنى به . وكان الفضل قد أَمره أن يُطوِّل شَعره ، و يُكثر مباشرَة الشمس ليشحُبَ لونه وتسوء حاله . فلما رآه قال : السيف ! فقال الفضل : ياسيدى ، ومَن هذا الكلبُ حتى تأمر بقَتله فى مَجلسك ! فقال : أليس هوالقائل :

شاءِ من النـاس راتع هاملْ يعلِّون النُّفوس بالبـاطلْ

فقال منصور : لا يا سيدى ، ما أنا قائل هـذا ، ولقد كُذب علىّ ، ولـكنّى القائل :

يا مَنزل الحىّ[2] بالمَغانى أنعم صباحاً على[3] بِلاكَا
هارون يا خَيرَ من يُرجَّى لم يُطع اللهَ مَن عَصاكا
فى خَير دينٍ وخير دنيا مَن اتقى الله واتقاكا

فأَمر بإطلاقه وتَخْلية سبيله .

---

(١) الرفض : التشيع لآل على . والروافض : فرقة من الشيعة بايعوا يزيد بن على ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين . فأبى ، فتركوه و رفضوه .

(٢) فى الأغانى : « دا المعانى » مكان « بالمغانى » .

(٣) البلى : القدم .

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار منصور النمرى ، هو قوله :

يا زائرينا من الخِيامِ ... حيّاكما الله بالسّلامِ
يحزُننى أن أطفْتُما بى ... ولم تَنالا سوى الكلام
بُوركَ هارونُ من إمام ... بطاعة الله ذى اعتصام
له إلى ذى الجلال قُرْبَى ... ليست لعَدْلٍ ولا إمام

أخبار عبد الله بن الحجاج

نسبه

هو عبد الله بن الحجّاج بن مِحصن بن جُندُب بن نصر بن عمرو بن عَبد غَنم ابن جحّاش بن بَجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض بن الرَّيث ابن غَطفان بن سعد بن قيس عَيلان بن مُضر بن نزار .

كنيته

ويُكنى أبا الأقرع .

خروجه على عبد الملك

شاعر فاتك من مَعدودى فُرسان مُضر ، وذَوى البأس والنجدة منهم . وكان ممّن خَرج مع عمرو بن سَعيد بن العاص الأشدق على عبد الملك بن مروان . فلما قَتل عبدُ الملك عمْراً خرج مع نَجدة بن عامر الخارج ، ثم هَرب فلَحق بعبد الله بن الزُّبير ابن العوّام ، فكان معه حتى قُتل . ثم أمّنه عبدُ الملك لما جاءه . وقيل : إن لحاقه بنَجْدة كان بعد قَتل ابن الزُّبير .

هو وعبد الملك بعد مقتل الزبير

وذُكر أن عبد الله بن الزُّبير لما قُتل وأجمع الناسُ على عبد الملك بن مروان ، وكان عبد الله بن الحجّاج من شيعة ابن الزبير ، خاف خوفاً شديداً من عبد الملك ، فاحتال حتى دخل على عبد الملك وهو يُطعم الناس ، وجلس حَجْرَة[1] . فقال له عبدُ الملك : مالك لا تأكل ؟ وهو لا يعرفه . فقال : لا أستحلّ أن آكُل حتى تأذن لى . فقال : إنّى قد أذنتُ للناس جميعاً . فقال : إنّى لم أعلم ، أفآكُل بأمرك ؟ فقال : كُل . فأكل ، وعبدُ الملك ينظر إليه ويَعجب من فِعاله . فلما أكل الناسُ جلس عبد الملك فى مَجلسه ، وجَلس خواصُّه بين يديه ، وتفرّق الناس ، وجاء عبدُ الله بن الحجّاج فوقف بين يديه ، ثم استأذنه فى الإنشاد . فأذن له . فأنشده :

---

(١) حجرة : ناحية . والذى فى الأغانى : « ودخل حجرة » .

أبلغْ أمـــير المُؤمنين بأننى ... مما لقيتُ من الحوادث مُوجَعُ
مُنِعَ القَرارُ فجئتُ نحوك هــاربًا ... جيشٌ يجُرّ ومِقْنب[1] يتلمّع

فقال له عبـــد الملك : وما خَوفُك ؟ لا أم لك ! لولا أنك مُريب . فقال عبد الله :

إنّ البــلاد علىّ وهى عَريضــة ... وعُرت مذاهبُها وسُــدّ المَطلع

فقال له عبــد الملك : ذلك بما كسبت يداك ، وما الله بظلّام للعبيــد . فقال عبد الله :

إن الذى يَعْصيك منّا بعــدها ... مِن دينــه وحيــاته[2] مُتودِّع
آتِى رضــاك ولا أعُود لِمثلهــا ... وأطيع أمرك ما أمرتَ وأسمع
أُعطى نصيحتىَ الخليفة[3] باخِعًا ... وخِـــزامةَ الأنف المَقُودِ فأتبع

فقال له عبد الملك : هذا ما لا نَقبله منك إلا بعد المعرفة بك و بذنبك ، فإذا عرفنا الحَوْبة قَبِلنا التوبة . فقال عبد الله :

ولقد وطئتَ بنى سَعيد وطأةً ... وأبنَ الزُّبير فعرشُه مُتَضعْضع

فقال عبدُ الملك: لربّ العالمين الحمدُ والمنّة على ذلك . فقال له عبدُ الله :

مازلتَ تَضرب مَنكبًا عن منكب ... تعــلو و يسفُل غيرُكم ما يُرْفَع
ووطئتهم فى الحَرب حتى أصبحوا ... حَدَثًا يُرَسُّ وغابرًا[4] مُتفجِّع
وأرى الذين رجَوْا تُراث محمــد ... أَفَلتْ نُجومهمُ و نَجمك يَسْــطع

فقال عبدُ الملك : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ما أنت وذاك ، لا أم لك ! فقال عبد الله :

(١) المقنب : جماعة الخيل زهاء الثلاثين . ويتلمع : تبرق سيوفه ورماحه .
(٢) فى التجريد : «متورع » . (٣) باخعا : مطيعاً متذللا . (٤) يرس : يذكر .

فحوى خلافتهم ولم يظلم بهـا القَرمُ قَرْمُ بنى قُصىٍّ(١) الأَقرع
لا يَستوى خاوِى نُجومِ أُفَّلٍ والبـدرُ مُنبلجاً إذا ما يَطلُع
وُضعت أُميـةُ واسطين لقومهم ووُضِعْتَ وَسْطَهمُ فنِعْمَ المَوضع
بيتٌ أبو العاصِى بنـاه برَبوة عالِى المَشـارفِ عزُّه ما يُدْفع

فقال له عبـد الملك : إنّ تَوريتك عن نفسك لتُريبنى ، فأىُّ الفَسقة أنت ؟ وما الذى تريد ؟ فقال عبدُ الله :

فأنعش أُصَيْبِيتى الّذين كأنهم حَجَلٌ تدرَّجُ بالشَّربَّة(٢) جُوَّع

فقال عبد الملك : لا أنعشهم الله ، وأجاع أكبادهم . فقال عبد الله :

مالٌ لهم ممّـا يُضَنّ جمعتُـه يومَ القَليب فحِيزَ عنهم(٣) أجمع

فقال له عبد الملك : لعلك أخذتَه من غير حِلّه ، وأنفقته فى غير حقّه ، وأرصدته لمُشَاقّة أولياء الله ، وأعددتَه لمُعاونة أعداء الله . فقال عبد الله :

أدنو لتَرْحمنى وتجـبُرَ فاقتى وأراك تَدْفعنى فأين المَـدفع

فتبسّم عبـد الملك وقال له : إلى النار ، فمن أنت الآن ؟ فقال : أنا عبد الله ابن الحجاج ، وقد وطئتُ دارك ، وأكلت طعامك ، وأنشدتُك ، فإن قتلتنى بعد ذلك فأنت بما عليك فى هذا عارف . وعاد إلى الإنشاد ، فأنشده :

ضاقت ثيـابُ المُلبِسين وفضلُهم عنِّى فألبسنى فثوبُك أوسع

فرمى عبدُ الملك إليـه برداء كان على كتفه ، وقال : ألبسه ، لا لبستَ ! فالتحف به . ثم قال له عبدُ الملك : أوْلَى لك والله ، لقد طاولتُك طَمَعاً فى أن يقوم

(١) الأقرع : القوى الشديد . والذى فى الأغانى « الأنزع » .
(٢) الحجل : ضرب من الطير . والشربة : موضع .
(٣) حيز عنهم : أبعد .

إليك بعضُ هؤلاء فيقتلَك ، فأَبى اللهُ ذلك ، فلا تُجاوِرْنى فى بلد ، وأنصرف آمناً ، وأقم حيثُ شِئتَ .

استعاذ بعبد الملك من الحجاج فأعاذه

وذُكر أنّ الحجّاج بن يُوسف الثَّقفى كتب إلى عبد الملك بن مروان يُعرِّفه آثار عبد الله بن الحجّاج و بلاءه فى محاربته ، وأنه بلغه أنه أمّنه ، و يُحرِّضه عليه، و يسأله أن يُنفذه إليــه ليتولّى قتلَه . و بلغ ذلك عبدَ الله بنَ الحجّاج ، فجاء حتى وقف بين يدى عبد الملك بن مروان وأَنشده :

أعُـــوذ بثَوبَيْك اللّذين أرتداهما ... كَريم الثَّنا من جَيْبه المسكُ يَنفْحُ
فإن كنتُ مأ كولاً فكُنتُ أنت آكلى ... و إن كنتُ مذبوحاً فكنتُ أنت تذبح

فقال عبد الملك ما صنعت شيئاً ! فقال عبد الله :

لأنتَ وخيرُ الظافرين كِرامُهم ... عن المُذنب الخاشى العقابَ صَفُوحُ
ولو زَلِقتْ من قبلِ صَفحِك[١] نعلُه ... تَرامى به دَحْضُ المَقــام[٢] نَزِيح
نَمى بك إن خانت رجالا عُروقُهم ... أرومٌ ودينٌ لم يَخُنْــك صحيــح
وعِرْقٌ[٣] سَرى لم يَسْرِ فى الناس مثلُه ... وشــأوٌ على شــأوِ الرِّجال[٤] مَتُوح
تَداركنى عفوُ أبن مروانَ بعــد ما ... جَرى لىَ من دون الحَياة[٥] سَنِيح
رفعتُ مُريحاً ناظرىَّ ولم أكد ... من الغمِّ والكَرب الشــديد أُريح

فكتب عبدُ الملك : إلى الحجّاج : إنّى قد عرفتُ من خُبث عبد الله وفِسقه ما لا يزيدنى عِلماً به ، إلا أنه أغتفلنى متنكِّراً ، فدخل دارى ، وتحرَّم بطَعامى ، وأستكسانى فكسوتُه ثوباً من ثيابى، وعاذ بى فأعذتُه ، وفى دون هذا ماحظر علىّ

(١) فى الأغانى : « عفوك » مكان « صفحك » .
(٢) الدحض : الزلق . والنزيح : البعيد . والذى فى الأغانى « البريح » وهو : المتعب .
(٣) فى الأغانى : « وعرف » . (٤) متوح : « بعيد » .
(٥) السنيح : « السانح مما يتفاءل به . والرواية فى الأغانى : « جرى لى من بعد الحياة .

دمَه ، وعبدُ الله أقلُّ وأذلُّ أن ينكُثَ عهـداً فى قَتله خوفاً من شره ، فإنْ شَـكَر النِّعمة فأَقام على الطاعة فلا سبيلَ إليـه ، و إن كَفَر ما أُوتى وشـاقّ اللهَ ورسولَه وأولياءه فالله قاتلُه بسيف البَغى الذى قُتل به نظراؤه ، ومن هو أشدُّ بأساً وشكيمةً منه من المُلحدين ، فلا تَعرض له ولا لأَحد من أهل بيته إلّا بخَير . والسلام .

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبار عبدالله بن الحجاج ، هو :

طربتَ إلى الحىّ الذين تحمَّلوا ببُرقة أَحواذ[1] وأنت طَروبُ

فبِتُّ أُسقّاها سُلافاً مُدامةً لها فى عِظام الشارِبين دَبيب

وهذان البيتان من قصيدة طويلة منها :

وأنَّى تُرجِّى الوصلَ منها وقد نأت وتَبخلُ بالموجود وَهْو[2] قَريب

فمافوقَ وَجدى إذ نأت وجدُ واجدٍ من الناس لو كانت بذاك تُثيب

(١) برقة أحواذ : موضع .

(٢) فى الأغانى : « وهى » .

أخبار ناهض بن ثومة

نسبه وشيء عنه

هو أحد بني كِلاب بن رَبيعة بن عامر بن صعصعة . شاعر بدويّ فَصيح من شُعراء الدولة العباسية . وكان يَقْدَم البصرة فيُكتب شِعره وتُؤخذ عنه اللغة ، و يأخذ عنه الرُّواة ، كالرِّياشيّ وغيره .

وفوده على قثم ووصفه له وليمة

وكان بدويًّا جافياً كأنه من الوحش ، وكان طيّبَ الحديث . فحكى أنه وفد على قُثَم بن جعفر بن سُليمان بن عليّ بن عبد الله بن العباس مرة فمدحه ، وحكى له أنه أنتجع ناحيةَ الشام ، فقَصد صديقاً له من ولد خالدِ بن يزيد بنِ مُعاوية بحَلب ، قال : فمررتُ بقرية يقال لها : قرية بكر بن عبد الله الهلاليّ ، فرأيتُ دوراً مُتباينة وخِصاصاً[1] قد ضُمّ بعضها إلى بعض ، فإذا ناسٌ كثير مُقبلون ومُدبرون، عليهم ثيابٌ تحكى ألوان الزَّهر . قال : فقلت فى نفسى : هذا أحد العيدَين : الأضحى أو الفطر . ثم ثاب إلىّ ما عَزب عن عَقلى ، فقلت : خرجتُ من أهلى ببادية البصرة فى صَفر ، وقد مضى العيدان قبل ذلك ، فما هذا الذى أرى ! فبينا أنا واقفٌ متعجِّب أتانى رجلٌ فأخذ بيدى فأدخلنى داراً قَوراء[2]، وأدخلنى منها بيتاً قد نُجِّد ، فى وجهه فُرش قد مُهِّدت ، وعليها شابٌّ تنال فُروع شَعره منكبيه ، والناسُ حوله سِماطان[3] ، فقلت فى نفسى : هذا الأمير الذى حُكى لنا جُلوسه على السرير وجُلوس الناس بين يديه . فقلت: وأنا ماثل بين يديه : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله و بركاته . فجذب رجلٌ بيدى وقال : أجلس فإن هذا ليس بأمير . فقلت :

---

(١) الخصاص : البيوت من القصب . (٢) قوراء : واسعة .
(٣) السماط : الصف .

وما هو ؟ قال : عروس . فقلت : واثُــكْل أمّاه ! لرُب عَروس رأيته بالبادية أهونُ على أهله من هَنٍ(١) أمه . فلم أنشب أنْ دخل رجالٌ يَحملون هَنَاتٍ(٢) مُدوَّرات ، أمّا ما خفّ منها فيُحمل حملاً ، وأمّا ما ثَقُل وكَبُر فيدحرج . فوُضع ذلك أمامنا ، وتحلّق القومُ عليه حلقاً . ثم أُتينا بخِرق بيضٍ فأُلقيت بين أيدينا ، فظننتُها ثياباً ، وهممتُ أن أسأل القوم منهـا خِرقاً أقطعها قميصاً ، وذلك أنى رأيتُ لهـا نَسجاً مُتلاحماً لا يَبين له سدًى ولا لُحمة . فلما بسطه القومُ بين أيديهم ، إذا هو يتمزّق سريعاً، فإذا هو — فيما زعموا — صِنفٌ من الخُبز لا أعرفه . ثم أُتينا بطَعام كثير من حُلْو وحامض ، وحارّ وبارد ، فأكثرتُ منه ، وأنا لا أعلم ما فى عَقبه من التَّخَم والبَشَم . وأُتينا بشَراب أحمر فى عِساس(٣) . فقلت : لا حاجةَ لى فيه ، فإنى أخاف أن يقتلنى . وكان إلى جنبى رجل ناصحٌ أحسن الله جزاءه ، فإنه كان ينصح لى من بين أهل المجلس ، فقال لى : يا أعرابى . إنك قد أكثرت من الطعام ، وإن شربت المـاءَ هَمَى(٤) بطنُك . فلما ذَكر البطن تذكّرتُ شيئاً كان قد أوصانى به أبى والأشياخُ من أهلى ، قالوا : لا تزال حيًّا ما دام بطنُك شديداً ، فإذا اختلف فأَوْصِ . فشربتُ من ذلك الشراب لأتداوى به ، وجعلتُ أُكثر منه فلا أَمَلُّ شُربه . وتداخلنى لذلك صَلَف لا أعرفه من نفسى ، وبُكاء لا أعلم سببه ولا عِلم لى بمثله ، واقتدارٌ على أمر أظنُّ معه أنى لو أردتُ نَيل السقف لبلغتُه ، ولو ساورتُ الأسد لقتلتُه ، وجعلت أتلفّت إلى الرجل الناصح لى، فتُحدِّثنى نفسى بهَتْم أسنانه وهَشْم وجهــه وأنفه ، وأَهُم أحياناً أن أقول له : يابن الزانيــة ! فبينا نحن كذلك إذ هجم علينا شياطينُ أربعــة ، أحدهم قد عَلّق فى عُنقه جَعبــة فارسيَّة مُشنَّجة(٥)

(١) الهن : الفرج . (٢) هنات : أشياء .
(٣) عساس : جمع عس ، وهو القدح الكبير .
(٤) همى : انطلق .
(٥) مشنجة : منقبضة .

الطرفَين ، دقيقة الوسط ، مَشْروجة[١] بالخُيوط شَرْجاً مُنكراً . ثم بدَر الثانى واستخرج من كُمّه هَنَةً سوداء كفَيشلة الحِمار ، فوضَعها فى فِيه ، وضَرط منها ضُراطاً لم أَسمع — وبيتِ الله — أعجبَ منه ، ثم حركَ أصابعه على جِحَرة[٢] فيها ، فأخرج منها أصواتاً مُتلائمة تشاكل بعضها بعضاً ، كأنه — علم الله — ينطق . ثم بدر ثالث عليه قميصٌ وسخ ، ومعه صفّاقتان[٣] فجعل يصفّق بهما بيديه ، إحداهما على الأخرى . فخالطتا بصوتهما ما يفعله الرجلان . ثم بدر رابع عليه قَميص وسراويل وخُفّان لا ساق لواحد منهما ، فجعلَ يقفز كأنه يثب على ظهور العَقارب ، ثم التطّ[٤] بالأرض . فقلت : معتوه ورب الكعبة ! ثم مابَرح مكانه حتى كان أغبَط القوم عندى . ورأيت القوم يَحذفونه[٥] بالدراهم حَذفاً مُنكراً . ثم أرسل النِّساء إلينا : أن أَمتعونا من لهوكم هذا . فبعثوا بهم . وجعلنا نسمع أصواتهم من بُعد . وكان فى البيت شابٌّ لا آبه له ، فارتفعت الأصوات بالثناء عليه والدعاء له ، فخرج فجاء بخَشبة عَيناها فى صدرها ، فيها خُيوط أربعة ، فاستخرج من خلالها عُوداً فوضعه خلف أُذنه ، ثم حركَ آذانها وحرّكها بخشبة فى يده ، فنَطقت ورب الكعبة . فإذا هى أحسن قَينة رأيتُها قطُّ . وغنَّى عليها فأَطربنى حتى أستخفّنى من مَجلسى ، فوثبتُ وجلست بين يديه وقلت : بأبى أنت وأمى ! ما هذه الدابّة فلست أعرفها للأعراب ، وما أراها خلقت إلا قريباً ! فقال : هذا البَربط[٦] . فقلت : بأبى أنت وأمى ! فما هذا الخَيط الأسفل ؟ فقال : الزير[٧] . فقلت : فالذى يليه ؟ فقال : المَثْنَى . فقلت : فالثالث ؟ قال : المَثْلث . قلت : فالأعلى ؟ قال : البَمّ[٨] . فقلت :

---

(١) فى الأغانى : « مشبوحة » . (٢) يريد : الثقوب .

(٣) فى الأغانى : « مرآتان » .

(٤) التط بالأرض : لصق . والذى فى الأغانى : « التبط » .

(٥) يحذفونه : يرمونه . (٦) البربط : العود .

(٧) الزير : أدق أوتار العود . (٨) البم : الوتر الغليظ .

آمنت بالله أولاً و بك ثانياً و بالبربط ثالثاً و بالبم رابعاً . فضَحك قُثْم بن جعفر حتى سقط . وجعل ناهضٌ يعجب من ضَحكه . ثم كان بعد ذلك يَستعيد هذا الحديث منه و يُطْرف به إخوانه ، فيُعيده و يضحكون منه .

شعره الذى فيه الغناء

وشعر ناهض الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره ، هو :

يا حبَّذا عملُ الشيطان من عَملِ ... إنْ كان من عَمل الشَّيطان حُبِّيهَا

لنظرةٌ من سُليمى اليومَ واحدةٌ ... أشهى إلىّ من الدُّنيا وما فيها

أخبار المخبّل السعدى

نسبه — هو الرَّبيع . وقيل : كعب بن ربيعة . وقيل : ربيعة بن مالك بن ربيعة ابن عوف بن قتال بن أنف الناقة بن قُريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مَناة بن تميم .

طبقته وكنيته — شاعر فحل ، من مُخضرمى الجاهلية والإسلام . ويكنى : أبا يزيد ، وإياه يعنى الفرزدق بقوله :

وَهب القصائدَ لى النوابغُ إذ مضَوْا ... وأبو يزيد وذو القُروح وجَرْوَلُ

ذو القروح : هو أمرؤ القيس . وجرول : الحطيئة . وأبو يزيد : المُخبل .

وجعله ابن سلام فى الطبقة الخامسة من فُحول الشعراء ، وقَرنه بخداش بن زُهير ، والأسود بن يعفر ، وتميم بن مُقبل .

عمره ووفاته — وعُمِّر المُخبَّل فى الجاهلية والإسلام عُمراً كبيراً . وتُوفى فى خلافة عمر أو عثمان ، رضى الله عنهما ، وهو شيخ كبير .

جزع على ابنه حين خرج للحرب فرد إليه — وذُكر أن ابنه شَيبان بن المُخبَّل هاجر وخرج مع سعد بن أبى وقاص لحرب الفُرس ، فجزع عليه المُخبل جزعاً شديداً ، وكان قد أسنَّ وضَعف ، وافتقر إلى ابنه فافتقده ، فلم يَملك الصبرَ عنه وكاد أن يُغلب على عقله ، وقال أبياتاً منها :

فإن يكُ غُصنى أصبح اليوم ذاوياً ... وغصنُك من ماء الشَّباب رطيبُ

فإنِّى حَنتْ ظَهرى خطوبٌ تتابعت ... فمشيى ضعيفٌ فى الرجال دَبيب

وبلغ عمرَ رضى الله عنه شعرهُ ، فرقّ له وأمر بردّ ابنه ، فرُد إليه .

والشعر الذي فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار المخبل ، هو قوله : شعره الذي فيه الغناء

أعرفتَ من سَلمى رُسومَ ديار ... بالشطّ بين مُخفّقٍ[١] وصَحارِ
وسألتها عن أهلها فوجدتُها ... عمياءَ جاهلةً عن الأخبار

وهذا الشعر من قصيدة يمدح بها الُمخبل علقمَة بن هَوذة ، ويذكر فعله به ، وما وهبه من ماله ، يقول فيها :

فجزى الإله سَراة قومى نَضرةً ... وسقاهمُ بمَشارب الأبرارِ
قومٌ إذا خافوا عثارَ أخيهمُ ... لا يُسلمون أخاهمُ لعِثار
أمثالُ علقمة بن هَوذة إذ سَعى ... يَخشى علىّ مَتالف[٢] الأمصار
أثنوا علىّ وأحسنوا وترافدوا ... لى بالَمخاض البُزل[٣] والأبكار

---

(١) الشط : موضع باليمامة . ومخفق : رمل أسفل الدهماء من ديار بنى سعد .
(٢) فى الأغانى : « الأبصار » .
(٣) المخاض : الحوامل من النوق ، أو العشار منها التى أتى على حملها عشرة أشهر . والبزل : التى بلغت التاسعة . والأبكار : التى ولدت أول بطن .

أخبار غيلان بن سلمة

نسبه

هو غيلان بن سَلمة بن معتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف ابن قَسِيّ . وهو ثقيف .

وأمهُ سبيعةُ بنت عبد شَمس بن عبد مناف ، أُخت أمية .

إسلامه هو وابنه وموته

أدركَ الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف ، ولم يُهاجر . وأسلم أبنه عامر قبله ، وهاجر ومات بالشام فى طاعون عِمَواس[١] . وأبوه حيّ .

منزلته فى الشعر

وغيلان شاعرٌ مُقل ، ليس بمعروف فى الفُحول .

ابنته بادية ووصف هيت لها

وابنته : باديةُ بنت غيلان ، التى قال فيها هِيتٌ المخنَّث لعُمر بن أم سلمة ـ وأمه أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها ـ أو لأخيه سلمة : إن فتح الله عليكم الطائف فسَل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَهب لك بادية بنت غيلان ، فإنها كحلاء ، شَموعٌ نجلاء[٢] ، هَيفاء خَمصانة ، إن مشت تثنّت ، وإن تكلمت تَغنّت ، تُقبل بأربع، وتُدبر بثَمان[٣] ، وبين فَخذيها كالإناء المُكفأ . فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم هِيتاً وطرده .

هو وابنه عمار فى مال اتهمه به

وذُكر أن غَيلان بن سلمة تزوّج خالدةَ بنت أبى العاصى بن أُمية ، وهى عمة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فولدت له عامراً وعمّاراً . فهاجر عمّار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعَمد خازن كان لغيلان إلى مال له فسرقه وأخرجه من حصنه فدفنه ، وأخبر غيلانَ أن ابنه عماراً سرق ماله وهرب به . فأشاع ذلك غيلانُ

---

(١) عمواس ، بالكسر والفتح وسكون الميم ، أو بفتح أوله وثانيه : كورة من فلسطين قرب بيت المقدس .

(٢) الشموع : اللعوب . والنجلاء : الواسعة العينين .

(٣) يريد : عكن البطن ، فإنها إذا أقبلت أربع ، وإذا أدبرت ثمان .

فى الناس . و بلغ خبرُه عماراً ، فلم يعتذر إلى أبيـه ولم يذكر له براءته مما قيل له .
فلما شاع ذلك جاءت أَمةٌ لبعض ثقيف إلى غيـلان فقالت : أىّ شىء لى عليك إن دللتُك على مالك ؟ قال : ما شئتِ . قالت : تبتاعنى وتُعتقنى ؟ قال : ذلك لك . قالت : فاُخرج معى . فخرج معهـا ، فقالت : إنى رأيت عبـدك فلاناً قد اُحتفر هاهنا ليلة كذا ودفن شيئاً ، و إنه لا يزال يَعتاده و يراعيه و يتفقّده فى اليوم مرات ، وما أراه إلا المـال . فاُحتفر الموضع ، فإذا هو بماله . فابتاع الأَمة فأعتقها . وشاع الخبر فى الناس حتى بلغ اُبنَه ، فقال : والله لا يرانى أبداً غيلانُ ولا ينظر فى وجهى .
فلما أسلم غيلان ، خرج عامر وعمّار مُغاضبين لأبيهما مع خالد بن الوليد .

رثاؤه لابنه عامر

فتُوفى عامر بعَمواس ، وكان فارس ثقيف . فقال غيلان يرثيه :

يا عامُ مَن للخيل لما أَحجمت ... عن شَـدة مرهوبةٍ وطِعانِ
لو أستطيعُ جعلت منّى عامراً ... تحت الضُّلوع(١) وكُل حىّ فانى
يا عين بَـكِّى ذا الحزامة عامراً ... للخَيـل يومَ تواقُف وطِعان

لابن واصل عن نساء غيلان العشر

قلت :
وغيلان هــذا ، هو الذى أسلم وتحتـه عشر نسوة . فقـال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اُختر أربعاً منهنّ وفارق سائرَهن .

قصه وفوده على كسرى

وذُكر أن أبا سفيان بن حرب بن أُمية خرج فى جماعة من قُريش ، وثَقيف ، يريد العراق ، فلما ساروا ثلاثاً جمعهم أبو سفيان فقال لهم : إنّا من مسيرنا هذا لعلى خَطر ، ما قُدومنا على ملك جبّار لم يأذن لنا فى القُدوم عليـه ، وليست بلاده لنا متجراً ، ولـكن أيّـكم يذهب بالعِير ، فإن أُصيب فنحن بُرآء من دمه ، وإن غَنم فله نصفُ الربح ؟ فقال غيلان بن سـلمة : دعونى إذن ، فأنا لها . فدخل الوادى وجعل يطوف و يضرب بعصاه فروع الشجر ، و يقول :

(١) فى الأغانى : « بين » .

فلو رآنى أبو غيلان إذ حَسرت عنّى الأُمورِ إلى أمرٍ له[1] طَبَقُ
لقال رُغْبٌ ورُهبٌ يجمعان معاً حُبُّ الحياة وهول النَّفْس والشَّفق
إمّا بقيتَ على مجـد ومَـكرمة أو أُسوةٌ لك فيمن يَهْلِك[2] الوَرَق

ثم قال : أنا صاحبكم . فخرج فى العِير ، فلما قدم بلاد كسرى تخلّق[3] ولبس ثوبين أصفرين، وشَهر أمره، وجلس بباب كسرى حتى أُذن له . فدخل إليه و بينهما شُبَّاك من ذهب . فخرج إليه التَّرجمان وقال : يقول لك الملك : ما أَدخلك بلادى بغير إذنى ؟ فقال له: لستُ من أهل عَداوة لك ولا أتيتُك جاسوساً لضدٍّ من أضدادك، و إنمـا جئتُك بتجارة تَستمتع بها ، فإن أردتها فهى لك ، و إن لم تردها وأَذنت فى بَيعها لرعيّتك بعتُهـا ، و إن لم تأذن فى ذلك رددتَها . فإنه ليتكلّم إذ سمع صوت كسرى فسجد . فقال له الترجمان : يقول لك الملك : لم سجدت ؟ قال : سمعتُ صوتاً عالياً حيث لا ينبغى لأحد أن يعلو صوتُه إجلالاً للملك ، فعلمتُ أنه لا يُقدم على رفع الصوت هناك غير الملك ، فسجدت إعظاماً له . فاستحسن كسرى ما فَعل وأَمر له بمِرْفقة[4] تُوضع تحته . فلما أُتى بها رأى عليها صُورة الملك ، فوضعها على رأسه . فاستجهله كسرى واستحمقه وقال للترجمان : قل له : إنما بعثنا إليك هذه لتجلس عليها . قال: قد علمتُ ، ولـكنى لمّا أُتيتُ بها ورأيتُ عليها صورةَ الملك ، فلم يكن حقُّ صُورته على مِثلى أن يجلسَ عليها ، ولـكن كان حقّها التعظيم ، فوضعتُها على رأسى ، لأنه أشرف الأعضاء وأكرمُها علىّ . فاستحسن فعلَه جداً . ثم قال له الملك : ألك ولد ؟ قال : نعم . قال : فأيهم أحبُّ إليك ؟ قال : الصغيرُ حتى يكبُر ، والمريض حتى يَبرأ ، والغـائب حتى يقـدَم . فقال كسرى : زه ! ما أدخلك علىّ ودَلّك على هـذا القول والفعل إلا حظُّك ، وهذا فِعلُ الحكماء

(١) حسر : انكشف . والطبق : الحال والخطر . (٢) الورق : الفضة .
(٣) أى تطيب بالخلوق . (٤) المرفقة : المخدة والمتكأ .

وكلامُهم ، وأنت من قومٍ جُفاة لا حكمة فيهم ! فما غذاؤك ؟ قال : خُبز البُر . فقال : هذا العقل[١] من البُر لا من اللّبن والتمر . ثم أشترى منه التجارةَ بأضعاف ثمنها ، وكَساه ، وبعث معه من الفُرس مَن بَنى له أُطماً[٢] بالطائف . فكان أول أُطُم بُنِي بها .

رثاؤه ابنه نافعا وحزنه عليه

وذُكر أنّ نافع بن غَيلان بن سلمة أُستشهد مع خالد بن الوليد بدُومة الجَندل ، فجَزِع عليه غيلانُ وكثُر بكاؤه عليه ، وقال يرثيه :

ما بالُ عَيني لا تُغمِّض ساعةً ... إلّا أعترتْني عبرةٌ تَغشاني
أرعَى نُجوم الليل عند طُلوعها ... وَهْناً[٣] وهُنّ من الغُروب دَوانى
يا نافعاً مَن للفوارس أُحجمت ... عن فارس يعلو ذُرَى الأَقران
فلو أُستطعتُ جعلتُ منّى نافعاً ... بين اللَّهاة وبين عَكْد[٤] لسانى

وكثُر بكاؤه عليه ، فعُوتِب فى ذلك ، فقال : والله لا تسمح عينى بمائها فأَضنُّ به على نافع . فلما تطاول العهدُ أُنقطع ذلك من فعله . فقال : بَلِى نافع ، وبَلِي الجزع ، وفَنِي وفنيتِ الدُّموع ، واللحاقُ به قريب .

تعقيب لابن واصل

قلت :

ولعله من هذا أخذ الشاعرُ قولَه :

وكما تَبلى وجوهٌ فى الثرى ... فكذا يَبلى عليهنّ الحَزَنْ

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار غيلان ، هو :

أَسْلُ عن سَلمى[٥] علاكَ المَشيبُ ... وتَصابِي الشيخ شىءٌ عَجيبُ

(١) فى التجريد : « الفضل » . (٢) الأطم : القصر ، أو الحصن .
(٣) الوهن : نحو منتصف الليل ، أو بعد ساعة منه ، أو هو حين يدبر الليل .
(٤) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق . وعكد اللسان : وسطه .
(٥) فى الأصول التى بين أيدينا من الأغانى : « ليلى » .

وإذا كان النَّسيب بسَلمى لذّ فى سَلمى وطاب النَّسيب
إنمـــا شبَّهتُهـا إذ تراءت وعليهـا من عيون[1] رَقيب
بطُلوع الشَّمس فى يوم دَجْن بُكرةً أو حان منهـا غُروب
إننى فاْعلم وإن عزّ أهلى بالسُّويداء[2] الغـداةَ غريب

(١) فى التجريد : « طلوع » .

(٢) السويداء : موضع بالحجاز ، بعد المدينة على طريق الشام . (ياقوت) .

حاجز بن عوف

ثم ذكر أبو الفرج : حاجز بن عوف بن الحارث الأَزدى ، أحـــد صعاليك العرب ، والمَشهورين بالعَدْو منهم . وهو شاعر جاهلى ومُقل ، ليس من مشهورى الشعراء ، ولم أختر له شيئاً .

أخبار الحارث بن الطفيل

نســبه

هو الحارث بن الطفيل بن عبدالله بن مالك بن عمرو بن فَهم بن غَنم بن دَوس ابن عبــد الله بن عُدثان بن عُبيد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب ابن عبد الله بن مالك بن نَصر بن الأزد .

من الشــعراء المخضرمين

شاعر فارس من مُخضرمى شُعراء الجاهلية والإسلام .

أبوه شاعر ووفوده على النبي صلى الله عليه وسلم

وأبوه الطُّفَيل شاعر أيضاً . وهو أول مَن وفد من دَوس إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم . وعاد إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام .

ذُكر أن الطُّفيل والد عمرو الدَّوسى خَرج حتى أتى مكة حاجًّا ، وقد بُعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم وهاجر إلى المدينة ، فقالت قريش للطُّفيل : انظُر لنا ما هذا الرجل — يعنون النبيّ صلى الله عليه وسلم — فأَتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فدعاه إلى الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فأسلم . وعاد إلى قومه فأتاهم فى ليلة مَطيرة ظَلماء ، فلم يُبصر أين يسلُك ، فأضاء له نورٌ فى طَرَف سوطه فبهر الناسَ . وكانوا يأخذون بسوطه فيخرج النورُ من بين أصابعهم .

تعقيب لابن واصل

قلت[1] : قد ذكر ابن هشام فى السيرة النبوية أن طُفيــلاً سأل رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُعطيه آية يَستعين بها على إجابة قومه له إلى الإسلام . فلما قَدِم على قومه أضاء له نُور ما بين عَينيه ، فخاف أن يظُن قومُه أنها مُثْــلة ، فسأل الله تعـــالى أن يُحوِّل النورَ من بين عَينيه إلى غير ذلك . فتحوَّل النور إلى طَرَف سوطه .

---

(١) انظر (٢ : ٢١ — ٢٥) من السيرة لابن هشام طبعة الحلبى .

عود إلى وفود الطفيل على النبى صلى الله عليه وسلم

قال أبو الفرج :

فدعا أبويه إلى الإسلام ، فأسلم أبوه ولم تُسلم أمه . ودعا قومَه ، فلم يُجبه إلا أبو هُريرة رضى الله عنه . ونزَل هو وأهلُه فى جبلٍ مَنيع ، فكان يزحف فى عَقَبة[1] ذلك الجبل ويقول :

يا طُولَها من ليلة وعناءها   على أنّها من بَلدةِ الكُفر نَجَّتِ

ثم أتى الطفيلُ النبىَّ صلى الله عليه وسلم ومعه أبو هريرة ، فقال له : ما وراءك ؟ فقال : بلاد حصينة ، وكُفر شديد . فتوضّأ النبىُّ صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : اللهم اُهد دَوْساً — ثلاث مرات — قال أبو هريرة رضى الله عنه : لما صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم خفت أن يدعو على قومى فيهلكوا فصِحْت : واقوماه ! فلما دعا لهم سُرِّى عنى . ولم يُحب الطفيلُ أن يدعو لهم لخلافهم عليه — فقال له : لم أُحبّ هذا منك يا رسول الله . فقال له : إنّ فيهم مثلك كثير .

إسلام جندب فى خمسين من قومه

وكان جُنْدب بن عمرو بن حُمَمة الدَّوْسى يقول فى الجاهلية : إنّ للخلق خالقاً لا أعلم ما هو ! فخرج فى خَمسة وسبعين رجلاً من دوس ، حتى أتى النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، فأَسلم وأَسلموا . وكان جُندب يُقرّبهم إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم رجلاً رجلاً ، فيُسلمون .

شعر الحارث الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبار الحارث بن الطفيل ، هو قصيدة أولُها :

يا دارُ من ماوِىَّ بالسَّهبِ[2]   بُنيتْ على خَطْب من الخَطْبِ

(١) العقبة : طريق فى الجبل وعر .

(٢) السهب : موضع .

يقول فيها :

جانيك من يجنى عليك وقد تُعدى الصِّحاحَ مبارِكُ الجَرْب
ولرُبَّ مأخوذ بذنب قرينه ونجا المُقارف صاحب الذَّنْب[١]

وهذه القصيدة ذكرها فى حَرب وقعت بين دوس و بنى الحارث بن يشكر، لم أر التطويل بذكرها .

(١) لم يرد هذا البيت فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

أخبار عبد الصمد بن المعذل

نسبه

هو عبد الصمد بن المعذَّل بن غيلان بن الحكم بن البَخْتَرىّ بن ذَريح بن همّام ابن ربيعة بن بشر بن حُمْران بن حِذْرِجان بن عِسّاس بن ليث بن حُدّاد بن ظالم ابن ذُهل بن عجل بن عمرو بن وديعة بن لُكَيز بن أفصى بن عبد القيس ابن أَفْصى بن دُعْمىّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار .

وذُكر أن أفصى أبا عبد القيس، وهو ابن جَديلة ؛ وأَفصى جد بكر بن وائل ، هو أفصى بن دُعمى بن جديلة ؛ وأحدهما غير الآخر ، والنَّسابون يغلطون فيجعلونهما واحداً .

كنيته وأمه

وكنية عبد الصمد بن المعذَّل : أبو القاسم ؛ وأُمه أُم ولد يقال لها : الزرقاء .

شيء عن شعره ومولده ومنشئه

شاعر فَصيح من شُعراء الدولة العباسية ، مصرىّ المولد والمنشأ . وكان هجّاء خبيثَ اللسان .

هو وأخوه أحمد

وكان أخوه أحمد شاعراً ؛ إلا أنه كان عنيفاً ، ذا مروءة ودين وتقدُّمٍ فى المعتزلة ، وجاه واسع فى بلده وعند سُلطانه ، لا يُقارب به عبد الصمد فيه ؛ فكان يحسُده ويهجوه فيَحلم عنه . وعبد الصمد أشعرُهما .

أبوه وجده شاعران

وكان أبو عبد الصمد المُعذّلُ ، وجدُّه غيلانُ ، شاعرين . والمعذَّل بن غيلان الذى يقول :

إلى الله أشكو لا إلى الناس أننى ... أرى صالح الأعمال لا أَستطيعُها
أرى خَلّةً فى إخوةٍ [1] وقرابةٍ ... وذى رَحِمٍ ما كان مِثلى يُضيعها

---

(١) فى غير التجريد : « وأقارب » مكان « وقرابة » .

فلو ساعدتْنى فى المكارم[1] إخوة   لغاض عليهم بالنّوال ربيعُها

وله أيضاً :

ولست بميّالٍ إلى جانب الغِنَى   إذا كانت العلياء فى جانب الفقرِ
وإنّى لصبّارٌ على ما ينوبنى   وحسبك أنّ الله أثْنَى على الصّبر

عبد الصمد وفتى تعشقه هجره

وذُكر أنّ عبد الصمد بن المُعذَّل كان يتعشّق فتًى من المُغنّين يقال له أحمد ، فغاضبه الفتى وهجره ، فكتب إليه :

سَلْ جَزَعى مذ صددتَ عن حالى   هل خَطر الصبرُ لى على بالِ
لا غـيّر اللهُ سوء فِعلك بى   إن كنتُ أعتبتُ فيك عُذّالى
ولا ذممتُ البكا عليك ولا   حَمِدتُ حُسن السلوّ من سالى
لو كنتُ أبغى سِواك ما جهلتْ   نفسىَ أنّ الصُّدود أعفَى لى

شعره فى الأفشين

وذكر أن عبد الصمد بن المُعذَّل رأى الأفشَين بِسُرّمَن من رأى ، وهو غلام أمرد ، وكان من أحسن النـاس ، وهو واقف على باب الخليفة مع أولاد القواد ، فقال فيه :

أيُّها اللاحِظى بطَرْف كَليلِ   هل إلى الوَصل بيننا من سَبيلِ
عَلم الله أننى أتمنَّى   زَورةً منك عند وقتِ المَقيل
بعد ما قد غدوتَ فى القُرطق الجَو   ن تَهادَى وفى الحُسام الصّقيل
وتكَفَّيت[2] فى المَواكب تختا   ل عليها تَميل كُلَّ مَميل
وأطلتَ الوقوف منك بباب الـ   ـقصر تلهو بكُل قالٍ وقيل
وتحدَّثتَ فى مُطاردة الصّيـ   ـد بخُبرٍ به ورأى أصيل

(١) فيما بين أيدينا من أصول الأغانى : « قدرة » مكان « إخوة » .
(٢) تكفيت ، أى تكفأت وتمايلت .

ثم نازعتَ فى السِّنان(١) وفى الدّر ع وعِلْمٍ بمُرهفـات النُّصول
وتـكلَّمت فى الطِّراد وفى الطَّعْـ ـنِ ووَثْب على صِعاب الخُيول
وإذا ما تفرّق القومُ أقبلْـ ـتَ كريحانةٍ دنتْ لذُبول
قد كساك الغبارُ منـه رداءً فوق صُدْغ وجَفنِ طَرْف كَحيل
وبَدتْ وُرْدةُ القَسامة من خدّ ك فى مُشرق نَقِىّ(٢) أسيل
ترشَح المسكَ منك(٣) سالفةُ الظَّبْـ ـى وجيدُ الأُدمانة(٤) العُطْبول
فأسوف(٥) الغُبار ساعة ألقا ك برَشْف الخدَّيْن والتقبيل
وأحُلُّ القَباء والسَّيف من خَصـ ـرك رِفقاً باللُّطف والتَّعْليل
ثم نُؤْتَى بما هَويتَ من التَّشْـ ـريف عندى والبرِّ(٦) والتَّدليل
ثم أجلوك كالعَروس على الشَّر ب تهادَى فى مُجْسد(٧) مَصقول
ثم أسقيك بعد شُربىَ من ريـ ـقك كأساً من المُدام(٨) الشَّمول
وأغنِّيك إن هويتَ غناءً غـيرَ مُستكره ولا مَمْلول
فإذا أرناحت النفوس اشتياقاً وأحبّ الخليلُ قُرْبَ الخليل
كان ما كان بيننا لا أُسمِّـ ـيه ولكنّه شفاء الغَليل

هو ومتيم والعنبرى القاضى وابن أكثم

وذكر أن مُتيَّم كانت جاريةً لبعض وجوه أهل البصرة ، فمَلَكها عبدُ الصمد ابن المعذَّل ، وكانت لا تخرج إلا مُنتقبة . فخرج عبدُ الصمد يوماً إلى نُزْهة ، وقَدِمت مُتيَّم إلى القاضى العَنبرى ، فاحتاج أن يُشهد عليها ، فأمرها أن تُسفِر ؛

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وفى الرمح » مكان « وفى الدرع » .
(٢) الوردة ، بالضم : الحمرة . والقسامة : الحسن . وأسيل : أملس لين .
(٣) فى الأغانى : « منه » .
(٤) السالفة : ماتقدم من العنق . والأدمانة : الشديدة السمرة . والعطبول : الفتية الجميلة .
(٥) أسوف : أشم . (٦) فى الأغانى : « والتبجيل » مكان « والتدليل » .
(٧) المجسد : الثوب المعصفر .
(٨) فى الأغانى : « من الرحيق » .

وقَدِم عبد الصمد ، فقيل له : لو رأيت مُتيَّم وقد أسفرها القاضى لرأيت شيئاً حسناً ! فقال عبد الصمد :

ولما سَرت عنها القِناعَ مُتيَّم ... ترَوَّح منها العنبرىُّ مُتيَّما
رأى ابن عُبيد الله وهو مُحكَّم ... عليها لها طَرْفاً عليه مُحكَّما
وكان قديماً كالحَ الوجه عابساً ... فلمّا رأى منها السُّفور تَبسّما
فإنْ يصْبُ قلبُ العنبرىّ فربما ... صبا باليتامى قلبُ يحيى بن أكثما

فبلغ قولُه يحيى بن أكثم ، فكتب إليه : عليك لعنة الله ! أى شىء أردت منى حتى أتانى شِعرك[1] من البصرة ؟ فقال لرسوله : قل له : متيَّم أقعدتْك على طريق القافية .

بينه وبين أبى تمام وذكر أنه جَمع بين أبى تمام الطائى وعبد الصمد بن المعذَّل مجلسٌ ، وكان عبد الصمد سريعاً فى قول الشعر ، وكان فى أبى تمام إبطاء ، فأخذ عبدُ الصمد القرطاس فكتب فيه :

أنت بين اثنتين تبرُز للنا ... سِ بكلتيهما[2] بوجهٍ مُذالِ
لست تنفكّ طالباً لوصالٍ ... من حبيبٍ أو راغباً فى نوال
أىّ ماء لِحُرّ وجهك يبقى ... بين ذُلّ الهوى وذُل السُّؤال

فأخذ أبو تمام القرطاس وخلا طويلاً ، وجاءه وقد كتب فيه :

أفىّ تَنظم قولَ الزُّور والفَنَدِ ... وأنت أنزرُ مِن لاشىء فى العَددِ
أشرجْتَ قلبك من بُغضى على حُرَق ... كأنها حركاتُ الرُّوح فى الجسد

فقال له عبد الصمد : يا ماصّ بظر أُمه ، يا غثُّ ، أخبرنى عن قولك « أنزر

(١) فى التجريد : « شرك » .
(٢) فى الأغانى : « وكلتاهما » .

من لاشيء فى العــدد » ؟ أخبرنى عن قولك « أشرجت قلبــك » ؟ قلبى مِفرش أو عَيبة أو خُرج فأُشرجه ! عليك لعنة الله ! فما رأيت أغثَّ منك . فانقطع أبوتمام انقطاعاً ما رُوى أقبح منه ، وقام فانصرف ، وما راجعه بحرف .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبوالفرج أخبار عبد الصمد بن المعذل، هو :

صرفتُ هواكَ فانصرفا ولم ترع[1] الذى سَلَفَا
و بِنْتَ فلم أمُتْ[2] أسفا عليك ولم تَمُت أسـفا
كلانا واجـدٌ فى النا س ممّن ملّه خَلَفــا

---

(١) فى غير التجريد : « ولم تدع » .
(٢) فى غير التجريد : « كلفا » مكان « سلفا » .

أخبار عبد الرحمن بن الحكم

نسبه — هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص بن أميّة بن عبد شَمس ابن عبد مَناف .

أمه — وأمه آمنة بنت صفوان ، وهى أم أخيه مروان بن الحكم .

كنيته وشاعريته — ويكنى أبا المُطرف . شاعر إسلاميّ متوسّط المحلّ فى شُعراء زمانه .

مهاجاته لعبد الرحمن — وكان يُهاجى عبدَ الرحمن بن ثابت الأنصاريّ فيقاومُه و يَنتصف منه .

هو بين أخيه مروان ومعاوية — فذكر أنّ مُعاوية بن أبى سفيان عَزل مروانَ بن الحكم عن الحِجاز وولّى سعيدَ بن العاص . فقدم مَروان على مُعاوية . وكان أخوه عبد الرحمن بن الحكم بدمشق، فلما بلغه خبرُ أخيه خرج فتلقّاه ، وقال له : أقم حتى أدخُل إليه قَبلك، فإن كان عَزلك عن موجدة دخلتَ إليه مُنفرداً ، و إن كان عن غير موجدة دخلتَ إليه مع الناس . فأقام مروانُ ومَضى أخوه عبد الرحمن أمامه . فلما قَدم على معاوية دخل إليه وهو يُعشّى الناس ، فأنشأ يقول :

أَتتك العِيسُ تَنفُخ فى بُرَاها ... تكشَّفُ عن مَناكبها[1] القُطوعُ
بأبيضَ مِن أُميةَ مَضْرَحِيٍّ ... كأنّ جَبينَه سَيفٌ[2] صَنِيع

شعره الذى فيه الغناء — وهذا هو الشعرُ الذى فيه الغناء، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار عبد الرحمن .

عود إلى تتمة الخبر — فقال له معاوية : أزائراً جئت أم مُفاخراً أم مكاثراً ؟ فقال : أيّ ذلك شئتَ .

---

(١) البرى : جمع برة : وهى حلقة تجعل فى أنف البعير . والقطوع : الطنافس تكون تحت الرحل ؛ الواحد : قطع ، بالكسر .

(٢) المضرحى : السيد الكريم . والصنيع . السيف المجلو .

فقال له : ما أشاء من ذلك شيئاً . وأراد معاويةُ أن يقطعه عن كلامه الذى عَنّ له . فقال له : على أىِّ الظَّهر أتيتَنا ؟ قال : على فرس[١] . قال : ما صفتُه ؟ قال : أجشُّ هَزِيم — يعرِّض له بقول النّجاشى الشاعر له :

ونَجّى ابنَ حَربٍ سابحٌ ذو عُلالةٍ ... أجشُّ هزيمٌ والرِّماحُ[٢] دَوانِى
إذا خِلْتَ أطرافَ الرِّماحِ[٣] ينَلْنه ... مَرَتْه[٤] به الساقان والقَـدمان

فغضب معاويةُ وقال : أمَا إنه لا يركبه صاحبُه فى الظُّلَم إلى الرِّيَب ، ولا هو ممّن يتسوّر على جاراته ، ولا يتوثّب على كنائنه[٥] بعـد هَجعة الناس — وكان عبد الرحمن يُتَّهم بذلك فى امرأة أخيه — فخجل عبد الرحمن وقال : يا أمير المؤمنين ، ما حملك على عَزْلك ابن عمك ! ألخيانة أوْجبت سُخْطاً ؟ أو لرأى رأيتَه وتدبيرٍ استصلحته ؟ فقال : بل لتـدبير استصلحته . قال : فلا بأس بذلك . وخرج من عنده ، فأتى أخاه مروان ، فأخبره بما جرى بينه و بين مُعـاوية . فاستشاط غضباً وقال لعبـد الرحمن : قبّحك الله ! ما أضعفك ! أعرَّضت للرجل بما أغضبه حتى إذا انتصف منك أحجمت عنه ! ثم لَبس حُلّته وركب فرسه وتقلّد سيفَه ودخل على معاوية . فقال له حين رآه وتبيّن الغضب فى وجهه : مرحباً بأبى عبد الملك ، لقد زُرتنا عند اشتياق منّا إليك . فقال: لا ، ها[٦] اللهِ، ما زُرتك لذلك ، ولا قَدمتُ عليك فألفيتك إلّا عاقًّا قاطعاً ، والله ما أنصفتنا ولا جَزيتنا جزاءنا ، وكانت السابقة من بنى عبد شمس لآل أبى العاصى ، والصِّهر برسول الله صلّى الله عليه وسلّم لهم ، والخلافة فيهم، فوصلوكم يا بنى حَرب وشَرّفوكم ، وولّوكم ! فما عزلوكم ولا آثروا عليكم،

(١) فى الأغانى : « فرسى » .
(٢) السابح : الفرس السريع . والعلالة : البقية . والهزيم : الشديد الصوت .
(٣) فى الأغانى : « تناله » . (٤) مربه : استدرت جريه .
(٥) الكنائن : زوجات الأبناء والإخوة . واحدته . كنة ، جمع نادر .
(٦) هاء التنبيه دخلت على حرف القسم المحذوف ، أو هى بدل من تاء القسم .

حتى إذا وُلِّيتم وأفضى الأمرُ إليكم أبيتُم إلا أثرةً وسُوء صَنيعة ، وقُبْحَ قطيعة ؛ فرُويداً رويداً ؛ قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نَيِّفاً وعشرين ، وإنما هى أيام قلائل حتى يُكملوا الأربعين ويعلم امرؤ أين يكون منهم حينئذ ، ثم هم للجزاء بالحُسْنى وبالسُّوء بالمِرْصاد .

فقال له معاوية : عزلتُك لثلاثٍ لو لم يكن منهنّ إلّا واحدة لأَوجبتْ عزلَك : إحداهنّ، أنِّى أمَّرتك على عبدالله بن عامر، وبينكما ما بينكما ، فلم تَستطع أن تشتفىَ منه . والثانية، كراهتُك لأمر زياد . والثالثة، أن ابنتى رَملة استعدتك[1] على زوجها عمرو بن عثمان بن عفان فلم تُعدها[2] .

فقال له مروان : أما ابن عامر فإنى لا أنتصر منه فى سلطانى ، ولكن إذا تساوت الأقدام عَلم أين موقعه . وأما كراهتى أمر زياد ، فإن سائر بنى أمية كرهوه ، وجعل الله لنا فى ذلك الكره خيراً كثيراً . وأما استعداء رَملة على عمرو ، فوالله إنى لتأتى علىّ سنة أو أكثر وعندى بنت عثمان فما أكشف لها ثوباً — يعرض بأن رملة إنما تستعدى عليه طلباً للسفاح — فقال معاوية : يابن الوَزَغ[3] ، لست هناك . فقال له مروان : هو ذاك الآن . والله إنى لأبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ، وقد كاد ولدى أن يبلغوا العِدة — يعنى أربعين — ولو بلغوها لعلمتَ أين تقع منى . فانخزل معاوية ، ثم قال :

فإنْ أكُ فى شرارِكمُ قليلاً فإنى فى خيارِكمُ كثيرُ
بُغاث الطَّير أكثرها فراخاً وأم الصَّقر مِقلاتٌ[4] نَزُور

فما فرغ مروانُ من كلامه حتى استخذى معاويةُ فى يده وخَضع ، وقال له :

---

(١) استعداه : استعان به . (٢) لم تعهدها : لم تنصرها .

(٣) الوزغ : جمع وزغة ، وهى سام أبرص ، دويبة .

(٤) بغاث الطير : أضعفها . والمقلات : التى تضع واحدا ثم لا تحمل . والنزور : القليلة النسل .

لكَ العُتْبى ، وأنا رَادُّكَ إلى عملك . فوثبَ مروان وقال له : كلاّ واللهِ وعيشِك ، لا رأيتني عائداً إليــه أبداً . وخرج . فقال الأحنف بن قيس لمعاوية : ما رأيتُ قطُّ لك سقطة مثلها ! ما هذا الخُضوع لمروان ؟ وأى شئ يكون منه ومن بنى أبيه إذا بلغوا أربعين ؟ وأى شىء تخشاه منهم ؟ فقال له : أُدن منّى أُخــبرك بذلك . فدنا منـــه . فقال له : إن الحــكم بن أبى العاص كان أحد من وَفد مع أُم حبيبة أختى لما زُفت إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلم ، وهو الذى قد تولّى نقلها إليه ، فجعل رسول الله صلى الله عليــه وسلم يُحِد النظر إليه . فلما خرج من عنده قيـــل له : يا رسول الله ، لقد أحددتَ النظر إلى الحــكم . فقال : « ابن المخزومية ، ذاك رجل إذا بلغ ولده ثلاثين ــ أو قال : أربعين ــ ملــكوا الأمر من بعدى » . فوالله لقد تَلقّاها مروان من عين صافية . فقال له الأحنف : لا يسمعن هذا منك أحد ، فإنه يَضع من قدرك وقدر ولدك بعدك ، وإن يَقْض الله عز وجل أمراً يكن . فقال له معاوية : اُكتُمها يا أبا بحر علىّ ، فقد لعمرى صدقتَ ونصحت .

هو ورأس الحسين ويزيد بن معاوية

وذُكر أن رأس الحُسين بن على ــ رضى الله عنهما ــ لمّا حُمل إلى يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ووُضع فى الطّست بين يديه ، بكى عبد الرحمن بن الحــكم ، وكان عنده ، ثم قال :

أبلغ أمــيرَ المؤمنين ولا تكن ... كمُوتِر أقواسٍ وليس لهـا نَبْـــلُ

لهَـامٌ بجَنب الطّفِّ (١) أدنى قرابةً ... من ابن زيادِ الوغد ذى الحسب الرّذل

سُميّـــةُ أمسى نسلُها عَدد الحصى ... وبنتُ رسول الله ليس لهـا نَسْـــل

فصاح به يزيد : اُسكت يا بن الحمقاء ! ما أنت وذاك !

(١) الهام : جمع هامة ، وهى الرأس والشريف . يعنى القتلى من آل الرسول . أو لعله يشير إلى ما كانت تزعمه العرب من أن روح القتيل الذى لم يدرك بثأره يصير هامة فلا تزال تصيح عند قبره حتى يدرك بثأره . والطف : موضع قرب الكوفة كان به مقتل الحسين .

وحُكى أنّ عبد الرحمن بن الحكم لما نظر إلى قتلى قُريش يوم الجمل بكى، وأنشأ يقول :

أيا عينُ جُودى بدَمع سَرَبْ على فِتيةٍ من خِيار العَربْ
وما ضَرهم عند حَيْن النُّفوس أىّ أمِيرَىْ قُريش غَلب

هو ومعاوية وقد استلحق زيادا

وذُكر أن معاوية بن أبى سفيان لما أُستلحق زيادَ بن سُمية، قال عبدالرحمن أبن الحكم – والناس ينسبونها إلى أُبن مفرّغ لكثرة هجائه آل زياد، وذلك غلط – :

ألا أبلغ مُعاوِيةَ بن حربٍ مُغلغلةً من الرجُل[1] الهِجانِ
أتغضب أن يقال أبوكَ عفٌّ وترضى أن يُقال أبوكَ زانى
وأشهد أنها ولدت زياداً وصخرٌ من سُميةَ غير دانى
وأشهد أن رِحْمَك من زياد كرِحْم الفِيل من وَلد الأتان

فبلغ ذلك مُعاوية، فحلف ألّا يرضى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنه زياد. فخرج عبد الرحمن إلى زياد، فلما دخل عليه قال : إيه ياعبد الرحمن، أنت القائل :

ألا أبلغ معاويةَ بن حرب مُغلغلةً من الرّجلِ الهجانِ

فقال : لا، أيها الأمير، ما هكذا قلت ! ولكنى قلت :

ألا من مبلغ عَنى زياداً مُغلغلةً من الرجل الهجان
من أبن القَرم قَرم بنى قُصىّ أبى العاصى بن آمنةَ الحَصان
حلفتُ بربِّ مكةَ والمصلَّى وبالتوراة أحلفُ والقُران
لأنت زيادةٌ فى آل حرب أحبُّ إلىّ من وُسْطى بَنانى
سُررت بقُربه وفرحت لمّا أتانى الله منه بالبيان
وقلت لهم أخو ثقةٍ وعَمٌّ بعون الله فى هذا الزمان
كذاك أراكَ والأهواء شتّى فما أدرى بغَيبٍ ما ترانى

(١) المغلغلة : الرسالة التى تحمل من بلد إلى بلد. والهجان : الرجل الحسيب.

فرضى عنه زياد ، وكتب له بذلك إلى معاوية ، فلما دخل عليه قال : أنشدنى ما قلتَ لزياد . فأنشده . فتبسّم وقال : قَبح الله زياداً ما أجهله ! والله لمَـا قلتَه له أخيراً حيث تقول :

* لأنت زيادة فى آل حرب *

شرٌّ من الأول ، ولـكنّك خدعته ، فجازت خديعتُك عليه .

أخبار عمرو بن مسعدة (*)

شعره الذى فيه الغناء

ثم ذكر أبو الفرج عمرو بن مَسْعدة بن البَخْترىّ بن المُغيرة بن أبى صُفْرة . وهو القائل فى نائلة بنت عُمر بن يزيد الأسدى ، وكان يهواها ، وهو الشِّعر الذى فيه الغناء وأورد به أبو الفرج أخبار عمرو بن مسعدة :

قُولا لنائلَ ما تَقضين فى رَجُل يهوى هواكِ وما جَنَّبته اُجتنبا

يُمسى معى جَسدى والقلب عندكمُ فما يعيش إذا ما قلبُه ذَهبا

وأُم نائلة هذه عاتكة بنت الفُرات بن معاوية البكّاء . وأُمها المُلاءة بنت زُرارة بن أوفى . وكان أبوها فقيهاً مُحدِّثاً من النابغين . وقد شبّب الفرزدق بالملاءة وبعاتكة اُبنتها .

حكاية لعاتكة

ولعاتكة بنت المُلاءة هذه حكاية طريفة فى أخذها ثأر ذات النِّحيين من الرجال . وذُكر أن خوّات بن جُبير رأى اُمرأة فى الجاهلية ومعها نِحيا سمن ، فقال لها : أرينى هذا . ففتحت له أَحد النِّحيين ، فنَظر إليه ثم قال : أمسكى . فأمسكته بإحدى يديها . ثم قال : أرينى الآخر . ففتحته ، ثم دفعه إليها ، فأمسكته بيدها الأخرى . فلما شَغل يديها وقع عليها فلم تقدر على الامتناع خوفاً من أن يذهب السمن . فضَربت العرب المثل بذلك ، وقالت : أشغل من ذات النِّحيين . فخرجت عاتكة بنت الملاءة المذكورة إلى بعض بوادى البصرة ، فلقيت بدويًّا ومعه نِحْيا سمن ، فقالت . يا بدوى ، أتبيع هذا السمن ؟ فقال : نعم . فقالت : أرناه . ففتح لها نِحياً فنظرت إلى ما فيه ثم ناولته إياه ، ثم فتحت الآخر ونظرت إلى ما فيه وناولته أيضاً إياه . فلما شَغلت يديه أمرت جواريها فجعلن يركلن فى اُسنه ، وجعلت تُنادى: بالثأر ذات النِّحيين !

(*) فيما بين أيدينا من أصول الأغانى : « مسعدة بن البخترى » .

أخبار مطيع بن إياس

قيل : إنه من بنى الدِّيل بن بكر . وقيل : من بنى لَيث بن بكر . والدِّيل وليث أخوان لأب وأُم . نسبه

أُمهما أُم خارجة ، وأُسمهـا عَمرة بنت سعد بن عبد الله بن قُراد بن ثَعْلبـة ابن مُعاوية بن زيد بن الغَوث بن أَنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نَبْت ابن مالك بن زَيد بن كهلان . وهى التى يُضرب بها المثل ، فيقال : أسرع من نِـكاح أُم خارجة . وقد ولدت فى عِدّة بطون من العرب ، حتى لو قال قائل : إنه لا يكاد يتخلّص من ولادتها كبير أحد لـكان مُقارباً . قيل : إنه بلغ من سرعة نكاحها أن الخاطب كان يأتيها فيقول : خِطْب . فتقول : نِـكْح . أم خارجة وشىء عنها

وزعموا أن بعض أزواجها طلّقها ، فرحل بها اُبنٌ لها عن حَيّـه إلى حَيّها ، فلقيها راكب ، فلما تبيّنته قالت لابنها : هـذا خاطب لى لا شكّ فيه ، أفتراه يُعجلنى أن أنزل عن بَعيرى . فجعل ابنُها يسُبّها .

وكان إياس بن مُسلم أبو مطيع شاعراً . أبوه شاعر

ومُطيع بن إياس شاعر ، من مُخضرمى الدّولتين الأُموية والعباسية ، وليس من فُحول الشعراء فى تلك الأيام ، ولـكنه كان ظريفاً خليعاً حُلو العشرة مليح النادرة . شىء عن شعره وظرفه

وكان أبوه من أهل فِلسطين الذين أمدَّ بهم عبدُ الملك بن مروان الحجّاجَ اُبن يوسف فى وقتِ قتاله اُبن الزُّبير واُبن الأشعث . وأقام بالـكوفة وتزوّج بها ووُلد له مطيع . شىء عن أبيه

انقطاعه إلى الوليد ثم المنصور

وكان مُطيع يَصحب الوليد بن يزيد بن عبد الملك وغيره من بنى أمية ، ثم انقطع فى الدولة العباسية إلى أبى جعفر المنصور .

لبعض الكوفيين وقد سئل عنه

وذكر أن محمد بن حَبيب سأل رَجلاً من أهل الكوفة عن مُطيع بن إياس . فقال : ما سؤالك إيّاى عن رجل إذا حَضرك ملكك ، وإن غاب عنك شاقك ، وإذا عُرفت بصُحبته فَضَحك ؟ .

تعريف حكم للوليد به وحظوته عنده

وحكى حَكَم الوادىّ قال : غنّيت الوليدَ بن يزيد ذات ليلة :

إكليلُها ألوانُ ووجهها فتّانُ
وخالها فريد ليس له جيران
إذا مشتْ تثنّت كأنها ثُعبان
قد جُدِلت فجاءت كأنها عِنان

فطرب حتى زحف عن مجلسه إلىّ ، وقال : أعد، فديتُك بحياتى . حتى صَحِل[(١)] صوتى . فقال : ويحك ! من يقول هذا ! فقلت : عبدٌ لك يا أمير المؤمنين أرضاه لخدمتك . فقال : ومن هو فديتُك ؟ فقلت : مطيع بن إياس الكِنانى . فقال : وأين محلُّه ؟ فقلت : بالكوفة . فأمر أن يُحمل إليه على البريد . فحُمل إليه . فما شعرت يوماً إلا برسوله قد جاءنى . فدخلتُ إليه ، ومُطيع واقف بين يديه ، وفى يد الوليد طاس من ذهب ، يشرب به . فقال لى : غَنِّ ذلك الصوت يا وادىّ . فغنّيتهُ إياه . فشَرب عليه . ثم قال لمطيع : مَن يقول هذا الشعر ؟ فقال : عبدُك ، أنا يا أمير المؤمنين . فقال له : أُدن منّى . فدنا منه . فضمّه الوليدُ وقبّل فاه و بين عَينيه ، وقبّل مُطيع رِجله والأرض بين يديه ، ثم أدناه منه حتى جلس أقربَ المجالس منه ، ثم تمّم يومَه ، واصطبح أسبوعاً متوالىَ الأيام على هذا الصوت .

(١) صحل : بح .

وذُكر أنّ مُطيع بن إياس، ويحيى بن زياد الحارثىّ، وحمّاد الراوية، وعبد الله ابن المقفّع، ووالبة بن الحُباب، كانوا يتنادمون ولا يفترقون، ولا يستأثر أحدُهم على صاحبه بمال ولا ملك، وكانوا جميعاً يرمون بالزندقة. كان هو وصحبه يرمونه بالزندقة

وذُكر أنّ مطيعاً كان يُرمى أيضاً بالأُبنة. فدخل عليه قومُه ولاموه على أفعاله، وقالوا له: أنت فى أدبك وسُؤددك وشرفك وشعرك تُرمى بهذه الفاحشة القَذِرة! فلو أقصرت عنها! فقال: جرّبوه أنتم ودَعوه إن كنتم صادقين. فانصرفوا عنه، وقالوا: قَبح الله فِعلَك، وعُذرك، وما استقبلتنا به. بينه وبين قومه وقد عابوه بالأبنة

وذُكر أن يحيى بن زياد الحارثى قال لمطيع بن إياس: انطلق بنا إلى فُلانة صديقتى، فإن بينى وبينها مُغاضبة، لتُصلح بيننا، وبئس المُصلح والله أنت! فدخلا إليها، فأقبلا يتعاتبان، ومُطيع ساكت، حتى إذا أكثر قال يحيى لمطيع: ما يُسكتك؟ أسكت الله نأمتك[1]! فقال مُطيع: هو ويحيى بن زياد وجارية له غضبى

أنتِ مُعتلّة عليه وما زا ... ل مُهيناً لنفسه فى رِضاكِ

فأعجب يحيى ما سمع، وهشّ له. فقال مطيع:

فدعيه وواصلى ابن إياس ... جُعلتْ نفسُه[2] الغَداةَ فِداكِ

فقام يحيى إليه بوسادة فى البيت، فما زال يجلد بها رأسه ويقول: لهذا جئتُ بك يا بن الزانية! ومطيع يُغوّث[3] حتى ملّ يحيى، والجارية تضحك منهما، ثم تركه وقد نَدَر[4].

وذُكر أن حمّادَ عَجْرد مرض، فعاده أصدقاؤه جميعاً إلا مُطيع بن إياس، وكان خاصًّا به، فكتب إليه حماد: شعر حماد إليه حين لم يعده فى مرضه

(١) النأمة: الصوت. (٢) فى الأغانى: «نفسى».
(٣) يغوث: يقول: يا غوثاه.
(٤) ندر: أى مات إعياء. وفى الأغانى: «سدر»، وسدر: تحير.

كفاكَ عيادتى من كان يرجو ثوابَ الله فى صِلَة المريضِ
فإنْ تُحْدِثْ لكَ الأيامُ سُقماً يحولُ جَريضُه[1] دون القَريضِ
يكنْ طُول التأوّه منك عندى بمنزلة الطَّنين من البعوضِ

هو فى حديث بيعة أبى جعفر للمهدى

وذُكر أن أبا جعفر المنصور كان يُريد البيعة بولاية العهد لابنه محمد المهدى ، وكان ابنه جعفر يعترض عليه فى ذلك . فأمر بإحضار الناس ، فحضروا . وقامت الخطباء فتكلّمت ، وقالت الشعر فأكثرت فى وصف المهدى وفضائله ، وفيهم مُطيع بن إياس ، فلما انتهى كلامه فى الخطباء و إنشاده فى الشعراء قال للمنصور : يا أمير المؤمنين ، حدّثنا فلان عن فلان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « المهدى منّا محمد بن عبد الله ، وأمه من غيرنا ، يملؤها عدلاً كما مُلئت جَوراً » . وهذا العباس أخوك يشهد على ذلك . ثم أقبل على العبّاس فقال : أنشُدك الله هل سمعت هذا ؟ قال : نعم — مخافةً من المنصور — فأمر الناسَ بالبَيعة للمهدى . ولما انقضى المجلس ، قال العباس بن محمد لمن يأنس به : أرأيتم هذا الزِّنديق ! لم نَرض أن يكذب على الله عزّ وجل ورسوله صلّى الله عليه وسلم حتى استشهدنى على كِذْبه ، فشهدتُ له خوفاً ، وشهد كُل من حضر علىّ بأنى كاذب . و بلغ الخبرُ جعفرَ بن المنصور ، وكان مطيع منقطعاً إليه يخدُمه ، فجفاه وطرده عن خدمته . وكان جَعفر ماجناً ، فلما بلغه قول مطيع هذا غاظه وشقّت عليه البيعة لأخيه محمد .

شعر له فى رثاء يحيى تمنى المنصور لو كان فى ابنه

وذُكر أنّ جعفر بن أبى جعفر المنصور كان أصابه لَمَم[2] ، وذُكر أنه كان يتعشّق امرأة من الجنّ واجتهد فى خطبتها ، وجمع أصحاب العزائم عليها ، فكانوا يَعِدونه و يمنّونه بها ، وأصابه صَرْع فكان يُصرع فى اليوم مراتٍ حتى مات . فحزن عليه

(١) الجريض : ابتلاع الريق على هم و حزن . وهذا مثل يضرب للأمر يعوق دونه عائق.
(٢) اللمم : شدة الحرص على النساء ، وليس من الجنون .

المنصور حُزناً شديداً ومشى فى جِنازته . فلما دُفن وسُوِّى عليه قبره ، قال المنصور للربيع : أنشدنى قول مُطيع بن إياس فى مَرثية يحيى بن زياد . فأنشده :

يا أهلِيَ ٱبكُوا لقلبيَ القَـرِح ... ولـلـدُّموع الذَّوارف السُّفُحِ
رَاحوا بيحيى ولو تطاوعنى الـ ... أقدار لم يَبْتكِر ولم يَرُح
يا خيرَ من يحسُن البكاء له الـ ... يوم ومن كان أمس للمِدَح
أعقبتَ حزناً من السُّرور كما ... أدلْت [1] مكروهنا من الفَرح

فبكى المنصور وقال : صاحب هذا القبر أحقُّ بهذا الشعر .

هو وأبو جعفر وشعر له فى بربر

وذُكر أنّ مُطيع بن إياس كان يتعشق فتاة يقال لها : جوهر - ومولاتها يقال لها : بربر - فقال فيها :

خافى اللهَ يا بَربَرْ ... لقد أفسدتِ ذا العَسكرْ
بريح المسك والعَنـبر ... وظَبى شادن أحور
أمَا والله يا جوهر ... لقد فُقتِ على الجوهر
ولا والله ما المهـدىُّ ... أولى منك بالمِنـبر
فإن شئتِ ففى كفَّيـ ... ـك خَلْع ٱبن أبى جعفر

فأُنشد المهدىُّ ذلك ، فقال : اللهم ٱلعنهما ! أجمعوا بين هذين قبل أن تَخلعنا هذه القَحبة ! وجعل يضحك من قول مُطيع .

هجاؤه لجوهر

وذُكر أن مُطيعاً بلغه عن جوهر هذه ما يكره ، فقال فيها يهجوها :

زعموها قالت وقد غاب فيها ... قائمٌ فى قيامه [2] ٱستحصافُ
وهو فى جارة ٱستها يتلظّى ... يا فتى هكذا تُنالُ الظِّراف
ناكها ضَيفُها وقبّل فاها ... يا لقومى لقد طغَى الأضياف
لم يزل يَرهز الشهيّة حتى ... زال عنها قميصُها [3] والعِطاف

(١) أى جعلت المكروه يغلب على الفرح . (٢) استحصاف : استحكام .
(٣) يرهز : يحرك . والعطاف : الرداء .

هو والمنصور والمهدى وقد اتهم بالزندقة

وذُكر أنه رَفع صاحبُ الخبر إلى المنصور أنّ مُطيع بن إياس زِنديق ، وأنه يلازم ابنه جعفراً وجماعةً من أهل بيته، ويُوشك أن يُفسد أديانهم ويُنسبوا إلى مذهبه . فقال المهدى لأبيه المنصور : أنا به عارف ، أمّا الزّندقة فليس من أهلها ، ولكنه خبيث الدِّين ، فاسق مُستحل للمحارم . قال : فأحْضره وانهه عن صُحبة جعفر وسائر أهله . فأحضره المهدى وقال له : يا خبيث ! يا فاسق ! أفسدت أخى ومَن تصحبه من أهلى ، والله لقد بلغنى أنهم يتقادعون[1] عليك ، ولا يَتم لهم سُرور إلا بك ، فقد غرّرتهم وشهّرتهم فى الناس ، ولولا أنى شهدتُ لك عند أمير المؤمنين بالبراءة مما نُسبت إليه كان أمر بضرب عُنقك . وقال للربيع : اُضربه مائتى سوط واحبسه . قال : ولمَ ياسيدى ؟ قال : لأنك سكِّير خِمِّير قد أفسدت أهلى كلَّهم . فقال : إن أذنت وسمعتَ احتججتُ ؟ فقال : قُل . قال : أنا امرؤ شاعر ، وسُوقى إنما تنفُق مع الملوك ، وقد كسدت عندكم ، وأنا فى أيامكم مطَّرح ، وقد رضيتُ فيها، مع سعتها للناس جميعاً ، بالأكل على مائدة أخيك ، لا يتبع ذلك غيره[2] ، وأصفيته على ذلك شكرى وشعرى ، فإن كان ذلك عائباً عندك تُبت منه . فأطرق ثم قال : قد رفع إلىّ صاحبُ الخبر أنك تتماجَن على السُّؤّال وتَضحك منهم . فقال : لا والله ، ما ذلك من فعلى وشأنى ، ولا جرى منّى قطُّ إلا مرة ، فإن سائلاً أعمى اعترضنى ، وقد عبرتُ الجسرَ على بغلتى ، وظنَّنى من الجُند ، فرفع عصاه فى وجهى وصاح : اللهم سَخِّر الخليفة لأن يُعطى الجند أرزاقهم فيشتروا من التجار الأمتعة، ويربح التجار عليهم وتكثر أموالهم ، فتَجب فيها الزكاة عليهم، فيتصدّقوا علىّ منها . فنفرت بَغلتى من صياحه ورَفْعه عصاه فى وجهى حتى كدتُ أسقط فى الماء . وقلت : يا هذا، ما رأيتُ أكثر فُضولاً منك ، سَل الله أن يرزقك ولا تجعل بينك و بينه هذه الحوالات والوَسائط التى لا يُحتاج إليها ؛ فإن هذه المسائل

(١) يتقادعون : يتهافتون . (٢) فيما بين أيدينا من نسخ الأغانى : « عشيرة » .

فُضول . فضحك الناس منــه ، ورُفع علىّ فى الخبر قولى له هذا . فضحك المهدى وقال : خلُّوه ولا يُضرب ولا يُحبس . فقال مطيع : أدخل عليك لِمَوجدة وأخرج عن رضًى ، وتبرأ ساحتى من عَضيهة [1] ، وأنصرف بلا جائزة ! فقــال : لا يجوز هذا ، أعطوه مائتى دينار ، ولا يعلم بها أمير المؤمنين فتجدّد عنده ذنوبَه .

وكان المهدى يشكر له قيامه فى الخُطباء ووضعَه الحديث لأبيه فى أنه المهدىّ ، فقال له : اخرج عن بغــداد ودَع صُحبة جعفر حتى ينساك أميرُ المؤمنين ، ثم عُد إلىّ [2] . فقال له : فأين أقصد ؟ فقال : أكتب لك إلى سليمان بن علىّ فيُولِّيك عملاً ويُحسن إليك . قال : قد رضيتُ . فوفد إلى سليمان بن علىّ بكتاب المهدى ، فولّاه الصدقة بالبصرة ، وكان عليها داود بن أبى هند ، فعزله به .

شعره لحماد وابن زياد فى شكوى القحط أيام المنصور

وذُكر أنه اجتمع يوماً مطيع بن إياس ، وحمّــاد عَجْرد ، ويحيى بن زياد ، فذكروا أيام بنى أُمية ونَضْرتها وسَعتها، وكثرة ما أفادوا فيها ، وحُسن مملكتهم، وطيبَ مساكنهم بالشام، وماهم فيه ببغداد من القَحْط فى أيام المنصور ، وشدة الحرّ وخُشونة العيش ، وشكوا الفقرَ فأكثروا ؛ فأنشدهم مطيع بن إياس فى ذلك :

حبّــذا عيشُنا الذى زال عنّــا ... حبّــذا ذاك حين لاحبّذا ذا
أين هذا من ذاك سَقياً لهذا ... ك ولســنا نقول سقياً لهــذا
زاد هذا الزمانُ عسراً وشرًّا ... عندنا إذ أحلّنا بغــــــداذا
بلدة تُمطر التراب على النــا ... س كما تُمطر السماء الرذاذا
خَرِبت عاجلا وأخرب ذو العر ... ش بأعمــال أهلها كَلْواذى

مدح معنا فخيره بين المدح والثواب فاختار الثانى

وذُكر أن مُطيع بن إياس مَدح مَعْن بن زائدة الشيبانى بقَصيدته التى أولُها :

أهلاً وسهلاً بســيِّد العَرَب ... ذى الغُرَر الواضحات [3] والنَّسبِ

(١) العضيهة : الإفك والبهتان والنميمة .

(٢) فيما بين أيدينا من أصول الأغانى : « أمير المؤمنين غدا » .

(٣) فى الأغانى : « والنجب » مكان « والنسب » .

فتىَ نزارٍ وكَهلها وأخى الـ جُود حَوى غايَتَيْه من كَثَب
قيـل أتاكم أبو الوليــد فقا ل الناسُ طُرًّا فى النهل والرَّحَب
أبو العُفــــاة الذى يلوذ به من كان ذا رَغْبـة وذا رهَب

فقال له معن : إن شئت مدحناك كما مدحتنا و إن شئت أثبناك ؟ فاستحيا مُطيع من اختيار الثواب على المَديح ، وهو مُحتاج إلى الثواب ، فأنشأ يقول :

ثنـاءٌ من أميرٍ خـيرُ كَسبٍ لصاحبِ مَغنمٍ (١) وأخى ثَراء
ولـكنَّ الزمان بَرَى عِظامى وما مِثــل الدَّراهم من دواء

فضحك مَعن حتى استلقى ، وقال : لقد لَطَفْت حتى تخلّصت منها ، صدقت ! لعمرى ما مِثل الدراهم من دواء ! وأمر له بثلاثين ألف درهم ، وخَلع عليه وحَمله .

شعره إلى صديق تغيب عن مجلسه

وذُكر أنه كان لمطيع بن إياس صديق من العَرب يجالسه ، فضرِط ذات يوم وهو عنـــده ، فاستحيا وغاب عن المجلس ، فتفقّده مُطيع وعَرف سبب انقطاعه ، فكتب إليه :

أمن قَلوص غَدَت لم يُؤذها أحد إلّا تذكّرها بالرَّمل أوطانا
خان العِقال لها فانبتّ إذ نَفَرت و إنمـا الذَّنب فيهـا للذى خانا
أظهرتَ منك لنـا هجراً ومَقلِيــة وغِبت عنّا ثلاثاً لست تَغشانا
هَوِّن عليك فما فى الناس ذو إبل إلّا وأينُقُه يشرُدْنَ أحيانا

تعقيب لابن واصل

قلت : لم يذكر أبو الفرج إلا البيتين الأخيرين فقط ، والبيتـان الأولان وجدتهما فى دُرَّة الغواص لأبى محمد القاسم الحريرى، صاحب المقامات، رحمه الله .

حديث صلاته وأصحاب له وقينة أمتهم

وذكر أنه اجتمع يحيى بن زياد ومُطيع بن إياس وجماعة من أصحابهما ، فشربوا أياماً ثلاثة تباعاً . فقال لهم يحيى ليلةً من الليالى ، وهم سُكارى ، ويحكم ! ما صلّينا

(١) فى الأغانى : « وناقه » .

منذ ثلاثة أيّام ، فقُوموا بنا حتى نُصلِّ . فقالوا : نعم . فقـام مُطيع فأذّن وأقام ، ثم قال : من يتقدّم ؟ فتدافعوا الإمامة[1] . فقال مُطيع للمغنّية : قُومى فصلِّى بنا . فتقدّمت تُصلى بهم، وعليها غِلالة رقيقـة مُطيَّبة بلا سراويل . فلمـا سَجدت بان فرجُها ، فوثب مُطيع وهى ساجدة فـكشف عنه وقبّـله . ثم قال :

ولمـا بدا فرجهـــا جاثماً ... كرأس حَليق ولم[2] يَعتمدْ

سجدتُ عليـه[3] وقبّلته ... كما يفعل الساجد المُجتهد

فقطعوا صلاتَهم وضحكوا ، وعادوا إلى شُربهم .

هو ويحى ، وأبو الأصبغ والأصبغ

وذُكر أنه كان بالـكوفة رجل يُقال له : أبو الأصبغ، وله قِيان ، وكان له ابن وضيء الوجه حَسن الصورة يقـال له : الأصبغ ، ولم يكن بالـكوفة أحسنُ وجهاً منه . وكان يحيى بن زياد ، ومُطيع بن إياس ، وحمّاد عجرد ، ونُظراؤهم ، يألفونه و يغشونه ، وكلهم ، يَعشق ابنـه الأصبغ . فعزم أبو الأصبغ أن يَصطبح مع يحيى ابن زياد ، وكان يحيى قد أهدى له من الليل جِداءً ودَجاجاً وفاكهة وشراباً . فقال أبو الأصبغ لجواريه : إن يحيى بن زياد يزُورنا اليوم فأعْدِدن له كل ما يصلُح له . ووجّه بغلمان له ثلاثة فى حوائجه ، ولم يبق بين يديه أحد ، فبعث بابنه أصبغ إلى يحيى يدعوه و يسأله التَّعجيل . فلمـا جاءه استأذن له غلام يحيى . فقال له يحيى : قُل له يدخل، وتَنحّ أنت وأغلق الباب، ولا تَدَع الأصبغ يخرُج إلا بإذنى . ففعل غلامه ذلك. ودخل الأصبغ فأدّى رسالة أبيه . فلما فرغ راوده عن نفسه ، فامتنع . فثاوره يحيى وعاركه حتى صرعه ، ثم رام حَل تِكّته فلم يقدر عليها، فقَطعها وفَعل به . فلما فرغ أخرج له من تحت مُصلاه أربعين ديناراً وأعطاه إياها ، فأخذها . وقال له يحيى : امض فإنى بالأثر . فخرج الأصبغ من عنـده . ووافاه مُطيع بن إياس فرآه

(١) فى الأغانى : « ذلك » .

(٢) أى لم يستتر . والذى فيما بين أيدينا من أصول الأغانى : « ولم يعتمد » بالعين المهملة .

(٣) فى الأغانى : « إليه » .

يتبخر ويتطيّب ويتزيّن. فقال له: كيف أصبحت؟ فلم يُجبه، وشمَخ بأنفه وقطَّب حاجبيه وتفخّم. فقال له: ويحك! مالك؟ نَزل عليك الوحى؟ كلمتك الملائكة؟ بويع لك بالخلافة؟ وهو يُومىء برأسه. لا! لا! فى كُل كلامه. فقال له: كأنك والله نِكت الأصبغ، قال: إى والله، وأنا الساعة فى دعوة أبيه. فقال له مُطيع: فأمرأته طالق إن فارقتك أو نُقبّل متاعك. فأبداه له يحيى، فقبّله ثم قال له: كيف قدرت عليه؟ فحدَّثه القصة. وقام فمضى إلى منزل أبى الأصبغ. فتبعه مُطيع. فقال له: ما تصنع معى والرجل لم يَدْعك وإنما يريد الخلوة معى؟ فقال: أشيِّعك إلى بابه ونتحدث. فمضى معه. فدخل يحيى ورَدّ الباب فى وجه مُطيع. فصَبر ساعة ثم دقّ الباب وأستأذن. فخرج إليه الرسول. فقال له: يقول لك أنا اليوم فى شغل لا أتفرغ معه لك. فتعذَّر(١). فدعا بدواة وقرطاس وكتب إلى أبى الأصبغ:

يا أبا الأصبغ لا زلتَ على ... كُل حال ناعماً مُتَّبَعَا
لا تُصيِّرنىَ فى الوُدّ كمن ... قَطع التِّكة قَطعاً شَنِعا
وأتى ما يشتهى لم يَثْنه ... خيفةٌ أو حِفْظ حقّ ضَيّعا
لو ترى الأصبغَ مُلقًى تحته ... مُستكيناً خَجِلاً قد خَضعا
وله دَفْعٌ عليه عَجِل ... شَبِقٌ شاءك(٢) ما قد صَنعا
فأدْع بالأصبغ وأعلم حالَه ... ستَرى أمراً قبيحاً شَنِعا

فقال أبو الأصبغ ليحيى: فعلتَها يابن الزانية! قال: لا والله. فضرب يده إلى تكة أبنه فرآها مقطوعة، وأيقن يحيى بالفضيحة. فتلكأ الغلام. فقال له يحيى: قد كان الذى كان، وسعى بى إليك مُطيع أبنُ الزانية! وهذا أبنى، وهو والله أفره

(١) تعذر: اعتذر واحتج لنفسه.
(٢) شاءك: حزنك.

من ابنك ، وأنا عربى ابن عربيــة ، وأنت نبطىّ ابن نبطية ، فنكْ أبنى عشرة مكان المرة التى نكتَ أبنك ، فتكون قد ربحت الدنانير، وللواحد عشر مرات . فضحك أبو الأصبغ وضحك الجوارى ، وسكن غضب أبو الأصبغ وقال لأبنـه : هات الدنانير ياً بن الفاعلة ! فرمى بها إليه وقام خجلا . وقال يحيى : والله لا دَخل مُطيع الساعى ابن الزانية ! فقال أبوالأصبغ وجواريه : والله ليدخلنّ ، وقد نصحنا وغشَشْتَنا . فأُدخل، وجعل يشرب معهم ، ويحيى يشتُمه بكل لسان، وهو يضحك .

شعره الذى فيــه الغناء وحديثه

وذكر أن مُطيع بن إياس كان مع سَلم بن قُتيبة بالرىّ ، فعشق أمرأة من بنات الدهاقين ، فلما أُستقدم المنصورُ سلمَ بن قتيبة قَدِم معــه مُطيع . فلما وصلوا عَقبة حُلوان جلس مُطيع على العقبة وتذكر الجارية ، وعناقُ دابته فى يده وهو مُستند إلى نخلة و إلى جانبها نخلة أخرى ، فقال الشعر الذى فيــه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار مُطيع ، وهو :

أســعدانِى يا نخلتى حُلوان ... وأُرثيالى[1] من رَيب هذا الزمانِ
وأعلما أنــ رَيبه طالمــا فرّ ... ق[2] بين الألّاف والإخوان
أســعدانى وأيقنا أن نحساً ... سوف يأتيكما[3] فتفَــترقان
ولعمرى لو ذُقتما ألم الفُـــر ... قة أبكاكما الذى أبكانى
كم رَمتنى ضروب هذى الليالى ... بفراق الأحبــاب والخِلّان

هذه الأبيات التى فيها الغناء .

ومنها :

غير أنّى لم تلق نفسى كما لا ... قيتُ من فُرقة أبنة الدِّهقان
جارةٌ لى بالرِّىّ تُذهب همّى ... ويُسلِّى دنوُّها أَحــزانى

(١) فى أصول الأغانى التى بين أيدينا : « وابكيالى » .
(٢) فى أصول الأغانى التى بين أيدينا : « ريبه لم يزل يفرق » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « يلفاكما » .

فجعتنى الأيامُ أغبطَ ما كنـ ـتُ بصَـدعٍ للبيْن غير مُدان
و برغمى أن أصبحتْ لا تراها الـ ـعيْنُ منّى وأصبحتْ لا ترانى
إن تكن ودّعتْ فقد تركتْ بى لهباً فى الضـمير ليس بِوَان
كحريق الضّرام فى قصب الغا ب زفتْـه[1] ريحانِ تختلفان
فعليكِ السـلام منّىَ ما سا غ سلاماً عقلى وفاض[2] لسانى

وذُكر أنه لمـا خرج الرشيد إلى طُوس هاج به الدم بحُلوان ، فأشار عليـه الطبيب بأكل جُمَّار النخل ، فأحضر دِهقاناً بحلوان وطلب منه جُمَّاراً ، فأعلمه أن بلده ليس بها نخل ، ولـكن على العقبـة نخلتان ، فمُر بقطع إحداهما . فقُطعت ، وأُتى الرشيد بجُمَّارها . فأكل منه وراح[3] . فلما انتهى إلى العقبة نظر إلى إحدى النّخلتين مقطوعة والأُخرى قائمة ، و إذا على القائمة مكتوب البيت الأول من هذا الشعر والثالث ، فاغتم الرشـيد وقال : يعز علىّ أن أكون نحستُكما ، ولو كنت سمعت هذا الشعر ما قطعتُ هذه النخلة ولو قتلنى الدم .

ولبعض الشعراء فى نخلتى حُلوان :

أيها العاذلان لا تَعـــذُلان ودعانى من المَـلام دَعانى
وأَبكيـا لى فإننى مُستحق منكما بالبكاء أن تَسـعدانى
إننى منـكما بذلك أولى من مُطيع بنخلتى حُـلوان
فهما تجهـلان ما كان يشكو مِن هواه وأنتما تَعلمـان

(١) زفته : طردته واستخفته . (٢) الرواية فى الأصل : « وقام » .
(٣) راح : ارتاح ونشط .

أخبار محمد بن كناسة

واسم كناسة عبد الله بن عبد الأعلى بن عُبيد الله بن خليفة بن زُهير بن نَضلة ابن أُنيف بن مازن بن صهبان ــ واسمه كعب ــ بن ذؤيبة[(١)] بن أسامة بن نصر ابن قُعين[(٢)] بن الحارث بن ثَعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة .

شيء عنه

شاعر من شُعراء الدولة العباسية ، كوفيّ المولد والمَنشأ . وقد حُمل عنه شيء من الحديث . وكان إبراهيم بن أدهم الزاهد ــ رحمه الله ــ خالَه ، وكان امرأً صالحاً لا يتصدّى لمدح أو هجاء ، وكانت له جارية مُغنِّية شاعرة يقال لها : دنانير ، كان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمُذاكرة والمُساجلة فى الشعر .

وذُكر أنه قال رجل لمحمد بن كُناسة : أنت الذى تقول فى إبراهيم ابن أدهم العابد :

رأيتُك لا[(٣)] يُغنيك مادونه الغِنى | وقد كان يُغنِى دون ذاك ابنَ أدهمَا
وكان يَرى الدنيا صغيراً عظيمُها | وكان لحقِّ الله فيها مُعظّما
وأكثر ما تلقاه فى القوم صامتاً | وإن قال بَذّ القائلين وأحكما

فقال : أنا قلتُها ، وقد تركتَ أجودها ! فقال : ما هو ؟ فقال :

أهان الهوى حتى تجنَّبه الهوى | كما اجتنب الجانى الدَّم الطالبَ الدَّمَا

شعره فى مصلوب يعرض فيه بامرأته

وذُكر أن ابن كُناسة مَرّ فى طريق ببغداد ، فنظر إلى مَصلوبٍ على جِذع ، وكانت عنده امرأة يُبغضها وقد ثَقُل عليه مكانها ، فقال :

---

(١) فيما بين أيدينا من أصول الأغانى : « دويبة » بالدال المهملة .

(٢) فى الأصل : « قعبب » والتصويب من جمهرة أنساب العرب (ص ١٨٣) والأغانى .

(٣) فى الأغانى : « ما » .

* أيا جِذعَ مَصلوبٍ أتى دون صَلْبه ... ثلاثون حولاً كاملا هل تُبادِلُ
فما أنت بالحِمْل الذى قد حَملتَه ... بأضجَرَ منِّى بالذى أنا حامل

بيتان له تمناهما إسحاق

وحكى إسحاقُ بن إبراهيمَ قال: أنشدنى محمد بن كُناسة لنفسه:

فىَّ انقباضٌ وحشمةٌ فإذا ... صادفتُ أهل الوفاء والكرمِ
أرسلتُ نفسى على سجيَّتها ... وقلتُ ما قلت غير محتشمِ

قال: فقلت له: وددتُ أنه نَقَص من عمرى سَنتان وأنى كنتُ سبقتُك إلى هذين البيتين فقلتهما!

شعره الذى فيه الغناء

وهذان البيتان هما الشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار محمد ابن كناسة.

وتتمة الأبيات الميمية قالها فى خاله إبراهيم بن أدهم(١) ـ رحمه الله ـ:

وللحِلْم سُلطان على الجهل عنده ... فما يَستطيع الجهلُ أن(٢) يَترمزما
يُرى مُستكيناً خاضِعاً مُتواضعاً ... وليثاً إذا لاقى الكتيبةَ ضَيغما
على الجَدث الغربىّ من آل وائلٍ ... سلامٌ وبِرٌّ ما أبرّ وأكرما

من جيد شعره

ومن جيد شعر ابن كناسة:

ومن عَجب الدنيا تَبقِّيك للبلى ... وأنك فيها للبقاء مريدُ
وأى بَنى الأيام إلا وعنده ... من الدهر ذَنبٌ طارفٌ وتَليد
ومن يَأمن الأيامَ أمّا اتساعها ... فَحظر وأما فَجْعها(٣) فَعتيد
إذا اعتادت النفس الرَّضاع من الهوى ... فإنّ فِطام النفس عنه شديد

من روايته

ولابن كناسة رواية فى الحديث، فمما روى بإسناده عن أبى موسى الأشعرى: قال: قلت: يا رسول الله، إن الرجل يحب القوم ولمّا يلحق بهم! فقال صلى الله عليه وسلم: المرء مع مَن أحب.

---

(١) فى الأصل: «سلطان» وهو من أوهام الناسخ.

(٢) الزمزمة: صوت خفى لا يكاد يفهم. والذى فى الأغانى: «يترمرما» وترمرم: تحرك للكلام ولم يتكلم.

(٣) عتيد: مهيأ حاضر. والرواية فى الأغانى: «انبياعها * فحطر» صوابه ما فى التجريد.

أخبار الشمردل (*)

هو الشَّمردل بن شَريك بن عبد الملك[1] بن رؤبة بن سَلمة بن مكرم ابن ضِبارَى بن عُبيد بن ثعلبة بن يربوع . نسبه

شاعر إسلامى من شُعراء الدولة الأموية . وكان فى أيام جرير والفرزدق . عصره

وذكر أن الشمردل خَرج هو وإخوته : حكم ، ووائل ، وقُدامة ، إلى خراسان مع وَكيع بن أبى سُود ، فبعث وكيع أخاه وائلاً فى بَعثٍ لحرب الترك ، وبعث أخاه قدامة إلى فارس فى بعث آخر ، وبعث أخاه حكماً فى بَعث إلى سجستان. فقال له الشمردل : إن رأيت أيها الأمير أن تُنفذنا معاً فى وجه واحد ، فإنا إذا اجتمعنا تعاونّا وتناجزنا . فلم يفعل ، وأنفذهم فى الوجوه التى أرادها . فلم يَنشب الشمردل أن جاءه نعىُ أخيه قُدامة من فارس ، قتله جيش لقُوهم بها ، ثم تلاه نَعى أخيه وائل بعده بثلاثة أيام . فقال يرثيهما : رثاؤه أخويه

أقول إذا عزّيتُ نفسى بإخوة ... مضَوْا لا ضِعَافٍ فى الحياة ولا عُزْلِ

أبى الموتُ إلا أنّ كُل[2] بنى أبٍ ... سيُمْسون شتَّى غير مُجتمعى الشَّمل

كأن لم نَسِرْ يوماً ونحن بغبطة ... جميعاً ولم ينزل[3] برحْليهما رَحلى

فعينىّ إنْ أفضلتما بعد وائل ... وصاحبه دمعاً فعُودا على الفضل

(*) وقبل « أخبار الشمردل » ذكر أبو الفرج « أخبار قلم الصالحية » المغنية ، ولكن ابن واصل مر عنها .

(1) فى الأصل : « عبد الله » .

(2) فى الأغانى : « إلا فجع كل » .

(3) فى الأغانى : « جميعاً وينزل عند رحليهما » .

خليليّ من دون الأخلّاء أصبحا   رهينَى ثَواء[١] من وَفاة ومن قَتل

شعره الذى فيه الغناء

وقال يرثى أخاه وائلاً ، وهى من مُختار المراثى وجيد الشعر ، ومنها الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الشمردل ، وهو :

وكنتُ أُعير الدّمع قبلك مَن بكى   فأنت على مَن مات بعدك[٢] شاغلُه
سَقى جدثاً أعرافُ غَمرة دونه   ببيشةَ دِيماتُ الرَّبيع[٣] ووابله
وما بىَ حُبُّ الأرض إلا جوارَها   صداه وقولٌ ظَنَّ أنِّى قائله

وأولها :

لعمرى لئن غالت أخى دارُ[٤] غُربة   وآب إلينا سيفُه ورواحله
لقد ضُمِّنت جَلْدَ القُوى كان يُتَّقى   به جانبُ الثَّغر المَخوف زلازله
مَحلٌّ لأضياف الشتاء كأنما   همُ عنده أيتامه وأرامله
رخيص نَضيجِ اللحم مُغْلٍ بنِيئه   إذا بَردت عند الصِّلاء[٥] أنامله

(١) فى الأغانى : « وفاء » .
(٢) فى الأغانى : « قبلك » .
(٣) الأعراف : ما ارتفع من الرمل . وغمرة : جبل ببيشة .
(٤) فى الأغانى : « فرقة » مكان « غربة » .
(٥) الصلاء : النار ، والوقود .

أخبار الحصين بن الحمام

نسبه

هو الحُصين بن الحُمام بن ربيعة بن سباب[1] بن خُزامة[2] بن واثلة بن سَهْم أبن ذُبيان بن بَغِيض بن الرَّيث بن غَطفان بن سعد بن قَيس بن عَيْلان بن مُضر أبن نزار.

لقبه وشيء عنه

سيد بني مُرة وفارسها، وكان يقال له: مانع الضَّيم.

وفود ابنه على معاوية

وذُكر أن ابنه أتى باب مُعاوية بن أبي سفيان وقال لآذنه: استأذن لي على أمير المؤمنين وقُل: ابن مانع الضيم. فاستأذن له. فقال: ويحك! لا يكون هذا إلا ابن عروة بن الوَرْد العَبْسِيّ. أو ابن الحُصين بن الحمام المُرِّي، أدخله. فلما دَخل إليه قال له: ابن من أنت؟ فقال: أنا ابن مانع الضَّيم الحُصين بن الحُمام المُرِّي. فقال له: صدقت، ورفَع مجلسه وقضى حوائجه.

شعره في انتصار قومه على بني ذبيان

وكان الحُصين بن الحُمام قد حارب، بقومه — بني سَهم بن مُرة — جموعاً من بني ذُبيان وغيرهم، فظفر الحُصين وانتصر، فقال قصيدته التي منها:

ولما رأيت الوُدَّ ليس بنافعي ... وإن كان يوماً ذا كواكب مُظلِمَا

صَبرنا وكان الصبرُ منّا سَجيّة ... بأسيافنا يَقطعن كَفًّا ومِعْصما

نُفلّق هاماً من رجال أعزَّة ... علينا وهم كانُوا أعقَّ وأظلمـا

---

(١) في جمهرة أنساب العرب (ص ٢٤٢): «... بن أبي سباب».

(٢) في جمهرة أنساب العرب: «حزام». وفي الأغاني: «حرام».

وقد تقدّم ذكر أبيات من هذه القصيدة .

للبرج فيه

وذُكر أن البُرج الطائى كان خليلاً للحُصين بن الحُمام المرى ونديماً له على الشراب ، وفيه يقول البُرج :

ونَدمان يريد الكأس طيباً سقيت وقد تَغوّرت النُّجومُ
رفعتُ برأسه وكشفتُ عنه بمُعْرَقَة[1] ملامةَ من يَلوم
ويَشرب ما شَرِبنا ثم يصحو وليس بجانبى أحدٍ[2] كَلُوم

البرج والعفاطة أخته والحصين

وكانت للبُرج أختٌ يقال لها : العَفاطة ، وكان البرج يَشرب مع الحُصين ذات يوم ، فسكروا وانصرف إلى أخته فافتضّها ، ونَدم على ما صنع لما أفاق ، وقال لقومه :أى رجل أنا فيكم ؟ قالوا : فارسنا وأفضلنا وسيدنا . قال : فإنه إن عَلم بما صنعتُ أحدٌ من العرب أو أخبرتم به أحداً ركبت فرسى[3] فلم تَرونى أبداً . فلم يسمع بذلك أحدٌ منهم . ثم إن أمة لبعض طيئ وقعت إلى الحصين بن الحمام فرأت عنده البُرج الطائى يوماً وهما يشربان . فلما خرج من عنده قالت للحُصين : إن نديمك هذا سكر عندك ففعل بأخته كيت وكيت ، وأوشك أن يفعل بها[4] ذلك كلما آتاك فسكر عندك . فزجرها الحُصين وسَبّها ، فأمسكت . ثم إن البُرج بعد ذلك أغار على جيران الحُصين فأخذ أموالهم ، وأتى الصريخُ الحُصين ، فتَبع القوم وأدركهم ، وجرت بينه و بين البرج مقاولة ، فقال له الحصين بن الحُمام :

لا تَحسبنَ أخا العَفاطة أننى رجلٌ يُخَبِّرك لستُ بالعَلّام
فاستنزلوك وقد بَلّت نِطاقها من بَيت أُمك والذُّيول دَوامِى

ثم تقاتلا ، فقُتل من أصحاب البُرج عدة وهُزم سائرهم، واستنقذ ما فى أيديهم ،

(١) المعرقة : الخمر التى مازجها قليل من الماء . (٢) فى بعض أصول الأغانى : «خدى» .
(٣) فى الأصل « ركبت رأس » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « بك » .

وأسر البُرج ، وعَرف حق منادمتـه وعشرته إياه ، فمنَّ عليه وجز ناصيته وخلّى سبيله . فلما عاد البرجُ إلى قومه ، وقد سبّه الحُصين بما فعل بأُخته ، لامهم وقال : أشعتُم ما فعلت بأختى ! ثم ركب فرسه وخرج من بين أظهرهم ولحق بالروم ، فلم يُعرف له خبر إلى الآن .

وقيل : إنه شرب الخمر صرفاً حتى قتلته .

وحُكى عن أبى عُبيدة أن الحُصين أدرك الإسلام وأسلم ، واستدلّ على ذلك بقوله : خبر إسلامه

أعوذ بربّى من المُخزيات ... يوم ترى النفسُ أعمالَها
وخَف الموازينُ بالكافرين ... وزُلزلت الأرضُ زلزالها
ونادى مُنادٍ بأهل القبور ... فهبُّوا لِتُبرز أثقالها
وسُعِّرت النار فيها[1] العقاب ... وكان السلاسلُ أغلالها

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الحُصين بن الحُمام ، هو : شعره الذى فيه الغناء

خليلىّ لا تستعجلا أن تُزوّدا ... وأنْ تجمعا شملى وتَنتظرا غدَا
وأن تَنتظرانى اليومَ أقضِ لُبانةً ... وتَسْتوجبا منّا علىّ وتُحْمَدا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « العذاب » مكان « العقاب » .

أخبار محمد بن يسير الرياشي

ولاؤه وشىء عنه

يقال إنه مولى لبنى رياش ، وهم من خَثعم . وكان شاعراً ظريفاً مُتقلِّلاً. لم يفارق البصرة، ولا وفد إلى أحد من الخلفاء والأشراف مُنتجعاً بشعره ، ولا تجاوز بلده وصُحبة طبقته . وكان هجّاء خَبيث اللسان .

شعره فى ابن جعفر وقد عربد عليه

وذُكر أن محمد بن يسير كان يُعاشر يوسف بن جعفر بن سُليمان ، وكان يوسف أشدَّ خلق الله ، فجرى بينهما يوماً كلامٌ على النّبيذ ، فعَربد يوسف على ابن يسير وشجّه ، فقال ابن يسير فيه :

لا تَجلسا مع يوسف فى مَجلس ... أبداً ولم تحملْ دم الأَخوَيْنِ

رَيحانُه بدَم الشِّجاج[1] مُلَطَّخٌ ... وتحيةُ النُّدمان لَطْمُ العَين

شعره فى غلام حاول الدخول من الباب الصغير

وذُكر أنّ محمد بن يسير كان له بابان ، يدخل من أحدهما — وهو الأكبر — ويدخل من يريده من الباب الأصغر . فجاءه يوماً غلام قد خرجت لحيتُه وحاول الدُّخول إليه من الباب الصغير ، فكتب إليه :

قل لمن رام بجهل ... مَدخل الظَّبى الغَرِير

بعد ما[2] علّق فى خدّ ... يه مِخلاة الشَّعير

أنصرفْ وأُدخل إذا شئ ... تَ[3] من الباب الكَبير

(١) الشجاج : جمع شجة ، وهو الجرح يكون فى الوجه والرأس ولا يكون فى غيرهما من الجسم . والذى فى بعض أصول الأغانى : « الشباب » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « بعد أن » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ليته يدخل إن جاء » .

ومما يختار من شعر ابن يسير قوله :

جَهْدُ المُقلّ إذا أعطاك مُصطبراً ... ومُكثرٍ من غِنًى سيّان[1] فى الجُودِ

لا يَعدم السائلون الخيرَ أفعله ... إمّا نوالى و إما حسن مَردودى

تفاؤل المعتصم بشعر له

وحكى علىّ بن القاسم طارمة قال :

كنت مع المُعتصم لما غزا الروم ، فجاءه بعضُ سراياه بخبر غمّه ، فركب من فوره وسار أجدَّ سير ، وأنا أسايره ، فسمع مُنشداً يتمثّل فى عسكره :

إنّ الأُمور إذا انسدّت مسالكُها ... فالصبرُ يَفتح منها كلّ ما ارتُتِجا

لا تيأسنّ و إن طالت مُطالبة ... إذا استعنت بصَبر أن ترى فَرجا

فسُر بذلك وطابت نفسُه . ثم التفت إلىّ وقال : يا علىّ ، أتروى هذا الشعر ؟ قلت : نعم . قال : من يقوله ؟ قلت : محمد بن يسير . فتفاءل باسمه ونسبه ، وقال : أمر محمود ، و يُسر سريع يعقُب هذا . ثم قال : أنشدنى الأبيات . فأنشدته :

ماذا يكلّفك الرّوحاتِ[2] والدّلجا ... والبرَّ طوراً وطوراً تركب اللُّجَجا

كم من فتًى قَصُرت فى الرّزق خُطوته ... ألفيته بسهام الرّزق قد[3] فَلَجا

و بعدها البيتان المذكوران ، و بعدها :

أخلق بذى الصّبر أن يحظَى بحاجته ... ومُدمن القَرع للأبواب أن يَلِجا

قَدِّر[4] لِرجْلك قبل الخَطو موضعها ... فمن علا زَلَقاً عن غِرّة زَلجا

ولا يَغُرّنك صفوٌ أنت شاربُه ... فربما كان بالتّكدير مُمتزِجا

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عينان » .

(٢) الروحات : جمع روحة ، من الرواح ، وهو السير ، أى وقت . وكأنه يريد به السير بالنهار ليقابل « الدلج » الذى هو السير فى الليل كله .

(٣) فلج : ظفر .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « فاطلب » .

وحكى بعضُهم قال :

كنّا عند قُثَم بن جعفر بن سليمان، ومعنا محمد بن يسير ، ونحن على شراب ، فأمر بأن يُبخَّر ويُطيَّب . فأقبلت وصيفةٌ له حسنة الوجه ، فجعلت تُبخرنا وتُغلِّفنا(١) بغالية كانت معها ، فلما بخَّرت ابنَ يسير وغلَّفته ، ألتفت إلىّ ، وكان إلى جنبى ، فأنشدنى :

يا باسطاً كفَّه نحوى يُطيّبنى ... كفَّاك أطيبُ يا حِبّى من الطِّيبِ
كفّاك يجرى مكانَ الطيب طيبُهما ... فلا تَزِدنى عليها عند تَطْييبى
يا لائمى فى هواها أنت لم ترها ... وأنت مُغرًى بتأنيبى وتَعذيبى
أُنظرْ إلى وجهها هل مثل صورته ... فى الناس وجهٌ مُجلًّى غيرُ محجوب

فقلت له : أُسكت ويلك لا تُصفع . فقال : والله لو وثقت أننا نُصفع جميعاً لأنشدتُه الأبيات ، ولكنى أخاف أن أُفرد بالصفع دونك .

شعر له كان ينشده ابن رياح فى الشدة

وقيل :

كان محمد(٢) بن رياح إذا أشتد(٣) به أنشد قولَ أبن يَسير :

تُخطى النفوس مع العيان ... وقد تُصيب مع المظنّه
كم من مضيق فى الفضاء ... ومَخرج بين الأسنّه

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وأفتتح به أبو الفرج أخبار أبن يسير ، هو :

لا أَرّق الله عينَىَ من أرقتُ له ... ولا مَلا مثلَ قلبى قلبَه تَرَحا
يَسُرنى سوء حالى فى مَسرته ... فكلما ازددتُ سُقماً زادنى فَرَحا

(١) تغلف : تلطخ . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « إبراهيم » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « وأحزنه الأمر » .

أخبار ديك الجن

نسبه

هو عبد السلام بن رَغْبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رَغبان ابن زيد بن تميم .

لقبه وشيء عن جده

وديك الجن لقب غلب عليه . وكان جدّه تميم ممن أنعم الله عليه بالإسلام من أهل مُؤْتة[1] على يَد حَبيب بن مَسلمة الفِهريّ .

طبقته وشيء عنه

وديك الجنّ شاعر مُجيد من شُعراء الدولة العباسية . وكان من ساكنى حِمص ، لم يبرح نواحى الشأم ، ولم يَفِد إلى العراق ولا إلى غيره مُنتجعاً بشعره ، ولا متصدِّياً لأحد ، وكان يتشيّع .

مجونه وشدة ابن عمه عليه

وذُكر أنّ ديك الجِنّ كان خَليعاً ماجِناً منعكفاً على القَصْف واللهو ، مِتلافاً لما احتوت عليه يده ؛ وكان له ابن عمّ - يُكنى أبا الطيّب - كان يَعظه وينهاه عمّا يَفعله ، ويَحول بينه وبين ما يُؤْثره من لذّات ، وربما هَجم عليه وعنده قومٌ من المُجّان وأهل الخلاعة فيستخفّ بهم وبه ؛ فهجاه ديكُ الجِنّ وبالغ فى سَبِّه .

شيء عن زوجه ورد وشعره فيها

وكان ديك الجنّ قد اشتهر بحُب جارية نَصْرانية من أهل حِمص ، وتمادى به الأمرُ حتى غلبت عليه وذهبت به . فلما اشتهر بها دَعاها إلى الإسلام ليتزوّج بها ، فأجابتــه لِعلمها برغبته فيها ، وأسلمت على يده وتزوّجها ، وكان اسمها ورداً ، ففى ذلك يقول :

---

(١) مؤتة ، مهموز الواو ، وحكى فيه غير الهمز : قرية من أرض البلقاء من الشام ، وكانت بها غزوة فى جمادى الأولى سنة ثمان ، التى فيها المسلمون والروم .

انظر إلى شمس القُصور و بدرها ... و إلى خُزاماها[(١)] و بَهجة زهرها

لم تبْل[(٢)] عينك أبيضاً فى أسود ... جَمع الجمالَ كوجهها فى شَعرها

وردية الوجَنات يَختبر اسمها ... من نَعتها[(٣)] من لا يُحيط بخُبرها

وتمايلت فضحكتُ من أردافها ... عَجباً ولكنّى بكيتُ لخَصْرها

تَسقيك كأس مُدامة من كفّها ... وردِيّةً ومُدامة من ثَغرها

كاد له ابن عمه فى زوجه

وكان قد أعسر واُختلّت حاله ، فقَصد سَلَمْيَة[(٤)] ومَدح بها أَحمدَ بن على الهاشمىّ، وأقام عنده مدةً طويلة . وحَمل ابنَ عَمّه بُغضه إياه بعد مودّته له و إشفاقه عليه بسبب هِجائه ، على أن أذاع على تلك المرأة التى تزوّجها ديك الجن أنها تَهوى غلاماً له ، وقرّر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجيرانه و إخوانه . وشاع ذلك الخبرُ حتى أتى إلى ديك الجنّ . فكتب إلى أحمد بن على الهاشمى يَستأذنه فى الرّجوع إلى حِمص و يُعلمه ما بلغه من خبر المرأة ، قصيدةً أولُها :

إنّ ريْب الزّمان طال انتكاثه ... كم رمتْنى بحادثٍ أحداثُهْ

يقول فيها :

ظَبْى إنس قَلبى مَقيل ضُحاه ... وفُؤادى بَريرُه[(٥)] وكَباثُه

وفيها يقول :

خِيفةً أن يخونَ عَهدى وأن ... يُضحِى لغيرى حُجُوله[(٦)] ورِعاثُه

وفيها مَدح لأحمدَ بعد هذا ، وهى طويلة . فأذن له . وقدّر ابنُ عمه وقت

(١) الخزامى : نبت طيب الريح . (٢) فى بعض أصول الأغانى : «لم تبلك».
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ريقها » . (٤) سلمية : من أعمال حماة .
(٥) البرير : من ثمر الأراك ؛ والكباث : ما نضج منه .
(٦) الحجول : جمع حجل ، وهو الخلخال . والرعاث : ما يعلق فى أذن المرأة من القرطة ، والواحدة : رعثة .

وصوله ، وأرصد له قوماً يُعلمونه موافاته باب حِمص . فلما وافاه خرج إليه مستقبلاً ومعنفاً له على تمسكه بهذه المرأة بعد ما شاع عنها من الفساد ، وأشار عليه بطلاقها ، وأعلمه أنها قد أحدثت فى مَغيبه حادثةً لا يَجمل به معها المُقام عليها ؛ ودسّ الرجلَ الذى رماها به وقال له : إذا قدم عبدُ السلام ودخل منزله فقِف على بابه كأنك لم تَعلم بقُدومه ونادِ باسم وَرد ؛ فإذا قالت : من أنت ؟ فقل لها : أنا فلان . فلما نزل عبدُ السلام منزله وألقى مَتاعه سألها عن الخبر وأغلظ عليها ، فأجابته جواب من لم يعرف من القضيّة شيئاً . فبينا هو فى ذلك إذ قرع الرجلُ البابَ . فقالت : من هذا ؟ فقال : أنا فلان . فقال : ديك الجن : يا زانية ، زعمتِ أنك لا تَعرفين مِن هذا شيئاً ، واُخترط سيفه وضَربها به حتى قتلها ، وقال فى ذلك :

ليتنى لم أكن لعَطفك نِلتُ　　　وإلى ذلك الوصال وصلتُ
قال ذو الجهل قد حَلمت ولا　　　أعلم أنِّى حَلُمتُ حتى جَهلت
سوف آسَى طولَ الحياة وأبكـ　　　ـيك على ما فعلتِ لا ما فعلتُ

وقال أيضاً :

لكَ نفس مُواتيـه　　　والمَنـايا مُعـاديه
أيها القلب لا تعُـد　　　لهَوى البيض ثانيـه
ليس بَرقٌ يكونِ أخـ　　　ـلبَ من برق غانيـه
خُنتِ سرَّ مَن لم يخُنـ　　　ـك[1] فمُوتى عَلانيه

وبلغ السلطانَ الخبرُ ، فطلبه ، فخَرج إلى دمشق وأقام بها أياماً . وكتب أحمدُ بن على الهاشمى إلى أمير دمشق[2] أن يُؤمِّنه، و تَحمل[3] عليه بإخوانه حتى

(١) فى الأغانى : « خنت سرى و لم أخنك » .
(٢) فى الأصل : « خمص » .
(٣) فى الأغانى : « يتحمل » .

حتى يستوهبُوا جنايته . فقَدِم حِمصَ و بلَغه الخبرُ على حقيقته ، وأستيقنه فنــدم ، ومكث شهراً لا يستفيق من البكاء ولا يَطعم من الطعام إلا ما يُقيم رَمقه ، وقال :

يا طَلعَــةً طلع الحِمامُ عليها وجَنى لها ثَمر الرَّدى بيــدَيْها
رَوَّيتُ من دمها الثَّرى ولطالما روَّى الهوى شَــفتىَّ من شَفتيها
مكَّنت[1] سَيفى فى مَجال وِشاحها ومَدامعى تَجرى على خــدَّيها
فوحقِّ نعلَيها فما وطىء الحصى شىء أعز علىّ من نعلَيْهــا
ما كان قَتليهــا لأنِّىَ لم أكن أبكى إذا ســقط الذُّباب عليهــا
لــكن ضننتُ على العيون بلَحظها وأنفت من نَظر الحسود إليهــا

خبر آخر فى هذا الشــعر

قال أبو الفرج :

وقد رُيت هذه الأبيات لغير ديك الجن : وهو أنه رُوى أن السُّليك بن مجمّع الغطفانى كان من الفرسان ، وكان مطلوباً فى سائر القبائل بدماء قوم قتلهم ، وكان يَهوى أبنة عم له ، وخَطبها مرة فمنعه أبوها منها ثم زوجه إياها خوفاً منه ، فدخل بها فى دار أبيها ، ثم نقلها بعد أسبوع إلى عشيرته . فلقيه من بنى فزارة ثلاثون فارساً كلهم يطلُبــه بدم ، فقاتلوه وقاتلهم ، فقتل منهم عدداً وأثخن بالجراح آخرين ، وأُثخن هو حتى أيقن بالموت ، فعاد إليها وقال : ما أسمح بك نفساً لهؤلاء ، وأُحب أن أُقدمك قبلى . قالت : أفعل ، ولو لم تفعله أنت لفعلته أنا . فضربها بسيفه حتى قتلها ، وأنشأ يقول :

* ياطلعة طلع الحِمام عليها * الأبيات

ثم نزل إليها فتمرغ فى دمها وتخضّب به ، ثم تقــدم فقاتل حتى قُتل . فبلغ قومَه خبرُه فحملوه وأبنة عمه فدفنوهما .

---

(١) فى الأغانى : « قد بات » .

من شعره فى امرأته

وقال ديكُ الجنّ فى امرأته أيضاً :

أشفقتُ أن يَرِد الزمانُ بغَدْره ... أو أُبتلَى بعد الوِصال بهَجْرِه
قَمرٌ أنا أستخرجتُه من دُجْنة ... لبليّتى وجلوتُه من خِدْره
فقتلتُه وبه علىّ كرامةٌ ... مِلْء الحَشَى وله الفؤاد بأسْره
عهدى به مَيْتاً كأحسن نائم ... والحزنُ يَسفح دَمعَتى[1] فى نحره
لو كان يَدرِى المَيْتُ ماذا بعده ... بالحىّ منه[2] بَكا له فى قبره
غُصصٌ تكاد تَفيض[3] منها نفسُه ... ويكاد يَخرُج قلبُه من صَدره

شعره فى غلام كان يهواه

وذُكر أنّ ديك الجن كان يهوى غُلاماً من أهل حِمص ، يقال له : بَكْر ، وفيه يقول ، وقد جلسا يتحدثان إلى أن غاب القمر :

دَعِ البَدر فَلْيغرُب فأنت لنا بدر ... إذا ما تَجلَّى من محاسنك الفَجْرُ
إذا ما أنقضى سِحْر الذين ببابلٍ ... فطَرفُك لى سِحر وريقُك لى خَمر
ولو قيل قُمْ فادع أحسنَ من ترى ... نصحتُ بأعلى الصوت: يا بكر يا بكر

وكان هذا الغلام يُعرف ببكر بن دَهمرد ، وكان شديد التمنع والتصوّن ، فاحتال قوم من أهل حِمص فأخرجوه إلى متنزّه لهم يعرف بميماس وأسكروه وفَسقوا به جميعاً . وبلغ الخبرُ ديكَ الجن فقال :

قُل لهضيم الكَشْح ميّاس ... انتقض العهدُ من الناسِ
يا طاقة[4] الآس التى لم تَمِدْ ... إلا أذلّت قُضُب الآس
وثِقت بالكأس وشُرّابها ... وحَتْفُ أمثالك فى الكاس

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عبرتى » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « بالحى حل » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « تعيظ » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « ياطلعة » .

لا بأس مولاى على أنها ... نهـاية المكروه والبـاس
هى الليـالى ولهـا دَولة ... ووَحشة من بعـد إيناس
بينا أنافت وعَلت بالفتى ... إذ قيـل حَطَّتـه على الراس
فالْهُ ودَع عنك أحاديثَهم ... سيُصبح الذاكر كالناسى

وقال فيه أيضاً :

قولا لبَكر بن دَهرد إذا اعتكرت ... عساكرُ اللَّيـل بين الطَّاس والجام
ألم أقل لك إن البَغى مَهلكة ... والبغى والعُجب مِفْسـاد[1] لأقوام
قد كنت تفْرَق من سَهم بغانيـة ... فصِرْتَ غير ذَميم رُقعـة الرامى
وكنت تَفزع من لَمس ومن قُبل ... فقـد ذَلِلت لإسراج وإلجـام
إن تَدْمَ فَخذاك من رَكض فربّما ... أُمسى وقلبى عليـك المُوجع الدّامى

رثاؤه جعفر ابن على

وذُكر أنه تُوفى جعفر بن على الهاشمى ، فرثاه ديك الجن بقصيدة أولها :

على هـذه كانت تَدور النَّوائبُ ... وفى كُلِّ جَمْع للذِّهاب مَذاهبُ
نزلنا على حُكم الزمان وأمره ... وهل يَقبل النُّصف الألدُّ المُشاغب
وتَضحك سنُّ المرء والقلب مُوجع ... ويرضى الفتى عن دَهره وهو عاتب

ويقول فيها :

فتًى كان مثلَ السيف من حيث جئتَه ... لنائبـة نابتْك فهو مُضارب
فتًى همُّه[2] حَمد على الدهر رابح ... وإن بان[3] عنه مالُه فهو عازِب
بكاك أخٌ لم تَحوه بقـرابة ... بلى إن إخوان الصـفاء أقارب

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « نساء » .
(٢) فى الأصل : « حمده » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « غاب » .

وأظلمتِ الدنيـا التى أنت جارها　　　كأنك للدُّنيـا أخٌ ومنـاسب

ويُبرد نيران المصائب أننى　　　أرى زمناً لم تَبْق فيـه مَصائب

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار ديك الجن ، هو : شعره الذى فيه الغناء

أنت حديثى فى النَّوم واليقَظه　　　أتعبتُ ممـا أهذى به الحَفظه

كم واعظٍ فيك لى وواعظـه　　　لو كنتُ ممن تنهاه عنك عِظـه

أخبار قيس بن عاصم المنقري

نسبه

هو قيس بن عاصم بن سِنان بن خالد بن مِنْقر بن عُبيد بن مُقاعس م
مقاعس الحارث — بن عمرو بن كعب بن زيد مناة بن تميم .

كنيته ونسب أمه

ويُكنى أبا عليّ . وأمه أُم صُعر[1] بنت خَليفة بن جَرول بن مِنْقر .

شاعر مخضرم

شاعر فارس شُجاع حليم ، كثير الغارات ، مُظفَّر فى غزواته . أَدرك الجاهلية والإسلام فساد فيهما . وهو أحد من وأد بناته فى الجاهلية . وأسلم وحَسُن إسلامه ، وأتى النبيَّ صلّى الله عليه وسلم وصَحبه فى حَياته ، وعُمِّر بعده زمانًا ، وروى عنه عدة أحاديث .

وفوده على النبى صلى الله عليه وسلم وأده البنات

وذُكر أنه وَفد قيس بن عاصم على رسول الله صلّى الله عليه وسلم فسأله بعضُ الأنصار عمّا يتحدَّث به فى الموءودات التى وَأدهن من بناته . فأَخبر أنه ما وُلدت له بنت قطُّ إلّا وأدها . ثم أقبل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : كنت أخاف سُوء الأُحدوثة والفَضيحة فى البنات ، فما وُلدت لى بنت إلا وأدتُها ، وما رحمت منهن موءودة قطُّ ، إلّا بُنَيّة لى كانت ولدتها أُمها وأنا فى سَفر ، فدفعتْها إلى أخوالها فكانت فيهم . وقدمتُ فسألت عن الحمل ، فأخبرتْنى المرأة أنها ولدت ولداً ميتاً . ومضى على ذلك سنون ، حتى كَبرت الصبيّة وأيفعت[2] ، فزارت أُمّها ذات يوم ، فدخلتُ فرأيتُها وقد ضَفرت شعرها وجعلت فى قُرونها شيئًا من

---

(١) فى الأصل : « وأمه صعر » .

(٢) فى الأصل والأغانى : « يفعت » وهو غير مسموع .

خُلوق(١) ونَظمت عليها وَدَعاً ، وألبستها قِلادة جَزَع(٢) ، وجعلت فى عُنقها مِخنقة(٣) بلح . فقلت : من هـذه الصبيّة ؟ فقد أعجبنى جمالها وكَيْسها . فبكت ثم قالت : هذه ابنتك ، كنت خبّرتُك أنى ولدتُ ولداً ميتاً ، وجعلتُها عند أخوالها حتى بلغت هـذا المَبلغ . فأمسكتُ عنها ، حتى اشتغلت عنها أمها ، ثم أخرجتُها يوماً فحفرتُ لها حَفيرة وجعلتها فيهـا ، وهى تقول : يا أبة ، أمغطِّىَّ أنت بالتُّراب وتاركى وحدى ومُنصرفٌ عنى ! وجعلت أقذف عليها التراب وهى تقول ذلك ، حتى واريتُها وانقطع صوتُها . فما رحمتُ أحداً ممّا ولدتُه غيرَها . فدمعت عينا النبى صلّى الله عليه وسلّم وقال : إنّ هذه لقسوة ! و إن من لاَ يرحم لا يُرحم .

قلت : وهذا الفعل من أفعال الجاهلية ، وفيه نزل قوله تعالى : (وَ إِذَا الْمَوْءودَةُ سُئِلَتْ . بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)(٤) .

وذُكر أن قيس بن عاصم تزوّج مَنفوسة بنت زيد الفوارس الضَّبى ، وأتته فى الليلة الثانيـة من بنائه بها بطعام ، فقال : وأين أَكِيلى ؟ فلم تعـلم ما يُريد . فأنشأ يقول :

أيابنةَ عبـــد الله وابنـة مالك ... ويا بنـة ذى البُردين والفَرس الوَرْدِ
إذا ما صـنعتِ الزاد فالتمسى له ... أكيـلاً فإنِّى لستُ آكله وحـدى
أخاً طارقاً أو جارَ بيتٍ فإننى ... أخاف مَذمّات(٥) الأحاديث من بعدى
و إنِّى لعبـدُ الضَّيف من غير ذِلّةٍ ... وما فىّ(٦) إلا تلك من شِيم العَبـد

(١) الخلوق : نوع من الطيب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب ، وتغلب عليه الحمرة والصفرة .
(٢) الجزع : ضرب من الخرز فيه بياض وسواد ، تشبه به الأعين .
(٣) المخنقة : القلادة .
(٤) الآية ٨ من سورة التكوير .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : «ملامات» .
(٦) فى بعض أصول الأغانى : «ومابى» .

فأرسلت جارية لها يقال لها : مليحة ، فطلبت له أكيلاً ، وأنشأت تقول :

أبى المرء قيسٌ أن يذوق طعامَه بغَيْر أكيل إنّه لكريمُ
فبُورِكت حيًّا يا أخا الجُود والنّدى وبُورِكت مَيْتاً قد حَوتْك رُجُوم

وحُكى أن الأحنف بن قيس قال :

ما تعلّمتُ الحِلْم إلا من قَيس بن عاصم المِنقرىّ . فقيل له : وكيف ذلك يا أبا بحر ؟ فقال : قَتل ابنُ أخٍ له ٱبنَه ، فأُتى بٱبن أَخيه مكتوفاً يُقاد إليه ، فقال : ذَعرتم الفَتى ! ثم أقبل عليه فقال : يا بُنى ، نَقصت عددك ، وأوهنت[1] رُكنك ! وفتَتّ فى عَضُدك ، وأشمتَّ عدوّك ، وأسأت بقومك ! خلُّوا سبيلَه ، وٱحملوا إلى أم المقتول دِيَته . فٱنصرف القاتل . وما حَلّ قيسٌ حَبْوَته[2] ولا تَغيّر وجهُه .

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه حين وفد عليه

وذُكر أنّ قيساً لما وَفد على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : هذا سيد أهل الوبر .

هو والزبرقان وقد منع الصدقة

وذُكر أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولّى قيس بن عاصم صدقاتِ بنى مُقاعس والبُطون كُلّها . وكان الزِّبرقان بن بَدر قد وَلى صدقات عَوف والأبناء . فلما تُوفِّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقد جَمع كل واحد من قَيس والزبرقان صدقات من وَلى صدقَته ، دَسّ إليه الزّبرقان من زَيّن له المَنع لِمَا فى يده وخَدعه بذلك ، وقال له : إن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قد تُوفى ، فهلُمّ نَجمع هذه الصدقة ونَجعلها فى قومنا ، فإن ٱستقام الأمرُ لأبى بكر وأدّت العربُ إليه الزكاة جمعنا له الأُولى والثانيــة[3] . ففرّق قيسٌ الإبل فى قومه ، وٱنطلق الزبرقان إلى أبى بكر بِسبعمائة بعير فأدّاها إليه ، وقال فى ذلك :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : «وأوهنت» .

(٢) الحبوة ، بالكسر والفتح : الثوب الذى يحتبى به ويشتمل ، وذلك أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : «جمعنا له الثانية» .

وفيتُ بأزواد النبىّ محمــــد وكنت أمرأً لا أفسد الدّين بالغَدْرِ

فلما عَرف قيسٌ ما كاده به الزّبرقان ، قال : لو عاهد الزبرقانُ أُمّه لغدر بها !

وذُكر أنّ قَيس بن عاصم كان أحـدَ من حَرَّم الخمر على نفسه فى الجاهليّة ، سبب اجتنابه الخمر وذلك أنه سكر من الخمر فغمز عُكنة[1] ابنته ـ وقيل أخته ـ فهربت منه . فلما صَحا سأل عنها ، فقيل له : أَوَ ما علمتَ ما صنعتَ البارحة ؟ قال : لا . فأخبروه بصُنعه . فحرّم الخمر على نفسه ، وقال فى ذلك :

وجدتُ الخمر جامحةً وفيهـا خِصالٌ تَفضح الرجلَ الكريما
فلا والله أشربُها حيـاتى ولا أدعُو لهـا أبداً نَديمـا
ولا أعطى بهـا ثمناً حيـاتى ولا أَشْفِى بها أبداً سَـقيما
فإنّ الخمرَ تفضح شـاربيها وتُجشمهم[2] بهـا أمراً عظيما
إذا دارت حُمَيّـاها تَعلّت طوالعُ تَسفه[3] الرجلَ الحَليما

وذُكر فى سبب تحريمـه الخمر على نفسه أنّ رجلاً مَرّ يحمل الخمر على قيس أبن عاصم فنزَل به ، فقال له قيس : أصْبَحْنى[4] قَدحاً . ففعل . ثم قال : زِدنى . فقال : أنا رجل تاجر طالبُ رِبح ، لا أستطيع أن أسقيَك بغير ثمن . فقام إليـه قَيس فربَطه إلى دَوحة فى داره حتى أصبح . فكلّمتْه أُختـه فى أمره ، فلَطمها وخَمَش وَجهها . وزعَموا أنه أرادها على نفسها ، وجعل يقول :

وتاجر فاجر جاء الإلهُ به كأنّ لحيته أذنابُ أجمالِ

---

(١) العكنة : واحدة العكن ، وهى الأطواء فى البطن من السمن . ويلاحظ أن فى الخبر غرابة فقد تقدم أن قيساً لم تبج له بنت من الوأد .

(٢) تجشمهم : تكلفهم . والرواية فى التجريد : « وتجنيهم » .

(٣) تسفهه : أى تحمله على السفه .

(٤) صبحه يصبحه : سقاه الصبوح .

فلما أَصبح قال : مَن فعل هذا بضَيفى ؟ فقالت له أُخته : الذى صَنع هـذا بوجهى ! وأرته صَنيعه ، وأخبرته بما فعل . فأَعطى الله عهـداً ألّا يشرب الخمر ، وقال :

فوالله لا أحسو مَدى الدهر خَمرةً ولا شَربةً تُزرى بذى اللُّب والفَخرِ
فياشاربَ الصهباء دَعها لأهلها الـ ـغُواة وسلِّمْ للجَسيم من الأمرِ
فإنك لا تَدرى إذا ما شربتَها وأكثرتَ منها ما تَريش وماتَبرى

رثاء عبدة له

وفى قيس بن عاصم يقول عَبدة بن الطَّيب يَرثيه :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمتُـه ما شاء أن يترحّمَا
تحيـةَ من أوليته منك نِعمْة إذا زار عن شَحط بلادَك سـلّما
فما كان قيسٌ هُلكه هلك واحد ولـكنّه بُنيان قوم تهـدّما

أخبار محمد بن حازم

هو محمد بن حازم بن عَمرو الباهلى . وهو من ساكنى بغداد . ومولدُه ومَنشؤه البصرة . وهو شاعر مطبوع من شُعراء الدولة العباسية ، وكان كثير الهجاء فاُطُّرح . ولم يَمدح من الخُلفاء غيرَ المأمون . وكان ساقطَ الهِمّة مُتقلِّلاً جدًّا ، يُرضيه اليسير ولا يتصدّى لمدح ولا طَلَب . نسبه وشىء عنه

وذكر أن ابن الأعرابى قال : أحسنُ ما قال المُحدَثون من شعراء أهل الزمان ، فى مديح الشباب وذم الشيب ، قولُ محمد بن حازم : شعر له استحسنه ابن الأعرابى

لا حِينَ صَبرٍ فخَلِّ الدمعَ ينهملُ ... فَقْدُ الشباب بيوم المرء مُتّصلُ

سَقياً ورعياً لأيام الشباب وإن ... لم يَبق منه[1] له رَسْم ولا طَلَل

جَرَّ الزمانُ ذيولاً فى مَفارقه ... وللزمان على إحسانه عِلَل

ورُبما جرّ أذيال الصِّبا مرحاً ... وبين بُرْديه غُصنٌ ناعمٌ خَضِل

يُصْبِي الغوانى ويَزهاه بشِرَّته ... شَرْخ الشَّباب وثوبٌ حالكٌ رَجِل[2]

لا تُكذَبَنّ فما الدُّنيا بأجمعها ... من الشباب بيومٍ واحد بَدَل

كفاك بالشَّيب عيباً عند[3] غانية ... وبالشباب شَفيعاً أيُّها الرَّجُل

بان الشباب وولَّى عنك باطلُه ... فليس يَحسُن منك اللّهو والغَزَل

أمّا الغوانى فقد أعرضن عنك قِلًى ... وكان إعراضَهنّ الدَّلُّ والخَجل

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « منك » .

(٢) رجل : بين السبوطة والجعودة : يعنى الشعر بسواده مع الشباب .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « عائبة » مكان « غانية » .

أعزِزْ بك الهجر ما ناحت مُطوَّقة … فلا وِصالٌ ولا عَهــد ولا رُسُل

لَيت المَنــايا أصــابتْنى بأسهُمها … فكُنَّ يَذْكُرنَ عَهْدى قبلَ أكتهل (١)

عهدَ الشَّباب لقد أبقيت لى حَزَناً … ماجدَّ ذِكرُكِ إلّا جدَّ لى ثُــكل

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار محمد بن حازم ، هو :

خُــذ من العيش ما كَفَى … ومن الدّهر ما صَــفَا

حَسُن الغَـــدر فى الأنا … م كما أُســتُقبِح الوفا

صِــلْ أخا الوصـــل إنه … ليس بالهجر من (٢) حَفـا

عين مَن لا يُريد وصـ … ـلك تُبـــدى لك الجفا

ثم ذكر أبو الفرج ابنَ أبى الزوائد السّعدى ، ولم أختر له شيئاً (٣) .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يبكين » . (٢) حفا : أعطى .

(٣) وقبل « ابن أبى الزوائد » ترجم أبو الفرج لابن القصار ، ثم لمعبد ، وهما مغنيان .

أخبار أبى الأسد

واسمه نُباتة بن عبد الله الحِمّانى . وذكر أنه من بنى شَيبان .

وهو شاعر مطبوع متوسط الشعر ، من شعراء الدولة العباسية ، من أهل الدِّينور . وكان طَيِّباً مليح النوادر ، مزّاحاً خبيث الهجاء . نسبه منزلته فى الشعر

وكان صديقاً لعلّويه المغنى ، وله صنعة كثيرة فى شعره . شعره الذى فيه الغناء و حديثه

وذُكر أنه كان عنده ليلة ، وكان علّويه يهوى جارية لآل يحيى بن مُعاذ ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناء ، وكانت وعدتْه أن تزوره تلك الليلة ، فقال علّويه لأبى الأسد : قُل فى هذا شعراً . فقال — وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى الأسد — :

خَليل[1] صدَّ عن إلفه ... فليس لليله صُبْحُ
يُقلِّبه على مَضض ... مواعدُ ما لها نُجح
له فى عَيْنه[2] غَرْب ... وفى أحشائه جُرح
صَحا عنه الذى يرجو ... زيارتَه وما يَصْحو

وذُكر أنّ أبا الأسد مَدح الفَيض بن أبى صالح[3] ، وهو حينئذ ملازم بيته فى أيام الرشيد ، وكان الفيض قبل ذلك وزيرَ المهدى ، فقال فيه ، وهو من أجود الشعر : شعره له فى الفيض

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « محب » .
(٢) يقال : بعينه غرب ، إذا كانت تسيل ولا تنقطع دموعها .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الفيض بن صالح » .

ولائمةٍ لامتْكَ يا فَيضُ فى النَّدى فقُلت لها لن يَقدحَ اللومُ فى البَحْرِ
أرادت لتَثنى[1] الفَيضَ عن عادة النَّدى ومَن ذا الذى يَثنى السحابَ عن القَطرِ
مواقعُ جُودِ الفَيضِ فى كُلِّ بلدة مَواقعُ فَيض[2] المُزنِ فى البَلَد القفْرِ
كأنَّ وُفودَ الفَيضِ يومَ[3] تحمّلوا إلى الفَيضِ وافَوْا[4] عنده ليلةَ القَدْرِ

شعره فى صديق عدا البحترى على معناه

ولأبى الأسد أيضاً فى صَديق له ، وكان به برًّا ، وهو من جيد شعره ، وقد سرق البحترى معناه :

أعدُو على مال بسطام فأَنهبُه كما أشاء فلا يَثنى إلىَّ يَدِى
حتى كأنِّىَ بسطامٌ بما احتكمت فيه يدای و بسطامٌ أبو الأسد

شعره فى رثاء إبراهيم الموصلى

وذُكر أنه لما تُوفى إبراهيم الموصلى ، قيل لأبى الأسد ، وكان صديقه : ألا تَرثيه ؟ فقال :

تولّى الموصلىُّ فقد تولّتْ بشاشاتُ المَزاهرِ والقِيانِ
وأىّ ملاحة بَقيت فتَبقى حياةَ الموصلىّ على الزمانِ
سَتبكيه المَزاهرُ والمَلاهى وتُسعدهنّ عاتقةُ الدِّنانِ
وتَبكيه الغَوايةُ إذ تولّى ولا تَبكيه تاليةُ القُرانِ

فقالوا له : ويلك ! فقد كان صديقك ! فقال : وبأى شىء كنتُ أذكره وأرثيه ، بالزهد والفقه والقراءة ! وهل يُرثى إلا بهذا وشِبهه !

(١) فى بعض أصول الأغانى « لتنهى » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ماء » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « لما » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « لاقوا » .

أخبار قيس بن الحدادية

نسبه

هو قيس بن مُنقذ (١) بن عمرو بن عُبيد بن ضاطر بن حَبشيَّة بن سَلُول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة — وهو خزاعة — بن عمرو — وهو مُزيقياء — ابن عامر — وهو ماء السماء — بن حارثة الغِطريف بن امرىء القيس البطريق ابن ثعلبة بن مازن بن الأزد . وقد تقدم نسبه .

أمه

والحدَّادية أمّ قيس ، وهى من مُحارب بن خَصَفة بن قَيس بن عَيلان ابن مُضر ، من قَبيلة منهم ، يقال لهم : بنو حداد .

خلع قومه له

وقيس هذا كان شاعراً من شُعراء الجاهلية فاتكاً شُجاعاً صُعلوكاً خَليعاً ، خلعته خُزاعة بسُوق عكاظ وأشهدت على نفسها بخَلعها إياه ، فلا تحمل جريرة له ، ولا تُطالب بجَريرة يجُرّها أحدٌ عليه .

شعره الذى فيه الغناء وسببه

وذُكر أن قيس بن الحَدَّادية كان يهوَى أمَّ مالك بنت ذُؤيب الخُزاعى ، وكانت بطون من خُزاعة قد أجدبوا فخرجوا طالبين أرض مصر والشام ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق أدركهم مَن ذكر لهم كثرة المطر والغَيث وغزارته . فرجع عمرو بن عبد مناة فى ناسٍ كثير إلى أوطانهم ، وتقدَّم قَبيصة بن ذُؤيب ومعه أختُه أم مالك فمضى . فقال قيس بن الحدَّادية قصيدته التى أولها وبعض أبياتها فيها الغناء ، وافتتح بها أبو الفرج أخبار قيس ، وأولها :

أجدَّك إنْ نُعْمٌ نأت أنت جازعُ ... قد اقتربت لو أن ذلك نافعُ
قد اقتربت لو كان فى قُرب دارها ... نوال (٢) ولكنْ كلُّ من ضَنّ مانع

---

(١) فى التجريد : « سعد » .
(٢) فى الأغانى : « لو أن فى قرب دارها * نوالا » .

وقد جاورتْنا فى أُمور[(١)] كثيرة فما توكّلت واللهُ راءٍ وسامِع
فإن تلْقيا نُعْماً ـ هُديت ـ فَحيّها وسَل كيف تُرعى بالمَغيب الودائع

ومنها :

وحسبك من نأيٍ ثلاثةُ أشهر ومن حَزن إن شاق قلبكَ[(٢)] رابع

ومنها :

ولا يسمعنْ سرّى وسرّك ثالث ألا كُل سرٍّ جاوز اثنين شائع
وكيف يشيع السر منّى ودونه حجابٌ ومن دُون الحجاب الأضالع

ومنها :

[(٣)] وإنّي لأنهَى النفس عنها تجمُّلاً وقلبي إليها الدهرَ عطشانُ جائع
كأنّ فؤادى بين شِقّين من عصاً حِذارَ وُقوع البَين والبينُ واقع
يَحُث بها حادٍ سريع نَجاؤه مُعرّى عن الساقين والثوبُ واسع
فقلت لها يا نُعم حُلّى محلّنا فإنّ الهوى والعيشُ يا نُعم جامع
فقالت وعيناها تَفيضان عَبرة : بأهلِيَ بيِّن لى متى أنت راجِع
فقلت لها : تالله يدرى مسافر متى أضمرته الأرضُ ما الله صانِع
وشدّت على فِيها اللّثام وأعرضت وأقبل[(٤)] بالكحل السَّحيق المَدامع
وإنّي لعَهد الوُد راعٍ وإننى بوَصلك إن[(٥)] لم يطونى الموت طامع

وذكر أن عائشة بنت طلحة أُنشدت هذه القصيدة فاستحسنتها ، وبحضرتها جماعة من الشعراء ، فقالت : مَن قدر منكم أن يزيد فيها بيتاً واحداً يُشبهها ويدخل فى معناها فله حُلّتى هذه . فلم يقدر واحد منهم على ذلك .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فى شهور » . (٢) فى الأغانى : « ان زاد شوقك » .
(٣) لم تذكر أصول الأغانى التى بين أيدينا هذا البيت .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « وأمعن » . (٥) فى الأغانى : « ما لم » .

وقال قيس : من شعره

سقى الله أطلالا لنُعم[1] تقاذفت بهنّ النّوى حتى حَلَلْنَ[2] المَطاليا
فإن كانت الأيام يا أمّ مالك تُسلِّيكمُ عنّا وتُرضى الأعاديا
فلا يأمَنَنْ بعدى امرؤ فجعَ لذّة من العيش أو فجع الخطوب العَوافيا[3]
و بُدِّلت من جَدواك يا أم مالك طوارقُ همّ يحتضرنَ[4] وِسادِيا
وأصبحتُ بعد الأنس لابسَ جُبة أساقى الكُماة الدراعين[5] العواليا
فيَوماى يوم فى الحديد مُسربلا و يوماً مع البيض الأوانس لاهيا
خَليلىّ إن دارت على أم مالك صُروف الليالى فابغيا لى[6] ناعيا
ولا تتركانى لا لخير مُعجّل ولا لبقاء تنظران بَقائيا

وهذان البيتان قد تقدّما فى أشعار المجنون .

وذكر أن قيس بن الحدّادية لقى جمعاً من مُزينة يريدون الغارة على بعض من يجدون منه غِرّة ، فقالوا : استأسر . فقال : وما ينفعكم منى إذا استأسرت ، وأنا خليع ، والله لو أسرتمونى ثم طلبتم من قومى عَنزاً ما أعطيتموها ! فقالوا : استأسر لا أم لك . فقال : نفسى أكرم وأشدّ من ذلك ، وقاتلهم حتى قُتل . خبر مقتله

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بنعم » . (٢) المطالى : موضع بنجران .
(٣) العوافى : التى تمحو وتطمس . (٤) يحتضرن : يحضرن .
(٥) الجبة : أى درع الحديد . والعوالى : الرماح . وجعل الطعان بها كالمساقاة .
(٦) فى بعض أصول الأغانى : « فابعثانى » .

أخبار ابن قنبر

نسبه — هو الحكم بن محمد بن قَنبر المازنى بن عَمرو بن تَميم ؛ بَصرىّ .

مهاجاته مسلماً — وكان يُهاجى مُسلمَ بن الوليد ـ صريع الغوانى ـ مدةً ، ثم غَلبه مُسلم .

من شعره — ومن جَيِّد شعره قولُه :

وَيْلى على من أطار النومَ فامتنعا وزاد قَلبى على أوجاعه وَجَعا
كأنما الشمسُ من[1] أثوابه بَزغت حُسناً أو البـدرُ من أزراره[2] طَلَعا
فقد نَسيتُ الكَرى من طول ماعَطِلَت منـه الجُفون وطارت مُهجتى قِطَعا

تعقيب لابن واصل — قلت : وأظُن من هذا الشعر :

مُستقبل بالذى يَهوى وإن كثُرت منـه الذُّنوب ومَعـذورٌ بما صَنعا
فى وجهـه شافعٌ يَمحو إساءته من القُلوب وَجيـهٌ أين ما شَـفعا

هو وبعض الجوارى — وحَكى ابن قَنبر قال : لَقيتْنى جَوارٍ من جوارى سُليمان بن علىّ فى الطريق ، بين المِرْبد[3] وقَصر أوس ، فقُلن لى : أنت الذى تقول :

* ويلى على من أطار النوم فامتنعا *

فقلت : نعم . فقلن : أمع هذا الوجه السَّمح تقول هـذا ! ثم جعلن يجذبنى ويلهون معى حتى أخرجْننى من ثيـابى . فرجعتُ عُرياناً إلى منزلى .
وكان حَسَن اللباس .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فى » .
(٢) الأزرار : جمع زر ، الذى يوضع فى القميص . وفى الأغانى « من أردانه » .
(٣) المربد : موضع سوق بالبصرة .

من شعره

ومن مُختار شعره :

وحَقِّ الذى فى القَلب منكِ فإنه عظيمٌ لقد حصَّنتُ سرَّكِ فى صَدرِى
ولكنما أفشاه دَمعى وربما أتى المرء ما يَخشاه من حيث لا يدرى
فَهب لى ذُنوب الدَّمع إنى أظنُه بما منه يُبدى إنما يَبتغى ضُرِّى
ولو يَبتغى نَفعى لخلَّى ضمائرى تَرُد على أسرار مَكنونها سِرِّى

شعره الذى فيه الغناء

ومن شعره ، وهو الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخباره :

صَرمْتِنِى ثم لا كلَّمتِنى أبداً إن كنتُ خُنتكِ فى حال من الحالِ
ولا اجترمتُ الذى فيه[1] جنايتكم ولا جَرت خَطْرةٌ منها[2] على بالى
فسوِّغينى المُنى كيما أعيش بها وأَمسكى البَـذْل ما أطلقتِ آمالى
أو عَجِّلى تَلَفِى إن كنتِ قاتلتى أو نوِّلينى بإحسانٍ وإجمال

مما يغنى فيه من شعره

ومن شعره ، وهو مما يُغَنَّى فيه :

ليس فيها ما يُقال[3] له كَمُلت لو أنَّ ذا كَمُلَا
كُل جزء من محاسنها كائن فى فَضلها[4] مَثلا
لو تمنَّت فى ملاحتها لم تَجد من نفسها بدلا

من شعره السيار

ومن شعره الحسن السيَّار :

إن كنتَ لا تَرهب ذمِّى لِمَا تَعرف من صَفحى عن الجاهلِ
فاخشَ سُكوتى فَطِناً مُنصتا فيك لتحسين خَنَا[5] القائل
مقالةُ السّوء إلى أهلها أسرع[6] من مُنحدر سائل
ومَن دعا الناس إلى ذمّه ذموه بالحق وبالباطل

---

(١) فى الأغانى : « الذى فيه خيانتكم » . (٢) فى الأغانى : « منى » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « لها » مكان « له » . (٤) فى الأغانى : « فضله » .
(٥) فى الأغانى : « خنى » . (٦) فى الأغانى : « أسهل » .

شعره فى مرضه

وذُكر أن ابن قَنبر مرض فأتوه بخَصيب الطبيب يعالجه ، فقال :

ولقــد قلت لأهلى إذا أتونى بخَصيبِ
ليس والله خَصيب للذى بى بطَبيب
إنمـا يعرف دائى مَن به مثل الذى بى

موت خصيب

وكان خصيب هــذا عالماً بالطب فَمرض ، فنظر إلى ما به ، فقال : زعم جالينوس أن صاحب هـــذه العلّة إذا صار ماؤه هكذا لم يعش . فقيــل له : إن جالينوس ربما أخطأ . فقال : ما كنت قطُّ إلى خطئه أحوج منى إليه فى هذا الوقت ، ومات من علّته تلك .

أخبار الأسود

نسبه

هو الأسود بن عمارة بن الوليد بن عدىّ بن الخِيار بن عَدِىّ بن نوفل بن عبد مناف بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعب بن غالب .

شىء عنه

شاعر من مُخضرمى الدولتين : الأموية والعباسية . وكان يتولّى بيت المال بالمدينة .

شعره الذى فيه الغناء

وهو القائل :

خليلىّ من سَعدٍ أَلِمَّا فسَلِّمَا ... على مَريم لا يُبعد اللهُ مَرْيَمَا

وقُولا لها هذا الفراق[1] عرفته ... فهل من نَوال بعد ذاك فنَعْلَما

وهذا هو الشعر الذى فيه الغناء وٱفتتح به أبو الفرج أخبار الأسود .

وكانت مريم هذه جارية مولَّدة مُغنِّية لٱمرأة من أهل المدينة .

حديث طلاق الهادى لامرأته

وذُكر أن موسى الهادى كانت تحته ٱبنة خاله ، فسألته أُمه الخَيزران أن يولِّى خالَه اليمن ، فوعَدها ذلك ودافعها به . ثم كتبت إليه يوماً رُقعةً تَستنجزه أمره فيها . فوجّه إليها رسولَها يقول : خَيِّريه بين اليَمن وطلاق ٱبنته ، أو مُقامى عليها ولا أُوليه اليمن ، فأيهما اختار فعلتُه . فدخل الرسولُ إليها ، ولم يكن فَهِم عنه ما قال ، فأخبرها بغيره . ثم خرج إليه ، فقال : تقول لك : ولاية اليمن . فغضب الهادى وطلّق ٱبنة خاله وولّاه اليمن . فدخل الرسولُ فأعلمها بذلك . فٱرتفع الصياح من داره . فقال : ما هذا ؟ فقالوا : من دار بنت خالك . قال : أولم تختر ذلك ؟ قالوا : لا ، لكن الرسول لم يَفهم ما قُلت فأدّى غيره وعجلتَ بطلاقها . فنَدِمَ ودعا صالحاً صاحبَ المُصلَّى وقال له : أَقِم على رأس كُل واحد ممن يحضُرنى من النُدماء رجلا

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عزمته » مكان « عرفته » .

بسيف ، فمن لم يُطلِّق أمرأته منهم فَلْتضرب عنقــه . ففعل ذلك . ولم يَبرح مَن بحضرته منهم حتى طَلَّق أمرأته .

قال عبدُ الله بن محمد البوّاب : وخرج الخَدم إلىّ فعرّفونى ذلك ، وعلى الباب رجل واقف متلفّع بطَيلسانه يُراوح بين رِجليه ، فخَطَر ببالى :

خَليلىّ من سَعد أَلِمّا فَسلِّما على مَريم لا يُبعد الله مَرْيما
وقُولا لها هذا الفراقُ[1] عرفته فهل مِن نوال بعد ذاك فنَعلما

فأنشدتُه « فيعلما » بالياء . فقال : « فنعلما » بالنون . فقلت له : وما الفرق بينهما ؟ فقال : إن المَعانى تُحسن الشعر وتفسده ، وإنما قال « فنعلما » لنعلم هذه[2] القصة . وليست به حاجة إلى أن يُعلم الناس سرّه . فقلت له : أنا أعلم بالشعر منك . قال : فلمن هو ؟ فقلت : للأسود بن عمارة . قال : أتعرفه ؟ قلت : لا . فقال : فأنا هو . فاعتذرتُ إليه من مُراجعتى إياه . ثم عرّفتهُ خبر الخليفة فيما فعله . فقال : أحسن الله جزاءك[3] ! فانصرف وهو يقول : هذا أحَقّ منزل يُنزل !

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عزمته » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ليعلم هو » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « عزاءك » .

أخبار على بن خليل (*)

ولاؤه

هو رجل من أهل الكوفة ، مولًى لَمعن بن زائدة الشَّيبانى . وكان يُعاشر صالح بن عبد القُدّوس ولا يكاد يُفارقه ، واُتُّهم بالزَّندقة وأُخذ مع صالح ثم أُطلق لما انكشف أمره .

هو والمهدى فى شرب الخمر

وذُكر أنَّ علىَّ بن الخليل دَخل على المهدىّ فقال له : يا على ، أأنت عَلى مُعاقرتك الخمر وشُربك لها ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين . قال : وكيف ذلك ؟ قال : بِنْتُ منها . قال : فأين قولُك :

أُولعتْ نَفسى بلذَّتهـا أما ترى[1] عن ذَاكَ إقصارَا

وأين قولك :

إذا ما كنتَ شاربها فسِرًّا ودَع قول اللَّوائم[2] واللواحِى

فقال : هذا شيء قلتهُ فى صباى يا أمير المؤمنين ، وأنا القائل بعد ذلك :

على اللذَّات والراح السـلامُ تقضَّى العَهد وانقطع الذِّمامُ
مَضى عهدُ الصِّبا وخرجت منه كما من غِمده خرج الحُسام
وَقَرْتُ[3] على المَشيبِ فليس منّى وصالُ الغانيات ولا المُدام
وولّى اللهوُ والقَينات عنى كما ولّى عن الصُّبح الظلام

(*) فى بعض أصول الأغانى : « الخليل » .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ألا ترى» .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « العواذل » .

(٣) وقر : ترزن وثبت .

حلبتُ الدهرَ أشطُرَه[1] فعندى ... لصَرف الدهر محمُود وذام

هو وبعض ولد المنصور فى حب جارية

وذُكر أنَّ على بن الخليل كان جالساً مع بعض ولد المَنصور ، وكان الفَتى يهوى جارية مُغنيِّة لعُتبة مولاة المهدى ، فمرَّت به عُتبة فى مَوكبها والجاريةُ معها ، فوقفت عُتبة وسلَّمت عليه وسألته عن خَبره ، فلم يُوفِّها حقَّ الجواب لشُغل قلبه بالجارية . فلما انصرف أقبل عليه علىّ بن الخليل وأنشده :

راقبْ بطَرفك مَن تخا ... ف إذا نظرتَ إلى الخليل
فإذا أمنتَ لحـــاظهم ... فعليك بالنظر الجميــل
إن العيون تدُلُّ بالنَّـ ... ـظر المُلحِّ على[2] الدَّخيل
إمَّا على حُبٍّ شـــديـ ... ـد أو على بُغض أصيل

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار على بن الخليل ، هو :

هل لدَهر قد مضى من مُعاد ... أم[3] لهمٍّ داخل من نَفَادِ
أذْكرتنى عشـيةٌ قد تولَّت ... هاتفاتٌ تحنُّ فى وسط[4] وادى
هِجْن لى شوقاً وأَلهبن ناراً ... للهوى فى مُســتقرِّ الفؤاد
بان أحبــابى وغُودرتُ فرداً ... نُصْبَ ما سرَّ عيونَ الأعادى

---

(١) الأشطر : أخلاف الناقة ؛ وللناقة شطران : قادمان وآخران . ويقال : حلب فلان الدهر أشطره : أى خـبر ضروبه . يعنى أنه مر به خيره وشره وشـدته ورخاؤه . تشبيهاً بحلب جميع خلاف الناقة ماكان منها حفلا وغير حفل ، ودارا وغير دار .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « بالنظر المليح على الرحيل » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « أو » .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « بطن » .

أخبار أبى الشبل (*)

اسمه عاصم بن وَهب بن البراجم . وُلد بالكوفة ، ونَشأ وتأدّب بالبصرة . وقَدِم سُرَّ مَن رأى فى أيام المُتوكل ومَدحه ، وكان طَيِّباً نادراً كثيرَ الهزل ماجناً ، فنَفَق عند المتوكل لإيثاره العَبَث ، وخُص به ، وأَثْرى وأفاد . نشأته وصلته بالمتوكل

وذكر أنه مَدح مالك بن طوق ، وقَدَّر منه ألف درهم ، فبَعث إليه صُرة مختومة فيها مائةُ دينار ، فظَنها دراهم وكتب معها فى رُقعة :

فليت الذى جادت به كفُّ مالك ... ومالكَ مَدْسوسان فى اُست أمّ مالك

فكانا إلى يوم القيامة فى اُستها ... فأَيسر مفقودٍ وأهونُ هالك

وكان مالك يومئذ أميراً على الأهواز ، فلما قرأ الرقعة أمر بإحضاره ، فأُحضر ، وقال : يا هذا ، ظلمتَنا واعتديت علينا . فقال : قدَّرتُ عندك ألف درهم فوصلتنى بمائة درهم . فقال : افتحها . فإذا فيها دنانير . فقال : أَقلنى أيها الأمير . فقال : قد أَقلتُك . ولك عندى ما تُحب أبداً كلّما بَقيتَ (1) وقَصدتَنى .

وذُكر أنه كان لأبى الشِّبل جارٌ طبيب ، أحمق ، فمات فرثاه : رثاؤه جاراً له

قد بكاه بَوْلُ المريض بدمع ... واكفٍ فوق مُقْلتيه ذَروفِ

ثم شَقَّت جُيوبهنَّ القواريـ ... ـر عليه ونُحْن نَوْحَ اللَّهيف

يا كَساد الخِيار شَنْبَر (2) والأقـ ... ـراص طُرًّا ويا كَساد السُّفوف

(*) وقبل أخبار « أبى الشبل » ساق أبو الفرج شيئاً عن « محمد الرف المغنى » ، ولكن ابن واصل لم يعرض له .

(1) فى بعض أصول الأغانى : « ما بقيت » .

(2) خيار شنبر : ضرب من الخروب .

كنتَ تمشى مع القوىّ فإن جا ء ضعيفٌ لم تكْترث بالضعيف

لهفَ نفسى على صُنوفٍ رَقاعا ت تولّت منه وعَقْلٍ سَخِيف

من نوادره وطرائفه

وحكى محمد بن المرزبانىّ قال :

كنت أرى أبا الشِّبل كثيراً عند أبى ، فكان إذا حضر أضحك الثَّكلى بنوادره . فقال له أبى يوماً : حدِّثنا ببعض نوادرك وطرائفك . فقال : من طرائف أُمورى أن أبنى زَنى بجارية سِندْية لبعض جيران ، فحَملت وولدت له أبناً ، وكانت قيمة الجارية عشرين ديناراً . فقال لى : يا أبت ، الصبى والله أبنى . فساومتُ به ، فقيل لى : خمسون ديناراً . فقلت : ويلك ! كنت تُخبرنى الخبر وهى حُبلى فأشتريها بعشرين ونربح الفضل بين الثمنين . فأمسكتُ عن المساومة بالصبى . فلم يزل بى حتى أشتريتُها منهم بما أرادوا . ثم أَحبلها ثانياً . فولدت منه آخر . فجاءنى يسألنى أن أبتاعه . فقلت له : عليك لعنة الله ! أيش يحملك على أن تُحبل هذه ! فقال : يا أبت ، لا أستحلّ العزل[1] . وأقبل على جماعة عندى يُعجبهم منّى ويقول : شيخ كبير يأمرنى بالعَزل ويستحلّه ؟ فقلت له : يا بن الزانية ، تستحلّ الزِّنا وتتحرّج عن العزل ! فضحكنا منه وقلنا له : وأى شىء أيضاً ؟ فقال: دخلتُ أنا ومحمود الورّاق إلى حانة خمّار يهودى ، فقلنا له : نريد خمراً بنت عشر قد أنضجها الهَجير . فأخرج إلينا منها شيئاً عجيباً . فأبتعناه منه وقلنا له : أشرب . فقال : لا أستحل شُرب الخمر . فقال محمود الوراق : ويحك ! أرأيتَ أعجب ممّا نحن فيه : يهودى يتحرّج من شُرب الخمر ونشربها ونحن مُسلمون ! فقال : أجل، والله لا تفلحون أبداً ولا يعبأ الله بكم ! ثم شربنا حتى سكرنا ونِمنا فى الليل ، فنِكنا أبنته وأمرأته وأُخته وسرقنا ثيابَه وخَرينا فى مَناقير[2] نبيذ له وأنصرفنا .

(١) العزل : عزل الرجل الماء عن الجارية إذا جامعها لئلا تحبل .

(٢) المناقير : كل ما نقر للشراب : جمع منقر ، جاء على غير واحده . وفى بعض أصول الأغانى : « نقارات » .

شعره فى خالد وأمه

وحكى أبو الشِّبل قال :

كانت أم خالد بن يزيد بن هُبَيرة تضْرط على ضرب العِيدان وغيرها من الإيقاع . فقلت فى خالد أبنها :

فى الحىِّ من لا عدمتُ[1] خُلَّته ... فتًى إذا ما قاطعتُه وَصَلَا
له عجوز بالحَبْق[2] أبصرُ مَن ... أبصرتُه ضاربًا ومُرْتجلا
نادمتُها مرةً وكنتُ فتى ... ما زلتُ أهوى وأشتهى الغَزَلا
حتى إذا ما أمالها سَكَر ... يَبعث فى قلبها لها[3] الأَملا
اتكأت يَسرةً وقد[4] حرفت ... أشراجَها كى تُقوِّم الرَّمَلا
ولم تَزل بأُستها تُضارطنى ... أسمع إلى من يَسُومنى[5] العَلَلا

وحكى أبو الشِّبل قال :

حضرتُ مجلس عُبيد الله بن يحيى بن خاقان وكان إلىَّ مُحسناً وعلىَّ متفضِّلا ، فجرى ذكرُ البرامكة ووَصْفهم بالجُود ، وذَكرهم من حضر وقالوا فى كرمهم وجوائزهم وصلاتهم وأكثروا ، فقمتُ فى وسط الناس فقلتُ لعُبيد الله : أيها الوزير ، قد حكمتُ فى هذا الخَطْب حُكما نظمتهُ فى شعر لا يقدر أحدٌ أن يردّه علىَّ ، وإنما جعلتهُ شعراً ليَبقى ويُدوَّن ، أفيأذن الوزير فى إنشاده ؟ فقال : قُل ، فرب صواب قلتَ . فقلت :

رأيتُ عُبيد الله أفضلَ سُؤدداً ... وأكرمَ من فَضل ويَحيى وخالدِ
أولئك جادوا والزمان مُساعدٌ ... وقد جاد ذا والدهرُ غيرُ مُساعد

(١) الخلة : الصداقة . (٢) الحبق : الضراط .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « مثلا » مكان « الأملا » .
(٤) فى الأصل : « خرقت » .
(٥) العلل ، فى الأصل : الشرب بعد الشرب . ويريد به هنا فعلها مرة بعد مرة .

فتهلّل وجه عُبيد الله وظهر البِشر والسرور فيه، وقال : أفرطتَ يا أبا الشبل ، ولا كُل هذا . فقلتُ : والله ما حابيتك أيها الوزير ولا قلتُ إلا حقًّا . وأتبعنى القوم فى وَصفه وتقريظه . فما خرجتُ من مجلسه إلا وعلىّ الخِلَع وتحتى دابة بسَرجه ولجامه ، وبين يدى خمسة آلاف درهم .

شعره وقد سرقه من الضبي

وحَكى ابن مَهْرويه قال :

أنشدنى أبو الشِّبْل لنفسه :

عَذيرى من جَوارى الحىِّ إذ يَزهدن[1] فى وَصلى
رأين الشيبَ قد ألبسنى أُبَّهـــة الكَهل
فأعرضنَ وقد كُنّ إذا قيـــل أبو الشِّبْل
تساعيْنَ فرَقَّعْنَ الكُوَى بالحَدق[2] النُّجل

وهـذا سرقه أبو الشِّبل من الضَّبِّى . قلتُ : وهو أبدعُ وأخصرُ من قول أبى الشِّبل :

غَدتْ بطُول الكلام[3] عاذلتى ... تلومنى فى السَّوادِ والدَّعَجِ
ويحك كيفَ السُّلوُّ عن غُرر ... مقيّرات الأرجاء[4] كالسُّبُجِ
يحملن بين الأفخاذ أسنمةً ... تحرق أوراكها[5] من الوَهج
لا عـذّبَ الله مسلماً بهمُ ... غيرى ولا حانَ منهمُ فَرجى
فإننى بالسّواد مُبتهج ... وكنتُ بالبيض غير مبتهج

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يرغبن » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « بالأعين » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « عذرت بطول الملام » .
(٤) مقـيرات : مطليات بالقار . يريد وصفهن بالسـواد . وفى بعض أصول الأغانى : « مفترقات » . والسبج : جمع سبجة ، وهى كساء أسود .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « أدبارها » .

تعقيب لابن واصل

قلت : لم أسمع فى مدح السواد أحسن من قول ابن الرُّومى :

أكسبَها الحُسْن أنها صُبغت صِبغة حَبِّ القلوب والحَدَقِ
فانصرفت نحـوها الضما ئر والأبصار يُعنقن[1] أيما عَنَق
تزدادُ ضيقاً على المِراس كما تزدادُ ضِيقاً أنشوطة[2] الوَهق

هو وفتاة شاعرة

وذُكر أن أبا الشِّبْل كان يتعشَّق فُتيّة شاعرة ، فأغضبها يوماً، فقالت له : ليت شعرى! بأىّ شىء تُدل ! أنا والله أشعر منك ، و إن شئت لأهجونك حتى أفضحك .

فأقبل عليها وقال :

خنساء قد أفرطت علينا فليس منها لنا مُجيرُ
باهَتْ بأشعارها علينا كأنما ناكها جَرير

فخجلت حتى بانَ ذلك فى وجهها وأمسكت عن جوابه .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى الشِّبل ، هو :

بأبى ريمٌ رمى قلـ ـبى بأجفانٍ مِراضِ
وحمى عينىَ أن تلـ ـتذ طعم[3] الأغماض
كلما رمت انبساطاً كفّ بَسْطى بانقباض
لو تعـالى أملى فيـ ـه رماه بانخفـاض
أو فتى ينتصف المظـ ـلوم والظـالم قاضى

(١) الإعناق : السير السريع .
(٢) الوهق : الحبل المفتول .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « طيب » .

أخبار عبد الله بن الزبير الأسدى (*)

نسبه

هو عبد الله بن الزبير بن الأشيم بن الأعشى بن بَجرة بن قَيس بن مُنقذ ابن طَريف بن عمرو بن قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة .

شىء عنه

شاعر إسلامىّ كوفىّ المَنشأ والمنزل ، من شُعراء الدولة الأموية . وكان من شِيعة بنى أمية ، وذوى الهوى والتعصُّب لهم والنُّصرة على عدوّهم ، حتى غَلب على الكوفة مُصعب بن الزبير ، فأُتى به أسيراً ، فمَنّ عليه ووصله وأحسن إليه ؛ فمدحه فأكثر ، وانقطع إليه . ولم يزل معه حتى قُتل مصعب . ثم عَمِى عبد الله بن الزبير بعد ذلك . ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان ، وكان يكنى : أبا كثير .

مدح عمرو بن عثمان لبره إياه

وذُكر أن عمرو بن عثمان بن عفّان أتاه عبدُ الله بن الزبير الأسدىّ ، فرأى عمرٌو تحت ثيابه ثوباً رثًّا ، فدعى وكيلَه فقال له : اقترض لنا مالاً . فقال : هيهات ! ما يُعطينا التجار شيئاً . قال : فأَرْبحهم ما شاءوا . فاقترض له ثمانية آلاف درهم . فوجَّه بها إلى عبد الله بن الزُّبير مع ثياب . فقال عبد الله بن الزبير يَمدحه :

سأشكر عمرواً ما[1] تراخت مَنيَّتى ... أيادِىَ لم تُمْنَنْ وإن هى جَلَّتِ
فتًى غيرَ مَحْجوب الغِنى عن صديقه ... ولا مُظْهِرَ الشكوى إذا النَّعلُ زلَّت
رأى خَلة[2] من حيث يَخفى مكانُها ... فكانت قذَى عينيه حتى تَجَلَّت

مدح ابن خارجة فلم يرضه فهجاه

وذُكر أنّ عبد الله بن الزُّبير مدح أسماء بن خارجة الفزارىّ ، فقال :

تراه إذا ما جئتَــه مُتهلِّلاً ... كأنك مُعطيه الذى أنت سائلُه
لو لم يكن فى كفه غيرُ نفسه ... لجاد بها فَلْيتقِ الله سائلُه[3]

(*) وقبل أخبار « عبدالله بن الزبير » ساق أبو الفرج أخبار « عثعث » المغنى ، ونهج ابن واصل المرور عن أخبار المغنين .

(1) فى بعض أصول الأغانى « إن » .

(2) الخلة : الحاجة والفقر .

(3) البيتان يرويان لزهير .

فأثابه أسماء ثوابا لم يَرضه . فغضب وقال يهجوه :

بَنَتْ لكمُ هِندٌ بتَلْذيع[1] بَظرها دكاكينَ من جَصٍّ عليها المجالسُ

فوالله لولا رَهْزُ[2] هِند ببَظْرها لعُدَّ أبوها فى اللِّئام[3] المَفالس

فبلغ ذلك أسماء . فركب إليه واعتذر من فعله لضائقة شكاها . وأرضاه وجعل له فى كل سنة وظيفة ، وأقتطعه إليه .

وكان أسماء يقول لبنيه : ما رأيت جَصًّا ولا بناء ولا غيره إلا ذكرتُ أختكم هِنْد فخجلتُ .

والشعر الذى فيه الغناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار عبد الله بن الزبير هو : شعره الذى فيه الغناء

ترى الجُند والأعراب يغشَوْن بابه كما وردت ماءَ الكُلاب[4] هواملُهْ

إذا ما أتوا أبوابَه قال مرحباً لِجُوا الباب حتى يقتُلَ الجوعَ قاتله

وهذا الشعر من القصيدة التى منها البيتان المذكوران أولاً يمدح بها أسماء أبن خارجة الفَزارىّ ، وهى من خيار الشعر وجيده ، ومنها :

فتًى لا يزال الدهرَ ما عاش مُحسناً ولو كان بالمَوْماة[5] تُحْدى رواحلُه

فأصبح ما فى الأرض خَلْقٌ علمتُه من الناس إلا باع أسماءَ[6] طائله

ترى البازلَ البُخْتِيّ فوق[7] خوانه مقطَّعة أعضاؤه ومَفاصله

إذا ما أتَوْا أسماءَ كان هو الذى تحَلَّبُ كفَّاه النَّدى وأنامله

تراهم كثيراً حين يغشَون بابه وتسترُهم جُدرانُه ومنازله

---

(١) البظر : ما بين الأسكتين من المرأة . (٢) الرهز : حركة المرأة عند الجماع .

(٣) فى الأغانى : «العوايس» مكان «المفالس» . (٤) الهوامل : الإبل المسيبة لا راعى لها .

(٥) الموماة : المفازة ؛ يشير إلى أيام الجدب والقحط .

(٦) الطائل : الفضل والقدرة والغنى والسعة والعلو . يريد تفضيله على من علم .

(٧) البازل : البعير استكمل الثامنة وطعن فى التاسعة للذكر والأنثى . والبختى : الجمل الخراسانى ينتج من بين عربية وفالج : والخوان : المائدة . معربة .

انتقام عبد الله بن الزبير من أخيه عمرو وشعر الأسدى فى ذلك

وذُكر أن عبد الله بن الزُّبير بن العوّام ، لما ظَفر بأخيه عمرو بن الزبير ليقتصّ منه ، كان لا يسأل مُدَّعياً عليه ببيّنة ولا يُطالبه بحُجة ، إنما يقبل قولَه ثم يُدخله إليه السجن ليقتص منه ، فكان كُل من فى قلبه عليه حقد ، ومن أراد التقرُّب إلى أخيه بعذابه ، أُدعى عليه ما لا حقيقة له ، فيَقبل منه ثم يدخُل إليه ليقتصّ منه . فكانوا يَضربونه والقَيْح يَنْضح من ظهره وأكتافه على الحيطان ، وكان إذا سَمع صوت باب السِّجن قد فُتح يعدو حتى يَكْدم[1] الحائط والأرض ، لشدة ما يَمر به ، ثم يُضرب على تلك الحال . وأمر بأن تُرسل عليه الجِعْلان[2] ، فكانت تدِبُّ عليه فتَنْتف لحمَه ، وهو مقيَّد مَغلول يستغيث فلا يُغاث . حتى مات على تلك الحال . فدخل المُوكَّل به على أخيه عبد الله ، وفى يده قدحُ لبن يُريد أن يَتسحَّر به ، وهو يبكى . فقال له : مالك ؟ أمات عمرو ؟ فقال : نعم . فقال : أبعده الله ! وشَرب اللبن ، ثم قال : لا تَغسلوه ، ولا تكفِّنوه وادفنوه فى مقابر المُشركين . فدُفن فيها .

وكان عبد الله بن الزبير الأسدى صديقاً لعمرو بن الزُّبير ، فقال : يؤنِّب عبد الله بن الزبير بن العوّام على ما فَعل بأخيه :

يا راكباً إمّا بلغتَ فبلِّغن ... كبيرَ بنى العوّام إن قيل مَن تَعْنى
عقدتم لعمرو عُقدة وغدرتُمُ ... بأبيضَ كالمِصباح فى ليلة الدَّجْن
تُحدِّث من لاقيتَ أنك عائذٌ ... وصرّعت قَتلى بين زَمزم والرُّكن
جعلتم لضَرب الظهر منه عِصيَّكم ... تُراوحه والأَصبحيَّة[3] للبَطْن
جَزى الله عنّى خالداً شر ما جَزى ... وعُروة شرًّا من خَليل ومن خِدْن
قتلتم أخاكم بالسِّياط سفاهةً ... فيالك للرأى المُضلَّل والأَفن

(١) يكدم : يعض . (٢) الجعلان : جمع جعل : دابة سوداء من دواب الأرض .
(٣) الأصبحية : نسبة إلى ذى أصبح ، من ملوك حمير ، يعنى السياط .

فلو أنكم أجهزتم إذ قتلتم ولكن قتلتم بالسِّياط وبالسِّجن
لك الويلُ لم تعلم بأنك بادئ بنفسك فيما ترتئى وبها تثنى
فلا تجزعنْ من سُنَّة قد سننتها فما للدِّماء الدهرَ ماعِشتَ من حقن (١)

شعره فى حمل الحجاج الناس على قتال المهلب

وذُكر أنَّ الحجاج بن يوسف لمّا قدم الكوفة والياً عليها صعد المِنبر وقال : يأهل العراق ، والشقاق والنفاق ، ومساوىء الأخلاق ، إن الشيطان قد باض وفرَّخ فى صُدوركم ، ودَبَّ ودرج فى حُجوركم ؛ وأنتم له دِين ، وهو لكم قَرِين ، (وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً) . ثم حثَّهم على اللحاق بالمهلّب ابن أبى صُفرة الأزدى ، وكان مُحارباً للأزارقة ، وأقسم ألّا يجد منهم أحداً فى جَريدة المهلب بالكوفة بعد ثالثة إلّا قتله . فجاءه عُمير بن ضابىء البُرجمىّ فقال له : أيها الأمير ، إنِّى شيخٌ لا فضل فىّ ، ولى ابن شاب جَلْد ، فاقبله بديلاً منى . فقال عَنْبسة بن سعد بن العاص : إنّ هذا جاء إلى عثمان بن عفّان وهو مقتول فَرفسه فكسر ضِلْعين من أضلاعه ، وهو يقول :

* أين تركت ضابئاً يا نَعثل (٢) *

فقال الحجاج له : فهلّا يومئذ بعثتَ بديلاً ! ياحرسىّ ، اضرب عُنقه . فضُربت عُنقه . وسمع الحجاج ضوضاء فقال : ما هذا ؟ فقالوا : هذه البراجم جاءت لتنصُر عُميراً فيما ذكرت . فقال : أتحفوهم (٣) برأسه . فولّوا هاربين . وأزدحم الناس على الجسر للعُبور إلى المُهلَّب حتى غَرق بعضهم . فقال عبد الله بن الزبير الأسدى :

أقول لإبراهيم لمّا لقيتُه أرى الأمر أمسى واهياً مُتشعِّبا
تخَيَّر فإمَّا أن تزور ابنَ ضابىء عُميراً وإما أن تزور المُهلَّبا

---

(١) الروايه فى بعض أصول الأغانى : « فما للدماء الدهر تهرق من حقن » .

(٢) النعثل : الضبع . (٣) فى بعض أصول الأغانى : « الحقوهم » .

هما خُطّتا خَسْف نجاؤك منهما ... رُكوبك حوليًّا[1] من الثَّلج أشهبا
فأضحى ولو كانت خُراسان دونه ... رآها مكانَ الشوق أو هى أقربا

هو بين مصعب وأسماء

وذُكر أنّ عبد الله بن الزبير الأسدىّ دخل على مُصعب بن الزبير بالكوفة لمّا وليها، وقد مدحه فاستأذنه فى الإنشاد، فلم يأذن له. فقال: ألم تُسقط السماء علينا وتمنعنا قطرها فى مديحك لأسماء بن خارجة. ثم قال لبعض مَن حضره: أنشده، فأنشده:

إذا ماتَ ابنُ خارجة بن حِصْنٍ ... فلا مَطرت على الأرض السماء
ولا رَجع الوُفود بغُنم[2] عيش ... ولا حُملت على الطُّهر[3] النساء
ليومٌ منك خيرٌ من أناس ... كثيرٍ حولهم نَعمٌ وشَاء
فبُورك فى بَنيك وفى أبيهم ... إذا ذُكروا ونحنُ لك الفِداء

والتفت إليه مصعب وقال: اذهب إلى أسماء، فما لك عندنا شىء. فانصرف. فبلغ ذلك أسماءَ فعوّضه حتى أرضاه. ثم رجع له مصعب بعد ذلك وخَصّه به، وسَمع مديحه وأحسنَ ثوابه.

تقريب بشر له ومدحه إياه

ولما وَلى بشرُ بن مروان الكوفة لأخيه عبد الملك بن مروان أدنى عبدَ الله ابنَ الزبير الأسدىّ وبَرّه وخَصّه بأُنسه، لعِلْمه بهواه فى بنى أُمية. فقال يمدحه:

ألم تَرنى[4] والحمد لله أننى ... برئت وداوانى بمَعروفه بِشْرُ
رعَى ما رعى مروانُ منّىَ قبله ... فحَقّت[5] له منّى النصيحةُ والشكر
ففى كُلّ عامٍ عاشه الدهرَ صالحًا ... علىّ لربِّ العالمين به نَذْر

(١) الحولى: الذى أتى عليه حول: يريد فرساً.
(٢) فى بعض أصول الأغانى: «جيش» مكان «عيش».
(٣) يريد: لم تمسس النساء زهداً فى الحياة ورغبة عن النسل.
(٤) فى بعض أصول الأغانى: «ألم تريا». (٥) فى بعض أصول الأغانى: «فصحت».

إذا ما أبو مَروان خلَّى مكانه فلا تهنأ الدنيا ولا نزل القطر
ولا تُهنِيء الناسَ الولادةُ بينهم ولا يبقَ فوق الأرض من خَلقها سَفْر
فليس البُحور بالتى تُخبروننى ولكنْ أبو مروان بِشْرٌ هو البحر

وذُكر أن عبد الله بن الزبير الأسدى أتى إبراهيم بن الأشتر النَّخعى ، فقال له : إنى امتدحتُك بأبيات فاسمعهنَّ . فقال : إنى لست أُعطى الشعراء . قال : تَسمعها منِّى ثم ترى رأيك . قال : هات إذن . فأنشده : هو وابن الأشتر

الله أعطاك المهابة والتُّقى وأحلَّ بيتَك فى العديد الأكثرِ
وأقرَّ عينك يوم وَقعة(1) جازر والخيل تعثُر فى القنا المُتكسِّر
إنى امتدحتك إذ نَبَا بى منزل وذممتُ إخوان الغِنى من مَعشرى
وعلمتُ أنك لا تُخيِّب مدحتى ومتى أكُنْ بسَبيل خير أشكر
فهلُمَّ نحوى من يَمينك نفحة إن الزمان ألحَّ يا بنَ الأشتر

فقال له : كم ترجو أن أعطيك ؟ قال : ألف درهم ، أُصلح بها أمر نفسى وعيالى . فأمر له بعشرين ألف درهم .

(1) جازر : قرية من نواحى النهروان من أعمال بغداد قرب المدائن .

أخبار ثابت قطنة

نسبه هو ثابت بن كعب ، وقيل : ابن عبد الرحمن بن كعب ، أخو بنى أسد ابن الحارث . وقيل : بل مولًى لهم .

لقبه ولُقِّب قُطنة ؛ لأن سهماً أصابه فى إحدى عينيه فذهب بها فى بعض حُروب الترك ، وكان يجعل عليها قُطنة .

شىء عنه وهو فارس شُجاع من شعراء الدولة الأُموية . وكان من أصحاب يزيد ابن المُهلَّب بن أبي صُفرة . وكان يولِّيه أعمالاً من أعمال الثَّغر فيُحمد فيها مكانُه ، لكفايته وشَجاعته .

حصره على المنبر وذُكر أن ثابت قُطنةَ وَلِي عملاً من أعمال خراسان ، فلما صَعد المِنبر رام الكلام فتعذَّر عليه وحَصر ، فقال سيجعل الله بعد عسر يسراً ، و بعد عيٍّ بيانا ، وأنتم إلى فعَّال أحوج منكم إلى أمير قوال :

وإلَّا أكُن فيكم خطيباً فإننى   بسيفى إذا جَدَّ الوغى لَخطيبُ

فبلغت كلماتُه خالدَ بن صفوان ، فقال : والله ما علا المِنبر أخطبُ منه فى كلماته هذه ، ولو أن كلاماً يستخفُّنى ويُخرجنى من بلادى إلى قائله استحساناً له لأَخرجتنى هذه الكلمات إلى قائلها .

لحاجب الفيل فيه وذُكر أن يزيد بن المُهلَّب أَمر ثابت قُطنة أن يُصَلِّي بالناس يوم الجمعة ، فلما صَعِد المِنبر حَصر فلم يُطق الكلام. فقال حاجب الفيل . ــ وهو حاجب بن دينار المازنى(١) . والفيل : لقب غلب عليه ــ يهجوه :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « حاجب بن ذبيان المازنى » . وانظر البيان والتبيين (٢ : ١٨٣ ، ٣ : ٢٤٣) وآمالى المرتضى (٤ : ٢١) والحيوان (١ : ١٩١) .

أبا العلاء لقــد لُقِّيت مُعضلة ... يوم العَروبة من كَرب[1] وتَحميق
أمّا القُران فلم تُرْشــد لُمحكَمه ... ولم تُسدَّد من الدُّنيا بتوفيق
وقد رَمتْك عيونُ الناس كُلهمُ ... وكدتَ تَشْرق لمّا قُمت بالرِّيق
تلْوى اللسان وقد رُمت الكلام به ... كما هَوى زَلِقٌ من شاهق النِّيق

شعره يعزى هند بنت المهلب

وذُكر أنه لما قُتل المفضَّل بن المهلب دخل ثابت قُطنة على هند بنت المهلب ، والناس حولها جلوس يُعزونها ، فأنشدها أبياتاً :

إذا ذكرتُ أبا غسّان أرّقنى ... هَمٌّ إذا عرّس السارون[2] يُشجينى
كان المُفضَّلُ عِزًّا فى ذُرَى يَمنٍ ... وعِصْمةً وثِمالاً للمَساكين
ما زلتُ بعدك فى هَمٍّ تجيش به ... نفسى وفى نَصَبٍ قد كاد يُبْلينى
إنّى تذكرت قتلى[3] لو شهدتُهم ... فى حَومة الموت لم يَصْلَوا بها دونى

فقالت له هند : اُجلس يا ثابت . فقد قضيتَ الحق وما من المنية بُدّ ، وكم من ميتةِ مَيْت أشرف من حياة حيّ ، وليست المُصيبة فى قتل من اُستُشهد ذابًّا عن دينه ، مُطيعاً لربّه ؛ و إنما المُصيبة لمن قلّت بصيرته ، وخمل ذكره بعد موته ؛ وأرجو ألّا يكون المُفضل عند الله خاملاً ، فما كان مقامه فى طاعته خاملاً . فيقال : إنه ما عُزِّى يومئذ بأحسن من كلامها .

تحريضه يزيد بن المهلب بشعر

وذُكر أن ثابت قطنة كتب إلى يزيد بن المُهلب يحرِّضه على الحرب ، من أبيات :

(١) يوم العروبة : يوم الجمعة . وحمقت الرجل تحميقاً : نسبته إلى الحمق ، وهو ضد العقل . وفى بعض أصول الأغانى : « وتخنيق » بالنون .

(٢) عرس السارون : أى نزلوا فى وجه السحر . وقيل : نزلوا فى المعهد أى حين كان من ليل أو نهار . يريد : إذا استقر الناس فذلك أدعى للفكرة وأبعث للهم .

(٣) فى التجريد : « قتلى » .

أيزيدُ كُنْ فى الحَرب إذ هيّجتها ... كأبيك لا نَكِساً ولا رِعْديدَا
شاورتَ أكرمَ ما[1] تناول ماجداً ... فرأيتَ همّك فى الهُموم بعيدا
ما كان فى أبويك قادحُ هُجْنةٍ ... فيكون زَنْدُك فى الزِّناد[2] صَلُودا
إنّا لضرّابون فى حَمَس[3] الوَغَى ... رأسَ المُتوَّج إن أراد صُدودا
وترى إذا كفر العَجَاجُ ترى لنا ... فى كل مَعركة فوارس[4] صِيدا
يا ليت أُسرتك الذين تغيّبوا ... كانوا ليومك بالعِراق شُهودا
فترى مواطنَهم إذا اختلف القنا ... والمَشرفيّة يَلْتظِين[5] وَقُودا

فقال يزيد لمّا قرأ كتابه : إن ثابتاً لغافل عما نحن فيه ، ولعمرى لأُطيعنّه ، وسيرى ما يكون ، فاكتبوا إليه بذلك .

ولمّا قتل يزيد بن المهلب أُنشد مسلمةُ بن عبد الملك قولَ ثابت قطنة :

يا ليت أُسرتك الذين تغيّبوا ... كانوا ليومك بالعِراق شُهودا

فقال مسلمة : وأنا والله لوددتُ كانوا شهوداً يومئذ فسقيتُهم بكأسه ! فكان مسلمة أولَ من أجاب شعراً بكلام منثور ، فغَلبه .

شعره بعد مقتل يزيد بن المهلب

وذكر أنّ ثابت قُطنة كان مع يزيد بن المهلب يوم العَقْر[6] ، فلما خَذله أهلُ العراق وتفرقوا عنه ، وقُتل يزيد . قال ثابت ، وهو من جيد الشعر :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « من » .

(٢) هجنة : أى زندة لاتورى . ومنه قول بشر :

لعمرك لو كانت زنادك هجنة ... لأوريت إذ خدى لخدك صارع

والصلود : الزندة التى لا تورى ناراً . يريد أنه ورث المجد عن آبائه .

(٣) حمس الوغى : اشتداد الحرب .

(٤) العجاج : التراب المثار . وكفر : غطى وستر . وصيدا ، أى ملوكاً وسادة ؛ الواحد : أصيد .

(٥) اختلاف القنا : اضطرابها ، وذلك حين تشتد الحرب . ويلتظين : أى تلتهب المنية فى سيوفهم وتضطرم كأنها الوقود للأعداء. (٦) العقر : موضع ببابل .

كل القبائل بايعوك[١] على الذى تدعو إليــه وتابعوك[١] وسارُوا
حتى إذا حَمِس الوغى وجعلتَهم نُصُبَ الأَســنّة أَسلموك وطاروا
إن يقتلوك فإنــّ قتلك لم يكن عاراً عليك ورُبَّ قتـل[٢] عار

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار ثابت قُطنة ، هو :

ما هاجَ شوقَك من بكاء حمامة تدعو على فَنَن الأراك حَمامَا
تدعو أبا[٣] فَرْخين صادف ضاربا ذا مِخْلَبَيْن من الصُّقور[٤] قَطَاما
إلا تذكُّرك الأوانس بعــد ما قَطع المطىُّ سَباسباً[٥] وهْياما

وهذا الشعر من قصيدة ، ومنها :

ولقــد علمت وما أكذِّب عالماً ما كانــ حَبْلى يا أُمام رَماما
فسلِى هنـاك السابقين إلى العُـلا مَن كان أكرم خُـلَّة وذِماما
قَومى إذا ذو الوِتْر ضَـيَّع وتره لم تَلْقهم عنــد التِّرات نيــاما
الفاعلونــ فلا تُردّ فعــالهم والمُنعمون وأَحســنوا الإنعاما[٦]

(١) فى بعض أصول الأغانى : « تابعوك . وبايعوك » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وبعض » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « أخرفرخين » .
(٤) قطام ، بالفتح والضم : شديدة الشهوة إلى اللحم .
(٥) السباسب : المارات ، والهيام : تراب يخالطه رمل .
(٦) هذه الأبيات لم ترد فى أصول الأغانى .

أخبار كعب الأشقرى

نسبه

هو كعب بن معدان — والأشاقر قبيلة من الأزد — شاعر فارس ، خطيب معـدود فى الشُّجعان ، من أصحاب المُهلَّب . وأوفده المُهلَّب إلى الحجاج ، وأوفده الحجاج إلى عبد الملك بن مروان .

وفوده على الحجاج

ذُكر أنَّ المُهلَّب أوفد كعب بن مَعـدان الأشقرىّ إلى الحجاج يُخبره وقعـة كانت له مع الأزارقة ، فلما قدمَ عليه أنشد الحجاج قصيدةً منها :

علقت يا كعبُ بعد الشَّيب غانية ... والشيبُ فيه عن الأهواء مُزدَجَرُ
أمُمْسِكٌ أنت منها بالذى عهدت ... أم حبلُهـا إذا نأتك اليوم مُنبـتر
ذكرت خَوْداً بأعلَى الطفّ[1] منزلها ... فى غُرفة دونها الأَبواب والحُجَر

حتى أنتهى إلى قوله فى صِفة الوقعة :

خبَّوْا كمينَهمُ بالسَّـفح إذ نزلوا ... بكازرون[2] فما عزّوا ولا نُصروا
كانت كتائبنا تَرْدَى[3] مسوَّمة ... حول المُهلَّب حتى نوَّر القمر
هناك ولَّوا خَزَايا بعد ما[4] هُزِموا ... وحال دونهمُ الأنهارُ والجُـدر
تأبى علينا حزازات النُّفوس فما ... تُبقِى عليهم ولا يَبقون إن قدروا

فضحك الحجاج وقال : إنك لمُنصف يا كعب . ثم قال له الحجاج : أخطيبٌ

---

(١) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفا . والطف : من ضاحية الكوفة .

(٢) كازرون : مدينة بفارس بين البحرين وشيراز .

(٣) تردى : أى ترجم الأرض بحوافرها فى سيرها وعدوها . ومسومة : معلمة .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « جراحاً بعد ما هربوا » .

أنت أم شاعر؟ فقال: شاعر خطيب. قال: كيف كانت حالكم مع عدوكم؟ قال: كُنَّا إذا لقيناهم بعَفونا وعَفوهم أيسنا منهم، وإذا لقيناهم بجُهدنا وجُهدهم طمعنا فيهم[1]. قال: فكيف كان بنو المهلَّب؟ قال: حُماة الحريم نهاراً وفُرسان الليل تيقُّظاً[2]. قال: فأين السَّماع من العِيان؟ قال: السَّماع دون العِيان. قال: صِفهم رجلاً رجلا. قال: المُغيرة فارسهم وسيّدهم، نارٌ ذاكية، وصَعدة[3] عالية؛ وكفى بيزيد فارساً شُجاعاً، ليثُ غاب، وبحر جَمُّ العُباب؛ وجوادهم قَبيصة، ليثُ المُغار، وحامى الذِّمار؛ ولا يستحيى الشجاع أن يَفر من مُدرك، وكيف لا يفرّ من الموت الحاضر، والأسد الخادر؛ وعبد الملك سمٌّ ناقع، وسيف قاطع؛ وحبيبٌ الموتُ الزُّعاف، إنما هو طود شامخ، أو فخر باذخ؛ وأبو عُيَيْنة البطلُ الهُمام، والسيف الُحسام؛ وكفاك بالمُفضَّل نجدةً، ليث هدّار، وبحر موّار؛ ومحمد ليثٌ، وحسام ضَرَّاب. فقال: فأيهم أفضل؟ قال: هم كالحَلقة المُفرغة لا يُعرف طرفاها. قال: فكيف جماعة الناس؟ قال: على أفضل حال، أدركوا ما رجوا، وأمنوا ما خافوا، وأرضاهم العدل، وأغناهم النَّفل[4]. قال: فكيف رضاهم عن المُهلب؟ قال: أحسنُ رضى، وكيف لا يكون كذلك وهم لا يُعدمون منه إشفاق الوالد، ولا يَعدم منهم برَّ الولد. قال: فكيف فاتكم قَطرىّ؟ قال: كدناه فتحوَّل عن منزله وظنَّ أنه قد كادنا. قال: فهلّا تبعتموه؟ قال: حال الليلُ بيننا وبينه فكان التحرّز إلى أن يقع العيان ويُعلم الأمر، وما يُصنع أحزم. فقال: كان المهلَّب أعلم بك إذ بعثك! وأمر له بعشرة آلاف درهم وحَمله على فرس، وأوفده إلى عبد الملك ابن مروان. فأمر له بعشرين ألف درهم.

(١) العفو: الكثير. يعنى: جموعهم بقضها وقضيضها. والجهد: الشيء القليل. يعنى: القلة المختارة منهم. (٢) فى غير التجريد: «أيقاظاً». (٣) الصعدة: القناة المستوية.
(٤) النفل: الغنيمة والهبة.

هو بين المهلب والحجاج وعبد الملك

وذُكر أن الحجاج بن يوسف كتب إلى المُهلب بن أبى صُفرة يأمره بمُناجزة الأزارقة ويستبطئه ويعجِّزه(١) فى تأخير أمرهم ومُطاولتهم(٢). فقال المهلّب لرسوله: قل له : إنما البلاء أن الأمر إلى من يملكه لا إلى من يعرفه ، فإن كنت نصبتنى لحرب هؤلاء القوم على أن أُدبِّرها كما أرى، فإذا أمكنتنى الفُرصة انتهزتُها ، وإذا لم تمكنّى توقّفت ، فأنا أدبِّر ذلك بما يُصلحه ؛ وإن أردت منّى أن أعمل وأنا حاضر برأيك وأنت غائب ، فإن كان صواباً فلك وإن كان خطأ فعلىّ ، فابعث مَن رأيت مكانى . وكتب من فوره إلى عبد الملك بن مروان يشكو الحجاج . فكتب إليه عبد الملك : لا تعارض المهلّب فيما يراه ولا تُعجله ، ودَعه يدبِّر أمره . وقام كعب الأشقرى إلى المُهلّب فأنشده بحضرة رسول الحجاج :

إن ابن يُوسف غرّه من غزْوكم ... خفضُ المُقام بجانب الأمصار
لو شاهد الصّفّين يومَ(٣) تلاقيا ... ضاقت عليه رحيبةُ الأقطار
من أرض سابور الجُنود وخيلنا ... مِثلُ القِداح بريتَها بشِفار
من كل خِنذيد ترى بلَبانه ... وقَع الظُّبات مع القنا(٤) الخَطّار
ورأى مُعاودة الدِّباغ(٥) غنيمةً ... أزمانَ كان مُحالف(٦) الأقتار
فدع الحروب لشِيبها وشَبابها ... وعليك كلَّ عزيزة(٧) مِعْطار

فبلغت أبياته الحجاج ، فكتب إلى المُهلب يأمره بإشخاص كعب الأشقرىّ إليه . فأعلم كعباً بذلك ، وأوفده إلى عبد الملك بن مَروان من تحت ليلته . وكتب

---

(١) أى ينسبه إلى العجز . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « ومطالبتهم » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « حين » .
(٤) الخنذيد : الفحل . وبلبانه، أى حيث الأماكن الرخصة . والظبات : جمع ظبة ، وهى حد السيف والسنان والنصل والخنجر وما أشبه ذلك . والخطار : ذو الاهتزاز الشديد . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « من كل جندى غذى بلبانة * وقع الطبــاق » (٥) فى بعض أصول الأغانى : «الرباع» . (٦) الأقتار : جمع قتر، وهو اللحم سطعت ريح قتاره . يشير إلى سالف عهده برعية الغنم .
(٧) فى بعض اصول الأغانى : « خريدة » .

إليه يستوهبه منه . فقدم كعبٌ على عبد الملك برسالة المُهلب ، فاستنطقه عبد الملك واستنشده ، فأعجبه ما سمع منه . وأوفده إلى الحجاج وكتب إليه يُقسم عليه أن يعفو عنه عمّا بلغه عنه . فلما دخل قال : إيه يا كعب !

* ورأى مُعاودة الدباغ غنيمة *

فقال له : أيها الأمير : والله لقد وددت فى بعض ما شاهدته فى تلك الحروب وأزماتها ، وما يُوردناه المهلّب من خَطرها ، أن أنجو منها وأكون حجّاماً أو حائكا . فقال له الحجاج : أولى لك ، لولا قَسم أمير المؤمنين لما نفعك ما أسمع ، فالحق بصاحبك . فردّه إلى المهلب من وقته .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار كعب الأشقرىّ ، هو من قصيدة أولها :

* طربتُ وهاج لى ذاك ادّكارا *

يقول فيها :

ذكرت الغانيات وكُنّ عندى   بدار لا أُطيق لها مَزارَا
وكنت ألذُّ بعض العيش حتى   كبرتُ وصار لى همّى شِعارا
رأيت الغانيات كرهنَ وصلى   وأبدَيْن الصَّريمة لى جهارا
زرين علىَّ حين بدا مَشيبى   وصارت ساحتى للهمِّ دارا

ومنها فى مدح المهلب بن أبى صُفرة ، وولده ، وكان عبد الملك بن مروان يستجيد ذلك ويقول للشعراء : أتشبهوننى مرة بالأسد ، ومرة بالصقر ! هلا قلتُم فىَّ كما قال الأشقرى فى المُهلب وولده :

براك الله حين براك بحراً   وفجّر منك أنهاراً غِزارا
بَنُوك السابقون إلى المعالى   إذا ما أعظم الناس الفَخارا

كأنهمُ نجومٌ حول بدر دراريٌّ(١) تكمّل فاستدارا
ملوكٌ يَنزلون بكلّ ثغر إذا ما الهامُ يوم الرّوع طارا
نجوم يُهتَدى بهمُ إذا ما أخو الغَمرات فى الظُّلمات حارا

(٢)وذُكر أنه لما ولِّى قُتيبة بن مُسلم خراسانَ وعُزل عنها يزيد بن المهلب ابن أبى صُفرة ، مدحه كعب الأشقرى ودخل عليه فأنشده . فقال له قتيبة : ما أنا منك ومن مديحك فى شىء حتى تهجو المُهلب وولده وتكذِّب نفسك فيما سلف من مديحك لهم . فخاف كعب آلَ المُهلب إن فعل ، وخاف أن يَمنعه قُتيبة عطاءه إن لم يفعل . فقال فى مديحه لقُتيبة أبياتاً ذمّ فيها آل المُهلب وفضّل قتيبة عليه . فأمر له قتيبة بجائزة وأدرّ عطاءه عليه . ثم إن قتيبة قُتل وولى خراسان يزيدُ بن المُهلب . فخاف كعبٌ أن يصادفه يزيد بن المهلب بخراسان فيقتله بعد ما كان من هجائه إياه ، فهرب إلى عُمان وخلف ابناً له صغيراً ـ يقال له : فيروز ـ مع أمه ، وكانت أعجمية من أهل خراسان . فلما قدم يزيدُ خراسان أخذ ابنه فحَبسه ، وولّى يزيد ابن المهلب أخاه زياد بن المُهلب عُمان وأمره بحَبس كعب بن معدان الأشقرى . فحَبسه زياد . ومدحه كعب واستعطفه فلم يُطلقه ، فلاذ بامرأته عائشة بنت الغفار ابن مَجزأة بن ثور السَّدوسى ، وكانت أثيرة عند زياد بن المهلب ، ولها منه ولد سمَّته باسم جدها مجزأة . وطرح كعب نفسه عليها ومدح ابنها وجدها ، فرقّت له وأحبت الصنيعة عنده . فكلّمت زياداً فيه ، فدافعها . فأرسلت ابنها مجزأة إليه ، وهو صبى ، وأوصته بمسألته فيه ، وأمرته ألّا يرضى أو ينصرف به . فجاء مجزأة واستأذن على أبيه زياد . فقيل له : إن ابنك قد جاء فى حاجة وهو يستأذن عليك . فقال : إذنْ لا ينصرف إلا بقضائها ، وأذن له . فدخل عليه وكلمه

(١) درارى ، وصف « لنجوم » .
(٢) هذا الخبر وما يليه من شعر كعب فى مجزأة لم يرو فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

فى كعب . فدعا زياد بحُلة أفواف(١) فأُتِى بها، فقال له: هذه أحبُّ إليك أم كعب ؟ فقال : كلاهما . فضحك زياد وأمر بإخراج كعب من السجن. فأُخرج . فلما دخل على زياد وبَّخه وقال : أتهجونا بعد صنائع المهلب وصنائعنا إليك منـذ نشأت إلى أن شِبت لأدنى طمع لك من قُتيبـة ! فقال له : مدحتكم طوال الدهر ونَوَّهت بذكركم وفضلكم ، ثم أخذنى رجل شـديد السطوة بعيد الرحمـة مسلط علىّ ، فأكرهنى على قول قُلته ، وخفته على نفسى، فأطعتُه لا طَمعاً ولا رغبـة فى شىء ، فأبطل ذلك عندكم من مدحى إياكم طائعاً مختاراً غيرَ مكره . فأمر بإطلاقه ، ودفعه إلى ابنه مجزأة . فخرج به وخلع عليه الحُلة الأفواف التى أخذها من أبيـه . فقال كعب يمدح مَجزأة :

سَقياً لذى حسب تدارك مُهجتى ... فنهضتُ بعـد جوائح(٢) وعِثار
ذاك الذى وَرِث المـكارم كلَّها ... من بين ذى يَمن و بين نِزار

وهذان البيتان من قصيدة طويلة من شعر كعب ، أولها :

* ما هاج شوقَك من رُسوم ديار *

يقول فيها فى ذكر المُهلب :

وذكرتُ آلاء المهلَّب بعـد ما ... ضاقت علىّ عريضـةُ الأقطار
أَمْسَى الذى يُرجى لـكُلّ عَظيمة ... فى القـبر بين مَجامع الأنهـار
دُفن النَّـدى والحَزم فى سِرباله ... فى عُود لا قَصِفٍ ولا خَوَّار
لا زال يَسقى قـبرَه و بلادَه ... دِرَرُ السَّحاب بواكرٌ وسَوارى
ذاك المُهلب خيرمَن وطِىء الحصى ... نفساً وأوفاه بذمَّـة جار

(١) أفواف : برود يمنية موشاة .
(٢) الجوائح : الشدائد والنازلات العظيمة ؛ جمع جائحة .

كم من عدوٍّ قد أباح بلاده فسَما إليـــه بجحفلٍ جرّار
والخيل تَضْبح[1] بالكُماة عوابساً يحملنَ كُل مُـدجَّج مِغْوار
بُلْج الظُّهور طَوى الطِّرادُ بُطونَها فى كُل يومِ طَليعة ومُغـــار
يخرُجن من بُعـد الفِجاج عليهمُ بالدّارعين طوامحَ الأبصـــار

مدحه زياد ابن المهلب

[2] ومدح زيادَ بن المهلب بقصيدة من جيد شعره، يقول فيها فى ذكر المُهلب :

رفعوا به يوم أُستقِلّ بنَعشه غيثَ العِراق وقائدَ الأجيادِ
الحامل العِبء الثَّقيل بفَضله والمُستجار به من الأحقاد
لا زال يَسقى قــبرَه و بلاده دِرَرُالسحاب روائحٌ وغَوادى
كم من عـدوٍّ قد أباح بلاده قَسراً ولفَّ سواده بِسواد
المُوقد النِّيران والمُطفِى به النِّـيران والمُورِى بغَـير زِناد
يا قَوم هل لأخيكمُ من توبة أم هَل له بعد الضَّلالة هادى
إنِّى ركبتُ الغَىَّ أحسبه هُدًى بل كان غيرَ هُدى وغيرَ رشاد
لولا مكانك يابن كُل متوَّج لثويتُ فى سِجن وفى أقيـاد

وذُكر أن كعب الأشـقرىّ كان له ابن أخ شاعر يعاديه ، فلما سأل مجزأةُ ابن زياد أباه زياداً فى كعب فأطلقه ، دسّ زيادُ بن المُهلَّب إليـه ابنَ أخيه هذا وجعل له مالاً على قتل كعب . فجاءه وهو نائم تحت شجرة فضرب رأسه ضربةً فقَتله ، وذلك فى فتنة يزيد بن المهلب وهو بعُمان ، وكان لكعب أخٌ غيرُ أبى قاتله . فلما قُتِـل يزيد بن المهلب ولِى عُمان محمدُ بن جابر الراسبى من قِبل مَسلمة ابن عبد الملك ، فأَخذ أخو كعب ابنَ أخيه الذى قَتل كعباً فقدّمه إلى محمد بن جابر،

---

(١) تضبح : تسمع من أفواهها صوتاً ليس بصهيل و لا حمحمة .
(٢) لم يرد هذا الخبر فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

وطلب منه القَوَد [١]. فقيل له : قُتل أخوكَ بالأمس ، ويُقتل قاتله ـ وهو ابن أخيك ـ اليوم، وقد مضى أخوكَ وانقضى، فتبقى فرداً كقَرن الأعضب [٢]؟ فقال : نعم ! إن أخى كعباً كان سيدنا وعظيمَنا ووجهنا فقتله هذا ، وليس فيه خير ولا فى بقائه عزّ ولا هو خلف من كعب ، فأنا أقتله به ، فلا خير فى بقائه بعده . فقدَّمه محمد بن جابر فضرب عُنقه .

---

(١) القود : القصاص .

(٢) الأعضب : المكسور القرن .

أخبار العباس بن مرداس

نسبه وكنيته هو العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس[1] بن رِفاعة بن [الحارث بن] [2] بُهْثة بن سُلَيم بن منصور بن عِكرمة بن خَصفة بن قيس عَيلان ابن مُضر بن نزار . ويكنى : أبا الهيثم .

أمه وأُمه الخنساء الشاعرة ، بنت عمرو بن الشَّريد .

شيء عنه والعباس شاعر فارس شديد العارضة والبَيان ، سيّد في قومه من كلا طرَفيه ، وهو مُخضرم : أدرك الجاهلية والإسلام ، ووَفد على النبيّ صلى الله عليه وسلم .

إسلامه وحكى العبّاس بن مرداس قال :

كان سبب إسلامى أنّ أبي مِرداس بن أبي عامر كان له صَنم اسمه ضَمار ، فلما حضره الموت أوصانى به و بعبادته والقيام عليه ، فعمدت إلى ذلك الصنم فجعلتُه فى بيت ، وجعلتُ آتيه فى كل يوم وليلة مرة . فلما ظهر أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعتُ صوتاً فى جوف الليل راعنى ، فوثبت إلى ضَمار ، فإذا الصوت فى جوفه يقول :

قُل للقبائل من مَعدٍّ كلها ... هَلك الأنيسُ وعاش أهلُ[3] المَسجدِ
إنّ الذى وَرِث النُّبوة والهُدى ... بعد ابن مَريم من قُريش مُهتدى
أَوْدى ضَمار وكان يُعبد مَرّةً ... قبل الكتاب إلى النبيّ مُحمَّد

---

(١) فى التجريد : « عبس » . تحريف .
(٢) التكملة من جمهرة أنساب العرب (ص ٥١٦) .
(٣) الرواية فى معجم البلدان فى رسم « ضمار » والسيرة لابن هشام (٤ : ٦٩) :
قل للقبائل من سليم كلها ... أودى ضمار وعاش أهل المسجد

قال : فكتمت الناس جميعاً ذلك فلم أُحدِّث به أحداً ، حتى انقضت غَزوة الأحزاب . فبينا أنا فى إبلى فى طَرَف العقيق ، وأنا نائم ، إذ سمعتُ صوتاً شديداً ، فرفعتُ رأسى فإذا رجل على جناحَىْ نَعامة يقول : إن النور الذى وَقع من السماء ، يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ، مع صاحب الناقة العضباء[١] ، فى دار أخى بنى العَنقاء . فأجابه طائف عن شِماله لا أُبصره ، فقال : بشِّر الجن وأجناسها ، أن قد وَضعت المطىُّ أحلاسها[٢] ، وكفت[٣] السماء أحراسها . قال : فوثبتُ مذعوراً ، فركبتُ فرسى وسرتُ حتى انتهيت إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فبايعتُه وأسلمت ، وانصرفت إلى ضَمار فأحرقتُه بالنار .

وذُكر أن العباس بن مرداس لما قصد إتيان النبى صلى الله عليه وسلم أتى إبله فبات بها ، ثم دعا براعيه فأوصاه بإبله وقال له : من يسألك عنِّى فحدِّثه أنى لحقت بيثرب ، ولا أحسبنى إن شاء الله إلا آتياً محمداً وكائناً معه ، فإنى أرجو أن يكون رحمة من الله ونوراً ؛ فإن كان خيراً لم أُسبق إليه ، وإن كان شرًّا نصرتُه لخُؤولته ، وعلى أنى قد رأيتُ الفضل البيِّن وكرامة الدنيا والآخرة فى طاعته ومؤازرته ومتابعته وإيثار أمره على جميع الأمور ، فإنّ مناهج سُبله واضحة ، وأعلام ما يجىء به من الحق نيِّرة ، ولا أرى أحداً من العرب نَصب له إلا أُعطى عليه الظفر والعُلو ، وإنى[٤] قد أُلقيتْ علىّ محبة له ، وأنا باذل نفسى دون نفسه ، أريد بذلك رضى إله السماء والأرض . ثم سار نحو النبى صلى الله عليه وسلم . ومضى الراعى إلى أهله ، فأخبر امرأته بالذى كان من أمره ، فقامت فقوّضت بيتها ولحقت بأهلها . فذلك حيث يقول العبّاس بن مرداس :

(١) العضباء : المشقوقة الأذن .
(٢) أحلاس : جمع حلس ، وهو كل ما يلى ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ووكفت » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « وأرانى » .

لعمرك[١] إنى يوم أجعل جاهداً ... ضِماراً لربِّ العالمين مُشاركَا
وتَركى رسولَ الله والأرض حوله ... أولئك أنصار الإله أولئكا
كتاركٍ سَهل الأرض والحزن يبتغى ... ليسلك فى غَيب الأمور المَسالكا
فآمنت بالله الذى أنا عبدُه ... وخالفتُ من أمسى يُريد المَهالكا
ووجّهتُ وَجهى نحو مكةَ قاصداً ... وبايعتُ بين الأخشَبَيْن[٢] المُبارَكا
نبيًّا[٣] أتانا بعد عيسى بناطق ... من الحق فيه الفصلُ منه كذلكا
فلاقَى عُرى الإسلام بعد انفصامها ... وأَحكمها حتى أقام المَناسكا

بينه و بين الرسول فى فتح مكة

وقَدم العبّاس بن مرداس على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لما أراد المَسير إلى مكة ، فلقيه بقُديد[٤] فى ألف فارس من بنى سُلَيم ، فحَضر فتح مكة و يوم حُنين . ولما قسم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم الغنائم أكثر العطايا لأهل مكة ، وأجزل القسمة لهم ولغيرهم ممن شهد الوَقعة ، تألُّفاً لهم على الإسلام ، فكان صلّى الله عليه وسلم يعطى الرجلَ الواحد ألفَ ناقة ، والآخر ألفَ شاة ! وأعطى عُيينة ابن حِصن الفزاريّ ، والأقرع بن حابس التَّميمى ، والعباس بن مرداس عطايا ، فضَّلَ فيها عُيينة والأقرع على العبَّاس بن مرداس ، فقال العباس :

وكانت نِهاباً[٥] تلافيتُها ... بكرِّى على المُهرفى[٦] الأجرعِ
وإيقاظىَ الحىَّ أن يَرقدوا ... إذا هَجع القومُ لم أَهجع
فأصبح نَهبى ونهبُ العُبيـ[٧] ... ـد بين عُيينة والأَقرع

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لعمرى » .
(٢) الأخشبان : جبلا مكة .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « نبى » .
(٤) قديد : قرب مكة .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « رزايا » .
(٦) الأجرع : الرملة السهلة المستوية ، يريد ساحة القتال .
(٧) العبيد : فرس العباس بن مرداس .

وقد كنتُ في الحرب ذا[1] تُدْرأ ... فلم أُعطَ شيئاً ولم أُمنَع
إلّا أَفائل[2] أُعطيتُها ... عديدَ قوائمها الأربع
وما كان حصنٌ ولا حابس ... يفوقان مِرداس[3] في مَجْمع
وما كنتُ دون أمرىء منهما ... ومن تَضع اليوم لا يُرفع

فبلغ قولُه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فدعاه وقال : أنت القائل :

أصبح نَهبى ونَهب العُبيـد من الأقرع وعُيينة ؟

فقال أبو بكر رضى الله عنه : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! لم يقل ذلك ، ولا والله ما أنت بشاعر ولا ينبغى لك الشعر ، وما أنت براوية ! قال : فكيف قال ؟ فأنشده أبو بكر . فقال : هما سواء، ما يضرك بأيهما بدأت : بالأقرع أو بعيينة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقطعوا عنّى لسانه، بأن تَقطعوه من البَهم والشاء ما يُرضيه ليمسك . فأُعطى .

رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنصار فى فىء مكة

ووَجدت الأنصار فى أنفسها وقالوا : نحن أصحاب كل موطن وشدة ، فآثر قومَه علينا وقَسم فيهم قسماً لم يَقْسمه لنا ، وما نُراه فعل ذلك إلا وهو يريد المقام بين أظهرهم . فلما بلغ ذلك رسول الله صلى عليه وسلم أتاهم فى منزلهم وجمعهم فقال : من كان هاهنا من غير الأنصار فَلْيرجع إلى أهله . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معشر الأنصار ، قد بلغتنى مقالة قلتموها ومَوجدة وجدتموها علىّ فى أنفسكم ، ألم آتكم ضُلّالاً فهداكم الله ؟ قالوا : بلى . قال : ألم آتكم قليلاً فكثّركم الله ؟ قالوا : بلى . قال : ألم آتكم أعداء فألّف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى . قال : أولم آتكم وأنتم لا تركبون الخيل فركبتموها ؟ قالوا : بلى . قال :

---

(١) ذو تدرأ : أى ذو عدة وقوة على دفع الأعداء عن نفسه .
(٢) السيرة لابن هشام (٨ : ٢٣٧) : « شيخى » . يعنى أباه مرداسا .
(٣) أفائل : جمع أفيل ، وهو الفصا

أفلا تُجيبوننى يا معشر الأنصار ؟ قالوا : الله ورسوله أمنّ وأفضل[١] ، جئتنا يا رسول الله ونحن فى الظُّلمات فأخرجنا الله بك إلى النور ، وجئتنا يا رسول الله ونحن أذلّة قليلون فأعزّنا الله بك ، فرضينا بالله و بالإسلام ديناً و بك نبيًّا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو شئتم لأجبتمونى بغير هذا ، فقلتم وصُدِّقتم : جئتنا طريداً فآو يناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وعائلاً فواسيناك ، ومكذَّباً فصدَّقناك ، وقَبلْنا مايرُد عليك الناس، لقلت: صَدقتم[٢] . فقالت الأنصار : بل لله ورسوله المَنُّ علينا والفضل . ثم بكَوا حتى كثر بكاؤهم ، و بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : يا معشر الأنصار ، أوجدتم فى قلوبكم فى الغنائم التى آثرت بها أُناساً أتألّفهم على الإسلام ليُسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا تَرضون أن يذهب الناس بالشاء وترجعون برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده لو سلك الناس شِعْباً وسلكت الأنصارُ شِعْباً لسلكتُ شِعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت أمرأً من الأنصار . . فبكى القوم ثانيةً حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا بالله ورسوله حظًّا وقسماً .

قلت : وقد رُوى أنه قال صلى الله عليه وسلم يومئذ : اللهم ارض عن الأنصار، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار .

ثم تفرق القوم راضين ، فكانوا بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدّ اغتباطاً من المال ، رضى الله عنهم وشكر سعيهم .

من المؤلفة

ومن المؤلفة الذين تألّفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو سفيان بن حرب ، وأبنه معاوية ، وحكيم بن حِزام ، والحارث بن هشام ، وسُهيل بن عمرو ،

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لله ورسوله علينا المن والفضل » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وقبلنا منك ما رده عليك الناس ، لقد صدقتم » .

وحُويطب بن عبد العُزّى ، وصفوان بن أمية ؛ أَعطى كل واحد من هؤلاء مائةً من الإبل .

رواية العباس عن النبي صلى الله عليه وسلم

وقد روى العباسُ بن مرداس الحديثَ عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم . فمّما روَى عن النبي صلى الله عليه أنه دعا لأُمته عشية عرَفة ، فأُجبَّ لهم بالمغفرة إلا ما كان من مظالم العباد بعضهم لبعض ، فقال : أى رب ، إن شئت أعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم . فلم يُجَب فى عشيته . فلما أصبح فى المُزدلفة أعاد الدعاء فأُجيب لهم بما سأل . فضحك صلّى الله عليه وسلم وتبسّم ، فقال : لمَّا علم إبليس أن الله عزّ وجل قد غفر لأمتى جعل يحثو التراب على رأسه ويدعو بالويل والثبور ، فضحكتُ من جزعه .

أخبار حماد عجرد

نسبه وولاؤه — هو حمّاد بن عمرو بن كُليب . ويُكنى أبا عَمرو . مولى بنى عامر بن صَعصعة .

أصله وشىء عنه — وأصله ومَنشؤه بالكوفة . وكان يَبرى النَّبل . وقيل: كان أبوه نبَّالاً . وهو من مُخضرمى الدَّولتين: الأُموية والعبَّاسية ؛ إلا أنه لم يَشتهر فى أيام بنى [أمية شُهرته فى أيام بنى][1] العبَّاس . وكان خليعاً ماجناً ، متَّهماً فى دينه ، مَرميًّا بالزَّندقة .

لقبه — وإنما لَقَّبه عجرداً عمرو بن سِنديّ فى شعر هَجاه به . وعَجرد ، مأخوذ من المُعَجرِد ، وهو العُريان .

الحمادون الثلاثة — وذُكر أنه كان بالكوفة ثلاثة نَفر يقال لهم الحمّادون — حمّاد عجرد ، وحمّاد الراوية ، وحمّاد بن الزِّبرقان — يتنادمون على الشَّراب ، وكانوا كنفس واحدة ، وكُلهم يُرمون بالزَّندقة ، وأشهرهم بها حمّاد عَجرد .

الهجاء بينه وبين بشار — وكان بين حمّاد عَجرد وبشّار بن بُرد تهاجٍ كثيرة .

وذُكر أن بشاراً أُنشد قولَ حمّاد فيه :

أنت ابن بُرد مثلُ بُر ... دٍ فى النَّذالة والرَّذالهْ
مَن كان مثل أبيك يا ... أعمى أبوه فلا أبَا له

فقال : جَوَّد ابنُ الزانية ! وأُنشد أيضاً قولَه فيه :

دُعيتَ إلى بُرد وأنتَ لغَيره
وهَبْك ابن برد[2] نِكْت أُمك من بُرْدِ

(١) التكملة من الأغانى .

(٢) فى التجريد : « وهبك لبرد » .

فقال بشار للذى أنشده : هاهنا أحد ؟ قال : لا . قال : أحسن والله ما شاء أبنُ الزّانية !

وذُكر أنّ بشاراً قال لراوية حمّاد : ما هَجانى به اليوم حماد ؟ فأنشده :

ألا من مُبلغ عنِّى الّـ ـذى والدُه بُـرْدُ

فقال : صدق أبنُ الفاعلة ! فما يكون ؟ فقال :

إذا ما نَسب النـاس فلا قَبْـلٌ ولا بَعـدُ

فقال : كذب ابنُ الفاعلة ! وأين هذه العَرَصات[1] من عَقيل ! فقال :

وأعمى قَلْطبـان[2] ما على قاذِفه حَـدُّ

فقال : كذب ابنُ الفاعلة ! بل ثمانون جَلدة عليه، هِيه[3] ! فقال :

وأعمى يُشْـبه القرد إذا ما عَمِى القِـرْدُ

فقال : ما أخطأ والله ابن الزانية حين شَبَّهنى بقرد ! حسبك ! ثم صفّق بيده وقال : ما حيلتى ؟ يرانى فيُشبهنى ولا أُراه فأُشبهه !

وتمام هذه الأبيات ، وهى من جيّد الهجو :

ولو يَنْكَهُ[4] فى صَلْدٍ صَفاً[5] لانصدع الصَّلْدُ
دَنِىء لم يَرُح يوماً إلى المَجـد ولم يَغْـدُ
ولم يَحضُر مع الحـا ضر[6] فى خَيرٍ ولم يَبْدُ

(١) العرصات : البقاع الواسعة بين الدور لبس فيها بناء ؛ الواحدة : عرصة . وإذا اتسع ما بين الدور فما بالك بها . يشير إلى جاه قومه .

(٢) القلطبان : الذى لا غيرة عنده ، أصلها : القلتبان ، لفظة قديمة ، فغيرتها العامة الأولى فقالت : القلطبان ، وجاءت عامة سفلى فغيرت على الأولى فقالت : القرطبان .

(٣) هيه ، أى زد .

(٤) ينكه : يتنفس ، لتعرف نكهته ، أطيبة هى أم غير طيبة . يشير إلى نتن رائحة فيه .

(٥) الصفا : الحجارة الصلدة الضخمة ، الواحدة : صفاة .

(٦) فى بعض أصول الأغانى : « الحضار » .

ولم يُخْشَ له ذمٌّ ولم يُرْجَ له حَمْدُ
جَرى بالنَّحس مُذْ كا ن ولم يَجْرِ له سَعْد
هو الكلب إذا ما ما ت لم يُوجد له فَقْد

وذُكر أنَّ أغلظ ما هَجا به بشاراً قولُه :

نهارُه أخبثُ من ليله ويومُه أخبثُ من أمسِه
وليس بالمُقلع عن غَيِّه حتى يُوارى فى ثَرى رَمْسه

وكان أغلظَ على بشار من ذلك كُله وأوجعه قولُه فيه :

لو طُليتْ جِلْدتُه عَنبرًا لأفسدت جِلدتُه العَنبرًا
أو طُليت مِسْكاً ذَكيًّا إذاً تحوّل المِسكُ عليه خَرًا

منعه الربيع عن تأديب ولده لشعر بشار فيه

وذُكر أنَّ حماد عَجرد اتصل بالرَّبيع يُؤدِّب ولده ، فكتب إليه بشَّار رُقعةً ، فأُوصلت إلى الربيع ، فطَرده لما قرأها ، وفيها مكتوب :

يا أبا الفَضل لا تَنمْ وقَع الذئبُ فى الغَنَمْ
إنَّ حمادَ عجردٍ إن رأى غَفلةً هَجَم
بين فَخْذيه حربةٌ فى قِراب[(١)] من الأَدم
إن خلا البيتُ ساعةً مَجْمَج الميمَ[(٢)] بالقلم

فلما قرأها الربيع قال : صيرنى حمّاد دَريئة[(٣)] للشُّعراء ! أخرجوا عنِّى حماداً . فأُخرج .

وقيل : إن الأبيات كُتبت إلى العباس بن محمد ، وكان حماد يُؤدِّب ولده .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « غلاف » .
(٢) مجمج : أفسد وغير .
(٣) الدريئة : الحلقة التى يتعلم الرامى الطعن والرمى عليها .

نكايته بقطرب حين دعاه المهدى لتأديب ولده

وذُكر أن قَطَرِبًّا النَّحوى جُعل مُؤدبًا لبعض ولد المهدى ، وكان حماد عَجرد يطمع أن يكون هو مؤدِّبه ، فلم يتم له ذلك لتهتُّكه وشُربه وشُهرته فى النـاس بما قال فيه بشَّار ، فلما تمكَّن قُطرب فى موضعه أَخذ حماد رُقعة فكتب فيها :

قُل للإمام جزاك الله صـالحةً ... لا تَجْمعِ الدهرَ بين السَّخْل(١) والذِّيبِ

السَّخل غِرٌّ وهَمُّ الذِّئب(٢) فُرصـتُه ... والذِّئبُ يَعلم ما فى السَّخْل من طِيب

فلما قرأ المهديُّ البيتين قال : انظُروا ، لا يكون هذا المؤدب لُوطيًّا . ثم قال : انفُوه عن الدار . فأُخرج عنها وجىء بمؤدِّب غيره . ووُكل به تسعون(٣) خادماً بنوائب(٤) يَحفظون الصِّبيان . وخرج قُطرب هاربًا ممَّا شُهر به إلى عيسى ابن إدريس [بن أبى دلف](٥) العِجليّ ، فأقام معه بالـكَرج(٦) إلى أن مات .

هو وأبو حنيفة حين بسط فيه لسانه بعد نسكه

وذُكر أنَّ أبا حنيفة الفقيه — رحمه الله — كان فى صِباه صديقاً لحمَّاد عَجرد ، فنَسك أبو حنيفة وطلب الفقه ، و بلغ فيه مابلغ ، ورفض حمّاداً ، و بسط لسانه فيه . فجعل حمّاد يُلاطفه حتى يكفَّ عن ذكره ، وأبو حنيفة يذكُره . فكتب إليه حمَّاد عجرد بهذه الأبيات :

إن كان زُهدك(٧) لا يتـ ... ـمّ بغـير شَتْمى وانتقاصِى

أوْ لم تكن إلّا به ... تَرجو النَّجاة من القَصاصِ

(١) السخل : ولد الغنم .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « الناس » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ووكل به تسعين » .
(٤) بنوائب : يريد « نوبا » أى جماعه بعد جماعة ؛ إذ « نوائب » جمع نائبة ، وهى ما ينوب من الدهر ويصيب . وفى غير التجريد : « يتناوبون » .
(٥) التكملة من الأغانى .
(٦) الكرج : مدينة بين همذان وأصبهان فى نصف الطريق .
(٧) فى بعض أصول الأغانى : « نسكك » .

فاقعُد وقُم بى كيف شئـ ـتَ مع الأدانى والأقاصى
فلطالمـــا زكَّيتنى وأنا المُقيم على المعــاصى
أيامَ تأخُـــذها وتُعـ ـطى فى أباريق الرَّصاص

فأمسك أبو حنيفة بعد ذلك عن ذِكره .

وقيل : إن هـذه المُكاتبة كانت من حمَّاد إلى يحيى بن زياد ، وكان قد أظهر تورُّعاً .

شعره إلى ابن أبى الصلت يعيبه بالبخل

وذُكر أن حُريث بن أبى الصَّلت كان صديقاً لحمَّاد عجرد ، وكان حمَّاد يَعيبه بالبُخل ، فكتب إليه على سبيل العَبث به :

حُريثٌ أبو الصَّلت ذو خِبرة بما يُصلح المِعَـدَ الفاسـدَهْ
تخوَّف تُخمةَ أضـــيافه فعوَّدهم أَكلة واحـــده

رثاؤه الأسود ابن خلف

وذُكر أن حمَّاد عجرد كان يعاشر الأسود بن خلف لا يكاد يُفارقه ، فمات الأسود ، فقال حمَّاد يرثيه :

قلتُ لحنَّـانة دَلُوح تَسنح من وابل(١) سَفُوحِ
جاد علينـــا لهـا رَباب بوا كفٍ هاطل(٢) نَضُوح
أُمِّى الضريحَ الذى أُسمِّى ثم استهلِّى(٣) على الضَّريح
أُغدى بسُقياك فأصبَحيه ثم أَغبقيه مع(٤) الصَّبوح
ليس من العدل أن تَشِحِّى على أمرئٍ(٥) ليس بالشَّحيح

(١) الحنانة : الريح والسحابة ، شبهها مع صوت الرعد معها ، بالناقة تصوت عند الحنين . ودلوح : مثقلة بالماء . وتسنح : تعرض . وفى ذكر السنوح إشارة إلى يمنها .

(٢) الرباب : السحاب المتعلق الذى تراه دون السحاب . ونضوح : ممطرة .

(٣) استهل السحاب بالمطر : انهمر . والضريح الثانية ، أى المدفون ، وهو مرثيه . يشير إلى أنه كريم خالص النسب .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « الكسوح » .

(٥) فى التجريد : « على فتى » مكان « على امرىء » .

ما هجا به بشارا وما هجاه به بشار ومصيرهما

وذُكر أن عُلماء البصرة اجتمعوا على أنه ليس فى هجاء حمَّاد عجرد لبشّار شىء جَيِّد إلا أربعين بيتاً ، ولبشار فيه من الهجاء أكثرُ من ألف بيت جيد . وكان كل واحد منهما هو الذى هَتك صاحبه بالزَّندقة وأظهرها عليه ، وكانا يجتمعان عليها ، فسقط حمَّاد ، وتهتَّك بشَّار فى الزَّندقة فقُتِل بها .

هجاؤه ابن طلحة حين أبطأ بطعامه

وذُكر أنه نزل حمَّاد عجرد على محمد بن طَلحة، فأبطأ عليه بالطعام واشتد جوعه ، فقال فيه حماد :

زُرتُ امرأً فى بيته مرةً ... له حَيَاءٌ وله خِيرُ
يكره أن يُتخِم أضيافَه ... إنَّ أذى التُّخمة محذور
ويَشتهى أن يؤجَروا عنده ... بالصوم والصالح مَأجور

فقال له محمد : عليك لعنة الله ! أى شىء حملك على هجائى، وإنما انتظرت أن يُفرغ لك من الطعام ! فقال : الجوعُ وحياتِك حملنى عليه ، وإن زدت فى الإبطاء زدتُ فى القول . فمضى مُبادراً حتى جاء بالمائدة .

خبره مع محمد ابن السفاح

وذُكر أنه لما قُتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ ابن أبى طالب وَلَّى المنصورُ البصرةَ ابنَ أخيه محمدَ بن أبى العبَّاس السفاح ، وكان يُبغضه ، فأصحبه قوماً يُعاب بصُحبتهم مُجَّاناً وزنادقة — منهم : حماد عجرد ، وحماد ابن يحيى ، ونظراؤهم — ليَغُضَّ منه ويرتفع ابنُه المهدى عند الناس . وكان محمد بن السفَّاح مُحمَّقاً ، فكان يغلِّف لحيته إذا ركب بأوراق من الغالية ، فتسيل على ثيابه فيصير شُهرة . فلقَّبه أهلُ البصرة أبا الدِّبس[1] . فقال فى ذلك بعضُ شعرائهم :

صِرنا مع الرِّيح إلى الوَكْس ... إذ ولِى الأمر[2] أبو الدِّبْسِ
ما شئتَ من لَوم على نَفسه ... وجنسُه من أكرم[3] الجنس

(١) الدبس : عسل التمر وعصارته . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « المصر » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « وحبسه ... الحبس » .

فقال لأصحابه يوماً : قد عَزمت على أعتراض أهل البصرة بالسَّيف يوم الجُمعة فأقتُل كُلَّ من وجدت ؛ لأنهم خرجوا مع إبراهيم . فقالوا له : نعم ، نحن نفعل ذلك ؛ لما يعلمونه من حُمقه . ثم جاءوا إلى أمه أم سَلمة بنت أيوب بن سَلمة المَخْزومية فأعلموها ذلك ، وقالوا : والله لئن هَمَّ بهذا ليُقتلنَّ ولنُقْتلنَّ معه ، و إنما نحن من أهل البصرة أَكَلة رأس[1] . فخرَجت إليه أُمه وكَشفت عن ثَديها ، وأَقسمت عليه حتى كف عمَّا كان عَزم عليه .

شعره فى زينب بنت سليمان على لسان محمد بن السفاح

وكان محمد هذا يَهوى زينب بنت سُليمان بن علىّ بن عبد الله بن العبَّاس ، فخَطبها ، فلم يُزوِّجوه لضَعف عَقله . وكان حماد وحَكم الوادى يُنادمانه . فقال لحماد عَجْرد : قُل فيها شعراً . فقال فيها على لسانه :

زينب ما ذَنبى وماذا الذى ... غضبتُمُ فيه ولم تَغضبُوا
واللهِ ما أعرف لى عندكم ... ذنباً ففيم الهَجر يا زينب
إن كنتُ قد أغضبتُكم ضِلَّةً ... فاُستعتبونى إننى[2] مُعتب
عُودوا على جَهلى بأحلامكم ... إنى إذا[3] لم أذنبِ المُذنب

شعرمحمد فى زينب

وذُكر أن محمداً له فى زينب هذه شعر غَنَّى فيه المغنون ، وهو :

زينبُ ما لى عنك من صبرِ ... وليس لى منك سوى الهَجرِ
وجهُك والله وإن شَفَّنى ... أحسنُ من شَمسٍ ومن بَدرِ
لو أبصرَ العاذلُ منك الذى ... أبصرتُه أسرع بالعُذرِ

ولمحمد أيضاً فيها :

ياقَمرَ المِرْبد[4] قد هِجْت لى ... شوقاً فما انفكُّ بالمِرْبدِ

(١) أى قلة يكفينا الرأس .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « أعتب » مكان « معتب » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « وإن لم أذنب » .
(٤) المربد : موضع بالبصرة .

أُراقب الفرْقد من حُبِّكم   كأنَّنى وُكِّلت بالفَــرقد
أَهيم ليلى ونَهـــارى بكم   كأنَّنى منكمْ على مَوعــد
عَلِقتُها ريَّا الشَّوى(١) طَفْـلة   قريبةَ المَولد من مَولدى
جدِّى إذا ما نُسبت جـدُّها   فى النَّسب(٢) الثاقب والمَحْتِد
والله لا أَنسـاكِ فى خَلْوتى   يا نورَ عَيني لا ولا مَشْهدى

شعر حماد فى مدح محمد هذا

وكان محمد هذا جواداً مُمَدَّحاً ، وفيه يقول حمّاد عجرد يمدحه :

أرجوكَ بعـد أبى العبَّاس إذ بانَا   يا أَكرمَ النـاس أعراقاً وأغصانَا
فأنت أَكرمُ من يَمشى على قَدم   وأَنضرُ الناس عند المَحل عِيدانا
لو مَجَّ عُودٌ على قوم عُصـارتَه   لَمَجَّ عُودُكَ فينـا المِسك والبَـانا

شعر محمد فى عزله عن البصرة

وذُكر أن المنصور لما عَزل محمداً السفاح عن البصرة قال :

أيا وَقفة(٣) البَين ماذا شَبَبْتِ   من النَّـار فى كَبِد المُغرَم
رَميت جوانحَـه إذ رَميت   بقَوسٍ مُســدَّدة الأَسْهُم
وقفنـا لزينبَ يومَ الوَداع   على مِثل جَمر الغَضَى المُضْرم
فمن صِرْف دَمع جرى للفراق   ومُمـتزج بعــــده بالدَّم

رثاء حماد لمحمد

ثم تُوفى محمد بن أبى العبّاس سنة خمسين ومائة ، فقال حماد يَرْثيه :

يا سَمِيَّ النبيِّ يا بن أبى العبَّـ   ـاس حَقَّقتَ عنـدىَ المَحْذُورَا
سَلبَتْنى الهُمومُ إذ سلبتُ منـ   ـكَ سرورى(٤) فلستُ أرجو سُرورا
ليتنى متُّ حين متَّ أَلاَ بل   ليتَنى كنتُ قبلكَ المَقْبورا
أنت ظَلَّلتنى الغمــامَ بنُعمـا   كَ ووطَّأتَ لى وِطاءً وَثِـيرا

(١) الشوى : الأطراف . والطفلة : الناعمة .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « الحسب » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « أيا وقعة » .
(٤) فى التجريد : « إذ سلبتنيك هموى » مكان « إذ سلبت منك سرورى » .

لم تدعْ إذ مضَيتَ فينا نظيرا مثلَ ما لم يَدَعْ أبوكَ نَظيرا

هو وابن سليمان حين طلبه بقوله فى أخذ زينب

وذُكر أنه لما تُوفى محمد بن أبى العباس السَّفاح طَلب محمدُ بن سليمان بن علىّ حمادَ عجردٍ ، لما كان يقوله فى أخته زينب من الشِّعر عن لسان مُحمد بن أبى العبَّاس، فعلم حمَّاد أنه لا مُقام له معه بالبصرة ، فاستجار بقبر أبيه سليمان بن عليّ ، وقال :

مِن مُقرٍّ بالذَّنب لم يُوجبِ اللــهُ عليه بسيِّيء إقــرارَا
ليس إلّا بفضل حِلمك يَعتدُّ بلاءً وما يُعدُّ[1] اُعتِرارا
يا بن عمّ النبى إنّىَ[2] لا أجعلُ إلا إليك منك فِرارا
غيرَ أنى جعلتُ قبر أبى أيّوب لى من حوادثِ الدَّهر جارا
لم أجدْ لى من العبادِ مُجيراً فاُستجرتُ القبورَ[3] والأحجارا
لستُ أعتاض مثلكم فى ابتغاء العزّ[4] قحطانَ كُلَّها أو نزارا
يا بنَ عمّ النبى[5] يا خيرَ مَن حطَّت إليه الغواربُ الأكوارا
إن أكُن مُذنباً فأنت أبنُ مَن كان لمن كان مُذنباً غَفّارا
فاُعف عنّى فقد قدرتَ وخير العفوِ ماقلتَ كُن فكان اُقتدارا
لو يُطيل الأعمارَ جارٌ لعزٍّ كان جارى يُطوِّل الأعمارا

وكتب إليه أيضاً :

يا أبن عم النبى وأبنَ النبىّ لعلىّ إذا اُنتمى وعلىّ
أنتَ بدر الدُّجى المُضىء[6] إذا أظلم واُسودّ كل بدرٍ مضىّ
إنّ مولاك قد أساء ومن أعتب من ذنبه فغير مُسىّ
ثم قد جاء تائباً فاُقبل التَّوبة منه يا بن الوصىّ[7] الرضىّ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « اعتذارا » . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « يابن بنت النبى أحمد لا » .
(٣) فى غير التجريد : « التراب » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « فى بغية العزة » .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « يابن بنت النبى » . (٦) فى غير التجريد : « وشمس » .
(٧) فى غير التجريد : « واقبله يا بن الوصى » مكان « يابن الوصى الرضى » .

فقال محمد بن سليمان : والله لأبُلّن قبرَ أبي من دمه . فهرب إلى بغداد ، فعاذ بجعفر بن المنصور فأجاره . فقال : لا أرضى أو تهجو محمد بن سليمان . فقال يهجوه :

قل لوجه الخَصّى ذي العار إنّى سوف أُهدى لزينب الأشعارَا
كنتُ عند أستجارتى بأبى أ يّوب أبغى ضلالةً وخَسارا
لم يُجرنى ولم أجد فيه حظًّا أضرمَ اللهُ ذلك القبرَ نارا

وبلغ ذلك محمداً فقال : والله لا يُفلتني أبدا ! ولا والله لا أعفو عنه ولا أتغافل أبداً ! فقيل : إنه بعث إليه مَن قتله غِيلة . وقيل إنه أستتر مدة عند جعفر . ثم خرج يريد البصرة فمرّ بشيراز فى طريقه . فمرض بها ومات هناك .

هو وبشار حين نعاه وهو حي

وقال بشار لمّا بلغته وفاته ، ولم يكن بعدُ مات :

لو عاش حمّاد لهَوْنا به لـكنّه صار إلى النارِ

فبلغ ذلك حماداً وهو فى السِّياق ، فقال يرُد عليه :

نُبِّئت بشاراً نَعـانِى ولد موت بَرانى الخالقُ البارِى
ياليتنى متُّ ولم أهجـه نعم ولو صِرْتُ إلى النـار
وأىّ خِزىٍ هو أخزى من أن يقال هـذا (١) سِبُّ بشّار

شعره الذي فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار حمّاد عجرد ، هو قوله فى محمد بن أبى العباس :

* أرجوك بعد أبى العباس إذ بانا *

الأبيات التى تقدم ذكرها (٢) .

(١) فى غير التجريد : « يقال لى : ياسب » . (٢) انظر (ص ١٦٠٢) .

أخبار حريث بن عناب

نسبه

ثم ذكر أبو الفرج حُريث بن عنّاب ـ بالنون ـ بن مَطر بن سلسلة . أحد بنى نَبهان بن عمرو بن الغَوث بن طيىء .

شىء عنه

وهو شاعر إسلامىّ من شعراء الدولة الأموية مُقلّ ، غير معدود ولا مذكور من الشعراء ؛ لأنه كان غير متصدّ لمدح ولا هجاء .

شعره الذى فيه الغناء وحديثه

وكان هَوِىَ ابنة عم له يقال لها : حُبَّى بنت الأسود ، من بنى بُحتر ، من طيىء ، ثم خَطبها ، فوعده أهلها أن يزوّجوه بها ، ووعدته هى ألّا تُجيب أحداً إلا له . ثم خطبها رجل من بنى ثُعل ، فآثرته ومالت إليه . وخيّرها أهلها بينه وبين حُريث ، فاختارت الثُّعلى . فقال حُريث الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره ، وهو :

هل قَلبُك اليوم من شَنباء (١) مُنصرفُ ... وأنت ما عشتَ مجنون بها كَلِفُ
ما تذكر الدهرَ إلّا صَدَّعت كبداً ... حرَّى عليك وأذرت أدمعاً تَكِفُ

وبعد هذين البيتين :

يَدوم وُدّى لمن دامت مودتُه ... وأصرِفُ النفس أحياناً فتنصرف
يا ويحَ كُلِّ مُحب كيف أرحمه ... لأننى عارفٌ صِدقَ الذى يَصف
لا تأمنن بعد «حُبَّى» خُلّةً (٢) أبداً ... على الخيانة إن الخائن الطَّرَف
كأنها ريشةٌ فى أرض (٣) بَلقعة ... من حيث واجهتْها الريحُ تنصرف

(١) الشنباء : ذات الشنب ، وهو حدة الأسنان . وقيل : بردها وعذوبتها .
(٢) الخلة : الصديقة . والطرف : اللسان ، والفرج .
(٣) فى التجريد : « فى عرض » .

أخبار جعفر بن الزبير بن العوام

نسبه

جعفر بن الزبير بن العوام بن خُويلد بن أَسد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ ابن كِلاب .

أمه

وأُمه زينب بنت بِشر بن عبد عَمرو بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب ابن على بن بكر بن وائل (1) .

بخله

وكان مُبَخَّلاً .

فذُكر أنه لم يكن أحدٌ من الناس أبخلَ من آل الزبير . خُصوصاً عبدَ الله ابن الزبير . ولم يكن فيهم جواد غير مُصعب .

شيء عنه ومقتله

وشهد جعفر مع أخيه عبدِ الله حُروبَه . واُستعمله عبدُ الله على المدينة . وقاتل يوم قُتل أخوه عبد الله بن الزبير حتى جَمد الدمُ على يده .

شعره فى زواج الحجاج بنت عبد الله بن جعفر

وذُكر أنه لما تزوَّج الحجاجُ بن يوسف ـ وهو أمير المدينة ـ بنتَ عبد الله بن جعفر بن أَبى طالب ، أتى رجلٌ سعيدَ بن المُسيِّب ـ رحمه الله ـ فذَكر ذلك له ، فقال : إنى لأرجو ألاَّ يجمع الله بينهما ، ولقد دعا بذلك داعٍ وابتهل ، وعسى الله ، فإن أباها لم يُزوِّج إلا الدراهم . فلما بلغ ذلك عبدَ الملك بن مروان كتب إلى الحجَّاج يُغلظ عليه ، ويذكُر تجاوزه قدَره ، ويُقسم عليه بالله لئن هو مَسَّها ليقطعنَّ

---

(1) كذا ساق نسبها أبو الفرح . والذى فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص ١١١) : « زينب بنت بشر بن عبدعمرو بن مرثد الضبيعة ». ويسوق ابن حزم ولد ضبيعة بن قيس بن ثعلبة (ص ٣٠٠ — ٣٠١) فنراه أعقب مالكاً ، وأعقب مالك سعداً ، وأعقب سعد مرثدا ، وأعقب مرثد عمراً ، وأعقب عمرو بشراً ، وأعقب بشر عبد عمرو . وإذا تجاوزنا عن اضطراب الجمهرة فى بشر وعبد عمرو ، أيهما أب وأيهما ابن ، نرى أن أبا الفرج : أسقط بين « عمرو » و « قيس » أربعة أجداد ، هم : مرثد ، وسعد ، مالك ، وضبيعة .

أحبَّ أعضائه إليه ، و يأمره بتسويغ أبيها المَهر ، و بتعجيل فِراقها . ففعل . فما بقى أحدٌ فيه خير إلّا سرّه ذلك . فقال جعفرُ بن الزبير فى ذلك :

وجـدتُ أميرَ المُؤمنين ٱبن يُوسف حَمِيًّا من الأمر الذى جِئتَ[1] ينكَفُ

ونُبِّئتُ أنْ قد قال لما نكحتَها وجاءت به رُسْلٌ تَخُبُّ[2] وتُوجِف

ستعلم أنّى قد أنفت لِمَا جرى ومثلُك منه ـ عمرَكَ الله ـ يُؤْنَف

أبنتَ المُصفَّى ذى الجَناحَيْن تبتغى لقد رُمْتَ خَطْباً قدرُه ليس يُوصَف

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وٱفتتح به أبو الفرج أخبارَ جعفر ، هو :

هل فى ٱدّكار الحَبيب من حَرَجِ أم هل لهمِّ الفُؤاد من فَرَجِ

أم كيف أنسى رحيلَنا ظُهراً يوم حَلَلنا بالنَّخل من[4] أَمج

يوم[5] يقول الرّسول قد أَذِنَتْ فأتِ على غير رِقْبةٍ فَلِجِ

أقبلتُ أسعى إلى رحالهمُ فى نَفْحةٍ[6] من نَسيمها الأَرِجِ

* * *

ثم ذكر أبو الفرج لمضاض بن عمرو بن الحارث بن مُضاض بن عمرو الجُرهمىّ شعراً يُغنَّى فيه ، وهو :

كأن لم يكن بين الحَجُون[7] إلى الصَّفا أنيسٌ ولم يَسمُرْ بمكةَ سامِرُ

بلَى نحنُ كنَّا أهلَها فأبادنا صُروفُ اللّيالى والجُدودُ العواثر

فٱقتضى ذلك ذِكر خبر مُضاض بن عمرو ، فأذكُره مُختصراً .

---

(١) حمياً : أنفاً . ونكف عن الأمر : عدل عنه .
(٢) الخبب والإيجاف : ضربان من السير السريع .
(٣) فى التجريد والأغانى : « حرما » . وما أثبتنا من معجم البلدان
(٤) أمج : من أعراض المدينة . ورواية البيت فى معجم البلدان :

ولست أنسى مسيرنا ظهراً حين حللنا بالسفح من أمج

وقد تردد ياقوت فى نسبة هذا الشعر بين جعفر وابن قيس الرقيات .
(٥) فى معجم البلدان : « حين » . (٦) فى معجم البلدان : « لنفحة » .
(٧) الحجون : جبل بأعلى مكة . والصفا : مكان مرتفع من جبل أبى قبيس .

ذكر خبر مضاض بن عمرو الجرهمي

قيل :

خبره بمكة

إن إبراهيم الخليل ــ عليه السلام ــ لمّا نزل أبنُه إسماعيل ــ عليه السلام ــ وأُمّه هاجَر بمكة ، وتزوَّج إسماعيل بها رَعْلَةَ بنت مُضاض بن عمرو الجُرهميّ الأكبر ، فولدت له أثنى عشر رجلاً ، منهم : قيدر ، الذى من ذُريته محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ونابت . وتعلّم إسماعيل عليه السلام منهم اللغة العربية ، وكان لسانُه ولسان أبيه عبرانيًّا . وكانت جُرهم نزلت مع مَلكهم مُضاض هذا بأعلى مكة ، ونزلت قَطُوراء مع مَلِكهم السَّميدع أسفلَ مكة . وكان هذان الحيّان خَرجا سيّارةً من اليمن ، فلمّا رأوا بلداً طيّباً وماء وشجراً نَزلوه ، ورَضى كُلٌّ واحد منهم بصاحبه ولم يُنازعه . فكان مُضاض يَعْشُر[1] من جاء من أعلى مكة ، وكان السَّميدع يعشُر من جاء من أسفلها ، ولا يدخل أحدُهما على صاحبه فى أمره . وكانت ولايةُ البَيت لنابت بن إسماعيل بعد أبيه إسماعيل عليه السلام . ثم لما تُوفِّى نابت قام بأَمر البيت جدُّه لأمه مُضاض بن عمرو الجُرهمى ، وضَم ولدَ إسماعيل عليه السلام وولدَ نابت إليه . ثم إنّ جُرهماً وقَطوراء ، بَغى بعضُهم على بعض وتنافسوا المُلك وتقاتلوا ، فقُتل السَّميدع ، ثم تداعَوْا إلى الصُّلح فاْصطلحوا على أن يكون مُضاض هو الملك وحدَه وتجتمع عليه كلمة الجميع . واستمرّ المُلك بمكة بجُرهم مدةً طويلة حتى بغَوا واستحلُّوا المحارم وانتهكوا حُرمة البيت . وكان للبيت خِزانة ، وهى فى بئر فى بَطنه ، يُلقَى فيها الحُلِيّ والمتاع الذى يُهدى له ، وهو يومئذ

---

(١) عشر القوم : أخذ عشر أموالهم .

لا سقفَ عليــه . فتواعد خمسة من جُرهم أن يسرقوا ما فيه ، فقام على كل زاوية من البيت رجلٌ منهم وأقتحم الخامس . فجعل الله تعالى أعلاه أسفلَه وسقط مُنكّساً فهلك ، وفرّ الأربعة الآخرون .

ودخل إساف ونائلة البيتَ ففجرا فيــه فمسخهما الله تعالى حَجرين ، وأُخرجا من البيت ونُصبا ليعتبر بهما من رآهما ، أو يَزدجر الناسُ عن مثل ما أرتكبا . فلما دعا عمرو بن لُحَيّ إلى عبادة الأصنام قال للناس : إنهما إنما نُصبا هاهنا لأن آباءكم كانوا يعبُدونهما ، فعُبدا من دون الله .

ولمــا كثُر بَغى جُرهم بمكة قام فيهم مُضاض الأصغر - وهو مُضاض بن عمرو أبن الحارث بن مُضاض - فحذَّر قومَه البغى ، ووعظهم وذكّرهم فِعــل الله تعالى بالعماليق قبلَهم ؛ فإنهم كانوا بغَوْا فى الحَرم فسلّط الله عليهم الذّر فأخرجتهم منه ، ثم رُمُوا بالجَــدْب ، و بُعث الغيث أمامهم ، فجعلوا يطلبونه ولا يجــدونه أبداً ، ويكون أمامهم فيطلبونه ، و يُساقون بالجَدب من خلفهم ، حتى ردَّهم الله إلى مَساقط رءوسهم . ثم أُرسل عليهم الموت . ولمــا رأى مُضاض بغيَهم ومُقامهم على القبيح عَمد إلى كُنوز الــكعبة ، وهى غِزْلان من ذهب وأسياف قَلَعيّة[1] ، فحفر لهــا ليلاً فى موضع زَمزم ودَفنها . فبينما هم كذلك إذ سارت القبائل من اليمن حين خافوا سَــيل العَرِم ، وعليهم مُزَيقياء — وهو عمرو بن عامر بن ثعلبــة ، وهو الذى تَنتسب إليه خُزاعة — فقدموا مكةَ وطلبوا من جُرهم النُّزولَ بها معهم إلى أن يختاروا موضعاً يَقْصِدونه . فأَبت ذلك جُرهم إباءً شديداً ، ومَنعوهم النُّزول معهم ، فاقتتلوا ثلاثة أيام ، ثم أنهزمت جُرهم ، فلم يفُلت منهم إلّا الشَّريد . وكان مُضاض الأصــغر قد أعتزل حَربهم ، ولم تُغنهم مخالفتهم إياه وأمتناعهم من قَبول

(١) قلعية : نسبة إلى القلعة ، بفتح القاف واللام : موضع بالبادية تنسب السيوف إليه .

ما أمرهم به من تعظيم الحَرم. ثم رَحل هو وولدُه وأهلُ بيته حتى نزلوا قَنَوْنَى(١)، وأفنى الباقين السيفُ فى تلك الحروب. ولما حازت خُزاعةُ أمرَ مكة جاءهم بنو إسماعيل — عليه السلام — وكانوا مُعتزلين حربَ جُرهم وخُزاعة، فسألوهم السُّكنى معهم وحولهم، فأذنوا لهم. فلما رأى ذلك مُضاضُ بن عمرو أرسل إلى خُزاعة يستأذنها المُقام بمكة، ويمُتُّ إليهم بمَنعه قومَه عن حربهم ونَهْيه إياهم عن الفساد وسُوء العشرة فى الحرم، فأبت خزاعة ذلك وأهدروا دَم كُل جُرهميّ وُجد فى الحَرم. فندّت إبلٌ لمُضاض بن عمرو تُريد بمكة، فخرج فى طلبها حتى وجد أثرها وقد دخلت مكة، فصعِد على جبل أبى قُبَيس وأشرف على مكة، ورأى الإبل تُنحر وتُؤكل، لا سبيل له إليها، فأنشد الشعر الذى تقدّم ذكره، وقال أيضاً :

يأيُّها الحىُّ سِيرُوا إن(٢) قَصْرَكمُ ... أن تُصْبحوا ذاتَ يوم لا تَسيرونَا
إنَّا كما كنتمُ كُنَّا فغيَّرنا ... دهرٌ فسوف كما صِرْنا تَصيرونا
ازْجُوا(٣) المَطِىَّ وأَرْخُوا من أزِمَّتها ... قبل المَمات وقَضُّوا ما تُقَضُّونا
قد مال دهرٌ علينا ثم أهلكنا ... بالبَغى فيه فقد صِرْنا(٤) أفانينا
كُنَّا زماناً ملوكَ النّاس قبلكمُ ... نَأْوِى بلاداً حَراماً كان مَسْكونا

(١) قنونى : من أوديه السراة، يصب إلى البحر فى أوائل أرض اليمن من جهة مكة .
(٢) قصركم، أى غايتكم وآخر أمركم .
(٣) أزجوا المطى : سوقوها وادفعوها فى رفق ولين .
(٤) أفانين، أى كلاماً وحديثاً قد تنوعت أساليبه. يريد أنهم قد مضوا وبقى حديثهم على الألسنة نقصه ونلون فيه .

ذكر خبر أحيحة بن الجلاح مع تبع

حربه أهل يثرب وحديث ذلك

قيل :

إن تُبَّعًا الأخير — وهو أبو كَرِب بن حسان بن تُبَّع بن أسعد الحِمْيَرى — خرج من اليمن يريد المشرق[1] ، كما كانت التبابعة تفعل ، فمر بالمدينة ، فخلَّف بها ابنه ، ومضى حتى قدم الشام ، ثم سار من الشام إلى العراق ، فنزل المُشَقَّر[2] ، فقُتِل ابنُه غِيلةً بالمدينة . فبلغه وهو بالمُشَقَّر مقتلُ ابنه . فكرّ راجعًا إلى المدينة ، وهو مُجمِع على إخرابها وقطع نخلها واستئصال أهلها وسَبْى الذُّرية ، فنزل بسَفح أُحُد ، فاحتفر بها بئرًا — وهى البئر التى يُقال لها : بئر الملك — وأرسل إلى أشراف أهل المدينة ليأتوه . فكان ممّن أرسل إليه زيد بن ضُبيعة بن زيد بن عمرو بن عوف ، وابن عمه زيد بن أُمية بن زيد ، وابن عمه زيد بن عبدالله بن زيد — وكانوا يُسمَّون بالأزياد — وأُحيحة بن الجُلاح بن الحَريش بن جَحْجبى بن كُلفة بن عوف بن عمرو ابن عوف بن مالك بن الأوس ، ويكنى أبا عمرو . فلما جاء رسولُه قال الأزياد : إنما أرسل إلينا ليُمَلِّكنا على أهل يثرب . وقال أُحيحة : والله مادعاكم لخير . فخرجوا إليه ، وخرج إليه أُحيحة ، ومعه قَينة له وخِباء وخمر ، فضَرب الخِباء وجعل فيه القَينةَ والخَمر ، ثم خرج حتى استأذن على تُبَّع . فأذن له ، وأجلسه معه على زَرْبيّة[3] تحته ، وتحدَّث معه ، وسأله عن أمواله بالمدينة . فجعل يُخبره عنها ، وجعل تُبع كلما أخبره عن شىء منها يقول : كل ذلك على هذه الزَّربية . يريد بذلك تُبع قتلَ أحيحة . وفَطِن

(*) وقيل هذا ذكر أبو الفرج أخبار « بصبص » جارية ابن نفيس . وقد مر عنها ابن واصل ولم يشر .

(1) فى الأصل : « الشرق » . (2) المشقر : حصن بين نجران والبحرين .

(3) الزربية : البساط ذو الخمل . وقيل : الطنفسة لها خمل رقيق .

شعره الذى فيه الغناء

أُحيحة أنه يريد قتله . فخرج من عنده فدخل خباءه فشرب الخمر . وقال أبياتاً ، وأمر القَيْنة أن تُغنيه بها . وجعل تُبَّع عليه حَرساً . وكانت قَيْنته تُدعى مُليكة . فقال أُحيحة ، وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أحيحة :

يَشتاق قَلبى إلى مُليكة لو | أمست قريباً ممن يطالبُها
ما أحسنَ الجيدَ من مُلَيكةَ واللّـ | ـبّات إذ زانها ترائبُها
يا ليتنى ليلةً إذا هجع النا | س ونام الكلابُ صاحبُها
فى ليلةٍ لا يُرى بها أحد | يَسعى علينا إلّا كواكبُها

ومنها ممّا ليس فيه غناء :

لِتَبْكنى قَينةٌ[1] ومِزهرُها | ولْتبكنى قهوةٌ وشاربُها
ولْتبكنى عُصبةٌ إذا اجتمعت | لم يَعلم الناسُ ما عواقبُها

ولم تزل القينةُ تغنّيه بذلك يومَه وعامّة لَيلته . فلما نام الحرسُ قال لها : إنّى ذاهبٌ إلى أهلى فشُدِّى عليك الخباء ، فإذا جاء رسولُ الملك فقولى : هو نائم . فإذا أَبَوْا إلا أن يُوقظونى فقولى : قد رجع إلى أهله ، وأرسلنى إلى الملك برسالة ، فإذا ذهبوا بك إليه فقولى له : يقول لك أُحيحة : اُغدرْ بقَينة أَو دَع . ثم انطلق فتحصَّن فى أُطمه الضَّحْيان . فأرسَل تُبَّع فى جَوف الليل إلى الأَزياد فقتلهم . وأَرسَل إلى أُحيحة ليقتُلَه ، فخرجت إليهم القينة فقالت : هو راقدٌ . فانصرفوا وتردّدوا إليها مراراً ، كُلَّ ذلك تقول : هو راقد . ثم عادوا وقالوا : لتُوقظنّه أو لندخلنّ عليك . فقالت : فإنه قد رَجع إلى أهله وأَرسَلنى إلى الملك برسالة . فذهبوا بها إلى الملك . فلما دخلوا بها عليه ، سألها عنه . فأخبرته بخبره وقالت : يقول لك : اُغدر بقَينةٍ أو دع . فذهبت مثلا . وجرّد له تُبع كَتيبةً من خَيله ،

(١) فى التجريد : « قهوة » .

ثم أرسلهم فى طلبه ، فوجدوه قد تحصّن فى أُطمه ، فحاصروه ثلاثة أيام ، يُقاتلهم بالنهار ويَرميهم بالنَّبل والحجارة ، ويرمى إليهم بالليل التمر . فلما مضت الثلاثُ رجعوا إلى تُبع وقالوا : بعثتنـا إلى رجل يقاتلنا بالنهار ويُضيفنا بالليل . فتركه ، وأمرهم أن يحرقوا نخله .

ونشبت الحربُ بين أهل المدينة : أوسِها وخَزرجهـا ويهودها وبين تُبع . وتحصنوا فى الآطام . وجَدّ تُبع فى قتالهم وصَمَّم على استئصالهم وإخراب المدينة . فأتاه حَبْران من اليهود فقالا له : أيها الملك ، انصرف عن هذه البلدة فإنها محفوظة، وإنا نجد اسمها كبيراً فى كتابنا ، وإنهـا مُهَاجر نبيّ من بنى إسماعيل اسمه أحمد يخرج من هـذا الحرم من نحو البيت الذى بمكة ، تسكون داره وقراره ، يتبعه أكثرُ أهلها . فأعجبه ما سمع منهما وكَفّ عن أذى المدينة . فاختلط أهلُ المدينة بعسكره فبايَعُوهم وخالطوهم، وخَرج تُبّع يريد اليمن ومعه الحَبران . فجاءه نَفر من هُذيل فقالوا له: اجعل لنا جُعلا بذلك على بيت مال فيه كُنوز من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد والذهب والفضـة ، ليست لأهله مَنْعة ولا شرف . فجعل لهم على ذلك جُعلا . فقالوا له : هذا البيت الذى تَحُجّه العرب بمكة . وأرادوا بذلك هلاكه . فتوجه نحو مكة فأخذته ظُلمة منعته من السَّير . فدعا الحَبرين فسألهما . فقالا له : هذا لِمَـا أجمعت عليه فى هذا البيت ، والله مانعهُ بعدُ منك ، ولن تصل إليه ، فاحذر أن يُصيبك ما أصاب من انتهك حُرمات الله ، وإنما أراد القوم الذين أمروك بهذا هلاكك ، لأنه لم يَرْمه أحدٌ قطُّ بشر إلا أهلكه الله ، فأكْرِمْه وطُف به واحلق رأسك عنده . فترك الذى كان أجمعَ عليه وأمر بالهُذليين فقَطع أيديهم وأرجلهم . ثم خرج يسير حتى أتى مكة . فنزل الشِّعب من الأبطح وطاف بالبيت وحلق رأسه . وكسا البيت الخَصَف(١). ثم أُتى فى النوم وقيل له : اكسُه أحسن

(١) الخصف : الثياب الغلاظ ، تشبيهاً بالخصف المنسوج من الخوص .

من هذا . فكساه الوصائل . وهى بُرود العَصْب[١] سمِّيت الوصائل لأنه يوصل بعضها إلى بعض ، وأقام بمكة ستة أيام يُطعم الطعام وينحر كلَّ يوم ألف بعير .

ثم سار إلى اليمن ، وهو يقول :

ونَحرنا بالشِّعب ستة آلا ف ترَى الناسَ نحوهنّ وُرودَا
وكَسونا البيتَ الذى حَرّم اللّـــهُ مُــلاءً معضّداً وبُرودَا
وأقَمْنــا به من الشّهر سِتًّا وجَعلنـــا لِبَابِه[٢] إقليدا
ثم أبْنا منــه نؤمُّ سُهيلا قد رَفعنـــا لواءنا المَعْقودا

ثم تهوّد تُبّع وأهلُ اليمن بذينك الحَبرين .

---

(١) العصب : برود يمنية يعصب غزلها ، أى يجمع ويشد، ثم يصبغ وينسج فيأتى موشيا، لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ .

(٢) الإقليد : المفتاح .

(*) أخبار الخنساء
ومقتل أخويها

نسبها

هى الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشَّريد بن رياح بن يَقظة بن عُصْبة بن خُفاف بن امرىء القيس بن بُهْثة بن سُليم بن مَنصور بن عِكرمة بن خَصفة بن قَيس عَيلان بن مُضر. واسمها تماضر. والخنساء لقبٌ لها. وقد تقدم ذكرُ خُطبة دريد لها وما قاله من الشِّعر فيها.

شعرها الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبارَ الخَنساء، تقوله فى أخيها صَخر بن عمرو ترثيه لمّا قُتل، وهو:

أعينىّ جُودَا ولا تَجْمُدا ... ألاَ تبكيان لصَخْر النّدَى

ألا تَبْكيان الجرىء الجَميل ... ألا تَبْكيان الفتَى السّيدا

موت أخيها صخر ورثاؤها له

وذُكر أنّ صخر بن عمرو اكتسح أموالَ بنى أسد وسَبى نساءهم، فأتاهم الصَّريخُ وتَبعوه وتلاحقوا، فاقتتلوا قتالا شديداً، فطَعن ربيعةُ بن ثور الأسدى صخراً فى جَنبه. ثم افترقوا. ومرض صخر من طَعنته تلك قريباً من حَول، حتى ملّه أهلُه. فسمع يوماً امرأةً وهى تسأل سلمى امرأته: كيف بعلك؟ فقالت سلمى: لا حَىّ فيُرجى ولا ميت فيُنعى! لقينا منه الأمَرّين. فلما سمع صخرٌ مقالة زوجته قال:

أرى أُم صَخر ما تَملّ عيادتى ... وملّت سُليمى مَضْجعى ومكانِى

(*) ساق قبل هذا أبو الفرج خبر سلامة، وخبر محمد بن الأشعث، ثم نسب عدى بن نوفل، فى أسطر.

وما كنتُ أخشى أن أكونَ[1] جِنازةً عليكِ ومن يَغترّ بالحَدثان
أهُمّ بأمر الحزْم لو أستطيعه وقد حِيل بين العَيْر والنّزوان
لَعمرى لقد نبّهتُ من كان نائماً وأسمعتُ من كانت له أُذنان
وللموتُ خيرٌ من حياةٍ كأنها مَحِلّة يَعسوب[2] برأس سِنَان
وأى امرىء ساوَى بأم حَليلةً فلا عاش إلا فى أذًى وهَوان

فلما طال عليه البلاء وارتفعت قطعةٌ من اللحم مثل اللِّبْد فى جَنبه فى موضع الطعنة، قالوا : لو قطعتَها لرجونا أن تبرأ ؟ فقال : شأنكم . فأشفق عليه بعضهم من ذلك ، فأبى وقال : الموتُ أهون علىّ مما أنا فيه . فأحموا له شَفرة ثم قطعوها ، فمات . فقالت الخنساء ترثيه بقصيدة أولها :

قَذًى بعَينك أم بالعَين عُوّار أم أقفرت إذ خَلت من أهلها الدّارُ

ومنها :

وإنّ صخراً لمولانا وسيدنا وإنّ صخراً إذا نَشْتُو لنَحّار
وإنّ صخراً لتأتمّ الهُداة به كأنه عَلَمٌ فى رأسه نار
لم ترهُ جارة يمشى بساحتها لريبةٍ حين يُخلِى بَيتَه الجار
طَلْق اليدين بفعل الخير ذو فَخَر ضَخْم الدّسيعة[3] بالخيرات أمّار

وقالت أيضاً الأبيات التى تقدّم ذكرها ، وتمامها :

طويل النّجاد رفيعُ العِماد سَاد عشيرَته أمْردَا
إذا القومُ مدُّوا بأيديهمُ إلى المَجْد مدّ إليه يدا

(١) الجنازة ، كما تكون للميت تكون لكل ما قد ثقل على القوم فاغتموا به .
(٢) اليعسوب : سيد القوم . وكان الرئيس إذا قتل حمل رأسه على سنان . يعنى أن الموت خير من حياة هى كالموت .
(٣) الفخر ، بفتحتين ، مثل الفخر ، بالفتح والسكون . والدسيعة : العطية .

فنــال الذى فوق أيديهمُ من المَجـد ثم مَضَى مُصْعِدا
يُحَمِّله القـــومُ ما عالهم وإن كان أصغَرهم مَوْلِدا
ترى المجـدَ يَهوى إلى بَيْته يرى أفضلَ الكَسب أن يُحْمَدا
فإنْ ذُكر المجـــدُ ألفيْتَه تأزّر بالمَجــد ثم ارتدى

خبر مقتل معاوية أخيها

وأما خبر معاوية بن عمرو ، أخى الخنساء فى مقتله :

فذُكر أن معاوية وافَى عُكاظ فى موسم من مواسم العرب ، فبينا هو يَمشى بسُوق عُـكاظ إذ لقى أسماء المُرّية ، وكانت جميلةً ـ وقيل : إنها كانت بغيًّا ـ فدعاها إلى نفسه ، فامتنعت عليه وقالت : أمَا علمتَ أنّى عند سيد العرب هاشم ابن حرْملة . فأحفظته . فقال : أما والله لأقارعنّه عنك . فقالت : شأنك وشأنه . فرجعت إلى هاشم وأخبرتْه بما قال لها معاوية وما قالت له . فقال هاشم : لَعمرى لايَريم (١) أبياتنا حتى ننظُر ما يكون من جهده . فلما خَرج الشهر الحرام وتراجع الناس عن سُوق عكاظ خَرج معاويةُ بن عمرو غازياً يُريد بنى مُرة وبنى فزارة ، فى فُرسان من أصحابه من بنى سُليم ، حتى إذا كان بمكان دوَّمت عليه طير وسَنح له ظَبى ، فتطيّر منهما ورجع فى أصحابه . وبلغ ذلك هاشمَ بن حرملة . فقال : ما منعه من الإقدام إلا الُجبن . فلما كان فى السنة القابلة غزاهم ، حتى إذا كان فى ذلك المكان سَنح له ظبى وغُراب فتطيّر ورجع ، ومضى أصحابه ، وتخلف فى تسعة عشر منهم لايُريدون قتالاً (٢) إنما تخلف عن عُظْم الجيش راجعاً إلى بلاده (٢) . فوردوا ماء ، وإذا عليه بيت شَعر ، فصاحوا بأهله . فخرجت إليهم امرأة . فقالوا : ماأنت؟ ومن أنت ؟ فقالت : أنا امرأة من جُهينة ، أحلاف لبنى سهم بن غَطفان ، وردُوا يسقون . فانسلّت وأتت هاشم بن حرملة فأخبرته أنهم غير بعيد ، وعرّفته عدّتهم وقالت : لا أُراه إلا معاوية فى القوم . فقال : يالَـكاع ، أمعاوية فى تسعة عشر

(١) لا يريم : لا يبرح . (٢) لم ترد هذه العبارة فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

رجلاً ! شُبِّهت أو أبطلت. قالت : بل قلت الحق ، ولئن شئت لأصفنّهم رجلا رجلا . قال : هات . قالت : رأيت فيهم شاباً عظيم الُجمة قد خرجت من تحت مِغفره [١] ، صبيح الوجه ، عظيم البطن ، على فرس غراء . قال : نعم، هذه صفته . يعنى معاوية وفرسه الشماء . قالت : ورأيت رجلا شديد الأُدمة شاعراً يُنشدهم . قال: ذلك خُفاف بن عُمير . قالت : ورأيت رجلا ليس يبرح وسطهم إذا نادوه ورفعوا أصواتهم . قال : ذلك عباس بن الأصم . قالت : ورأيت شاباً جميلاً له وَفرة حَسنة. قال : ذلك العبّاس بن مرداس السُّلمى . قالت : ورأيت شَيخاً له ضَفيرتان فسمعته يقول لمعاوية : بأبى أنت ، أطلت الوقوف . قال : ذلك عبدالعُزى زوج الخنساء ، أُخت معاوية .

فنادى هاشم فى قومه و خرج . ولم يشعر السّلميون حتى طلعوا عليهم . فثاروا إليهم ، فلقوهم فاقتتلوا ساعة ، وانفرد هاشم ودُريد ، أبنا حرملة المُريّان ، بمعاوية ، فاستَطرد [٢] له أحدُهما ، فشدّ عليه معاوية وشَغله ، واغترّه الآخر فطَعنه فقتله . وشد خُفاف بن عُمير بن الحارث بن الشَّريد ، وهو ابن نُدبة ، وهى أَمة سوداء ، على مالك بن حمّاد ، سيد بنى سَمخ بن فزارة ، فقتله ، فقال خُفاف فى ذلك :

أقول له والرُّمح يأطِرُ [٣] مَتْنَه ... تأمّل خُفافاً إنَّنى أنا ذلكا
تيمّمتُ كَبش [٤] القوم لمّا عرفته ... وجانبتُ شُبّان الرجال الصّعالكا
فجادت له يُمنى يدىّ بطَعنة ... كستْ مَتْنهمن أَسوداللونِ حالكا
أنا الفارسُ الحامى الحقيقة والذى ... به أدركُ الأبطالُ قِدْماً كذالكا

---

(١) المغفر : مثل القلنسوة ، غير أنها أوسع ، يلقيها الرجل على رأسه فتبلغ الدرع ، ثم يلبس البيضة فوقها .
(٢) الاستطراد : ضرب من المكيدة ، وذلك أن يستطرد الفارس ليحمل عليه قرنه ثم يكر عليه ، وذلك أنه يتحيز فى استطراده إلى فئة وهو ينتهز الفرصة لمطاردته .
(٣) أطر الشىء : حناه وقوسه . يصف متنه وقد انثنى من الطعنة .
(٤) كبش القوم : سيدهم .

فخرَّ صريعاً وانتقدنا جَواده ... وحالف بعد الأهل صُمًّا[(١)] دَكادكا

فإن يَنْج منها هاشم فبطعنة ... كَسَتْه نجيعاً من دم الجوف[(٢)] صائكا

وقد ذُكر أن الذى استطرد لمعاوية كان به طعنةٌ طعنه إياها مُعاوية .

وشعر خُفاف يدل على أن هاشماً هو الذى طعنه معاوية ، فيكون قاتل معاوية هو دُريد . والناس مختلفون فى ذلك .

وقالت الخنساء ترثى أخاها مُعاوية بقصيدة أولها :

ألا ما لعَينك أمْ مالها ... لقد أخضل الدمعُ[(٣)] سِرْبالَها

ومنها :

فإن تك مُرّةُ أودت به ... فقد كان يُكثر[(٤)] تَقتالها

فزال الكواكبُ من فَقده ... وجُلِّلت الشمسُ أجلالها

وكان مقتل معاوية بن عمرو قبل مقتل أخيه صخر .

طلب صخر بدم معاوية وشعره فى ذلك

قيل : فلما دخل الشهر الحرام من السنة المُقبلة خرج صخر بن عمرو حتى أتى بنى مُرة بن عوف ، فوقف على ابنى حرملة ، فإذا بأحدهما طَعنه فى عضده . فقال : أيكما قَتل أخى معاوية ؟ فسكتا ولم يُجيباه . فقال الصحيح للجريح : مالك لا تُجيبه ؟ فقال : وقفتُ له فطعَننى هذه الطعنة فى عضدى، وشدّ عليه أخى فقتله . وأيّنا قتلتَ أدركت ثأرك ، إلا أنّا لم نَسْلُب أخاك . قال : فما فعلت فرسه الشماء ؟ قال : هى تلك ، خذها . فردّها عليه . فرجع . فلما أتى صخرٌ إلى قومه قالوا له :

(١) انتقدنا ، أى أخذنا . والصم : الحجارة . والدكادك : الغلاظ . يريد : ما يواريه فى قبره .

(٢) صائك : لازق .

(٣) سربالها ، أى جفنها .

(٤) التقتال : القتل .

أهجهم . قال : إنما أنفُسنا أجلُّ من القَذع[١] ولو لم أكفُف نفسى إلا رغبةً عن الخَنَى لفعلتُ وكَففت . وقال صخر فى ذلك :

وعاذلةٍ هبَّت بليل تلومُنى ... إلا لا تلوميني كَفَى اللومُ ما بيَا
تقول ألا تهجو فوارسَ هاشم ... ومالى إذا أهجوهم ثم ماليا
أبَى الشتمَ أنّى قد أصابوا كريمتى ... وأنْ ليس إهداء الخَنَى من[٢] شِماليا
إذا ذُكر الإخوانُ رقرقتُ عَبرةً ... وحيّيت رَمساً عند لِيَّةَ[٣] ثاويا
إذا ما امرؤٌ أهدى لَمَيْت تحيةً ... فحيَّاك ربُّ الناس عنّى مُعاويا
وهوَّن وَجدى أننى لم أقُل له ... كذبتَ ولم أبخل عليه بمالِيا
وذى إخوة قطَّعتُ أقران[٤] بينهم ... كما تركونى واحداً لا أخالِيا

فلما كان فى العام المقبل غزاهم وهو على فَرسه الشَّماء ، فقال : إنِّى أخاف أن يَعرفونى و يعرفوا غُرّة الشمّاء فيتأهبوا ، فجمّم غُرتها[٥] ، فلمّا أشرفت على أدانى الحىّ رأوها ، فقالت فتاة منهم : هـذه والله الشّماء ! فنظروا فقالوا : الشمّاء غراء وهذه بَهيم . فلم يشعُروا إلا والخيل قد داستْهم . فاُقتتلوا ، فقَتل صخرٌ دريداً وأصاب بني مُرة . ثم إن قيس بن الأمرار الجُشمىّ صادف هاشمَ بن حَرملة، وقد خلا لحاجته من سَحَر ، فقتله . فقالت الخنساء فى ذلك :

فِدًى للفارس الجُشمىّ نفسى ... وأفديه بمَن لى من حَميمِ
أفــدِّيه بجُلِّ بنى سُـليم ... بفارسهم و بالأَنَس[٦] المُقيم

(١) القذع : الفحش والخنى .
(٢) الشمال : الطبع والسجية .
(٣) عندلية : من نواحى الطائف .
(٤) الأقران : الحبال ؛ الواحد : قرن ، بفتحتين .
(٥) جمم غرتها : سود .
(٦) الأنس : الحى المقيمون . والرواية فى غير التجريد : « بطاعنهم » مكان «بفارسهم» .

كما مِن هاشم أقررتُ عينى   وكانت لا تنــام ولا تُنِيم

* * *

شعر للأخطل فى مدح يزيد بن معاوية

ثم ذكر أبو الفرج شعراً يغنى به للأخطل ، وهو :

تأبّد الرّبع من سَـلْمى[1] بأجفار   وأقفرت من سُليمى دِمْنة الدّارِ
وقد تَحُلُّ بها سَـلمى تُحـدِّثنى   تساقُطَ الحَلْىِ حاجاتى[2] وأَوْطارى

وهذا الشعر قاله الأخطل من قصيدة يمدح بها يزيد بن معاوية بن أبى سفيان حين أجاره من النعمان بن بشير الأنصارى ، لمّـا أراد قطع لسانه بأمر مُعاوية ، لهجائه عبدالرحمن بن حسان بن ثابت الأنصارى ، فاُقتضى ذلك أن ذكر أبو الفرج خَبر هذه الواقعة فنذكرها .

---

(١) أجفار : موضع . والرواية فى الديوان (ص ١١٢) : « تغير الرسم من سلمى » .
(٢) فى الديوان : « وأسرارى » مكان « وأوطارى » .

ذكر خبر الأخطل
مع عبد الرحمن بن حسان

تشبيب ابن حسان برملة وإغراء يزيد للأخطل به

ذُكر أنّ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت كان يَهوى رملةَ بنت مُعاوية ابن أبى سفيان ويُشبِّب بها، وأنه بلغ ذلك يزيدَ بن مُعاوية، فغَضب ودخل على أبيه مُعاوية فقال: يا أمير المؤمنين، ألا تَرى إلى هذا العِلج من أهل يَثرب يتهكّم أعراضنا ويشبِّب بنسائنا! قال: ومن هو؟ قال: عبدُ الرحمن بن حسّان، وأنشده بعض ما قال فيها. فقال: يا يزيد، ليست العُقوبة من أحد بأقبح منها من ذوى القُدرة، ولكن أمهُل حتى يقدَم وفدُ الأنصار ثم أذكرنى. فلما قَدموا أذكره به. فلما دخلوا عليه قال: ألم يبلُغنى أنك تُشبِّب برَملة بنت أمير المؤمنين؟ قال: بلى؟ ولو علمتُ أن أحداً أشرّف به شعرى أشرفَ منها لذكرتُه. قال: فأين أنت عن أختها هِند؟ فقال: وإنّ لها لأُختاً يُقال لها هند؟ قال: نعم. وإنما أراد مُعاوية أن يُشبِّب بهما فيكذِّب نفسه. ولم يَرض يزيد ما كان من معاوية فى ذلك، فأَرسل إلى كعب بن جُعيل فقال: اُهجُ الأنصار. فقال: أَفرقُ من أمير المؤمنين، ولكن أُدلّك على الشاعر الكافر الماهر. قال: ومن هو؟ قال: الأخطل. فدَعاه فقال: اُهجُ الأنصار. فقال: أَفرق من أمير المؤمنين. فقال: لا تخف شيئاً، أنا لك بذاك. فهجاهم، فقال من أبيات:

ذهبت قريشٌ بالمكارم والعُلا ... واللُّؤم تحتَ عَمائم الأنصار

فبلغ ذلك النعمانَ بن بشير الأنصارى، فدخل على مُعاوية فحَسر عن رأسه عمامته وقال: يا أمير المؤمنين، أترى لُؤماً؟ قال: بل أرى كرماً وخيراً، ماذاك؟

قال : يزعم الأخطل أن اللُّؤم تحت عمائمنا . قال : أوفَعل ؟ قال : نعم . قال : لك لسانُه . وكتب فيه أن يُؤتى به . فلما أُتى به سأل الرسولَ أن يُدخله على يزيدَ أولاً . فأَدخله إليه . فقال له : هذا الذى كنتُ أخاف . قال : لا تَخف شيئاً . ثم دخل على مُعاوية فقال : علام أُرسل إلى هذا الرجل وهو يرمى من وراء حُرمتنا ![1] قال : هجا الأنصار . قال : ومن زعم ذلك ؟ قال النُّعمان بن بشير . قال : لا تقبل قوله عليه وهو يدّعى لنفسه ، ولكن تدعوه بالبينة ، فإن ثبت أخذته به له . فدعاه إلى البينة ، فلم يأت بها ، فخَلّى سبيلَه .

سبب آخر عن هجاء الأخطل للأنصار

وقد ذكر أن الحامل للأخطل على هجاء الأنصار إنما هو يزيد بأمر أبيه معاوية ، وأن السبب فى ذلك ما وقع بين عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن ابن الحكم بن أبى العاصى بن أمية من التهاجى .

وذُكر أن سبب هذا التهاجى أنّ عبدالرحمن بن حسان كان مُخالطاً لعبدالرحمن ابن الحكم ، فقيل له : إن عبدالرحمن بن حسان يخلُفك فى أهلك . فراسل عبدُالرحمن ابن الحكم امرأة ابنِ حسان . فأخبرت بذلك زوجها ، وقالت : أرسلَ إلىّ : إنى أُحبك حُبًّا أراه قاتلى . فأرسل ابنُ حسّان إلى امرأة ابن الحكم ، وكانت تواصله ، وقال للرسول : اذهب إليها وقل لها : إن امرأتى تزور أهلها اليوم فزُورينى حتى نَخْلُو . فزارتْه . وقعد معها ساعة ثم قال : قد جاءت والله امرأتى . فأدخلها بيتاً إلى جَنبه وأمر امرأته فأرسلت إلى عبد الرحمن بن الحكم : إنك ذكرت حُبك إياى ، وقد وقع ذلك فى قلبى ، وإن ابن حسان قد خرج اليوم إلى ضَيعته ، فهلُم . فتهيأت . ثم أقبل . فإنه لقاعد معها إذ قالت : قد جاء ابن حسان فادْخُل هذا البيت فإنه لا يشعر بك . فأدخلته البيت الذى فيه امرأته . فلما رآها أيقن بالسُّوء . فأخرجهما ابنُ حسان ، ووقع التهاجى بينهما . وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

(١) فى غير التجريد : « جمرتنا » .

أخبار حبابة

نشأتها

كانت مولَّدة من مُولَّدات المدينة ، لرجُل من أَهلها ، هو خرَّجها وأَدَّبها . وكانت حُلوة جَميلة الوجه ، ظَريفة حسنة الغناء ، طيِّبة الصوت ، ضاربة بالعود . أَخذت على سُريج وغيره . وكانت تُسمَّى العالية ، فسمّاها يزيد بن عبد الملك — لمّا اشتراها — حَبابة .

حصولها في يد يزيد بن عبد الملك

وذُكر أنّ حبابة كانت لرجل من المَوالى بالمدينة ، فقَدِم يزيدُ بن عبد الملك فى خِلافة أخيه سُليمان بن عبد الملك، فتزوّج سُعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفّان على عشرين ألف دينار ، ورَبيحة بنت محمد بن علىّ بن عبد الله بن جعفر على مثل ذلك ، واشترى العالية بأربعة آلاف دينار . و بلغ ذلك سليمانَ ، فقال : لأحجرنّ عليه . فبلغ يزيدَ قولُ سليمان . فاستقال مولى العالية . ثم اشتراها بعد ذلك رجل من أهل إفريقية . فلما ولى يزيدُ الخلافَةَ اشترتها زوجتُه سُعدة ، وعلمتْ أنه لا بد طالبُها ومُشتريها . فلما حَصلت عندها قالت : هل بَقِى عليك شىء من الدُّنيا لم تنله ؟ قال : نعم ، العالية . قالت : أورأيتَها ؟ قال : نعم . قالت : أفتعرفها؟ قال : نعم . فقالت : هى لك . وخَرجتْ عليه ، فسمّاها حَبابة . وعَظُم قدر سُعدة عنده .

وقيل : إن الذى فَعل ذلك زوجتُه أُم الحجّاج — وهى أُم ولده الوليد — فعلتْ ذلك وطلبت منه أن يَجعل ابنَها ولىَّ عهده ، ففعل . وحَظيت حبابةُ عند الوليد وغَلبت عليه .

كاد مسلمة يصرف عبد الملك عنها فردته بشعر الأحوص

وذُكر أنّ مَسلمة بن عبد الملك أقبل على أخيه يزيدَ بن عبد الملك يلومه فى

الإلحاح على الغِناء والشُّرب، وقال له : إنك وليتَ بعَقِب عُمَر بن عبدالعزيز وعَدْله ، وقد تشاغلت بهذه الأمّة عن النَّظر فى الأُمور ، والوُفودُ ببابك ، وأصحاب الظُّلامات يضجُّون وأنت غافل عنهم . فقال : صدقت والله ! وأعتبه وهَمَّ بترك الشراب ، ولم يدخل على حبابة أياماً . فدسَّت حبابةُ إلى الأحوص أن يقول أبياتاً فى ذلك ، وقالت : إن رددتَه عن رأيه فلك ألفُ دينار . فقال الأحوص :

ألا لا تَـلُمه اليوم أنْ يتبـلَّدا فقـد غُلب المَحْزون أن يتجـلَّدَا
بكيتُ الصِّبى جَهدى فمن شاء لامنى ومن شاء آسَى فى البُكاء وأسعدا
وإنِّى وإن فُنِّدت فى طَلَب الصِّبى لأَعلمُ أنِّى لستُ فى الحُبِّ أوحـدا
إذا أنت لم تَعْشق ولم تَدْرِ ما الهوَى فكُن حَجراً من يابِس الصَّخر جَلْمدا
فما العيشُ إلّا ما تلذّ وتَشتهى وإنْ لام فيـه ذو الشَّنان(١) وفَنَّدا

ومكث يزيدُ جُمعة لا يرى حبابة ولا يدعو بها ، فلما كان فى يوم الجُمُعة قالت لبعض جواريها : إذا خَرج أميرُ المؤمنين إلى الصلاة فأعلميني . فلمّا أراد الخُروج أعلمتها . فتلقَّتْه والعودُ فى يدها ، فغنَّته البيتَ الأول فغطّى وجهه وقال : مه ! مه ! لا تَفعلى . ثم غَنّت البيتَ الأخير ، فعدل إليها وقال : صدقتِ والله ! فقَبح الله من لامنى فيك ! يا غلام : مُر مَسلمة فلْيصلّ بالناس . وأقام معها يشرب وتُغنيه ، وعاد إلى حاله .

غنت يزيد بشعر للأحوص فأجازه

وذُكر أن حبابة غنَّت يزيدَ يوماً الأبيات الدالية المذكورة ، فطَرب طرباً شديداً وشقّ حُلّة كانت عليه وقال لها : أتأذنين لى أن أطير .

وغنّته سلامة من هذه القصيدة :

وإنِّى لأَهواها وأهوَى لقـاءها كما يَشتهى الصادِى الشرابَ المبرَّدَا

(١) الشنآن ، بالهمز والمد ، وسهل للشعر : البغض .

عِــلاقة حُب لجّ فى سَــنَن الصبىّ ... فأبلَى وما يَزداد إلا تَجَـــدُّدا

ثم غنّته حبابةُ منها أيضاً :

كَريم قُريش حين يُنسب والذى ... أقرّت له بالمُلك كَهْــلاً وأَمردا

وليس عطاءٌ كان منـــــه بمانِعٍ ... و إن جَلّ عن أضعاف أضعافه غَدا

أهان تِلاد المــال فى الخــير دَأْبَه ... إمامُ هُــدًى يَجرى على ما تعوّدا

تردَّى بحَمدٍ من أبيه وجَدِّه ... فقــد أورثا بُنيان مَجــدٍ مُشَــيَّدا

فقال لها يزيد : ويحك ! ومَن كريم قريش هذا ؟ قالت : أنت يا أمير المؤمنين . قال : ومن الذى يقول هذا الشعر ؟ قالت : الأحوص . فقالت سَلامة فَلْيسمع أميرُ المؤمنين باقى ثَنائه عليه فيها . ثم اندفعت وغنَّته :

ولو كان بَــذْل الجُود والمال مُخلِداً ... من الناس إنساناً لــكنت الُمخلَّدا

فأُقسم لا أَنفكّ ما عشتُ شاكراً ... لنُعماك ما طار الحَمـــام وغَرّدا

من طرب يزيد بغنائهـــا

وذكر أن يزيد كان إذا غنّته حَبابة وطرب قال لها : أطير ؟ فتقول له : و إلى مَن تدع الناس ؟ فيقول : إليك .

كان مولاهـــا أطرب من يزيد بها

وذكر أن حَبابة غنّت يزيدَ بن عبد الملك يوماً فطرب ، ثم قال لها : رأيتِ قطُّ أطربَ منى ؟ قالت : نعم ، مولاى الذى باعنى . فغاظه ذلك وكتب فى حَمله مُقيَّــداً . فلمّا عَرف خبره أمر بإدخاله إليه ، فأُدخل يرسُف فى قَيــده . ثم أمرها أن تُغنِّيه فغنته :

تَشطُّ غداً دارُ جيراننا ... وللدّار بَعــد غدٍ أبعدُ

فوَثب حتى ألقى نفسه على الشمعة وأَحرق لِحيته وجعــل يَصيح : الحريق يا أولاد الزنى ! فضحك يزيدُ وقال : لعمرى إن هــذا لأطرب منّى ، وأمر بحل قيوده ، ووَصله بألف دينار ، ووصلَتْه حَبابة ، وردَّه إلى المدينة .

موتها وحزن يزيد عليها

وذُكر أنّ يزيد بن عبد الملك نَزل بيت رأس بالشام، ومعه حبابةُ، وقال: زعموا أنّه لا يصفُو لأحد عيشُه يوماً إلى الليل لا يُكدِّره شيء عليه، وسأُجرِّب ذلك. ثم قال لمن كان معه: إذا كان غد لا تُخبرونى بشيء ولا تأتونى بكتاب، وخلا هو وحبابة، فأُتيا بما يأكلان، فأكلت رُمّانة فَشرِقت بحَبةٍ منها فماتت. وأقام لا يدفنها ثلاثاً حتى تغيّرت وأنتنت، وهو يَشَمُّها ويرشُفها. فعاتبه على ذلك ذوو قَرابته وصديقُه وعابوا عليه ما يَصنع، وقالوا: قد صارت جِيفةً بين يديك. حتى أَذِن فى غَسلها ودَفنها، وأُخرجت جِنازتها. ولم يستطع يزيدُ الرُّكوب من الجزع ولا المَشى، فحُمل على مِنبر على رِقاب الرّجال. فلما دُفنت قال: لم أُصلِّ عليها، انبشوا عنها. فقال له أخوه مَسلمة: نَشدتُك الله يا أمير المؤمنين، إنما هى أَمَةٌ من الإماء، وقد واراها الثَّرى.

وذُكر أنه جلس على قَبرها، فلما دُفنت قال: أصبحتُ والله كما قال كُثيِّر:

فإن تَسلُ عنك النفسُ أو تَدعْ الصِّبى ... فبالناس تسلُو عنك لا بالتجلُّدِ
وكل خليل راءنى فهو قائل ... من أجلك هذا هامةُ اليوم[1] أو غد

موت يزيد

ولم يأذن للناس بعد دفن حبابة إلا مرّةً واحدة، فما استتمّ دخولُ الناس حتى قال الحاجب: أَوْجزوا رَحمكم الله. ولم يَلْبث يزيدُ أن مات كمداً.

وقيل: إنه لم يَعِش بعدها إلا خمسَ عشرةَ ليلة، ثم مات ودُفن إلى جَنبها.

---

(١) يقال: هذا هامة اليوم أو غد، أى يموت اليوم أو غداً. والهامة: طائر. زعموا أن روح القتيل الذى لم يدرك بثأره تصير هامة فتزقو عند قبره تقول: اسقونى. حتى يدرك بثأره.

غنت؛ للأحو

أخبار أبي الطفيل

نسبه

هو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عُمير بن خالد بن خميس بن جُدَيّ بن سعد ابن لَيث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن الياس بن مُضر ابن نزار[1] .

زمانه

صَحِب رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ورَوى عنه ؛ وعُمّر بعده عمراً طويلا .

قلت : قد ذُكر أنه كان آخر الصحابة رضى الله عنهم موتاً . وصَحِب عليّ ابن أبى‌طالب رضى الله عنه ، وكان معه فى حُروبه ، ورَوى عنه ، ثم خَرج طالباً بدم الحُسين بن علىّ رضى‌الله عنهما ، مع المُختار بن أبى عُبيد، وكان معه حتى قُتل المُختار ، وعُمّر بعد ذلك كثيراً .

صحبته

رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى حجة الوَداع يطُوف بالبيت الحرام على ناقته ، ويَستلم الرُّكن بمِحْجنه ثم يُقبّل المِحجن[2] .

سمع علياً يسأله ابن الكواء

وقال أبو الطُّفيل : سمعتُ علياً يخطُب ، فقال : سلُونى قبل أن تَفقدونى . فقام إليه ابنُ الكوّاء فقال : ما الذّاريات ذَرْواً ؟ قال : الرياح . قال : فالجاريات يُسراً ؟ قال : السُّفن . قال : فالحاملات وِقْراً ؟ قال : السحاب . قال : فالمُقسمات أمراً ؟ قال . الملائكة . قال : فمن الذين بدّلوا نعمة الله كفراً ؟ قال : الأفجران من من قريش : بنو أُمية و بنو مخزوم . قال : فما كان ذو القرنين : أنبيًّا كان أم ملكا ؟ قال : كان عبداً مُؤمناً أحبَّ الله وأحبّه ، ضُرب على قَرنه الأيمن فمات ، ثم بُعث فضُرب على قرنه الأيسر فمات ، وفيكم مثلُه .

---

(١) انظر الطبقات (٥ : ٣٣٨) والإصابة (٤ : ١١٣) والإستيعاب (٤ : ١١٢) فسياق النسب يختلف .

(٢) فى التجريد : « الحجر » .

هو والمختار ومصعب

وذُكر أنه لما أحضر مُصعبُ بن الزُّبير المختارَ ومن معه فى القصر، كان أبو الطفيل مع المُختار، فرمى بنفسه فَسلِم، وقال:

ولما رأيتُ البابَ قد حِيل بينه ... تكسّرت باُسم الله فيمن تكسّرا

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى الطُّفيل، هو:

أيدعونَنى شيخاً وقد عِشْتُ حِقْبةً ... وهُنّ من الأزواج نحوى نَوازِعُ

وما شاب رأسى من سِنين تتابعت ... علىّ ولكنْ شيّبتنى[1] الوقائع

* * *

شعر لحسان فى جبلة

ثم ذكر أبو الفرج شعراً لحسان بن ثابت قاله فى جَبَلة بن الأيهم الغَسّانى، وهو:

لمن الدّارُ أَقفرت بمَعانِ ... بين شَطّ اليَرموك[2] والصَّمانِ

فالقُريّات من بِلاسَ فداريّا ... فسَكّاء[3] فالقُصور الدّوانى

ذاك مَغْنًى لآل جَفنة فى الدا ... ر وحَقّ تصرُّف الأزمان

صلوات المَسيح فى ذلك الدّيـ ... ـر دُعاء القسّيس والرُّهبان

قد أرانى هناك حقّ مَكينٍ ... عند ذى التاج مَقْعدى[4] ومكانى

فاقتضى ذلك ذكر جَبلة وحسان.

---

(١) فى غير التجريد: «شيبته».

(٢) معان: مدينة فى طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحى البلقاء. واليرموك: واد بناحية الشام. والصمان: من نواحى الشام بظاهر البلقاء. والرواية فى الديوان: «بين أعلى». وفى معجم البلدان فى رسم «صمان»: «بين شاطى». وكذا فى الأغانى.

(٣) القريات، وبلاس، وداريا: وسكاء: مواضع.

(٤) فى الديوان: «مجلسى».

ذكر
خبر حسان وجبلة

حسان بين يدى جبلة

حكى حسان بن ثابت الأنصارى — رحمه الله — قال : أتيت جَبلة بن الأيهم الغسّانى وقد مدحتُه ، فأذن لى فجلست بين يديه ، وعن يمينه رجلٌ له ضفيرتان ، وعن يساره رجل لا أعرفه ، فقال : أتعرف هذين ؟ فقلت : أما هذا فأعرفه، وهو النابغة ، وأما هذا فلا أعرفه . قال : فهو عَلقمة بن عَبدة ، فإن شِئت اُستنشدتُهما وسمعتَ منهما ؛ ثم إن شئتَ أن تنشد بعدهما أنشدت ، وإن شئتَ أن تَسكت سكت ؟ قلت : فذاك . فأنشده النابغة :

كِليني لهمٍّ يا أُميمة ناصبِ ... وليلٍ أُقاسيه بطىء الكَواكبِ

قال : فذهب نِصفى . ثم قال لعلقمة : أَنشد . فأنشد :

طَحا بك قلبٌ فى الحِسان طروب ... بُعيدَ الشباب عصر حَان مَشِيبُ

فذهب نِصفى الآخر . فقال لى :

أنت أعلم الآن إن شئتَ أن تُنشد بعدهما أنشدت ، و إن شئت أن تسكت سكت . فتشدّدت وقلت : لا ، بل أُنشد . قال : هات فأنشدتُه :

أبناء جَفنة عنــد قبر أبيهمُ ... قَبر ابن مارِيةَ الجَواد المُفْضِلِ
يسقون مَن وَرد البَريصَ عليهمُ ... بَرَدَى يُصفَّق بالرحيق(١) السَّلْسل
يُغْشَوْن حتى ما تَهِرُّ كلابهم ... لا يَسألون عن السّواد المقبل
بِيض الوجوه كريمــة أحسابهم ... شُم الأُنوف من الطِّراز الأوّل

(١) البريص : نهر يتشعب من بردى، نهر دمشق . ويصفق : يمزج . والرحيق : الخمر .

فقال له : آدْنه ، أدنه ، لعمري ما أنت بدُونهما . وأمر لى بثلثمائة دينار وعَشرة أُقمصة لها جَيب واحد ، وقال : هذا لك عندنا فى كُل عام .

وذُكر أنّ القِصة كانت مع عمرو بن الحارث الأَعرج الغسّانى .

* * *

شىء عن ابن الزبعرى

ثم ذكر أبو الفرج شعر أبن الزِّبعرى ، وهو عبد الله بن الزِّبعرى بن قيس ابن عدىّ بن سعد بن سَهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لؤى بن غالب، الذى قاله فى غزوة أحد وهو مشرك ، وهو :

يا غُرابَ البين أسمعتَ فقُل ... إنما تنطق شيئاً قد فُعِلْ

إن للخير وللشر مدًى ... وكلا ذَينك وقتٌ وأجل

كُل بؤس ونَعيم زائل ... و بنات الدهر يَلعبن بكُل

والعطيّات خِساس[1] بيننا ... وسواء قبر مُثْر ومُقِلّ

وابن الزبعرى أحد شُعراء قريش ، وكان يهجو المسلمين ويحرض عليهم كفار قريش ثم أسلم ، فقبل النبىّ صلى الله عليه وسلم إسلامه وأمنه يوم الفتح .

وذكر أبو الفرج غزوة أحد ، فنذكرها إن شاء الله مختصراً .

---

(١) فى غير التجريد : « بينهم » مكان « بيننا » .

ذكر غزوة أحد (*)

قالت الرواة :

لما أُصيبت قُريش بمن أُصيبت من كُفّار قُريش يوم القَليب ببَدْر رَجع فَلُّهم إلى مكة ، ورَجع أبو سفيان بن حرب بِعِيره ، مشى عبدُ الله بن أبى ربيعة ، وعِكْرمة بن أبى الجهل ، وصَفوان بن أُمية بن خلف ، فى رجالٍ من قُريش ممن أُصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانُهم ببدر ، فكلَّموا أبا سفيان بن حَرب ومَن كان له معه فى تلك العِير تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إنّ محمداً قد وَترَكم وقتَل خِيارَكم فأَعينونا بهذا المال على حَربه لعلّنا نُدرك منه ثأرنا بمن أُصيب منّا . ففعلوا . تجمع قريش

وأجتمعت قُريش لحَرب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأحابيشها ومَن أطاعها من قبائل كِنانة وأَهل تِهامة . ودعا جُبير بن مُطْعِم غُلاماً حَبَشيًّا يقال له : وحشيّ — يقذف بحَربة له قَذْف الحَبشة قلّما يخطىء — فقال : أُخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت عمّ محمد بعمِّى طُعَيمة بن عدىّ فأَنت حُر .

فخرجت قُريش بحَدِّها وحَديدها وأحابيشها ، ومَن معها من بنى كِنانة وأهل تِهامة، وخرجوا بالظُّعُن (١) التماسَ الحَفيظة ولئلا يفرُّوا . فخرج أبو سفين بن حرب، وهو قائد الجيش يومئذ ، بزوجته هِند بنت عُتبة بن ربيعة ، فكانت هِند إذا مرّت بوحشىّ أو مرّ بها تقول: إيهٍ أبا وَسْمة! أَشْف وأُشْتَفِ . فنزل القومُ ببَطْن السَّبْخة على شَفير الوادى مما يلى المَدينة . فلما سمع بهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم

(*) وقبل هذا ذكر أبو الفرج خبر « بديح » فى هذا الصوت الذى مر وغيره ، ثم نسب ابن الزبعرى وأخباره ، ولم يشر إليهما ابن واصل وهو يمر عنهما .

(١) الظعن : النساء فى الهوادج .

أنهم قد نزلوا حيث نزلوا ، قال للمُسلمين : إنّى رأيتُ بَقراً فأوّلتُها خَيراً ، ورأيتُ فى ذُباب سَيفى ثَلماً ، ورأيت أنى أدخلتُ يدى فى دِرعٍ حَصينة ، فأوّلتها المدينـة ؛ فإن رأيتم أن تُقيموا فى المدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشَرِّ مُقام، و إن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها .

ونزلت قريش مَنزلَهـا من أُحد يوم الأربعاء ، وأقاموا به ذلك اليومَ و يومَ الخميس و يومَ الجمعة .

قلت : وذلك فى شوال سنة ثلاث للهجرة بعد بَدر بسنة .

خروج المسلمين

قالوا : وراح رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حين صلّى الجُمُعة فأصبح بالشِّعب للنِّصف من شوال . وكان رَأى عبدالله بن أُبىّ بن سَلول المُنافق مع رأى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ألّا يخرج إليهم فى ذلك اليوم . وكان رسـولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم يكره الخروج من المدينـة . فقال رجالٌ مِن المسلمين ممّن أكرم اللهُ بالشهادة يوم أُحد ، وغيرُهم ممّن كان فاته يوم بدر : يا رسول الله ، اُخرُج بنـا إلى عدوّنا لا يَرَوْن أنا جَبُنَّا عنهم وضَعُفنا . فقال عبـد الله بن أُبىّ بن سلول : يا رسول الله ، أَقم بالمدينة ولا تخرُج ، فوالله ما خَرجنا منها قطُّ إلى عدوٍّ إلا أصاب منّا ، ولا دَخلها علينا إلا أصبنا منـه ، فدَعْهم يا رسول الله إن أقاموا أقاموا بشرِّ مَجلس ، و إن دخلوا قاتلهم الرجالُ فى وُجوههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، و إن رَجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا .

ولم يَزل برسول الله صلّى الله عليه وسلم الذين كان من أَمرهم حُبُّ لقاء العدوّ حتى دخل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فَلبِس لأْمته ، وذلك فى يوم الجمعة حين فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة . وقد مات فى ذلك اليوم رجلٌ من الأنصار ، فصلّى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ودَفنه ثم خرج عليهم .

وقد نَدِم الناسُ وقالوا : استكرَهْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لنا . ولمَّا خرج عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله ، استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعُد صلى الله عليك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يَنبغى للنبىّ إذا لبس لأْمته أن يضعها حتى يُقاتل .

رجوع ابن أبى ابن سلول

فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ألف رجل من أصحابه ، حتى إذا كانوا بين أُحد والمدينة انْخزل عنه عبدُ الله بن أُبىّ بن سلول بثُلث الناس ، وقال : أطاعهم وعصانى ! والله ما ندرى علامَ نقتُل أنفسنا هاهنا أيها الناس ! فرَجع بمن اتبعه من قومه من أهل النِّفاق والرَّيب ، وأتْبعهم عبدُ الله بن عمرو بن حَرام ، أحدُ بنى سلمة ، يقول : يا قوم ، أُذكِّركم الله أن تخذُلوا نبيَّكم عندما حَضر من عدوكم . فقالوا : لو نعلم قتالاً لاتبعناكم . فلما استعصَوْا عليه وأراد[1] الانصراف عنهم قال : أبعدكم الله يا أعداء الله فسيُغنى الله عنكم .

الجيشان

وكان المُشركون فى ثلاثة آلاف ، والخيل مئتا فرس . والظُّعن خمسَ عشرة امرأة . وكان فى المُشركين سبعمائة دارع ، وفى المُسلمين مائة دارع . ولم يكن معهم من الخيل إلا فَرسان : فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرس لأبى بُردة الحارثى .

تفاؤل النبى صلى الله عليه وسلم

ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فذَبّ فرسٌ بذَنبه فأصاب كُلّاب[2] سيفٍ فاستلّه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — وكان يُحب الفأل ولا يعتاف[3] — لصاحب السيف : شِمْ سيفك[4] فإنى أرى السيوف ستُسل اليوم .

(١) فى غير التجريد : « وأبوا إلا الانصراف » . وفى السيرة (٣ : ٦٨) : « وأبوا إلا الانصراف عنهم » .

(٢) كلاب السيف : مسمار يكون فى قائم السيف ، وفيه الذؤابة لتعلقه بها .

(٣) لا يعتاف : لا يتطير .

(٤) شم سيفك : اغمده .

نزول الجيشين

ونزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بُكْرةَ السبت الشِّعبَ من أُحد ، وتعبأ صلى الله عليه وسلم للقتال ، وهو فى سبعمائة رجل . وتعبأت قريش ، وهم ثلاثة ألف رجل ، ومعهم مائتا فرس قد جنَّبوها[1] ، فجعلوا على مَيمنة الخيل خالدَ بن الوليد ، وعلى مَيسرتها عِكرمة بن أبى جهل .

تحريض النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين وحديث أبو دجانة

وأمّر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الرُّماة عبدَ الله بن جُبير ، أخا بنى عمرو ابن عوف ـ والرُّماة خمسون رجلاً ـ وقال : أنضح[2] عنَّا الخيل بالنَّبل لا يَأتونا من خَلفنا ، إن كانت لنا أو علينا ، وأثبُت مكانك لا نُؤتينّ[3] مِن قبلك . وظاهر[4] النبىُّ صلّى الله عليه وسلم بين دِرعين ، وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : من يأخذ هذا السيفَ بحقِّه ؟ فقام رجلٌ فأمسكه[5] . فقام أبو دُجَانة سِماكُ بن خَرشة ، أخو بنى ساعدة ، فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تَضرب به فى العدو حتى يَنحنى . فقال : أنا آخُذه بحقِّه يا رسول الله . فأعطاه إياه .

وكان أبو دُجانة رجلاً شُجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أُعلم بعصابة له حمراء يَعصبها على رأسه عَلم الناسُ أنه سيُقاتل .

فلما أَخذ السيفَ من يَد رسول الله صلّى الله عليه وسلم أَخذ عصابَته تلك فَعَصَب بها رأسه ، ثم جعل يَتبختر بين الصفَّين . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنها لمِشْية يُبغضها الله عز وجل إلّا فى هذا الموطن .

أبو سفيان والأنصار

وأرسل أبو سُفيان بن حَرب رسولاً فقال : يا معشر الأوس والخزرج ، خلُّوا بيننا و بين أبن عمّنا نَنصرف عنكم ، فإنه لا حاجة لنا بقتالكم . فردّوه بما يكره .

(١) جنبوها ، أى قادوها إلى جنوبهم .
(٢) انضح : ادفع . (٣) فى غير التجريد : « لا يأتونا » .
(٤) أى لبس درعاً فوق درع .
(٥) فى السيرة : « فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم » .

خبر أبي عامر

وكان أبو عامر عمرو بن صَيفي بن مالك بن النعمان بن أُمية ، أحد بنى ضُبيعة الأوسى ، قد خَرج إلى مكة مُعانداً [١] لرسول الله صلّى الله عليه وسلم ومعه خمسون غلاماً من الأوس ، معهم عُثمان بن حُنيف ، وكان يَعد قُريشاً لو لقى محمداً لم يختلف عليه منهم رجلان [٢] . فلما اُلتقى الناسُ كان أوّل مَن لقيهم أبو عامر فى الأحابيش وعُبدان أهل مكة ، فنادى : يا معشرَ الأَوس ، أنا أبو عامر . فقالوا : لا أنعم الله بك عيناً ! فلمّا سمع ردّهم عليه قال : لقد أصاب قَومى بعدى شرٌّ ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً ، ثم راضخهم [٣] بالحجارة .

تعقيب للمؤلف عن أبي عامر

قلت : أبو عامر هـذا كان من سادات الأَوس ، وكان قد ترهّب ولَبس المسوح ، وكان يسمى الراهب ، وترك عبادة الأوثان وطَلب الحنيفيّـــة دين إبراهيم عليه السلام ، وكان قد سَمع من اليهود أنه لا بُد أن يَظهر نبيٌّ من الحَرم على دين إبراهيم عليه السلام ، فكان ينتظره . فلما بُعث النبيّ صلى الله عليه وسلم وهاجر إلى المدينـة لم يـُؤمن بغياً وحَسداً ، وقال للنبيّ صلّى الله عليه وسلم : إنك خلطت الحنيفية بغيرها . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمات الله الكاذب طريداً . فقال : آمين .

ولما رأى أبو عامر إجماع قومه على نُصرة النبيّ صلى الله عليه وسـلم واتباعهم له هَرب إلى مكة ، فكان بها مع كُفار قريش . وحَضر معهم أُحداً . ولما فتح الله على رسوله مكةَ فرّ إلى الرُّوم وتَنصّر ومات كافراً طريداً ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم سمّاه الفاسق .

التقاء الجيشين وموقف هند

قالوا : ولما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هِند بنتُ عتبة بن ربيعة

(١) فى السيرة : « مباعداً » .
(٢) فى السيرة : « أن لو قد لقى قومه لم يختلف » .
(٣) راضخهم : راماهم .

فى النساء اللواتى معها ، فأخذن الدُّفوفَ يضربن عليها خلفَ الرجال ويُحرضنهن ، فقالت هند فيما تقول :

إنْ تقبلوا نُعــانِقْ ونَفْرُش النَّمــارِقْ[1]
أو تُدبِروا نُفــارِقْ فِراقَ غير وامِق[2]

وتقول لأصحاب لواء المشركين ، وهم بنو عبد الدار :

إيهاً بنى عبــد الدار إيهاً حُمـاةَ الأدبار[3]
ضربًا بكُل بتّــــار

واقتتل الناسُ قتالاً شديداً وحَمِيت الحرب . وقاتل أبو دُجانه — رضى الله عنــه — حتى أمْعن فى الناس ؛ وحمزةُ بن عبــد المطلب ، وعلىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنهما . وأنزل الله تعالى نَصره ، وصَدَقهم وعده ؛ فحَسُّوهم[4] بالسيف حتى كشفوهم . وكانت الهزيمة أولا على المشركين ، لا شكّ فيها .

قول الزبير عن سبب الهزيمة

يحكى الزبيرُ بن العوّام — رضى الله عنه — قال :

لقد رأيتُنى أنظرُ إلى هند بنت عُتبة وصواحباتها مشمِّراتٍ هَوارِبَ ، ما دون إحداهنّ قليلٌ ولا كثير ؛ ومالت الرماةُ إلى العسكر حين كَشف القومُ يريدون النهب ، وخَلَّوا ظُهورنا للخيل فأتتنا من أدبارنا ، وصَرخ صارخٌ : ألا إن محمداً قد قُتل ! فانكفأنا[5] وانكفأ علينا القومُ بعد أن أصبنا أصحاب اللواء ، حتى ما يَدنو إليه أحد من القوم ، وكان ما يَحمل لواءَ المُشركين أحدٌ من بنى عبد الدار إلا قتله

(١) النمارق : جمع نمرقة ، وهى الوسادة الصغيرة .
(٢) الوامق : المحب .
(٣) أى يحمون أعقاب الناس .
(٤) حسوهم : قتلوهم واستأصلوهم .
(٥) انكفأ : رجع .

علىّ بن أبى طالب — رضى الله عنه — وكان آخر مَن أخذه منهم عبدٌ لهم حبشىّ، قاتَل حتى قُطعت يداه ، فبَرك عليه وأَخذ اللواء بعُنقه وصَدره حتى قُتل عليه ، وهو يقول : اللهم هل أَعذرت ! ثم بَقِى اللواء مَطروحاً حتى أخذته عَمرة بنت عَلقمة الحارثيّة ، فرفعتْه لقُريش فلاذُوا بها .

موقف على بن أبى طالب

وحَكى أبو رافع ، قال :

لما قَتل علىٌّ بن أبى طالب — رضى الله عنه — أصحابَ اللِّواء أَبصر رسول الله صلّى الله عليه وسلم جماعةً من مُشركى قريش ، فقال لعلىّ: أَحمل عليهم . فحَمل عليهم ، ففرّق جَمعهم ، وقَتل عمرو بن عبد الله الُجمحى . ثم أَبصر جماعةً من مُشركى قُريش ، فقال لعلى : أَحمل عليهم . فحَمل عليهم ، ففرّق جمعهم ، وقتل منهم شيبة بن مالك ، أَحد بنى عامر بن لُؤى . فقال جِبريل عليه السلام : يا رسول الله ، إن هــذه المُواساة . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنه منى وأنا منه . فقال جبريل : وأنا منكما . فسمعوا صوتاً يقول : لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا علىّ .

انكشاف المسلمين

ولما أَتى المُسلمون من خلفهم انكشفوا وأصاب منهم المشركون . وكان المُسلمون لمّا أصابهم البلاء أثلاثاً . فثُلث قتيل ، وثُلث جريح ، وثُلث منهزم وقد جَهدته الحرب حتى ما يدرى ما يَصنع .

الرسول صلى الله عليه وسلم والرامون دونه

وأُصيبت رُباعية رسول الله صلّى الله عليه وسلم السُّفلى وشُقت شَفته وكُلم فى وجهه وجَبهته ، وعلاه ابنُ قَمئة بالسيف على شِقّه الأيمن . وجعل يَسيل الدمُ على وجهه صلّى الله عليه وسلم ، وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول : كيف يفلح قومٌ خضبوا وَجه نبيّهم بالدم ، وهو يدعوهم إلى الله . فأنزل الله تعالى : (لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ) . وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين غشيه القوم : هل من رجل يَشرى لنا نفسه ؟ فقام زياد بن السكن فى نفر خمسة من الأنصار ، فقاتلوا

دون رسول الله صلّى الله عليه وسلم رجلاً رجلاً ، يُقتلون دونه . وكان آخرهم زياد ، فقاتل حتى أثبتته الجراحُ . ثم فاءت من المُسلمين فئة حتى أجهضوهم[1] . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدنوه منّى . فأدنَوْهُ منه . فوسّده قدمَه . فمات وخدُّه على قَدم رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

وترّس أبو دُجانة الأنصاريّ رضى الله عنه بنفسه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبلُ يقع فى ظَهره وهو مُنحنٍ عليه ، حتى كَثُر فيه النبل . ورمى سعدُ ابن أبى وقّاص — رضى الله عنه — دون رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

قال سَعد: فلقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلّم يُناولنى النّبل وهو يقول: أرم فِداك أبى وأُمى ، حتى ليُناولنى السّهم ما فيه نَصل ، فيقول أُرم به . ورمى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن قَوسه حتى اندقّت سِيَتُها[2] فأخذها قتادةُ ابن النُّعمان ، فكانت عنده . وأُصيبت يومئذ عينُ قَتادة حتى وقعت على وجنته ، فردّها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيده فكانت أحسنَ عينيه وأحدَّهما . وقاتل مُصعب بن عُمير — رضى الله عنه — دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه لواؤه حتى قُتل . وكان الذى أصابه ابنُ قَمِئة الليثى ، وهو يظن أنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى قريش فقال : قتلتُ محمداً .

مقتل حمزة

وأعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اللواء علىّ بن أبى طالب ، وقاتل يومئذ سيدُ الشهداء حمزةُ بن عبد المُطلب — رضى الله عنه — قتالاً شديداً ، فقتل أرطاةَ بن شُرَحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . ثم مَرَّ به سِبَاع بن عبد العُزّى الغُبشانىّ ، وكانت أُمه ختّانة بمكة ، فقال له حمزة : هلمّ إلىّ يا بن مُقطعة البُظور . فلما التقيا ضَرب به حمزةُ فقتله .

(١) أجهضوهم : أزالوهم وغلبوهم .
(٢) السية : طرف القوس .

قال وحشيّ ، غلام جُبير بن مُطعم : إنى لأنظر إلى حمزة يَهُدّ النـاس بسيفه ما يُليق[١] شيئاً يَمُر به ، مثـل الجمَل الأورق[٢] ، إذ تقـدّمنى سِبَاع بن عبد العُزّى ، فقال له حمزة : هلم إلىّ يا بن مُقطِّعة البُظور . فضَربه ضَرْبةً فما أخطأ رأسَه ، وهززتُ حَربتى حتى إذا ما رضيت منها دفعتُها عليه فوقعتْ فى ثُنته حتى خرجتْ من بين رجليه ، وأقبل نَحوى فغُلب فوقع ، فأمهلتُه حتى إذا مات جئتُ فأخذتُ حَربتى ، ثم تنحّيت إلى العَسكر ، ولم يَـكن لى بشىء حاجةٌ غيره .

بلاء عاصم وقد قَتل عاصمُ بن ثابت بن أبى الأفلح ــ أحدُ بنى عمرو بن عوف ــ مُسافعَ ابن طَلحة ، وأخاه الجُلاس[٣] بن طلحة ، كلاهما يُشعره[٤] سَهْماً . فيأتى أمّه فيَضع رأسَه فى حجرها ، فتقول : يا بُنىّ ، مَن أصابك ؟ فيقول : سمعتُ رجلاً حين رمانى يقول : خُذها إليك وأنا ابنُ أبى الأفْلح . فنذَرت لله عز وجل إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيــه الخمر . وكان عاصم قد عاهد الله ألّا يمسّه مشرك أبداً ولا يَمسه .

مقتـل أنس وانتهى يومئذ أنسُ بن النضر ــ عم أنس بن مالك ــ إلى عُمر بن الخطاب ، وطَلحة بن عُبيد الله ، فى رجال من المُهاجرين والأنصار ــ رضى الله عنهم ــ وقد ألقَوْا بأيديهم ، فقال : مايُجلسكم ؟ قالوا : قُتل محمد رسول الله . قال : فما تصنعون بالحياة بعـــده ! فمُوتوا على مامات عليه . ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتـل رضى الله عنه .

---

(١) ما يليق : ما يبقى .

(٢) الأورق : الذى لونه إلى الغبرة .

(٣) فى التجريد : «كلاب» .

(٤) يشعره سهماً : أى يصيبه به فى جسده فيصير له مثل الشعار . والشعار : ما ولى الجسد من الثياب .

وروى أنسُ بن مالك قال : وجدنا بأنس بن النضر سبعين ضربة وطعنة . فما عرفه يومئذ إلا أختُه . عرفتْه بحسن ثيابه .

الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي ابن خلف

وكان أول مَن عرف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ـ بعد الهزيمة ، وقول الناس : قُتل رسول الله ـ كعب بن مالك . قال كعب : عرفت عينيه تَزهران[١] من تحت المِغفر . فناديتُ بأعلى صوتِي : يامعشر المُسلمين : أبشروا ، هذا رسولُ الله . فأشار إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أنصت . فلما عرف المسلمون رسول الله صلَّى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشِّعب . فلما أسند إلى الشعب أدركه أبىّ بن خلف وهو يقول : أى محمد ، لا نجوتُ إن نجوتَ . فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجلٌ منا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه . فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمّة . فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشَّعراء[٢] عن ظهر البعير إذا انتفض بها . ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ[٣] منها عن فرسه مراراً .

وكان أُبىّ بن خلف يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول : يا محمد ، إن عندى العَوْذ ، أَعْلفه كل يوم فَرَقاً[٤] من ذُرة ، أقتلك عليه . فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله .

فلما رجع إلى قومه وقد خدشه فى حلقه[٥] خدشاً غير كبير ، فاحتقن الدم ، قال : قتلنى والله محمد ! قالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله ما بك من بأس ! قال :

---

(١) تزهران : تضيئان .
(٢) الشعراء : ذباب له لدغ .
(٣) تدأدأ : تقلب فجعل يتدحرج .
(٤) الفرق : مكيال يسع ستة عشر منا .
(٥) فى السيرة : « فى عنقه » .

إنه قد كان قال لى بمكة : إنى أقتلك ، فوالله لو بصق علىّ لقتلنى . فمات عدو الله بسَرِف[١] وهم قافلون به إلى مكة .

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فَم الشِّعب خرج علىّ بن أبى طالب حتى ملأ دَرَقته من المِهراس[٢] ، ثم جاء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب منه[٣] وغسل الدم عن وجهه وصبّ على رأسه وهو يقول : اشتد غضب الله على من دَمَّى وجه نبيّه .

وخرجت هند والنسوة اللواتى معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجدعن الآذان والآنف ! حتى اتخذت هند من آذان الناس وآنُفهم خَدَماً[٤] وقلائد . وأعطت خَدَمَها وقلائدها وقِرطتها وحشيًّا قاتلَ حمزة رضى الله عنه ، و بقرت عن بطن حمزة فأخرجت كبده فلاكتْها ، فلم تستطع أن تُسيغها فلفظتْها . ثم علتْ على صخرة فصاحت بأعلى صوتها ترتجز بالمسلمين فتذكر ما صنعت بحمزة . فقال حسّان بن ثابت يهجوها بعد ما أنشد عمر بن الخطاب بعض ما قالت :

أَشِرتْ لَكاع[٥] وكان عادتُها ... لُؤماً إذا أَشِرت مع الكُفرِ
لعن الإله وزوجَها معها ... هندَ الهُنود طويلة البَظْرِ
أَخرَجْتِ مُرقصةً إلى أُحُد ... فى القوم مُعْنِقة على بَكرِ
أقبلت ثائرة مبادِرةً ... بأبيك وأبنك يوم ذى بدر
و بِعَمِّك المَسلوب بِزَّته ... وأخيك مُنعفرَين فى[٦] الجفر

(١) سرف : على ستة أميال من مكة .

(٢) المهراس : ماء بأحد . وقيل : هو حجر ينقر ويجعل إلى جانب البئر ويصب فيه الماء لينتفع به الناس .

(٣) العبارة فى السيرة : « ليشرب منه ، فوجد له ريحاً فعافه ، فلم يشرب منه ، وغسل..الخ»

(٤) الخدم : الخلاخل . الواحدة : خدمة .

(٥) أشرت : فرحت . واللكاع : المرأة اللئيمة .

(٦) الجفر ، بالفتح : البئر الواسعة التى طوى بعضها .

ونسيتِ فاحشةً أتيت بها يا هند ويحك سبّة الدّهر
فرجعت صاغرة بلا ترةٍ مما ظفرت بها ولا[1] نَصر
زعم الولائد أنها ولدت ولداً صغيراً كان من عهْر

أبو سفيان والمسلمون

ثم إن أبا سُفيان بن حرب أشرف على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال : أفى القوم محمد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تُجيبوه ـ مرتين ـ فقال : أفى القوم أبو قحافة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تجيبوه . ثم قال : أفى القوم عمر بن الخطاب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تجيبوه . ثم التفت إلى أصحابه وقال : أمّا هؤلاء فقد قتلوا ، لو كانوا أحياء لأجابوا . فلم يملك عمر ابن الخطاب رضى الله عنه نفسه أن قال : كذبتَ يا عدو الله ! قد أبقى الله ما يَحزنك . فقال : أُعْلُ هُبَل[2] ! أُعْلُ هُبَل ! فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم : أجيبوه . قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعلى وأجلّ . فقال أبو سُفيان : لنا العُزى ولا عُزَّى لكم . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أجيبوه . قالوا : ما نقول : ؟ قال : قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم . فقال أبو سُفيان : يوم بيوم والحرب سجال ، أما إنكم ستجدون فى القوم مُثلاً[3] لم آمُرْ بها ولم تَسُؤنى .

وذُكر أنه قال لعمر رضى الله عنه : أنشُدك الله يا عمر ، أقتَلْنا مُحمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامَك الآن . قال : أنت أصدق عندى وأبر من ابن قَمِئة : « إنى قتلت محمداً » .

ولما انصرف أبو سُفيان نادى : إن موعدكم بدر العام المُقبل . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قل : نعم ، هى بيننا وبينك موعد .

على بن أبى طالب فى إثر القوم

ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم عَلىّ بن أبى طالب فى آثار القوم

(١) الديوان : « وتر » . (٢) هبل : صنم . يريد : أظهر دينك .
(٣) مثل ، بالضم : جمع مثلة . وهى التمثيل والتشويه .

وقال : انظرُ ماذا يصنعون : فإن كانوا قد جَنَّبوا الخيـل[1] وأمتطوا الإبل فهم يُريدون مكة ، وإن كانوا ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يُريدون المدينة ، فوالذى نفسى بيـده لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم ثم لأُناجزنّهم . قال علىٌّ بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ : فخرجتُ فى آثار القوم أنظر ما يصنعون ، فلما جنّبوا الخيـل وأمتطوا الإبل توجّهوا إلى مكة ـ وكان رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم قال : أى ذلك كان فأَخْفه حتى تأتينى ـ قال علىّ رضى الله عنه : فلما رأيتُهم قد توجّهوا إلى مكة أقبلتُ أَصيح ما أَكتمُ الذى أمرنى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الفَرح ، إذ رأيتُهم أنصرفوا إلى مكة عن المدينة .

ولما فرغ أمر القتال قال رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم : مَن رجلٌ ينظرُ إلى ما فعل سَعد بن الرَّبيع : أفى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظرُ لك ما فعـل . فنظَر فوجده جريحاً فى القتلى به رَمق . قال : فقلتُ له : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظرُ أفى الأحياء أنت أم الأموات ؟ فقال : أَبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سلامى وقل له : إنـ سَعد بن الربيع يقول : جزاك الله خيراً ما جزى نبيًّا عن أُمتـه ، وأَبلغ قومَك عنى السلام وقل لهم : إن سَعد بن الربيع يقول لـكم : إنه لا عذر عند الله لـكم إن خُلص إلى نبيكم وفيكم عينٌ تَطْرِف . ثم لم يَبرح أن مات رضى الله عنه — وهو من بنى الحارث ابن الخَزرج .

الرسول صلى الله عليه وسلم يتفقد القتلى والجرحى

ووَجد رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم عمَّه حمزة — رضى الله عنه — قد بُقر بطنه عن كبده ومُثِّل به فجُدع أنفه وأُذناه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين رأى به ما رأى : لولا أن تحزن صفيّة أو تكون سُنة من بعدى لتركتُه حتى يكون فى أجواف السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرنى الله على قُريش فى موطن

(١) جنبوا الخيل : قادوها إلى جنوبهم .

من المواطن لأمثّلن بثلاثين رجلاً منهم . فلما رأى المسلمون حُزن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما فُعل بعمه قالوا : والله لئن أظهرنا الله عليهم يوماً من الدهر لنمثّلن بهم مُثلة لم يُمثّلها أحد من العرب بأحد قط . فأنزل الله تعالى : (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) إلى آخر السورة . فعفا رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم وصبر ونهى عن المُثلة .

وخرجت صفيّة عمةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنظُر إلى أخيها حمزة . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزُّبير بن العوام — رضى الله عنه — : ألْقها فأرجعها لا ترى ما بأخيها . فلَقِيها الزبيرُ فقال : يا أُمّه ، إن رسولَ الله يأمرك أن ترجعى . فقالت : بلغنى أنه مُثِّل بأخى ، وذلك فى الله عز وجل قليل ، فما أرضانا بما كان من ذلك ، لأحتسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله . فلما جاء الزبير أخبره بذلك ، فقال : خَلِّ سبيلها . فأتته فنظرت إليه وصلّت عليه واسترجعت واستغفرت له . ثم أمر رسولُ الله به فدُفن .

خروج الرسول صلى الله عليه وسلم فى إثر القوم

ولما كان غدُ أُحد ، وهو يوم الأَحد[1] لست عشرة مَضت من شوال ، أذّن مُؤذِّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس لطلب العدوِّ ، وأذن مؤذّنه : أن لا يخرجنّ معنا إلا مَن حضر يومنا بالأمس . فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم مُرْهباً للعدو وليبلغهم أنه قد خرج فى طلبهم فيظنّوا أنه فى قُوة ، وأن الذى أصابهم لم يُوهنهم عن عدوهم . فانتهى صلّى الله عليه وسلم إلى حَمراء الأسد — وهى من المدينة على ثمانية أميال — فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

أبو سفيان وركب عبد القيس

وذُكر أن أبا سُفيان مَرّ به وهو متوجّه إلى مكة ركبٌ من عَبد القَيس ،

(١) فى السيرة : « فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ... الخ » .

فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نُريد المدينة . قال : ولِمَ ؟ قالوا : نُريد المِيرة . قال : فهل أنتم مبلِّغون عنى محمداً رسالةً أرسلكم بها إليه وأحمِّل لكم إبلَكم هذه زَبيباً بعُكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : إذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسير إليه لنستأصل بقيتهم . فمر الركبُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذى قال أبو سُفيان . فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم : حسبنا الله ونعم الوكيل . فنزل قوله تعالى : (ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ) .

عدة من أصيب من المسلمين

قلت : كانت عدة من استشهد من المسلمين بأحد سبعين رجلاً . وكان المسلمون أصابوا من المشركين يوم بدر سبعين وأسروا سبعين . فذلك قوله تعالى : (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا) .

أخبار
عمرو بن معديكرب الزبيدى

نسبه وكنيته — هو عمرو بن معد يكرب بن ربيعة[1] بن عبد الله [بن عمرو] بن[2] عُصم ابن زُبيد بن مُنبِّه بن سَلمة بن مازن بن رَبيعة بن مُنبِّه بن صَعب بن سَعد العَشيرة ابن مالك — وهو مذحج — بن أدد بن زيد بن يَشجُب بن عريب بن زَيد ابن كَهلان بن سَبأ بن يشجُب بن يعرب بن قحطان .

أمه — ويكنى أبا ثور . وأمه امرأة من جَرم .

إسلامه وارتداده — وعمرو فارس اليمن وشُجاعها . وهو مُقدَّم على زَيد الخيل فى الشدة والبأس . وفد على النبىّ صلّى الله عليه وسلم وأسلم ، وذلك عند قُفول النبىّ صلّى الله عليه وسلم من غزوة تَبوك . وكانت فى رجب سنة تِسع . وكان قَدم معه فَرْوة بن مُسيك المُرادىّ ، فاستعمل النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فروةَ على زُبيد ومُراد ومَذحج كلِّها . فلم يلبث عمرو أن ارتد عن الإسلام مع من ارتد من مَذحج . فاستجاش[3] فَروةُ عليهم النبىّ صلى الله عليه وسلم . فوجَّه إليهم خالدَ بن سعيد بن العاص بن أُمية ، وخالدَ بن الوليد ، وقال لهما : إذا اجتمعتم فعلىُّ بن أبى طالب أميرُكم ، وهو على الناس . فوجّه عليًّا رضى الله عنه، فاقتتلوا ، فقُتل بعضُهم ونجا بعض .

حديث الصمصامة — وفى هذا الوجه وقعت الصَّمصامة إلى آل سعيد بن العاص ، وكان سبب وقوعها أن رَيحانة بنت مَعديكرب سُبيت يومئذ ، ففَداها خالد ، فأثابه عمرو

---

(١) فى إحدى روايتى الأغانى والشعر والشعراء وجمهرة أنساب العرب (ص٣٨٦ – ٣٨٧) : « معد يكرب بن عبد الله » .

(٢) التكملة من الأغانى والشعر والشعراء وجمهرة أنساب العرب .

(٣) استجاش : أى طلب لهم الجيش وجمعه عليهم .

الصّمصامة، وعاد عمرو إلى الإسلام . فصارت الصّمصامة بعد خالد إلى سعيد بن العاص أبن سعيد بن العاص . فلمّا كان يوم قُتل عثمان بن عفان — رضى الله عنه — وُجد سعيد جريحاً وقد ذَهب السيف والغِمد ، ثم وُجد الغِمد . فلما وَلى معاويةُ أبن أبى سُفيان الخلافةَ جاء أعرابىٌّ بالسيف بغير غمد — وسعيد حاضر — فقال سعيد : هذا سيفى . فجحد الأعرابىُّ من مقالته . فقال سعيد : الدليل على أنه سيفى أنه يُحضر غمده فيُغمد فيه فيكون كِفافه[1] . فبعث معاوية إلى الغِمد فأُتى به من منزل سعيد ، فإذا هو عليه . فأقرّ الأعرابىّ أنه أصابه يوم الدار . فأخذه سعيد منه وأثابه ، ولم يزل عندهم حتى جاءت الدولة العباسيّة ، فأصعد المهدى من البصرة ، فلما كان بواسطَ بعث إلى آل سعيد فيه ، فقالوا : إنه للسَّبيل[2] . فقال : خمسون سيفاً قاطعاً أغنى من سيف واحد . فأعطاهم خمسين ألف درهم ، فأخذه .

تعجب عمر من خلقه

وكان عمرو بن معد يكرب عَظيمَ الخَلْق ، فكان إذا رآه عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — يقول : الحمد لله الذى خلقنا وخلق عمراً ! تعجُّباً من عِظم خلقه .

هو وعمر فى عطائه

وذُكر أن عمر — رضى الله عنه — فَرض له ألفين . فقال : يا أمير المؤمنين ، ألف هاهنا — وأومأ إلى شق بطنه الأيمن — وألف هاهنا — وأومأ إلى شق بطنه الأيسر — فما يكون هاهنا — وأومأ إلى وسط بطنه ؟ فضحك عمر رضى الله عنه وزاده خمسمائة درهم .

من شجاعته

وحُكى أن عمرو بن معديكرب كان يقول : لو سِرت بظَعينة وحدى على مياه العرب كلها ماخفتُ أن أُغلب عليها، ما لم يَلْقنى حُرّاها وعَبداها ، أما الحُرّان: فعامر بن الطفيل، وعُتيبة بن الحارث بن شهاب ؛ وأما العَبدان : فأسود بنى عبس — يعنى عنترة — والسُّليك بن السُّلكة ، وكلهم قد لَقيتُ .

(١) كفافه : مضمه . (٢) أى المعتمد والأيد والفخر .

لعمر فى شجاعته وحُكى أن عمر ـ رضى الله عنه ـ كتب إلى سعد بن أبى وقّاص ـ رضى الله عنه ـ وهو بالقادسية : إنى قد أمددتُك بألفى رجل : عمرو بن معديكرب ، وطُليحة بن خُويلد ، فشاورْهما فى الحرب ولا تُولِّهما شيئاً .

غلبته على أسوار الفرس وشعره وحُكى أنه كان مع رُستم مُقدَّم الفُرس يومئذ أُسوار لا تَسقُط له نُشَّابة . فقيل لعمرو : يا أبا ثور ، اتق ذلك . فإن القائل ليقول ذلك له إذ رماه الأُسوار رميةً فأصاب فرسه ، وحَمل عليه عمرو فاعتنقه ، ثم ذَبحه وسَلبه سُوارى ذهب كانا عليه وقُباء دِيباج . وقال عمرو فى ذلك :

أَلِمْ بسَلْمى قبل أن تَظْعنا إنَّ لنا من حُبِّها دَيدنَا
قد علمتْ سَلْمى وجاراتُها ما قَطَّر(١) الفارس إلا أنَا
شَككتُ بالرُّمح حَيازيمَه والخيلُ تعدو زِيَماً(٢) بيننا

سنه وذُكر أنَّ عمرو بن معديكرب لما شَهد القادسيَّة كان ابنَ مائة وعشرين سنة .

هو يوم القادسية وذُكر أن عمرو بن معديكرب قال يوم القادسية : ارمُوا خراطيم الفِيلة بالسُّيوف فإنه ليس لها مَقتل إلا خراطيمها . ثم شَد على رُستم وهو على الفيل فضَرب فِيلَه ، فجذم عُرقوبيه فسقط . وحُمل رُستم على فرس ، وسقط من تحته خُرج فيه أربعون ألف دينار ، فحازه المسلمون . ثم سَقط رُستم بعد ذلك عن الفرس فقُتل ، وكانت الهزيمة .

من قوته وذُكر أنه جاء رجل إلى عمرو بن معديكرب ، وهو واقف بالكُناسة(٣) على

(١) قطره : صرعه .

(٢) زيما : متفرقة .

(٣) الكناسة : محلة بالكوفة .

فَرس له وقال : لأنظرُنَّ إلى ما بقى من قُوة أبى ثور . فأدخل يده بين ساقه و بين السَّرج ، وفَطِن له عمرو فضمَّها عليه وحرَّك فرسه . فجعل الرجل يعدو مع الفرس لا يَقدر أن يَنزع يده ، حتى إذا بلغ منه قال : يابن أخى ، مالك ؟ قال : يدى تحت ساقك . فخلّى عنه وقال : يابن أخى ، إن فى عمّك لبقيةً بعد .

كان كذاباً — وكان عمرو مع هذه الشجاعة والبسالة معروفاً بالكذب ، وقد اشتهر ذلك عنه .

شعره الذى فيه الغناء وسببه — وذُكر أن الصمّة بن بكر أغار على بنى زُبيد فاُستاق أموالهم ، وسَبى ريحانة بنت مَعديكرب أُخت عمرو ، واتبعه عمرو يُناشده أن يُخلّى عنها . فلم يفعل . فلما يَئس ولّى وهى تُناديه بأعلى صوتها . فلم يقدر على انتزاعها . فقال الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عمرو بن معديكرب :

أمِن رَيحانةَ الداعى السَّميع ... يُؤَرِّقنى وأصحابى هُجوعُ
سَباها الصمّة الجُشمىّ غَصْباً ... كأن بياضَ غُرتها[1] صَديع
وحالت دونها فُرسان قيس ... تكشّف عن سواعدها الدُّروع
إذا لم تستطع شيئاً فدَعْه ... وجاوِزْه إلى ما تستطيع

شعره يتوعد المرادى — وذُكر أن عمرو بن معديكرب غزا هو وأُبَىّ المُرادىّ، فأصابوا غنائم ، فطلب أُبَىّ من الغنيمة ، وأبَى عمرو أن يُعطيه شيئاً ، فأمسك عنه ، و بلغ عمراً أن أُبيًّا يتوعّده ، فقال فى ذلك :

أعاذل شِكّتى بَدنى ورُمحى ... وكُل مُقلّص سَهل[2] القِيادِ
أعاذل إنما أفنَى شَبابى ... وأقرح عاتقى حملُ النِّجاد
تمنّانى ليلقانى أُبىٌّ ... وددتُ وأينما منّى وِدادى

---

(١) الصديع : الصبح .

(٢) فى غير التجريد : « سلس » .

ولو لاقيتنى ومعى سلاحى ... تكشّف شَحم قلبك عن سَواد
أُريد حياته ويريد قتلى ... عَذيرَك[1] مِن خليلك من مُرادى

وحَكى بعضهم أن عمرو بن معديكرب كان فى بعض المغازى مع شباب من مَذحج، فنزل بخانٍ دون رُوذة — وهى ما بين قُم والرَّى — وذلك فى آخر خلافة عمر رضى الله عنه، أو خلافة عثمان رضى الله عنه. فتغدَّى القوم ثم ناموا، وقام كُل واحد منهم لقضاء حاجته. وكان عمرو لا يجسر أحدٌ أن يدعوه وإن أبطأ. فقام الناس للرَّحيل فرحلوا، إلا من كان فى الخان الذى فيه عمرو. قال: فلما أبطأ صِحْنا به: يا أبا ثور، فلم يُجبنا، وسمعنا[2] عَلَزاً شديداً ومِراساً فى الموضع الذى دخله. فقصدناه فإذا به محمرَّة عيناه مائلاً شِدْقه، مفلوجاً، فحملناه، وأمرنا غلاماً شديد الذِّراع فارتدفه ليعدل مَيله، فمات بُروذة على قارعة الطريق. فقالت امرأته الجُعفية ترثيه:

لقد غادر الركب الذين تحمّلوا ... برُوذة شخصاً لا ضعيفاً ولا غَمْرا
فقُل لزُبيد بل لمَذحج كُلها ... فقدتم أبا ثَور كنانتكم[3] عمرا
فإن تَجزعوا لا يُغْن ذلك عنكمُ ... ولكن سَلُوا الرّحمٰن يُعقبكم أجرا

(١) عذيرك، أى من يعذرك. ونصبه على إضمار «هات» فعيل بمعنى فاعل.
(٢) العلز: الضيق الذى يكون عند الموت.
(٣) فى غير التجريد: «سنانكم».

أخبار
قس بن ساعدة الإيادى

هو قُس بن ساعدةَ بن عَمرو[1] بن عَدِىّ بن مالك بن أيدعان[2] بن النَّمر أبن وائلة بن الطمثان[3] بن عبد[4] مَناة بن يَقْدُم بن أَفْصى بن دُعْمِى بن إياد . نسبه

خَطيب العرب وشاعرُها وحَليمها وحكيمُها فى عَصره . و يقال : إنه أولُ مَن علا على شَرف وخَطب عليه ، وأولُ من قال فى كلامه « أما بعد » . وأول من أتكأ على سَيف أو عصاً عند خُطبته . شىء عنه

رُوى عن أبن عبّاس قال : لما قَدم وفدُ إياد على النبىّ صلّى الله عليه وسلم قال : ما فعل قُس بن ساعدة ؟ قالوا : مات يا رسول الله . قال : كأنى أنظرُ إليه بسُوق عُكاظ وهو على جمل أورق ، وهو يتكلّم بكلام عليه حلاوة ما أَجدنى أحفظُه . فقال رجل من القوم : أنا أحفظُه يا رسول الله . قال : كيف سمعتَه يقول ؟ قال : سمعتُه يقول : رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأنه مع وفد إياد

أيها الناس : أسمعوا وعُوا . من عاش مات ، ومَن مات فات ، وكُل ما هو آت آت ؛ ليلٌ داج ، وسماء ذات أبراج ؛ وبحار تَزخر ، ونُجوم تَزهر ؛ وضوء وظلام ، و برٌّ وآكام ؛ ومطعم وملبس ، ومَشرب ومأكل . مالى أرى الناس يَذهبون ولا يَرجعون ! أرضُوا بالمُقام فأقاموا ، أم تُركوا فناموا . وإلٰه قُس

---

(١) فى جمهرة أنساب العرب : « بن عمرو بن شمر بن عدى » . وهى إحدى روايتى الأغانى .

(٢) تاج العروس (طمث) : « أيزغان » .

(٣) جمهرة أنساب العرب : « الطمثان » . وفى التجريد : « الظميان » .

(٤) تاج العروس : « عوذ » . وفى بعض أصول الأغانى : « عود » .

ابن ساعدة ، ما على وجه الأرض دِين أفضلُ من دين أظلّكم زمانُه ، وأدرككم أوانُه ، وويل لمن خالفه . ثم أنشأ يقول :

فى الذّاهبين الأوّليـ ـن من القُرون لنا بصائر
لمّا رأيت مَوارداً للموت ليس لها مَصادر
ورأيتُ قومى نحوها يمضى الأكابر والأصاغر
أيقنتُ أنّى لا محا لةَ حيثُ صار القوم صائر

فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلّم : يَرحم الله قُسًّا ! إنّى لأرجو أن يُبعث يوم القيامة أُمّةً وحده . فقال رجل : يا رسول الله ، لقد رأيتُ من قُسّ عجباً . قال : وما رأيت ؟ قال : بينا أنا بجَبَل يقال له : جَبَل سِمعان[1] ، فى يوم شديد الحر ، إذا بقُس بن ساعدة تحت شجرة عند عين ماء ، وعنده سباع ، كلما زأر سبع منها على صاحبه ضَربه بيده ، وقال : كُفّ حتى يَشرب الذى ورد قبلك . قال : ففَرِقت . فقال لى : لا تخف . وإذا بقَبرين بينهما مَسجد . فقلت له : ما هذان القبران ؟ فقال : قبر أخوين كانا لى ماتا ، فاتخذت بينهما مسجداً أعبدُ الله فيه حتى ألحق بهما . ثم ذكر أيامهما وبكى ، ثم أنشأ يقول :

خليلىّ هُبّا طال ما قد رقدتُما أجِدَّكما ما[2] تقضيان كَراكما
ألم تعلما أنّى بسِمعانَ مُفردٌ وما لىَ فيه من حَبيبٍ سواكما
أُقيم على قَبْريكما لست نازحاً طوالَ الليالى أو يُجيبَ صَداكما
كأنكما والموتُ أقربُ غاية بجسمىَ فى قَبْريكما قد أتاكما
فلو جُعلت نفسٌ لنفسٍ وقايةً لجُدْتُ بنفسى أن تكون فِداكما

(١) سمعان : فى ديار بنى تميم .

(٢) فى التجريد وبعض أصول الأغانى : « لا تقضيان » .

فقال النبىُّ صلَّى الله عليه وسلم : يَرْحم الله قُسًّا .

شعره الذى فيه الغناء وهذه الأبياتُ هى الشعرُ الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبارَ قُس . وقد رُوى أنَّ هذه الأبياتَ إنما هى لقُس بن قُدامة الأسدىّ وكان قَدِم قاشان[١] ، وكان له نديمًا ، فكان يجىء ويجلس على القبرين ــ وهما براوَنْد[٢] ، بمكان يقال له: خُزاق ، فيَشرب على القبرين حتى يَـقضى وَطره ، ثم ينصرف ويُنشد :

خليلَىَّ هُبَّا طال ما قد رقدتُما ... أجِدَّ كما ما[٣] تقضيان كَرا كما
ألم تَعْلما مالى براوَنْدَ هـذه ... ولا بخُزاق مِن نديمٍ سوا كما
مُقيم على قـبريكما لستُ نازحاً ... طِوالَ الليالى أو يُجيبَ صَدا كما
جَرى الموتُ مَجرى اللَّحم والعظم منكما ... كأنَّ الذى يسقى العُقارَ سـقا كما
تحمّل من يبغى[٤] القُفول وغادروا ... أخاً لـكما أشجاه ما قد شَجا كما
وأىُّ أخٍ يَجفو أخاً بعـد موته ... فلستُ الذى من بعد موتٍ جَفا كما
أصُبّ على قَـبْريكما من مُـدامة ... فإلّا تذُوقا أُرْوِ منهـا ثَرا كما
أُناديكما كيما تُجيبا وتَنطقـا ... وليس مُجاباً صوتُه مَن دعا كما
أمِن طَول يومٍ لا تُجيبان داعياً ... خليلَىّ ما هـذا الذى قد دَهاكما
قضيتُ بأنى لا محـالةَ هالكٌ ... وأنى سـيَعْرونى الذى قد عَرا كما
سأَبكيكما طُولَ الحياة وما الذى ... يرُدُّ على ذى عَوْلة إن بَـكا كما

ثم ذكر أبو الفرج مُغنِّين وشعراء لم أَختر لهما شيئاً[٥] .

(١) قاشان : مدينة قرب أصبهان .
(٢) راوند : بليدة قرب قاشان .
(٣) فى التجريد وبعض أصول الأغانى : « لا تقضيان » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « يهوى » .
(٥) هم : على بن آدم ، وعمرو بن بانة ، وآدم بن عبد العزيز .

ذكر بعض
أخبار يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (*)

قيل : قَدِم سَلْم بن زياد على يزيدَ فنادمه ، فقال له ليلة : ألا اوَلِّيك خراسان؟ قال : ، وسجستان . فعَقَد له من ليلته . فقال : قدوم سلم عليه

سَـقِّنى شربةً تُرَوِّ عظامى ... ثم عُدْ واسْقِ مثلَها أبنَ زِيادِ
موضعَ السِّر والأمانة منِّى ... وعلى ثَغر مَغنمى وجهــادى

وذُكر أنه حَجَّ يزيدُ بن مُعاوية فى خلافة أبيــه مُعاوية وجَلس بالمدينــة يشرب، وأستأذن عليه أبنُ عباس والحُسين بن علىّ، فأمر يزيد بشرابه فرُفع . وقيل له : إنَّ أبنَ عباس إن وَجد ريح شرابك عَرفه . فحجَبه وأذن للحسين ــ عليه السلام ــ فلما دَخل وَجد رائحة الشراب مع الطِّيب ، فقال : لله دَرُّ طِيبك هذا ! ما أطيبه ! وما كنْت أحسب أنّ أحداً يتقدَّمنا فى صَنعة الطيب ! فما هــذا يابن معاوية ! فقال يا أبا عبد الله ، هذا طِيبٌ يُصنع لنا بالشام . ثم دعا يزيدُ بقَدح فشربه ، ثم دعا بآخر فقال : أسق أبا عبد الله . فقال الحسين ــ رضى الله عنه عليك شرابَك أيها المرء ، فلا عينَ عليك منى . فشرب يزيد وقال : من لهــوه

ألا يا صــاحِ للعجب ... دعوتُك ثم لم تُجِبِ
إلى القَينــات واللذا ... ت والصَّهباء والطَّرب
وباطيــــةٍ مكلَّلة ... عليها ســادةُ العرب
وفيهن التى تَبلت ... فؤادك ثم لم تَتُبِ

فوثب الحُسين وقال : بل فؤادك يابن معاوية !

(*) لم يفرد له أبو الفرج ترجمة ، وإنما ذكر بعض أخبار له فى إثر أخبار : « آدم بن عبد العزيز »

أخبار مُتمّم بن نويرة

نسبه
هو مُتممِّ بن نُويرة بن حَمزة بن شدّاد بن عُبيد بن ثَعلبة بن يَربوع بن حَنظلة ابن مالك بن زَيد مناة بن تَميم بن مُرة بن أد بن طابخة بن اليأس بن مُضر ابن نزار .

أخوه مالك
وكان أخوه مالك يُكنى أبا المغوار ، وهو فارس ذى الِخمار ـ وقيل له ذلك ، لفرس كان عنده يقال له ذو الِخمار .

حديث مقتل مالك
وكان النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم أستعمل مالكَ بن نُويرة على بنى يَربوع ، ولما تُوفّى النبيُّ صلّى الله عليه وسلم أرتد أكثرُ العَرب عن الإسلام . وكان فى حياته صلّى الله عليه وسلّم قد أدعى الأسودُ العَنسى النبوة ، وأستولى على بعض اليمن . وأدعى أيضاً مُسيلمة الحَنفى النبوة فى اليمامة ، وأطاعته بنو حنيفة . فقُتل الأسود العَنسى ، قتله فيروز الدَّيلمى ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم فى مرض موته ، وأستفحل أمر مُسيلمة الكذاب بعد وفاة النبىِّ صلى الله عليه وسلم . وأدعى طُليحة ابن خُويلد النبوّة ، وأطاعته بنو أسد . وكذلك ادعت سَجاح بنت الحارث ابن سُويد بن غطفان ، من بنى يربوع ، النبوّة ، وراسلت مالكَ بن نُويرة ودَعته إلى المُوادعة ، فأجابها . ثم توجّهت إلى مُسيلمة الكذاب فتزوّجته ودخل بها . وفيها يقول بعض بنى تَميم :

أضحت نبيّتنا أُنثى نُطيف بها وأصبحتْ أنبياء الناس ذُكْرانَا

ثم أنصرفت سَجاح إلى الجزيرة ، وقد صالحت مُسيلمة على أن يحمل إليها النِّصف من غَلّات اليَمامة . فأرعوى حينئذ مالكُ بن نُويرة ، ونَدم وتحيّر فى

أمره ، ولَحِق بالبِطاح وأقام به مُتحيّراً لايَدرى ما يصنع . و بعث أبو بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ خالدَ بن الوليد لقتال المُرتدّة ، وكان أبو بكر ــ رضى الله عنه ــ قد أوصاه وغيرَه من أُمراء سَراياه : إذا نزلتُم فأذِّنوا وأَقيموا ، فإن أذّن القوم وأقاموا فكُفوا عنهم ، فإن لم يفعلوا فلا شىء إلا الغارة ، ثم اُقتلوهم ؛ فإن أجابوكم إلى داعيـة الإسلام فسائلوهم ، فإن هم أقرّوا بالزكاة قبلتُم منهم ، وإلّا فلا شىء إلا الغـارة . فلما نزل خالدُ بن الوليـد البِطاح بثّ سراياه فأَمرهم بالدّعوة إلى الإسلام ، فجاءته خيلُه بمالك بن نُويرة ، فى نفر من بنى ثعلبة بن يربوع . وشَهد أبو قتادة الأنصـاريّ أنّهم قد أذَّنوا وأقاموا وصلّوا ، وشَهد غيرُه بخلاف ذلك . فلمـا اختلفوا فيهم أمر بهم فحُبسوا فى ليـلة باردة لا يقُوم لها شىء . فأمر خالدُ ابن الوليد مُنادياً فنادى : أَدفئوا أَسراكم ــ وكان فى لغة كِنانة إذا قيل : أدفئوا الرجل ، بمعنى اقتلوه ؛ وفى لغة غيرهم : أدفئوه ، من الدفء ــ فظن القوم أنه أراد القَتل فقَتلوهم . فقَتل ضرارُ بن الأزور مالكَ بن نُويرة . وسَمع خالدٌ الواعيةَ فخرج وقد فُرغ منهم ، فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه .

وقد اختلف القوم فيهم ، فقال أبو قَتادة لخالد : هذا عملك ! فزَبره[1] خالد . فغَضب ومضى حتى أتى أبا بكر ــ رضى الله عنه ــ فغضب أبو بكر عليه ، حتى كلّمه فيه عمرُ بن الخطاب رضى الله عنــه ، ولم يرض إلّا بأن يرجع إليه ، فرجع . ولم يزل معه حتى قَدم المدينة . وكان قد تزوّج خالدٌ أم تميم بنت المُهلب وتركها لينقضى طهرها . وعظُم على عُمر ــ رضى الله عنه ــ فِعلُ خالد وقتلُه مالك بن نويرة ، مع الشهادة له من أبى قتادة وغيره بالإسـلام ، ونكاحُه امرأتَه بعد قَتله ؛ وكلَّم أبا بكر رضى الله عنه فى ذلك ، وطَلب منه أن يُقيده به ، وأكثر عليه فى ذلك . فقال : هَبْه يا عمر تأوّل فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد . وَودَى مالكاً ، وكتبَ إلى خالد أن يَقْدم عليه ، ففعل . وأخبره خبرَه . فعَذره وقبل منه .

(١) زبره : نهاه وكفه .

وذُكر أنَّ عُمراً لما أكثر على أبي بكر ـ رضى الله عنهما ـ في أمر خالد ، قال : لا ، يا عمر ، ما كُنت لأشيم[1] سيفاً سَلَّه الله على الكافرين .

وذُكر أن مالكاً كان كثير الشَّعَر ، وأن خالد بن الوليد لما قتله أمر برأسه فصُيِّر أثْفيّة لقِدر ، فنَضج ما فى القدر قبل أن تَبلغ النارُ إلى رأسه .

وذُكر أنّ خالد بن الوليد كان يَعتذر فى قَتله مالكَ بن نُويرة أنه قال له وهو يراجعه : ما إخال صاحبَكم ـ يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ـ إلا وقد كان يقول كذا وكذا . فقال له : أَو ما تَعُدّه لك صاحباً ، ثم قدّمه فضَرب عُنقه .

وأكثر عمرُ ـ رضى الله عنه ـ القول فى خالد ، فقال : عدوُّ الله ، غدا على أمرىء مُسلم فقتله ، ثم نَزا على أمرأته .

ولما دخل خالدُ بن الوليد المسجدَ كان عليه قباء له وعليه صدأ الحديد ، وهو مُعتجر بعمامة وقد غرز فيها أسهُماً . فقام إليه عُمر — رضى الله عنه — فانتزع الأسهُم من رأسه فحطّمها ، ثم قال : قَتلت أمرأ مُسلماً ثم نزوتَ على أمرأته ، والله لأرجُمنّك بأحجارك . فلم يكلِّمه خالدٌ ، ولا يظن إلّا أنّ رأى أبى بكر على مِثل رأى عمر ، حتى دخل على أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ واعتذر إليه ، فعذره . فخرج خالد حين رضى عنه أبو بكر ، وعمر جالس فى المسجد ، فقال : هلمّ إلىّ يابن أمّ سَلمة . فعرف أنّ أبا بكر — رضى الله عنه — قد رضى عنه ، فلم يكلِّمه ودَخل بيتَه .

شعر متمم فى أخيه مالك

وذُكر أن مُتمم بن نُويرة ، لما قُتل أخوه مالك ، قَدِم المدينة وصلّى مع أبى بكر رضى الله عنه الصُّبح ثم أنشده :

نِعْمَ القتيلُ إذا الرِّياح تناوحت ... تحت الإزار قُتلْتَ يابن الأَزْوَر

(١) أشيم : أغمد .

« أدعوتَه بالله ثم قتلتَـــه   وإذا دعاك بربِّه لم يَغْـــدر

فقال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ والله ما دعوته ولا قتلتُه . فقال :

لا يُضمر الفحشاء تحت ردائه   حُلْوٌ شمـــائلُه عَفِيفُ المِـئْزر

ثم بكى حتى سالت عينُه ، ثم انحرط على سِـية قوسه متكئاً — يعنى مغشيًّا عليه .

وقيل : صلى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يوماً الصُّبح ، فلما انفتل من الصلاة إذا هو برجل قصير أعور مُتنكِّباً قوسَه و بيــده هِراوة ، فقال : من هذا ؟ فقال : مُتمِّم بن نُويرة . فاستنشده قوله فى أخيه مالك ، فأنشده :

لَعمْرى وما دَهرى بتأبين هالك   ولا جَزَع ممّا أصـاب فأَوْجعَــا
لقــد لفَّف المِنهالُ تحت[1] ثيابه   فتًى غيرَ مِبْطان العَشيّات أَرْوعا

حتى بلغ قوله :

وكنّا كنَدْمانى جَذيمةَ[2] حِقبةً   من الدّهر حتى قِيل لن يَتصدَّعا
فلمــا تفرّقنـا كأنِّى ومالــكاً   لطُول اجتماع لم نَبِت ليــلةً معا

فقال عمر ـ رضى الله عنـه ـ : هذا والله التأبين ! وددتُ أنى أُحسن الشعر فأَرْثى أخى زيداً مثلَ ما رثيتَ به أخاك . فقال مُتمم : لو أن أخى مات على ما مات عليه أخوك ما رثيتُه .

قلت : قُتل زيدُ بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يوم اليمامة شهيداً .

---

(١) فى المفضليات (ص ٦٥) : « لقد كفن المنهال تحت ردائه » . والمنهال : هو ابن عصمة الرياحى ، وكان كفن مالكاً فى ثوبيه .

(٢) النــدمان : النديم . يريد : مالــكاً وعقيــلا ، ابنى فارج بن كعب ، حكمهما جذيمة الأبرش حين ردا عليه ابن أخته : عمرو بن عدى ، فاختارا منادمته ، ثم قتلهما .

شعره الذى فيه الغناء

وهذان البيتان الأخيران هما الشِّعر الذى فيه الغِناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار مُتممِّ بن نويرة .

هو وعمر فى شأن أخيه

وذُكر أن مُتممِّ بن نُويرة لمّا أنشد عمرَ بن الخطاب مَرثيته لمالك ، قال له عمر : هل كان يُحبّك مالك مثل محبتك إياه ، وهل كان مثلَك ؟ فقال : أين أنا من مالك ! وهل أبلُغ مالكاً ! والله يا أمير المؤمنين لقد أَسرنى حيٌّ من العرب فشدُّونى وَثاقاً بِقِدّ وألقونى بفنائهم ، فبلغه خبرى فأَقبل على راحلته حتى أُنتهى إلى القوم وهم جُلوس فى ناديهم ، فلما نَظر إلىّ أعرض عنى ، وقَصد إلى القوم ، فعرفتُ ما أراد ، فوقف عليهم وسلّم وحادثهم وضاحكهم ، فأنشدهم ، فوالله مازال كذلك حتى مَلأهم سُروراً ، وحَضر غداؤُهم فسألوه النزول ليتغدّى معهم ، ففعل . ثم نظر إلىّ فقال : إنه ليقبُح بنا أن نأكل ورجلٌ مُلْقى بين أيدينا لا يأكل معنا ، وأمسك بيده عن الطعام . فلما رأى ذلك القومُ نهضوا إلىّ وصبُّوا الماء على قِدّى حتى لان ، وخلّونى . ثم جاءوا بى وأجلسونى معهم على الغداء . فلما أكلنا قال لهم : أما ترون تحرُّم هذا بنا وأكله معنا ، إنه لقبيح بكم أن تردوه إلى القيد . فخلُّوا سبيلى . قال : أفكان كما وصفته ؟ قال : ما كذبت فى شىء من صِفته ، إلا أننى وصفتُه خَميص البطن ، وهو كان ذا بطن .

أخبار الحزين الكنانى

نسبه — وهو عمرو بن عُبيد بن وَهب[1]، أحدُ بنى الدُّئل بن كِنانة .

شىء عنه — من شُعراء الدولة الأُموية . حِجازىٌّ مَطبوع ، ليس من فُحول طبقته . وكان هجَّاء خبيثَ اللسان يُرضيه اليَسير . وتكسَّب بالشرِّ وهجا الناس . لم يَفِدْ إلى الخُلفاء ولا مَدحهم .

هو وعبد الله بن عبدالملك وقدهابه حين وفد عليه — وذُكر أن عبد الله بن عبد الملك بن مروان كان أحدَ فِتيان بنى أمية وظُرفائهم ، وكان حَسَنَ الوجه حسنَ المذهب ، فذُكر أنه حجّ سنةً فَدخل عليه الحزينُ فرأى جمالَ عبد الله وبهاءه ، و بيده قضيبُ خَيزُران ، فوقف ساكتاً ، وأمهله عبدُ الله حتى ظَن أنه قد أراح ، ثم قال له : وعليك السلام ورحمة الله أولاً . فقال : وعليك السلام وحيّا اللهُ وجهك أيها الأمير ، إنى قد كنت أمتدحتُك بشعر ، فلما دخلتُ عليك ورأيتُ جمالك و بهاءك أَذهلنى عنه ، فأُنسيت ما كنت قلتُه ، وقد قلتُ فى مَقامى هذا بيتين . قال : وما هما ؟ فقال :

فى كفِّه خيزُران ريحهُ عَبِق ... مِن كَفِّ أَرْوعَ فى عِرنينه شَمَمُ
يُغضِى حياءً ويُغْضَى من مهابته ... فما يُكلَّم إلا حين يَبْتسمُ

فأجازه . فقال : أَخْدِمنى أصلحك الله ، فإنه لا خادم لى . فقال : أختر أحد هذين الغلامين . فأخذ بيد أحدهما . فقال له عبد الله : أعلينا تُبقى ! خذ الآخر . فأخذه .

شعره الذى فيه الغناء — وقال أبو الفرج : وقد رُوى هذان البيتان للفرزدق فى الأبيات التى مَدح بها

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وهيب » .

زينَ العابدين علىَّ بن الحُسين بن علىّ بن أبى طالب ـ رضى الله عنهم ـ قال : وهو غلط .

وهذان البيتان هما الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الحزين .

حديث مدح الفرزدق لزين العابدين

وأما حديث الفرزدق فى الأبيات التى مَدح بها زينَ العابدين ، فهو أنه ذُكر أنّ هشام بن عبد الملك بن مروان حَجّ فى خلافة الوليد بن عبد الملك ، ومعه رؤساء أهل الشام ، فجَهد أن يَستلم الحجر فلم يَقدر من ازدحام الناس ، فنُصب له منبر فجلس عليه ينظر الناس ؛ وأَقبل علىُّ بن الحُسين ـ رضى الله عنهما ـ وهو أحسنُ الناس وجهاً ، وأنظفُهم ثوباً ، وأطيبهم رائحة ، فطاف بالبيت ، فلما بَلغ إلى الحَجر تنحّى الناسُ كلهم وأخلوا الحجر له يستلمه هيبةً وإجلالاً له ، فغاظ ذلك هشاماً وبلغ منه ؛ فقال رجل لهشام : من هذا ؟ أصلح الله الأمير . فقال : لا أعرفه ـ وكان به عارفاً ، ولكنه خاف أن يرغب فيه أهل الشام ويسمعوا منه — فقال الفرزدق ، ـ وكان لذلك كله حاضراً ـ : أنا أعرفه ، فَسَلنى يا شامى . قال : ومن هو ؟ فقال :

هذا الذى تَعرف البَطحاء وطأتَه ... والبيتُ يَعرفه والحِلُّ والحَرَمُ
هذا ابنُ خيرِ عِباد الله كُلِّهمُ ... هذا التقىُّ النَّقى الطاهرُ العَلِم
إذا رأته قُريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا يَنتهى الكرم
يكاد يُمسكه عِرفانَ راحتِه ... رُكْنُ الحَطِيم إذا ما جاء يَستلم
أىُّ الخلائق ليست فى رِقابهمُ ... لأوّليّة هذا أوله نِعَم
مَن يعرف الله يَعرف[1] أوليّة ذا ... فالدِّين من بيت هذا ناله الأُمَم

فغضب هشام بن عبد الملك وحَبس الفرزدق . فقال يهجوه :

(١) الديوان (ص ٨٤٩) : « يشكر » .

أيَحْبسنى[1] بين المدينـة والتى إليها قلوبُ النـاس يَهْوِى مُنيبُها
يقلِّب رأساً لم يكن رأسَ سيّد وعَينين حَوْلاوين[2] بادٍ عُيوبها

فبعث إليه هشام فأخرجه ، و بعث إليه علىٌّ بن الحسين ـ رضى الله عنهما ـ عشرة آلاف درهم ، وقال : أُعذُر يا أبا فِراس ، فلو كان فى هـذا الوقت أكثرُ من هذا لوَصلْناكَ به . فردّها وقال : ما قلتُ ما كان إلّا لله عزّ وجلّ ، وما كنتُ لأَرزأ عليه شيئاً . فقال له علىُّ : قد رأى الله تبارك وتعالى مكانَك فشكر لك ، ولكنّا أهلَ البيت إذا أنفذنا شيئاً لم نَرجع فيه ، وأقسم عليه . فقَبِلها .

---

(١) الديوان (ص ٥١) : « يرددنى » و(ص ٦٤) : « تُرددنى » .
(٢) الديوان (ص ٥١) : « يقلب عينا لم تكن لخليفة مشوهة حولاء » .

أخبار طفيل

هو طُفَيل بن عَوف بن خَلَف بن ضُبَيس بن خُلَيف بن مالك بن سَعد بن عَوف ابن كَعب بن خَلَّاد بن غَنم بن غَنِيّ بن أَعصُر بن سَعد بن قَيس عَيلان بن مُضر ابن نِزار . نسبه

وهو شاعر جاهليّ من الفُحول المَعدودين . ويقال: إنه من أقدم شَعراء قيس. وهو من أوصف العرب للخيل . من وصفه

وكان معاوية بن أبي سُفيان يقول : خلوا لى طُفيلاً وقولوا ما شئتم فى غيره . شهادة معاوية له

وذُكر أن قُتيبة بن مُسلم سأل أعرابيًّا من غَنِيّ فقال : أىّ بيتٍ قالتْه العربُ أَعرف ؟ قال : قولُ طُفَيل الغنوى : شهادة أعرابى له سأل قتيبة

ولا أكونَ وِكاءَ[1] الزَّاد أَحْبِسه ... لقد علمتُ بأنّ الزاد مأكولُ

قال : فأىّ بيت قالته العرب فى الحَرب أَجود ؟ قال : قول طُفَيل :

بحيٍّ إذا قيل اركبوا لم يقل لهم ... عَواوير[2] يَخشون الرَّدى أين نركبُ

قال : فأىّ بيت قالته العرب فى الصبر أجود ؟ قال : قول نافع بن خَليفة الغَنوى :

ومِن خير ما فينا من الخير أنّنا ... متى ما نُوافى مَوطن الصَّبر نَصْبِرِ

وذُكر أنّ رجلاً من غَنِيّ ـ يقال له : قيس النَّدامى ـ وَفد على بعض المُلوك ، شعره فى غارته على طيىء لقتلهم قيس الندامى

(1) الوكاء : كل خيط أو سير يشد به فم السقاء أو الوعاء .

(2) العواوير : ، جمع عوار ، وهو الجبان .

وكان قيس سيداً جَواداً ، فلما حَفِل المجلسُ أقبل الملكُ على من حَضر من وُفود العرب ، فقال : لأضعنّ تاجى هـذا على رأس أكرم رجل من العرب . فوضعه على رأس قَيس ، وأعطاه ما شاء ، ونادمه مُدة ثم أَذِن له فى الأنصراف إلى بلده ، فلما قَرُب من بلاده طيىء خرجوا إليه وهم لا يَعرفونه فقَتلوه ، فلما عرفوا أنه قيس نَدموا لأياديه كانت عندهم ، فَدفنوه و بنَوْا عليه بيتاً . ثم إن طُفيلاً جَمع جُموعاً من قَيس وأغار على طيىء فاُستاق من مواشيهم ما شاء ، وقتل منهم قَتلى كثيرة. فقال طُفيل الغنوىّ قصيدته التى منها :

فذُوقوا كما ذُقنا غَداةَ مُحجَّرٍ ... من الغَيظ فى أكبادكم[1] والتحوُّبِ
فبالقَتل قتلٌ والسَّوامُ بمثله ... وبالشَّل شَلٌّ الغائط[2] المتصوِّب

شعره الذى فيه الغناء

ومن هـذه القصيدة الشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار طفيل ، وهو :

بالعُفر[3] دارٌ من جَميلةَ هَيّجت ... سوالفَ حُبّ من فؤادك مُنْصِبِ
وكنتَ إذا ناءت بها غُربةُ النَّوى ... شديدَ القُوى لم تَدْرِ ماقولُ[4] مُشْغِب
كريمةُ حُرّ الوجه لم تَدْعُ هالكاً ... من القوم هُلْكاً فى غدٍ غير[5] مُعْقِب
أسيلة مَجرى الدّمع خُمْصانة الحَشى ... بَرُوق الثَّنايا ذات خَلْق[6] مُشرْعَب

---

(١) محجر : جبل فى ديار طيىء . والتحوب : التغيظ والتوجع .

(٢) السوام : المال الراعى . والشل : الطرد . والمتصوب : الهابط . يريد طرداً سريعاً فى عنف .

(٣) العفر : رمال بالبادية فى بلاد قيس .

(٤) مشغب : ذو شغب وخلاف عليك .

(٥) لم تدع هالكاً: لم تندبه . أى إنها فى قوم يخلف الباقى منهم الهالك . فهى لم تندب سداً واحداً لا نظير له ، أى إن له نظراء من قومه .

(٦) مشرعب : طويل .

ومنها :

تَرى العينُ ما تهوى وفيها زيادةٌ … من اليُمن إذ تبدُو ومَلْهى ومَلعب

وبَيْت تهُبّ الريحُ فى حَجَراتِه … بأرضٍ فضاء بابُه لم يُحجَّب

سماوتُه أسمالُ بُرد مُحبَّر … وصَهوته من أتحميٍّ[1] مُعصَّب

وأطنابُه أرسان جُرْدٍ كأنها … صُدور القَنا من بين بادٍ[2] ومُعْقب

نَصبتُ على قوم تُدرّ رِماحُهم … عُروق الأعادى من غَرير وأشيب

(١) السماوة والسماء : بمعنى ، يريد السقف . وصهوته ، أى أعلاه . والأتحمى : ضرب من البرود . ومعصب : مخطط .

(٢) الأطناب : حبال الخباء والسرادق ونحوهما ؛ الواحد : طنب ، بالضم وبضمتين . والأرسان : جمع رسن ، وهو ما كان من الأزمة على الأنف . والجرد : جمع أجرد ، وهو من الخيل القصير الشعر ، وذلك من علامات العتق والكرم ، وجعلها كصدور القنا ضموراً . وباد ، أى ظاهر شاخص ، ومعقب ، أى مغمور مخفى . والأصل فى المعقب : الراجع .

والرواية فى بعض أصول الأغانى والديوان : « القنا من بادىء ومعقب » بالقاف المشددة المكسورة . وفسره شارح الديوان بأن البادىء : الذى بدىء به أول غزوة . والمعقب : الذى غزى به غزوة بعد غزوة ، وعلى هذا فكأنه يريد : بين سليم قويم ، ومثلوم معوج .

(٣) نصبت : أى هذا البيت . والغرير : الحدث الذى لا تجربة له . والأشيب : الذى حنكته السنون .

أخبار لبيد (*)

نسبه وكنيته — هو لَبيد بن رَبيعة بن مالك بن جَعفر بن كِلَاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة ابن مُعاوية بن بكر بن هَوزان بن مَنصور بن عِكْرمة بن خَصَفة بن قَيس عَيلان ابن مُضر بن نزار. ويُكنى: أبا عقيل.

أبوه — وكان يقال لأبيه: رَبيعة المُعتَرِّين (1)؛ لجُوده وسخائه. وقتلته بنو أسَد في الحَرب التي كانت بينها وبين قومه.

عمه — وعمُّه أبو بَراء عامر بن مُلاعب الأسنة، سُمِّي بذلك لقول أوس بن حُجْر فيه:

مُلاعب أطراف الأسنّة عامر ... فراح له حظّ الكتيبة أجمعُ

أمه — وأُم لَبيد: تامر (2) بنت زِنباع العَبْسيّة، إحدى بنات جَذيمة بن رَواحة.

إسلامه وعمره وموته — ولَبيد بن رَبيعة أحدُ شعراء الجاهلية المعدودين فيها والمُخضرمين، ممّن أدرك الإسلام. وهو من أشراف العرب الأجواد الفُرسان المُعمَّرين. يقال: إنه عُمِّر مائةً وخمساً وأربعين سنة. وَفد على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أخيه أربد، وعامر بن الطُّفيل، فأسلم وحسن إسلامه، ونزل الكوفة في خلافة عُمر ابن الخطاب — رضى الله عنه — فأقام بها، ومات هناك في خلافة مُعاوية ابن أبي سُفيان. ويُقال: إنه مكث في الجاهلية تسعين سنة، وباقي عمره — وهو خمس وخمسون سنة — في الإسلام.

شعره لما أسن — وذُكر أنه لما بلغ سبعاً وسبعين سنة قال:

(*) وقبل أخبار «لبيد» ساق أبو الفرج «نسب محمد بن حمزة» المغنى. ولكن ابن واصل مر عنه ولم يشر.

(1) المعتر: الذي يطيف بك يطلب ما عندك، سألك أو سكت عن السؤال. والرواية في التجريد وجمهرة أنساب العرب (ص٢٦٨): «المقترين». (2) في بعض أصول الأغاني «تامرة».

قامتْ تَشكّى إلىّ النفسُ مُجهشةً ... وقد حملتُكِ سبعاً بعــد سَبعينا
فإنْ تُزادى ثلاثاً تبلغى أملا ... وفى الثــلاث وفاء للثمانينا

ولما بلغ تسعين سنة قال :

كأنّى وقد جاوزتُ تسعين حِجّةً ... خلعتُ بها عن منكبىّ رِدائيا

ولما بلغ مائة وعشر سنين قال :

أليس فى مائة قد عاشها رجلٌ ... وفى تكامُل عَشْر بعــدها عُمُرُ

ولما جاوزها قال :

ولئن سئمتُ من الحياة وطولها ... وسُؤال هــذا الناس كيف لَبيدُ
غَلب الرجالَ وكان غيرَ مُغلَّب ... دهرٌ طويلٌ دائمٌ ممــدود
يوماً أرى يأتى علىّ وليــلةً ... وكلاهما بعــد المَضاء يعود
وأراه يأتى مثــلَ يوم لقيتُه ... لم يَنتقص وضَعُفت وَهْو شــديد

وفوده مع غيره على النعمان

وذُكر أنه وَفد عامرُ بن مالك ملاعبُ الأسنّة فى رَهط من بنى جعفر ابن كلاب ، ومعه لَبيد بن ربيعة ، ومالك بن جعفر ، على النُّعمان ، فوجدوا عنده الرّبيعَ بن زِياد العَبسى ، وكان نديماً للنُّعمان ، فلما قدم الجعفريُّون كانوا يحضرون النعمان لحاجتهم[1] ، فإذا خرجوا من عنده خلا به الربيعُ فطعن فيهم وذكرَ مَعايبهم . وكان بنو جعفر أعداء الرّبيع . فلم يزل بالنُّعمان حتى صدّه عنهم ، وقد دخلوا عليه يوماً فرأوا منه جفاء ، وقد كان يُكرمهم ويُقرّبهم . ولَبيد مُتخلِّف فى مَتاعهم يحفَظ رحالهم ويَغــدو بإبلهم كلَّ صباح فيَرعاها ، فإذا أمسى انصرف بالإبل . فأتاهم ذات ليــلة وهم يتذاكرون أمرَ الرَّبيع ، فسألهم عنه ، فكتموه . فقال : والله لاحفظتُ لكم متاعاً ولا سَرَّحت لكم بعيراً أو تخبرونى . وكانت أم لبيد يتيمةً فى حجر الرّبيع . فقالوا : خالك قد غلبنا على الملك وصدّ عنّا وجهه . فقال لَبيد : فهل

(١) فى التجريد : « كانوا يحضرون الربيع بحاجتهم » .

تَقدرون على أن تجمعوا بينى و بينه فأزجُرَه عنكم بقول مُمضّ مؤلم ولا يَلتفت إليه النعمانُ بعدها أبداً ؟ قالوا : وهل عندك شىء ؟ قال : نعم . قالوا : فإنّا نَبلوك . قال : وما ذلك ؟ قالوا : تشتُم هذه البَقلة ــ وقُدَّامهم بقلة دقيقة القُضبان قليلة الوَرق لاصقة فُروعها بالأرض تُدعى: التَّربة(١) ــ قال : هذه التَّربة ، لاتُذكى ناراً ، ولا تؤهل داراً ، ولا تسرّ جاراً ؛ عودها ضئيل ، وفرعها ذليل ، وخيرها قليل ؛ أقبح البقول مرعى ، وأقصرها فرعا ، وأسهلها قَلعا ؛ بَلَدها(٢) شاسع ، وآكلها جائع ، والمُقيم عليها قانع؛ فألقوا بى أخا عَبس ، أردّه عنكم بتَعْس ، وأتركه من أمره فى لَبْس . قالوا : نُصبح ونرى رأينا فى أمرك . فقال عامر عمُّه : انظُروا إلى غُلامكم هذا فإن رأيتموه نائماً فليس أمره فى شىء ، إنما يتكلم بما جاء على لسانه ، و إن رأيتموه ساهراً فهو صاحبُه . فرمقوه فوجدوه قد رَكب رَحْلًا(٣) فهو يَكْدِم(٤) وسْطه حتى أصبح . فقالوا : أنت والله صاحبُه ! فعمَدوا إليه فحلقوا رأسه وتركوا ذُؤابته وألبسوه حُلّة وغَدوا به معهم فأدخلوه على النُّعمان ، فوجدوه يتغدَّى ومعه الربيع ابن زياد ، لا ثالث لهما فى الدار ، والمَجالس مملوءة بالوُفود . فلما فَرَغ من الغداء أذن للجعفريين فدخلوا إليه ، وقد كان أمرُهم تَقاربَ(٥) . فذكروا الذى قَدِموا له من حاجتهم . فاعترض الربيع بن زياد فى كلامهم . فقال لبيد بن ربيعة :

أكلَّ يوم هامتى(٦) مُقَزَّعَه ... يارُبَّ هَيجا هى خيرٌ من دَعَه

(١) التّربة : نبت سهلى مفرض الورق . وقيل : هى شجرة شاكة ، وثمرتها كأنها بسرة معلقة ، منبتها السهل والحزن وتهامة .

(٢) بلدها . أى منبتها .

(٣) الرحل : مركب للبعير والناقة .

(٤) يكدم . يعض . ومن توفز للقول واستعصى عليه أتى بما يشبه هذا .

(٥) تقارب ، أى هان وأدبر .

(٦) مقزعه : القزع ، وهو أن يحلق وسط الرأس ويترك فى مواضع منه شعر متفرق .

نحن بنى أمّ البَنين الأربعــهْ ... سُـيوف جنّ[(١)] وجفان مُترعهْ
نحن خيارُ عامرِ بن صَعصعهْ ... الضاربون الهام تحت[(٢)] الخَيضعهْ
والمُطعمون الجَفنــة[(٣)] المُدعدعهْ ... مهلًا أبيت اللعن لا تأكل معه
إنّ استه من بَرَص مُلمَّعــهْ ... وإنه يُدخِل فيهـــا إصبعه
يُدخلها حتى تُوارِى[(٤)] أشْجَعه ... كأنه يطلُب شيئاً ضـيَّعه

فرفع النّعمان يدَه من الطعام وقال : خَبّثت والله علىّ طعامى ياغلام ، وما رأيتُ كاليوم قطّ . فأقبل الربيع بن زياد على النّعمان وقال : كَذب والله ابنُ الفاعلة ! ولقد فعلتُ بأمه كذا وكذا . فقال له لبيد : مثلك فعل ذلك بربيبة بيته والقريبة من أهله ! وإن أمى من نساء لم يكنّ فواعل ماذكرتَ . وقضى النعمان للجعفريين الحوائج من وقتــه ، ومضى الربيع بن زياد إلى منزله . فبعث إليه النعمانُ بضعف ما كان يحبوه به ، وأمره بالانصراف إلى أهله . فكتب إليه الربيع: إنى قد عرفت أنه وقع فى صَــدرك ما قال لَبيد ، وإنى لستُ بارحاً حتى تَبعث إلىّ من يجرّدنى فيَعلم مَن حضرك من الناس أنى لست كما قال لبيد . فأرسل إليه : إنك لستَ صانعاً بانتفائك مما قال لبيد شيئاً ، ولا قادراً على ردّ ما زلّت به الألسن ، فالحق بأهلك . ثم أرسل الربيعُ إلى النعمان بأبيات من الشعر ، منها :

لئن رحلتُ جِمالى لا إلى سَعة ... ما مثلُهـا سعةً عرضاً ولا طُولَا
فأَبُتْ بأرضك بعدى وأَخْلُ مُتّكئاً ... مع النَّطاسىّ طَوراً وابن[(٥)] نوفيــلا

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « جز » .
(٢) الخيضعة : البيضة . وقيل: أراد التفاف الأصوات فى الحرب . وقيل : أراد الخضعة ، يعنى السيوف ، من صوت وقعها ، فزاد الياء دربا من الطى .
(٣) المدعدعة : المملوءة .
(٤) الأشجع : العظم الذى يصل الإصبع بالرسغ .
(٥) فى التجريد : « وابن توفيلا ».

وكان هذان نديمين للنعمان . فأجابه بأبيات منها :

قد قيل ذلك إن صدقاً و إن كذبا فما اعتذارك من شىء إذا قيلا

فالحق بأهلك حيث الأرض واسعة وانشر بها الطرف إن عرضاً و إن طولا

بيت له فى الإسلام

وذكر أن لبيد لم يقل فى الإسلام إلا بيتاً واحد ، وهو :

الحمد لله إذا لم يأتنى أجلى حتى لبست من الإسلام سربالا

أليته ألا تهب صبا إلا أطعم وما كان من الوليد بن عقبة معه

وذكر أنّ لبيد كان من أجود العرب ، وكان قد آلى فى الجاهلية ألّا تهُبَّ صَبًا إلا أطعم . ولما جاء الإسلام ونزل لبيدٌ الكوفة كانت له جفنتان يغدو بهما ويروح فى كل يوم على مسجد قومه فيُطعمهم . فهبّت الصَّبا يوماً والوليدُ بن عقبة ابن أبى مُعيط على الكوفة ، فصعد المنبر فخطب الناس ثم قال : إن أخاكم لبيد ابن ربيعة نذر فى الجاهلية ألا تهب صَبًا إلا أطعم ، وهذا يومٌ من أيامه ، وقد هبّت صبًا فأعينوه ، فأنا أوّل مَن يفعل . ثم نزل . فبعث إليه بمائة بكرة وكتب إليه بأبيات قالها ، وهى :

أرى الجزّار يشحذ مُديتيه إذا هبّت رياحُ أبى عقيل

أشمّ الأنف أصيد عامرىّ طويل الباع كالسّيف الصّقيل

وفى ابنُ الجعفرىّ بحلفتيه على العلّات والمال القليل

بنحر الكوم إذ سحبت عليه ذُيول صَبًا تجاوبُ بالأصيل

فلما بلغت أبياته لبيداً قال لابنته : أجيبيه ، فلعمرى لقد عشتُ بُرهة وما أعيا بجواب شاعر . فقالت ابنته :

إذا هبّت رياح بنى عَقيل دعونا عند هبّتها الوليدا

أشمّ الأنف أروعَ عبشميًّا أعان[1] على مُروءته لبيدا

---

(١) فى التجريد : « أعار » .

بأمثـال الهضاب كأنّ ركباً ... عليها من بنى حام قُعودا
أبا وَهب جزاك الله خــيراً ... نحرناها وأطعمنـــا الثَّريدا
فعُــدْ إنَّ الـكريم له مُعاد ... وظنِّى بابن أروى أن يعودا

فقال لها لبيـد : قد أحسنتِ لولا أنك أستطعمته ! فقـالت : إن الملوك لا يُستحى من صلتهم . فقال : وأنتِ فى هذا يا بُنية أشعر .

له وقد سئل عن أشعر الناس

وذُكر أنه قيل للبيد : من أشعرُ النـاس ؟ قال : الملك الضِّليل ـ يعنى أمرأ القيس ـ قيل : ثم من ؟ قال : الغـلام ابن ثمانى عشرة ـ يعنى طرفة بن العبد ـ قيل : ثم من ؟ قال : صاحب المِحجن ـ يعنى نفسه ـ وكان فى يده محجن ، حيث يقول :

إنَّ تقوى ربِّنـا خيرُ نَفَـل ... وبإذن الله رَيْثى وعَجَــلْ
أحمـــد الله ولا نِدَّ له ... بيديه الخيرُ ما شاء فعــل
مَن هداه سُبُلَ الخير اهتدى ... ناعمَ البـال ومن شـاء أضلّ

إعجاب المعتصم بشعره وحديثه مع بعض المغنين فى أبيات له

وذكر أن المعتصم جلس يوماً للشُّرب فغنّى بعضُ المغنين :

وبنو العبّاس لا يأتون « لا » ... وعلى ألسنهم خَفّت « نعم »
زيّنت أحلامُهم أحسـابَهم ... وكذاك الحِلْمُ زَيْنُ الـكرم

فقال : ما أعرف هــذا الشعر ، لمن هو ؟ قيل : للبيد . فقال : وما للبيـد وبنى العباس ؟ فقال المغنى : إنما قال « وبنو الريّان » فجعلته « بنو العباس » ، فاستحسن فعله ووَصله . وكان يُعجب بشعر لبيد . فقال : من منكم يَروى قوله :

* بلينا وما تَبلى النجوم الطوالع *

فقال بعضُ الجلساء : أنا . فقال : أنشدنيها . فأنشده :

بَلِينا وما تَبلى النجوم الطوالع ... وتبقى الجبــالُ بعدنا والمصانعُ

وقد كنت فى أكناف دار[1] مَضِنَّة ... ففارقنى جارٌ بأربدَ[2] نافع

فبكى المعتصم حتى جرت دموعه وترحّم على المأمون ، وقال : هكذا كان — رحمة الله عليه — ، ثم اندفع يُنشد هو باقيها :

فلا جزع إنْ فرّق الدهر بيننا ... وكل أمرىء يوماً له الدهر فاجع
وما الناس إلا كالديار وأهلها ... بها يومَ حلّوها وأخرى[3] بلاقع
ويمضون أرسالاً ونخلف بعدهم ... كما ضم إحدى الراحتين الأصابع
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يحُور رماداً بعد ما هو ساطع
وما المرء إلا مُضْمرات من التقى ... وما المال إلا عاريات ودائع
أليس ورائى إن تراختْ منيّتى ... لزوم العصا تُحنَى عليها الأصابع
أُخبّر أخبار القرون التى مضت ... أدِبّ كأنى كلما قُمت راكع
فلا تبعدنْ إنّ المنية موعدٌ ... علينا فدانٍ للطلوع وطالع
أعاذلَ ما يُدريك إلا تظنّيا ... إذا رحل الفتيان مَن هو راجع
أتجزع مما أحدث الدهرُ بالفتى ... وأىّ كريم لم تُصبه القوارع
لعمرك ما تدرى الضوارب بالحصى ... ولا زاجراتُ الطير ما الله صانع

من جيد شعره

[4] ومن جيّد شِعر لبيد بن ربيعة قوله :

كأنى وقد جاوزتُ سبعين حِجّة ... خلعتُ بها عنّى عذارَ لجامى
إذا ما رآنى الناس قالوا ألم يكن ... شديدَ مِحال البطش غيرَ[5] كهام

(١) أى دار عزيزة على يضن بها ويحرص عليها . والرواية فى الشعر والشعراء : « جار مضنة » : أى جار عزيز على .
(٢) أربد : هو أخو لبيد . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « بأربة » وفى التجريد : « بأزيد » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « وتنعم » . وفى الشعر والشعراء : « وغدوا » .
(٤) لم يرد هذا فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .
(٥) المحال : التدبير والكيد والمكر . والكهام : العيى الكليل ، وأصله فى السيف .

رمتني بناتُ الدهر من حيثُ لا أرى فكيف بمن يُرمَى وليس برامى
ولو أننى أُرمى بسهم رأيتُـــه ولـكنما أُرمى بغـــير سِهام

شعره فى احتضاره

وذُكر أنه لما احتضر لَبيد قال لابنته :

تمنَّى ابنتاى أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من رَبيعة أو مُضَرْ
فإنْ حان يوماً أن يموت أبوكما فلا تَخْمِشا وجهاً ولا تَحْلقا الشَّعَر
وقُولا هو المرء الذى لا خليفــةً أضاع ولا خان الصَّديق ولا غَدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومَن يَبْكِ حَولاً كاملاً فقداُعتذر

معلقته وما فيها من غناء

والقصيدة المشهورة ، وهى إحدى المعلقات السبع ، وأولها :

* عفت الديار محلّها فمُقامها *

فى الأبيات الثلاثة الأول فيها الغناء ، وبها افتتح أبو الفرج أخبار لبيد . وشهرة هذا الشعر تُغنى عن ذكره .

أخبار زياد الأعجم

اسمه وولاؤه — هو زياد بن سُليمان ، مولى عبد القَيس ، أحد بنى عامر بن الحارث .

موطنه — أصله ومولده ومنشؤه بأَصبهان ، ثم انتقل إلى خُراسان ، فلم يزل بها حتى مات .

لكنته — كان شاعراً جَزل الشِّعر ، فصيح الألفاظ على لُكنة فى لسانه . فذُكر من لُكنته أنه قال يوماً لغلام دعاه ليُرسله فى حاجة فأبطأ عليه ، فلما جاءه قال له : منذ لدن دأوتك إلى أن قلت لى : لبيك، ما كنت تسنأ ؟ يريد : منذ لدن دعوتك إلى أن قلتَ لى لبيك ما كنت تصنع ؟ فهذه ألفاظه كما ترى فى نهاية القُبح .

رثاؤه المغيرة ابن المهلب — وهو الذى يرثى المُغيرة بن المُهلَّب بن أبى صُفرة ويقول :

قُل للقوافل والغَزِىّ [1] إذا غزَوْا ... والباكرين وللمُجِدِّ الرائحِ

إنّ السماحةَ والشَّجاعة ضُمِّنا ... قبراً بمَرْوَ على الطَّريق الواضحِ

وإذا مررتَ بقبره فاْعقِر به ... كُومَ الهِجان وكُلَّ طِرْفٍ [2] سابحِ

وأُنضحْ جوانبَ قبره بدمائها ... فلقد يكون أخا دَمٍ وذَبائحِ

يا مَن بمَهْوَى الشمس من حَىٍّ إلى [3] ... ما بين مَطلع قَرنها المُتنازحِ

مات المُغيرة بعد طُول تعرُّضٍ ... للموت بين أَسِنَّةٍ وصَفائحِ

والقتلُ ليس إلى القتال ولا أرى ... حيًّا يؤخَّر للشَّفيق الناصحِ

وهى طويلة . قال أبو الفرج : وهى من نادر الكلام ، ونقىّ المعانى ، ومختار القصائد .

---

(١) الغزى : جمع غاز . وعن ابن برى أن هذا البيت للصلتان العبدى لا لزياد ، ولها خبر رواه زياد عن الصلتان مع القصيدة ، فذكر ذلك فى ديوان زياد ، فتوهم من رآها أنها له ، وليس الأمر كذلك . (اللسان : غزا) .

(٢) الكوم : جمع كوماء ، وهى الناقة العظيمة السنام . والهجان : الإبل البيض . والطرف : الكريم من الخيل .

(٣) فى غير التجريد : « لبعد » .

وذُكر أن يزيد بن المُهلَّب قال لزياد بن الأعجم ، وقد أنشده هذه القصيدة : يا أبا أُمامة ، أفَعقرتَ أنت عنده ؟ قال : كنت على بنت الحِمار - يريد الحمار .

لبعض المحدثين في مثله

ولبعض المُحدثين في هذا المعنى ما هو أتمُّ منه وأحسن ، وهو :

(١) أيها الناعيان مَن تنعَيان　　وعلى من أراكما تبْكيانِ
أنْدُبا الماجد الكريم أبا إسحا　　ق ربَّ المَعروف والإحسان
وأذهبا بي إن لم يكن لكما عَقْ　　رٌ إلى تُرب(٢) قبره فاْعقراني
وأنْضحا من دَمي عليه فقد كا　　ن دَمى من يَداه لو تَعلمان

وفوده على المهلب وما كان من حبيب معه

وذُكر أنّ زياداً الأعجم وَفد على المُهلّب بن أبي صُفرة بخُراسان فأمر له بجائزة وأقام عنده أياماً ، فبينا هو عنده عشيةً يشرب مع حَبيب بن المُهلَّب، في دارِله فيها دُلْبة(٣) وعليها حمامة ، إذ سَجعت الحمامة . فقال زياد :

تغنّيْ أنتِ في ذِممي وعهدي　　وذِمّة والدى أن لن(٤) تُضارى
وبيتَك أصلحيه ولا تخافي　　على صُفْرٍ مُزغّبة صِغار
فإنك كلما غنّيت صوتاً　　ذكرتُ أحبّتي وذكرتُ داري
وإمّا يقتلوكِ طلبتُ ثأراً　　أُحاوله(٥) لأنّك في جواري

فقال حبيب : يا غلام ، هات القوس . فقال زياد : وما تصنع ؟ قال : أرمي

(١) بهامش الأصل أمام هذه الأبيات : « هذه الأبيات لخالد الكاتب » . وهو أبو الهيثم خالد بن يزيد الكاتب البغدادي . وكانت وفاته سنة ٢٧٠ ﻫ . ترجم له الكتبي في الفوات (١ : ١٩٠) وأورد له شيئاً من شعره ولم يورد هذه الأبيات . كما ترجم له أبو الفرج (٢١ : ٤٤ – ٥٤) ولم يذكر الأبيات .

(٢) في غير التجريد : « جنب »

(٣) الدلبة : واحدة الدلب ، وهو شجر يعظم ويتسع ولا نور له . وهذه العبارة « فيها دلبة » لم ترد فيها بين أيدينا من أصول الأغاني .

(٤) في غير التجريد : « تطارى » مكان « تضارى » .

(٥) في غير التجريد : « له نبأ » .

جارتك هذه . قال : أوجادٌّ أنت ؟ قال : والله لأقتلنّها . قال : والله لئن رميتَها لأستعدينّ عليك الأمير . فأُتى بالقوس فنزَع لها سهماً فقتلها . فوثب زياد فدَخل على المُهلَّب فحدّثه الحديث . فقال المهلب : علىَّ بأبى بِسطام . فأُتى بحَبيب . فقال : أعط أبا أُمامة دية جاره ألفَ دينـار . فقال : أطال الله بقاء الأمير ، إنما كنت ألعب . قال : أعطه كما آمُرك . فأعطاه . فأنشأ زياد يقول :

فلله عَينا من رأى من قضيّةٍ ... قَضى لى بها قَرمُ[1] العِراق المُهلَّبُ
رَماها حبيبُ بن المُهلب رَميـةً ... فأثبتها بالسَّهم والسهمُ[2] يَغرُبُ
فألزمه عقـلَ القتيـل ابنُ حُرة ... وقال حبيبٌ إنمـا كنتُ ألعب
فقـال زياد : لا يُروَّع جاره ... وجارة جارى مثلُ جارى وأقرب

فحَمل إليه حبيبٌ ألف دينار على كُره منه .

هو وحبيب وقد خرق قباء له

فإنّه ليشرب يوماً معه إذ عربد عليه حَبيب ، وقد كان أُضطغن عليه ماجرى ، فأَمر بشق قُباء ديباج كان على زياد ، فقام زياد وقال :

لعمرك ما الدِّيباج خَرّقت وحدَه ... ولـكنّما خرّقت جِـلْد المُهلَّبِ

فبعث المُهلَّب إلى حبيب فأَحضره ، وقال : صدق زياد ، ماخَرّقت إلا جلدى ، تَبعث هذا على أن يهجونى . ثم بعث إلى زياد فأُحضر ، فأُستل سَخيمته وأمر له بمالٍ ووصله .

مدحه عمر بن عبيد الله وهو الشعر الذى فيه الغناء

وذُكر أن زياداً الأعجم وَفد على عُمر بن عُبيـد الله بن مَعمر التّيمى وهو بفارس ، فمَدحه بقوله فيه :

سـألناه الجَزيل فمـا تأبّى ... وأَعطى فوق مُنْيتنا وزادَا
مراراً ما دنوتُ إليـه إلّا ... تبسّم ضاحكاً وثَنى الوِسـادا

(١) القرم : السيد المعظم . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « يقرب » مكان « يغرب » .

وهذا الشعر هو الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار زياد الأعجم .

من جود عمر ابن عبيد الله

وكان عُمر بن عبيد الله هـذا من أجود قُريش المشهورين . وقد ذُكر أنّ رجلاً كان يهوى جارية له ، فألجأته الضرورة إلى بيعها ، فابتاعها منـه عُمر بن عبيد الله بن مَعمر ، فلما قَبض ثمنها أنشأت الجارية تقول :

هنيئاً لك المـالُ الذى قد قبضتَه ولم يَبْق فى كَفَّىَّ غـيرُ التحسُّرِ
أبوء بحُزن من فِراقك مُوجع ىُ به صدراً طويلَ التفكُّر

فقال الرجل الذى باعها مُجيباً لها :

فلولا قُعود الدَّهر بى عنك لم يكن يُفرِّقنا شىء سوى الموت فاْعذِرى
عليك ســـلامٌ لا زيارةَ بيننا ولا وصلَ إلا أن يشاء ابنُ معمر

فقال ابن معمر : قد شئتُ ، خُذ الجارية وثمنَها . فأخذها وانصرف .

وكان عبدُالملك بن مروان استقدم عمر بن عبيدالله هذا ، فلما وصل «ضُمَيرَ» من عمل دِمشق، أصابه الطاعون ، فتُوفِّى بها .فوقف عبدُ الملك على قبره وقال : لقد علمت قُريش أن قد فقدت ناباً من أنيابها .

أخبار الحسين بن مُطير الأسدى (*)

ولاؤه — هو الحُسين بن مُطير بن مُـكمل ، مولى بنى أسد . وكان جده مُكمل عبداً ، فأعتقه مولاه . وقيل : كاتَبه ، فسعى فى كتابته حتى أدَّاها وأُعتق .

شىء عنه — وهو من مُخضرمى الدولتين : الأموية والعباسية . شاعر متقـدِّم فى القصيد والرجز ، فَصيح . مَدح بنى أُميـة و بنى العباس . وكان زيّه وكلامه من مذاهب الأعراب وأهل البادية .

رد الأصمعى له معنى لدعبل — وحكى أبو بكر الأَصمّ قال :

كنّا فى مجلس الأصمعىّ فأنشده رجل لدِعبل بن علىّ قولَه :

لا تَعجبى ياسَـلْمِ من رجل ... ضَحكَ المَشيبُ برأسه فبَكَى

فقال الأصمعى : هذا سرقه من قول الحُسين بن مُطير الأسدى :

أين أهل القِبـاب بالدَّهنـاء ... أين جيرانُنـا على الأحسـاء

فارقُونا والأرض مُلْبَسـةٌ نَوْ ... رَ الأقاحِى تُجـاد بالأنواء

كلّ يوم بأُقحوان جـديد ... تَضحك الأرضُ من بُكاء السماء (1)

سهر المهدى بأبيات له — وحُكى أن المُفضَّل الضَّبىّ قال له المهدىّ : أسهرتْنى البارحةَ أبياتُ الحُسين ابن مُطير الأسدى . قال : وما هى يا أمير المؤمنين ؟ قال قوله :

وقد تَغـدِر الدُّنيا فيُضحِى غنيُّها ... فقيراً و يَغنى بعـد بُؤسٍ فقيرُها

(*) وقبل أخبار « الحسين » ساق أبو الفرج « أخبار شارية » المغنية . وقد عدى عنها ابن واصل وما أشار .

(1) فى بعض أصول الأغانى : « عن مهل » مكان « من بكاء » .

فلا تَقربِ الأمرَ الحرام فإنما ... حلاوتُه تفنى ويبقى مَريرها
وكم قد رأينا من تغيُّر عِيشةٍ ... وأُخرى صَفا بعد اُكدرارٍ غَديرُها

فقال له المفضل : مثل هذا فَلْيسهرك يا أمير المؤمنين .

جائزة المهدى له على شعر مدحه به

وذُكر أن الحُسين بن مطير الأسدىّ دَخل على المهدى فأنشده :

لو يَعبُدُ الناسُ يا مهدىّ أفضلَهم ... ما كان فى الناس إلا أنت مَعبودُ
أضحت يَمينُك من جُود مُصوَّرةً ... لا بل يَمينك منها صُوِّر الجُود
لو أنّ من نُوره مثقالَ خَردلة ... فى السُّود طُرًّا إذاً لاُبيَضَّتْ السُّود

فأمر له بكل بيت ألف درهم .

رثاؤه معن الشيبانى

ومن جيِّد الشعر قولُ الحُسين بن مطير يَرثى مَعن بن زائدة الشَّيبانى :

ألِمَّا بمَعن ثم قُولا لقَبره ... سقتْك الغوادى مَربعاً ثم مَربعاَ
ويا قبرَ مَعن كيف واريت جُوده ... ولو كان حيًّا ضقْت حتى تصدَّعا
فتًى عِيش فى مَعروفه بعد مَوته ... كما كان بعد السيل مَجراه[1] مُمرعا
أبى ذِكرُ مَعن أن تموت فَعاله ... وإن كان قد لاقى حِماماً ومَصرعا

تفضيل أبى عبيدة له

وقيل لأبى عُبيدة: ما تقول فى شعر الحُسين بن مُطير ؟ قال : والله لوددتُ أنّ الشعراء قاربتْه فى قوله :

مُخصَّرة الأوساط[2] زانت عُقودَها ... بأحسنَ ممّا زيّنتها عُقودُها
وصُفْرٍ تَراقيها وحُمْرٍ أكفُّها ... وسُود نَواصيها وبيض خُدودها

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الحُسين بن مُطير الأسدى ، هو :

(١) فى التجريد : « مرتعاً » .
(٢) فى التجريد : « الأطراف » .

أُحبُّك ياسَـلمى على غير رِيبـةٍ ... وما خيرُ حُبٍّ لا تَعِفُّ سرائِرُهْ
أُحبك حُبًّـا لا أُعنِّف بعـده ... مُحِبًّا ولـكنّى إذا لِيم عاذره
وقد مات قَبلى أولُ الحب وانقضى ... ولو مِتُّ أضحى الحُبُّ قد مات آخره
ولمّا تَناهَى الحبّ فى القلب وارداً ... أقام وسُدَّت فيه عنه[1] مَصادره

(١) فى غير التجريد : « عنه يوما » مكان « فيه عنه » .

نسبه هو النُّعمان بن بَشير بن سَعيد بن حُصين بن ثَعلبة بن جُلاس بن زَيد بن مالك الأغرّ بن ثَعلبة بن كَعب بن الخَزرج بن الحَارث بن الخَزرج .

أمه وأُمه : عَمرة بنت رَوَاحة ، أُخت عبد الله بن رواحة، رضى الله عنه .

له ولأبيه صحبة وشىء عن أبيه وللنُّعمان صُحبة بالنبيّ صلى الله عليه وسلم ، ولأبيه بشير بن سَعيد . وشهد بَشير العقبةَ ، وبدراً وأُحداً والخَندق والمَشاهد كلها مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وهو أول مَن قام من الأنصار يوم السَّقيفة إلى أبى بكر رضى الله عنه فبايعه ، وأُستشهد فى عين التَّمر[1] مع خالد بن الوليد .

مقتله وكان النُّعمان عُثمانيًّا ، شَهد مع مُعاوية بن أبى سُفيان يوم صِفِّين ، ولم يكن مع مُعاوية أنصاريٌّ غيرُه . وكان رفيعاً عنده وعند يزيدَ أبنِه بعده . وكان يتولّى حِمصَ ، فلما بُويع بالشام مَروانُ بن الحكم بالخلافة خالفه النُّعمان بنَ بشير ودَعا إلى عبدالله بن الزُّبير ، وذلك بعد مَقتل الضحّاك بن قَيس بمَرج راهط[2] . فلم يُجبه أهل حِمص إلى ذلك ، فهَرب منهم ، وتَبعوه فأدركوه وقتلوه . وذلك سنةَ خمس وستين .

أول مولود أنصارى فى الإسلام وشىء من روايته والنُّعمان أولُ مولود للأنصار بعد مَقدم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة . وروى النُّعمان عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أحاديثَ كثيرة .

روى النُّعمان بن بشير ، قال : أعطانى أبى عطيّة ، فقالت أُمى عَمرة : لا أرضى حتى يشهد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة ، افتتحها المسلمون أيام أبى بكر على يد خالد بن الوليد . (معجم البلدان) . (٢) مرج راهط : بنواحى دمشق .

فقال : إن ابني من عَمرة أعطيتُه عطيــة . فأمرتْني أن أُشهدكَ . فقال : أعطيتَ كُل ولدك مثل هذا ؟ قال : لا . قال : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم .

هو وأهل الكوفة وقصد منعهم عطاءهم

وولّى معاويةُ بن أبى سُــفيان النُّعمانَ بن بَشير الـكُوفةَ . فأمر معاويةُ لأهل الـكُوفة بزيادة عشرة دنانير فى أَعطياتهم ، فأَبى النُّعمانُ بن بَشير إنفاذها بُغضاً لهم، لَميلهم إلى علىّ رضى الله عنه . فَصعد يوماً المِنبر ، فقام أهل الـكوفة إليه فقالوا : نَنشُدُكَ الله والزيادة . فقال : اسـكُتوا . فلما أكثروا قال : أتَدرون ما مَثلى ومَثلـكم إلا مثــل الضَّبع والضَّب والثَّعلب ؟ فإن الضبع والثعلب أَتيا الضب فى وِجاره فنــادياه : أبا الحِسْل . فقال : سَميعاً دعوتُما . قالا : أتيناك لتحكم بيننا . قال : فى بيته يُؤتى الحـكم . فقالت الضبع : إنى حَللت عينى . قال : فِعل الحُرة فعلت . قالت : فلقطتُ تمرة . قال : طيّباً لقطت . قالت : فأكلها الثَّعلب . قال: لنفسه نَظر . قالت : فلطمتُه . قال : بجُرمه . قالت : فلطمنى . قال : حُر انتصر . قالت : فاقض بيننا . قال : حدِّث امرأةً حديثين فإن أبت فعشرة .

وفوده مع الأنصار على معاوية وما كان من عمرو ابن العاص معهم

وذُكر أنّ وفود الأنصار حضرت بابَ مُعاوية بن أبى سُفيان ، فخرج إليهم حاجبُه سعد[1] . فقالوا له : استأذن للأنصار . فدخل إليه وعنده عمرو بن العاص ، فاستأذن لهم . فقال له عمرو : وما هــذا اللقب يا أمير المؤمنين[2] ! اردد القوم إلى أنسابهم . فقال له معاوية، إنى أخاف من ذلك الشناعةَ . فقال : هى كلمة تقولها إن مضت غَضَّتْهم[3] ونَقَصتْهم ، وإلا فهذا الاسم راجع إليهم . فقال : اخرج إليهم فقل : من كان هاهنــا من ولد عمرو بن عامر فليدْخل . فدخل ولد عمر بن عامر كُلهم إلا الأنصار . فنظر معاوية إلى عمرو نَظر مُنكر . فقال له : باعدتَ جدًّا . فقال : اخرُج فقل : من كان هاهنا من الأوس والخزرج فَلْيدخل . فقالها فلم يدخل

(١) فى غير التجريد : « سعد بن أبى درة » .
(٢) فى غير التجريد : « وما هذا اللقب الذى قد جعلوه نسباً » .
(٣) فى غير التجريد : « عدتهم » .

أحد . فقال معاوية : أُخرج فقُل : من كان هاهنا من الأنصار فَلْيدخل . فخَرج فقالها ، فدخلوا يقدُمهم النُّعمان بن بشير ، وهو يقول :

يا سَعْدُ لا تُعِدِ الدُّعاء فما لنا ... نسبٌ نُجيب به سوى الأنصارِ

نَسب تخيّره الإلهُ لقومنا ... أثْقِل به نسباً على الكُفّار

إن الذين ثَوَوْا ببدرٍ منكمُ ... يوم القَليب هُمُ وَقود النار

فقال معاوية لعمرو بن العاص : قد كنّا أغنياء عن هذا .

إعراقه فى الشعر وشعر لجده

وذُكر أن النعمان بن بَشير كان من المُعرقين فى الشعر سَلَفاً وخَلَفاً ، جدُّه شاعر، وأبوه وعمُّه شاعران ، وهو شاعر ، وأولاده وأولاد أولاده شعراء . وجدُّه سَعيد القائل :

إن كنتِ سائلةً والحقُّ مَعتبةٌ ... فالأزدُ نِسبتنا والماء غَسّانُ

شُمٌّ الأُنوف لهم عزٌّ ومكرُمة ... كانت لهم من جبال الطَّودِ أركان

رده على الأخطل حين هجا الأنصار

وذُكر أنّ الأخطل لما هجا الأنصار — وقد ذكرنا ذلك وسببه(١) — دَخل النعمانُ بن بشير على مُعاوية بن أبى سفيان وأنشأ يقول :

مُعاويَ إنْ لا تُعطنا الحقَّ تعترفْ ... لحيِّ الأَزد مشدوداً عليها العَمائمُ

أيشتُمنا عبدُ الأراقم ضِلةً ... وماذا الذى تُجدى عليك الأراقم

فما لىَ ثأرٌ دون قَطع لسانه ... فدونك مَن تُرضيه عنك الدّراهم

متى تَلْق منّا عُصبةً خزرجيّةً ... أو الأوسَ يوماً تَخْتَرِمْك المَخارم

فتطلبَ شَعْب الصَّدع بعد انفتاقه ... فيَعْيا به والآنَ فالأمرُ سالم

فإن كنتَ لم تَشهد ببدر وقيعةً ... أذلّت قُريشاً والأُنوفُ رَواغم

فسائل بنا حيَّىْ لؤىّ بن غالب ... وأنت بما يَخْفى من الأمر عالِم

ألم تبتدرْكم يومَ بدر سُيوفُنا ... ولَيلُك عما ناب قومَك(٢) نائم

(١) انظر (ص ١٦٢٣–١٦٢٤) من هذا الجزء . (٢) فى غير التجريد : «قائم» مكان «نائم» .

ضربناكمُ حتى تفرّق جمعُكم وطارت أكُفٌّ منكمُ ومَعاصم
وعادت على البيت الحرام عوانسٌ(١) وأنت على خَوفٍ عليك تمائم
وعضّت قريشٌ بالأنامل عَضةً ومن قبلُ ما عُضّت علينا(٢) الأباهم
فكُنّا لها فى كُل أمر تَكيده مكانَ الشَّجا والأمرُ فيه تفاقُمُ
(٣) ولا تشتُمنّا يا بن حرب فإنما تَرقّى إلى تلك الأُمور الأَشائم
فما أنتَ والأمرُ الذى لستَ أهله ولكنْ ولىُّ الأمر والحقّ هاشم
إليهم يصير الأمر بعد شَتاته فمن لك بالأمر الذى هو لازم
بهم شَرع اللهُ الهُدى فاهتُدى بهم ومنهم له هادٍ إمامٌ(٤) وقائم

فأمر معاوية بدفع الأخطل إليه ليقطع لسانه ، فاستجار بيزيدَ بن معاوية ، فأجاره ، كما تقدم ذكره .

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارَ النعمان بن بشير الأنصارى ، هو :

إذا ما أُم عبد اللـه لم تَحْلُل بواديه
ولم تُمْسِ قريباً(٥) هَـ يّج الحُزنُ دواعيه
غَزال راعه القنّا ص تحميه صَياصيه(٦)
وما ذِكرى حَبيباً لى قليلاً ما أُواتيه
كذى الخمر تمنّاها وقد أُنزف(٧) ساقيه

(١) فى غير التجريد : « عرائش » مكان « عوانس » .
(٢) فى غير التجريد : « بغضة . . . . ما عضت عليك الأداهم » .
(٣) هذا البيت ساقط من أصول الأغانى التى بين أيدينا .
(٤) غير التجريد : « وخاتم » مكان : « وقائم » .
(٥) فى معجم البلدان فى رسم « إكليل » : « ولم تشف سقيما » .
(٦) صياصيه ، أى قرونه . (٧) أنزف ، أى سكر .

عرفتُ الرَّبعَ بالإكليـ ل عَفَّته[١] سَوافِيه
بجوٍّ ناعم الحَوْذا ن[٢] مُلتفٍّ روابيه

ثم ذكر أبو الفرج أنّ هذا الشعر مُختلط ، للنُّعمان منه البيت الأول من الثلاثة الأول ، والأخير منها وباقيه ليزيد بن مُعاوية[٣] .

* * *

ثم ذكر أبو الفرج شعراً[٤] قيل فى قَتل رَبيعة بن مُكدَّم ، وهو :

نفرتْ قَلوصى من حِجارة حَرّة[٥] بُنِيت على طَلْق اليدين وَهُوبِ
لا تَنْفِرى ياناقُ منه فإنه شِرِّيبُ خَمرٍ مُسْعرٌ لحُروب
لا يَبعدنّ ربيعةُ بن مُكدَّم وسَقى الغوادى قبرَه[٦] بذَنُوب
لولا السِّفار وبُعدُ خَرقٍ مَهْمَهٍ لتركتُها تحبُو على العُرقوب

فاقتضى ذلك ذِكر مَقتل ربيعة بن مكدَّم ، فنذكره مُختصراً .

---

(١) الإكليل : موضع . والسوافى : الرياح تسفى التراب .
(٢) الحوذان : نبت نوره أصفر .
(٣) وقد نسب ياقوت الشعر لعدى بن نوفل ، ثم قال : وقيل إنه للنعمان بن بشير .
(٤) الشعر لحسان ، وقيل : لضرار بن الخطاب .
(٥) الحرة : حجارة سود .
(٦) الغوادى : السحب ؛ الواحدة : غادية ، والذنوب : الدلو الملأى .

مقتل ربيعة بن مكدّم

نسبه — وهو ربيعة بن مُكدَّم بن عامر بن حُرْثان بن جَذيمة بن عَلْقمة بن جَذْل الطِّعان بن فِراس بن غَنْم بن ثَعلبة بن مالك بن كِنانة .

فارس — أحد فُرسان مُضر المعدودين ، وشُجعانهم المشهورين .

مقتله — وكان من حديث قَتله أنّ بنى فراس ، وهم قوم ربيعة ، قتلوا رجلَين من بنى سُليم بن مَنصور ، ثم إنهم ودَوْهما . وضَرب الدهْر ضَرباته ، فخَرج نُبيشة ابن حَبيب غازياً ، فلقى ظُعُناً من بنى كنانة بالكَديد[1] ، وهو فى ركب من قومه ، وبَصُر بهم نَفر من بنى فراس ، منهم الحارث بن المُكدَّم ، وأخوه ربيعة . فقال الحارث : هؤلاء سُليم يطلُبون دماءهم . فقال ربيعة : أنا أذهبْ حتى أَعلم عِلْم القوم فآتيكم بخبرهم . فتوجّه نحوهم تَعدو به فرسُه . فحمل عليه بعضُ القوم ، فاستطرد[2] له فى طريق الظُّعن ، وانفرد به رجلٌ من القوم ، فقَتله ربيعةُ . فرمى نُبيشةُ ربيعةَ بسهم فاستدمى[3] ولحق بالظُّعن ، فقال لأُمه : شُدِّى على يدى عصابةً ، ففعلت . واستسقاها ماء ، فقالت : إن شربت الماء مِتّ ، فكَرّ على القوم راجعاً يُقاتلهم والدم يَنزفه حتى أثخن . فقال ربيعة للظُّعن : أَوضعن ركابكنّ خلفى حتى تَنتهين إلى أدنى بيوت الحىّ ، فإنِّى لما بى سوف أقف دونكنّ لهم على العَقبة وأعتمد على رُمحى ، فلن يُقدموا عليكن لمكانى . ففعلوا ذلك ، فنجون إلى مأمنهنّ .

---

(١) الكديد : موضع بالحجاز ، وكان به يوم من أيام العرب .

(٢) استطرد : تحيز إلى فئة وهو ينتهز الفرصة لمطاردة خصمه ، وهو ضرب من المكيدة .

(٣) المستدمى : الذى يقطر الدم منه وهو مطأطىء الرأس .

قال أبو عمرو بن العلاء : فلا نعلم قَتيلاً ولا ميتاً حَمى ظعائن غيره ، وإنه يومئذ لغلام له ذُؤَابة ، فاعتمد على رُمحه وهو واقف لهنّ على متن فرسه حتى بلغ الظعائنُ مأمنهن ، وهو ميِّت ما يُقدم القوم عليه .

فقال نُبيشة بن حبيب الذى رماه : إنه لمائل العُنق وما أظُنه إلا قد مات . فأمر رجلا أن يَرمى فرسَه ، فرماها فقَمصت وزالت ، فمال عنها ميتاً .

تعقيب لابن واصل

قلت : هذا ذكره صاحبُ الكتاب ، وذكره غيرُه ، وما أظُنه حقًّا ، فإنه فى غاية البُعد .

عود إلى حديث مقتله

قالوا : ولحقوا يومئذ أخاه الحارث فقَتلوه ، وألقوا على ربيعة أحجاراً . فمرّ به رجلٌ من بنى الحارث بن فِهر، فَنفرت ناقتـه من تلك الأحجار التى أُهيلت على ربيعة ، فقال يرثيه ويَعتـذر ألّا يكون عَقر ناقته على قبره ، وعَيَّر من فَرّ وأَسلمه من قومه ، الأبياتَ التى تقدّمت[1] .

ويقال : إن قائل هـذا الشعر ضِرار بن الخطّاب بن مِرْداس ، أحدُ بنى مُحارب بن فِهر . وقيل : إن الشعر لحسّان بن ثابت الأنصارى . ومن هذا الشعر أيضاً :

فرّ الفوارسُ عن ربيعةَ بعـد ما نجّاهمُ من غُمّة المَكروبِ
يَدْعو عليًّا حين أُسـلِم ظهره فلقد دعوتَ هنـاك غيرَ مُجيب
نِعم الفتى أدَّى نُبيْشةُ بزَّه يوم الكُديد نُبيشةُ بنُ حَبيب

بين عمر بن الخطاب وعمرو ابن معدى كرب فى شأنه

وذُكر أنّ عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — قال لعمرو بن مَعدى كرب الزَّبيدى : من أشجع من رأيت ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين لأُخبرنك عن أحيل الناس ، وعن أَشجع الناس ، وعن أجبن النـاس . فقال له عمر : هاتِ . قال : ركبتُ فرسى ثم آليتُ ألّا ألقى أحداً إلا قتلتهُ ، فخرجت فإذا أنا بفتًى ، فقلت له :

(١) انظر (ص١٦٨٧) .

خُذ حِذْرك فإنى قاتلُك . فقال : ما أنصفتنى يا أبا ثور ، أنا كما ترى أعزلُ أَميل[١] عُوّارة — والعُوارة الذى لا ترس معه[٢] — فأنظرنى حتى آخُذ نبلى . فقلت : وما غناؤها عنك ؟ قال : أمتنع بها . فقلت : خُذها . فقال : لا وَالله أو تُعطينى من العهود مايُثلجنى أنك لا تَروعنى حتى آخذها . فأثلجتُه . فقال : وإلٰهِ قُريش لا آخذها أبداً . فسَلِم والله منّى ، فهذا أحيل الناس . ثم مضيتُ حتى اشتمل علىّ الليلُ فوالله إنى لأسير فى قَمر زاهر إذا بفتًى على فرس يقود ظعينةً ، فصِحْتُ به : خذ حِذْرك ثَكِلتْك أُمك ، فإنى قاتلك . فمال عن فرسه فإذا هو فى الأرض . فقلتُ : إنْ هذا إلا استخفاف . فدنوتُ منه وصِحْت به : ويحك ! ما أجهلك ! فما تَحلحل ولا زال عن موضعه . فشككتُ الرمح فى إهابه فإذا هو كأنه قد مات من سَنة ، فمضيت وتركتُه . وهذا أجبن الناس . ثم مضيتُ فأصبحتُ إلى أبيات فعدلتُ إليها ، فإذا فيها جوارٍ ثلاث كأنهن نُجوم الثريّا ، فبكين حين رأيننى ، فقلت : ما يُبكيكنّ ؟ فقلن: لِمَا ابتُلينا به منك ، ومن ورائنا أُخت لنا هى أجمل منا . فأشرفتُ من فَدفد[٣] ، فإذا أنا بمَن لم أر قط أحسنَ من وجهه . فإذا بغلام يخصف نعله ، عليه ذُؤابة يسحبها . فلمّا رآنى وثب إلى الفرس مُبادراً ، ثم ركض فسبقنى إلى البيوت ، فوجدهن قد ارتعن . فلما دنوتُ منه قال : تطردنى أم أطردك ؟ فقلت : أطردك ، وركضتُ فى إثره حتى مكَّنْت السنان منه ، فإذا هو والله مع لبّة الفرس، ثم استوى فى سَرجه . فقلت : أَقلنى . قال : اُطرد ، فتبعتُه حتى ظننت أن السنان فيه، فإذا هو قائم على الأرض والسنان زالج[٤] ، واستوى على فرسه . فقلت : أَقلنى . قال: اُطرد . فطردتُه حتى إذا أمكنت السنانَ من متنه ، وأنا أظن أنّى قد فرغتُ منه ، جال فى متن فرسه[٥] حتى نظرت إلى يده فى الأرض .

(١) الأميل : الذى لا رمح معه ؛ وقيل : هو الذى لا سيف معه .

(٢) هذا معنى لم تذكره المعاجم . والذى فيها : « العوار : الجبان الضعيف السريع الفرار » . والمعروف أن الذى لا ترس معه هو الأكشف .

(٣) الفدفد : المكان المرتفع . والذى فى بعض أصول الأغانى : « مرقد » .

(٤) زالج : وقع على ظهر الأرض ولم يصب . (٥) فى غير التجريد : «جال فى سرجه حتى».

ومضى السنان زالجاً ، ثم استوى وقال : أبعد ثلاث تريد ماذا ؟ ثكلتْك أُمك ! فولَّيت وأنا مَرعوب منـه . فلما غَشِيني وجدت حسَّ السّنان ، فالتفت فإذا هو يطرُدنى بالرُّمح بلا سـنان ، فكفَّ عنى واستنزلنى ، فنزلت ونزل ، فجزَّ ناصيتى وقال : انطلق فإنى أَنفس بك عن القتل . وكان ذلك أشد والله من الموت . فذاك أشجع من رأيت ، وسألت عنه فقيل : هذا هو رَبيعة بن مُـكدَّم .

١

أخبار المغيرة بن شعبة (*)

نسبه هو المُغـيرة بن شُعبة بن أبى عامر بن مَسعود بن مُعتِّب بن مالك بن كَعب ابن عمرو بن سعد بن عوف بن قَسِىّ ، وهو ثقيف . ويكنى : أبا عبد الله .

أمه وأمه أسماء بنت الأَقم بن أبى عمرو بن ظُويلم بن جُعيل بن عمرو بن دُهمان ابن نصر بن مُعاوية بن بكر بن هوازن .

شجاعته وحزمه والمُغيرة من دُهاة العَرب وحَزَمتها وذوى الرأى منها والحِيل الثاقبة . وكان يُقال له فى الجاهلية والإسلام : مُغيرة الرَّأى . وكان يقال : ما اعتلج فى صدر المُغيرة أمران إلا اختار أحزمهما .

شىء عن حياته وهاجر إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلم وصَحِبه وشهد معه الحُدَيبية وما بعدها من المشاهد ، وشَهد فَتح اليمامة وفُتوح الشام . وكان أعورَ أُصيبت عينُه يوم اليَرموك . وشَهد القادسيّة مع سَعد بن أبى وقّاص رضى الله عنه ، وكان السفيرَ بين سعد ورُستم ، مُقدَّم الفرس حتى وقعت الحرب . وولّاه عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — البصرةَ ففتح مَيسان (١) وغيرها . وخرج إلى المَشرق مع النُّعمان بن مُقرِّن ، وكان على ميسرته ؛ وكان عمر — رضى الله عنه — عَهد أنه إن هلك النعمان فالأمير حُذيفة ، فإن هلك فالأميرُ المغيرة . ولما فُتحت نَهاوند سار المُغيرة فى جيش إلى هَمدان ففَتَحها . ثم ولاه عمر — رضى الله عنه — الكوفة ، فقُتل عمر وهو واليها .

(*) هذه الترجمة مبتور أولها فى أصول الأغانى التى بين أيدينا . وقبلها ساق ابن واصل « أخبار عنترة » وقد قدمناها وأشرنا إليها فى موضعها (٩٦٦ — ٩٦٩) .

(١) ميسان : كورة واسعة بين البصرة وواسط .

وحكى المغيرة بن شُعبة قال : حديث إسلامه

كنّا قوماً من العرب متمسّكين بديننا ، ونحن سَدَنة اللات ، فأُرانى وقد رأيتُ قومى أسلموا ما تبعتُهم . فاُجتمع نفرٌ من بنى مالك للوُفود على المُقوقس ، وأَهْدَوا له هدايا ، فأجمعتُ الخروج معهم ، فاُستشرتُ عمى عُروة بن مَسعود فنهانى وقال لى : ليس معك من بنى أَبيك أحد . فأبيتُ إلّا الخُروج ، فخرجتُ معهم ، وليس معى من الأحلاف أحدٌ غيرى ، حتى أَتينا الإسكندرية ، فإذا المُقوقس فى مَجلس مُطلٍّ على البحر ، فركبتُ قارباً حتى حاذيتُ مجلسه ، فنظر إلىّ فأَنكرنى وأمر من يسائلنى : من أنا ؟ وما أريد ؟ فسألنى المأمور ، فأخبرتُه بأمرنا وقُدومنا عليه . فأَمر بنا أن نَنزل فى الكنيسة ، وأَجرى علينا ضيافة ، ثم دعا بنا ، فنظر إلى رأس بنى مالك فأدناه إليه وأجلسه معه ، ثم سأله : أكُل القوم من بنى مالك ؟ فقال : نعم . إلا رجل واحد من الأحلاف . فعرّفه إياى . فكنت أهونَ القوم عليه . ووضعوا هداياهم بين يديه ، فسُرّ بها وأمر بقبضها وأَمر لهم بجوائز ، وفضّل بعضَهم على بعض ، وقَصّر بى فأَعطانى شيئاً قليلا لا ذِكْر له . وخرجنا ، فأقبل بنو مالك يشترُون هدايا لأَهاليهم وهم مسرورون . ولم يعرض علىَّ أحدٌ منهم مُواساةً ، وخرجوا وحملوا معهم خَمراً ، فكانوا يشربون منها وأَشرب معهم ، ونفسى تأبَى أن تدَعنى معهم يَنصرفون إلى الطائف بما أَصابوا وماحباهم به الملك ويُخبرون قومى بتَقصيره بى وازدرائه إياى . فأجمعتُ على قتلهم ، فقلت : أنا أجد صُداعاً . فوضعوا شرابَهم ودعَونى ، فقلت : رأسى يُصدَّع ولكنّى أسقيكم . فلم يُنكروا شيئاً ، وجلستُ أسقيهم وأَشرب القدح بعد القدح . فلما دبَّت الكأسُ فيهم اُشتهوا الشراب ، فجعلتُ أُصرِّف لهم وأُترِع الكأس ، فيشربون ولا يدرون . فهمدتْهم الكأس حتى ناموا ما يعقلون . فوثبت إليهم فقتلتهم جميعاً ، وأخذتُ جميعَ ما كان معهم . فقدمتُ على النبىّ صلى الله عليه وسلم فوجدتُه جالساً فى المسجد

مع أصحابه ، وعلىَّ ثيابُ السفر ، فسلمتُ بسلام الإسـلام . فنظر إلىَّ أبو بكر بن أبى قُحافة ، وكان بى عارفاً ، وقال : أبن أخى عروة ! قلتُ : نعم ، جئتُ أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسولُ الله . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى هَداكَ إلى الإسـلام . فقال أبو بكر ، أمن مصر أقبلت ؟ قلت : نعم . قال : فما فعل المـالـكيّون الذين كانوا معك ؟ قلت : كان بينى و بينهم بعضُ ما يكون بين العرب ، ونحن على دين الشِّرك ، فقتلتهم وأخذت أسلابهم وجئتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخمِّسها و يرى فيها رأيه ، فإنما هى غنيمة من مُشركين وأنا مُسلم مصدِّق بمحمد صلى الله عليه وسلم . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أما إسلامك فقبلتُه ، ولا آخذ من أموالهم ولا أُخمِّسه ؛ لأن هذا غدر والغدرُ لا خير فيه . فأَخذنى ما قرُب وما بعُد ، وقلت يا رسول الله : إنما قتلتُهم وأنا على دين قومى، ثم أسلمت حين دخلتُ عليك الساعة . قال : فإنِ الإسلام(*) يَجُبّ ما قبله .

وكانوا ثلاثة عشر إنساناً . فبلغ ذلك ثقيفاً بالطائف فتــداعَوْا للقتال ، ثم أصطلحوا على أن يَحْمل عمّى عُروة بن مسعود ثلاثَ عشرةَ دية . فأقمتُ مع النبىّ صلى الله عليه وسلم حتى أعتمر عُمرة الحُديبية فى ذى القِعدة سنة ست من الهجرة ، فـكانت أول سَفرة خرجتُ فيهـا ، وكنتُ أكون مع أبى بكر وألزم النبىّ صلى الله عليه وسلم فيمن يلزمه . و بعثت قريشٌ يومَ الحُديبية عُروةَ بن مسعود إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأنا قائم على رأسه مُقنَّع بالحديد ، فقلت لعُروة ، وهو يمسُّ لحية النبىّ صلى الله عليه وسلم : أُكفُف يدكَ قبل ألا تصل إليك . فقال عُروة : من هذا يا محمد ؟ ما أفظَّه وأغلظه ؟ قال : هذا أبن أخيك المُغيرة بن شُعبة . فقال عروة : يا عدو الله ، ما غُسلتْ عنى سوءتك إلا بالأمس ياغُدَر .

(*) إلى هنا ينتهى نقص أصول الأغانى .

كان مزواجاً

وذُكر أنّ المُغيرة بن شُعبة حَصّن[1] ثمانين امرأة ، منهن ثلاثُ بنات لأبي سُفيان ، ومنهن : حَفصة بنت سَعد بن أبي وقّاص ، وهي أُم ابنه حمزة ؛ وعائشة بنت جرير بن عبد الله . وكان مِطْلاقاً . فكان إذا اجتمع عنده أربع نِسوة قال : إنكن لطويلات الأعناق ، كريمات الأخلاق ، ولكنى رجل مِطلاق ، فاعتددْن .

كلمة له فى الرجال والنساء

وكان يقول : النساء أَربع والرجال أربعة ، رجل مذكر وامرأة مُؤنثة ، فهو قوّام عليها ؛ ورجل مؤنث وامرة مذكرة ، فهى قوّامة عليه ؛ ورجل مذكر وامرأة مذكرة ، فهما كالوَعلين ينتطحان ؛ ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة ، فهما لا يأتيان بخير ولا يُفلحان .

أحد أربعة اجتمع فيهم الجمال

وذُكر أن الجَمال كان بالكوفة ينتهى إلى أربعة نفر : المُغيرة بن شُعبة ، وجرير بن عبد الله ، والأشعث بن قيس ، وحُجر بن عدىّ ؛ وكلهم كان أَعور .

بينه وبين أعرابى من بكر

وذُكر أن المُغيرة بن شُعبة ركب يوماً ، وهو والى الكوفة ، فوجد أعرابيًّا بظهر الكوفة ، فقال له المُغيرة : من أين أقبلت يا أعرابى؟ قال : من السّماوة . قال: فكيف تركتَ الأرض خلفك ؟ قال : عريضة أريضة . قال : فكيف تركت المطر خلفك ؟ قال : عَفّى الأثر وملأ الحُفر . قال : ممن أنت ؟ قال : من بكر بن وائل . قال : فكيف علمُك بهم ؟ قال : إن جهلتُهم لم أعرف غيرهم . ثم سأله عن قبائل من بكر قبيلةً قبيلةً ، وهو يُجيبه . ثم قال : أخبرنى عن النساء . قال : النساء أربع : رَبيع مُربع ، وجَميع يجمع ، وشيطان سَمعمع ، وغُل لا يُخلع . قال : فسِّرها لى . قال : أما الربيع المُربع ، فالتى إذا نظرتَ إليها سرّتْك ، وإذا أقسمت عليها بَرّتك ؛ وأما التى هى جَميع يجمع ، فالمرأة تزوّجُها ولها نَسب فتجمع نَسبك إلى نَسبها ؛ وأما الشيطان السّمعمع ، فالكالحة فى وجهك إذا دخلتَ ، والمُولولة

(١) حصن ، أى تزوج .

فى أثرك إذا خرجت؛ وأما الغُل الذى لا يُخلع ، فبنت عمّك السوداء القصيرة ، الورهاء[1] الدَّميمة ، التى قد نثرتْ لك بطنها ، إنْ طلّقتها ضاع ولدُك ، وإن أمسكتها فعلى جَدْع أنفك . فقال له المغيرة : بل أنفك . ثم قال له : ما تقول فى أميرك المُغيرة بن شعبة ؟ قال : أعور زَنّاء . فقال الهيثم بن الأسود النَّخعى : فضّ الله فاك ! ويلك هذا المغيرة ! فقال : والله إنها كلمة تقال . فانطلق به المغيرة إلى منزله وعنده أربع نساء وستّون أو سبعون أَمة . فقال له : ويحك أيزنى الحُر وعنده مثل هؤلاء ! ثم قال لهن المغيرة : ارمين إليه بحُلاكن . ففعلْن . فخرج الأعرابىّ بملء كسائه ذهباً وفضة .

حديث زناه وموقف عمومته

وذُكر أن المُغيرة بن شُعبة كان يخرُج من دار الإمارة وسَط النهار ، وكان أبو بكرة يلقاه فيقول : أين يذهب الأمير ؟ فيقول له : فى حاجة . فيقول له : حاجة ما ، إن الأمير يُزار ويَزور . وكان المُغيرة يختلف إلى امرأة من ثقيف يقال لها : الرَّقطاء ، وكانت جارةً لأبى بكرة . فبينا أبو بكرة فى غرفة له مع أخويه : نافع ، وزياد ، ورجل آخر يقال له : شِبل بن مَعبد ، وكانت غُرفة جارته تلك بحذاء غُرفة أبى بكرة . فضربت الريحُ بابَ المرأة ففتحته ، فنظر القوم فإذا المُغيرة ينكحها . فقال أبو بكرة : هذه بليّة ابتُليتم بها ؟ فانظُروا . فنظروا حتى أَثبتوا . فنزل أبو بكرة فجلس حتى خَرج إليه المُغيرة من بيت المرأة ، فقال له : إنه قد كان من أمرك ما قد علمتُ ، فاعتزِلْنا . فذهب ليصلّى بالناس الظّهر فمنعه أبو بكرة ، وقال : والله لا تُصلى بنا وقد فعلتَ ما فعلت ! فقال الناس : فَلْيُصل فإنه الأمير ، واكتبوا بذلك إلى عُمر . فكتبوا إليه . فورد كتابُه بأن يقْدَموا عليه جميعاً ، والمرأةُ والشهود . فلما قَدِموا على عُمر — رضى الله عنه — ما خلا زياداً ، جلس ودعا بالمُغيرة والشُّهود ، فشهد أبو بكرة وأخوه نافع وشِبل بن مَعبد ، كل واحد منهم

(١) الورهاء : الخرقاء اليدين بالعمل .

يشهد بأنه قد رآه بين فَخذيها . فيقول عمر رضى الله عنه : لا ، حتى تشهد أنك رأيتَه يَلِج فيها وُلوج المِرْود فى المُكْحُلة . فيشهد بذلك . وقال عمر رضى الله عنه للمُغيرة بن شُعبة ، لما شهد عليه أبو بكرة : يا مُغيرة ، ذَهب رُبعك . ولما شَهد نافع قال له : ذهب نصفك . ولما شهد شِبل قال علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه للمُغيرة : ذهب ثلاثة أرباعك .

ثم كتب عمر إلى زياد . فقدم على عمر — رضى الله عنه — فلما قَدِم جلس له فى المَسجد ، واجتمع إليه رءوس المهاجرين والأنصار . فلما رآه عمر — رضى الله عنه — قال : إنى لأرى رجلاً يُخزى الله على لسانه رجلا من المهاجرين . فقال زياد : رأيتُ مجلساً قبيحاً ، وسمعتُ نفساً خبيثاً[1] وانبهاراً . ورأيته مُتبطّنها — وقيل : رأيته رافعاً رجليها ورأيت خُصيتيه تتردّدان بين فخذيها ، وسمعتُ نفساً عالياً — فقال عمر رضى الله عنه : أرأيتَه يُدخله كالمِيل فى المُكحلة ؟ قال : لا . قال عمر رضى الله عنه : الله أكبر ، قُم إليهم فاضربهم . فقام إلى أبى بكرة فضَربه ثمانين . وضَرب نافعاً وشِبْلاً ، ودرأ عن المُغيرة الرّجم . فقال أبو بكرة ، بعد أن ضُرب : إنى أشهد أن المُغيرة فعل كذا وكذا . فهمّ عمرُ رضى الله عنه بضربه . فقال له على رضى الله عنه : إنْ ضربتَه رجمتُ صاحبَك ، ونهاه عن ذلك .

ومعنى هذا الكلام : إن ضربتَه جعلتُ شهادتَه شهادتين ، فوجب بذلك الرجم على المُغيرة .

ثم استتاب عُمر أبا بكرة فقال : إنما تستَتيبنى لتَقبل شهادتى ؟ فقال : أجل . قال : لا أشهد بين اثنين ما بقيتُ فى الدنيا . فلما ضُربوا الحدّ قال المُغيرة : الله أكبر ! الحمد لله الذى أخزاكم ! فقال له عمر : اسكت ، أخزى الله مكاناً رأوك فيه .

(١) فى غير التجريد : « وسمعت أمراً حثيثاً » .

وأقام أبو بكرة على قوله ، وكان يقول : والله ما أنسى رُقَط[1] فَخذيها .

وتاب الاثنان فقُبلت شهادتهما . وكان أبو بكرة بعد ذلك إذا دُعى إلى شهادة يقول : اطلُب غيرى ، فإن زياداً قد أفسد علىّ شهادتى .

وقيل : كان اسم المرأة ، التى رُمى بها المُغيرة ، أُمَّ جَميل .

وذُكر أنّ عمر رضى الله عنه قال يوماً للمغيرة : أتتجاهل علىّ ! والله ما أظن أبا بكرة كذب عليك ، وما رأيتنى[2] إلا خِفت أن أُرمى بحجارة من السماء .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار المُغيرة ، هو أبيات تقدم ذكرها ، وخبرُ الوقعة التى قال فيها المغيرة الأبيات ، وأولها :

أدركتُ ما منّيت نفسىَ خاليا ... لله درُّك يابنــةَ النُّعمانِ

(١) الرقط : جمع رقطة ، بالضم : نقط بياض يشوبها نقط سواد .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وما رأيتك » .

أخبار محمد بن يسير الخارجى

هو محمد بن يسير[1] بن عُقيل ، أحد بنى خارجة بن عَدْوان بن عمرو بن قيس عَيلان . ويُكنى : أبا سليمان .

نسبه وكنيته

شاعر فصيح حجازىّ من شُعراء الدولة الأموية . وكان مُنقطعاً إلى أبى عُبيدة ابن عبد الله بن زَمعة ، أحد بنى أسد بن عبد العُزى بن قُصىّ . وهو جَدّ بنى عبد الله بن الحَسن بن الحَسن، لأُمهم هند بنت أبى عُبيدة . وَلدت لعبد الله : محمداً ، و إبراهيم ، وموسى[2] .

انقطاعه إلى أبى عبيدة

وكانت لمحمد بن يسير فيه مدائحُ ومراثٍ جيّدة ، وهى عُيون شعره . وكان يَبْدو فى أكثر زمانه ويُقيم بوادى المدينة ولا يكاد يحضُر مع الناس .

ومن مُختار شعر محمد بن يسير الخارجى ، وأورده أبو تمام الطائى فى الحماسة[3] :

من مختار شعره

بَيضاء خالصة البياض كأنها ... قَمرٌ توسّط ليلَ صَيفٍ مُبرَدِ
مَوسومة بالحُسن ذات حَواسد ... إنّ الجمال مَظِنّة للحُسَّد
خَوْد إذا كَثُر الكلام تعوّذت ... بحِمَى الحَياء و إن تَكلّم تَقْصد
وتَرى مَدامعها تَرقرقُ مُقلةً ... حَوراءَ تَرغب عن سواد الإثْمِد

وذُكر أنه كان متزوِّجاً أبنة عم له ، فَخطب أمرأةً من قومه ، فقالت المرأة : طلِّق أمرأتك حتى أتزوجك . فأبى وانصرف عنها ، وقال فى ذلك :

شعره فى امرأة من قومه أبت عليه الزواج حتى يطلق امرأته

أأطلُب الحسن فى أُخرى وأتركها ... فذاك حين تركتُ الدِّين والحَسَبَا

---

(١) فى الأصل والأغانى : « بشير » . والتصويب من الشعر والشعراء وشرح القاموس «يسر».
(٢) وقد ولدت له غير هؤلاء . (انظر نسب قريش — ص : ٥٣) .
(٣) لم يرد هذا الشعر فى الحماسة المطبوعة .

هى الظَّعينة لا يُرى[1] بِرُمَّتها ... ولا يُفجِّعها أَبنُ العَمِّ ما أصطحبا

وما خلوتُ بهـا يوماً فتُعجبَنى ... إلّا غدا أكثرَ اليومين لى عَجبا

[2]فإن يكنْ لهواها أو قرابتهـا ... حُبٌّ قديم فما غاباً ولا ذَهبـا

شعره فى رثاء سليمان بن الحصين

وذُكر أنه كان سُليمان بن الحُصين صـديقاً لمحمد بن يسير الخارجى وخليلاً له ، فمات سُليمان فَجَزِع عليه مُحمد وحَزن حُزناً شديداً ، فقال يرثيه :

يأيها المُتمنِّى أنـ يكون فتًى ... مثلَ أبنِ لَيلى[3] لقد خلَّى لك السُّبُلَا

إنْ ترحلِ العِيسَ كى تَسعى مساعيَه ... يَشقُقْ عليك وتَعمل دون ما عَمِلا

لو سِرْتَ فى الناس أقصاهم وأقربَهم ... فى شُقة الأرض حتى تُحْسِر[4] الإبلا

تَبغى فتًى فوق ظَهر الأرض ماوجدوا ... مثلَ الذى غيَّبوا فى بَطنها رَجُلا

أُعدُد ثلاثَ خِصال قد عُرِفن له ... هل سَبَّ من أحدٍ أو سُبَّ أو بَخِلا

ولمّـا تُوفى عبدُ العزيز بن مروان ونُعى إلى أخيه عبـد الملك تمثّل بأبيات الخارجىّ هذه ، وجعل يُردِّدها و يبكى .

شعره فى امرأة طلقها ثم ندم

وذُكر أنـ محمد بن يسير الخارجى قَدِم البصرة ، فتزوّج بها أمرأة من عَدْوان ، وكانت مُوسرةً ، فأقام عندها بالبَصرة مُدة ، ثم أستوخم البصرة وطالبها أن تَرحل معـه إلى الحجاز ، فقالت : ما أنا بتاركة مالى وضَيعتى هاهنـا تَذهب وأمضى معك إلى بلد الجدب والفقر والضيق ، فإما إن أقمت هاهنـا أو طلّقتنى . فطلّقها وخرج إلى الحجاز ، ثم ندم وقال :

بانت لعَينك عَـبرةٌ وسُجوم ... وثَوت بقَلبك زَفرةٌ وهُمـومُ

طَيفٌ لزينبَ ما يَزالُ مُؤرِّقى ... بعـد الهُدوّ فما يكاد يَريم

---

(١) الرمة : الحبل يقاد به البعير ونحوه . وفى بعض أصول الأغانى : « لا يرى بزينتها » .

(٢) لم يرد هذا البيت فيمابين أيدينا من أصول الأغانى .

(٣) فى الحماسة (٤ : ١٥٠) : « مثل ابن زيد » وقد تردد أبو تمام فى نسبتها لابن يسير .

(٤) تحسر : تتعب .

وإذا تعرّض فى المَنام خيالُها ... نَكَأَ[١] الفؤادَ خيالُها المَحْلوم
أَجعلت ذَنبك ذَنبَه وظَلَمتَه ... عنـد التحاكُم والمُدِلُّ ظَلُوم

ومنها :

ولقد أردتُ الصبرَ عنكِ فعاقنى ... عَلَقٌ بقَلبى من هواكِ قَديم
يَبْقَى على حَدَث الزمان ورَيْبه ... وعلى جَفائك إنه لكريم
ضَعُفت مَعاهدُ حُبهن مع الصِّبى ... ومع الشَّباب فَبِنَّ وهو مُقيم
وعَتبتِ[٢] حين صَحِحْتِ وهو بدائه ... شتّان ذاك مُصَحّح وسَقيم
وزعمتِ أنك تبْخلين وشَفَّه ... شَوقٌ إليك وإن بَخلتِ أليم

دعاه عبدالله بن الحسن ليواسى زوجه فزادها شجناً

وذُكر أنه لما تُوفى أبو عُبيدة بن عبدالله جَزعت عليه ابنتُه هِند، زوجةُ عبدالله ابن الحسن، جزعاً شديداً، فكَلَّم عبدُ الله بن الحسن محمدَ بن يسير الخارجىّ أن يدخُل إليها فيُعزيها ويُواسيها عن أبيها. فَدخل إليها معه. فلما نَظر إليها صاح بأعلى صوته :

قُومى اُضربى عينَيْك يا هندُ لن تَرَىْ ... أباً مثلَه تسمو إليه المَفاخرُ
فإن تُعْوليه يَشْفِ يوماً عويلُه ... غَليلَك أو يَعْذُرْك فى اليوم[٣] عاذر
وكنتِ إذا فاخرتِ أسميتِ والداً ... يزين كما زان اليدَين الأساور
فلقَّاه ربٌّ يغفر الذنب رحمةً ... إذا بُليت يومَ الحساب السَّرائر
وقد عَلم الأقوامُ أنّ بناتِه ... صوادقُ إذ ينـدُبنه وقَواصر

فقامت هندٌ فصكَّت وجهها وعينيها، وصاحت بويلها وعَوْلها، والخارجىّ

---

(١) نكأ القرحة : قشرها قبل أن تبرأ. جعل إثارة الخيال لما به من ذلك .

(٢) فى غير التجريد : «وجنيت» .

(٣) فى غير التجريد : «فى النوح» .

معها ، حتى لَقِيا جهداً . فقال له عبد الله بن الحسن : ألهذا دعوتُك ؟ و يلك ! فقال له : أظَنَنت بالله أنى أعزيها عن أبى عُبيدة ؟ والله ما يُسلينى عنه أحد ولا عزاءَ لى عن أبى عُبيدة ، فكيف يُعزِّيها عنه مَن ليس يسلوه !

شعره الذى فيه الغناء وحديثه

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبوالفرج أخبار محمد بن يسير الخارجى، هو:

جِنِّية أوْ لهــا جِنٌّ يعلِّمها ... رَمى القُلوبَ بقَوسٍ مالها وَتَرُ

إن كان ذا قَدَراً يُعطيك نافلةً ... منَّا ويَحرمنا ، ما أَنصف القَدر

وهذا الشعر يقوله الخارجى فى أمرأة رآها بمكة فى الموسم، وتحدَّث معها ، فعَلقها قلبه ، وهو من قصيدة منها :

يا أحسنَ الناس إلّا أنّ نائلَها ... قِدْماً لمن يبتغى مَيْسورَها عَسِرُ

و إنما دلُّهــا سِحْرٌ لطالبــه ... و إنمـا قلبها للمُشتكى حَجَر

ومنها :

تجلو بقادمَتى وَرْقاءَ عن بَرَد ... حُمرِ المغافر فى أطرافها(١) أشَر

خَوْدٌ(٢) مُبتَّلةٌ رَيَّا معـاصِمُها ... قَدْر النبات فلا طُولٌ ولا قِصَر

إن هَبت الريحُ حَنَّت فى وشاحها ... كما يُجاوب عُودَ القَينة الوَتَر

(١) القادمة : واحدة القوادم ، وهى أربع ريشات فى مقدم الجناح . والورقاء : الحمامة بين السواد والغبرة . يريد شفتيها وقد لونهما الوشم . والبرد : الأسنان، للونها . والمغافر : مغارز الأسنان وذلك اللحم الذى يستر جذورها . والأشر : حدة ورقة فى أطراف الأسنان . والرواية فى غير التجريد : « حم المشاعر » .

(٢) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفا . ومبتلة : منقطعة الخلق عن النساء لها عليهن فضل . وقيل : التامة الخلق .

أخبار سكينة بنت الحسين (*)

ابن على بن أبى طالب . رضى الله عنه

شىء عن أبى طالب

واسم أبى طالب عبدُ مَناف بن عبد المُطلب ــ وأُسمُه شيبة الحمد ــ بن هاشم ــ وأُسمُه عمرو . وأُم علىّ بن أبى طالب فاطمةُ بنت أَسد بن هاشم بن عَبد مَناف ، وهى أولُ هاشميّة تزوّجها هاشمىّ . وهى أُم ولد أبى طالب كُلهم .

أم الحسين

وأُم الحُسين بن علىّ فاطمةُ بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وأُمها خَديجة بنت خُويلد بن أَسد بن عبد العُزى بن قُصىّ . وكُنية خديجة : أُم هِنْد . وكنية فاطمةَ عليها السلام : أُمّ أبيها .

الحسن والحسين وتسمية النبى صلى الله عليه وسلم لهما

ولما وُلد الحَسن بن علىّ سمّاه علىّ رضى الله عنه « حَرباً » ، فسماه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « الحَسن » . ثم وُلد الحُسين ، فسماه علىّ « حَرباً » . فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحُسين » ، ثم قال له : سميتُهما بأُسمَى ولدى هارون : شبراً ، وشبيراً .

الشعر الذى افتتح به أبو الفرج أخبار سكينة

والشعر الذى فيه الغناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار سُكينة ، هو للحُسين ــ رضى الله عنه ــ يقوله فى أُبنته سُكينة . وأُمّها الرّباب بنت أمرىء القيس بن عدىّ بن أوس بن جابر بن كَعب بن عُليم بن جناب ...[1] بن كَلب بن وَبَرة بن تغلب ابن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة . وأُمها هندُ بنت الربيع بن مَسعود

(*) وقبل أخبار « سكينة » ساق الأغانى أخبار « سديف » الشاعر فى أسطر ، فر عنها ابن واصل ولم يشر . كما ساق الأغانى أخبار الحسين ، وثنى بعدها بقوله « رجع إلى أخبار سكينة » . وهذا وذاك كله حول سكينة . وكان فى نسخ الأغانى اضطراب تضبطه النسخة التى جرد منها ابن واصل تجريده .

(١) بين جناب وكلب آباء أغفلهم المؤلف ، فآثرنا أن يكون بينهما هذا الفراغ حتى لا يظن أن سلسلة النسب متصلة . (جمهرة أنساب العرب ٤٢٥ - ٤٢٦) .

ابن مَصَاد بن حِصْن(١) بن كعب عُلَيم بن جناب ... بن كلب . واسم سُكينة ، أُميمة — وقيل : أمينة . وقيل : آمنة — وسُكينة لقب لُقِّبت به .

شعر للحسين فى زوجته الرباب

وكان الحسن عاتب أخاه الحُسين — رضى الله عنهما — فى محبّته زوجته الرَّباب . فقال الحسين رضى الله عنه :

لعمــــرك إننى لأُحب داراً تكون بها سُكينة والرَّبابُ
أُحبُّهما وأبذُل جُلّ مالى وليس لعاتبٍ عنـدى عِتاب
ولستُ لهم وإن عابوا مُطيعاً حيــاتى أو يُغيِّبَنى التُّراب

شىء عن امرىء القيس

وذُكر أنّ أمرأ القيس بن عدىّ الكَلبى كان نصرانيًّا ، فأسلم على يد عُمَر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فما صلّى لله صلاة حتى ولّاه عُمر ـ رضى الله عنه ـ وما أمسى حتى خَطب إليه علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه ابنته الرَّباب على ابنه الحُسين ، فزوّجه إياها ، فأولدها عبدَ الله ، وسُكينة .

إسلام امرىء القيس ومصاهرة على له

فحَكى عونُ بن خارجة المُرِّى قال : والله إنى لعند عمر بن الخطاب فى خلافته إذ أقبل رجل أَفجح أَحلج أمعر(٢) يتخطّى رقاب الناس ، حتى قام بين يدى عُمر ، فحيّاه تحيةَ الخلافة . فقال له : من أنت ؟ قال : أنا امرؤ نصرانىّ ، وأنا امرؤ القيس ابن عَدىّ الكلبى . فلم يَعرفه عمر . فقال رجلٌ من القوم : هذا صاحبُ بكر بن وائل الذى أغار عليهم فى الجاهلية يوم فَلْج(٣) . قال : فما تُريد ؟ قال : أُريد الإسلام . فعَرضه عليه عمر ، فقَبِله . ثم دعا له بُرمح فعَقد له على مَن أَسلم من قُضاعة بالشام . فأَدبر الشيخُ واللواء يهتزّ على رأسه .

(١) فى التجريد : « معاد بن حصن » . وفى غيره من أصول الأغانى : « مروان بن حصين » . وما أثبتنا من جمهرة أنساب العرب (ص ٤٢٧) .

(٢) أفحج : قد تباعد ما بين أوساط ساقيه . وأحلج : قد ذهب شعره من مقدم الرأس . وفى بعض الأصول : « أجلى » وهى بمعناها . وأمعر : قد ذهب شعره كله .

(٣) فلج : موضع .

قال عوف : فوالله ما رأيتُ رجلاً لم يُصلِّ لله ركعةً قطُّ أُمّر على جماعة من المُسلمين قبله . ونَهض عليٌّ بن أبى طالب من المَجلس ومعه أبناه : الحَسن ، والحُسين ، حتى أدركه ، فأَخذ بثيابه وقال له : أنا علىّ بن أبى طالب ، ابن عم رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وصهرُه ، وهذان أبناى من ابنته ، وقد رغبنا فى صِهرك ، فأنكحنا . قال : قد أنكحتُك ياعلىّ المَحياةَ بنت امرىء القيس ، وأنكحتك يا حسن سَلْمى بنت امرىء القيس ، وأنكحتك يا حُسين الرَّباب بنت امرىء القيس .

الرباب بعد مقتل الحسين

وذُكر أنَّ الرَّباب كانت من خِيار النساء وأفضلهنّ ، فلما قُتل عنها الحُسين ابن على ـ رضى الله عنهما ـ خُطبت فقالت : ما كُنت لأتخذ حَماً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لسكينة وقد سئلت عن سبب مزاحها

وذُكر أنه قيل لسُكينة ـ واسمها آمنة ـ : أختُك فاطمة ناسكة وأنت تمزحين كثيراً . قالت : لأنكم سمّيتموها باسم جدّتها المُؤمنة ـ تعنى فاطمة عليها السلام ـ وسمّيتمونى باسم جدّتى التى لم تدرك الإسلام ـ تعنى آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

شعر للرباب فى رثائها الحسين

وقالت الرباب ترثى زوجها الحُسين بن علىّ رضى الله عنهما :

إنَّ الذى كانَ نُوراً يُستضاء به بكَرْبلاءَ قتيلٌ غيرُ مَدْفونِ
سِبْطَ النبىّ جزاكَ الله صالحةً عنّا وجُنِّبت خُسران المَوازين
قد كنتَ لى جبلاً صَعباً ألُوذ به وكنت تَصحبنا بالرُّحم[1] والدِّين
مَن لليتامى ومَن للسائلين ومن يُعنَى ويَأوى إليه كلُّ مِسكين
والله لا أبتغى صِهراً بصهركمُ حتى أُغيَّب بين الرَّمل والطِّين

خطبة الحسن بن الحسن إلى عمه الحسين

وذُكر أن الحَسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب خَطب إلى عمّه الحُسين

(١) الرحم ، بالضم : الرحمة والعطف ؛ وبالكسر : القرابة . والمعنى مستقيم على المعنين .

ابن علىّ رضى الله عنهم ، فقال له الحُسين : يا بن أخى ، قد كنتُ أنتظر هذا منك ، انطلق معى . فخَرج به حتى أدخله منزلَه فخيَّره بين ابنتيه : فاطمة ، وسكينة ، فاختار فاطمة ، فزوَّجه إياها . وهى أم بَنيه : الحسن بن الحسن المثلث ، وعبد الله بن الحسن ، وغيرهما . وتزوَّجها بعد الحَسن المُثنَّى عبدُ الله بن عمرو ابن عثمان بن عفَّان ، فأولدها محمدَ بن عبد الله الدِّيباج المُذهب ، فكان أخا بنى الحسن المُثنَّى لأمهم . وكان يقال : إن امرأة مَرذولتها[1] سُكينة لَمُنقطعة القَرين فى الحُسن .

وقد قيل : إن الحَسن لما خيَّره عمُّه الحُسين استحيا فقال له : قد اخترتُ لك فاطمة ، فهى أكثرُ شبهاً بأمى فاطمةَ بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

سكينة وبنت لعثمان

وذُكر أنَّ سُكينة كانت فى مأتم فيه بنت لعُثمان بن عفَّان ــ رضى الله عنه ــ فقالت بنت عثمان : أنا بنت الشَّهيد . فسكتت سُكينة . فلما قال المُؤذِّن : أشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله . قالت سكينة : هذا أبى وأبوك . فقالت العُثمانية : لا جرم ، لا أفخر عليك أبداً .

هى وقد لسعتها نحلة

وذُكر أنَّ سُكينة كانت مزَّاحة ، فلسعتها دَبْرة ــ وهى النحلة ــ فولولت ، فقالت لها أُمها : مالك يا سيدتى قد جزعت ؟ فضحكت وقالت : لسعتْنى دُبيرة ، مثل الأُبيرة ، فأوجعتنى قُطيرة .

نادرة لأشعب معها

وحَكى إبراهيم بن المهدىّ قال : لما ولاَّنى الرشيدُ دِمشق استوهبتُ منه صُحبة : دنية ، وعُبيدة[2] بن أشعب ، والغاضرىّ[3] ، وحكم الوادى ، فوهَبهم إلىَّ . فكان ممّا حدثنى به عُبيدة قال : قال إبراهيم : ركبتُ حمارَة وهو عَديلى ، ونمتُ

(١) مرذولتها ، أى دونها . وفى بعض أصول الأغانى : « تختار عليها » مكان « مرذولتها » .
(٢) فى غير التجريد : « شعيب » .
(٣) فى غير التجريد : « والعامرى » .

على ظهرها . فلما بلغنا ثنيّة العُقاب اُشتد علىّ البرد واُحتجت إلى أن أزداد فى فى الدِّثار ، فدعوت بدُوّاج سَمُّور(١) فألقيتُه على ظَهرى ، ودعوتُ بمن كان فى سَمرى تلك الليلة فكانُوا حولى ، فقلت لابن أشعب : حدِّثنى مِن أعجب ما تعلم مِن طمع أبيك . فقال : أعجبُ مِن طمع أبى طمعُ اُبنه . فقلت : وما طمعك ؟ قال : دعوتَ آنفاً لما اُشتدّ عليك البرد بدُوَّاج سَمُّور لتستدفىء به ، فلم أشُكّ فى أنك دعوت به لتخلَعه علىّ . فغلبنى الضحك ، وخلعتُ عليه الدُّواج . فقلت : ما أحسب لك قرابة بالمدينة ؟ فقال : اللهم غفراً ، لى بالمدينة قرابات وأىّ قرابات . فقلت : أيكونون عشرة . قال : وما عشرة ! قلت : فعشرون ؟ قال : اللهم غفراً ، لا تذكُر العشرات ولا المئين وتجاوزْ ذكر الألوف إلى ما هو أكثر منها . قلت له : ويحك ! ليس بينك وبين أشعب أحد ، كيف يكون هذا ؟ فقال : إن زيد ابن عمرو بن عثمان بن عفان تزوّج سُكينة بنت الحُسين ، فخفّ أبى على قلبها فأحسنت إليه ، فكانت عطاياها خلافَ عطايا مولاها ، فمال إليها بكُلّيته . قال : وحَج سليمان بن عبد الملك ، فاُستأذن زيد بن عمرو سُكينة وأعلمها أنها أول سنة حج فيها الخليفة ، وأنه لا يمكنه التخلّف عن الحج معه . وكانت لزيد ضَيعة يقال لها: العَرج ، وكانت له فيها جوار ، فأعلمته أنها لا تأذن له إلا أن يُخرج أشعبَ معه فيكون عيناً لها عليه ، ومانعاً له من العُدول إلى العَرج ، ومن اتخاذ جارية لنفسه فى بَدأته ورجعته . ففرح بذلك وأخرج أشعب معه ، وكان له فرس كثير الأوضاح حسن المنظر يصونه عن الركوب إلا فى مُسايرة خليفة أو أمير أو يوم زينة ، وسَرْج يصونه لا يركب به إلا ذلك الفرس ، وكان معه طِيب لا يتطيّب به إلا ذلك اليوم الذى يركب فيه ، وحُلة موشية يصونها عن اللبس إلا فى يوم يحب التجمل فيه بها . فحجّ مع سليمان ، وكانت له عنده حوائج كثيرة ، فقضاها ووصله فأجزل

(١) الدواج : ضرب من الثياب . قال ابن دريد : لا أحسبه عربياً . والسمور : دابة تسوى من جلودها فراء غالية الأثمان .

صلته . وانصرف سليمان من حجّه ولم يسلك طريق المدينة ، فنزل على ماء لبنى عامر ابن صعصعة ، ودعا زيد بن عمرو أشعبَ وأحضره وصَرّ صُرة فيها أربعمائة دينار ، وأعلمه أنه ليس بينه و بين العَرج إلا أميال ، وأنه إن أذن له فى المَصير إليها والمبيت عندجواريه غلّس إليه فوافاه وقتَ ارتحال الناس وهب له الأربعمائة الدينار . فقبّل يَده ورجلَه ، وأذِن له فى المصير إلى حيث أحبّ ، وحلف له أنه يَحلف لسُكَينة بالأيمان المُحرجة أنه ما صار إلى العرج ولا اتخذ جارية منذ فارق سكينة إلى أن رجع إليها . فدفع إليه مولاه الدّنانير ومضى . فلم يتوهّم أن مولاه سار نصفَ ميل حتى رأى فى الماء الذى كان عليه رَحل زيد جاريتين معهما قِربتان . فألقتا القربتين وألقتا ثيابَهما عنهما ورَمتا أنفسهما فى الغَدير وعامتا فيه . فرأى من مُتجرَّدهما ما استحسنه . فسألهما عندخُروجهما عن الماء عن نَسبهما ، فأعلمتاه أنهما من إماء نِسوة خُلوف لبنى عامر بن صَعصعة ، هُنّ بالقرب من ذلك الغدير . فسألهما : هل يسهل على مولياتهما محادثةُ شيخ حَسن الخُلق ، طَيّب العشرة ، كثير النوادر ؟ فقالتا : وأنَّى لهن بمن هذه صفتُه ؟ فقال لهما : أنا ذاك . قالتا : فانهض معنا . فوثب إلى فرسَ زيد فأسرجه بسَرجه الذى كان يُسرجه به و يركبه ، ودعا بحُلة زَيد التى كان يَضنّ بلبسها . وأحضر السّفط الذى كان فيه طِيبُه فتطيّب به ، وركب الفرس ، ومضى معهما حتى وافى الحىّ ، فأقام فى مُحادثة أهله إلى قُرب وقت صلاة العصر . فأقبل فى ذلك الوقت رجالُ الحىّ ، وقد انصرفوا غانمين من غَزاتهم ، وأقبلت تَمُر به الرَّعلة[1] بعد الرّعلة ، فيقفون به و يقولون : من الرجل ؟ فينتسب فى نَسب زيد . فيقول كُل من اجتاز به : ما نرى بأساً ، و ينصرفون عنه ، إلى وقت غروب الشمس . فأقبل عليه شيخ فانٍ ، على حِجْرٍ[2] هَرِمٍ هزيل ،

(١) الرعلة : القطعة من الخيل .

(٢) الحجر : الفرس الأنثى خاصة .

ففعل ما كان يفعل من أجتاز به ، وسأله مثل ما كانوا يسألونه ، فأخبره مثلَ ما كان يُخبر به من تقدّمه . فقال مثل قولهم . قال أشعب : ثم رأيت الشيخ قد وقف بعد قوله ، فأوجستُ منــه خيفةً ، لأنى رأيتُه قد جعل يده اليسرى تحت حاجبيه فرفعهما ، ثم أستدار ليرى وجهى . فركبتُ الفرسَ ، فما أنا إلا أن استويتُ على ظهره حتى سمعتُه يقول : أُقسم بالله ماهذا قُرشىّ ، وما هو إلا وجه عَبد ! فركضتُ ورَكض خلفى ، فرأى حِجْره مُقصِّرةً عن فرسى . فلما يئس من اللَّحاق بى انتزع سهماً فرَمانى به ، فوقع فى مُؤَخَّرة السَّرج فكسرها ، ودخلنى من صوته رَوعة ثَلِطت[1] لها فى الحُلة . ووافيت رَحْل مولاى ، فغسلتُ الحُلة ونشرتها ، فلم تجفّ ليلاً . وغَلّس مولاى من العَرج فوافانى فى وقت الرحيل ، فرأى الحُلة منشورة ، ومؤخرة السرج مكسورة ، والفرس قد أضرّ بها الركض ، وسَفَط الطيب مكسور الختم ، فسألنى عن السبب ، فصدقتُه . فقال : أما كفاك ماصنعت بى حتى أنتسبتَ فى نَسبى فجعلتَنى عند أشراف قوم من العرب جَمّاشاً[2] . وسكت عنّى ولم يقُل : أحسنت ولا أسأت ، حتى وافينا المدينة . فلما وافيناها سألتْه سُكينة عن خبره . فقال لها : يابنت رسول الله ، ماسؤالك إياى ولم يزل ثقتُك معى ، وهو أمين علىّ ، فأسأليه عن خبرى يصدُقك عنه . فسألتْنى فأخبرتُها أنى لم أنـكر عليه شيئاً ، ولم أمكِّنه من اتباع جارية ، ولم أطلق له الأجتياز بالعَرج . فاستحلفتنى على ذلك . فلما حلفتُ لها بالأيمان المُحرجة و بالطلاق ، وثب زيد فوقف بين يديهـا وقال : أىْ بنتَ عمّ ، ويا بنت رسول الله ، كذبك والله العِلج ، وقد أخذ منى أربعمائة دينار على أن يأذن لى فى المَصير إلى العَرج ، فأقمتُ بها يوماً وليلة ، وغَسّلت[3] بها

(١) ثلط : سلح . وفى غير التجريد : « أحدثت » . وهى بمعناها .

(٢) الجماش ، الذى يعرض للنساء بالغزل .

(٣) غسل : جامع .

عدةً من جوارى، وها أناذا تائب إلى الله تعالى ممَّا كان منى، وقد جعلتُ توبتى هِبتَهن لك، وتقدَّمت فى حَملهن إليك، وهن مُوافيات المدينة فى عشية هذا اليوم، فبَيعُهن وعِتقهن إليك، وأنتِ أعلم بما تَرين فى العَبد السَّوء. فأمرتنى بإحضار الأربعمائة الدينار. فلما أحضرتُها أمرت بأبتياع خشب بثلثمائة ديناراً، ثم أمرت بنشره، وليس عندى ولا عند أحد من أهل المدينة عِلْم بما تريده فيه، ثم أمرت بأن يُتخذ بيت كبير، وجعلت النفقة عليه فى أُجرة النجّارين من المائة الدينار الباقية، ثم أمرت بابتياع بيض وتِبن وسَرجين[1] بما بقى من المائة الدينار بعد أُجرة النجّارين، ثم أدخلتنى البيتَ والبيض والتبن والسرجين، وحلفت بحقّ جدّها ألَّا أخرج من ذلك البيت حتى أحضن ذلك البيض كُله إلى أن يفقس. ففعلت ذلك، ولم أَزل أحضنه حتى خَرج منه أُلوف الفراريج، ورُبِّيتْ فى دار سُكينة. وكانت تنسُبهن إلىَّ وتقول: بنات أشعب.

قال: و بقى ذلك النَّسل فى أيدى الناس إلى الآن، وكلهم إخوتى وأهلى.

قال إبراهيم بن المهدي: فضحكت والله حتى غُلبت، وأمرت له بعشرة آلاف درهم، فحُملت بحَضرتى إليه.

أزواجها

وذُكر أن سُكينة بنت الحُسين تزوّجت عدة أزواج، أولهن: عبد الله ابن الحسن بن على بن أبى طالب، وهو ابن عمها، وأبو عُذرتها؛ ويحيى بن الحسن أخوه، ومُصعب بن الزبير بن العوام، جمع بينهما و بين عائشة بنت طلحة بن عبد الله، وعبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حَكيم بن حِزام، وزيد بن عمرو ابن عُثمان بن عفّان؛ والأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان، ولم يدخل بها، وإبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف، ولم يدخل بها.

صداق مصعب لها

وذُكر أن مصعباً أصدقها ألفَ ألفِ درهم، وحَملها إليه أخوها علىّ بن الحُسين، فأعطاه أربعين ألف دينار.

---

(١) السرجين، بالفتح والكسر: ما تدمل به الأرض. معرب.

زواجها من مصعب وبنتها منه

وقالت سكينة : دخلتُ على مُصعبٍ وأنا أحسن من النار المُوقدة فى الليلة القَرّة.

وولدتْ من مصعب بنتاً سمّتها الرباب ، بأسم أمها .

فحكت سُعدة بنت عبد الله بن سالم قالت : لقيتُ سُكينة بين مكة ومِنى ، فقالت : يابنت عبد الله . فوقفتُ ، فكشفتْ لى عن بِنتها من مصعب ، فإذا هى أثقلتها باللؤلؤ . فقالت : ما ألبستُها إياه إلا لتَفضحه[1] .

زواج الرباب من عثمان بن عروة وموتها عنه

وقيل : لما قُتل مصعب وَلى عروةُ بن الزبير أخوه تَرِكَته ، فزوّج عروةُ الربابَ بنت سُكينة هذه أبنَه عُثمان بن عروة . فماتت الرّباب وهى صغيرة ، فورِثَها عثمان بن عُروة عشرة آلاف دينار .

قضاء ابن أبى ربيعة بينها وبين عائشة

وذُكر أن سُكينة قالت لعائشة بنت طلحة : أنا أجمل منك ! فقالت عائشة : بل أنا أجمل منك ! فاختصمتا إلى عُمَر بن أبى ربيعة ، فقال : لأقضينّ بينكما : أما أنت يا سُكينة فأملح منها ، وأمّا أنت يا عائشة فأَجمل منها . فقالت سكينة : قضيتَ لى والله . وكانت سُكينة تسمِّى عائشة : ذات الأُذنين . وكانت عظيمةَ الأُذنين .

خطبها عبد الملك فردته أمها

وذُكر أن عبد الملك بن مروان خَطب سُكينة ، فقالت أمها : لا والله لا يتزوّجها أبداً ، وقد قَتل ابن أختى . تعنى مصعباً .

قلت :

وقد تقدمت لسُكينة أخبار مع الشعراء وغيرهم . أعادها أبو الفرج فى أخبار سكينة ، فتركت ذكرها خوفَ الإطالة .

وفاتها وما كان من خالد بن عبد الملك

وتُوفيت سكينة ووالى المدينة خالدُ بن عبد الملك ، فأرسلوا إليه فآذنوه بالجنازة . وذلك فى أول نهار من يوم فيه حرٌّ شديد . فأرسل إليهم : لا تُحدثوا حدثاً حتى أجىء فأصلى عليها . فوُضع النعش فى موضع المصلَّى على الجنائز ، وجلسوا ينتظرونه

(١) تريد أنها تفضح الحلى بحسنها ، لأنها أحسن منه .

حتى جاءت الظهر . فأرسلوا ، فقال : لا تحدثوا شيئاً حتى أجىء . فجاءت العصر ، فلم يزالوا ينتظرونه حتى صُليت العتمة . كل ذلك يرسلون إليـه فلا يأذن لهم . ومكث الناس جلوساً حتى غلبهم النعاس وقاموا . فأقبلوا يصلّون عليها جمعاً بعـد جمع وينصرفون ، وإنما أراد خالد أن تُنتن .

فلم يصلّ على أحد بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلم بغير إمام إلا سُـكينة .

وقال زين العابدين أخوها ــ رضى الله عنه ــ : رحم الله من أعان بطيب . وأُتى بالمَجامر فوُضعت حول النعش ، ونهض الدِّيباج المذهب ابن أختها فاطمة بنت الحسين ، وهو محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فاشترى بأربعمائة دينار عُوداً وسجّره حول السرير حتى أصبح وقد فرغ منه . وأرسل إليهم خالد : صلّوا عليها وادفنوها . فصُلّى عليها ودفنت .

وذكر أن الذى اشترى العود عبد الله بن الحَسن .

---

(١) سجره : أوقده .

أخبار الفضل بن العباس

نسبه

هو الفَضل بن العبّاس بن عُتبة بن أبي لَهَب — واسم أبي لهب عبد العُزى — ابن عبد المُطلب بن هاشم بن عَبد مَناف .

شيء عنه

وهو أحدُ شُعراء بني هاشم المذكورين وفُصحائهم ، وكان شـديدَ الأُدمة . وهو هاشميّ الأبوين : أمه بنت العبّاس بن عبد المطلب . وإنما أتاه السواد من قِبل جَدته ، كانت حبشيّة .

زواج جده من بنات الرسول وحديث ذلك

وكان النبيّ صلّى الله عليه وسلم زَوّج إحدى بناته عُتبةَ بن أبي لهب ، فلمّا بعثه الله سُبحانه وتعالى عاداه عمُّه أبو لهب من دون بني هاشم وظاهر عليه ، وكذلك امرأة أبي لهب حمّالة الحَطب ، وهي أم جَميل بنت حَرب بن عبد شمس ، أخت أبي سُفيان . فأقسمت أم جميل على ابنها عُتبة أن يُطلق ابنـة النبيّ صلّى الله عليه وسلم . فوقف عليه وقال : أشهد مَن حضر أني قد كفرتُ بربك وطلّقت ابنتك . فدعا عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يبعث عليه كَلْباً من كِلابه يَقتله .

فبعث الله عز وجل عليه أسداً فافترسه .

وتزوّج ابنةَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد عُتبة: عُثمان بن عفّان — رضى الله عنه .

تعقيب لابن واصل

قلتُ : الذي رُوى أنّ رُقية وأم كلثوم كانتا متزوِّجتين لعُتبة وعُتيبة ، ابني أبي لهب ، فلما جاء الإسلام أمرهما أبوهما بطلاق ابنتي النبيِّ صلّى الله عليه وسلم ، فطلّقاهما . فتزوّج عُثمان — رضى الله عنه — رقية أولاً ، ثم توفيت والنبيُّ صلى الله عليه وسلم ببدر ، فلذلك تأخّر عثمان — رضى الله عنه — عن بدر حتى واراها .

ثم تزوّج عثمان — رضى الله عنه — أختها أم كلثوم بنت النبى صلى الله عليه وسلم، فماتت أيضاً عنده. وتزوّج أبو العاصى بن الربيع زينبَ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتزوج علىّ رضى الله عنه فاطمة، وتُوفيت بعد أبيها صلى الله عليه وسلم. وسائر بناته تُوفين فى حياته، رضى الله عنهن.

مقتل عتبة

وذُكر أنّ عُتبة بن أبى لهب جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم، وقد أُنزل عليه (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى). فقال: أنا أكفُر برب النَّجم إذا هوى. فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم: اللهم أرسل عليه كلباً من كلابك. قال ابن العبّاس: فخرج عُتبة إلى الشام فى ركب، فيهم هَبّار بن الأسود، حتى إذا كانوا بوادى الغاضرة — وهى مَسْبعة — نزلوا ليلاً فافترشوا صفًّا واحداً، فقال عُتبة بن أبى لهب: أتريدون أن تجعلونى حَجزة، لا والله لا أَبيتُ إلَّا وَسْطَكم. فبات وسطهم. قال هَبّار: فما أنبهنى إلا السَّبع يَشم رءوسهم رجلاً رجلًا حتى انتهى إليه فأنشب أنيابَه فى صُدْغيه. فصاح: أىْ قوم، قتلنى! قتلني! فأمسكوه. فلم يلبث أن مات فى أَيديهم.

بين الفضل وبين الأحوص

وذُكر أنّ الفَضل بن العبّاس بن عُتبة بن أبى لهب مَرَّ بالأحوص وهو يُنشد، وقد اجتمع الناس عليه، فَحسده. فقال له: يا أحوص، إنك لشاعر، ولكنك لا تَعرف الغَريب ولا تُعرب. فقال: بلى والله، إنى والله لأَبصر الناس بالغَريب والإعراب، فأسألك؟ (١) قال: نعم:

ماذاتُ حَبل يراها الناسُ كُلهمُ وسطَ الجَحيم فلا تَخْفى على أحدِ
كُل الحِبال حِبال الناس من شَعَر وحَبلها وَسْط أهل النار من مَسَد

فقال له الفضل بن العباس:

(١) فى غير التجريد: «أفتسمع».

ماذا أردت إلى شَتمى ومَنقَصتى ... وما(١) أردتَ إلى حَمّالة الحَطَبِ
ذَكرتَ بنتَ قُرومٍ سادةٍ نُجُبٍ ... كانت حليلةَ شيخٍ ثاقبِ النَّسب

فانصرف عنه .

بينه وبين الحزين الدئلى

وذُكر أن الحزين الدُّئلىّ مَرّ بالفضل يوم جُمعة ، وعنده قومٌ يُنشدهم ، فقال له الحزين : أتُنشد الشعر والناس يروحون إلى الصلاة ! فقال له الفضل : ويلك ياحزين ! أتتعرّض لى كأنك لا تعرفنى ! قال : بلى والله ، إنى لأعرفك ويعرفك معى كل من قرأ سورة (تَبَّتْ يَدَا أبى لهبٍ) . وقال يهجوه :

إذا ما كنت مُفتخراً بجَدٍّ ... فعرِّج(٢) عن أبى لَهَب قليلا
فقد أخزى الإله أباكَ دهراً ... وقلّد عِرْسه حَبلًا طَويلا

فأعرض عنه الفضلُ وتكرّم عن جوابه . وكان الحزين مُغرًى به وبهجائه .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الفضل اللِّهبى ، هو :

وأنا الأَخضر(٣) مَن يعرفنى ... أَخضر الجِلْدة من نَبت(٤) العَربْ
مَن يُساجلْنى يُساجلْ ماجداً ... يملأ الدَّلو إلى عقد(٥) الكَرب
إنما عبدُ مَنافٍ جَوهرٌ ... زيّن الجوهرَ عبدُ المُطَّلب
كُلُّ قوم صيغةٌ من(٦) فضةٍ ... وبنو عبد منافٍ من ذَهَب
نحن قوم قد بَنَى الله لنا ... شَرَفاً فوق بُيوتات العَرب
بنبيّ الله وابنى عَمِّه ... وبعبّاسِ بن عبد المُطّلب

(١) فى غير التجريد : « مادا » : (٢) فى غير التجريد : « ففرح » .
(٣) الأخضر : الأسود . (٤) فى غير التجريد : « فى بيت » .
(٥) الكرب : حبل يشد فى طرف الرشاء إلى عرقوة الدلو ليكون هو الذى يلى الماء فلا يعفن الرشاء .
(٦) فى غير التجريد : « تبرهم » مكان « فضة » .

أخبار المهاجر بن خالد (*)

نسبه هو المُهاجر بن خالد بن الوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن [1] عمر بن مَخزوم ابن يَقَظة بن مُرة بن كعب بن لُؤىّ بن غالب .

شيء عن جده وكان جدُّه الوليد بن المُغيرة سيّداً من سادات قريش ، وجواداً من أجوادها. وكان يلقَّب بالوَحيد . وأمه صخرة بنت الحارث بن بَجيلة . ولما مات الوليدُ ابن المُغيرة أرّخت قريشٌ بوفاته ، لإعظامها إيّاه ، ثم أرّخوا بعام الفيل .

قلت :

تعقيب لابن واصل هكذا حكاه أبو الفرج . وهذا من أعظم الغَلط ، فإنه يَقتضى أنّ الوليد ابن المُغيرة تقدَّم على الفيل ، وليس كذلك ، فإن الوليد أدرك النبيَّ صلّى الله عليه وسلم . وكان من رءوس الكفّار المُشركين المُعاندين ، وفيه نزل قوله تعالى: (ولا تُطع كُلَّ حَلّافٍ مَهِينٍ) . وما أظن أن هذا غلطاً وقع من النسّاخ ، ولعل الذى أرّخت قريش بموته إنما هو أبوه .

شيء عن أبيه قال أبو الفرج :

وخالد بن الوليد من الشُّهرة بصُحبة النبيِّ صلّى الله عليه وسلم والغَناء فى حُروبه المحلُّ المشهور . ولقّبه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سيفَ الإسلام . وهاجر إلى

(*) وقبل أخبار المهاجر عقد أبو الفرج فصلا قصيراً ذكر فيه خبر من لم يمض له خبر ولا يأتى ، فى صفحة وبعض صفحة ، ولكن ابن واصل مر عنه ولم يشر إليه .

(1) فى التجريد والأغانى وابن الأثير : « عمرو » وما أثبتنا من جمهرة أنساب العرب (ص ١٣٢) والطبرى .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة و بعـد الحُديبية ، هو وعمرو بن العاص ، وعثمان بن طلحة ، فلما رآهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : رمتكم مكة بأفلاذ كبدها . وشهد خالدُ بن الوليد فَتْح مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أوّل مَن دخلها فى مُهاجرة العرب ، من أسفل مكة . وشهد غزوة مُؤتة . فلما قُتل زيد بن حارثة ، وجَعفر بن أبى طالب ، وعبـد الله رَواحة ـ رضى الله عنهم ـ ورأى خالدُ بن الوليـد ـ رضى الله عنه ـ أن لا طاقة للمُسلمين بالقوم انحاز بهم وحامَى عنهم حتى سَلِموا ، فيومئذ لقّبه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : سيفَ الله . وكان يَومَ حُنين فى مُقَدِّمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه بنو سُلَيم ، فأصابته جراحٌ كثيرة ، فأتاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد هزيمة المُشركين فنفث على جراحه فاندملت .

ولخالد بن الوليد آثارٌ جَميلة فى قتال أهل الرِّدة فى خلافة أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ مشهورة يطُول ذكرها .

ولما نازل الحيرةَ بعث إليه أهلُها بعبد المسيح بن عمر بن نُفيلة ، فقال له خالد : من أين أقبلت ؟ قال : من ورائى . فقـال : فأين تريد ؟ قال : أمامى . قال : ابن كم أنت ؟ قال : رجل وامرأة . قال : فأين أقصَى أثرك ؟ قال : مُنتهى عمرى . قال : أتعقل ؟ قال : نعم وأقيِّد . قال : ما هذه الحصون ؟ قال : بَنيناها نتقى بها السَّفيه حتى يَردعه الحليم . قال: لأمرٍ ما اختارك قومك، ماهذا فى يدك ؟ قال: سُمٌّ ساعة . قال : وما تصنع به ؟ قال : أردت أن أنظر ما تردّنى به ، فإن بلغتُ ما فيه لقومى صـلاح عدت إليهم وإلّا شربتُـه فقتلتُ نفسى ولم أرجع إلى قومى بما يكرهون . فقال له خالد : أرِنيـه . فناوله إياه . فقال خالد : باسم الله الذى لا يَضُر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ، ثم أكله ، فتجلّلته غشية ، ثم أفاق فمسَح العرق عن وجهه . فرجع عبدالمسيح إلى قومه فأخبرهم بذلك ،

وقال : ما هؤلاء القوم إلا من الشياطين ، وما لكم بهم طاقة ، فصالِحوهم على ما يريدون . ففعلوا .

ورُوى عن النبىّ صلَّى الله عليه وسلم أنه حلق رأسَه ذات يوم ، فأتاه خالدُ ابن الوليد فأخذ شَعره فجعَله فى قَلَنسوة له ، فكان لا يَلقى جيشاً وهى عليه إلا هزمه .

وذُكر أنّ عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كان أشبهَ الناس بخالد بن الوليد ، فخَرج عُمر سَحَراً ، فلقيه شَيخ فقال : مرحباً أبا سُليمان . فنظر إليه عُمر ، فإذا هو عَلقمة بن عُلاثة ، فردّ عليه السلام . فقال له علقمة بن عُلاثة : عَزلك عُمر بن الخطاب . فقال له عمر : نعم . فقال : ما شَبِع ، لا أشبع الله بطنه ! قال له عمر : فما عندك ؟ قال: ماعندى إلا السّمع والطاعة. فلما أَصبح دعا عُمر بخالد، وحَضره علقمة ابن عُلاثة ، فأقبل على خالد فقال له : ماذا قال لك عَلقمة ؟ قال: ما قال لى شيئاً . قال : أصدُقنى . فَحلف حَلفة بالله مالقيه ولا قال له شيئاً . فقال له عَلقمة : حِلاًّ أبا سليمان . فتبسّم عُمر ـ رضى الله عنه . فعلم خالد أنّ عَلقمة قد غَلط ، وفطن علقمة ، فقال : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، فاعف عنى عفا الله عنك . فضحك عمر ، وأخبره الخبر .

ولما توفى خالد لم تبق امرأة من بنى المُغيرة إلا وضعت لِمّتها على قَبره ـ يعنى حلقت رأسها ووضعت شعرها على قبره ـ وقال عمر ـ رضى الله عنه ـ حينئذ : دعوا نساء المُغيرة يبكين أبا سُليمان ويُرقن من دُموعهن سَجْلاً أو سَجْلين ، ما لم يكن نَقع أو لَقلقة[1] .

قلت : هذا يدُل على أن خالداً مات بالمدينة وقبره بها ، وهو خلاف المشهور أن قبره بظاهر حمص .

(١) النقع : مد الصوت بالنحيب . وقيل : النقع : أصوات الخدود إذا ضربت . واللقلقة : حركة اللسان بالولولة .

كيد ابن الزبير بالمهاجر

وذُكر أنّ المُهاجر بن خالد بن الوليد كان مائلاً إلى علىّ بن أبى طالب — رضى الله عنه — وحضر معه صِفّين ، وكان أخوه عبد الرحمن بن خالد على خلاف رأيه ، كان مع مُعاوية بن أبى سُفيان . ولما جاءت فِتنة عبد الله بن الزّبير . دخل خالدُ بن المُهاجر بن خالد مع بنى هاشم الشّعب ، وكان معهم عَلَى ابن الزبير ، واضطغن ابنُ الزبير ذلك عليه ، فألقى زقّ خمر وصَبَّ بعضه على رأسه وشَنّع عليه بأنّه وَجده ثَمِلاً من الخمر ، وضَرب به الحَدّ .

حديث قتله ابن أثال

وذُكر أن مُعاوية بن أبى سُفيان لما أراد أن يُظهِر العَقد بولاية العهد لابنه يزيد ، قال لأهل الشام : إن أمير المؤمنين قد كَبرت سنُّه ، ورَقّ جلده ، ودَقّ عظمه ، واقترب أجله ، ويُريد أن يستخلف عليكم ، فمن ترون ؟ فقالوا : عبدالرحمن ابن خالد بن الوليد . فسكت وأضمرها فى نفسه ، ودسّ ابنَ أثال الطبيب — وكان نصرانيًّا — إلى عبد الرحمن ، فسَقاه سُمًّا فمات . وبلغ ابنَ أخيه خالدَ ابن المهاجر خبرُه ، وهو بمكة . وكان سيىء الرأى فيه ، لِمَا ذكرنا من ميله ومَيل أبيه إلى علىّ رضى الله عنه ، وأن عبد الرحمن كان على رأى أهل الشام . فمر عُروة ابن الزبير بن العوام بخالد بن المُهاجر ، فقال : يا خالد ، أتدع ابنَ أثال بقىء أوصال عمّك بالشام وأنت بمكة مُسبل إزارك تجرُّه وتخطِر فيه مُتخايلاً ! فحَمِى خالد لذلك ودعا مولًى له يقال له : نافع ، فأعلمه الخبر ، وقال له : لا بُدّ من قتل ابن أثال . وكان نافع جَلداً شهماً . فخرجا حتى قَدِما دمشق ، وكان ابنُ أثال يُمسى عند معاوية بن أبى سُفيان ، فجلس له فى مسجد دمشق إلى أصطوانة ، وجلس غلامُه إلى أخرى ، حتى خرج ابنُ أثال . فقال خالد لنافع : إياك أن تعرض له أنت ، فإنى أضربه ، ولكن احفظ ظهرى ، واكفنى مَن ورائى ، فإنْ رابك شىء يُريدنى من ورائى فشأنك . فلما حاذاه وثب إليه خالد فقتله ، وثار إليه مَن كان معه ، فلما غشَوْهما حملا عليهم فتفرّقوا . ودخل خالد ونافع زُقاقاً ضيِّقاً

ففاتا القوم . و بلغَ معاويةَ الخبرُ ، فقال : هذا خالد بن المُهاجر، اُقلبوا الزُّقاق الذى دخل فيــه . ففُتِّش عليه فأُتى به . فقال : لا جزاك الله من زائر خيراً ! قتلتَ طَبيبى ! قال : قتلتُ المأمورَ و بقى الآمر . قال : عليك لعنة الله ! أما والله لو كان تَشهّد مرةً واحدة لقتلتُك به . أمعك نافع ؟ قال : لا . قال : بلى والله ، ما اُجترأتَ إلا به . ثم أمر بطلبه ، فوُجد ، فأُتى به فَضرب به مائة سوط . ولم يهج خالدَ ابن المُهاجر بشىء أكثر مِن أن حَبسه ، وألزم بنى مخزوم دِيَة أبن أثال أثنى عشر ألف درهم . فقال المُهاجر فى المجلس أبياتاً منها :

ما بالُ ليلك ليس يَنقُـ ـصُ طولَه طولُ النهـــارِ
لتقــاصُر الأزمانـــ أم غَرِض[1] الأسيرُ من الإسار

فرقّ له معــاوية فأطلقه . فرجع إلى مكة ، فلمــا قدِمها لقى عُروة بن الزبير فقال له : أمّا أبن أثال فقد قتلته ــ وذاك أبن جُرموز ــ يعنى قاتل الزبير ــ رضى الله عنه ــ يقىء أوصال الزبير بالبَصرة ، فاُقتــلْه إن كنت ثائراً . فشكاه عُروة إلى أبى بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، فأقسم عليه أن يُمسك عنه ، ففعل .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيـــه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبــار المُهاجر بن خالد ابن الوليد ، هو :

رُبَّ ليلٍ[2] ناعِمٍ أحييتهُ فى عَفاف عند قَبَّاء الحَشى[3]
ونهـــارٍ قد لهونا بالتى لا نَرى شِبْهاً لها فيمن مَشى
لطُلوع الشمس حتى آذنت بغُروب عند إبّان[4] العَشا

(١) غرض : مل وسئم .

(٢) فى التجريد : « يوم »

(٤) قباء الحشى : ضامرة البطن . يصف محبوبته .

(٤) فى غير التجريد : « لغروب أنت تهوى من تشا » .

أخبار حمزة بن بيض الحنفي

إسلاميّ من شُعراء الدّولة الأُموية . خَليع ماجن ، من فُحول طبقته . كان مُنقطعاً إلى آل المُهلّب بن أبي صُفرة ، وولدِه ، ثم إلى أبان بن الوليد ، و بلالِ بن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعرى ، فاكتسب من هؤلاء مالاً عظيماً ، ثم لم يُدرك الدولةَ العباسية . شيء عنه

وذُكر أنه قَدِم حمزةُ بن بيض على بلالِ بن أبي بُردة ، فلمّا وَصل إلى بابه قال لحاجبه : اُستأذن لحَمزةَ بن بيض الحنفي . فدخل الغُلام إلى بلال ، فقال : حمزة بن بيض بالباب . وكان بلال كثير المزح معه ، فقال : اخرُج إليه فقل له : حمزة بن بيض ابنُ مَن ؟ فقال له الحاجب ذلك . فقال : اُدخل إليه فقل له : الذى جئتَ إليه إلى بنيان(1) الحمام وأنت أمرد تسأله أن يَهب لك طائراً . فشَتمه الحاجب . فقال له : ما أنت وذاك ! بعثتُك برسالة فأَخبِرْه بالجواب . فدخل الحاجب وهو مُغضَب . فلما رآه بلال ضحك ، وقال : ما قال لك ! قَبحه الله ! قال : ما كنتُ لأخبر الأمير بما قال . فقال : يا هذا ، أنت رسول فأدِّ الجواب . فأبَى . فأقسم عليه حتى أخبره . فضحك حتى فحص برجليه ، وقال له : قد عرفنا العلامة فأدخل . فدخل ، فأكرمه ورفع مجلسه ، وسَمع مديحَه ، وأحسن صِلَته . وأراد بلالٌ بقوله : « ابن بيض ابن من » قولَ الشاعر فيه : وفوده على بلال ابن أبي بردة

أنت ابنُ بيض لعمرى لستُ أنكره ... وقد صدقتَ ولكن من أبو بيض

---

(1) فى التجريد : « بنار الحمام » .

وفوده والكميت على ابن المهلب

وذُكر أنه قَدم حمزةُ بن بِيض على يزيدَ بن المُهلَّب ، وعنده الكُميت ، فأنشده قولَه :

أتيناكَ فى حاجةٍ فاْقضِها ... وقُل مرحبًا يَجب المَرحبُ
ولا تَكِلنَّا إلى مَعشرٍ ... متى يَعِدُو عِدةً يكْذِبُوا
فإنك فى الفَرْع من أُسرة ... لهم خَضَع الشَّرْقُ والمَغرب
بلغتَ لعَشْرٍ مضتْ مِن سِنِـيك ما يبلُغ السَّيدُ الأَشيب
فهَمُّك فيها جِسامُ الأُمور ... وهَمُّ لِداتك أنْ يَلْعبوا
وجُـدتَ فقلتَ ألَا سائلٌ ... فيُعْطَى ولا راغبٌ يَرغب
فمِنك العطيّـةُ للسائلين ... وممن يَنوبك أن(١) يَطْلُبوا

فأمر له بمائة ألف درهم . فقَبضها . وسأله حوائجه ، فأخبره بها . فقضاها له أجمع . فَحسده الكُميت ، فقال له : يا حمزة ، أنت كمُهدى التَّمر إلى هَجر ، قال : نعم ، ولكن تَمرنا أطيب من تَمر هَجَر .

نزوله بقوم لم يحسنوا ضيافته

وذُكر أنّ ابن بِيض خَرج فى سَفر فنَزَل بقوم ، فلم يُحسنو ضيافَتَه وأتوه بخُبز يابس ، وألقوا لبَغلته تِبناً . فأعرض عنهم وأقبل على بغلته ، فقال :

أُحْسبيها ليـلةً(٢) أدلجتُها ... فكُلى إن شئتِ تِبناً أو ذَرِى
قد أَتى ربَّك خـبزٌ يابس ... فتعَشَّى فتمشَّىْ واُصبِرى

هو والفرزدق

وذُكر أنّ حمزة بن بيض قال للفرزدق : أيُّما أحبُّ إليك : أن تدخل بيتك فتجد رجلاً قابضاً على حِرِ امرأتك ، أو تجدها قابضة على أيره ؟ فقال : كلام لابُد له من جواب والبادىء أظلم ، بل أجدها قابضة على أيره قد أَغبّته(٣) عن نفسها .

(١) لم يرد هذا البيت فيما بين أيدينا من أصول الأغانى . (٢) الإدلاج : سير الليل كله .
(٣) أغبته ، أى غيبته وأبعدته وكأنها لم تفطن له .

مدحه ابن المهلب وهو فى الحبس

وذُكر أنّ حمزة بن بيض دخل على يزيدَ بن المُهلّب ، وهو فى حبس عمر ابن عبد العزيز — رضى الله عنه — وأنشده قولَه :

أَصبح فى قَيدك السماحةُ والحا ... ملُ للمُعضلات[1] والحَسبُ

لا بَطِرٌ إنْ تتابعت نِعَمٌ ... وصابرٌ فى البلاء مُحْتسب

فقال : ويحك ! أتمدحنى حتى على هذه الحال ! قال : نعم ، لئن كُنتَ هكذا لطالما أثبتَ[2] على الثناء فأحسنتَ الثواب والرِّفد ، فهل بأسٌ أن نُسلفك . قال : أمّا إذ جعلتَه سَلفاً فاقنع بما حَضر إلى أن يُمكن قضاء دينك . وأمر غلامَه فدفع إليه أربعة آلافِ درهم . وبلغ ذلك عُمر بن عبد العزيز ، فقال : قاتله الله ! يُعطى فى الباطل ويَمنع الحق ، يُعطى الشعراء ويَمنع الأمراء .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار حمزة بن بيض ، هو :

أَقفر بعد الأحبَّة البَلدُ ... فهو كأنْ لم يكن به أَحدُ

شَجاكَ نُؤْيٌ عَفَت معالمُه ... وهامد فى العِراص[3] مُلتبد

---

(١) فى غير التجريد : « للمفضلات » (٢) فى غير التجريد : « آتيت » .

(٣) النؤى : حفيرة تكون حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر . والعراص : جمع عرصة ، وهى كل موضع واسع لا بناء عليه .

أخبار كعب بن مالك الأنصارى

نسبه — هو كعب بن مالك بن أبى كعب ــ واسمه عمرو بن القَين ــ بن سوّاد[1] بن غَنم ابن كَعب بن سَلِمة بن سَعد بن علىّ بن أسد بن سارة[2] بن تَزِيد[3] بن جُشَم ابن الخَزرج بن الحارث بن ثَعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس ابن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغَوث .

من شعراء النبى صلى الله عليه وسلم — أحد شُعراء أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المَعدودين . وهو بَدرىّ عَقَبِىّ .

شىء عن أبيه — وأبوه مالك بن أبى كَعب شاعر . وله فى الحُروب الكائنة بين الأوس والخزرج الواقعة قبل الإسلام شِعرٌ كثير .

عمه — وعمّه قَيس بن أبى كَعب شَهد بدراً أيضاً . وهو شاعر .

من نسله شعراء — وعبد الرحمن بن كعب هذا شاعر . وجاء من ذُرّيته جماعة كُلهم شعراء ، منهم : الزُّبير بن خارجة بن عبد الله بن كَعب ، ومَعن بن عمرو[4] بن عبد الله ابن كعب ، وعبدالرحمن بن عبدالله أبو الخطّاب ، ومعن بن وهب[5] بن كعب . وكُلهم شاعر مُجيد متقدِّم .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « سوار » بالراء ، تحريف . (انظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٤١) .

(٢) فى التجريد : « شاردة » ، وفى غيره : « ساورة » وكلاهما تحريف . والتصويب من الجمهرة (ص ٣٣٩) .

(٣) فى التجريد وغيره : « يزيد » بالمثناة التحتية ، تحريف . والتصويب من الجمهرة (ص ٣٣٨) .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « عمر » ، تحريف . وانظر الجمهرة : (ص ٣٤١) .

(٥) فى بعض أصول الأغانى : « زهير » . تحريف . وانظر الجمهرة .

وعُمِّر كعبُ بن مالك، وَروى عن النبيِّ صلّى الله عليه وسلم حديثاً كثيراً. فممّا رَوى، قال كعب: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُصلى المغرب، ثم يرجع الناس إلى أهاليهم وهم يُبْصرون مواقع النبل حين يَرمون. من روايته

وكان كعبٌ عثمانيًّا. ولما بُويع علىّ بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ لم يُؤازره ولم يَشهد معه شيئاً من حُروبه. وله مراثٍ فى عثمان ــ رضى الله عنه ــ وتحريض للأنصار على نُصرته قبل قَتله، وتأنيب لهم على خِذلانه بعد ذلك. كان عثمانياً

وذُكر أنّ كعب بن مالك شَهر سلاحه يوم الدار فى نُصرة عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ وحارب المِصْريين المُحاصرين له، فلما ناشد عثمان ــ رضى الله عنه ــ الناسَ أن يُغمدوا سيوفهم، انصرف ولم يظُن أن القوم يجترئون على قتله. فلما قُتل وَقف على مجلس الأنصار فى مَسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشدهم: شعره فى مقتل عثمان

مَن مُبلغ الأنصارِ عنِّى آيةً ... رُسُلًا تَقُصّ عليهم التِّبيانَا

أنْ قد فَعلتم فَعلةً مَذكورةً ... كَستِ الفُضُوحَ وأبدت[1] الشنآنا

بقُعودكم فى داركم وأميرُكم ... تُخْشَى[2] ضواحى داره النِّيرانا

بينا يُرجِّى دفْعَكم عن داره ... مُلئت حريقاً كابياً ودُخانا

حتى إذا خلصوا إلى أبوابه ... خَلصوا إليه صائماً عطشانا

يَعْلُون قُلّتَه السيوفَ وأنتمُ ... مُستلبثون إخالُكم[3] صُوّانا

الله يعلم أنّنى لم أَرضه ... لكمُ صَنيعاً يوم ذاك وشانا

(١) الفضوح: الاسم من الفضيحة. يريد ألبست العار والفضيحة. والشنآن: الحقد والبغضاء. والذى فى التجريد: «الذلانا». (٢) فى غير التجريد: «يغشى».

(٣) فى غير التجريد: «متلبثون مكانكم رضوانا».

ومنها :

إنّى رأيتُ محمـــداً اختاره ... صِهراً وكان يَعُدّه خُلْصانا

مَحْضَ الضَّرائب[١] ماجداً أعراقُه ... من خَير خِنْدف مَنصباً ومكانا

عرفتْ له عُليا معـــدٍّ كلُّها ... بعـــد النبىّ المُلك والسُّلطانا

مِن معشر لا يَغدِرون بجارهم ... كانوا بمكّة يَرْبعون[٢] زَمانا

يُعطون سائلهم ويأمن جارُهم ... فيهم ويُرْدُون الكُماة طِعانا

فلو أنكم مع نَصركم لنبيّكم ... يومَ اللقـــاء نَصرتمُ عثمانا

أنسيتم عَهـــد النبىّ إليكمُ ... فلقـد ألظّ[٣] وأكّد الأيمانا

فجعل الأنصار يَبكون ويَستغفرون الله عزَّ وجلَّ .

شهادة النبى صلى الله عليه وسلم له ولابن رواحة

وذُكر أنّ شُعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ، وهم من الأنصار ، وهم : حسّان بن ثابت ، وعبد الله بن رَواحة ، وكَعب بن مالك . فلما انهزم المُشركون يومَ الأحزاب قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن المُشركين بعد اليوم لن يغزوكم ، ولكنكم تَغزونهم وتَسمعون منهم أذًى ويهجونكم ، فمن يحمى أعراض المُسلمين ؟ فقام عبدُالله بن رَواحة ، فقال : أنا . فقال : إنك لتُحسن[٤] الشعر . فقام كعب بن مالك فقال : أنا . فقال : وإنك لتُحسن[٤] الشعر .

هو وحسان وابن بشير عند على فى مقتل عثمان

وذُكر أنه لما بويع علىّ بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ بالخلافة ، بلغه عن حسّان بن ثابت ، والنُّعمان بن بَشير ، وكعب بن مالك الأنصارى ، أنهم يُقدِّمون بنى أُمية ويقولون : الشامُ خيرٌ من المدينة . واُتصل بهم أن ذلك قد بلغـه . فدخلوا عليه ، فقال له كعب : يا أميرَ المؤمنين ، أخبرنا عن عُثمان : أقُتـل ظالماً

(١) الضرائب : جمع ضريبة ، وهى الخليقة والسجية والطبيعة .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « يرتعون » .
(٣) ألظ : ألح .
(٤) فى غير التجريد : « لحسن » .

فنقول بقولك ، أم قُتل مظلوماً فتقول بقولنا ، أم نَكلك إلى الشُّبهة ؟ فالعجبُ من يَقيننا وشكِّك ، وقد زعمت العربُ أن عندكَ عِلْمَ ما اختلفنا فيه ، فهاته نَعرفه . ثم قال :

كَفَّ[1] يَدَيه ثم أغلق بابَه … وأيقن أنّ الله ليس بغافلِ
وقال لِمن فى داره لا تقاتلوا … عفا الله عن كلِّ امرىء لم يقاتلِ
فكيف رأيتَ الله صَبّ عليهمُ الـ … عداوةَ والبَغضاء بعد التواصُلِ
وكيف رأيتَ الخير أدبر عنهمُ … وولّى كإدبار النَّعام الجوافلِ

فقال لهم علىٌّ بن أبى طالب — رضى الله عنه — : لكم عندى ثلاثة أشياء : اُستأثر عثمان فأساء الأثرة ، وجزعتم فأسأتم الجزع ، وعند الله ما تختلفون فيه يوم القيامة . فقالوا : لا تَرضى بهذا العرب ولا تُعذرنا فيه . فقال على — رضى الله عنه — : أتردون علىّ بين ظَهرانَى المسلمين بلا نيّة صادقة ولا حُجة واضحة ! أخرُجوا عنِّى ولا تجاورُونى فى بلد أنا فيه أبداً . فخرجوا من بُيوتهم فساروا حتى أتَوْا مُعاوية ابن أبى سُفيان . فقال : لكم الولاية والكفاية . فأعطى حسان بن ثابت ألف دينار ، وكعبَ بن مالك ألف دينار ، وولّى النُّعمان بن بَشير حِمْص ، ثم نقله إلى الكوفة بعد .

له أشجع بيت

وذُكر أنّ مُعاوية قال يوماً لجُلسائه : أخبرونى بأشجع بيت وصَف به رجلٌ قومَه . فقال رَوح بنُ زِنْباع : قولُ كعب بن مالك :

نَصِل السُّيوفَ إذا قَصَرْن بخَطْونا … قُدُماً[2] ونُلحقها إذا لم تُلحَقِ

فقال له مُعاوية : صدقت .

شعره فى الفخر

ولكعب بن مالك قصيدةٌ يفخر فيها بنفسه و بقومه ، أولُها :

---

(١) فى التفعيلة الأولى خرم، وهو حذف الفاء من : فعولن . (٢) فى غير التجريد : « يوماً » .

هل للفؤاد لدى شَنْباء تَنْويلُ ... أم لا فيأسٌ(١) وإعراضٌ وتجميلُ
إنّ النِّساء كأشجار نَبَتْنَ معاً ... منهنّ مُرٌّ وبعضُ المُرِّ(٢) مأْكول
إن النساء ولو صُوِّرن من ذَهب ... فيهنّ من هفوات الجَهل(٣) تخبيل
إنك إن تَنْه إحداهنّ عن خُلق ... فإنّه واجبٌ لا بُدّ مَفعول

ومنها :

ولا أهاب إذا ما الحربُ حَرّشها الْ ... أبطالُ واضطربت فيها البَهاليل
علىّ فَضفاضةٌ كالنِّهى(٤) سابغة ... وصارمٌ مثلُ لون المِلْح مَصْقُول
ولَدْنة فى يدِى صَفراء(٥) تَقلبها ... بعاملٍ كشهاب النار مَوْصول
إنّى من الخزرج الغُرّ الذين همُ ... أهلُ المَكارم لا يُلْقَى(٦) لهم جِيل
فى الحرب أنهكُ(٧) منهم للعدوِّ إذا ... شبّت وأعظم نيلاً إن هم(٨) سِيلُوا

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارَ كعب بن مالك ، يقوله فى غزوة الخندق :

مَن سَرّه ضَربٌ يُرعبِل بعضُه ... بعضاً كمَعْمعة الأباء(٩) المُحْرَقِ
فَلْيأتِ مأسدةً تُسَنّ سيوفها ... بين المَذاد(١٠) وبين جَزْع الخَنْدق

(١) الشنباء : التى فى أنيابها حدة . وفى غير التجريد : « أم لا نوال فإعراض » .
(٢) فى التجريد : « النبت » .
(٣) فى غير التجريد : « الجهد » .
(٤) الفضفاضة : الدرع الواسعة . والنهى ، بالفتح والكسر : الغدير .
(٥) فى غير التجريد : « سمراء » .
(٦) فى غير التجريد : « لا يفنى » .
(٧) فى بعض أصول الأغانى : « أنهل » .
(٨) سيلوا : سئلوا ، خفف الهمزة .
(٩) يرعبل : يمزق . والأباء : القصب .
(١٠) المذاد : موضع الخندق .

أخبار عيسى بن موسى

ثم ذكر أبو الفرج عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبدالله بن العباس، ولم يذكر من أخباره طائلًا . نسبه

وكان عمُّه السفّاح قد عَهِد بالخلافة بعده إلى أُخيه أبي جعفر المَنصور، ثم بعده إلى عيسى بن موسى . فلما أفضت الخلافة إلى المنصور أقرّ ابن أخيه عيسى بن موسى على ولاية عهده . فلما خرج على المَنصور محمدُ بن عبدالله بن الحسن بالمدينة ، كان هو الذى تولّى حربَه ، حتى قُتل محمد و بعث عيسى برأسه إلى المنصور . ثم خرج بالبصرة إبراهيمُ بن عبدالله بن الحسن فسار إليه عيسى فحاربه ، حتى قُتل إبراهيم و بعث برأسه إلى المنصور . فلما صَفت الدُّنيا للمنصور ولم يَبق له مُعاند طالبه بأن يخلع نفسه من ولاية العهد ليجعلَها لابنه مُحمّد المَهدىّ ، ويكون هو ولىّ عهد المهدى . فامتنع من ذلك . فشدّد عليه فى ذلك وتهدّده إن لم يفعل . فأجاب بعد امتناع شديد ، ومُراجعات طويلة . فأشهد على نفسه بالخلع . فأعطاه المنصور مالاً كثيراً ، و بايع له بالعهد بعد ابنه محمد المهدىّ . فكانت العامة إذا رأوه يقولون : هذا الذى كان غداً فصار بعد غد . يعنى أنه كان ولىّ عهد فصار ولىّ عهدِ ولىِّ العهد . فقال عيسى بن موسى الأبيات التى فيها الغناء ، وافتتح بها أبو الفرج أخباره ، وهى : شعره الذى فيه الغناء وسببه

خُيِّرتُ أمرَيْن ضَاع الحَزمُ بينهما ... إمّا صَغار وإمّا فتنةٌ عَمَمُ
وقد هَممتُ مراراً أن أساقِيَهم ... كأسَ المنيّة لولا الله والرَّحِم

ولو فعلتُ لزالت عنهمُ نِعمٌ بكُفر أمثـــالها تُستنزل النِّقَم

شىء عنه

وكان عيسى بن مُوسى هذا من فُحول بنى العبّاس وشُجعانهم ، وذوى النَّجدة والرأى والبأس والسُّؤدد منهم .

خلعه عن ولاية العهد

ولما مات عمُّه المَنصور ، وأفضت الخلافةُ إلى ابن عمه المهدىّ بن المنصور ، أقرّ عيسى على ولاية عهده مدة . ثم طالبه بخَلع نفسه ، فخلعها . وجعل المهدى ذلك إلى أبيه مُوسى الهادى ، ثم بعده لهارون الرشيد .

أخبار الرقاشي

هو الفَضل بن عبد الصمد ، مولى رقاش . وهو من ربيعة . ولاؤه

وكان مطبوعاً سهل الشعر ، نَقِيّ الكلام ، من شُعراء الدولة العباسية . ومَدح الرشيد وأجازه . شيء عنه

وكان أكثر انقطاعه إلى البرامكة مُستغنياً بهم عن سواهم . وكانوا يَصُولون به على الشعراء ، ويدوّنون القليلَ والكثير من أشعاره تعصُّباً له ، وحفظاً لخدمته لهم ، وانقطاعه إليهم . فلما نُكبوا صار إليهم فى حَبسهم فأقام معهم مُدة يُنشدهم ويُسامرهم إلى أن ماتوا . ثم رثاهم فأكثر ، ونشر محاسنهم وجُودهم وأثرهم فأفرط ، ثم انقطع إلى طاهر بن الحُسين وخرج معه إلى خُراسان ، ولم يزل بها معه حتى مات . انقطاعه إلى البرامكة ثم إلى طاهر بن الحسن

وكان ماجناً خليعاً ، قليل الدِّين والمروءة مُتبذِّلاً . كان ماجناً

وذُكر أن جعفر بن يحيي لما قُتل وصُلب اجتاز به الرقاشيّ ، وجَعفر على الجِذع ، فوقف عليه يَبكى أحرَّ بُكاء ، وأنشأ يقول : رثاؤه جعفر بن يحيي وخبره مع الرشيد

أَمَا والله لولا خوفُ واشٍ   وعينٌ للخليفة لا تَنامُ
لطُفنا حولَ جِذعك واستلمنا   كما للنّاس بالحَجر استلام
فما أبصرتُ قبلك يا ابن يحيي   حُساماً قَدَّه السيفُ الحُسام
على اللذات والدُّنيا جميعاً   ودولة آلِ بَرمكٍ السَّلام

فكتب أصحابُ الأخبار بذلك إلى الرشيد ، فأحضره وقال : ما حَملك على

ماقُلت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين كان لى مُحسناً فلما رأيتهُ على تلك الحال التى هو عليها حرّكنى إحسانُه ، فما ملكت نفسى حتى قلت ماقلت . قال : كم كان يُجرى عليك ؟ قال : ألف دينار كُل سنة . فقال : إنّا قد أضعفناها لك .

شعره يعارض أبا دلف

(١) وذُكر أن أبا دُلف العِجلى لما قال :

ناولينى الرُّمحَ قد طا ل عن الحرب جِمامِى
مَرّ لى شهران لَمْ أرم قوماً بسهام

قال الرّقاشى يعارضه :

جَنِّبينى الرَّوْع قد طا ل عن القَصْف جِمامى
وأكسرى البَيضةَ والمِطْـ ـرد (٢) ، ثَنِّى بالحُسام
واُقذِفى فى لُجَّة البحـ ـر بقَوسى وسِهامى
وبتُرسى وبرُمحى وبسَرجى ولِجامى
فبحَسْبى أن ترينى بين فِتيانٍ كِرام
سادة تغدو مجدِّيـ ـن (٣) على حَرب المُدام
واُصطفاق العُود والنا يات (٤) فى جَوف الظلام
نهـزم الرّاح إذا ما هَمّ قومٌ بانهزام
هزمَ أرواح دِنان لم نَنلها باُصطلام
ثم خَلِّ الضرب والطعـ ـن لأجسادٍ وهَام

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الرّقاشى ، هو :

آثار رَبْعٍ قَدُما أعيَا جواباً صَمماَ
سَحّت عليه دِيَمٌ بمائها فانهدما

(١) هذا خبر لم يذكر فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .
(٢) المطرد : الرمح القصير . (٣) فى التعبير تلوين فى الضمائر عند الالتفات إلى « سادة » .
(٤) اصطفاق العود والنايات : إجابة بعضها بعضاً .

كان لسُعدى عَلَما فصار وَحشاً رِمما
أيامَ سُعدى سَقمٌ وهى تُداوِى السَّقَما

وذُكر أن طُفيليًّا ـ كان يقال له ابن دُرّاج ـ قيل له : أتطفّل على الرءوس ؟ فقال : فكيف لى بها ؟ قالوا : إنّ فُلاناً وفلاناً قد اُشتروا[1] رءوساً ودخلوا بُستان اُبن بزيع . فخرج يعدو خوفاً من فَوتهم ، فوجدهم قد لوّحوا[2] العِظام . فوقف عليهم ينظُر ، ثم استعبر وتمثّل بقول الرقاشى : تمثل طفيلى ببيت له

آثار ربع قدما أعيا جواباً صَمما

(١) فى بعض أصول الأغانى جاء الضمير على لفظ المثنى .
(٢) لوحوا العظام : أكلوا ما عليها فغدت ألواحاً بيضاء لا يسترها شىء .

أخبار ابن دَرّاج الطفيلى (*)

ولابن دُرّاج هذا أخبار فى التَّطفل طريفة .

هو مع أهل العرس

قيل له : كيف تصنع بأهل العُرس إذا لم يُدخلوك ؟ قال : أنوح على بابهم فيتطيّرون من ذلك فيُدخلوننى .

جوابه عن صفرة وجهه

وقيل له : ما هذه الصُّفرة فى لونك ؟ قال : من الفَترة بين القَصْعتين [1] ، ومن خَوفى كُلَّ يوم من نَفاد الطعام قبل أن أشبع .

هو وقد حجب على باب على بن يزيد

وذُكر أنه وَقف على باب علىّ بن يَزيد أيامَ كان يكتُب للعبّاس بن المأمون ، فحَجبه الحاجبُ ، وقال : ليس وقتَك ، وقد رأيتَ القوّاد يُحجبون فكيف يُؤذن لك أنت ! فقال : ليست سبيلى سبيلَهم ، لأنه يُحب أن يرانى ويكره أن يراهم . فلم يأذن له . فبينما هو على ذلك خرج علىٌّ بن يزيد ، فقال : ما منعك يا أبا سعيد أن تدخل ؟ قال : منعنى هذا البَغيض . فالتفت إلى الحاجب وقال : بلغ من بُغضك أن تحجب هذا ! ثم قال : يا أبا سعيد ، ما أهديت إلىّ من النوادر ؟ قال : فقلتُ : مرّت بى جنازةٌ ومعى اُبنى ، ومع الجنازة اُمرأة تبكيه وتقول : يذهبون بك إلى بيت لا فِراش فيه ولا وطاء ولا غطاء ولا خُبز ولا ماء ! فقال : لى اُبنى : يا أبة ، إلى بيتنا والله يذهبون بهذه الجنازة . فقلت : وكيف ! ويلك ! قال : لأن هذه صفةُ بيتنا . فضَحك علىٌّ وقال : قد أمرت لك بثلثمائة دِرهم . فقال : قد وفّر الله عليك نِصفَها على أن أتغدّى معك . فقال : هى عليك موفَّرة كلَّها وتتغدَّى معنا .

(*) جعل ابن واصل أخبار « ابن دراج » موصولة بأخبار الرقاشى ، وقد أفردناها بإضافة هذا العنوان إليها ، وكذلك ساقها أبو الفرج .

(1) القصف : العرس ونحوه .

أخبار ربيعة الرقّى

نسبه وموطنه وشخوصه إلى المهدى

(1) هو ربيعة بن ثابت الرّقى . ويُكنى : أبا سيّابة(2) . وقيل : أبا ثابت — كان ينزل الرَّقة ، وبها مولدُه ومنشؤه . وأشخصه المهدىُّ إليه ، فمدَحه بعدّة قصائد ، وأثابه عليها ثواباً كثيراً .

سبب سقوطه

وهو من المُكثيرين المُجيدين . وكان ضريراً ، وإنما أخمل ذكرَه وأسقطه بُعده عن العراق وتركُه خِدمة الخلفاء ومُخالفة الشعراء .

شهادة ابن أبي حفصة له

وقيل لمَروان بن أبي حَفصة : من أشعرُكم جماعةَ المُحدَثين ؟ قال : أشعرنا أسيرُنا بيتاً . قيل : من هو ؟ قال : ربيعةُ الرَّقى الذى يقول :

لشتَّان ما بين اليزيدين فى النَّدى ... يزيدَ سُليمٍ والأغرِّ بن حاتِمِ

شعر له فى مدح يزيد بن المهدى

وهذا البيتُ من قصيدة يمدح بها ربيعةُ الرَّقى يزيدَ بن محمد المهدىّ ، ويهجو يزيدَ بن أُسيد السُّلمى . وبعد هذا البيت :

يزيد سُليم سالمَ المالَ والفتَى ... أخو الأزد للأموال غير مُسالمِ

فهمُّ الفَتى الأزدىِّ إتلاف ماله ... وهَمُّ الفَتى القَيسىِّ جَمْع الدَّراهم

ولا يَحسب التَّمتامُ(3) أنّى هجوتُه ... ولكنّنى فضَّلتُ أهلَ المكارم

فيابن أُسيد لا تُسامِ ابنَ حاتمٍ ... فتَقرعَ إن ساميتَه سِنَّ نادم

هو البحرُ إن كَلَّفت نفسَك خَوْضه ... تهالَكْت فى مَوجٍ له مُتلاطم

---

(1) فى هامش الأصل : « بلغت قراءة على المؤلف – أبقاه الله – وبيده أصله المنقول منه معارضاً به » . (2) فى بعض أصول الأغانى : « أبا شبابة » .

(3) التمتام : الذى يرد الكلام إلى التاء والميم .

حمله المهدى إليه ثم رده

وذُكر أنّ جوارى المهدىّ أشتهين على المَهدىّ أن يُسمعهن ربيعةَ الرّقى ، فوجّه إليه المهدىُّ مَن أخذه من مَسجده من الرّقة وحمله على البريد حتى قَدِم به على المهدىّ ، فأُدخل عليه . فَسمع ربيعة حِسًّا من وراء السّتر ، فقال : إنى أسمع حِسًّا يا أمير المؤمنين . فقال : اُسكُت يابن اللّخناء . فاستنشده ما أراد . فضَحك وضحكن منه . فقال ربيعة :

يا أمين الله إنّ اللّـــه سمّاك الأمينـــا
سَرقونى من بلادى يا أمـــيرَ المؤمنينـا
سرقونى فاقْض فيهم بجزاء السارقينـــا

فقال : قضيتُ فيهم بأن يرُدُّوك إلى حيث أخذوك . ثم أمر به فحُمل على البريد من ساعته إلى الرقّة .

بينه وبين العباس وقد استقل عطاءه

وذُكر أن ربيعة الرّقى امتدح العبّاس بن مُحمد بن علىّ بن عبدالله بن العبّاس بقصيدة لم يُسْبق إليها حُسناً ، وهى طويلة يقول فيها :

لو قيـل للعبّاس يابنَ مُحمـد قُلْ : لا ، وأنت مُخلّدٌ ماقالَها
ما إن أُعدّ من المكارم خَصلة إلّا وجدتُك عمّها أو خالَهـا
وإذا الملوك تَسـايَرُوا فى بلدة كانوا كواكبَها وكنت هِلالَها
إنّ المكارم لم تزَل مَعْقولةً حتى حَللْتَ براحتيك عِقالَها

فبعث إليه العباسُ بدينارين ، وكان يقدّر فيه ألفين . فلما نظر إلى الدينارين كاد أن يُجنّ غضباً ، وقال : للرسول : خُذ الدينارين فهُما لك على أن ترُد إلىّ الرُّقعة من حيث لايدرى العباس . ففعل الرسول ذلك . فأخذها ربيعةُ وأمر من كتب فى ظهرها :

مدحتُك مِدْحة السَّيفِ اُحلَّى لتجرىَ فى الكِرام كما[1] جَريت
فهَبْها مِدْحةً ذهبت ضياعاً كذبتُ عليك فيها[2] وافتريت
فأنت المَرء ليس له وَفاء كأنى إذ مدحتُك قد رَثَيت

ثم دفعها إلى الرسول وقال : ضَعها فى المَوضع الذى أخذتَها منه . فردَّها الرسولُ فى موضعها . فلما كان من الغد أخذها العباس فنظر فيها . فلما قرأ الأبيات غضب وقام من وقته ، فركب إلى الرشيد ، وكان أثيراً عنده يُبجله ويقُدمه . وهو عم أبى الرشيد . وكان قد هَمَّ[3] أن يخطُب إليه ابنته ، فرأى الكراهية فى وجهه . فقال : ما شأنك ؟ فقال : هجانى ربيعةُ الرَّقى . فأحضره الرشيد ، فقال : يا ماصّ كذا وكذا من أمه ، أتهجو عَمِّى وآثَرَ الخلق عندى ! لقد هممتُ أن أضرب عُنقك . فقال : والله يا أمير المؤمنين لقد مدحتهُ بقصيدة ما قالها أحد من الشعراء فى أحد من الخُلفاء . ولقد بالغتُ فى الثناء وأكثرتُ فى الوصف ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإحضارها . فلما سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبُه وأحبّ أن ينظُر فى القصيدة . فأمر العبّاسَ بإحضارها . فتلكأ ساعة . فقال الرشيد : سألتُك بحق أمير المؤمنين إلا أمرتَ بإحضارها . فعلم العبّاسُ أنه قد أخطأ وغَلط ، فأمر بإحضارها ، فأُحضرت . فأخذها الرشيد فإذا فيها القصيدة بعينها . فاستحسنها واستجادها وأُعجب بها ، وقال : والله ما قال أحد من الشعراء فى أحد من الخُلفاء مثلَها ، ولقد صدق ربيعة وبَرّ . ثم قال للعباس : كم أثبتَه عليها ؟ فسكت وتغيّر لونُه وجَرض بريقه . فقال ربيعة : أثابنى عليها يا أمير المؤمنين

(١) فى غير التجريد : « مما » . وانظر طبقات الشعراء لابن المعتز فى ترجمة الرقى (١٥٧ – ١٧٠) .

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز : « واعتديت » مكان « وافتريت » .

(٣) يريد الرشيد .

دينارين . فتوهّم الرشيد أنه قال ذلك من المَوجدة على العبّاس . فقال : بحياتى يا رقّى ، كم أثابك ؟ فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابنى إلا بدينارين . فغضب الرشيد غضباً شديداً . ونَظر فى وجه العباس بن محمد وقال : سوءة لك ! أيّة حال قعدتْ بك عن إثابته ، أَلِقلة المال ، فوالله لقد موّلتُك جهدى، أم لانقطاع المادة عنك ، فوالله ما انقطعت عنك ، أم لأَصْلك ، فهو الأصل الذى لا يدانيه شىء ، أم نَفسك ، فلا ذنب لى بل نَفسك فعلت ذلك بك حتى فَضحت أباك وأجدادك ، وفَضحتنى ونفسك . فنكّس العباسُ رأسه ولم ينطق . فقال الرشيد : يا غلام ، أَعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخِلعة وأَحمله على بغلة . فلما حَصل المال بين يديه ولَبس الخِلعة قال له : يا رقى ، لا تذْكره فى شىء من شعرك لا تَعريضاً ولا تَصريحاً . وفتر الرشيدُ عمّا كان همّ به من التزوج إلى العبّاس ، وظَهر منه بعد ذلك جفاءٌ كثير واُطّراح .

هو والرشيد والعباس فى غالية أهداها العباس للرشيد

وذُكر أن ربيعة الرقّى كان يُكثر العبث بالعبّاس بن محمد عند الرشيد مُذ جرى فى مديحه ماجرى ، فجاء العباسُ يوماً إلى الرشيد بغالية فوضَعها بين يديه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، هذه غالية صنعتُها لك بيدى . اُختير عَنبرها من شجر عُمان ، ومِسكُها من مفاوز تُبَّت ، وبانُها من ثغر تِهامة ، الفضائل كُلها مجموعة فيها ، والنعتُ يقصُر دونها . فاعترضه ربيعة ثم قال : ما رأيت أعجبَ منك ومن وصفك هذه الغالية عند من إليه كلُّ موصوف يجلب ، وفى سُوقه يَنفق ، وبه إليه يُتقرّب . وما قَدْر غاليتك هذه — أعزك الله — حتى تبلغ فى وصفها ما بلغت ! أأجريت بها إليه نهراً ، أو حملت إليه منها وَقراً . إن تَعظيمك هذا عند من تُجبى إليه خزائن الأرض وأموالها من كل بلد ، وتذِل لهَيبته جبابرةُ الملوك المُطيعة والمُخالفة ، وتُتحفه بطُرف بلدانها وبدائع ممالكها ، كأنك قد فُقت به كل ما عنده ، وأبدعت له ما لا يعرفه ، أو خصصته بما لم يحو ملكه ، لا تخلو فيه من ضعف

أو قِصر همة . نشدتك الله يا أمير المؤمنين إلا جعلتَ حظّى من كل جائزة وفائدة تُوصلها إليّ فى مدة سنتى هـــذه الغالية ، حتى أتلقّاها بحقّها . فقال : ادفعوها إليه . فدُفعت إليه. فأَدخل يده فيها فأَخرج مِلئها وطَلى بذلك أُسته . وأَخرج حفنة أخرى وطلى ذَكره بها وأُنثَيَيه . وأخرج حفنتين فطَلى بهما تحت إبطيه ، ثم قال: يأمر أمير المؤمنين غلامى أن يدخل إلىّ ؟ فقال : أدخلوه إليــه ، وهو يضحك . فأُدخل إليه . فدفع البَرنية وقال : اذهب إلى جارتى فلانة وقل لها : طيِّبى بها حِرك وأُستك و إبطيك حتى أجىء الساعة أنيكك . فأخذها الغلام ومضى . وضحك الرشيد حتى غشى عليه . وكاد العباس يموت غيظاً ، ثم قام وانصرف . وأمر الرشيد لر بيعة بثلاثين ألف درهم .

أبيات له فى دور بساط

وذُكر أنه وُجد مكتوباً فى دَور بساط من بُسط الخليفة ، كان مَبسوطاً فى دار العامّة بسُرَّ من رأى ، شعرٌ لر بيعة الرقِّى ، وهو :

وتزعُم أنّى قد تبــدّلت خُــلةً ... سِواها وهـــذا الباطلُ المُتقوَّلُ
لَحى الله من باع الحَبيب بغــيره ... فقالت نَعم حاشاك إن كنتَ تفعلُ
ســتَصرم إنساناً إذا ما صرمتَنى ... يُحبك فانظُر بعــده من تُبــدِّل

سبب شعره فى اليزيدين

وذُكر أن سبب قول رَبيعة الرقى :

لشتّان ما بين اليزيدَين فى النَّدى ... يزيدَ سُــليم والأغرّ ابنِ حاتمِ

أن ر بيعة الرقّى زار يزيدَ بن أُســيد السُّلمى يَستمنحه قَضاء دين كان عليــه ، فلم يَجد عنده ما أحبّ . و بلغ ذلك يزيدَ بن حاتم المهلّبى فتطفل على قضاء دينــه و برَّه . فاستفرغ ر بيعةُ جَهــده فى مدحه . وكان أبو الشَّمقمق عارضه ، فقال من قصيدة يمدح بها يزيد بن مَزيد :

لشتَّان ما بين اليزيدين فى النَّدى ... إذا عُدَّ فى الناس المكارمُ والمَجدُ

يزيدَ بنى شَيبان أكرمَ منهما وإن غَضبت قيسُ بن عَيلان والأزدُ
فتًى لم تَلِده من رُعين قَبيلةٌ ولا لخمُ تَنميه ولم تَنْمِه نَهْد
ولكن نمته الغُرّ من آل وائل وبَرّةُ تَنْميه ومِن بعدها هِند

ولم يَسْرِ فى هذا المعنى شىء كما سار بيت ربيعة .

شعره الذى فيه الغناء

ومِمّا مدح به ربيعةُ الرقّى يزيدَ بن حاتم المهلّبى قوله ، وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار ربيعة الرقى :

من لعين رأتْ خَيالاً مُطيفاَ واقفاً هكذا علينا عُكوفاَ
طارقاً مَوْهناً ألمّ لحيّا ثم ولّى فهاج قلباً ضَعيفا
ليت نفسى ولَيت أنفسَ قومى يا يزيدَ النّدى تَقيك الحُتوفا
عَتَكىٌّ مُهلّبى كريم حاتمىّ قد نال فَرْعاً مُنيفا

***

ثم ذكر أبو الفرج شعر جُويرية، وهى أم حكيم بنت خالد بن قارظ الكنانية ، زوجة عُبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ترثى ابنيها اللذين قتلهما بُسْرَ بن أرطاة، أحد بنى عامر بن لُؤى باليمن ، فاقتضى ذلك ذكر مَقتل الغلامين .

ذكر مقتل ابني عبيد الله بن العباس

قسوة معاوية بأصحاب على

لما وقعت الحربُ بين علىّ بن أبى طالب ومُعاوية بن أبى سُفيان ، وأنقضت وَقعة صِفِّين بينهما ، وأَمْرُ الحَكَمين: أبىموسى، وعمرو بن العاص ، بعث معاويةُ ابن أبى سُفيان بُسْرَ بن أرطاة العامرى ، و بعث معــه جيشاً ، ووجّه برجل من عامر ، وضَمّ إليه جيشاً آخر ، وأمرهم أن يسيروا فى البلاد فيقتلوا كُل من وجدوه من أصحاب علىّ رضى الله عنه وأتباعه . فمضَوْا لوجههم يشُنُّون الغارات على أعماله ، ويقتلون أصحابه ، ولا يكفُّون أيديهم عن النساء والصِّبيان . فمضى بُسر لذلك على وجهه حتى أتى المدينة ، فقَتل بها ناساً من أصحاب علىّ - رضى الله عنه - وأهلِ هواه ، وهَدم بها دُوراً من دُوو القوم ، ومَضى إلى مكة فقَتل نَفراً من آل أبى لهب ، وأتى نَجران فقَتل بها عبدَ الله بن عبــد المدان الحارثى وأبنَه ، وكانا من أصهار بنى العباس . ثم أتى اليَمن وعليها عُبيد الله بن العبــاس بن عبد المُطلب ، عامل أبن عمّه علىّ — رضى الله عنه — وكان غائباً — وقيل : بل هرب لمّـا بلغه خبر بُسر — فلم يُصادفه بُسر ووجد أبنين له صبيين ، فأخذهما وذَبحهما بمُدية كانت معه . ثم انكفأ راجعاً إلى مُعاوية . وفَعل مثل ذلك سائرُ مَن بعث به مُعاوية . وقصد العامرىُّ الأنبارَ فقَتل حسّان بن حسان البَكْرى ، وقَتل رجالاً ونساء من أصحاب علىّ ، رضى الله عنه .

خطبة على

ولما بلغ ذلك عليًّا — رضى الله عنه — خرج حتى أتى المنبر فرَقيه فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على النبى صلّى الله عليه وسلم ، وأثنى عليه وقال :

إن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه ألبسه الله ثوبَ الذلة وشَمله

البلاء ، ودُيِّث بالصغار ، وسيم الخسف . وقد قلت لكم : اُغزوهم قبل أن يغزوكم ، فإنه لم يُغْزَ قوم فى عُقر دارهم إلا ذلّوا ، فتوا كلتم وتركتم قولى وراءكم ظهريًّا حتى شُنَّت عليكم الغارات . هـذا أخو بنى عامر قد جاء إلى الأنبار وقتل عاملى عليها حسَّان بن حسان ، وقتل رجالاً كثيراً ونساء ، والله لقد بلغنى أنه كان يأتى المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة ، فينزع حِجْلها ورِعاثها[1] ، ثم ينصرفون موفورين لا يُكلِّمَ أحدٌ منهم كلماً . فلو أنّ امرأً مُسلماً مات من دون هذا أسفاً لم يكن عليه مَلُوماً ، بل كان به جديراً . ياعجباً ، عجباً يُميت القلب ويُشعل الأحزان ، من اُجتماع هؤلاء على ضلالتهم وباطلهم وفَشلكم عن حقكم ، حتى صِرتم غرضاً تُرمون ولا تَرمون ، وتُغزون ولا تَغزون ، ويُعصى الله وتَرضون ! إذاقلت لكم : اُغزوهم فى الحر . قلتُم : هذه حمارَّة القَيْظ فأَمهلنا . فإذا قلت لكم : اُغزوهم فى البرد . قلتم : هذا أوان قُرٍّ وصُرٍّ فأمهلنا ، فإذا كنتم من الحَرّ والبرد تفرّون، فأنتم والله من السيف أشد فراراً . يا أشباه الرجال ولا رجال ، ويا طغام الأحلام ، وعُقول ربَّات الحجال ، وددتُ أنى والله لم أعرفكم ، ووددتُ أنى لم أركم ، معرفة والله جرّت ندماً ، وملأتم جوفى غيظاً بالعِصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش : إن اُبن أبى طالب رجل شجاع ولكن لا عِلم له بالحرب . ويحهم ! هل فيهم أشدّ مراساً لها منّى . والله لقد دخلتُ فيها وأنا اُبن عشرين ، وأنا الآن قد نيّفت على الستين ، ولكن لا رأى لمن لا يُطاع .

فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا كما قال الله عز وجل : (لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي) ، مُرنا بأمرك ، فوالله لنُطيعنَّك ولو حال بيننا وبينه جَمر الغَضى وشوك القَتاد . فقال : وأين تبلغان ما أريد . هذا أو نحوه . ثم نزل رضى الله عنه .

جواب عقيل لعلى أخيه

وذُكر أن عَقيل بن أبى طالب كتب إلى أخيه علىّ بن أبى طالب

(١) الحجل ، بالفتح والكسر : الخلخال . والرعاث : القرط .

ـ رضى الله عنـه ـ : « أما بعـد ، فإن الله عزّ وجل مُجيرك[١] من كل سوء ، وعاصمك من المكروه . إنّى خرجتُ مُعتمراً فلقيتُ عبدَ الله بن أبى سَرْح فى نحو من أربعين شابًّا من أبناء الطُّلقاء ، فقلت لهم ـ وعرفت النّكر فى وجوهم ـ : يا أبناء الطلقاء ، العداوة والله لنا منكم غير مُستنكرة قديماً ، تريدون بها إطفاء نور الله وتَغيير أمره . فأَسمعنى القومُ وأسمعتهم . ثم قدمت مكة وأهلُها يتحدّثون أن الضحّاك بن قيس أغار على الحِيرة ، فاَحتمل من أموال أهلها ما شاء ، ثم انكفأ راجعاً ، فأفٍّ لحيـــاة فى دهر قد جَرؤ عليك الضحاك[٢] . هل هو إلّا فَقْع بقَرْقرة[٣] ، وقد ظنَّنت[٤] . و بلغنى أنّ أنصارك قد خَذلوك . فاكتُب إلىّ يابن أُم برأيك . فإن كنت الموت تريد تحمّلت إليك بنى أَبيك وولد أخيك فعِشْنا ما عشت ومِتنا معك ، فوالله ما أُحب أن أبقى بعدك لعيش غير هَنِىء ولا مرىء ولا نجيع . والسلام .

جواب على

فأجابه علىّ رضى الله عنه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد . كلأَ نا الله و إياك كلاءة من يَخشاه بالغيب . إنه حميد مجيد . قد قدم علىّ عبدُ الرحمن بن عُبيد الأزدى بكتابك تذكُر أنك لقيتَ اُبن أبى سَرح فى نحو من أربعين شابًّا من أبناء الطُّلقاء ، واُبنُ أبى سرح طالما كاد لله ورسوله وكتابه وصَدّ عن سبيله و بغاها عِوَجاً ، فدع اُبنَ أبى سَرح عنك ودَع قُريشاً ، وتَرْكاضَهم فى الضلالة ، وتَجْوالهم فى الشّقاق ؛ فإن قريشاً قد أجمعت على حَرب أخيك إجماعها على حرب رسول الله صلّى الله عليه وسلم قبل

(١) فى بعض أصول الأغانى : « جارك » .
(٢) فى غير التجريد : « فأف لحياة فى دهر قد أمر عليكم الضحاك وما الضحاك » .
(٣) الفقع : الرخو من الكمأة ، أو هو أردؤها . والقرقر : الأرض المطمئنة اللينة . يريد أنه ذليل ذلة هذا الفقع بهذا المكان تدوسه الدواب بأرجلها .
(٤) أى اتهمت .

اليوم ، وأصبحوا قد جهلوا حقَّه ، وجحدوا فَضله ، وبادوه[١] بالعداوة ، ونَصبوا له الحربَ ، وجَهدوا عليه كُل الجهد ، وساقوا إليه جيش الأمرَّين . اللهم فاُجز قريشاً عنِّى الجوازى ، فقد قطعتْ رَحِمى ، وتظاهرت علىّ . والحمد لله على كل حال . وأما ما ذكرتَ من غارة الضحّاك على الحيرة ، فهو أقلّ وأذلّ من أن يَقرُب الحيرة، ولكنه جاء فى خَيل جَريدةٍ[٢] فلَزِم الظّهر والسَّماوة، فمرّ بواقصة وشَراف[٣] وما إلى ذلك الصُّقع . فسرّحت إليه جيشاً كثيفاً من المُسلمين ، فلما بلغه ذلك نجا هارباً ، فلَحِقوه فى بعض الطريق ، وقد أمعن فى السير ، وقد طَفَلَت[٤] الشمس لِلإياب . فاقتتلوا شيئاً كلاَ ولا ، فولى ولم يَصبر ، وقُتل من أصحابه بضعةَ عشرَ رجلاً ، ونجا جريحاً بعد ما أخذ منه بالمَخنق ، فلأياً ما نجا[٥] .

فأما ما سألت عنه أن أكتُب إليك فيه برأى ، فإن رأيى قتال المُحلِّين حتى ألقى الله ، لا تزيدنى كثرةُ الناس حولى عزّة ، ولا تفرُّقهم عنِّى وحشة ، لأنى مُحق والله مع الحق وأهله ، وما أكره الموت مع الحق ، وما الخير كُله إلا بعد الموت لمن كان مُحقًّا .

وأمّا ما عرضتَه علىّ من مَسيرك إلىَّ ببَنى أبيك وولد أخيك ، فلا حاجة لى فى ذلك . فأقم راشداً مَهديًّا . فوالله ما أُحب أن تَهلكوا معى إن هلكت . ولا تحسبن أبنَ أبيك لو أسلمه الناس مُتضرِّعاً ولا مُتخشعاً ، ولكنى أقول كما قال أخو بنى سُليم :

فإنْ تَسألِنىّ كيف أنت فإنَّنى صَبورٌ على رَيب الزمان صَليبُ
يعزّ علىّ أنْ ترَىْ بى كآبة فيشمَت عادٍ[٦] أو يُساء حَبيب

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وكادوه » .
(٢) خيل جريدة : لا رجالة فيها . والذى فى بعض أصول الأغانى : « جاء فى بريدة » .
(٣) الظهر والسماوة : موضعان . واقصة : منزل بطريق مكة ، بينه و بين شراف ميلان .
(٤) طفلت : دنلت للغروب . (٥) أى ما نجا إلا بعد جهد و مشقة .
(٦) فى بعض أصول الأغانى : « باغ » .

ولما انتهى إلى علىّ ـ رضى الله عنه ـ ما فعله بُسْر بن أرطاة ، وذَبحه أُبنى عمه: عبد الرحمن ، وقُثم ، أبنى عُبيد الله بن العبّاس ، سرّح جارية بنَ قُدامة السّعدى فى طَلب بُسر بن أرطاة ، وأمره أن يجد السير . فخرج مُسرعاً ، فوصل الخبرُ إليه بمقتل علىّ رضى الله عنه و بيعة أهل العراق ولدَه الحسن بن على ـ رضى الله عنهما ـ بالخلافة ، فركب جارية فى السِّلاح ودَعا أهلَ المدينة إلى البيعة للحسن ، فامتنعوا ، فقال : والله لتُبايعنّ ولو بأستاهكم[1] . فلما رأى أهلُ المدينة الجِدَّ منه بايعوا الحَسن . وكرّ راجعاً إلى الكوفة .

تعقيب لابن واصل

قلت :

إنه لما قَتل عبدُ الرحمن بن مُلجم المُرادى عليّا ـ رضى الله عنه ـ وذلك عند خُروجه لصلاة الغَداة من ليلة الجمعة السابع والعشرين من رمضان سنةَ أربعين للهجرة ، ضَربه على جَبينه بالسيف ، فقال : فُزتُ وربِّ الكعبة . أقام رضى الله عنه ثلاثاً ثم تُوفى إلى رحمة الله ورضوانه . وقال بعد أن ضُرب : ألينوا فراشَ ابن مُلْجم وأطيبوا طعامه ، فإن أعش فعفوٌ أو قصاص ، و إن أمت فاقتلوه ولا تمثِّلوا به . فاستأذنوه فى البيعة للحسن بعده ، فقال : ما آمركم ولا أنهاكم . فلما تُوفى رضى الله عنه بايع الناس الحسن . فلم يلبث فى الخلافة إلا نحو ستة أشهر . وقصده معاويةُ فى عسكر الشام ، ورأى الحسن أن لا قِبل له به ، فصالحه وسلَّم الأمر إليه . وذلك سنة إحدى وأربعين . و يُسمى ذلك العام عامَ الجماعة، لاجتماع الناس فيه على مُعاوية .

شعر أم حكيم فى بكاء ابنيها

قال أبو الفرج :

وأصاب أُمّ حكيم ، زوجةَ عُبيد الله بن العباس ، وَلهٌ على ولديها ، فكانت لا تَعقل ولا تُصغى إلى قول من أعلمها أنهما قد قُتلا ، ولا تزال تَطوف فى المواسم وتُنشد الناس هذه الأبيات :

---

(١) أى كرها .

يا من أحسَّ بُنَيَّيَّ اللذين هُما كالدُّرَّتين تَشظَّى[١] عنهما الصَّدَفُ
يا من أحسَّ بُنَيَّيَّ اللذين هما مُخّ العظام فمُخّى اليوم[٢] مُزْدَلَف
نُبِّئت بُسْراً وما صدّقت ما زَعموا مِن قولهم ومن الإفك الذى اقْترفوا
أَنْحَى على ودجَىْ ابنىَّ[٣] مُرهفةً مَشحوذةً وكذاك الإثم يُقْترف
حتى لقيتُ رجالاً من أَرُومته شُمّ الأُنوف لهم من قومهم شَرف
فالآن أَلعن بُسْراً حقَّ لَعنته هذا لعمرو أبى بُسْرٍ هو السَّرف
من دَلَّ والهةً حَرّى مولَّهةً على صبيَّين ضلَّا إذ عَدا السلف

دعاء علىّ على بسر

وذُكر أن عليًّا ــ رضى الله عنه ــ دعا على بُسْر بن أرطاة لمّا بلغه ذَبْحُه للصبيين، وقال: اللهم اسلُبه دينه، ولا تُخرجه من الدنيا حتى تَسْلبه عقله. فأصابه ذلك، وفقد عقلَه، فكان يَهذى بالسيف ويطلبه، فيُؤتى بسيف من خَشب ويُجعل بين يديه زق مَنفوخ، فلا يزال يضرب به حتى يَسأم. ثم مات.

ابن العباس مع معاوية وبسر

وذُكر أنه لما كانت سنةُ الجماعة، واستقرّ الأمر لمُعاوية، دخل إليه عُبيد الله ابن العبَّاس، وعنده بُسْر بن أرطاة، فقال له عُبيد الله: أنت قاتل الصبيين أيها الشيخ؟ قال بُسْر: نعم، أنا قاتلهما. فقال له عُبيد الله: أما والله لوددتُ أن الأرض كانت أَنبتتنى عندك. فقال بُسْر: فقد أنبتتْك الآن عندى. فقال عُبيد الله: ألاَ سيف؟ فقال له بُسْر: هاكَ سيفى. فلما أَهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله أَخذه مُعاوية، ثم قال لبُسْر: أخزاك الله شيخاً، قد كبرتَ وذهب عقلك! تَعمد إلى رجل من بنى هاشم قد وتَرتَه وقتلتَ ابنيه تَدفع إليه سيفَك! إنك لغافل عن قلوب بنى هاشم، والله لو تمكّن منه لبدأ بى قَبلك. فقال عُبيدالله: أجل والله، ثم إذن لثنّيتُ به[٤].

(١) تشظى: تطاير. (٢) مزدلف: قد دنا إلى هلكه. وفى غير التجريد: «مختطف».
(٣) الودج: عرق فى العنق. (٤) فى بعض أصول الأغانى: «وكنت أثنى به».

انتقام يمنى من بسر وقتله ولديه وسبب ذلك

وذُكر أن رجلاً من أهل اليمن قَدم مكة فسمع اُمرأة عُبيد الله بن العبّاس تندب اُبنيها اللذين قَتلهما بُسْر بن أرطاة، فرقّ لها واُتصل ببُسر حتى وَثق به، ثم اُحتال لقتل اُبنى بُسر، فخَرج بهما إلى وادى أَوطاس[1] فقَتلهما وهرب، وقال:

يا بُسْر بُسْرَ بنى أرطاةَ ما طلعتْ ... شمسُ النهار ولا غابتْ على ناسِ

خيرٍ من الهاشميّين اللّذين هما ... عينُ الهُدى وسِمَامُ الأشوس[2] القاسِى

ماذا أردتَ إلى طِفْلَىْ مُدلّهة ... تبكى وتندُب من أثكلتَ فى الناس

لمّا قتلتَهما ظلماً فقد شَرِقت ... من صاحبيك قَناتى يوم أَوْطاس

فاُشرب بكأسيهما ثُكلاً كما شربت ... أمُّ الصبيّين فى دار اُبن عبّاس

---

(١) أوطاس: واد فى ديار هوازن. وفيه كانت وقعة حنين.

(٢) الأشوس: المتكبر. وفى غير التجريد: «الأسوق».

ذكر خبر أم حكيم

نسبها — هى أم حَكيم بنت يَحيى بن الحَكم بن العاصى بن أُمية بن عبد شمس .

أمها وجدتها — وأُمها زَينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المَخزومى . وأم زينب سُعدى بنت عَوف بن خارجة بن سِنان بن أبى حارثة بن لأم الطائى .

حديث سعدى جدتها وأمها — وكانت سُعدى هذه عند عبد الله بن الوليد بن المُغيرة، فولدت له سَلَمة ورَيطة ؛ ثم تُوفى عنها . فخَلَف عليها طلحةُ بن عُبيد الله ــ رضى الله عنه ــ فولدت له يحيى وعيسى؛ ثم قُتل عنها . فخَطبها عبدُ الرحمن بن الحارث بن هشام ، فتكلّم بنوها فى ذلك وكرهوا أن تتزوّج ، وقد صاروا رجالاً . فقالت : إنه قد بقى فى رَحم أُمكم فَضلة شريفة لا بُد من خُروجها . فتزوّجها يحيى بن الحكم ، فولدت له المُغيرة ابن عبد الرحمن الفقيه ، أحد أجواد قُريش المُطعمين ؛ وزينب بنت عبد الرحمن ، وكانت من أجمل النساء وأحسنهن وجهاً وقدًّا ، كأن أعلاها قضيب ، وأسفلها كثيب . وكانت تُسمى المُوصلة ؛ لأنها وصلت الجمال بالكمال ــ وقيل : سُميت بذلك لفَرط لِين جسدها .

حديث زينب — فتزوج زينبَ بنت عبد الرحمن هذه أبانُ بن مروان بن الحكم ، فولدت له عبدَ العزيز بن أبان . ثم مات أبان عنها، فخَطبها عبدُ الملك بن مروان ، وكتب إلى أخيها المُغيرة أن يحملها إليه بفلسطين أو بالأُردن . فعَرض له يحيى بن الحكم فقال: أين تريد ؟ فقال : أريد أمير المؤمنين . قال : وما تصنع به ، فوالله لا يزيدك على ألف دينار يُكرمك بها وأر بعمائة دينار لزينب ، ولك عندى ثلاثون ألف دينار سوى صداق زينب . فقال له المغيرة : أوَ تنقُل المال إلىَّ قبل عقد النِّكاح ؟ قال :

نعم . فنقل إليه المال وزوّجه زينب . وجعل عبدُ الملك ينتظر المُغيرة ، فلما أبطأ عليه قيل له : يا أمير المؤمنين، إنه قد زوّج يحيى بن عبدالحكم أُخته زينبَ بثلاثين ألف دينار وأعطاه إياها . فغضب عبدُ الملك بن مروان على عمّه يحيى بن الحكم ، وخلعه عن ماله ، وعزله عن عمله ، وقال : دَخل على خِطبتى ! والله لا يخطُب على منبرٍ ما دمتُ حيًّا ، ولا رأى منّى ما يُحب . فجعل يحيى يقول :

ألاَ لا أبالى اليومَ ما فعـل الدهرُ   إذا بقيتْ لى كعكتان وزَينبُ

شيء عن أم حكيم وزواجهـا من عبد الملك

فولدت زينبُ من الحكم أمّ حكيم بنت يحيى بن الحكم. وكانت مُفرطة الجمال كأُمها ، فسُميت : المُوصلة بنت المُوصلة . ومن النـاس من يقول الواصلة . وكانت مع جمالها تقول الشعر الحَسن . وكانت مُدمنة للشُّرب . فتزوّج أمَّ حكيم هذه عبدُ العزيز بن الوليـد بن عبد الملك بن مروان ، فى حياة جدّه عبـد الملك ابن مروان ، وعقد العقد بحَضرته ، وأمر بإدخال الشُّعراء ليهنئوهم بالصِّهر . فقال عدىٌّ بن الرِّقاع فى ذلك :

قمرُ السَّماء وشمسها اجتمعـا   بالسَّعد ما غابا وما طلعَـا
ما وارت الأسـتارُ مثلهما   منْ ذا رأى هـذا ومَن سَمعا
دام السرور له بهـا وَلهَا   وتهنّيا طولَ الحيـــاة معا

وقال جرير بن الخطفى :

جَمع الأميرُ إليـه أكرمَ حُرة   فى كُل ما حالٍ من الأحوالِ
حَـكميّة عَلتِ الرَّوابى كُلَّها   بمَفـاخر الأعمـام والأخوال
وإذا النِّساء تفاخرت ببُعولة   فخرتهمُ بالسـيد المفضـــال
عبدالعزيز ومَن يُـكلِّف نفسَه   أخلاقَه يَلبثْ بأكسفِ بال
هنّأتكم بمودّة ونَصـيحة   وصدقتُ فى نفسى لكم ومَقالى

فَلْتَهْنِكِ النِّعمِ التى خُوِّلتَهـا يا خـيرَ مأمول وأكرمَ والى

فأمر له عبدُ الملك بعشرة آلاف درهم ، ولعـديّ بن الرقاع بمثلها . وقضى يومئذ لأهله ومواليـه مائة حاجة . وأمر لجميع مَن حضر من الكُتاب والحرس بعشرة دنانير . فبقيت أم حكيم عند عبد العزيز بن الوليـد مُدة .

زواجها من هشام

ثم تزوج مَيمونة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنـه ـ فملـكته وأحبّها وذهبت به كُل مذهب ، فلم ترض منـه إلا بطلاق أم حكيم ، فطلّقها . فتزوّجها عمُّه هِشام بن عبـد الملك بن مروان . ثم مات عبـد العزيز ، فتزوّج هشام ميمونة أيضاً ، وكان شديد المحبّة لأم حَكيم ، فطَلَّق مَيمونة اُقتصاصاً لها منها فيما فعلته بها فى اجتماعهما عند عبد العزيز ، وقال لها : هل أرضيتُك منها ؟ قالت : نعم .

ولدها من هشام

فولدت أم حكيم مِن هشام ابنَه يزيد بن هشام ، وكان من رجالات بنى أُمية ، ـ وكان أحد من بطش بالوليد بن يزيد وأغرى النـاس به ـ وولدت من هشام مَسلمة ، المُلقب بأبى شاكر .

وكانت أم حكيم لا تكاد تُفارق الشّرب ، وكأسها التى كانت تَشرب فيهـا مشهورة عند الناس ، وفيها يقول الوليد بن يزيد :

علّلانى بعاتقـات الـكُروم وأسـقيانى بكأس أُم حكيم
إنهـا تشرب المُدامة صِرفاً فى إناء من الزّجاج عظيم

فلما بلغ هـذا الشعرُ هشامَ بن عبد الملك قال لأم حكيم : أتفعلين ما ذكره الوليد ؟ قالت: أَوَ تُصدقه الفاسق فى هذا ؟ قال : لا . قالت : هو كبعض كَذبه .

كأسها وما كان عليها من ذهب

وبقى كأس أم حكيم فى خزائن الخُلفاء دهراً طويلاً .

فحَـكى إسماعيل بن مجمع قال : كُنَّا نُخرج ما فى خزائن المأمون من الذهب

والفضة فنزكّى عنه ، وكان مما يزكى عنه قائمُ كأس أم حكيم ، وكان فيه من الذهب ثمانون مِثقالاً . وكانت كأسها من زجاج أخضر ، قَبْضتها مِن ذَهب .

حديث بيعها

وذُكر أن المُعتمد على الله لما أخرج ما الخزائن ليُباع فى أيام ظهور صاحب الزَّنج (١) بالبصرة ، أخرج كأساً مُدَوَّرة على هيئة القَحف يسع ثلاثة أرطال ، فقُوِّمت بأربعة دراهم ، فعَجب مَن حضر من حُصول مثله فى الخزانة مع خساسته . فسُئل الخازن عنه فقال : هذا كأس أم حكيم . فرُدت إلى الخزانة . ولعلّ الذَّهب الذى كان عليها أُخذ حينئذ ثم أُخرجت لتُباع .

حديث ابن الجنيد مع الرشيد فى هذه الكأس

وحكى أبو الأغر (٢) قال :

كنّا مع محمد بن الجُنيد فى أيام الرشيد ، فشَرب ذاتَ ليلة ، وكان صوته :

عَلِّلانى بعاتقات الكروم ... وأسقيانى بكأس أم حكيم

فلم يزل يقترحه ويَشرب عليه إلى السَّحر . فوافاه كتاب خليفته فى دار الرشيد : إن الخليفة على الركوب — وكان محمد أحدَ أصحاب الرشيد ومَن يُقدِّم إليه دابته — فقال : ويحكم ! كيف أعمل والخليفة لا يَقبل لِى عُذراً وأنا سكران ! فقالوا : لا بد من الركوب على كل حال . فلما قدّم للرشيد دابته ، قال له : يا محمد ، ما هذه الحال التى أراك عليها ؟ فقال : لَمْ أعلم رأى أمير المؤمنين فى الركوب فشربتُ ليلتى أجمع . قال : فما كان صوتُك ؟ فأخبره . فقال له : عُد إلى منزلك فلا فَضل فيك . فرجع إلينا وخَبَّرنا بما جرى . وقال : خذوا بنا فى شأننا . فجلسنا على السطح ، فلما مَتع النهارُ إذا خادمٌ من خَدم أمير المؤمنين قد أقبل علينا على بِرذون ، فى يده شيء مُغطًّى بمنديل ينال الأرض ، ثم قال لمحمد : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك : بعثنا إليك بكأس أم حكيم لتشرب فيها ، وبألف دينار

(١) فى غير التجريد : « لظهور الناجم بالبصرة » .

(٢) فى غير التجريد : « ابن الأغر » .

تُنفقها فى صَبوحك . فقام محمد وأخذ الكأس من يد الخادم وقبّلها ، وصَبّ فيها ثلاثة أرطال وشربها قائماً ، وسقانا مثل ذلك ، ووهب للخادم مائتى دينار ، وغَسل الكأس وردها إلى موضعها ، وجعل يفرّق تلك الدنانير حتى بَقى معه أقلّها .

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج خبر أم حكيم ، هو من شعرها ، وهو :

ألا فاْسقيانى من شَرابكما الوَرْدِى ... وإنْ كنتُ قدأنفدتُ فاْسْترهنا بُرْدِى

سِوارى ودُملوجى وما ملكتْ يدى ... مُباحٌ لكم نَهبٌ ولا تَقطعوا وِرْدِى

منافرة عامر وعلقمة
وخبر الأعشى معهما

شعر للأعشى فى مدح عامر وهجاء علقمة

ثم ذكر أبو الفرج شِعر الأعشى الأكبر ، وهو :

عَلْقَمَ ما أنتَ[1] إلى عامر النـ ـاقض الأوتار والواتر
إن تَسُد الحُوصَ[2] فلم تَعْدُهم فعـامرٌ ساد بنى عامرِ
عَهدى بها فى الحىّ قد دُرِّعت صفراء[3] مثل المُهرة الضامر
قد حجُم الثدى على[4] صدرها فى مُشرق ذى بَهجة[5] ناضر
لو أسندت مَيتاً إلى نحرها عاش ولم يُحمل[6] إلى قابر
حتى يقولَ الناسُ مما رأوا يا عجباً للميِّت الناشر

المنافرة بين عامر وعلقمة

وهذا الشعرُ يمدح به الأعشى عامرَ بن الطُّفيل العامرىّ ويهجو علقمة بن عُلاثة ابن عوف بن الأحوص العامرىّ ، وكانا تفاخرا وتنافرا وعَظُم الخطبُ بينهما فى ذلك ، ثم اتفقا على أن يُحكِّما بينهما حكماً ، فأيهما حكم عليه الحكَمُ بأنّ صاحبه له الفَخر عليه أَعطى الحكم مائة من الإبل . وتراضيا بذلك ، ووضعا بذلك رُهناً من أبنائهم على يد رجل من عامر . ثم أتيا مكةَ فى جَمْعٍ من قومهما فحكَّما أبا سُفيان بن حَرب، فأبى أن يحكم لأحدهما على الآخر ، وقال : أنتما كرُكبتى البعير تقعان معاً بالأرض . قالا : فأيّنا اليمين ؟ قال : كلاكما اليمين . فانطلقا إلى أبى جهل ابن هشام . فأبى أن يحكُم بينهما . فأتيا عُيينة بن حِصن بن حُذيفة بن بدر ، فأبى

(١) الديوان (١٠٥) : « لا لست » . (٢) الديوان : « سدت بنى الأحوص لم » .
(٣) الديوان (١٠٤) : « سربلت : هلفاء » . (٤) الديوان « قد نهد ... على نحرها » .
(٥) الديوان : « ذى صبح نائر » . (٦) الديوان : « ينقل » .

ان يقول بينهما شيئاً . فأتيا غيـلان بن سَلَمة الثقفى ، فردّهما إلى حَرملة بن الأسكر[١] المُرّى ، فردّهما إلى هَرِم بن سِنان بن عمرو الفزارى ، فأخذ مواثيقهما على أن يَرضيا بما يقول . فأعطياه من المواثيق ما اطمأن . ثم استأجلهما سـنة . وجاآه بعد السنة ، فلم يَـقض لأحدهما على الآخر ، بل قال : يا بنى جعفر ، تحاكمتما إلىّ وأنتما كرُكبتى البعير تقعان على الأرض ، وليس فيكما واحد إلا وفيه ما ليس فى صاحبه ، وكلاكما سيد كريم . وكان قبل أن يقول ذلك قد قال لبنيه و بنى أبيه : إنى قائل بين هذين الرجلين مقالة ، فإذا فعلت ذلك فَلْيطرد بعضكم عَشر جزائر فَلْينحرها عن عَلقمة ، و يطرد بعضكم عشر جزائر فلينحرها عن عامر ، وفرِّقوا بين الناس لئلا تـكون[٢] بينهم جماعة . فلما قال هرم هذه المقالة فَعل بنوه و بنو أبيه ما أمرهم به وفرّقوا الناس . وكره هَرم أن يُفضِّل أحد الرجلين على الآخر فيَجلب بذلك عداوة ، و يوقع بين الحيين شرًّا .

وكان أعشى قيس ، حين رجع من عند قَيس بن مَعـدى كرب بما أعطاه ، طلب الجوائز والخُفرة من عَلقمة ، فلم يكن عنده ما طلب ، وأجازه وخَفره عامر ، حتى إذا أدّاه وماله إلى أهله قال :

عَلقم ما أنت إلى عامرِ النـ ـاقض الأوتار والواترِ

ثم أتمّها بعد النِّفار .

إسـلام علقمة وارتداده ثم إسلامه

وأدرك علقمة بن عُلاثة الإسلام ، ثم ارتد فيمن ارتد مرن العرب ، ثم أسلم وأتى أبا بكر الصديق — رضى الله عنه — وأخبره أنه نزع عما كان عليه . فقَبِل إسلامَه وآمنه .

استئذان الحطيئه لعمر ليخرج إلى علقمة وحديث ذلك

وذكر أن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — لما أطلق الحُطيئة من محبسه ،

(١) فى غير التجريد : « الأشعر » . (٢) فى غير التجريد : « لا تكون » .

قال له : يا أمير المؤمنين ، اكتُبْ لى كتاباً إلى علقمة بن عُلاثة لأَقصده به ، فقد مَنعتنى الكسب بشعرى . فقال له : لا أفعل . فقيل له : يا أمير المؤمنين، وما عليك من ذلك ، إن علقمة ليس عاملك فتَخشى أن تأثم ، وإنما هو رجل من المسلمين تَشفع له إليه . فكتب له بما أراد . فمضى الحُطيئة بالكتاب . فصادف علقمة قدمات والناس مُنصرفون عن قبره ، فوقف عليه ثم أنشد :

لعمرى لنِعم الحىّ[(1)] من آل جعفر ... بحُوران أمسى أَقصدتْه[(2)] الحَبائلُ
فإن تَحْىَ لا أملل حياتى وإن تمت ... فما فى حَياتى بعد موتك طائِل
وما كان بينى لو لقيتُك سالماً ... وبين الغِنَى إلّا ليالٍ قلائل

(1) فى غير التجريد : « المرء » .
(2) فى غير التجريد . « أعلقته » .

أخبار أبي العباس الأعمى

نسبه وشيء عنه

هو السائب بن فَرُّوخ ، مولى بنى الدِّيل . أحد شُعراء بنى أُميــة المعدودين المُتقدِّمين فى مَدحهم والمَيل إليهم .

راو للحديث

وقد رَوى الحديث ورُوى عنه . فمما رَوى عن سعيد بن المُسيِّب قال : قال علىّ ابن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إسباغ الوضوء على المـكاره ، وإعمالُ الأقدام إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، تَغسل الخطايا غَسْلاً .

ورَوى عن عبد الله بن عُمر قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذنه فى الجهاد . فقال : أحَىٌّ والداك ؟ قال : نعم . قال : ففيهما فجاهد .

هو والمنصور أيام مروان

وحَــكى المهدىُّ قال : سمعت المنصور يقول : خرجتُ أريد الشام أيام مَروان ابن محمد ، فصحبنى فى الطريق رجلٌ ضريرٌ ، فسألتُه عن مَقصده ، فأخبرنى أنه يُريد مروانَ بشعرٍ امتدحه به . فاستنشدتُه إياه ، فأنشدنى :

ليت شــعرى أفاح رائحــةُ المسـ ... ـك وما إن إخالُ بالخَيف[1] أُنْسِى
حين غابت بنو أُميــــة عنه ... والبَهاليل من بنى عبــد شَمس
خُطبــاءٌ على المنــابر فُر ... ســان عليها وقالةٌ غير خُرس
لا يُعابون صامتين وإنْ قا ... لوا أصــابوا ولم يقولوا بلَبْس
بحُلوم إذا الحُلوم اسـتُخفّت ... ووجوهٍ مثــل الدّنانير مُلْس

(١) الخيف : ما انحدر من غلظ الجبل و ارتفع عن مسيل الماء .

قال : فوالله ما فَرَغ من إنشاده حتى توهّمت أن العمَى قد أدركني . وافترقنا . فلما أفضت الخلافةُ إليّ خرجت فنزلت أَمشي بجبلي زَرود[1] ، فبصُرتُ بالضرير ، ففرّقت مَن كان معي ، ثم دنوتُ منه فقلت : أتعرفني ؟ فقال : لا . قلت : أنا رفيقك وأنت تريد الشام أيامَ مروان . فقال : أوّه :

آمت نساء بني أمية مِنهمُ وبناتُهم بمُضيعة أيتامُ
نامت جدودهمُ وأُسقط نجمهم والنَّجم يَسقط والجدود تَنام
خَلَت المنابر والأسرَّة منهمُ فعليهمُ حتى الممات سلام

فقلت : وكم كان مروان أعطاك بأبي أنت ؟ قال : أغناني أن أسأل أحداً بعده . فهممتُ بقتله ، ثم ذكرت حق الاسترسال والصُّحبة ، فأمسكت عنه ، وغاب عن عيني ، فبدا لي فيه ، فأَمرت بطلبه ، فكأنما البيداء بادت به .

شعره الذي فيه الغناء

والأبيات الثلاثة الأولى من الأبيات السِّينية المذكورة ، هي الشعر الذي فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبي العباس الأعمى .

(١) زرود : رمال بطريق الحاج من الكوفة . فأول الرمال الشيمة ، ثم رمل الشقيق ، وهي خمسة أجبل : جبلا زرود ، وجبل الغر ، ومريخ ، وجبل الطريدة .

أخبار أبى حية النميرى

نسبه

هو الهَيثم بن الرَّبيع بن زرارة بن كَثير بن جَناب بن كَعب بن مالك بن عامر ابن نُمير بن صَعصعة بن هَوازن بن مَنصور بن عكرمة بن خَصفة بن قَيس ابن مُضر بن نزار .

شاعر من مخضرم الدولتين وشيء عنه

وهو شاعر مُجيد متقدِّم ، وهو من مُخضرمى الدولتين العباسية والأُموية .

وقد مَدح الخُلفاء منهم[1] جميعاً . وكان فصيحاً مقصّداً راجزاً ، من ساكنى البصرة . وكان أهوَج جباناً بَخيلاً كذّاباً معروفاً بذلك أَجمع . وقيل إنه كان يُصرع .

حديث سيفه وكلب دخل عليه

وذُكر أنه كان لأبى حيّة النُّميرى سيف يُسمِّيه لُعاب المنيَّة ، ليس بينه و بين الخَشب فَرق . فدخل ليلةً إلى بيته كلبٌ فظنّه لصاً ، فأشرف عليه وقد انتضى سيفه « لُعاب المنية » وهو واقف وسطَ داره ، وهو يقول : أيها المغترّ بنا والمجترىء علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ! خير قليل[2] ، وسيف صقيل ، لعاب المنية الذى سمعت به مشهورة ضربته ، لا تخاف نبوته ؛ أُخرج بالعفو عنك ، قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ؛ إنى والله إن أَدْعُ قيساً عليك[3] لا تقوم لها ، وما قيس ! تملأ والله الفضاء خيلاً ورجالاً . سبحان الله ! ما أكثرها وأطيبها ! فبينا هو كذلك إذ خرج الكلب ، فقال : الحمد لله الذى مَسخك كلباً ، وكفانى حرباً .

---

(١) فى غير التجريد : « فيهما » . (٢) فى غير التجريد : « خليل » .
(٣) فى غير التجريد : « إليك » .

من كذبه

وممـا ذكر من كذبه أنه قال : عَنَّ لى ظَبيٌ يوماً فرميتُه ، فراغ عن سهمى ، فعارضه السهمُ ، فما زال والله يرُوغ و يعارضه ، حتى صرعه فى بعض الجبانات .

وقال يوماً : رمَيت ظبية ، فلما نفذ سهمى عن القوس ذكرتُ بالظَّبية حبيبةً لى، فعدوتُ خلف السهم حتى قبضتُ على قُذَذِه(1) قبل أن يُدركها .

مدحه المنصور و هجاؤه بنى العباس ابن حسن

وذُكر أنه وَفد على المنصور فمدحه وهجـا بنى العبّاس بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب — رضى الله عنهم — بقصيدة أولها :

عُوجا نُحيّى ديارَ الحيِّ بالسَّـنَدِ … وهل بتلك الدِّيار اليومَ مِن أَحدِ

يقول فيها :

أحين شِيم فلم يَـتْرك لـكم تِرَةً … سـيفٌ تقلّده الرِّئبال ذو اللِّبـد

سللتُموه عليكم يا بنى حسن … ما إن لـكم من فلاحٍ آخِرَ الأَبد

قد أصبحتْ لبنى العباس صافيـة … بجَدْع آنُفِ أهلِ البَغْيِ والحَسد

وأصبحتْ كلهـا لليثِ فى فمَه … ومن يحاولُ شيئاً من فم الأسـد

فوصله بشىء كثير ما كان يؤمِّل مثلَه .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى حيّة ، هو :

ألَا حَىِّ من أجل الحبيب المَغانيا … لَبِسْنَ البِلَى لمّـا لَبِسن اللّياليـا

إذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليـلةٌ … تقاضاه شىء لا يَمَلُّ التقـاضيا

(1) قذذ السهم : ريشه ؛ الواحدة : قذذة

أخبار نائلة بنت الفرافصة (*)

نسبها

هى نائلة بنت الفُرَافِصة بن الأحوص بن عمرو بن ثَعلبة بن الحارث بن حِصن ابن ضَمْضم بن عَدِىّ بن جَناب، الكَلبية .

زواجها من عثمان وقصة ذلك

ذُكر أنه تزوّج سعيدُ بن العاص بن سعيد بن العاص بن أُمية ، وهو والى الكوفة لعثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ هند بنت الفُرافصة . فبلغ ذلك عثمانَ ــ رضى الله عنه ــ فكتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فقد بلغنى أنك تزوّجت اُمرأة ، فاكتُب إلىّ بنَسبها وجمالها .

فكتب إليه : أما بعد . فإن نسبها أنها بنت الفُرافصة بن الأحوص . وجمالها أنها بيضاء مديدة القامة .

فكتب إليه : إن كان لها أُخت فزوّجنيها .

فبعث سعيدٌ إلى الفُرافصة يخطُب إحدى بناته على عُثمان ــ رضى الله عنه ــ فأمر الفُرافصةُ أبنه ضَبًّا ، فزوّجها إياه . وكان ضَبٌّ مُسلماً . وكان الفُرافصة نَصرانيًا . فلما أرادوا حَملها إليه ، قال لها أبوها : يا بُنية ، إنك تَقدمين على نساء من نساء قريش هن أقدر على الطِّيب منك ، فاحفظى علىّ خصلتين : تكحَّلى وتطيَّبى بالماء حتى يكون ريحك ريح شَنٍّ [1] أصابه مطر .

الشعر الذى فيه الغناء

فلما حُملت كرهت الغُربة وحنّت لفراق أهلها ، فأنشأت تقول ، وهو الشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخبارها :

(*) وقبل أخبار « نائلة » ساق أبو الفرج « أخبار أحمد المكى » ولكن ابن واصل مر عنه ولم يعقب .

(١) الشن : القربة من جلد .

ألست ترى بالله يا ضَبُّ أنّنى مُصاحبةً نحو المدينــة(١) أَرْكُبَا
إذا قَطعوا حَزْناً تخُبّ ركابُهم كما زَعزعت ريحٌ يَراعاً مُثقَّبا
لقد كان فى أبناء حِصنِ بنِ ضمضم لك الويلُ ما يُغنى الخِباءَ المُطنَّبا

فلما قَدِمت على عثمان — رضى الله عنه — قعد على سرير ووضع لها سريراً حيالَه ، فجلست عليه ، فوضع عثمان — رضى الله عنه — قَلَنْسيته ، فبدا الصَّلع ، فقال : يا بنت الفُرافصة، لا يهولنّك ما تَرَيْن من صَلعى ، فإن من ورائه ما تُحبين . فسكتت . فقال : إما أن تقومى إلىّ وإما أن أقوم إليك ؟ فقالت : أما ما ذكرتَ من الصَّلع فإنى من نساء أحبُّ بُعولتهن إليهن السادة الصُّلع : وأما قولك : إما أن تقومى إلىّ وإما أن أقوم إليك ، فوالله لمَاَ تجشّمتُ إليك من السماوة أبعدُ مما بينى وبينك ، بل أقوم إليك . فقامت فجلست إلى جَنبه ، فمَسح رأسها ودعا لها بالبركة ، ثم قال : أُطرحى عنك رِداءك . فطرحته . ثم قال : أُطرحى خمارك ، فطرحته . ثم قال : أُنزعى دِرعك ، فنزعته . ثم قال : حُلّى إزارك(٢) . فقالت : ذاك إليك . فحلّ إزارها . فكانت مِن أحظَى نسائه عنده . عود إلى قصة زواجها

وحَكى أبو الجرّاح مولى أُم حَبيبة ، قال : هى فى مقتل عثمان

كنت مع عثمان فى الدار ، فما شعَرت وقد خَرج محمد أبى بكر ونحن نقول : هم فى الصلح ، إذا أنا بالناس قد دخلوا من الخوخة ونزلوا بأمراس الحِبال من سُور الدار ، معهم السيوف ، فرميتُ بسيفى وجلست عليــه . فسمعتُ صياحهم . فإنى لأنظر إلى مُصحفٍ فى يد عثمان وإلى حُمرة أديمه ، فنشرت نائلة بنت الفُرافصة شعرها : فقال لها عثمان : خُذى خِمارك ، فلعمرى ، ما دُخولهم علىّ أعظم من حُرمة شَعرك . فأهوى رجلٌ لعثمان بالسيف ، فاتّقته نائلة بيدها . فقطع إصبعين من

(١) أركب : جمع ركب ، غير مسموع . (٢) فى غير التجريد : «أزرارك» .

أصابعها . ثم قتلوه وخرجوا يُـكبِّرون . ومَرّ بى محمد بن أبى بكر ، فقال لى : مالك يا عبدَ أم حبيبة ! ومضى ، فخرجتُ .

رثاؤها عثمان

وذُكر أن عثمان ــ رضى الله عنه ــ لما قُتل، قالت نائلةُ بنت الفُرافصة تَرثيه :

ألا إن خيرَ النـاس بعــد ثلاثة قتيل التُّجيبىّ الذى جاء من مصرِ
ومالىَ لا أبكى وتبكى قَــرابتى وقد غُيِّبت عنَّا فُضول أبى عمرو

وقيل : إن الشعر للوليد بن عُقبة .

قلت : التُّجيبى الذى ذكرته نائلة منسوبٌ إلى « تُجيب » قبيلة باليمن ، وهو أحد القادمين المدينة لقتل عثمان ــ رضى الله عنه .

كتابها إلى معاوية مع قميص عثمان

قيل : ولمـا قُتل عثمان ــ رضى الله عنه ــ بعثت نائلةُ بنت الفُرافصة بقميص عثمان ــ رضى الله عنه ــ مع النُّعمان بن بشير ، وعبد الرحمن بن حاطب بن أبى بَلتعة ، وكتبت معهما إلى معاوية بن أبى سفيان :

بسم الله الرحمن الرحيم . من نائلة بنت الفُرافصة إلى معاوية بن أبى سفيان . أما بعد . فإنى أذكِّركم الله الذى أنعم عليكم وعلّمكم الإسلام ، وهداكم من الضلالة ، وأنقذكم من الـكفر ، ونصركم على العـدو ، وأوسع عليكم النعمة . وأنشدكم بالله عزّ وجلّ وأذكّركم حقَّه وحق خليفته أن تنصُروه (١) ، و بعزمة الله عليكم ؛ فإنه عز وجل يقول : (وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا . فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) ، و إن أمير المؤمنين بُغى عليه . ولو لم يكن له من الحق عليكم إلا حق الولاية ، ثم أُتى إليه بما أُتى لحقٌّ على كل مسلم يرجو أيام الله أن ينصره، لقِدمه فى الإسلام وحُسن بلائه . وأنه أجاب داعى الله وصدّق كتابه . والله أعلم

(١) فى غير التجريد : « الذى لم تنصروه » .

به إذ انتخبه وأعطاه شرف الدنيا والآخرة . وإني أقصّ عليكم خبره لأني كنت مشاهدةً أمره كله حتى أُفضى إليه[(١)] . وإن أهل المدينة حصروه في داره يحرُسونه ليلهم ونهارهم ، وهم قيامٌ على أبوابه بسلاحهم يمنعونه كل شيء قدروا عليه ، حتى مَنعوه الماء، يحضرونه الأذى ويقولون له الإفك . فمكث هو ومن معه خمسين ليلة قد أسندوا أمرهم إلى محمد بن أبي بكر، وعمّار بن ياسر . ثم إنه رُمى بالنبل والحجارة ، فقُتل ممّن كان في الدار ثلاثة نفر . فأتوه يصرُخون إليه ليأذن لهم في القتال . فنهاهم عنه وأمرهم أن يردُّوا عليهم نبلَهم ، فردّوها إليهم . فلم يَزدهم ذلك في القتال إلا جُرأة ، وفي الأمر إلّا إغراقاً ، ثم أحرقوا باب الدار . فجاءه نفر من أصحابه فقالوا : إن في المسجد ناساً يُريدون أن يأخذوا أمرَ الناس بالعَدل ، فاخرُج إلى المسجد حتى يأتوك . فانطلق فجلس فيه ساعةً ، وأسلحةُ القوم مُطلّة عليه من كل ناحية ، وما رأى أحداً يعدل ، فدخل الدار . وقد كان نفر من قريش على عامّتهم السلاحُ ، فلبس دِرعه وقال لأصحابه : لولا أنتم ما لبستُ درعاً . فوثب عليه القوم ، فكلّمهم ابنُ الزبير وأخذ عليهم ميثاقاً صَحيفةً بعث بها إلى عثمان : إن عليكم عهد الله وميثاقه إلّا تغرّوه بشيء . فكلّموه وتحرّجوا . فوضع السلاح . فلم يكن إلا وضعه حتى دخل عليه القوم يَقدمهم ابن أبي بكر ، حتى أخذوا بلحيته ودَعوه باللّقب . فقال : أنا عبد الله وخليفتهُ . فضربوه على مُقدم الجبين فوق الأنف ضربةً أسرعت في العظم، فسقطتُ عليه وقد أثخنوه ، وبه حياة ، وهم يريدون قَطع رأسه ليذهبوا به . فأتتني بنتُ شيبة بن ربيعة فألقت نفسها معي عليه . فوُطئنا وطئاً شديداً ، وعُرّينا من ثيابنا ، وحُرمةُ أمير المؤمنين أعظم . فقتلوه — رحمة الله عليه — في بيته وعلى فراشه . وقد أرسلتُ إليكم بثوبه وعليه دمُه . وإنه والله لئن كان أَثم مَن قتله لم يَسلم مَن خذله . فانظروا أين أنتم من الله ، فإنا نشتكي ما مسّنا

(١) في غير التجريد : « حتّى قضى الله عليه » .

إليه ونستنصر وليه وصالح عباده . ورحم الله عثمان ولعن من قتله ، وصرعهم فى الدنيا مصارع الخزى والذلة ، وشفى منهم الصـــدور . فحلف رجالٌ من الشام ألّا يطئوا النساء حتى يقتلوا قتلته أو تذهب أرواحهم .

تعقيب لابن واصل

قلت : ذُكر أن الـكتاب لما وصل إلى مُعاوية قرأه على أهل دمشق ، ونَصب قميصَ الدم على المنـبر ، وأصابع نائلة بنت الفُرافصة المقطوعة . فحمى أهلُ الشام لذلك وجدُّوا فى أمر القتال .

ولما فرغ على ــ رضى الله عنه ــ من أمر الجمل سـار إليهم ، فالتقوا بصفِّين . فكانت بينهم وقعات كثيرة ، قُتل فيها أُمم من الناس . ولم يختلف أحد من أهل الحق أن الحق مع علىّ ــ رضى الله عنه ــ و إنه لما بُويع له بالخلافة بعـــد عثمان ــ رضى الله عنه ــ كان هو الخليفة الواجبة له الطاعة ، ومن قاتله كان باغياً ، و إن كان متأوّلاً . وقد ثبت فى الصحيح أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال لعمّار بن ياسر ــ رضى الله عنه ــ : يا عمار ، تقتلُك الفئة الباغية . فاُستشهد مع علىّ ــ رضى الله عنه ــ بصفِّين . وكان جماعة من المسلمين قـد اعتزلوا الحرب ليتضح لهم الأمر . فلما قُتل عمارٌ انكشف لهم الحق واُنحازوا إلى على ــ رضى الله عنه ــ فـكانوا معه .

أخبار عبد يغوث ويوم الكلاب

هو عَبد يَغُوث بن صلاءة ــ وقيــل : هو عبد يَغوث بن الحارث بن وقّاص ابن صلاءة ــ بن المعقِّل[1] . واسمه ربيعة بن كَعب الأرتّ بن ربيعة[2] بن كعب ابن الحارث بن كَعب بن عمرو بن عُلَة بن جَلْد[3] بن أُدد بن زيد بن يَشجُب ابن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجُب بن يَعرب بن قَحطان . نسبه

وكان شاعراً من شُــعراء الجاهلية ، فارساً ، سيِّداً لقومه ــ من بنى الحارث ابن كعب ــ وقائدهم يوم الــكُلاب الثانى . شاعر فارس

وكان من حديث هذا اليوم أنّ كِسرى ملك الفُرس أَوقع ببنى تميم يومَ الصَّفا بالمُشقَّر[4] ، ونَهب الأموال والذّرارى[5] . فبلغ ذلك مَذحِجاً فمشَى بعضُهم إلى إلى بعض وقالوا : اغتنموا بنى تميم . ثم بعثوا الرُّسل فى قبــائل اليمن وأحلافها . فذُكر أنه اجتمع من مذحج : عبدُ يغوث بن صلاءة ــ ورئيس همدان رجل يقال له : مسرح ، ورئيس كندة : البراء بن قيس بن الحارث ــ وأقبلوا إلى تميم . فبلغ ذلك سعداً والرِّباب. فانطلق ناسٌ من أشرافهم إلى أَكثم بن صيفىّ ، وهو قاضى العرب يومئذ وحكيمها ، فاستشاروه . فقال لهم : أقِلُّوا الخلاف على أُمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصــياح من الفَشَل ، والمرء يعجز لا محالة . يا قوم ، تثبّتوا فإن حديث يوم الكلاب الثانى

(١) فى التجريد : « المفضل » . وما أثبتنا من الأغانى والمفضليات .

(٢) فى التجريد : « ربيعة » . وما أثبتنا من جمهرة أنساب العرب (ص ٣٩١) والأغانى .

(٣) فى التجريد : « خالد » . وفى الأغانى : « خلد » . وما أثبتنا من الجمهرة (ص ٣٨٧) .

(٤) الصفا والمشقر : حصنان بالبحرين .

(٥) فى الأغانى : « فقتل المقاتلة وبقيت الأموال والذرارى » .

أحزم الفريقين الرّكين ، ورُبّ عجلة تهب ريثاً، وأتزروا للحرب وأدرعوا الليل ؛ فإنه أخفى للويل ، ولا جماعة لمن أختلف . فلما انصرفوا من عند أكثم تهيئوا وأستعدوا للحرب ــ ورئيس الرباب يومئذ : النعمان بن جَسّاس . ورئيس سعد : قيسُ ابن عاصم المِنقرى ــ وأقبلت اليمن، فالتقوا هم وتميم بالكُلاب ، وأختلطوا واقتتلوا قتالاً شديداً يومهم ، حتى إذا كان من آخر النهار قُتِل من بنى تميم : النُّعمان بن جَساس . وظن أهل اليمن أن بنى تميم سيَهُدّهم قتلُ النعمان ، فلم يَزدهم ذلك إلّا جُرأةً عليهم . فأقتتلو حتى حجز الليل بينهم ، فباتوا يحرس بعضُهم بعضاً . فلما أصبحوا غَدوا على القتال . فنادى قيسُ بن عاصم : يا آل سعد . فنادى عبد يغوث بن صلاءة : يا آل سعد ــ يدعو قيسٌ : سعدَ بن زيد مناة بن تميم . ويدعو عبدُ يغوث: سعدَ العشيرة ــ فلما سمع ذلك قيسٌ نادى : يا آل كعب . فنادى عبد يغوث : يا آل كعب ــ قيسٌ يدعو : كعبَ بن سعد . وعبد يغوث يدعو : كعب بن عمرو ــ فلما رأى ذلك قيسٌ من صَنيع عبد يغوث . قال : ما لهم أخزاهم الله ! ما ندعو بشعار إلا دعوا بمثله ! فنادى قيس : يا آل مقاعس . يدعو بنى الحارث بن عمرو بن كعب ــ وكان يلقب مقاعساً ــ فلما سمع وعلةُ بن عبد الله الجرميُّ الصوتَ ، وكان صاحبَ اللواء يومئذ ، طرحه ، وكان أول من انهزم من اليمن ، وحملت عليهم بنو سعد والرِّباب فهزموهم أفظع هزيمة ، وجعل قيس بن عاصم يُنادى : يا آل تميم ، لا تقتلوا إلا فارساً فإن الرجّالة لكم . وجعل يرتجز ويقول :

لمّا تولَّوا عُصَباً سوار بَا[1] أقسمتُ لا أطعن إلّا راكبَا
إنّى وجدت الطَّعْنَ فيهم صائبا

وجعل يأخذ الأسارى ، فإذا أخذ أسيراً قال له : ممن أنت ؟ فيقول : من

(١) سوار با : أى ذاهبين على وجوههم فى الأرض . وفى بعض أصول الأغانى : شواز با » . والشوازب : الضوامر .

بنى زَعْبل بن كعب ـ وهو أخو الحارث بن كعب ، وهم أنذال ـ فكأن الأسارى يريدون بذلك رِخص الفداء . فجعل قيس إذا أخذ أسيراً منهم دفعه إلى من يليه من بنى تميم ، ويقول : أمسك حتى أصطاد لك زَعبلة أخرى . فذهبت مثلاً .

فما زالوا فى آثارهم يقتلون ويأسرون حتى أُسر عبد يغوث بن صلاءة ، أسره فتًى من بنى عُمير بن عبد شمس ، فانطلق به إلى أهله ـ وكان العبشمىّ أهوج ـ فقالت أُم العبشمى لعبد يغوث ـ وكان عظيماً جميلاً جسيماً ـ : من أنت ؟ قال : أنا سيد القوم . فضحكت وقالت : قَبحك الله من سيد قومك حين يأسرك هذا الأهوج ! وذلك حين يقول عبدُ يغوث : أسر عبد يغوث

وتَضحك منِّى شيخة عَبشميّة كأن لم ترَى قبلى أسيراً يمانياَ

ثم قال لها : أيتها الحرة ، هل لك إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : أُعطى ابنك مائة من الإبل ويَنطلق بى إلى الأهتم ، فإنى أتخوف من أن تنتزعنى سعد والرِّباب منه . فضمن له مائة من الإبل، وأَرسل إلى بنى الحارث فوجهوا بها إليه . فقَبضها العبشمى وانطلق به إلى الأهتم ـ واسمه : سنان بن سُمىّ بن خالد بن مِنقر ـ فأنشأ عبد يغوث يقول :

أأهتم يا خيرَ البريَّة والداً ورَهطاً إذا ما الناسُ عدُّوا المَساعياَ
تدارك أسيراً عانياً فى بلادكم ولا تثقَفَنِّى (١) التيمَ ألقى الدَّواهيا

فمشت سعدُ والرباب فيه ، وقالت الرباب : يا بنى سعد ، قُتل فارسنا ولم يُقتل لكم فارس مذكور. فَدفعه الأهتم إليهم . فأخذه عِصمة بن أُبير التيمى فانطلق به إلى منزله . فقال لهم عبدُ يغوث : يا بنى تيم : اُقتلونى قِتلةً كريمة . فقال له عِصمة : وما تلك القِتلة ؟ قال : اُسقُونى ودعونى أنُح على نفسى . فقال له عصمة : نعم . فسقاه الخمر ، ثم قطع له عرقاً يقال الأكحل ، وتركه يَنزف . ومضى عنه عِصمة

(١) ثقفه : أخذه وظفر به .

وتركه مع ابنين له . فقالا له : جمعتَ أهل اليمن وجئت لتَصْطلمنا ، فكيف رأيت الله عز وجل صنع بك ؟ فقال عبد يغوث فى ذلك :

ألا لا تلومانى كفى اللَّوم ما بيا فما لكما فى اللَّوم نفعٌ ولا لِيَا
ألم تعلما أنَّ الملامة نَفعها قليلٌ وما لَومى أخى من شِماليا
أيا راكباً إمَّا عرِضت فبلِّغن نَداماى من نجرانَ ألَّا تَلاقيا
أبَا كَرِبٍ والأيهمين كليهما وقَيساً بأعلى حَضرموت اليمانيا
جزى الله قومى بالكُلاب مَلامةً صريحَهمُ والآخرين المَواليا
فلو شئتُ نَجَّتنى من الخيل نَهدةٌ ترى خَلفها الحُوَّ[1] الجياد تَواليا
ولكنَّنى أحمى ذِمار أبيكمُ وكان الرِّماح يَختطفن المُحاميا
وتضحك منِّى شيخةٌ عَبشمية كأن لم تَرَىْ قبلى أسيراً يَمانيا
وقد علمتْ عِرْسى مُليكةُ أننى أنا اللَّيثُ مَعدوًّا عليه وعاديا
أقول وقد شدُّوا لسانى بنِسْعةٍ أمعشرَ تَيمٍ أطْلِقوا لى لِسانيا
أمعشرَ تيمٍ قد ملكتم فأسجحوا فإنّ أخاكم لم يكن من[2] بَوائيا
فإن تقتلونى تقتلوا بِيَ سيداً وإن تُطلقونى تَحْرُبونى[3] بماليا
وقد كنتُ نحَّارَ الجَزورِ ومُعمل الـ ـمطيِّ وأمضى حيثُ لاحىَّ ماضيا
وأنحر للشَّرب الكرام مطيَّتى وأصدع بين[4] القَينَتين رِدائيا

---

(١) النهدة : المرتفعة . والحو : التى تضرب إلى خضرة ، وهى أصبر الخيل .

(٢) أسجحوا : يسروا . والبواء : السواء . أى لم يكن أخوكم — وهو النعمان — نظيراً له فأكون نظيراً له .

(٣) أى تغلبونى على مالى . يشير إلى ما سينالهم من دية إن هم أطلقوه .

(٤) القينة : الجارية المغنية ، وغير المغنية ، يصف جوده فى لهوه ، وأنه كان يخرج عن كل ماله .

كأنِىَ لم أركب جواداً ولم أقُل ... لخيلِىَ كُرِّى نفِّسى عن رجاليـــا
ولم أسـبأ الزِّقَّ الرَّوِىَّ ولم أقل ... لأيسارِ صدْقٍ عظِّموا ضوء[1] ناريا

ولم يزل الدم يَـنزف من عبد يغوث حتى مات .

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره ، هو الثالث من هذه القصيدة اليائية ، والرابع والثامن والعاشر . شعره الذى فيه الغناء

(١) أسبأ : اشترى . والأيسار : الضاربون بالقداح فى اقتسام الجزور ؛ الوحد : ياسر .

ذكر خبر حجر بن عمرو الكندى (*)

نسبه

هو حُجر بن عمرو بن مُعاوية بن الحارث بن مُعاوية بن ثور بن مُرْتِع ابن عمرو بن معاوية بن ثور — وهو كِندة — بن عُفَير بن عدىّ بن الحارث ابن مُرة بن أُدد بن زَيد بن يَشجب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ابن يشجُب بن يَعرب بن قحطان .

موقعة بينه وبين ابن الهبولة

وكان من حديثه أنّ تُبّعاً مَلِكَ اليمن لمّا سار إلى العراق نزل بأرض مَعْن ، فاستعمل عليهم حُجرَ بن عمرو ، وهو آكل المُرار . فلم يزل مملّكاً عليهم حتى خَرِف ، وله من الولد : عمرو ، ومُعاوية ، وهو الجون . ثم إن زياد بن الهَبولة ابن عمرو بن عوف بن ضَجْعَم بن حَماطة[1] بن سعد بن سَلِيح[2] القُضاعىّ أغار عليه ، وهو مَلِك فى ربيعة بن نزار ، ومنزله بغمر ذى كِندة . فأخذ له مالاً كثيراً وسبى امرأة حُجر . وهى هند بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن مُعاوية ، وأخذ نسوة من نساء بكر بن وائل . فلما بلغ حُجراً وبكر بن وائل مُغاره وما أَخذ أقبلوا ، ومع حُجر يومئذ أشراف بكر بن وائل . منهم : عوف بن مُحلِّم بن ذُهل ابن شيبان ، وصُليع بن عَبد غَنم بن ذهل بن شَيبان ، وسَدُوس بن شيبان بن ذهل ، وضُبيعة بن قيس بن ثعلبة ، وعامر بن مالك بن تَيم الله بن ثعلبة . فلما صار حُجر بمكان يقال له: الحَفير ، بعث سَدوساً وصُليعاً يتجسّسان له الأخبار . فخرجا

(*) وقبل خبر « حجر » ساق أبو الفرج « أخبار ذات الخال » المغنية . فر عنها ابن واصل .

(1) الذى فى الجمهرة (ص ٤٢١) : « حماطة ، وهو ضجعم بن سعد » .

(2) فى الجمهرة : « سليم » تحريف . وانظر اللسان وشرح القاموس « سلح » .

حتى هَجما على عسكر أُبن الهَبولة وقد أوقدا ناراً ، ونادا مناد له : من جاء بحُزمة من حَطب فله قدرُه من تمر . وكان ابنُ الهَبولة قد أصاب من عسكر حُجر تمراً كثيراً . فضرب قِبابه وأجّج ناره ونثر التمْر بين يديه . فمن جاءه بحطب أعطاه تمراً . فاحتطب سَدوس وصُليع ثم أتيا به أبنَ الهبولة فطرحاه بين يديه . فأعطاهما من من التمر ، وجلسا قريباً من القُبة . فأما صُليع فقال : هذه آية ، وعلم ما يُريد . فانصرف إلى حُجر فأعلمه بعسكره وأراه التمر . وأمّا سَدوس فقال : لا أبرح حتى آتيه بأمر جَلىّ . فلما ذهب هَزيع من الليل أقبل ناسٌ من أصحابه يحرُسونه ، وقد تفرّق أهل العسكر فى كل ناحية ، فضرب بيده سدوس إلى جليس له ، فقال له : من أنت ؟ مخافه أن يَستنكره . فقال: أنا فلان بن فلان . قال : نعم . ودنا سدوس من القُبة ، فكان حيث يَسمع الكلام ، فدنا ابن الهبولة من هِند أُمرأة حُجر فقبّلها وداعبها ، ثم قال لها ، فيما يقول : ما ظنُّك الآن بحُجر لو علم بمكانى منك ؟ قالت : ظنى به والله أنه لا يدعَ طلبك حتى يطالع القصور الحُمر ، وكأنى أنظرُ إليه فى فوارس من شيبان يذمُرهم[1] ويَذمرونه ، وهو شديد الكَلَب ، سريع الطلب ، تربدّ شفتاه كأنه بعيرٌ آكل مُرار ـ فسمى حُجر : آكل المرار يومئذ ـ فرفع يده فلَطَمها ثم قال لها : ما قلتِ هذا إلا من عجبك به وحُبك له ! فقالت : والله ما أبغضتُ ذا نَسمة قط بُغضى له، ولا رأيت رجلاً أحزم منه نائماً ومُستيقظاً ، إن كان لتنام عيناه و بعض أعضائه حىّ لا ينام ، وكان إذا أراد النوم أمرنى أن أجعل عنده عُسًّا مملوءاً لبناً ، فبينا هو ذات ليلة نائم ، وأنا قريب منه أنظر إليه ، إذ أقبل أسود سالخ إلى رأسه ، فنحّى رأسه فمال إلى يديه ، و إحداهما مقبوضة والأخرى مبسوطة ، فأهوى إليها فقبضها ، فمال إلى رجليه وقد قبض واحدة و بسط الأخرى ، فأهوى إليها فقبضها ، فمال إلى العُس فشربه ثم مجّه . فقلت : يستيقظ

(١) الذمر : اللوم والحضر معاً .

فيشرب فيموت فأستريح منه . فانتبه من نومه فقال : علىّ بالإناء . فناولته ، فشمّه فاضطربت يداه حتى سقط الإناء من يده فهُريق ، وذلك كله بأذن سَدوس .
فلما نامت الأحراسُ خرج فسار ليلته حتى صَبّح حُجراً فقال :

أتاك المُرجفون برَجْم غَيب على دَهَش وجئتُك باليقينِ
فمن يكُ قد أتاك بأمر لَبس فقـــد آتِى بأمرٍ مُستبِين

ثم قَصّ ما سمع . فأسف ونادى فى الناس بالرّحيل . فساروا حتى أتوا عسكر ابن الهبولة . وعَرفه سدوس فحمل عليه ، فاعتنقه فصرعه . و بَصرَ به عمرو بن أبى ربيعة فشد عليه وأخذ رأسه منه ، وأخذ سدوس سَلبه ، وأخذ حجرٌ هندا امرأته فربطها بين فرسين فركضا بها حتى قتلاها .

سبب تسمية حجر آكل المرار

وقيل : إنما سُمى حُجرٌ : آ كلَ المُرار، لأن سدوسا لما آتاه بخبر ابن الهبولة ومُداعبته لهند ، وأن رأسه كان فى حجرها ، وحدّثه بقولها له ، وجعل يسمع وهو يَعبث بالمُرار ــ وهو نَبت شديد المرارة ــ وكان جالساً فى موضع فيه شىء كثير منه ، فجعل يأ كل من ذلك المُرار غضباً وهو يستمع من سَدوس ، ولا يعلم أنه يأ كله ، من شدة الغضب ، حتى انتهى سدوس إلى آخر الحديث . فعلم حينئـــذ بذلك ، ووجد طَعمه ، فسُمى يومئذ : آ كل المرار .

شعره الذى فيه الغناء

وقال شعره الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج حديثه ، وهو :

إن من غَره النساء بشىء بعد هنـــدٍ لجاهلٌ مغرورُ
حُلوة القول واللِّســان ومُرٌّ كل شىء تمّا[١] أجنّ الضمير
كُل أنثى و إن بدا لك منها آية الُحبّ حُبها[٢] خَيْثعور

(١) فى غير التجريد : « كل شىء أجن منها » .
(٢) الخيثعور : السراب .

أخبار محمد بن صالح العلوى

هو محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب . ويُكنى : أبا عبد الله . نسبه

شاعر حجازى ظريف ، صالح الشعر ، من شعراء أهل بيته . منزلته فى الشعر

وكان جَدُّه موسى بن عبد الله خَرج مع أخويه : محمد ، وإبراهيم ، لمّا خرجا على المنصور . شىء عن جده موسى

وأمهم: هِند بنت أبى عُبيدة . ذُكر أن هنداً حَملت بموسى ولها ستون سنة . ولا تحمل لستين إلا قرشية ، ولا تَحمل لخمسين إلا عربيّة .

ثم أُستتر موسى بَعد قَتل أخويه زماناً ، ثم ظَفِر به المنصور ، فضَربه بالسوط وحَبسه مُدة . ثم عفا عنه فأَطلقه .

وكان مُحمد بن صالح خَرج على المُتوكل مع من بَيّض[1] فى تلك السنة ، وظَفر به وبجماعة من أهله أبو الساج ، فأخذهم وقيّدهم . وقتل بعضهم ، وخَرّب منازلهم ، وَعقر لهم نخلا كثيراً ، وأثر فيهم آثاراً قَبيحة ، وَحمل محمد بن صالح إلى سُرّ من رأى ، فُحبِس ثلاثَ سنين . من المبيضة وحديث ذلك

ثم مدح المتوكل ، وأَنشده الفتحُ قصيدته ، بعد أن غنّى له فى شعره ، وهو الذى أُفتتح به أبو الفرج أخباره ، وهو : شعره الذى فيه الغناء

طَرب الفؤادُ وعاودت أحزانُه ... وتفرّقت فِرَقاً به أشجانُه

---

(١) بيض : أى كان من المبيضة ، فرقة من الثنوية أصحاب ، المقنع .

وبداله من بعد ما أندمل الهوى برق تألّقَ مَوْهِنًا لَمَعَـانُه
يبـدو كحاشية الرِّداء ودونه صَعْبُ الذُّرى مُتمنِّع أركانه
فدَنا لينظرُ كيف لاح فلم يُطق نظرًا إليـه وصـدَّه سَجّانه
فالنار ما أشتملت عليه ضلوعه والماء ما سَمحت به أجفانه

فطرب المتوكل ، وسأل عن قائله فعرفه ، وتلا ذلك إنشاد الفتح قصيدته . فأمر بإطلاقه .

قصة زواجه من حمدونة بنت عيسى

وحكى إبراهيمُ بن المُدبِّر قال :

جاءنى يوماً محمد بن صالح العَلوىّ الحسنى بعد أن أُطلق من الحبس، فقال لى: أنى أُريد المقام عندك اليوم على خلوة لأبثك من أمرى شيئاً لا يصلح أن يسمعه غيرُنا. فقلت: أفعل . فصرفتُ من كان يحضُرنى وخلوتُ معه ، وأمرتُ بردّ دابته وأَخذ ثيابه . فلما أطمأن ، وأكلنا واضطجعنا قال : أُعلمك أنّى خرجتُ فى سنة كذا وكذا ، ومعى أصحابى ، على القافلة الفلانية، فقاتلنا مَن كان فيها فهزمناهم وملكنا القافلة، فبينا أنا أحوزها وأُنيخ الجمال إذ طلعت علىّ أمرأةٌ من العمارية، ما رأيتُ قطُّ أحسن منها وجهاً ولا أحلى منها منطقاً ، فقالت : يافتى ، إن رأيت أن تدعو لى بالشريف المتولِّى أمر هذا الجيش . فقلت : قد رأيتِه وَسمع كلامك . فقالت : سألتك بحق الله وبحق رسوله أنت هو ؟ قلت : نعم ، وحق الله وحق رسوله إنى لهو . فقالت : أنا حمـدونة بنت عيسى بن موسى بن أبى خالد الحربى(١) . ولأبى محـلٌّ من سلطانه ، ولنا نعمة ، إن كنت ممن سمعت بها فقد كفاك ما سمعت ، وإن كنت لم تسمع بها فاُسأل عنها غيرى . ووالله لاستـأثرتُ عنك بشىء أملكه ، ولك بذلك عهد الله وميثاقه علىّ ، وما أسألك إلا أن تصوننى وتستُرنى ؛ وهذه ألف

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الحرى » .

دينار معى لنفقتى ، فخُذها الآن حلالا ، وهذا حلىٌ علىّ من خمسمائة دينار فخذه ، وضَمِّنّى ما شئت بعـده أخذه لك من تجّار مكة والمدينة ومن أهل الموسم ، فليس أحد منهم يمنعنى شـيئاً ، وأدفع عنى وأحمنى من أصحابك ومن عارٍ يلحقنى . فوقع قولُها من قلبى موقعاً عظيما . فقلت لها : قد وهب الله لك مالَك وجاهك وحَلْيك، ووهب لك القـافلة بجميع ما فيها . ثم خرجتُ فناديت فى أصحابى . فاجتمعوا . فناديتُ فيهم : إنى قد أجرتُ هذه القافلة وأهلها وخفرتُها وَحميتها ، ولها ذمة الله ورسوله وذمتى ، فمن أخذ منها خيطاً أو مِخيطا أو عِقالا فقد أذنته بحرب . فانصرفوا معى وانصرفت . ولمـا أُخذت وحُبست ، بينا أنا ذات يوم فى محبس إذ جاءنى السجّان فقال لى : إن بالباب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك ،وقد حُظر علىّ أن يدخل عليك أحد ، إلا أنهما أعطيانى دُملج ذهب وجَعلتـاه لى إن أوصلتهما إليك ، وقد أذنت لهما ، وهما فى الدهليز ، فاخرج إليهما إن شئت . ففكرت فيمن يجيئنى فى هذا البلد ، وأنابه غريب لا يعرفنى أحد ، ثم قلت : لعلهما من ولد أُمى أو بعض نساء أهلى . فخرجتُ إليهما ، فإذا بصـاحبتى . فلما رأتنى بكت لما رأت من تغيُّر حالى وخَلَقى وثِقل حديدى . وأقبلتْ عليها الأخرى فقالت : أهو هو ؟ فقـالت : إنه والله لهو هو . ثم أقبلت علىّ فقـالت : فداك أبى وأُمى ، والله لو استطعتُ أن أقيَـك مما أنت فيه بنفسى وأهلى لفعلت ، وكنتَ منى بذلك حقيقاً ، ووالله لا تركتُ المُعاونة لك والسَّعى معك فى حاجتك وخلاصك بكل حيلة ومال وشفاعة ، وهذه دنانير وثياب وطيب فاستعن بها على موضعك ، ورسولى يأتيك فى كل يوم بما يصلحك حتى يفرّج الله عنك . ثم أخرجت إلىّ المرأة كسوة وطيباً ومائتى دينار . وكان رسولها يأتينى كل يوم بطَعام نظيف . وتواصَل برُّها للسجان فلا يمتنع من كل شىء أريده ،حتى مَنّ الله بخلاصى ، ثم راسلتُها فخطبتها ، فقالت : أمّا من جهتى فأنا لك مُتابعـة ولك مُطيعة ، والأمر إلى أبى فأْته ، فخطبتها إليه ،

فردّنى وقال : ما كنت لأحقق عليها ما شاع فى الناس من أمرها ، وقد صيّرتنا فضيحة . فقمت منكّساً مُستحيياً ، وقلت فى ذلك :

رمَوْنى وإيّاها بشَنعاءهمْ بها ... أحقُّ أدالَ الله منهم فَعجّلَا

بأمرٍ تركناه وربِّ محمـد ... عَياناً فإمّا عفّـةً أو تجمُّلا

فقلت له : إن عيسى صنيعة أخى ، وهولى مُطيع ، وأنا أكفيك أمره . فلما كان من الغد لقيتُ عيسى فى منزله وقلتُ له : قد جئتك فى حاجة . قال : مَقضية، ولو كنت استعملت ما أحبه لأمرتنى فجئتك — وكان أسر إلىّ — فقلت له : قد جئتك خاطباً إليك ابنتك . فقال : هى لك أمة وأنا لك عبد ، وقد أجبتُك . فقلت : إنى خطبتها على مَن هو خير منى أباً وأمّاً وأشرفَ صهراً ومتَّصلا : محمد بن صالح العلوى . فقال : يا سيدى ، هذا قد لحقتنا بسببه ظِنـة ، وقيلت فينا أقوال . فقلت : أفليست باطلة ؟ قال : بلى ، والحمد الله . قلت : فكأنها لم تُقل ، وإذا وقع النكاح أزال كل قول . ولم أزل به حتى أجاب . وبعثتُ إلى محمـد بن صالح فأحضرته ، وما برحتُ حتى زوّجته وسُقت الصداق عنه .

شعره فى حمدونة

وقال فيها محمد بن صالح :

لَعمر حمـدونة إنّى بها ... لمُغرمُ القلب طويلُ السَّقام

مجاوزٌ للقَـدر فى حُبها ... مُباين فيهـا لأهل المَلام

مُشايعى قلبٌ يَخاف الخنى ... وصارمٌ يقطع صُمّ العظام

جشّمنى ذلك وَجدى بها ... وفَضْلها بين النساء الوسام[1]

ممكورة الساقِ رُدينيّة ... مع الشَّوَى الخدلِ وحُسن القَوام[2]

ساجية الطّرف نَؤوم الضُّحى ... مُنيرة الوجـه كبرق الغمام

(١) وسام : ظراف ، قوم وسام ، ونسوة وسام .

(٢) ممكورة الساق : مستديرته . وردينية : أى مستوية كالقناة . والشوى : الأطراف. والخدل : الممتلئة .

زيّنها الله وما شانها وأُعطيتْ مُنْيتها من تَمام

تلك التى لولا غَرامى بها كنتُ بسامرّا قليل المُقام

وذُكر أن المتوكل لما أطلق محمد بن صالح أخذ عليه العُهود والمواثيق ألاَّ يفارق سامُرّا . فكان يجهد أن يُجاب إلى الرجوع إلى الحجاز فلا يجاب ، فتُوفى بها . وفاته بسامرا

أخبار أبى دُوَاد الإيادى

نسبه

هو جاريةُ بن الحجّاج . ويلقَّب الحجّاج : حمران بن بَحر بن عِصام من مُنبِّه ابن حُذافة بن زُهير بن زِياد بن معدّ بن عَدنان .

من وصاف الخيل

شاعر قديم من شُعراء الجاهليّة ، كثير الوَصف للخيل .

رأى الاصمعى فيه وفى طفيل والجعدى

قال الأصمعى :

ثلاثة كانوا يَصفون الخيل لا يُقارِبهم أحد : طُفيل ، وأبو دواد ، والجعدىّ ؛ فأما أبو دواد فإنه كان على خيل المُنذر بن النُّعمان بن المُنذر ؛ وأما طفيل فإنه كان يَركبها وهو أعزل إلى أن كَبِر ؛ وأما الجعدىّ فإنه سمع من الشُّعراء فأخذ عنهم .

لابن الأعرابى فى أوس وعلقمة والنابغة

وقال ابنُ الأعرابىّ :

لم يَصف أحدٌ قطُّ الخيلَ إلا احتاج إلى أوس بن حَجر ، ولا وَصف أحدٌ نَعامة إلا احتاج إلى عَلقمة بن عَبَدة ، ولا اعتذر أحدٌ فى شِعْر إلا احتاج إلى النابغة الذُّبيانى .

قصة ضرب بهم المثل بجاره

وذُكر أن أبا دُواد مَدح الحارث بن همّام بن مُرة بن ذُهل بن شَيبان فأعطاه عطايا كثيرة ، ثم مات ابنٌ لأبى دواد وهو فى جواره فوداه . فمدحه أبو دواد . فحلف الحارث أنه لا يموت له ولد إلا وداه ، ولا يذهب له مال إلا أخلفه . فضربت العرب المثل بجار أبى دواد . وفى ذلك يقول قيس بن زُهير :

أُطوِّف ما أُطوِّف ثم آوى إلى جارٍ كجارِ أبى دُوادِ

وقيل :

جار أبي دواد : كعب بن مامة الإيادى ، كان إذا هلك لأبى دواد بعيراً وشاة أخلفها .

وقيل :

جار أبى دواد: المُنذر بن ماء السماء ، وذلك أن أبا دُواد نازع رجلاً بالحيرة من بَهراء ، يقال له : رُقيّة بن عامر بن كعب بن عمرو ، كان جاراً للمنذر ، وكان أبو دواد جاراً للمنذر . فقال له رُقية : صالحنى وحالفنى . فقال له أبو دواد : فمن أين تعيش أم دواد ؟ فو الله لولا ما تُصيب من بهراء هلكتْ . وانصرفا على تلك الحال . ثم إن أبا دواد أخرج بنين له فى تجارة إلى الشام ، فبلغ ذلك رقيّةَ بن عامر البهرانى[1] ، فبعث إلى قومه وأخبرهم بما قال أبو دواد عند المُنذر ، وأخبرهم أن القوم ولدُ أبى دواد. فخرجوا إلى الشام فلقُوهم وقتلوهم ، و بعثوا برءوسهم إلى رُقية ، فلما أتته الرءوس صَنع طعاماً كثيراً ، ثم أتى المُنذر ، فقال له : إنى قد اصطنعت لك طَعاما وأُحب أن تتغدّى عندى . فأتاه المُنذر وأبو دُواد معــه . فبينا الجِفان تُرفع وتُوضع إذ جاءته جفنة عليها رءوس[2] بنى أبى دواد . فوثب أبو دُواد وقال : أبيت اللعن ! إنى جارك ، وقد ترى ما صُنع بى . فوقع المُنذر بينهما فى سوء ، لأن كل واحد منهما جاره . فأمر برقيّة فحُبس ، وقال لأبى دواد: مايُرضيك ؟ قال توجيهى بكتيبتيك: الشَّهباء والدَّوسر إليهم . قال : بلى ، قد فعلت . فوجّه إليهم بالكتيبتين . فلما بلغ ذلك رُقيةَ قال لامرأته : ويحك ! الحقى بقومك فأنذريهم . فعمدت إلى بعض إبل زوجها فركبتــه ، ثم خرجت حتى أتت قومها ، فلما قَرُبت منهم تعرَّت من ثيابها وصاحت : أنا النذير العُريان . فأرسلتها مثلا . فعلم القومُ يومئذ ما تريد ،

(١) النسبة فيه على غير قياس ، النون فيه بدل الهمزة .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « أحد رءوس » .

فصعدوا إلى أعالى الشام . وأقبلت الكتيبتان فلم تُصيبا منهم أحداً . فقال المنذر لأبى دُواد : قدكان ما كنت تُريد منهم ، وأنا أَدِى كُل ابن لك بمائتى بعير . فأمر له بستمائة بعير ، ورضى بذلك .

شعر يرد على امرأته وقد لامته على إفساد ماله

وذُكر أنه كان لأبى دُواد امرأة يقال لها : أم حَبتر ، لامته على إفساد ماله ، فأنشأ يقول :

فى ثلاثين زَعزَعَتْها[1] حُقوقٌ   أصبحتْ أُمُّ حَبتر تَشْكونى

زعمتْ لى بأننى أفسد المالَ وأزويه عن قَضاء الدُّيون

أمّلت أن أكون عبداً لمالى   ويُهَنَّى بها مع المال دُونِى

وهى طويلة .

من بين من كانت تفخر بهم إياد

وذُكر أن إياداً كانت تَفخر على العرب فتقول : منّا أجودُ العرب : كعب ابن مامة ! ومنّا أشعر العرب : أبو دُواد ! ومنا أنكح الناس : ابن ألغز .

وكان ابن ألغز أياريًّا[2] ، فكان إذا أنعظ احتكّت الفِصال بأيره .

ابن ألغز وامرأة جامعها

وذُكر أنّ امرأة كانت تَستصغر أيور الرجال ، فجامعها ابنُ ألغز ، فلما أَولجه فيها قالت : يا معشر إياد ، أبالرُّكب تجامعون النساء ! فأشار بيده إلى استها وقال: ما هذا ؟ فقالت ، وهى لا تعقل ما تقول : هذا القمر . فضَربت بها العرب المثل : أُريها اُستها وتُريني القمر .

ويقال : إن الحجاج مَنع من أكل لحوم البقر خوفاً من قلة العمارة فى السواد . فقال بعض الشعراء :

---

(١) فى التجريد : « دغدغتها » .

(٢) أيارى : عظيم الأير .

شكونا إليه خراب البلاد ... فحرَّم فينا لُحومَ البَقَرْ
فَكنَّا كمن قال مِن قبلنا ... أريها أُستها فتُرينى القمر

شعره الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى دُواد، هو :

يا عديًّا لقلبك المُهتاج ... إنْ عَفا رسْم منزلٍ بالنِّباج[1]
غيَّرته الصَّبا وكُل مُلِثٍّ[2] ... دائم الوَدْق ذى أهاضيب دَاج

(١) النباج : موضع .
(٢) الملث : الدائم لا يقلع، يعنى مطراً . والودق : الإمطار . والأهاضيب: جمع أهضوبة، وهى المطرة . والداجى : المظلم، وذلك لتراكب السحاب وكثافته .

أخبار أبى تمام الطائى

نسبه

هو حبيب بن أوس بن طيِّئ صَلِيبةً(١) .

منزلته فى الشعر

شاعر لطيف الفطنة ، دقيق المعانى . وسلك فى البديع والمُطابقة مسلكا لم يَسبقه مَن تقدَّمه إليه ، وإن كانوا هم الذين فتحوه له . والسَّليم من شعره النادر لا يتعلَّق به أحد . وله أشياء متوسِّطة ، ورَذْلة جداً رديئة . وللناس مذاهب مُختلفة فى الإفراط له وعليه .

له وقد عوتب على الردىء من شعره

وكان يأتى بالقَصيدة البديعة، وفيها البيت الرَّذل، فيتمسَّك به ولا يرى إسقاطه . وعُوتب فى ذلك فقال : مَثل شعر الرجل مثلُ أولاده ، فيهم الجميلُ والقَبيح والرَّشيد والساقط ، وكلهم حُلو فى نفسه ، فهو إن أحبَّ الفاضل لم يُبغض الناقص .

شعر له يناقض ما قال

وهذا الذى ذكره أبو تمّام ضدّ ما وصف به نفسه فى قوله :

جاءتك من نَظم اللسان قِلادةٌ   سِمْطان فيها اللُّؤلؤُ المَكنونُ
إحدا كها صَنع اللسان يُمدّه   جَفْرٌ(٢) إذا نَضب الكلامُ مَعين
ويُسىء بالإحسان ظَنّاً لا كمن   هُو بابنه وبشعره مَفتون

تفضيل الصولى له

وقيل لإبراهيم بن العباس الصُّولى : من أشعر أهل زماننا ؟ فقال : الذى يقول:

مَطرٌ أبوك أبو أهلّة وائل   ملأ البسيطةَ عُدّةً وعَديدًا
نَسبٌ كأنّ عليه من شَمس الضُّحى   نُوراً ومن فَلق الصباح عَمُودا

---

(١) صليبة : أى من صلبهم .
(٢) الجفر : البئر الواسعة .

وذُكر أن عُمارة بن عَقيل قَدِم بغدادَ ، فاجتمع الناس إليه ، فكتبوا شعره وشعرَ أبيه ، وعرضوا عليه الأشعار . فقال بعضهم : ها هنا شاعر يزعمُ أنه أشعر الناس طرًّا . وقال غيرُهم ضد ذلك . قال : أنشدونى له . فأنشدوه قوله :

غَدت تستجيرُ الدَّمع خوف نَوى غدٍ وعاد قَتاداً عندها كُلُّ مَرقدِ
وأَنقذها من غَمرة الموت أنه صُدودُ فِراقٍ لا صُدود تَعمُّد
وأَجرى لها الإشفاقُ دمعاً مُورَّدا من الدم يجرى فوقَ خدٍّ مُورَّد
هى البدرُ يُغنيها تورّد وجهها إلى كل من لاقت وإن لم تَودَّد

ثم قطع المُنشد إنشاده . فقال عُمارة : زدنا من هذا . فوصل نشيدَه ، وقال :

ولكنَّنى لم أحْوِ وَفراً مُجمَّعاً ففُزْتُ به إلا بشَملٍ مُبدَّد
ولم تُعطنى الأيامُ نوماً مُسكِّناً ألَذُّ به إلا بنَوم مُشرَّد

فقال عمارة : لله دره ! لقد تقدَّم فى هذا المعنى مَن سبقه إليه على كثرة القَول فيه ، حتى لقد حَبَّب الاغتراب ، هيه ! فأنشد :

وطُول مقام المرء فى الحَىِّ مُخلِق لديباجتَيه فاُغترب تتجدَّد
فإنى رأيتُ الشمس زِيدت محبةً إلى الناس أن ليست عليهم بسَرمد

فقال عُمارة : كَمُل والله ، ولئن كان الشعر بجَودة اللفظ وحُسن المعاني واُطراد المراد واتساق الكلام ، فإنّ صاحبكم أشعُر الناس .

وذُكر أنَّ علىّ بن الجهم وَصف يوماً أبا تمام وفضَّله . فقال رجل : والله لو كان أبو تمام أخاكَ ما زِدت على مدحك . فقال : إن لم يكن أخًا فى النسب فإنه أخٌ بالأدب والمودة ، أما سمعت ما خاطبنى به حيث يقول : تفضيل ابن الجهم له

إن يُكْدِ مُطَّرِف الإخاء فإنّنا نَغدو ونَسرى فى إخاءٍ(١) تالدِ
يختلف ماء الوصال فماؤنا عَذْب تحدَّر من غَمامٍ واحد

(١) أكدى الشيء : قل خيره . ومطرف الإخاء : حديثه .

أو يفترق نسبٌ يؤلّفْ بيننا أدبٌ أقمناه مُقام الوالد

وحكى هارون بن عبد الله المُهلّبى قال :

تنقصه دعبل فرد عليه رجل فى مجلسه

كنّا فى حَلقة دِعبل ، فجرى ذِكْر أبى تمام ، فقال دِعبل : كان يتتبّع معانىّ فيأخذها . فقال له رجل فى مجلسه : وأى شىء من ذلك . أعزّك الله ؟ قال : قلت :

وإن أمرأً أسدى إلىّ بشافعٍ إليه ويرجو الشُّكر منّى لأحمقُ

شفيعَك فاشكُر فى الحوائج إنه يصُونك عن مَكروهها وهو يُخْلِق

فقال له الرجل : فكيف قال أبو تمام ؟ فقال : قال :

فلقيتُ بين يديك(1) حلو عطائه ولقيتُ بين يديه(2) مُرّ سؤاله

وإذا أمرؤ أسدى إليك صنيعة من جاهه فكأنّها من ماله

فقال له الرجل : أحسن والله ؟ فقال دعبل: كذبت ! قبّحك الله . قال : والله لئن كان أخذه منك لقد أجاد فصار به أولى منك ، ولئن كنت أخذته منه لما بلغت مبلغه . فغضب دِعبل وانصرف .

شهادة ابن حازم له

وذُكر أن محمد بن حازم الباهلى قال : لو لم يقُل أبو تمام إلا مرثيته التى أولها :

* أصمّ بك الناعى وإن كان أسمعا *

وقوله :

لو يقدرون مشَوا على وَجناتهم وجباههم فضلاً عن الأقدام

لكفاه .

إعجاب عمارة بشعر له

وقيل : سَمع عُمارة بن عقيل مُنشداً يُنشد لأبى تمام ، من قصيدته التى أولها :

* الحقُّ أبلجُ والسيوف عوارِى *

---

(1) فى بعض أصول الأغانى : « يديه » .

(2) فى بعض أصول الأغانى : « يدى » .

فلما بلغ إلى قوله :

سُود اللبـــاس كأنما نَسجت لهم … أيدى السَّـموم مَدارعًا من قارِ
بَكروا وأسْرَوْا فى مُتون ضَوامر … قِيـــدت لهم من مَربط النجّار
لا يَبرحون ومَن رآهم خالهم … أبداً على سَــفرٍ من الأســفار

قال عمارة : لله دَرُّه ! ما يَعتمد معنى إلا أصاب أحسنه ، كأنه موقوفٌ عليه .

اقتبــاس ابن العباس من شعره فى نثره

وقال إبراهيم بن العبــاس : ما اتكلت فى مكاتبتى قطُّ إلا على ما جاش به صدرى ، إلا أنى استحسنت قولَ أبى تمام :

فإنْ باشَر الإصْحار[1] فالبِيضُ والقنا … قِراهُ وأحواضُ المَنــايا مناهلُه
وإن يَبْن حِيطاناً عليـــه فإنما … أولئك عُقّالاته لا مَعـــاقلُه
وإلا فأَعلِمْه بأنك ســـاخط … عليه فإنَّ الخوفَ لا شكَّ قاتله

فأخذتُ هذا المعنى فى بعض رسائلى ، فقلت : فصار ما كان يُحرزهم يُبرزهم ، وما كان يعقلهم يعتقلهم .

ثم قال إبراهيم : إن أبا تمام اُخترِم وما استمتع بخاطره ، وما نزح رَكِىٌّ فكره حتى انقطع رِشاءُ عمره .

هو وعبد الله ابن طاهر

وذُكر أن أبا تمام قَدِم إلى خُراسان ، وعليها عبـدُ الله بن طاهر بن الُحسين ، فاجتمع الشعراء به وسألوه أن يُنشدهم . فقال : قد وَعدنى الأميرُ أن أُنشده غداً . فلما دخل على عبد الله بن طاهر أنشده :

هُنَّ عوادى يُوسفٍ وصــواحِبُهْ … فعَزْماً فقِدْماً أَدرك السُّؤْلَ طالبُه

فلما بلغ إلى قوله :

وقَلقل نأىٌ من خراسانَ جأْشَها … فقلتُ اطمئنى أَنضرُ الروضِ عازِبُه
ورَكْبٍ كأطراف الأسنة عَرّسوا … على مثلها والليلُ وَحْفٌ[2] غَياهبه

(١) الإصحار : أن يبرز الرجل لعدوه فى الصحراء مكاشفة لا يخاتله .
(٢) فى بعض أصول الأغانى والديوان : « تسطو » .

لأمرٍ عليهم أن تتمّ صُدوره وليس عليهم أن تَتِمّ عواقبه

فصاح الشعراء بعبد الله بن طاهر : ما يستحق هـذا الشعر غيرُ الأمير — أعزه الله — . وقال شاعر منهم — يعرف بالرِّياحى — : لى عند الأمير جائزة وعدنى بها ، وقد جعلتُها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير . فقال : أُضعفها لك ونقوم له بما يجب له علينا . فلما فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار . فلَقطها الغِلمان ولم يَمسّ منها شيئاً . فوجد عليه عبدُ الله بن طاهر وقال : يرتفع عن بِرّى ويتهاون بما أكرمتهُ به ! فلم يبلُغ ما أراده منه .

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى تمام ، هو البيتان الأخيران مِن الأبيات البائية .

بر ابن طاهر له

ويقال إن أبا العميثل ، شاعر آل طاهر ، كلّم عبد الله بن طاهر فيه وحذّره من لسانه ، فأحسن إليه عبد الله وأجازه بألفى دينار .

من شعره فى ابن طاهر

ومن جيد شعر أبى تمام فى عبد الله بن طاهر قولُه :

يقول فى قُومس صَحبى وقد وَخَدت بنا السُّرى وخُطا المَهريّة[1] القُودِ
أمطلَعَ الشمس تبغى أن تؤُم بنا فقلتُ كلاّ ، ولكن مَطلع الجُود

وفوده على أبى دلف

وذُكر أن أبا تمام وَفد على أبى دُلف القاسم بن عيسى العجلى ، فأنشده :

على مثلها من أربُع ومَلاعبِ أُذيلت مَصونات الدُّموعِ السَّواكبِ

فلما بلغ إلى قوله :

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها وزادت على ما وطّدت من مَناقب
فأنتم بذِى قار أمالت سُيوفكم عُروشَ الذين استرهنوا قوسَ[2] حاجب

(١) قومس : من بلاد طبرستان . (٢) ذو قار : من يوم بين العرب والعجم ، انتصفت فيه العرب من العجم . وحاجب ، هو ابن زرارة ، وكان رهن قوسه كسرى ، فوفى له ، فضرب المثل بوفائه .

فقال أبو دلف : يا معشر ربيعة ، ما مُدحتم بمثل هذا الشعر ، فما عندكم لقائله ؟ فبادروه بمَطارفهم يرمونها إليه . فقال أبو دلف : قد قبلها وأعاركم لبسها ، وسأنوب عنكم فى ثوابه . تمِّمِ القصيدة يا أبا تمام . فتممَّها . فأمر له بخمسين ألف درهم ، وقال : والله ما هى بإزاء استحقاقك وقدرك ، فاعذرنا . فشكره وقام ليقبّل يده . فحلف ألّا يفعل . ثم قال : أنشدنى فى محمد بن حُميد قولَه :

وما مات حتى مات مَضرب سيفه ... من الضرب واعتلّت عليه القنا السُّمْرُ

وقد كان فَوت الموت سهلًا فردّه ... إليه الحِفاظُ المُرُّ والخُلق الوَعر

فأثبت فى مُستنقع الموتِ رجلَه ... وقال لها من تحت إخمصك الحشر

غدا غُدوة والحمدُ حشو[1] ثيابه ... فلم ينصرف إلا وأكفانُه الأَجْر

كأنّ بنى نبهان يوم مُصابه ... نجوم سماء خَرّ من بينها البَدر

يُعزَّون عن ثاوٍ تُعزَّى به العُلا ... ويبكى عليه اليأسُ والجود والشعر

فأنشده إياها ، فقال : والله لوددتُ أنها فىّ ، فقال : بل أفدى الأمير بنفسى وأهلى وأكون المتقدّم قبله . فقال له : إنه لم يَمت من رُثى بهذا الشعر أو مثله .

الواثق وابن أبى دواد فى جائزة أجاز بها أبا تمام

وذُكر ، أن الواثق قال للقاضى أحمد بن أبى دُواد : بلغنى أنك أعطيت أبا تمام الطائى فى قصيدة مدحك بها ألف دينار . فقال : لم أفعل ذلك يا أمير المؤمنين ، ولكنى أعطيه ألف دينار رعايةً لما قال فى المُعتصم :

فاشدُد بهارونَ الخلافةَ إنه ... سكنٌ لوحشتها ودارُ قَرارِ

ولقد علمتُ بأن ذلك مِعصمٌ ... ما كنت تتركه بغير سِوار

فتبسَّم وقال : إنه لحقيق بذلك .

هو وخالد ابن يزيد

وذُكر أبا تمام قصد خالد بن يزيد بن مَزيد ، وهو بأرمينية ، فامتدحه ،

(١) فى بعض أصول الأغانى : « والحمد نسج ردائه » .

فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقة لسفره ، وقال : تكون العشرة الآلاف موفَّرة ، فإن أردت الشخوص فاعجل ، وإن أردت المقام عندنا فلك الحِباء والبر . فقال : بل أشخص . فودّعه . ومضت أيام وركب خالد إلى مُتصيّد له ، فرآه تحت شجرة وبين يديه زُكرة(١) فيها شراب، وغلام يُغنِّيه بالطّنبور . فقال : أبوتمام ؟ فقال : خادمك وعبدك . فقال : ما فعل المال ؟ فقال :

علّمنى جُودُك السماحَ فما أبقيتُ شيئاً علىّ(٢) من صِلتكْ
ما مَرّ شهر حتى سمحت به كأنّ لى قُدرةً كمَقدرتك
تُنفق فى اليوم بالهِبات وفى الساعة ما تَجتنيه فى سَنتك
فلستُ أدرى من أين تُنفق لولا أن ربِّى يُمِدّ فى هِبتك

فأمر له بعشرة آلاف درهم أُخرى . فأخذها وخرج .

---

(١) الزكرة ، بالضم : زقيق للماء .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « لدى » .

أخبار أبى الشيص الخزاعى

نسبه — هو محمد[1] بن رَزين[2] بن سُليمان بن تميم بن نَهشل بن خِراش[3] بن خالد ابن دِعبل[4] بن أنس بن خُزيمة بن[5] سَلامان بن أسلم بن أفصى بن حارثة ابن عمرو مزيقياء بن عامر .

لقبه وكنيته — وهو جد خُزاعة ، وأبو الشِّيص ، لقب غَلب عليه . وكُنيته أبو جعفر . وهو عمّ دِعبل بن علىّ بن رَزين .

منزلته فى الشعر وانقطاعه إلى عقبة الخزاعى — وهو متوسط فى شُعراء عصره غيرُ نَبيه الذكر ، لوُقوعه بين مُسلم بن الوليد ، وأشجع ، وأبى نواس ، فخَمل ، وانقطع إلى عُقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعى ، وكان أميراً على الرقة ، ومدحه فأكثر ؛ وكان عُقبة جواداً فأغناه عن غيره .

عماه وشعره فى ذلك — وعَمِى أبو الشيص فى آخر عُمره . وله مراثٍ فى عُقبة . وكان من أوصف الناس للشراب وأمدحهم للملوك . هكذا قال ابن المُعتز . وخالفه أبو الفرج فيه .

ومما رَثى به عينَه قولُه :

يا نفس بكِّى بأدمع هُتن ... ووا كف كالجُمان فى شَنَنِ

على دليلى وقائدى ويدى ... ونُور وجهى وسائرِ البَدن

أبكى عليها بها مخافة أن ... تقْرننى والظلامُ فى قرن

---

(١) فى التجريد : « أحمد » .

(٢) فى جمهرة أنساب العرب (ص ٢٢٩) : « محمد بن على بن عبد الله بن رزين » . و فى طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ٧٢) : « محمد بن عبد الله » .

(٣) فى الجمهرة : « ابن تميم بن بهر بن حراس » .

(٤) فى الجمهرة : « ابن خلف بن عبد بن دعبل » .

(٥) فى الجمهرة : « بن خزيمة بن مالك بن مازن بن الحارث بن سلامان » .

وذُكر أنه اجتمع مُسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشِّيص ودِعبل فى مجلس، فقالوا: ليُنشد كل واحد منكم أجود ما قاله من الشعر. فاندفع رجل كان معهم فقال: اسمعوا منِّى أخبركم بما يُنشد كل واحد منكم قبل أن تُنشدوا. قالوا: هات. فقال لمُسلم: أما أنت يا أبا الوليد فكأنى بك قد أنشدت:

هو ومسلم وأبو نواس ودعبل

إذا ما علت منّا ذُؤابة واحد ... وإن كان ذا حِلم دَعتْه إلى[1] الجَهلِ
هل العيشُ إلا أن تَروح مع الصِّبا ... وتَغدو صريعَ الكأْس والأعينِ النُّجل

فقال له مسلم: صدقت. ثم أقبل على أبى نُواس وقال: كأنى بك يا أبا علىّ وقد أنشدت:

لا تَبك لَيلى ولا تَطرب إلى هِند ... واشرب على الوَرد من حَمراء كالوَرْد
تَسقيك من عينها خَمراً ومن يدها ... خمراً فما بك من سُكرين من بُدِّ

فقال له: صدقت. ثم أقبل على دِعبل فقال له: وأنت يا أبا على، فكأنى بك تنشد قولك:

أين الشَّباب وأيّة سَلكا ... لا أين يُطلب ضلّ بل هَلكا
لا تَعجبى يا سَلْمُ من رجل ... ضَحِك المَشيب برأسه فبَكى

فقال له: صدقت. ثم أقبل على أبى الشِّيص، فقال له: وأنت يا أبا جعفر، كأنى بك قد أنشدت قولك:

لا تُنكرى صَدِّى وإعراضى ... ليس المُقلّ عن الزمان براضِى
اثنان لا تَصبو النساء إليهما ... ذو شَيبة ومُحالف[2] الإنفاض

---

(١) الرواية فى طبقات ابن المعتز:

* تمشت به مشى المقيد فى رحل *

(٢) الإنفاض: هلاك الأموال.

فقال : ما هذا أردت أن أُنشد ، ولا هذا بأجود شيء قلتُه . قالوا : فأنشدنا ما بدَا لك . فأنشدهم قوله :

وَقفَ الهوى بي حيثُ أنتِ فليس لي ... مُتأخَّر عنــــه ولا مُتقــدَّمُ
أَجد المَلامة في هواك لذيذةً ... حُبًّا لذكرك فَلْيلمنى اللوَّم
أشبهتِ أعدائي فصرتُ أحبهم ... إذ كان حظِّي منك حظِّي منهم
وأهنتِني فأهنتُ نفسي عامــداً ... ما مَن يهون عليكِ ممّن[1] يُكرم

فقال له أبو نواس : أحسنت والله وجوّدت ! وحياتِك لأسرقنَّ هـذا المعنى منك ثم لأغلبنَّك عليه فيشتهر ما أقوله ويموت ما تقول . فسرق قوله : « وقف الهوى بي حيث أنت » سرقاً خفيًّا ، فقال في الخَصيب :

فما جازه جُود ولا حلّ دونه ... ولــكنْ يصير الجُود حيث يَصيرُ

فساد بيتُ أبي نواس وسقط بيت أبي الشِّيص .

هو وأبو دلف وخادم أبي حل أزرار قميصه

وذُكر أن أبا الشِّيص دَخل على أبي دُلف وهو يلاعب خادماً له بالشَّطرنج ، فقال له : يا أبا الشيص ، سَل هـذا الخادم أن يَحل أزرار قميصه . فقال : الأميرُ — أعزه الله — أولى بمسألته . فقال : قد سألتُه فزعم أنه يخاف العين على صدره ، فقل فيه شيئاً . فقال :

وشادنٍ كالبــدر يَجلو الدُّجى ... في الفَرْق منه المسكُ مَذْرورُ
يُحاذر العين على صـــدره ... فالجيبُ منـــه الدهرَ مَزرور

فقال له أبو دلف : وحياتي لقــد أحسنت ! وأمر له بخمسة آلاف درهم . فقال له الخادم : قد والله أحسن كما قلتَ ، ولــكنك أنت ما أحسنت . فأمر له بخمسة ألف درهم أُخرى .

(١) في التجريد : « أكرم » .

موته

وذُكر أن أبا الشيص كان عند عُقبة بن جعفر بن الأشعث الخُزاعى يَشرب ، فلما ثَمِل نام عنده ، ثم أنتبه فى بعض الليل فذهب يدِبّ إلى خادم له ، فوجأه بسكين . فقال : ويحك ! قتلتنى ! والله ما أحبّ أن أفتضح أنى قُتلت فى مثل هذا ولاتفتضح أنت بى ، ولكن خُذ دَسْتيجة(١) فاكسرها ولوّثها بدمى ، وأجعل زجاجها فى الجُرح ، فإذا سُئلتَ عن خبرى فقل : إنى سقطت فى سُكرى على الدّستيجة فأنكسرتْ فقتلتْنى . ومات من ساعته . وفعل الخادم ما أمره به . ودُفن أبو الشيص . وجَزِع عليه عُقبة جزعاً شديداً . فلما كان بعد أيام سَكِر الخادمُ فَصدق عُقبةَ عن خبره ، وأنه الذى قتله . فلم يلبث أن قام إليه بسيفه ، فلم يزل يَضرِبه حتى قتله .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار أبى الشيص ، هو :

بالله قُلْ يا طَلَل أهلُك ماذا فَعلُوا
فإنّ قَلْبِى حَذِرٌ من أن يَبِينوا وَجِلُ

(١) الدستيجة : آنية صغيرة . فارسية . وفى الطبقات لابن المعتز . « قرابا » وهو غمد السيف .

أخبار الكميت

نسبه

هو الكُميت بن زيد بن حُبيش[1] بن مُجالد بن ذُؤيبة[2] بن قيس بن عمرو ابن سُبيع[3] بن مالك بن سعد بن ثَعلبة بن دُواد بن أَسد بن خُزيمة بن مُدركة ابن اليأس بن مضر بن نِزار

شيء عنه

شاعر متقدِّم ، عالم بلغات العرب وأخبارها ، وهو من المُتعصبين لمُضر على القَحطانية . وكان فى أيام بنى أُمية ،ولم يدرك الدولة العباسية . وكان معروفاً بالتشيُّع ، مشهوراً به . وقصائده الهاشميَّات من مُختارات شعره . ولم تزل مُناقضاته لشعراء اليمن ومُهاجاته لهم متصلة فى أيام حياته ، وناقضه بعد وفاته دِعبل الخُزاعى ، وابن عُيينة . وكان صديقاً للطِّرمّاح مع بُعد ما بينهما فى المَذهب والعصبية . وقد تقدم ذكر ذلك .

دس له خالد القسرى عند هشام وقصة ذلك

وذُكر أن الكُميت عَمل قصيدته التى أولها :

* ألا حُييت عنَّا يا مدينا *

وهى ثلثمائة بيت ، لم يترك فيها حيًّا من أحياء اليمن إلا هجاهم فيها . فغضب من ذلك خالد بن عبد الله القَسرى ، عامل هشام بن عبد الملك على الكوفة . فاحتال على الكُميت بأن اشترى جوارى بأغلى الأثمان، ورَوّاهن أشعار الكميت فى مدح بنى هاشم والطعن على بنى أمية ، ودسَّهن مع نخّاس إلى هشام ، فاشتراهن

---

(١) فى الأغانى : « خنبس » . وفى جمهرة أنساب العرب (ص ٧٢) : « الأخنس » .

(٢) فى الجمهرة : « ربيعة » .

(٣) فى الجمهرة : « ابن قيس بن الحارث بن عمرو بن مالك » .

جميعاً وأعجبنه . ولما أستنشدهن الشعر أنشدنه شعر الكميت فى بنى هاشم . وسألهنّ : لمن الشعر ؟ فقلن : هو للكميت . فغضب غضباً شديداً ، وكتب إلى خالد يأمره بقتل الكميت و إنفاذ رأسه إليه . فأودع خالدُ الكميتَ السجن لينفِّذ فيه أمر هشام . فدخلت أمرأة الكميت عليه السجن وألبستْه لبسة النِّساء، وخَرج هارباً من السجن وقصد الشام وأستجار بمَسلمة بن هشام . و بلغ ذلك هشاماً فألحّ فى طلبه وأبَى أن يُؤمنه . فأشار مَسلمة على الكميت بأن يَستجير بقبر مُعاوية ابن هشام ، وكان توفى فى تلك الأيام واشتد حزن هشام عليه . فمضى الكميت إلى قبر مُعاوية وضرب رُواقه عنده . وتقدّم مَسلمة إلى بنى أخيه مُعاوية بأن يكونوا مع الكميت وأن يربطوا ثيابَهم بثيابه إذا طلبه هشام . وعلم هشام بأستجارة الكميت بالقبر . فأبى أن يُجيره وطَلَبه أعنف طلب . فربط الصِّبيان بنو معاوية ابن هشام ثيابَهم بثياب الكميت . فلما نظر هشام إليهم أغرورقت عيناه بالدُّموع وهم يقولون : يا أمير المؤمنين ، أستجار بقبر أبينا وقد مات ومات حظُّه من الدنيا ، فاجعله هبةً له ولنا ولا تَفضحنا فيمن أستجار بنا . فبكى بكاء كثيراً . وأمّن الكميت بعد خِطاب طويل جرى بينه و بين هشام . وأنشد هشاماً :

كم قال قائلُكم[1] لعاً لـ ... ـك عند عَثْرته لعاثِرِ
وغفرتمُ لذوى الذُّنو ... ب من الأكابر والأَصاغر
أبنى أميــة إنكم ... أهل الوَسائل والأوامر
أنتم معادن للخِلا ... فة كابراً من بعد كابر
بالتِّسعة المُتتابعيـ ... ـن خلائفاً وبخير عاشر
وإلى القيامة لا تزا ... ل لشافع منكم وواتِرِ

ثم سألت الكميت ألّا يجعل لخالد عليه إمارة . فأجابه لذلك وأعطاه

(١) لعا : كلمة يدعى بها للعاثر ، معناها : الارتفاع .

أربعين ألف درهم وثلاثين ثوباً هشامية . وكتب إلى خالد يأمره تخلية سبيل أمرأة الكُميت ، وكان اعتقلها لما هرب الكُميت ، وأن يعطيها لها ثلاثين ألف درهم وعشرين ثوباً . ففعل .

شعره لهشام يرده لصدوف

وذُكر أن هشام بن عبد الملك كان شديد الشغف بجاريته صَدوف ، وكان أشتراها بمال جزيل ، فعتب عليها ذات يوم فى شيء وهجرها ، وحلف ألّا يبدأها بكلام . فدخل عليه الكُميت وهو مغموم بذلك ، فقال : مالى أراك مغموماً يا أمير المؤمنين ؟ لا غمك الله . فأخبره بالقصة . فأطرق الكُميت ساعة ، ثم أنشأ يقول :

أعتبتَ أم عتبتْ عليك صَدوفُ ... وعتابُ مثلك مثلَها[1] تشريفُ
لا تقعُدنّ تلوم نفسك دائباً ... فيها وأنت بحُبها مَشْغوف
إن الصَّريمة لا يقوم بثقلها ... إلا القوىّ بها وأنت ضَعيف

فقال هشام : صدقت والله ! ونهض من مجلسه فدخل إليها ، ونهضت إليه وأعتنقته ، وأنصرف الكُميت ، وبعث إليه هشام بألف دينار ، وبعثت إليه بمثلها .

هو وأبو جعفر محمد بن على

وحكى صاعد مولى الكُميت قال :

دخلنا على أبى جعفر محمد بن علىّ بن الحُسين — رضى الله عنهم — فأنشد :

* من لقلب مُتيّم مستهام *

فقال : اللهم أغفر للكميت ! اللهم أغفر للكميت !

قال : قال :

ودخلنا يوماً آخر عليه فأعطاه ألف دينار وكُسوة . فقال له الكُميت : والله

(١) فى التجريد : « تسويف » مكان « تشريف » .

ما أحببتكم للدنيا ، ولو أردت الدنيا لأتيتُ من هى فى يده ، ولكننى أحببتكم للآخرة ، فأما الثياب التى أصابت أجسامكم فأنا أقبلها تبرُّكاً بها .

هو والفرزدق أول ما شعر

وذُكر أن الكُميت أول ما قال من الشعر الهاشميات فسترها ، ثم أتى الفرزدق فقال له : يا أبا فراس، إنك شيخ مُضر وشاعرها ، وأنا ابن أخيك الكُميت بن زيد الأسدى . فقال له : صدقت ، أنت ابن أخى ، فما حاجتك ؟ قال : نَفَث على لسانى فقلتُ شعراً فأحببت أن أَعرضه عليك ، فإن كان حسناً أمرتنى بإذاعته ، وإن كان قبيحاً أمرتنى بستره ، وكنتَ أولَى مَن سَتره علىّ . فقال له الفرزدق : أمّا عَقلك لحسن ، وأرجو أن يكون شِعرك على قدر عقلك ، فأنشِدْنى ما قلت . فأنشده :

* طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطرب *

فقال : ففيم تطرب يا بن أخى ؟ فقال :

* ولا لعباً منى وذو الجهل[1] يلعب *

فقال : يابن أخى ، فالعب فإنك فى أوان اللعب . فقال :

ولم تُلهنى دار ولا رسم منزل ولم يتطرّبنى بَنان مُخضَّب

فقال : وما يطربك يابن أخى ؟ فقال :

ولا السانحات البارحات عشية أمرّ سَليمُ القرن أم مَرّ[2] أعضب

فقال : أجل ، ولا تتطير . فقال :

ولكن إلى أهل الفضائل والتُّقى وخير بني حواء والخير يُطْلب

فقال : ومن هؤلاء ويحك ! فقال :

(١) فى غير التجريد : « وذو الشيب » .

(٢) الأعضب : المكسور القرن .

إلى النَّفَرِ البيض الذين بحُبهم إلى الله فيما نابنى أتقــرّب

فقال : أرحنى و يحك ! فقال :

بنى هاشمَ رهط النبيّ فإننى بهم ولهم أرضَى مراراً وأَغضب

خفضتُ لهم منِّى جناحَىْ مودّة إلى كنف عِطْفاه أهل ومرحَب

وكنت لهم من هؤلاء وهؤلا مُحبّا على أنّى أُذم[١] وأُقصب

وأُرمى وأَرمى بالعــداوة أهلها و إنّى لأُوذَى فيهمُ وأُؤنَّب

فقال له الفرزدق : يابن أخى ، أذع ، فأنت والله أشعر من مَضى وأشعر من بقى .

ومن هذ القصيدة :

وجدنا لكم فى «آل حميم» آيةً تأوّلها منا تقىٌّ ومُغْــرب

فمالى إلاّ آل أحمــد شيعةٌ وما لىَ إلا مَشْعب الحق مَشعب

يريد قوله تعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) .

وذُكر أن الكُميت دخل على مخلد بن يزيد بن المُهلب بن أبى صفرة ، فأنشده :

قاد الجيوش لخمس عشرةَ حجّـة ولداته عن ذاك فى أَشـغالِ

قعــدتْ بهم هِمّاتُهم وسَمت به هممُ المُلوك وسَورة الأبطـال

وقُدام مَخلد دراهم ، يقال لها الرُّويحة[٢] ، فقال له : خذ وِقْرك[٣] منها . فقال: البغلة بالباب وهى أجلد مني . فقال : خُذ وِقْرها . فأخذ أربعة وعشرين ألف درهم ، فقيل لأبيه يزيد بن المهلب فى ذلك . فقال : لا أردّ مكرُمة فعلها أبنى .

(١) أقصب : أعاب . وفى الأغانى : « أغضب » .

(٢) الرويحة :

(٣) الوقر ، بالكسر : حمل البغل .

شعره الذى فيه الغناء

وهذان البيتان من قصيدة منها الشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخبار الكميت ، وهو :

هلّا سألتَ معالمَ الأطلال والرَّسم بعد تقادُم الأحوالِ

دمناً تَهيج رسومُها بعد البلى طرباً وكيف سُؤال أعجمَ بالِى

يَمشين مَشْى قَطا البِطاح تأوُّداً قُبَّ[1] البُطون رَواجح الأكفال

من كل آنسة الحديث حَيِيّة ليست بفاحشةٍ ولا[2] مِتْفال

وتكون ريقتها إذا نَبّهتها كالشُّهد أو كسُلافة الجِريال

مولده ووفاته

وذُكر أن الكميت كان مولده سنة ستين . وتُوفى فى سنة ست وعشرين ومائة .

وذكر أبوالفرج شعراً للبيد بن ربيعة يرثى به أخاه أربد ، فاقتضى ذلك ذكر خبر أربد .

---

(١) قب : جمع أقب ، وهو الضامر البطن .

(٢) متفال : قد تركت الطيب .

ذكر خبر أربد (*)

قدومه في وفد بني عامر على رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذُكر أنّه قدم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفد بنى عامر بن صَعصعة ، فيهم عامرُ بن الطُّفَيل ، وأربد بن قيس ، وجَبّار[1] بن سَلْمَى بن مالك بن جعفر . وكان هؤلاء الثلاثة رءوس[2] القوم وشياطينهم . فهمّ عامرُ بن الطُّفَيل بالغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد قال له قومُه : يا عامر ، إنّ الناس قد أسلموا فأسلم ، فقال : والله لقد كنتُ آليتُ ألّا أنتهىَ حتى تَتْبع العربُ عَقِبى ، أفأتبع أنا عَقِب هذا الفتى من قُريش ! ثم قال لأربد : إذا نحن أقبلنا على الرّجل فإنى شاغلٌ عنك وجهه ، فإذا فعلتُ أنا ذلك فاعْلُه بالسيف . فلما قَدِموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال له عامر : يا محمد ، خالِني[3] . قال : لا والله حتى تُؤمن بالله وحدَه لا شريكَ له . فلما أبى عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، قال : أما والله لأملأنّها عليك خيلاً حُمْراً ورجالاً سُمْراً . فلما ولّى قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اكفني عامرَ بن الطُّفَيل . فلما خرجوا من عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال عامر لأربد : ويلك يا أربد ! أين ما كنتُ وصّيتك به ؟ والله ما كان على وجه الأرض رجلٌ هو أخوف على نفسى منك ، وايْم الله ،لا أخافك بعد اليوم أبداً . قال : لا تَعجل علىّ لا أبا لك ! والله ما هممتُ بالذى أمرتَنى به

(*) الذى فى الأغانى : « خبر لبيد فى مرثية أخيه » . وقبل هذا ذكر أبو الفرج خبر ابن سريج مع سكينة بنت الحسين عليهما السلام ، فمر عنه ابن واصل .

(1) فى التجريد : « حناد » . وفى الأغانى : « حيان » . وما أثبتناه من السيرة (٣ : ٢١٣) طبعة الحلبى . وجمهرة أنساب العرب (ص ٢٦٩) .

(2) السيرة : « رؤساء » .

(3) خالنى ، بتخفيف اللام : تفرد لى خالياً أتحدث معك . وبتشديد اللام : اتخذنى خليلا وصاحباً .

من مَرة[١] إلا دخلتَ بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضرب بك بالسيف ؟ وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بَعث الله تعالى على عامر الطاعونَ فى عُنقه ، فقتله الله ، وإنه لفى بيت امرأة من بنى سَلول . فجعل يقول : يا بنى عامر، أغُدّة كغُدة البَكر وموت فى بيت سَلوليّة[٢] ! ثم خرج أصحابُه حين واروْه حتى قَدِموا أرضَ بنى عامر . فلما آتاهم قومُهم فقالوا : ما وراءك يا أربد ؟ قال : لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندى الآن فأرميه بنَبلى هذه فأقتلَه . فخرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومين معه جَمل له يَتبيعه[٣] ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقةً فأحرقتهما .

رثاؤه لأربد وهو الشعر الذى فيه الغناء

وكان أربد بن قيس أخَا لبيد بن ربيعة لأمه ، فقال يرثيه بالأبيات التى فيها الغناء ، وهى :

أخشَى على أربدَ الحُتوفَ ولا … أرهب نَوْء السِّماك والأسدِ
فجّعنى الرّعد[٤] والصواعق بالـ … ـفارس يوم الكَريهة[٥] النَّجُدِ
يا عَين هلّا بكيت أربد إذ … قُمنا وقام الخُصوم فى[٦] كَبَدِ
إن يَشْغَبوا لا يُبالِ شَغْبَهُمُ … أو يَقْصِدُوا فى الخِصام يَقْتصد

من قصيدة للبيد فى رثائه

وقال يرثيه من قصيدة :

يا أربد الخير الكريم جُدوده … أفردْتنى أمشى بقَرْن[٧] أعْضبِ
إن الرّزية لا رزيّة مثلها … فُقدان كُل أخ كضوء الكوكب

(١) السيرة : « من أمره » .
(٢) يأسف ان لم يمت مقتولا كما يموت الشجعان ، ثم يأسف على موته فى بيت سلولية ، لأن سلول موصوفون باللؤم .
(٣) فى إحدى روايتى السيرة : « يتبعه » .
(٤) السيرة : « البرق » .
(٥) النجد ، بفتح فضم : الشجاع .
(٦) الكبد : الحزن والمشقة .
(٧) أعضب : مكسور .

ذَهب الذين يُعاش فى أكنافهم   وبَقيتُ فى خَلَف كجِلْد الأَجْرب

ورُوى أن عائشة رضى الله عنها كانت تُنشد بيت لبيد : عائشة وبيت لبيد

* ذهب الذين يُعاش فى أكنافهم *

ثم تقول : رحم الله لبيداً ! كيف لو أدرك مَن نَحن بين ظهرانَيهم ! فقال عُروة ابن الزبير : رحم الله عائشة ، كيف لو أدركت من نحن بين ظهرانيهم ! فقال هشام بن عُروة بن الزُّبير : رحم الله أبى ، كيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم! فقال وكيع : رحم الله هشاماً ، كيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ! فقال أبو السائب ، وهو الذى روى عنه الطبرى : رحم الله وكيعاً ، كيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ! قال أبو الفرج : ونحن نقول : الله المستعان ، فالقصة أعظم من أن تُوصف .

أخبار كعب بن زهير [*]

أمه — [1] وقد تقدم خبر أبيه ونَسَبه . وأمه كَبْشَة بنت عمّار بن عدىّ بن سُحيم ، وهى أم سائر ولد زُهير .

طبقته — وكَعب من المُخضرمين ، أَدرك الجاهلية والإسلام ، وهو من فُحول الشُّعراء .

خروجه وأخيه إلى النبى صلى الله عليه وسلم — وذُكر أنّ كَعب بن زُهير وأخاه بُجيرا خَرجا يُريدان رسول الله صلّى الله عليه وسلم حتى بلغا أبرق العزاف[2] . فقال كعب لبجير : أُلحق هذا الرجل فانظر ما يقول . فقدم بُجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع منه وأَسلم . و بلغ ذلك كعباً فقال :

أَلا أبلغَا عنّى بُجَيْراً رسالةً ... على أىّ شىءٍ ويْبَ[3] غيرِكَ دَلَّكَ
على خُلق لم تُلف أُمًّا ولا أبًا ... عليه ولم تُدرك عليه أخاً لك
سقاك أبو بكر بكأس[4] رويّة ... فأنهلك المأمونُ منها[5] وعَلَّكَ

فبلغت أبياتُه هذه رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأهدر دَمه وقال : مَن لَقى منكم كعب بن زُهير فَلْيقتله . فكتب إليه أخوه بُجير يُخبره وقال له : انْج وما أراك بمُفلت . وكتب إليه بعد ذلك يأمره أن يُسلم ويُقبل إلى رسول الله صلى الله

(*) وقبل أخبار « كعب » ذكر أبو الفرج أخبار « بذل » المغنية .

(1) الذى فى التجريد عنواناً لهذه الترجمة : « أخبار زهير بن أبى سلمى المزنى » : ولعله تبديل من الناسخ .

(2) أبرق العزاف : ماء لبنى أسد ، وهو فى طريق القاصد إلى المدينة من البصرة .

(3) ويب ، بمعنى : ويل .

(4) السيرة : « سقاك بها المأمون كأساً » .

(5) النهل : الشرب الأول . والعلل : الشرب الثانى .

عليه وسلم ، ويقول له : من شهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله قبِل صلى الله عليه وسلم منه ذلك ، وأسقط ما كان قبل ذلك .

إقبال كعب على الرسول صلى الله عليه وسلم

فأقبل كعب حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مجلسه صلى الله عليه وسلم مكان المائدة من القوم ، حلقة ثم حلقة وهو وسطهم ، يُقبِل على هؤلاء يحدثهم ، ثم على هؤلاء . وأقبل كعب حتى دخل المسجد ، فتخطّى حتى جلس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسول الله ، الأمان . فال : ومن أنت ؟ قال : كعب بن زهير . قال : أنت الذى تقول ؟ كيف قال يا أبا بكر ؟ فأنشده حتى بلغ إلى قوله :

سَقاكَ أبو بكر بكأس روية وأنهلك المأمُون منها وعَلّكَ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مأمون والله . ثم أنشده كعب :

بانت سُعاد فقلبى اليوم مَتبول مُتيَّم إثرها لم يُفدَ(١) مَكبولُ
وما سُعاد غداةَ البَين إذ رحلوا إلا أغَنّ(٢) غضيضُ الطَّرف مَكحول

شعره الذى فيه الغناء

وهذان البيتان هما الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار كعب ابن زهير ، وبعده :

تجلو عوارضَ ذى ظَلْم إذا ابتسمت كأنه مُنْهَلٌ بالرّاح(٣) مَعْلُول
شُجَّت(٤) بذى شَبَمٍ من ماء مَحْنية صافٍ بأبطحَ أضحى وهو مَشْمول

(١) متبول : أسقمه الحب وأضناه . ولم يفد : لم يخلص من الأسر . ومكبول : مقيد .
(٢) الأغن . الظبى فى صونه غنة . وغضيض الطرف : فاتره .
(٣) تجلو : تصقل وتكشف . والعوارض : الأسنان كلها . والظلم : ماء الأسنان وبريقها. يريد أن ثغرها لطيب رائحته كأنه قد سقى الراح ، وهى الخمر ، مرة بعد مرة .
(٤) شجت : مزجت حتى انكسرت حدتها . وذو شبم : ماء شديد البرد . والمحنية : منعطف الوادى ، وماؤه أصفى وأبرد . والأبطح : المسيل الواسع فيه دقاق الحصى . وماء الأبطح معروف بصفائه . والمشمول : الذى ضربته ريح الشمال حتى برد .

تَنفِي الرياحُ القَذَى عنه وأَفرطه من صَوْب سارية بيضٌ[١] يَعاليل

فلما بلغ إلى قوله :

إنّ الرسول لسيفٌ يُستضاء به مُهنّدٌ من سُيوف الله مَسْلول
فى فِتيــة من قُريش قال قائلهم ببَطن مكة لما أسلموا[٢] زُولُوا
زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشُف عند اللِّقاء ولا مِيلٌ[٣] مَعازيل

أشار رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم إلى الخَلْق أن يسمعوا شعر كعب بن زهير ثم قال كعب :

لا يَقع الطَّعن إلا فى نُحورهم وما لهم عن حياض الموت[٤] تَهليل
يَمشُون مَشْىَ الجمال الزُّهر يَعْصِمهم ضربٌ إذا عَرّدالسُّود[٥] التَّنابيل

الأنصار وشعر كعب ثم قوله يمدحهم

فظنَّت الأنصار أن كعباً عرّض بها ، وكان قد وجد منهم غلظة عليـه . ومما ظُن أنه قصد التعريض فيه بالأنصار قولُه من هذه القصيدة :

كانت مواعيد عُرقوب لها مثلاً وما مواعيـــده إلا الأباطيـل

وعُرقوب : رجل من الأوس . فلما سمع المهاجرون ذلك قالوا : ما مَدَحنا مَن هجا الأنصار ! وأنكروا قوله . وعوتب على ذلك . فقال يمدح الأنصار :

---

(١) القذى : ما يقع فى الماء فيكدره . وأفرطه : سبق إليه وملأه . والصوب : المطر . والسارية : السحابة — والرواية فى السيرة : « غادية » — والبيض اليعاليل : الجبال الشديدة البياض ينحدر عليها ماء المطر . يصف الأبطح وقد ملأته الفقاقيع البيض .

(٢) زولوا ، أى تحولوا من مكة إلى المدينة .

(٣) أنكاس : ضعفاء ، جمع نكس . وفى رواية : « أنكال » . وكشف ، بالضم وحركت عينه للشعر : جمع أكشف ، وهو الذى لا ترس معه . وميل : جمع أميل ، وهو الذى لا سيف معه . ومعازيل : جمع معزال ، وهو الذى لا سلاح معه .

(٤) تهليل : تأخر .

(٥) الزهر : البيض . يصفهم بامتداد القامة وعظم الخلق والرقة فى المشى وبياض البشرة ، لوقارهم وسؤددهم . ويعصمهم : يمنعهم . وعرد : خبر . والتنابيل : القصار . الواحد : تنبال .

من سَرّه كرمُ الحيـاة فلا يزَلْ ... فى مِقْنَب من صالح الأَنصارِ
البـاذلين نُفوسهم لنبيِّهم ... عنـد الهِياج وسطوة الجَبَّار
والضَّار بين النَّاسَ عن أديانهم ... بالمَشرفىّ وبالقَنـا الخَطَّار
والنـاظرين بأعينٍ مُحمرَّة ... كالجمر غير كَليلة الإبصـار
صَدموا الكَتيبة يوم بدر صَدمة ... ذلّت لوقعتهـا رِقاب (١) نِزار
يتطهَّرون كأنه نُسـك لهم ... بدماء من قتلوا من الكُفّار

فكساه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جُبة . فاشتراها مُعاوية بن أبى سُفيان من آل كعبٍ بأربعين ألف درهم . وهى البُردة التى يتوارثها الخلفاء إلى زماننا هذا .

وعرقوب ـ الذى ذكره كعب ـ كان رجلاً من الأوس وَعَد رجلاً تمر نخلة ، شيء عن عرقوب فلما أطلعت قال : دعها حتى تَلقح . فلما ألقحت قال : دعها حتى تزهى . فلما زهت أتاه فقال : دعها حتى ترطب . ثم أتاه فقال : دعها حتى تتمر . فلما أثمرت عدا عليها فجدّها . فضربت به العرب المثلَ فى خلف الوعد .

(١) السيرة : « دانت لوقعتها جميع » .

انتهى الجزء الأول من القسم الثانى
من كتاب تجريد الأغانى لابن واصل الحموى
يتلوه إن شاء الله
الجزء الثانى من القسم الثانى
وأوله
أخبار ابن الدمينة

فهرست أول

لتراجم الجزء الأول من القسم الثانى من تجريد الأغانى

مرتب على حروف الهجـاء

فهرست ثان

لتراجم الجزء الأول من القسم الثانى من تجريد الأغانى

أخبـــار أبى الشيص الخزاعى — نسبه ١٧٨٩ : ٢—٤ ؛ لقبه وكنيته ١٧٨٩ : ٥—٦ ؛ منزلته فى الشعر وانقطاعه إلى عقبة الخزاعى ١٧٨٩ : ٧—٩ ؛ عمارة وشعره فى ذلك ١٧٨٩ : ١٠ — ١٨٩٠ : ٤ ؛ هو ومسلم وأبو نواس ودعبل ١٧٩٠ : ٥ — ١٧٩١ : ١١ ؛ هو وأبو دلف وخادم أبى حل أزرار قميصه ١٧٩١ : ١٢—٢٠ ؛ موته ١٧٩٢ : ١—٩ ؛ شعره الذى فيه الغناء ١٧٩٢ : ١٠—١٢ .

أخبـــار الكميت — نسبه ١٧٩٣ : ٢—٤ ؛ شىء عنه ١٧٩٣ : ٥—١٠ ؛ دس له خالد القسرى عند هشام وقصة ذلك ١٧٩٣ : ١١ — ١٧٩٥ : ٣ ؛ شعره لهشام يرده لصدوف ١٧٩٥ : ٤—١٣ ؛ هو وأبو جعفر محمد بن على ١٧٩٥ : ١٤ — ١٧٩٦ : ٢ ؛ هو والفرزدق أول ما شعر ١٧٩٦ : ٣ — ١٧٩٧ : ١٩ ؛ شعره الذى فيه الغناء ١٧٩٨ : ١—٧ ؛ مولده ووفاته ١٧٩٨ : ٨—١١ .

ذكر خبر أربد — قدومه فى وفد بنى عـــامر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٧٩٩ : ٢ — ١٨٠٠ : ٨ ؛ رثاؤه لأربد وهو الشعر الذى فيه الغناء ١٨٠٠ : ٩—١٤ ؛ من قصيدة لبيد فى رثائه ١٨٠٠ : ١٥ — ١٨٠١ : ١ ؛ عائشة وبيت لبيد ١٨٠١ : ٢—١٠ .

أخبار كعب بن زهير — أمـــه ١٨٠٢ : ٢—٣ ؛ طبقته ١٨٠٢ : ٤ ؛ خروجه هو وأخيه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ١٨٠٢ : ٥ — ١٨٠٣ : ٢ ؛ إقبال كعب على الرسول صلى الله عليه وسلم ١٨٠٣ : ٣—١٢ ؛ شعره الذى فيه الغناء ١٨٠٣ : ١٣ — ١٨٠٤ : ٩ ؛ الأنصار وشعر كعب ثم قوله يمدحهم ١٨٠٤ : ١٠ — ١٨٠٥ : ٩ ؛ شىء عن عرقوب ١٨٠٥ : ١٠—١٣ .

تجريد الأغاني

تأليف

ابن واصل الحموي

المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

القسم الثاني — الجزء الثاني

تحقيق

الدكتور طه حسين و ابراهيم الأبياري

القاهرة
مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
٤٠ شارع نوبار باشا (سابقا شارع الدواوين)
١٣٧٩ - ١٩٥٩

أخبار ابن الدمينة

هو عَبد الله بن عُبيد الله الخَثعميّ . والدُّمينة : أمّه. وهى بنت حُذيفة السَّلولية . نسبه ونسب أمه

وهو شاعر رقيق الشِّعر جيّده . ومن شعره المشهور قولُه :

من مشهور شعره

ألا يا صَبا نَجْـدٍ متى هِجْتَ من نَجدِ ... فقـد زَادنى مَسْراكَ وجداً على وَجْدِ

أأَنْ هَتفت وَرقاء فى رَوْنق الضُّحى ... على فَنَنٍ غَضِّ النَّبات من الرنْد

بكيتُ كما يبكى الوليـدُ ولم[1] أكن ... جَزوعاً وأبديتُ الذى لم أكن[2] أُبدى

وقد زَعموا أنّ المُحبّ إذا دنا ... يُمَلّ وأنّ النأى يَشْفى من الوَجد

بكُلٍّ تَداوَيْنـا فلم يَشْفِ ما بنـا ... على أنّ قُرب الدار خيرٌ من البُعـد

ولـكنّ قُرب الدّار ليس بنـافع ... إذا كان مَن تهواه ليس بذى وُدّ

وقوله :

أمَا والرّاقصات بذات عِرْق[3] ... ومَن صَلّى بنَعمان[4] الأراكِ

رَعاكِ الله يا سَـلْمى رَعاكِ ... ودارَكِ باللِّوى ذات[5] الأراكِ

لقد أضمرتُ حُبّكِ فى فؤادى ... وما أضمرتُ حُبّاً من سِواكِ

قَتلتِ بفاحمٍ وبذى[6] غُروبٍ ... أخَا قوم وما قتلوا أخاكِ

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ولم تكن » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « لم تكن تبدى » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « بكل فج » مكان « بذات عرق » . وذات عرق : الحد بين نجد وتهامة .

(٤) نعمان الأراك : واد بين مكة والطائف . وقد نسب هـذا الشعر فى « معجم البلدان » فى رسم « نعمان الأراك » لأبى العميثل .

(٥) لم يرد هذا البيت فيما بين أيدينا من أصول الأغانى ، كما لم يرد فى معجم البلدان .

(٦) الغروب : مناقع ريق الأسنان ؛ وقيل : أطرافها ، وحدتها وماؤها . ويعنى بذى الغروب : الفم . وقد ورد هذا البيت فى معجم البلدان ، ولم يرد فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

أَطعتِ الآمرين بصَرْم حَبْلى (١) مُريهم فى أحبّتهم بذاكِ
فإنْ هم طاوعُوكِ فطاوعيهم وإن عاصَوْكِ فاعصَىْ مَن عَصاكِ

هو وامرأة أحبها من قومه

وذُكر أنّ ابن الدُّمينة كان يَهوَى امرأة من قومه ـ يقال لها : أُميمة ـ فهام بها مُدّة ، فلما وصلته تَجنَّى عليها وجعل يُغاضبها و ينقطع عنها ، ثم رآها ذات يوم ، فتعاتبا طو يلاً ، ثم أقبلت عليه فقالت :

وأنتَ الذى أخلفتنى ما وعدتَنى وأشْمَتَّ بى مَن كان فيك يلُومُ
وأبرَزْتنى للنــاس ثم تركْتنى لهم غَرضاً أُرمَى وأنت سَـليم
فلو أن قولاً يَكلِمُ الجِسْم قد بَدا بجِسميَ من قول الوُشــاة كُلُوم

فأجابها ابن الدُّمينة فقال :

وأنتِ التى كلَّفْتنى دُلَجَ السُّرى (٢) وجُونُ القَطا بالجَلْهتين جُثومُ
وأنت التى قطَّعتِ قلبى حرارةً وفرّقت قَرْح القلب (٣) فهو كليم
وأنت التى أحفظت قومى فكلُّهم بعيد الرِّضى دانِى الصُّدود كَظيم

شعرله فيهامنسوب إلى مجنون ليلى

ومن رقيق شعره ، وَقد تقدم مَنسوباً إلى مَجنون ليلى ، ونسبته إلى ابن الدُّمينة هو الصحيح :

أُقضِّى نَهارى بالحَـديث وبالمُنى ويَجمعُنى والهمّ باللّيـل جامعُ
نَهارى نهارُ الناس حتى إذا بدا لىَ اللّيلُ هَزَّتنى إليك المَضاجِع
لقد ثَبتتْ فى القلب منك مودّة (٤) كما ثبتت فى الرّاحتين الأصابع

شعره الذى فيه الغناء

ومن رقيق شعره الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره :

أَبِينِى أفى يُمنى يديك جَعلتنِى فأَفرَح أم صَـيَّرتنى فى شِمالكِ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أريت الآمريك بقطع » .
(٢) الدلج : جمع دلجة ، وهى سير السحر . والجلهتان : جانبا الوادى .
(٣) القرح ، هنا : عض الهوى ، والهم يصيب القلب . يريد : أشعت الأسى فى قلبى وعممته . وفى بعض أصول الأغانى : « مزقت فرخ القلب » . (٤) فى بعض أصول الأغانى : « محبة » .

أَبيتُ كأنّى بين شِقَّين مِن عَصًا حِذارَ الرَّدَى أوخِيفةً من زِيالك
تعاللتِ كى أَضنى⁽¹⁾ وما بك علّة تُريدينَ قتلى قد ظَفِرت بذلك

حديثه مع امرأته حماء التى اتهمت بمزاحم

وذُكر أنه كان لابن الدمينة امرأة يقال لها : حماء — وقيل : حمادة — فكان رجل من سَلول — يقال له : مُزاحم — يتحدّث إليها ، حتى اشتهر ذلك . فمنعه ابنُ الدمينة من إتيانها واشتد عليها . فذَكر مُزاحم قصيدة يذكُر أنه وطئها ، وذَكر منها علاماتٍ خفيّة فيها :

يا بن الدُّمينة والأخبارُ يَرفعها وَخْدُ النّجائب والمَحْقور يُخْفيها
يابن الدُّمينة إن تَغْضب لما فعلت فطال خِزْيُك أو يَغضب مَواليها
أو تُبغضونى فكم مِن طَعنة نَفَذٍ⁽²⁾ يعدوخلال اختلاف الجَوف عاديها⁽³⁾
جاهدتُ فيها لكم إنّى لكم أبداً أبغى معايبكم عَمْداً فآتيها

يقول فيها :

أمارةٌ⁽⁴⁾ كيّة ما بين عانَتها و بين سَبّتها⁽⁵⁾ لا شَلَّ كاويها
وشَهقة عند حسّ الماء تَشهقها وقولرُكبتها:قِضْ⁽⁶⁾حين تَثْنيها
وتعدل الأير إن زارت⁽⁷⁾ فتُنعشه⁽⁸⁾ حتى يُقيم برفق صدرَه فيها

فلما بلغ ابنَ الدُّمينة هذا الشعرُ أتى امرأته فقال لها : قد قال هذا الرجل فيك ما قال ، وقد بلغك . فقالت : والله ما رأى ذلك منّى قط . فقال لها : فمِن أين له العلامات ؟ قالت : وصفهن له النِّساء . فقال : هيهات والله أن يكون ذلك كذلك!

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « كى أشجى » . (٢) نفذ : نافذة .
(٣) هذه رواية التجريد يعنى : خلال ثنايا الجوف وتلافيفه . وفى غير التجريد : « يعد وخلال اختلاج الجو عاديها » . يعنى باختلاج الجوف : انتزاع النفس . أى أنها لا تصيب إلا مقتلا .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « علامة » . (٥) السبة : الدبر .
(٦) قض ، بالكسر : صوت الركبة إذا صاتت .
(٧) فى غير التجريد : « زاغت » . (٨) فى غير التجريد : « فتبعثه » .

ثم أمسك مُدة وصَبر ، حتى ظَن أن مُزاحماً قد نَسى القِصة ، ثم أعاد عليها القول ، وأعادت الحلف أن ذلك مما وصفه النساء . فقال لها : والله لئن لم تُمكّنينى منه لأقتلنّك . فعلمت أنه سيفعل ذلك . فبعثت إليه وواعدته ليلاً ، وقعد له أبنُ الدمينة وصاحبٌ له . فجاءها للوعد وجعل يُكلّمها — وابن الدمينة فى مكانها (١) — فلم تكلمه . فقال : يا حماء ، ما هـذا الجفاء ؟ فقالت له : بصوت خفىّ ضعيف . أدخل . فدخل ، وأهوى بيده ليضعها على مَتنها ، فوقعت على أبن الدُّمينة ، فوثب عليه هو وصاحبـه ، وقد جعل له حصًى فى ثوبه ، فَضرب به كبـده حتى قتله ، وأخرجه فطرحه ميتاً . فجاء أهله فاحتملوه ولم يجـدوا به أثر السلاح . فعلموا أن أبن الدُّمينة قتله . وقال ابنُ الدُّمينة :

قالوا هَجَتْك سَلُولُ اللُّؤم مُخفيـةً ... فاليومَ أَهجو سَـلولاً لا أُخافِيها
قالوا هجاك سَـلولىٌّ فقلت لهم ... قد أنصف الصَّخرةَ الصَّماء راميها
رِجالهم شرُّ من يمشى ونسوتُهم ... شرُّ البرية وأُستٌ (٢) ذلّ حاميها

وقال أيضاً :

لك الخير إن واعدت حمَّاء فأُلقها ... نَهاراً ولا تُدلج إذا الليـل أَظلما
فإنك لا تدرى أبيضـاء طَفْـلةً ... تُعانق أم لَيثاً من القوم ضَيْغما
فلمّـا سَرى (٣) عن ساعدىّ ولِحيتى ... وأيقن أنّى لست حمّاء جَمْجما

ثم أتى أبنُ الدمينة أمرأته فطرح على وجهها قطيفة وجلس عليها حتى قتلها . فلما ماتت أنشأ يقول :

إذا قعدتُ على عِرنين (٤) جارية ... فوق القَطيفة فأدعُوا لى بحفّارِ

---

(١) فى غير التجريد : « وهى مكانها » .

(٢) الاست ، معروفة ، وتقال للرذل من الناس . (٣) سرى : كشف .

(٤) العرنين : ما تحت مجتمع الحاجبين ، هو أول الأنف .

فبكت بُنية له منها، فضرب بها الأرض فقتلها، وقال مُتمثلاً:

* لا تغذون(١) من كلب سَوء جَرْوا *

فقالت أم أبان، والدة مُزاحم بن عمرو المقتول، وهى من خَثعم، ترثى ابنها وتحضّض ولديها: مُصعباً، وجناحاً، على أخذ ثأره:

بأهلِى ومالى بل بجُلّ عَشيرتى قَتيلُ بنى تيم بغير سِلاحِ (٢)

فهلّا قتلتم بالسلاح ابن أختكم فتظهرَ منه للشهود جراحُ

فلا تَطمعوا فى الصُّلح مادمتُ حيّةً وما دام حيًّا مُصعب وجناح

فاستعدى عليه جَناحٌ أحمدَ بن إسماعيل، فبعث إليه فحبسه. فلما لم يجد عليه حُجة ولا سبيلاً خلّاه. فقتلت بنو سلول رجلاً من خثعم، وقتلت خثعم بعد ذلك نفراً من بنى سَلول، وجرت فى ذلك أمور يطول ذكرها.

مقتله

ثم أقبل ابنُ الدُّمينة حاجًّا بعد مدة، فعدا عليه مُصعب، أخو مُزاحم المقتول، وكانت أمه حرّضته، وقالت: اقتل ابن الدُّمينة فإنه قتل أخاك وهجا قومك، ودَمُ أخيك مَطلول، وقد كنتُ أعذرك فى هذا لأنك كنت صغيراً يومئذ، وقد كبرتَ الآن. فلما أكثرت عليه خرج من عندها، و بصر بابن الدُّمينة واقفاً يُنشد، فغدا إلى جزّار فأخذ شَفرته، وخرج إلى ابن الدُّمينة فجرحه جراحتين، فسلِم. ثم مرّ به بعد ذلك وهو يُنشد: فعلاه بسيفه حتى قتله، وتبعه الناس حتى اقتحم داراً وأغلقها على نفسه. فجاءه رجل من قومه فصاح به: يا مصعب، إن لم تضع يدك فى يد السلطان قتلتْك العامة، فاخرُج. فلما عرفه قال: أنا فى ذمتك حتى تُسلمنى إلى السلطان. فوضع يده فى يده فسلّمه إلى السلطان، فقذفه فى سجن تَبالة (٣).

(١) غير التجريد: «لا تتخذن».

(٢) فى الشعر: إقواء، وهو اختلاف حركة الروى بين الضم والكسر.

(٣) تبالة: موضع بينه و بين مكة خمسون فرسخاً.

أخبار المقنّع الكندى

نسبه

وهو : محمد بن ظَفر بن عُمير بن أبى شَمِر بن أبى فُرْعان بن قيس بن الأسود ابن عبد الله بن الحارث الولّادة ــ سمى بذلك لكثرة ولده ــ بن عمرو بن مُعاوية ابن كندة بن عُفير . وقد تقدم بقية النسب .

سبب تلقيبه بالمقنع

والمقنّع ، لقب غلب عليه ، لأنه كان من أجمل الناس وجهاً ، فكان إذا سَفَر اللثام عن وجهه أصابته العين . وكان أمدَّ الناس قامة ، وأكملهم خلقاً . وكان لا يَمشى إلا مُقنَّعاً .

وهو شاعر مُقل من شعراء الدولة الأموية ، وكان له محل كبير وشرف وسؤدد فى عشيرته .

جده والنزاع بين عمه وأبيه

وكان عُمير جدُّه سيدَ كندة . وكان عمُّه عمرو بن أبى شَمر ينازع أباه الرياسة ويساجله فيها فيقصُر عنها [1] .

استعلاء بنى عمه عليه

فنشأ محمد بن ظفر المقنّع ، وكان مُتخرّقاً [2] فى عطاياه ، سَمْح اليد بماله ، لا يَرُد سائلاً عن شىء ، حتى أتلف كل ما خلّفه له أبوه من مال . فاستعلاه [3] بنو عمه عمرو بن أبى شَمِر بأموالهم وجاههم .

شعره الذى فيه الغناء وسببه

وهوى بنتَ عمِّه عمرو فخَطبها إلى إخوتها ، فردّوه وعيّروه بتخرّقه وفقره

(١) فى غير التجريد : « عنه » .

(٢) متخرقاً : متسعاً .

(٣) فاستعلاه بنو عمه . أى ترفعوا عليه والذى فى التجريد : « فأسعده » .

وما عليه من الدَّين . فقال شعرَه الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره ، وهو من أجود الشعر :

وإن الذى بينى وبين بنى أبى ... وبين بنى عَمّى لَمُختلفٌ جِدًّا
ولا أحملُ الحِقد القديم عليهمُ ... وليس رئيسَ القوم من يَحمل الحِقدا
وليسوا إلى نَصرى سِراعاً وإن همُ ... دَعونى إلى نصرٍ أتيتُهمُ شَدَّا
إذا أكلوا لحمى وفرتُ لُحومهم ... وإن هَدموا مَجدى بنيتُ لهم مَجدا
يُعاتبنى فى الدَّين قومى وإنما ... تديّنت فى أشياء تكسِبهم حَمدا

أخبار أبي قيس بن الأسلت

نسبه

قال أبو الفرج :

لم يقع إليّ اسمه . واسم أبيه : عامر — والأسلت لقبه — ابن جُشم بن وائل ابن زَيد بن قيس بن عُمارة بن مُرة بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثَعلبة ابن عَمرو بن عامر .

جاهلي ساد الأوس

من شُعراء الجاهليّة . وكانت الأوس قد أُسندت إليه حَربها فكَفَى وساد .

إسلام ابنه واستشهاده

وأسلم ابنُه عُقبة بن أبي قيس ، واستشهد يومَ القادسية .

مقتل ابنه قيس

وكان يزيد بن مِرداس السُّلميّ — أخو العبّاس بن مرداس — قَتل قيس ابن أبي قيس في بعض حروبهم ، وطلب ثأره هارونُ بن النُّعمان بن الأسلت ، حتى تمكّن من يزيدَ بنِ مرداس فقتله .

ذكر يوم بُعاث (*)

مختصراً

كان هذان الحيّان من أهل المدينة — وهم الأوس والخزرج — لا تزال بينهم الحُروب فى الجاهليـة . وكان الأوس خاصةً يَستعينون فى حُروبهم على الخزرج بقُريظة والنَّضير ، من اليهود . العداء بين الأوس والخزرج

وهاتان القبيلتان من ذُرية هارون بن عمران — عليه السلام — كانوا نزلوا الحجاز ينتظرون ظُهور النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، لـكثرة البِشارة فى كُتبهم ليؤمنوا به ، فلما ظهر صلّى الله عليه وسلّم كفروا به بَغْياً وحسداً . شيء عن بني قريظة والنضير

و بلغ الخزرجَ انتصارُ الأوس عليهم بقُريظـة والنَّضير ، فبعثت إليهم : إن الأوس — فيما بلغنا — قد استعانت بكم علينا ، ولن يُعجزنا أن نَستعين بأعدادكم وأكثر منكم من العرب ، فإن ظَفِرنا بكم فذاك ما تكرهون ، و إن ظفرتم لم نَنم عن الطلب أبداً فتصيروا إلى ما تكرهون ، و يَشغلكم من شأننا ما أنتمْ منه الآن خالون . وأسلمُ لـكم من ذلك أن تَدعونا وتُخَلُّوا بيننا و بين إخواننا . فأجابتهم قُريظة والنَّضير إلى ما التمسوا من ذلك ، وألّا يُعينوا الأوس عليهم . فلم يُقنعهم إلا أن يبعثوا إليهم برهائن تـكون فى أيديهم . فبعثوا إليهم أربعين غلاماً منهم ، ففرّقتهم الخزرج فى دُورهم . حمل الخزرج لبني النضير وقريظة على التخلي عن الأوس

ثم إن رجلاً من بنى الخزرج من بنى بَياضـة — يقال له : عمرو بن النُّعمان — قال لقومه : إن عامراً — يعنى جدّ الأوس والخزرج — أنزلـكم منازل سَوء نقض الخزرج لعهدهم مع بني قريظة والنضير

(*) لم يفرد أبو الفرج يوم بعاث بترجمة مستقلة . بل جعل خبره موصولا بخبر ابن الأسلت .

بين سَبخة ومَفازة ، واللهِ لا يَمسّ رأسى غُسلٌ حتى أنزلكم منازل بنى قُريظة والنَّضير . فأرسل إلى بنى قُريظة والنَّضير : إما أن تخلُّوا بيننا و بين دياركم فنَسكنَها ، و إما أن نقتل رُهنكم . فهمُّوا بأن يَخرجوا من ديارهم . فقال لهم كعب بن أسد القُرظى : يا قوم ، امنعوا دياركم وخلُّوهم يقتلوا الرُّهن ، فوالله ما هى إلا ليلة يُصيب فيها أحدكم امرأته حتى يُولد له غلام مثلُ أحد الرُّهن . فأجمعوا على ذلك ، وأرسلوا إليهم بأنَّا لا نُسلم لكم دُورنا ، وانظروا الذى عاهدتمونا عليه فى رُهننا فقُوموا لنا به . فعدا عمرو بن النُّعمان على رُهنهم ، هو ومن أطاعه من الخزرج ، فقتلوهم . وأبى عبدُ الله بن أُبىّ ذلك ، ومن أطاعه من الخزرج ، فخلَّوا عمّا عندهم من الرُّهن وأطلقوهم حتى أتَوْا أهلهم .

جموع بنى النضير وقريظة والأوس ضد الخزرج يوم بعاث

وانضمت قُريظة والنَّضير حينئذ إلى الأوس وتَعبَّئُوا لقتال الخزرج ، وتعبّأت الخزرج لقتالهم . واستنصر كل من الفريقين بجموع من العرب من غيرهم ، واستعد الفريقان للقتال شهراً ، ثم التقوا ببُعاث واقتتلوا قتالاً شديداً . فانهزمت الأوس أولاً حين وجدوا مَسّ السلاح . فلما ولّوا مُنهزمين نزل أبو أُسيد حُضير ـ وهو سيد الأوس — وطَعن فى فخذه وصاح : واعُقراه[1] ، والله لا أَريم حتى أُقتل ، فإن شئتم يا معشر الأوس أن تُسلموا فافعلوا . فعطفت عليه الأوس وقاتلوا الخزرج أشدّ قتال ، فانهزموا أقبح هزيمة . ووضعت الأوس فيهم السلاح . فصاح صائح : يا معشر الأوس ، أسجحوا ولا تُهلكوا إخوتكم ، فجِوارهم لكم خير من جوار الثَّعالب . فحينئذ كفُّوا عن سَلبهم بعد إثخان فيهم . وسلبتهم قُريظة والنَّضير .

---

(١) العقر ، بالضم : العقم ، يكون للرجل والمرأة . وبالفتح . والهلاك وبالوجهين يستقيم المعنى . فهو مع الأول يندب فقدان الناصر والمعين ، كأنه لم يعقب . وعلى الثانى فهو يندب ذلك الهلاك اللاحق إن هزموا . وهو مع المعنيين يستحث قومه ويستنهضهم . وفى التجريد : «واعقيراه» والعقير : الجريح . يسترحم قومه لجرحاهم ان فرطوا .

مقام أبي قيس بن الأسلت في ذلك اليـوم

وكان أبو قيس بن الأسلت له المقام المشهود فى تلك الحرب ، وكانت الأوس قد أُسندت أمرها إليه ، فتغيّر وشَحب لونه .

هو وامرأته

وكان قـد آلى ألّا يقرب امرأته حتى يفصل أمرُ الحرب . فمكث شهراً لا يَقربها . ثم لما انقضت الحرب جاءها فدقّ عليها الباب ـ وهى كَبْشة بنت ضمرة بن مالك بن عدىّ بن عمرو ، من بنى عمرو بن عوف ـ ففتحت له . فأهوى إليها بيده ، فدفعتْه وأنكرتْه . فقال : أبو قيس . فقالت : والله ما عرفتُك حتى تكلّمت . فقال فى ذلك أبو قيس القصيدة التى أولها :

قالت ولم تَقْصد لقِيل الخنَا ... مهلاً فقـد أبلغتَ أسماعى
واستنكرتْ لوناً له شاحباً ... والحربُ غُولٌ ذات أوجاع

شعر أبي قيس الذى فيه الغناء

ومن هـــذه القصيدة الشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبي قيس ، وهو :

قد حَصَّت[1] البَيضةُ رأسِى فما ... أَطعم نوماً غيرَ تَهْجـــاعِ
أَســـعى على جُل بنى مالك ... كُل امرىء فى شأنه ساعى
مَن يذُق الحرب يَجد طَعمها ... مُرًّا وتتركه[2] بجَعْجَـــاع
لا نألم القَتـــل ونَجزى به الـ ... أعداءَ كَيْلَ الصَّاع بالصَّاع

---

(١) البيضة : الخوذة . وحصت رأسى ، أى ذهبت بشعر رأسى . وذلك لطول لبسه لها لا يخلعها . يشير إلى طول الحرب .

(٢) الجعجاع : المكان الخشن الضيق الغليظ . يريد : الشدة والحرج .

ذكر مقتل حجر بن عدىّ

[ج ١٦]

رحمه الله

حجر والمغيرة وسب على بن أبي طالب

قيل : لما خَلع الحسنُ بن علىّ — رضى الله عنه — نفسَه من الخلافة، وسلم الأمر إلى معاوية بن أبى سُفيان ، وصَفتِ الأمورُ له ، كَتبَ إلى وُلاته بالآفاق بأن يسُبُّوا علياً — رضى الله عنه — على المنابر . وكان المُغيرة بن شُعبة عاملَ مُعاوية على الكوفة ، فكان يقوم على المِنبر فيَستغفر لعثمان — رضى الله عنه — ويلعن قتلَته ، ويذُم علىّ بن أبى طالب — رضى الله عنه — ويقَع فيه . فيقوم حُجر ابن عدىّ فيقول : ﴿ يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ (١) . فإنِّى أشهد أن من تذمّون أحقُّ بالفضل ممن تُطرون ، ومن تُزكّون أحق بالذّم ممن تَعيبون . فيقول له المُغيرة : يا حُجر ، ويحك ! أكفُف عن هذا واتق غَضبة السلطان وسَطوته ، فإنها كثيراً ما تقتُل مثلَك . ثم كَفّ عنه . فلم يزل كذلك .

حجر والمغيرة بعد أن خطب الناس

فخَطب المُغيرةُ يوماً على المِنْبر فنال من علىّ ــ رضى الله عنه ــ ولعن أصحابَه . فوثب حُجر فنعَر به نَعْرة(٢) أسمعتْ كُلَّ من كان فى المسجد وخارجَه . فقال له : إنك لا تدرى أيها الإنسان بمن تُولَع ! مُرْ لنا بأعطياتنا وأرزاقنا فإنك قد حَبستها عنّا، ولم يكن ذلك لك ولا لمن كان قبلك ، وقد أصبحتَ مُولعاً بذمّ أمير المؤمنين وتَقريظ المُجرمين . فقام معه أكثرُ من ثلاثين يقولون : صدق والله حُجر ! مُر لنا بأعطياتنا فإنّا لا نَنتفع بقولك هذا ولا يُجدى علينا . وأكثروا فى ذلك . فنزل

(١) الآية ١٣٥ من سورة النساء .   (٢) أى صاح به صيحة من خيشومه .

المُغيرة بن شعبة ودَخل القصر . فاستأذن عليه قومُه ودخلوا ، ولاموه فى احتماله حُجْراً . فقال لهم : إنّى قد قتلتُه . قالوا : وكيف ؟ قال : إنه سيأتى أميرٌ بعدى يحسبه مثلى فيصنع به شبيهاً بما ترونه ، فيأخذه عند أول وَهلة فيقتله شرَّ قِتلة ، إنه قد اقترب أجلى وضَعُف عملى ، وما أحب أن أبتدىء أهل هذا المِصر بقتل خيارهم وسَفك دمائهم ، فيَسْعدوا بذلك وأشقى ، ويَعزّ معاوية فى الدنيا ويذِل المُغيرة فى الأُخرى ، سيذكروننى لو قد جرّبوا العُمّال .

زياد وحجر

ثم تُوفى المُغيرة بن شُعبة سنة خمسين ، وجمع مُعاوية بن أبى سفيان ولايةَ العراق لزياد . فدخل الكوفة ، ووجّه إلى حُجر بن عدىّ فجاءه — وكان له قبل ذلك صديقاً — وقال له : قد بلغنى ما كُنت تفعله بالمُغيرة فيَحتمله منك ، وإنى والله لا أحتملك على مثل ذلك أبداً ، أرأيتَ ما كنت تَعرفنى به من حُب علىّ ابن أبى طالب — رضى الله عنه — ووُده ، فإن الله قد سَلخه من صدرى وحَوّله بُغضاً وعَداوة ، وما كنت تَعرفنى به من بُغض معاوية وعَداوته ، فإن الله تعالى قد سَلَخه من صدرى وحَوّله حُبًّا ومودّة ، وإنى أخوك الذى تَعهد ، إذا أتيتَنى وأنا جالس فاجلس معى على مجلسى . فإذا أتيتَ ولم أجلس فاجلس حتى أخرج ، ولك عندى فى كل يوم حاجتان : حاجة غُدوة وحاجة عشيّة ، إنك إن تستقم تَسلم لك دُنياك ودِينك ، وإن تأخذ يميناً وشمالاً تُهلك نفسك ويَشيط عندى[1] دمُك ، إنى لا أحبُّ التنكيل قبل التَّقدمة ، ولا آخذ بغير حُجة ، اللهم اشهد . فقال حُجر : لن يرى الأميرُ منّى إلا ما يُحب ، وقد نصح ، وأنا قابل نُصحه . ثم خرج من عنده . فكان يتّقيه ويَهابه . وكان زياد يُدنيه ويُفضّله ويُكرمه .

حجر وأصحابه مع عمرو بن حريث

وكان زياد يَشْتو بالبصرة ويُصيف بالكوفة ، ويستخلف على البصرة سَمرة ابن جُندب ، وعلى الكوفة عمرو بن حُريث . وكان يجتمع إلى حُجر جماعةٌ ممن

(١) يشيط دمك : يذهب .

يرى رأيه فى حُبِّ علىّ — رضى الله عنه — والطَّعن على مُعاوية . وبلغ ذلك زياداً ، فدعا حُجْراً ووَعظه . ثم خرج إلى البصرة . فجعل يجتمع عند حُجر جَمعٌ عظيم من أصحابه حتى يملئون ثُلث المسجد أو نِصْفه ، وتُطيف بهم النَّظَّارة ، ثم يرفعون أصواتهم بذَم مُعاوية وشَتمه وشَتْم زياد . وبلغ ذلك عَمرو بن حُريث . فصَعِد المِنبر ، وأجتمع إليه أشرافُ أهل الكوفة ، فحثَّهم على الطاعة والجماعة وحذَّرهم الخِلاف . فوثَب إليه جماعة من أصحاب حُجر يُكبِّرون ويَشتُمون ، حتى دنوا منه فحَصبوه وشَتموه ، حتى نزل ودخل القصر ، وأغلق عليه بابَه . وكتب إلى زياد بالخبر .

زياد وأهل الكوفة

فأقبل حتى أتى الكوفة . فدخل القصر ، ثم خرج وعليه قَباء[1] سُندس ومِطرف[2] خَزٍّ أخضر ، وحُجر جالس فى المسجد وعنده أصحابه . فصَعد المنبر وحذَّر الناس ، ثم قال لشدّاد بن الهَيثم الهلالى : أذهب فأتنى بحُجر . فذَهب إليه فدعاه . فقال أصحابُه : لا يأتيه ولا كرامةً . وسبُّوا الشُّرط . فرجعوا إلى زياد فأخبروه . فقال : يا أشراف أهل الكوفة ، تَشُجُّون بيد وتأسُون بأخرى ، أبدانكم عندى وأهواؤكم مع الجهجاه[3] الدَّيُّوث . أنتم معى وإخوتكم وأبناؤكم وعَشيرتكم مع حُجر . فوثبوا إلى زياد فقالوا : معاذ الله أن يكون لنا فيما هاهنا إلا طاعتك وطاعة أمير المؤمنين ، وكلّ ما ظننت أن فيه رضاك فمُرنا به . فقال لهم : ليقُم كل واحد منكم إلى هذه الجماعة التى حول حُجر فَلْيَدْعُ أخاه وأبنه وذا قرابته ومن يُطيعه من عشيرته ، حتى تُقيموا عنه كلّ من أستطعتم . ففعلوا ، وجعلوا يُقيمون عنه أصحابه ، حتى تفرّق أكثرهم وبقى أقلُّهم .

---

(١) القباء ، بالفتح : ثوب تجتمع أطرافه .
(٢) المطرف ، بالكسر والضم . ثوب يجعل فى طرفيه علمان .
(٣) الجهجاه : كأنه مركب من : جه جه ، وهى حكاية صوت الأبطال فى الحرب . يصيح الصائح بالناس يستنفرهم . والديوث : الذى لا يغار على أهله .

رجال زياد وحجر

فلما رأى زياد خِفّة أصحاب حُجر قال لصاحب شُرطته : اُذهب فأْتني بحُجر ، فإن تبعك وإلا فمُرْ من معك أن ينزعوا عَمَد السُّتور[1] ، ثم ليشدُّوا عليه حتى يأتوا به ويضربوا من حال دونه . فلما أتاه شَدَّاد ، قال له : أَجب أمير المؤمنين . قال أصحابُ حُجر : لا ولا نُعمة عَين[2] ، لا يُجيبه . فقال لأصحابه : علىّ بالعَمَد . فاشتدّوا[3] إليها وأقبلوا بها . فقال عُمير بن يَزيد الكلبىّ لحجر : إنه ليس رجل معه سَيف غيرى . قال : وما يُغنى عنّى سيفك . قال . فما ترى ؟ قال : فقم من هذا المكان فالحق بأهلك يمنعك قومك . وزياد ينظُر على المِنبر إليهم. فغشَّوا حُجراً بالعَمد ، وضَرب رجل ـ يقال له : بكر بن عُبيد ـ رأسَ عمرو بن الحَمِق بعمود فوقع . وأتاه رجلان من الأزد ، فحملاه فأتيا به بعضَ دُور الأزد . ومضى حُجر ابن عدىّ إلى داره ، ومعه جماعة من أصحابه . وأمر زياد اليمن وهمدان ومذحج بأتّباعه . فلما انتهى حُجر إلى داره ورأى قِلّة أصحابه ، قال لهم : انصرفوا ، فما لكم طاقة بمن اجتمع عليكم من قومكم . فذهبوا لينصرفوا ، فلحقتهم أوائل الخَيل من مَذحج وهمدان . فعطف عليهم أصحابُه فقاتلوا عنه ساعة ، فجُرح بعضهم وأُسر البعض ، وأفلت سائر القوم .

هرب حجر وما كان من زياد

وقَصد حُجر دار رجل من كِندة ـ يقال له : سليمان بن يزيد ـ فدخل داره . وجاء القوم فى طَلبه . فأخذ سليمانُ بن يزيد سيفَه ثم ذهب ليَخرج إليهم . فبكا بناته ، فقال له حُجر : بئس والله ما تريد، لا أبا لك[4]! قال : أُريد والله أن ينصرفوا عنك ، فإن فعلوا وإلا ضاربتهم بسيفى ما ثَبت قائمه فى يدى دونك .

(١) فى غير التجريد : « السيوف » .

(٢) نعمة العين : قرتها . والعرب تقول : نعم ونعمة عين ، أى أقر عينك بطاعتك واتباع أمرك . والكلام هنا على الضد من ذلك . والذى فى غير التجريد : « ولا كونه » .

(٣) اشتدوا إليها : عدوا وأسرعوا .

(٤) فى التجريد : « لا أبا لغيرك » .

فقال حُجر له : بئس والله ما دخلتُ به على بناتِك ! أما فى دارك حائط أقتحمه أو خَوخة أخرُج منها ؟ فدلّه على خَوخة فى داره ، فخَرج منها وخرج معه فِتية يسلُكون به الأزقّة حتى أفضى إلى النَّخع . فقال : انصرفوا رحمكم الله . فانصرفوا عنه . فقصد دار عبد الله بن الحارث ـ أخى الأشتر ـ فدخلها . فبسط له عبد الله البُسط وتلقّاه بالبشر . فجاءت أمة سَوداء إلى الذين يطلُبونه فدلّتهم عليه ، فقصدوه . فخرج حُجر متنكّراً هو وعبد الله بن الحارث ، فنزلا داراً من دُور الأزد ، وأقاما بها يوماً وليلة .

زياد و محمد بن الأشعث فى أمر حجر

ولما أعيا أمرُه زياداً دَعا محمدَ بن الأشعث بن قيس ، فقال له : والله لتأتينّى بحُجر أو لا أدع لك نخلاً إلا قطعتهُ ، ولا داراً إلا هدمتها ، ثم لا تَسلم منى بعد ذلك حتى أُقطعك إرباً إرْباً . فقال : أمهلنى أطلُبه . قال : أمهلتُك ثلاثاً ، فإن جئت به وإلا فاعدد نفسك من الهَلْكى . فأُخرج محمد نحو السجن وهو ممتقع اللون يُتَلّ تَلا عنيفاً[(١)] . فقال حُجر بن يزيد الكلبى : ضمِّنيه وخَلِّ سبيلَه ليطلُب صاحبه ، فإنه مخلّى سِرْبُه أحرى أن يقدر عليه منه إذا كان محبوساً . فضمّنه إياه . و بلغ حُجرَ بن عدى ما جرى لمحمد بن الأشعث مع زياد . فبعث إليه : إنه قد بلغنى ما استقبلك به هذا الجبّار العَنيد ، فلا يهولنّك شىء من أمره ، فإنى خارج إليك ، فاجمع نفراً من قومك فادخل عليه وسَله أن يُؤمّننى حتى يبعثنى إلى معاوية فيَرى فىّ رأيه . فدخل محمد بن الأشعث إلى زياد فى نَفَر من كِندة ، وطلبوا إليه فيما سأله حُجر . فأجاب إليه . فأتَوه به . فلما دخل حُجر على زياد قال : مرحباً يا أبا عبد الرحمن ، حَرب فى أيام الحرب ، أو حَرب وقد سالم الناس ؟ على نفسها تجنى بَراقش[(٢)] .

(١) يتل : أى يكب على وجهه . والتلتلة بالسياق أنسب ، وهى السوق العنيف .

(٢) المثل : على أهلها تجنى براقش . وبراقش : كلبة ، دلت بنباحها الأعداء على أصحابها . وقيل فى تفسير هذا المثل غير ذلك . (اللسان : برقش – مجمع الأمثال للمدانى ٢ : ٤٢٢) .

فقال : والله ما خلعت يداً عن طاعة ولا فارقتُ جماعة ، و إنى لعلى بَيعتى . فقال : هيهات هيهات ! قال : ألم تؤمِّنى حتى آتى معاوية فيرى فىّ رأيه ؟ قال : بلى . انطلقوا به إلى السجن . فذهبوا به إليه .

تتبع زياد لأصحاب حجر

وأخذ زياد فى تتبع أصحاب حُجر . فخرج عمرو بن الحَمِق ، ورفاعةُ بن شداد، حتى نزلا المدائن ، ثم ارتحلا حتى أتيا الموصل ، فأتيا جبلاً فكَمنا فيه . و بلغ عامل ذلك الرُّستاق — وهو رجل من همدان . يقال له : عبيد الله(١) بن أبى بلتعة — خبرُهما ، فسار إليهما فى الجبل ، ومعه أهل البلد . فلما انتهى إليهما خرجا ، فأما عمرو بن الحمق فكانت بطنُه قد استسقت فلم يكن عنده امتناع ، وأما رفاعة فوثب على فرس له جواد فنجا بنفسه .

مقتل عمرو بن الحمق

وأخذوا عمرو بن الحمق فبعثوا به إلى عبد الرحمن بن عثمان — وهو ابن أم الحكم — فكتب إلى مُعاوية يُخبره بأخذه . فكتب إليه معاوية . إن عَمراً طعن عثمان — رضى الله عنه — تِسع طعنات ، و إنه لايُتعدى عليه . فاطعنه كما طَعن عثمان . فأخرجه عبدُ الرحمن فطعَنه تِسع طعنات . فمات فى الأولى منهن أو الثانية . و بعث برأسه إلى معاوية . فكان أول رأس حُمل فى الإسلام .

تعذيب زياد لصيفى بن فسيل

وجدّ زياد فى طلب أصحاب حُجر ، فأُتى بَصيفى بن فسيل الشَّيبانى ، فقال له زياد : يا عدو الله ، ما تقول فى أبى تُراب ؟ فقال : ما أعرف أبا تُراب . قال : ما أعرَفك به ، أما تعرف علىّ بن أبى طالب . قال : بلى . قال : ذلك أبو تُراب . قال : كلا ، ذلك أبو الحسن والحُسين . فقال له صاحب الشُّرط : أيقول لك الأمير هو أبو تراب ، وتقول : لا ؟ قال : فإن كذب الأمير أردتَ أن أكذب وأشهد له بالباطل كما شهد . فقال له زياد : هذا أيضاً مع ذَنبك . علىّ بالعصىّ . فأُتى بها . فقال : ما قولك فى علىّ ؟ قال : أحسنَ قول أنا قائلُه فى عبد من عَبيد الله أقولُه

(١) فى التجريد : « عبد الله » .

فى أمير المؤمنين . قال : أضربوا عاتقه بالعصى حتى يلصق بالأرض . فضُرب حتى لَصق بالأرض . فقال : أقلعوا عنـه . ما قولك فيـه ؟ فقال : والله لو شرّحتمونى بالمُدى والمَواسى ما زُلتُ عمّا سمعتَ . قال : لتلعننّه أو لأضربنّ عُنقك . قال : إذن والله تَضربها قبل ذلك، فأَسعدَ وتَشقى إن شاء الله . قال : أَوْقروه بالحديد واطرحوه فى السِّجن .

إرسال زياد لحجر إلى معاوية ومعه كتاب منه

ثم أحضر زياد رُؤوس الأَرباع ، فشهدوا على حُجر أنه جمع إليه الجموع وأظهر شَتم الخليفة وعَيب (١) زياد ، وأظهر عذر أبى تراب والترحُّم عليه والبراءة من عدوه وأهل حَربه ، وإن هؤلاء الذين معه رؤوس أصحابه على مِثل رأيه . وكتب بذلك مكتوباً وفيـه أسماء الشهود . ثم بعث حُجْرَ بن عدى مع وائل بن حُجر وكثير بن شهاب موكَّلين به وبأصحابه ، وعدَّتُهم أربعة عشر رجلاً ، إلى مُعاوية ابن أبى سُفيان ، وهو بدمشق . فقـدم بهم وائل وكثير فأنزلاهم بمَرج عذراء ، — وهى على أميال من دمشق — وقدما بكتاب زياد على معاوية ، وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله مُعاوية بن أبى سفيان أمير المؤمنين ، من زياد ابن أبى سفيان . أما بعد . فإن الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء ، وأدا له من عدوِّه، وكفاه مؤونةَ من بَغى عليه . إن طوائف من هذه التُّرابية(٢) ، رأسُهم حُجر ابن عدى، خَلعوا أمير المؤمنين، وفارقوا جماعة المسلمين ، ونَصبوا لنا حرباً فأطفأها الله عليهم وأمكننا منهم ، وقد دعوتُ خيار المِصْر وأشرافهم وذوى النُّهى والدين فشَهدوا بما رأوْا وعلموا ، وقد بعثتُ بهم إلى أمير المؤمنين ، وكتبتُ شهادة صُلحاء أهل المِصر وخيارهم فى أسفل كتابى هذا .

---

(١) فى التجريد : «وعير زيادا» .

(٢) التّرابية : نسبة إلى التراب . يريد : شيعة على بن أبى طالب ، وقد خلع عليه معاوية وأنصاره لقب : أبى تراب .

كتاب شريح إلى معاوية

ولمّا وصل الكتاب إلى معاوية تلبّث فى أمرهم أياماً . وورد عليه كتاب من شُريح بن هانىء ، وكان زياد قد كتب شهادته فى الكتاب الذى بَعث به إلى معاوية

ونسخة كتاب شريح :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله مُعاوية أمير المؤمنين ، من شُريح بن هانىء . أمّا بعد . فقد بلغنى أن زياداً كتب إليك بشهادتى على حُجر . و إن شهادتى على حُجر أنه ممن يُقيم الصلاة و يؤتى الزكاة و يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر . حرام المال والدم . فإن شئت فاُقتله ، و إن شئت فدَعه .

بين معاوية و زياد

فكتب معاوية إلى زياد : فهمت ما اقتصصتَ من أمر حُجر وأصحابه والشهادة عليهم ، فأحياناً أرى أن قتلهم أفضل ، وأحياناً أرى أن العفو عنهم أفضل .

فكتب إليه زياد : قد عجبتُ من اُشتباه الأمر عليك مع شهادة أهل مصرهم عليهم ، فإن كانت لك حاجة فى هذا المصر فلا تردنّ حُجراً وأصحابه .

فهمّ معاوية حينئذ بقتلهم . وأستوهب جماعةٌ من معاوية ستةً من أصحاب حُجر ، كل واحد استوهب واحداً . فوهَبهم لهم . و بقى ثمانية . و بعث معاوية هُدبة ابن فيّاض القُضاعى ، والُحصين بن عبد الله الكلابى ، وآخر معهما ــ يقال له : أبو طريف ــ وأحدهم أعور . وأمرهم مُعاوية أن يَعرضوا على حُجر وأصحابه البراءة من علىّ بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ واللعن له ، فإن فعلوا تركهم و إلا قتلهم . فأتوهم عند المساء ــ وهم بمَرج عذراء ــ فقال كريم بن عَفيف الخثعمى ، وهو من أصحاب حُجر ، حين رأى الأعور : يقتل نصفنا و ينجو نصفنا . فأطلق منهم ستة و بقى ثمانية . فعَرضوا عليهم البراءة من على ــ رضى الله عنه ــ فامتنعوا . فقدّموهم للقتل صبراً رجلاً رجلاً . فقال حُجر بن عدى : دعُونى أصلِّ ركعتين فإنى والله

ما توضأت إلا صلّيت . فقالوا : صلِّ . فصلَّى، ثم انصرف فقال . والله ما صلّيتُ صلاةً قطُّ أقصر منهـا ، ولولا أن يروا أن ما بى جزع من المـوت لأحببتُ أن أستكثر منها . ثم قال : اللهم إنا نَستعيذك على أُمتنا فإن أهل الـكوفة شهدوا علينا و إن أهل الشـام يقتلوننا ، أما والله لئن قتلتمونى فإنى أول فارس من المُسلمين سلك فى واديها ، وأول رجل من المُسلمين نبحته كلابُها . فَمَشى إليه هُدبة بن فياض بالسَّيف فأَرعدت فصائله[1] . فقال : كلا ، زعمت أنك لا تجزع من الموت ، فإنا ندعك وأبرأ من صاحبك ــ يعنى عليًّا رضى الله عنـه ــ فقال : مالى لا أجزع ، وأنا أرى قـبراً محفوراً ، وكَفناً منشورا ، وسيفاً مشهورا . و إنى والله إن جزعت فلا أقول ما يُسخط الله . فقتلوه .

نقل لابن واصل عن الطبرى

قلت :

روى الطبرى أن حُجرا ــ رحمه الله ــ قال : زمّلونى وأَدفنونى فى ثيابى ، فإنى أرجو أن ألقى مُعاوية غداً على الجادّة .

فقتلوا ستة نفر . و بقى عبد الرحمن بن حسان العنبرى ، وكريم بن عفيف ، فإنهما قالا : ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول فى الرجل مقالته . فلما مضَوْا بهما إلى معـاوية تبرأ كريم بن عفيف الخثعمى من على رضى الله عنه ، فأُطلق ، وأصرّ الآخر على عدم البراءة وأثنى على علىّ رضى الله عنه وطعن فى عثمان بن عفان رضى الله عنه . فبعث به معاوية إلى زياد فدفنه حيًّا . فنجا سبعة وقُتل سبعة .

الشعر الذى فيه الغناء وخبره

وقالت امرأة من كندة ترثى حُجراً . وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج خبر قتل حُجر بن عدى :

ترفَّع أيهـــا القمر المُنـير لعلّك أن تَرى حُجراً يَسيرُ

(١) الفصائل : جمع فصيلة . وهى القطعة من أعضاء الجسد .

يَسير إلى مُعاوية بن حرب ليقتله كذا زَعم الأمير
ألا يا حُجر حُجر بنى عدىّ تلقّتك السّعادة والسُّرور
تحيّرتِ[1] الجبابر بعد حُجر وطاب لها الخورنق[2] والسَّدير

عائشة ومعاوية فى شأن حجر

وذكر أنّ عائشة ــ رضى الله عنها ــ بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام يَستطلق حُجراً . فقدم على معاوية ، وقد قتلهم . فقالت له عائشة ــ رضى الله عنها ــ أين غاب عنك حِلْم أبى سفيان ، فقال : حين غاب عنى مثلك من حُلماء قومى . وحمّلنى ابنُ سُميّة فاحتملت ، فكانت عائشة رضى الله عنها تقول : لولا أنّا لم نُغيّر شيئاً قط إلا آلت بنا الأمور إلى أشدّ ما كُنا فيه، لغيّرنا قتل حجر ، أما والله إن كان لمُسلماً ما علمته مُعتمراً .

وذُكر أن معاوية كان يقول لما حضره الموت : أى يوم لى من ابن الأدبر طويل . يعني حُجرا . رحمهم الله كلهم ، وغَفر لهم ما اشتجروا فيه .

---

(١) فى غير التجريد : « تنعمت » .

(٢) الخورنق والسدير : قصران بظهر الحيرة كانا للنعمان بن امرىء القيس .

أخبار الرّبيع بن زياد العبسى (*)

نسبه

هو الربيع بن زياد بن عبد الله بن سُفيان بن ناشِب بن هُزَيم (١) بن عَوذ ابن غالب بن قُطَيعة بن عبس بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس عَيلان بن مُضر بن نزار .

أمه

وأُمه فاطمة بنت الُخرشب . وأسم الخرشب : عمرو بن النَّضْر بن حارثة بن أَنمار ابن بَغيض بن رَيث بن غَطَفان ، وهى إحدى المُنْجبات .

تعقيب لابن واصل

قلت : هى التى قيل فيها ، فاطمةُ بنت الُخرشب ، سيّدة نساء قومها . ولدت الـكَملة من بنى عَبْس لم يُوجد كان مثلهم . والـكَملة أولادها ، هم الربيع ، وعُمارة ، وأنس (٢) .

الكملة من أولاد فاطمة

وذُكر أنها ولدت من زياد بن عبد الله العَبْسى سبعة . فعدّت العرب المُنجبين منهم ثلاثة ، وهم خيارهم . وكان يُلقب الربيع : الكامل ، وعمارة : الوهّاب ، وأنس : أنس الفوارس .

لفاطمة وقد سئلت أيها بنيها أفضل

وذُكر أن عبد الله بن جُدْعان لقى فاطمة هذه وهى تَطُوف بالـكعبة ، فقال لها : نشدتُك الله بربِّ هذه البَنِيَّة ، أىّ بَنِيك أفضل ؟ فقالت : الربيع ؛ لا ، بل عُمارة : لا ، بل أنس ، ثَـكِلْتُهم إن كنتُ أَدرى أيهم أفضل .

ولها فى وصف أبنائها

وذُكر أنها قالت فى عُمارة : لا ينام ليلةَ يخاف ، ولا يَشبع ليلة يُضاف . وقالت

(*) قبل هذا ساق أبو الفرج أخبار « عزة الميلاء » . فرغنها ابن واصل .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « هدم » ، فى بعض آخر : « هريم » .

(٢) زاد ابن حبيب فى المحبر (٣٩٨ ، ٤٥٨) : « قيساً » .

فى الربيع : لا تُعَدّ مآثره ، ولا تُخشى فى الجهل بوادرُه . وقالت فى أنس : إذا عزم أمضى ، وإذا سُئل أرضى .

قصتها مع أولادها مع ضيف

وذُكر أنه ضاف فاطمةَ بنت الخُرشب ضيفٌ . فطَرحت عليه شَملة من خزّ فلما أعتم دنا منها ، فصاحت به . فكفّ ، ثم إنه لم يَصبر ، فواثَبها فبطَشت به وهى من أشدِّ الناس — فقبضت عليه ثم قالت : يا قيس . فأتاها . فقالت : إن هذا أرادنى على نفسى ، فما ترى فيه ؟ فقال : أخى أكبر منى ، فعليك به . فنادت : يا أنس . فأتاها فقالت : إن هذا أرادنى على نفسى ، فما ترى فيه ؟ فقال لها : أخى أكبر منى ، فسليه . فنادت : يا عُمارة . فأتاها . فذكرت ذلك فقال لها : السيف، وأراد قتله . فقلت: يا بَنى ، أدعوا أخاكم فهو أكبر منكم . فدعت الربيع ، فذكرت ذلك له . فقال : أتطيعوننى يا بَنى زياد ؟ قالوا : نعم. قال. فلاتُزنوا أُمكم ولا تقتلوا ضيفكم ، وخلوه يذهب . فذهب .

خبر موتها

وذُكر أنه أغار حَمَل بن بدر — أخو حُذيفة بن بدر الفزارى — على بنى عَبس، فظفَر بفاطمة بنت الخُرشب ، وهى راكبة على جمل ، فقادها بجملها . فقالت : أى حَمَل ، ضلّ حِلْمك ، والله لئن أخذتنى فصارت هذه الأكمة بى وبك أمامنا ، وصارت الأخرى وراءنا ، لا يكون بينك وبين بنى زياد صلح أبداً ، لأن الناس يقولون فى هذه الحال ما شاءوا ، وحسبك من شر سماعه . فقال : أذهب بك حتى ترْعَى على إبلى . فلما أيقنت أنه ذاهب بها رَمت بنفسها على رأسها من البعير فماتت ، خوفاً أن يلحق بنيها عارٌ فيها .

(*) ذكر
حرب داحس والغبراء

قصة داحس

قيل : كانت داحس والغَبراء من الخيل الموصوفة المعروفة بالسَّبق ، وكانا لقيس ابن زُهير بن جَذيمة العَبْسىّ . و إنما سُمِّى داحس داحساً ؛ لأن أباه ـ المسمَّى ذا العُقَّال ـ كان لحَوْط بن أبى جابر الرِّياحى . وكانت أُمه جلوى لِقرواش بن عَوف الثَّعلبى اليَربوعى . فاُتفق أن بنى يربوع اُحتملوا مَرةً ، وذو العُقّال مع اُبنتين لحَوْط بجبانة . فرأى جَلْوى ، فرس قرواش ، فصهل وأدْلى[1] فضحك شُبان من الحىّ ، واستحيت الفتاتان فأرسلتاه . فنزا على جَلْوى فَعلِقت منه . وبلغ حوْطا الخبرُ ، فغضب وقال : لا أرضى أبداً حتى آخذ[2] ماء فرسى . فوقع بين الحيَّين شرٌّ . ثم أجابته بنو ثَعلبة إلى أخذ ماء فرسه . فأدخل يده فى ماء وتراب ثم دَحسها فى رَحم جَلوى حتى ظَن أنه قد أخرج الماء . واُشتملت الرَّحم على ما فيها وتَمَّ عُلوقها ، فلذلك سُمى الفرس ، التى حَملت به جَلوى ، داحساً . ولما وُلد جاء شبيهاً بأبيه ، وخَرج من أجود الخيل .

غارة قيس بن زهير وخبر واصل

فأغار قيس بن زُهير على بنى يَربوع فلم يُصب أحداً غير اُبنتى قرواش ومائة من الإبل ، وكان الحى خُلوفاً . فلم يحضر من رجالهم أحـــد غير غلامين ، فإنهما ركبا داحساً وهو مقيَّد فنجا بهما . فطَلب قيسٌ من الغلامين أن يُعطياه الفرس ويَرُد إليهما الأُبنتين والإبل، فأجاباه إلى ذلك . وسلَّم إليهما اُبنتى قرواش والإبل. ولما جاء قرواش لم يُعجبه ذلك ، وطَلب فرسه، فقُضى له أنه إن أخذ فرسه ردَّ الغنيمة إلى قيس بن زهير . فرَضى أن يأخذ قيس الفرس بعد شَر .

ثم إن رجلا من بنى عبس راهن رجــلا من بنى بدر ، وقيس غائب ، على

(*) لم يفرد أبو الفرج هذه الحرب بعنوان وإنما ذكر أخبارها متصلة بأخبار « الربيع » .

(١) أدلى : أى أخرج جرذانه .   (٢) فى غير التجريد : « أخرج » .

أربع جزائر من خمسين غلوة ــ والغلوة : الرمية بالنشابة ــ فلما جاء قيس كره ذلك وقال : لم ينته رهان قطُّ إلا إلى شر . ثم أتى بنى بدر فسألهم المُواضعة . فقالوا ، لا حتى يُعرف سبقنا ، فإن أخذنا فحقُّنا ، و إن تركنا فحقنا . فغضب قيس بن زهير ، وقال : أما إذ فعلتم فأعظموا الخطَر وأبعدوا الغاية . قالوا : فذاك لك . فجعلوا الغاية مائة غَلوة ، من واردات إلى ذات الإصاد[1] ، على عشرين جَزور ، وجعلوا قَصبة السبق على يدى رجل من بنى ثعلبة بن سعد ــ يقال له : حُصين ــ فأجرى قيس داحسا والغَبراء ، وأجرى حُذيفة الخطّار والحنفاء . ثم أرسلوا الخيل ، فجعل بنو فزارة كُميتاً بالثنّية . وجاء داحس سابقاً ، والغبراء خلفه مصلية ، وقد سبقتا خيلَ حذيفة . فاستقبلت بنو فزارة الغبراء فلطموها [2] حتى حَلئوها . ثم لطموا داحساً . فدفعت بنو فزارة بنى عبس عن سبقهم ، فلم تُطقهم بنو عبس أن يقاتلوهم . و إنما شهد ذلك من بنى عبس أبيات غير كثيرة . فقال قيس بن زهير ، يا قوم ، إنه لا يأتى قوم إلى قومهم شرا من الظلم ، فأعطونا حقّنا . فأبت بنو فزارة أن يُعطوهم شيئاً . فقالت بنو عبس : أعطونا بعض سبقنا . فأبوا . فقالوا : أعطونا جَزُوراً ننحرها ونُطعمها أهل الماء ، فإنا نكره المقالة فى العرب . فقال رجل من بنى فزارة : فإنه جزور وجزور واحد سواء ، والله ما كنا لنقر لكم بالسّبق ولم نُسبق . فقام رجل من بنى فزارة فقال : يا قوم ، إن قيساً كان كارهاً لأول هذا الرهان ، وقد أحسن فى آخره ، و إن الظلم لا ينتهى إلا إلى الشر ، فأعطونا جزوراً من نعمكم . فأبوا . فقام إلى جزور من إبله فعقلها ليُعطيها قيساً ويُرضيه . فقام ابنه فقال : إنك لكثير الخطأ ، تُريد أن تُخالف قومك وتُلحق بهم خزاية بما ليس عليهم . وأطلق الغلام عقالها فلحقت بالنّعم . فلما رأى ذلك قيس احتمل هو وأهلُه ومن تبعه من بنى عبس ، ثم إن قيساً أغار عليهم فقتل عوف بن بدر ، أخا حُذيفة ، فغضب بنو فزارة وهمّوا

(١) واردات : عن يسار طريق القاصد إلى مكة . وذات الإصاد : ردهة بين جبل فى ديار بنى عبس . (٢) حلئوها : طردوها ومنعوها .

بالقتال. فحمل الربيع بن زياد دية عوف مائة من الإبل، عُشراء مُتْلية ـ والعشراء: التى أتى على حملها عشرة أشهر من مَلقحها. والمتالى. التى نُتج بعضها والباقى يتلوها فى النتاج ـ وكان حذيفة أخا عوف لأُمه وأبيه. فاصطلح الناس. ومكثوا كذلك مدة. ثم إن مالك بن زُهير، أخا قيس، ابتنى بامرأة ـ يقال لها: مليكة، من فزارة ـ بمكان قريب من الحاجر. و بلغ ذلك حُذيفة، فدس له فُرسانا على أفراس من جياد خيوله، وقال: لا تنظروا مالكا إن وجدتموه أن تقتلوه. وكان الربيع بن زياد مجاوراً لحذيفة، وكانت تحت الربيع مُعاذة بنت بدر. فانطلق القوم فلقوا مالكا فقتلوه، ثم انصرفوا عشية وقد أجهدوا أفراسهم، فوقفوا على حُذيفة، ومعه الربيعُ بن زياد، فقال حُذيفة: أقدرتم على حماركم؟ قالوا: نعم، وعقرناه. فقال الربيع، ما رأيت كاليوم قط، أهلكت أفراسك من أجل حمار. فقال حذيفة، لما أكثر عليه الربيع من الملامة له، وهو يحسب أن الذى أصابوه حماراً! إنا لم نقتل حماراً. ولكنّا قتلنا مالك بن زُهير بعوف بن بدر. فقال الربيع: بئس لعمرو الله القتيل قتلت! أما والله إنى لأظنه سيبلغ ما تكره. فتراجعا شيئاً من الكلام ثم تفرقا. فقام الربيع يطأ الأرض وطئاً شديداً. وأخذ حملُ بن بدر ذا النون سيفَ مالك بن زهير. فأرسل حُذيفة ـ لما قام الربيعُ ـ مُولّدة فقال: اذهبى إلى معاذة بنت بدر ـ امرأة الربيع ـ فانظرى ماذا تَرَيْن الربيعَ يصنع. فانطلقت الجارية حتى دخلت البيت، فاندسّت بين الكفاء (١) والنّضد. فجاء الربيع فنفذ البيت حتى أتى فرسه، فقبض بمَعرفته، ثم مسح متنه حتى قبض بعُكوة (٢) ذنبه. ثم رجع إلى البيت، ورُمحه مَركوز بفنائه، فهزه هزًّا شديداً، ثم ركزه كما كان. ثم قال لامرأته: اطرحى لى شيئاً. فطرحت له شيئاً، فاضطجع عليه. وكانت قد طَهُرت

(١) الكفاء: شقة فى آخر البيت. و النضد: متاع يجعل على حمار من خشب.
(٢) العكوة: أصل الذنب.

تلك الليلة ، فدنت إليه . فقال : إليك ، قد حدث أمر . ثم تغنّى وقال :

نام الخلىُّ فلم أغمِّض حارِ ... من سيِّء النبأ الجليل السّارى
من مثله تمسى النساء حواسراً ... ويقمن مُعْوِلةً مع الأسحار

و بعد هذين البيتين الشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الرّبيع ابن زياد ، وهما :

من كان مسروراً بمقتل مالك ... فليأتِ نِسْوَتنا بوجه نهارِ
يجدِ النِّساءَ حواسراً يندُبْنه ... يلطُمن أوجههن بالأحجار

و بعد هذين البيتين :

قد كُنَّ يخبأن الوُجوه تستُّرا ... فاليومَ حين برَزْن(١) للنُّظَّار
يخمشنَ حرَّ وجوههن على فتًى ... سَهل الخليفة طَيِّب الأخبار
أفبعدَ مَقْتل مالك بن زُهَيْر ... ترجو النِّساء عواقبَ الأطهار
ما إن أرى فى قتله لذوى النُّهى ... إلا المَطِىَّ تُشدّ بالأكوار

فرجعت الأمة فأخبرت حُذيفة بن بدر الخبرَ ، فقال : هذا حين اجتمع أمر إخوتكم، ووقعت الحرب . وقال الرّبيع لحذيفة : سيِّرنى فإنى جاركم . فسيّره ثلاث ليال . ومع الربيع فضلة من خَمر . فسار ثلاث ليال ، فدسّ حذيفة فى أثره فوارس وقال : اتبعوه فإن مضت ثلاث ليال ووجدتموه قد هَراق الخمر فارجعوا ، و إن وجدتموه ما هراقها فاتبعوه ، فإنكم تجدونه قد مال لأدنى منزل فنزل فشرب ، فاقتلوه . فتبعه القوم فوجدوه قد شقّ الزِّق ومضى، فانصرفوا . فأتى الربيعُ قومَه، وكانت بينه و بين قيس بن زُهير شَحناء ، وكان قيس بن زهير يخاف خذلان بنى زياد إياه لتلك الشّحناء ، فأزالوا ما بينهم من الشحناء . واجتمعت عَبس على حَرب

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بدون » .

بنى فزارة ، فأرسلوا إليهم : أن ردُّوا علينا إبلنا التى وَدَيْناها عَوفًا أخا حُذيفة لأمه . فقال : لا أعطيكم دِيَة ابن أمى ، وإنما قَتل صاحبَكم حَمَلُ بن بدر ، وهو ابن الأسدية ، وأنتم وهو أعلم .

وذُكر أن تلك الإبل كانت قد أتت عليها أربعُ سنين ، وأن حُذيفة أراد أن يُردَّها بأعيانها . فقال لها سِنان بن خارجة : أتريد أن تُلحق بنا خِزاية ، فتُعطيهم أكثرَ مما أعطَوْنا ، فتَسُبّنا العربُ بذلك . فأمسكها حذيفةُ ، وأبَى بنو عبس إلا إبلهم بعَيْنها .

ثم إن مالك بن بَدر خَرج يطلُب إبلاً ، فمرّ على بنى رواحة ، فرماه رجل منهم بسَهم . ثم إن الأسلع بن عبد الله العبسى مَشى فى الصُّلح بينهم . ورَهن عند بنى ذبيان ثلاثة من بنيه وأربعة من بنى أخيه حتى يصطلحوا على يدى سُبيع ابن عمرو ، من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان . فمات سُبيع وهم عنده . وكان حُذيفة خال مالك بن سُبيع ، وكان سبيع أوصى ابنه مالكا بالرُّهن وألّا يُسلمه إلى حذيفة ، وخَوّفه العار فى ذلك . فلما مات سُبيع لم يزل حُذيفة بمالك حتى سلّم الغِلْمان العَبسيين إليه . وكان حُذيفة يُبرز كل يوم منهم غلاما ويجعله غَرضا ثم يَرميه فيقتله . ثم وقعت حَرب بن فزارة وعَبس ، وقُتل فيها سُبيع بن مالك ، والحارث ابن هرم ، وبدر بن ضَهضم . ولم يشهد تلك الحرب حُذيفة . ثم أن حذيفة ابن بدر جَمع وتهيّأ ، واجتمع معه بنو ذبيان بن بغيض . وبلغ بنى عَبس مسيرُهم إليهم ، فسرّحوا السَّوام والضِّعاف بلَيل ، وارتحلوا فى الصبح . فلما أصبحوا طلعت الخيل عليهم . فأمر قيس بن زُهير بنى عبس أن يأخذوا غَير طريق المال . وجاء حُذيفة بمن معه فوجد عَبْسا قد أخذوا غيرَ طريق ما لهم ، فقال : أبعدهم الله ، وما خيرهم بعد ذهاب أموالهم . فاتبع حُذيفة المالَ ، فلما أدركهم ردّ أوله على آخره فلم يفلت منه شىء . وجعل يَطْرُد ما قَدر عليه من الإبل فيذهب بها ، وتفرّقت

ذُبيان واشتد الحرُّ ، فقال قيس بن زهير لبنى عبس : يا قوم ، قد فرّق بينهم المغنم ، فاُعطفوا الخيلَ فى آثارهم . فلم يشعر بنو ذبيان إلّا والخيــل فى آثارهم . ووضعت فيهم بنو عبس السلاح ، حتى ناشدتهم بنو ذبيان البقيّة . ولم يكن لهم هَمٌّ غير حذيفة بن بدر ، فأرسلوا خَيلَهم فى طلبه ، فأدركوه بجَفر الهباءة ، وقد اشتد الحر ، فرمى بنفسه ، ومعه أخوه حمل بن بدر ، وحَنَش بن عمرو ، وورقاء بن بلال . وقد نزعوا سُروجهم وطرحوا سلاحهم ووقعوا فى المــاء ، فضرب شدّاد بن معاوية ، أبو عنترة ، حَمَل بن بدر بين كتفيه ، ثم ضَرب الحارث بن زهير حَمَلا فقتله ، وقتل قرواش أبن هنيء حُذيفةَ بن بدر . وأخذ الحارث من حمل بن بدر ذا النُّون سَيف مالك بن زهير . وقال قيس بن زهير .

تعلَّمْ أنّ خيرَ النــاس مَيْتٌ ... على جِفر الهَباءة ما يَرِيمُ
ولولا ظُلمهُ ما زِلتُ أبكى ... عليه الدهرَ ما طَلَع النُّجوم
ولــكنّ الفَتى حَمَلَ بن بدر ... بَغى والبَغْىُ مَصرعه وَخِيم
أظُن الحِلْم دلّ علىّ قومى ... وقد يُستجهل الرجلُ الحليم
فلا تنسَى المظالم لن[1] تراه ... يُمتّع بالغنى الرجلُ الظَّلوم
ومارستُ الرِّجال ومارسونى ... فمُعوَجٌّ علىّ ومُستقيم

(١) فى التجريد : « إن » .

ذكر خبر (*)
ليزيد بن مُعاوية بن أبى سُفيان

يزيد وغزو الصائفة

ذُكر أنّ مُعاوية بن أبى سُفيان وجّه أبنه يزيدَ إلى بلد الرُّوم ليغزوَ الصائفة، فبلغ القسطنطينية.

تعقيب لابن واصل

فقيل: إن السبب كان فى ذلك أنّ معاوية كانت له أمرأتان، إحداهما مَيسون بنت بحدل، وهى أم يزيد، وكانت دقيقةَ الساقين؛ وأمرأة أخرى جميلة، وهى أم أبنه عبد الله، وكان مغفلاً. فقالت أم عبد الله يوماً لأُم يزيد: لعن الله حمشاً بساقيك. فقال معاوية: إن يكن ذلك فولدها خيرٌ من ولدك. فقالت: إنما تقول ذلك لُحبك لها. فقال: سأريك، ثم أستحضر عبد الله وقال: اذكر حاجتك يا بنى. فقال: تَهب لى يا أمير المؤمنين حِماراً. ثم أستحضر يزيد، فقال له: اذكر حاجتك. فَسجد شُكراً لله تعالى وقال: أن تَجعلنى ولىّ عَهدك، وتُغزينى إلى القسطنطينية، ليكون أول أمرى الجهاد فى سبيل الله، وتَزيد الجند فى أعطياتهم، لكل واحد عشرة دنانير، وتُعلمهم أن ذلك بشفاعتى لتزداد محبتى فى صُدورهم. فقال: قد فعلت. فقالت عند ذلك أم عبد الله: يا أمير المؤمنين، أَوْصه به وبولدى.

عود إلى غزو يزيد الصائفة

وقال أبو الفرج ـ فيما روى عن أبى عُبيدة ـ أنّ مُعاوية كان وجّه جيشاً إلى بلد الروم فأصابهم جُدرىّ، فمات أكثرُ المُسلمين. وكان يزيدُ بن معاوية مُصطبحاً بدَير مُرّان[1] مع زوجته أم كلثوم، فبلغه خبرُهم، فقال:

(*) لم يفرد هذا الخبر أبو الفرج بترجمة، وإنما ساقه مع ما قبله مفصولا بالصوت الذى فيه شعر الغناء، وهو ليزيد بن معاوية.

(1) دير مران: بالقرب من دمشق.

إذا ٱرتفقتُ على الأنماط مُصطبحاً   بدير مُرّانَ عنـدى أمُّ كُلثومِ
فما أُبالى بمـا لاقت جُنـودهمُ   بالغَذْقَذُونةِ من حُمَّى ومن (١) مُومِ

فبلغ شعرُه معاويةَ فقال : والله ليلحقنّهم فلَيُصِبْه ما أصابهم . فخرج حتى لحق بهم، فبلغ القسطنطينيةَ . فنظر إلى قَينتين مغنيتين عليهما ثيابُ الدِّيباج ، فإذا كانت الحملة للمُسلمين ٱرتفع من إحداهما أصواتُ الدُّفوف والطُّبول والمزامير ، و إذا كانت الحملة للرُّوم ٱرتفع من الأُخرى مثلُ ذلك . فسأل يزيدُ بن معاوية عنهما، فقيل : هذه بنتُ ملك الروم ، وتلك بنت جَبَلة بن الأيهم ، وكلٌّ واحدة منهما تظهر المَسرّة بما تفعله عشيرتها . فقال : والله لأسُرّنَّها ـ يعنى بنت جَبَلة ـ ثم لفّ العَسكر وحَمَل حتى هَزم الروم فأجحرهم فى المدينـة ، وضرب باب قُسطنطينية بعَمود حديد كان فى يده ، فهَشمه حتى انخرق ، فضُرب عليه لوحٌ من ذهب .

وذُكر أنّ معاوية مات و يزيدُ فى الصائفة ، فأتاه البريدُ بنَعى أبيه ، فأقبل إلى دمشق ، وقال الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج خَبر يزيد ، وهو : موت معاوية

جاء البريدُ بقرطاس يَخُبّ به   فأوجس القلبُ من قرطاسه جَزَعا
قُلنـا لك الويلُ ماذا فى صَحيفتكم   قال الخليفةُ أمسى مُوثَقا (٢) وَجِعا

وتمام الشعر :

فمادت الأرضُ(٣) أو كادت تميد بنا   كأنّ أغبر (٤) من أركانها ٱنقلعـا
أودى ٱبنُ هِندٍ فأودى المَجد يَتْبعه   كذاك كانا جميعاً قاطنَـين معا

(١) غذقذونة : اسم جامع للثغر الذى منه المصيصة وطرسوس وغيرهما . ويقال له : خذقونة ، أيضاً . (معجم البلدان) . والذى فى الأصل والأغانى : « بالفرقدونة » . تحريف . والموم : البرسام .
(٢) فى غير التجريد : « مثبتاً » .
(٣) فى غير التجريد : « مادت بنا الأرض » .
(٤) فى غير التجريد : « كأن ما عز » .

أغَرّ أبلج يُستسقى الغمام به لو قارع الناسَ عن أَخلاقهم قَرعا
لا يَرفع الناس ما يُوهى ولو جهدوا أن يَرْقعوه ولا يُوهون ما رَقعا
مَن لم تزل نفسُه تُوفى على[1] شَرف توشكْ مقاديرُ تلك النَّفس أن تَقعا
لمّاوردتُ و بابُ القَصر[2] مُنْصَفِق لصَوت رملة رِيع[3] القلبُ فانصدعا

وكان الذى تولّى غَسل معاوية ودفنه الضحاكُ بن قيس ، فخَطب الناس وقال : إنَّ ابن هند قد تُوفى وهذه أكفانُه على المنبر ونحن مُدرجوه فيها ومخلُّون بينه و بين ربه ، ثم هو البَرزخ إلى يوم القيامة .

ابن عباس وموت معاوية

وذُكر أن ابن عباس رضى الله عنه أتاه نَعْيُ معاوية وولايةُ ابنه يزيد، وهو يتعشّى مع أصحابه ويأكل معهم ، وقد رفع إلى فيه اللُّقمة ، فألقاها وأطرق هُنيهة وأنشد :

جَبل تَدكدكَ ثم مال بجَمْعه فى البَحر فاشتملت عليه الأبحُرُ

لله دَرّ ابن هِند ! ما كان أجمل وجهه ، وأكرم خُلقه ، وأعظم حِلمه ! فقطع عليه الكلامَ رجل من أصحابه وقال : أتقول هذا فيه ! قال : ويحك ! إنك لا تدرى مَن مضى عنك ، ومَن بقى عليك ، وستعلم . ثم قطع الكلام .

وصاة معاوية حين موته

وذُكر أن معاوية قال : إنى كنت أُوضىء رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم فكَسانى قميصاً وأخذت شَعراً من شعره ، فإذا أنا مِتُّ فكفِّنونى فى قميصه واجعلوا الشعر فى مِنخرى وأُذنى وفَمى ، فلعلّ الله ينفعنى به شيئاً .

(١) فى غير التجريد : « وجل » مكان « شرف » .
(٢) منصفق : مغلق .
(٣) فى غير التجريد : « هد » .

ما تمثل به معاوية عند موته

وذُكر أنه تمثّل رحمه الله عند موته :

لَعمرىَ قد عُمِّرت فى الُملك بُرهة ودانت لىَ الدُّنيا بوَقْع البَواتِرِ
وأُعطيت جَمّ المال والُملْك والنُّهى وسُلِّمْ فما عُمُم الملوك الجبابر
فأضحى الذى قد كان ممّا يسُرنى كلمحٍ مضى فى المُزمنات الغوابِرِ
فياليتنى لم أغنَ فى الُملك ساعةً ولم أَغْن فى لذات عيشٍ نَواضر
وكنتُ كذى طِمْرين عاش ببُلغة من الدّهر حتى زار ضَنْك المقابر

أخبار شُريح القاضي

نسبه شيء عنه — هو شُريح بن الحارث بن قَيس بن الجَهم بن مُعاوية بن عامر بن الرائش. ابن الحارث بن مُعاوية بن ثَور بن مَرتع الكندى — وهو غير شُريح بن الحارث الحارثى — ولى القضاء بالكوفة لعُمر بن الخطّاب — رضى الله عنه — ثم لعلىّ بن أبى طالب — رضى الله عنه .

وقيل : إنه من ولد الفُرس . وعدادُه فى كندة .

عمره — وذُكر أنه عُمِّر مائة وعشرين سنة . وقيل : نيفاً وثمانين . ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان . وقيل بعد ذلك .

ولايته القضاء — وذُكر أنه ولى القضاء ستِّين سنة من زمن عمر — رضى الله عنه — إلى زمن عبد الملك .

حكمه بين على ويهودى فى درع — وذُكر أن علىّ بن أبى طالب — رضى الله عنه — عَرف درعاً له مع يهودى، فقال : يا يهودى ، درعى سقطت منى يوم كذا وكذا . فقال اليهودى : ما أدرى ما تقول ! درعى وفى يدى، و بينى و بينك قاضى المسلمين . فانطلقا إلى شُريح . فلما رآه شريح قام له عن مجلسه . فقال له على رضى الله عنه : أُجلس . فجلس شريح . ثم قال : إن خصمى لو كان مُسلماً لجلست معه بين يديك ، ولكنى سمعتُ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : لا تساوُوهم فى المجلس ، ولا تَعودوا مرضاهم ، ولا تُشيِّعوا جنائزهم ، واضطروهم إلى أضيق الطرق ، و إن سبُّوكم فاَضربوهم ، و إن ضربوكم فاقتلوهم . ثم قال : درعى وفى يدى . فقال شريح : صدقتَ والله يا أمير المؤمنين ، إنها لدرعُك كما قلت، ولكن لا بد من شاهد . فدعا قُنبراً ، فشهد

له . ودَعا أبنه الحسن ، فشهد له . فقال : أما شهادة مولاك فقد قبلتُها ، وأما شهادة أُبنك لك فلا . فقال علىّ — رضى الله عنه — : سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الَحسن والُحسين سيِّدا شباب أهل الجنة . قال شريح : اللهم نعم . قال : أفلا تُجيز شهادة أحد سيدى شباب أهل الجنة[1]؟ ثم سلّم الدِّرع إلى اليهودى . فقال اليهودى : أمير المؤمنين مشى معى إلى قاضيه، فقَضى عليه ، فرضى به ! صدقتَ إنها لدرعك سقطتْ منك يوم كذا وكذا عن جَمل لك أورق فالتقطتُها ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحمداً رسول الله . فقال علىّ — رضى الله عنه — : هذه الدِّرع لك ، وهذه الفرس لك ، وفَرض له فى سبعمائة[2]، ولم يَزل معه حتى أستشهد معه يوم صفّين .

حديث زواجه بينت حدير

وحكى شريح القاضى قال :

انصرفتُ من جنازة ذات يوم مُظهراً[3] ، فمررتُ بدُور بنى تَميم ، فإذا أمرأة جالسة فى سقيفة على وسـادة ، وتجاهها جارية رُؤد — يعنى التى بلغت — ولها ذؤابة على ظهرها ، جالسة على وسـادة ، فاستسقيتُ فقالت : اسقُوا الرجل لبناً ، فإنى إخاله غريباً . فلما شربتُ نظرتُ إلى الجـارية فأعجبتْنى ، فقلت : من هذه ؟ فقالت : زينب بنت حدير ، إحدى نساء بنى تميم . فقلت : أفارغة أم مشغولة ؟ فقالت : بل فارغة . فقلت ، أتُزوجينها ؟ قالت : نعم ، إن كنت كفئاً لها ، ولها عَم فاُقصده . فانصرفت وأرسلتُ إلى إخوانى القُراء ، ووفيت معهم صلاة العصر ، فإذا عَمّها جالس ، فقال : يا أبا أميـة ، حاجتك . قلت إليك . قال : وما هى ؟ قلت : ذُكرتْ لى بنت أخيك زينب بنت حدير . قال : ما بها رغبة عنك ، ولا بك عنها مقصر ، وإنك لنُهزة[4] . فحمدتُ الله وصلّيت على النبى — صلى الله عليه

(١) فى التجريد : « شهادة سيد شباب » . (٢) فى غير التجريد : « فى تسعمائة » .
(٣) مظهراً ، أى فى وقت الظهيرة . (٤) نهزة : فرصة ومغنم .

وسلّم ـ وذكرتُ حاجتى . فردّ الرجلُ علىّ وزوّجنى و برّك القوم ونهضنا . فما بلغتُ منزلى حتى ندمتُ ، فقلت : تزوجتُ إلى أغلظ العرب وأجفاها ، فهممت بطلاقها . ثم قلتُ : أجمعها إلىّ ، فإن رأيتُ ما أحب وإلّا طلقتُها . فأقمنا أياماً ، ثم أقبل نساؤها يهادينها . فلما أجلستْ فى البيت أخذتُ بناصيتها فبرّكت ، وأخلى لى البيت ، فقلت : يا هذه ، إن من السنّة أن المرأة إذا دخلت على الرجل أن يصلى ركعتين ، وتُصلى ركعتين ، ويسألا الله خيرَ ليلتهما ، ويتعوذا بالله من شرها . فصليتُ وصلّت ، ثم التفت فإذا هى على فراشها (١) ، فمددتُ يدى ، فقالت : على رسلك . فقلت : إحدى الدواهى مُنيت بها . فقالت : الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، إنى امرأة غريبة (٢) ، ولا والله ما سرتُ مسيراً قط أشد علىّ منه ، وأنت رجل غريب ولا أعرف أخلاقك ، فعرّفنى بما تُحب فآتيه ، وما تكره فأنزجر عنه . فقلت : الحمد لله وصلى الله على محمد ، قَدِمتِ خيرَ مقدم ، وقدِمتِ على أهل دار ، زوجك سيّد رجاله ، وأنت سيدة نسائه ، أُحب كذا وكذا ، وأكره كذا وكذا . قالت : أخبرنى عن أحمائك ، أتحب أن يزوروك ؟ فقلت : إنى رجل قاضٍ وما أُحب أن يملونى . قال : فبتُّ بأنعم ليلة ، وأقمتُ ثلاثاً عندها . ثم خرجتُ إلى مجلس القضاء ، وكنتُ لا أرى يوماً إلا هو أفضل من الذى قبله ، حتى إذا كان عند رأس الحول دخلتُ منزلى ، فإذا عجوز تأمر وتنهى . قلت : يا زينب ، من هذه ؟ فقالت : أُمى فلانة . فقلت : حياكِ الله بالسلام . فقالت : يا أبا أمامة (٣) ، كيف رأيت زوجتك ؟ قلت : كخير امرأة . فقالت : إن المرأة لا تُرى فى حال أسوأ خُلقاً منها فى حالين : إذا حظيت عند زوجها ، وإذا ولدت غلاماً ؛ فإن رابك منها ريب فالسّوط ، فإن الرجال والله ما حازوا إلى بُيوتهم شرّا من الوَرهاء (٤) المتدلّلة . قلت . أشهد أنها ابنتك ، قد كفيتنا الرّياضة

(١) فى التجريد : « فراش » .
(٢) فى غير التجريد : « عربية » .
(٣) فى غير التجريد : « يا أبا أمية » .
(٤) الورهاء : الخرقاء بالعمل .

وأحسنت الأدب . وكانت فى كل حول تأتينا فتذكُر هــذا ثم تنصرف . قال شريح : فما غضبتُ عليها قطُّ إلا مرةً كنت لها ظالمًا ، كنت إمام قومى فسمعتُ الإقامة ، وقد ركعت ركعتى الفجر ، فأبصرت عقربًا ، فعَجِلتُ عن قتلها فأكفأت عليها الإناء ؛ فلما كنت عند الباب قلتُ : يا زينب ، لا تحرّكى الإناء حتى أجىء . فحرّكت الإناء فضربتْها العقرب ، وجئت فإذا هى تلوّى ، فقلت : مالك ؟ فقالت : لسعتنى العقرب . قال شريح للشعبى : فلو رأيتنى يا شعبى وأنا أفرك[1] إصبعها بالماء والملح ، وأقرأ عليها المعوذتين وفاتحة الكتاب . وكان لى ياشعبى جارٌ يقال له : ميسرة ، فكان لا يزال يضرب امرأته ، فقلتُ :

رأيت رجالًا يضربون نساءهم فشلّت يمينى يوم أضرب زينبا
أأضربها فى غير جُرم أتتْ به إلىّ فما عُذرى إذا كنت مُذنبا
فتاة تَزين الحلى إن هى حُلّيت كأنّ بفيها المسك خالط مَحلبا

وقال فيها شريح الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار شريح ، وهو : شعره الذى فيه الغناء

إذا زينبٌ زارها أهلُها حشدت وأكرمتُ زُوّارَها
وإن هى زارتْهُمُ زُرتهم وإن لم أجد[2] لى هوًى دارَها
فسَلمى لمن سالمتْ زَينب وحَربى إذا أشعلت نارها
وما زلتُ أرعى لها عهدَها ولم أتّبع ساعةً عارَها

(١) فى غير التجريد : « أعرك » .
(٢) فى التجريد : « وإن لم يكن » .

أخبار مالك بن أسماء

نسبه و شيء من شعره

(١) ثم ذكر أبو الفرج مالك بن أسماء بن خارجة بن حُصين بن حُذيفة بن بدر الفزارى . وكانت أُخته هند تحت الحجاج بن يوسف الثقفى أمير العراقين ، وولّاه الحجاج أَصبهان ثم حبسه مُدة ، ولم أختر من شعره إلا قوله :

إنّ لى عنــد كُل نفحةِ بُستا ن من الوَرد أو من الياسمينا
نَظرةً والْتفــاتة (٢) أترجّى أن تكُونِى حلاتِ فيما يلينا

(١) وقبل هذا ذكر أبو الفرج « أخبار الحطيئة مع سعيد بن العاص » ولكن ابن واصل مر عنها ولم يشر .

(٢) فى اللسان « يسم » : « لك أرجو » مكان « أترجى » ، وقد نسب البيتان فيه لعمر ابن أبى ربيعة .

أخبار زيد الخيل

هو زَيد بن مُهلهل بن زَيد بن مُنيب بن عبد رضا بن مختلس بن ثَور بن عديّ ابن كِنانة بن مالك بن فاتك بن نَبْهان بن عمرو بن الغَوث بن جَلهمة ــ وهو طيىء، سُمِّى بذلك لأنه كان يطوى المَناهل فى غزواته ــ بن أُدَد بن مَذْحِج بن زَيد بن يَشْجُب بن عَريب بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجُب بن يعرب ابن قحطان . نسبه

وكان زيد فارساً مِغْواراً مُظفَّراً شُجاعاً بعيد الصوت فى الجاهلية . وأدرك الإسلام . وَفَد على النبىّ ــ صلّى الله عليه وسلم ــ فسمّاه زيدَ الخير . إسلامه وتسميته زيد الخير

وهو شاعر مُقِلّ من شُعراء الفُرسان . إنما يقول الشِّعر فى غاراته ومُفاخراته وأياديه عند مَن مَنّ عليه . وإنما سُمِّى زيدَ الخيل لكثرة خَيله . ولم يكُن لأحد مِن قومه ولا لكثير من العَرب إلا الفَرس أو الفَرسان ، وكانت له خَيل كثيرة ، والمسمّاة منها ستة ، وهى : الهطّال ، والكُميت ، والوَرْد ، وكامل ، ولاحق ، ودَوْول . شىء عنه وعن تسميته زيد الخيل

وكان له من الولد ثلاثة بنين ، كُلهم يقول الشعر ، وهم : عُروة ، وحُريث ، ومُهلهل . أولاده

وكان لزيد الخيل فَرس من خَيله ظَلَع فى بعض غزواته لبنى أسد ، فلم يتبع الخيل ، ووقف فأخذتْه بنو الصَّيداء ، فصلُح عندهم واستقل . فقال شعرَه الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره ، وهو : شعره الذى فيه الغناء وسببه

يا بنى الصَّيداء رُدُّوا فرسى إنما يُفْعل هذا بالذَّليلْ

عوِّدُوا مُهْرِى الذى عوّدتَه دُلَجَ اللّيل وإبطاء[١] القَتيل
واستباء الزّق من حاناته شائلَ الرِّجلَيْن مَعْصُوباً[٢] يمِيلْ

حديث وفوده على النبى صلى الله عليه وسلم وإسلامه وموته

وذُكر أنه لما وَفد زيدُ الخيل على رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قَدم المدينة فى جماعة من طيىء ، فأناخوا ركابَهم بباب المسجد ودخلوا ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يخطب ، فقام زَيد ـ وكان من أجمل الرجال وأتمّهم ، وكان يركب الفرس المُشْرِف[٣] ورجلاه تخُطّان الأرضَ كأنه على حمار ـ فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسولُ الله . فقال : ومن أنت ؟ قال : زيد الخيل بن مُهلهل . قال : بل أنت زيد الخير . وقال : الحمد لله الذى جاء بك من سَهلك ومن جبلك ورقّق قلبك على الإسلام . يا زيد ، ما وُصف لى رجل قطُّ فرأيته إلا كان دون ماوُصف به ، إلا أنت فإنك فوق ماقيل فيك . فلما ولّى قال النبيُّ صلّى الله عليه وسلم : أىّ رجل إن سَلم من آطام[٤] المدينة ! فأخذتْه الُحمّى ، فمكث بالمدينة سبعاً ، فاشتدّت الُحمّى به ، فخرج وقال لأصحابه : جنِّبونى بلادَ قيس ، فقد كانت بيننا حماسات[٥] فى الجاهلية ، ولا والله لا أُقاتل مُسلماً حتى ألقى الله . ونزل بماء لطيىء ، يقال له: فَردة ، فمكث بها سبعةَ أيّام ثم مات . فأقام عليه قبيصةُ بن الأسود المناحةَ سبعاً . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كتب معه كتاباً لبنى نَبْهان . فلما مات ، وكانت امرأته على شركها ، ضربت راحلَته بالنار، فاحترق كتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

---

(١) الدلج : جمع دلجة ، وهى سير الليل كله .
(٢) استبأ الخمر : شراها ليشربها . وشائل الرجلين ، أى ممتلىء قد ارتفع مكان الرجلين منه .
(٣) المشرف : المنتصب الخلق .
(٤) الآطام : الحصون ؛ الواحد : أطم ، بضمتين .
(٥) حماسات : جمع حماسة ، وهى المنع والمحاربة .

وذُكر أنه لما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ضربُ امرأة زيد الراحلةَ بالنار واحتراق الكتاب، قال: بؤساً لبنى نَبْهان.

قصته مع الشيبانى الذى خرج يكسب لآله

وذُكر أنه أصابت بنى شَيبان سنةٌ ذهبت بالأموال، فخرج رجلٌ منهم بعياله حتى أنزلهم الحيرةَ، فقال لهم: كُونوا قريباً من المَلك يُصبكن من خيره حتى أرجع إليكن. وآلى أَلِيّةً ألّا يرجع حتى يكسبهن خيرا أو يموت. فتزوّد زاداً ثم مشى يوماً إلى الليل، فإذا هو بمُهر مُقيَّد يدور حول خباء[1]، فقال: هذا أول الغنيمة. فذهب يحلّه ويركبه. فنُودى: خلِّ عنه وانْج بنفسك. فنزل، ومضى سبعة أيام حتى انتهى إلى عَطن إبل مع تَطفيل الشمس، وإذا خِباء عظيم وقُبة من أدم. قال: فقلت فى نفسى: ما لهذا الخباء بُدّ من أهل، وما لهذه القُبة بُدّ من ربّ، وما لهذا العَطن بُد من إبل. فنظرت فى الخباء فإذا شيخ كبير قد اختلفت تَرْقُوتاه كأنه نسر، فجلست خلفه؛ فلما وَجبت الشمس إذا فارس قد أقبل لم أر فارساً قطُّ أعظمَ منه ولا أجسم، على فرس مُشرف، ومعه أسودان يَمشيان جَنَبَتَيْه[2]، وإذا مائة من الإبل مع فَحلها، فبرك الفَحل وبركت حوله، ونزل الفارس فقال لأحد عبديه: أَحلب فُلانة ثم أسق الشيخ. فحَلب فى عُس[3] حتى ملأه، ووضعه بين يدى الشيخ وتنحّى. فكرع منه الشيخ مرةً ومرّتين ثم نزع. فثُرْت إليه فشربته. فرجع إليه العبد فقال: يا مولاى، قد أتى على آخره. فقال له: أُحلب فلانة. فحلبها، ثم وضع العُس بين يدى الشيخ، فكرع منه واحدة ثم نزع. فثُرت إليه فشربتُ نصفه، وكرهتُ أن آتى على آخره فأُتَّهَم. فجاء العبد فأخذه، وقال لمولاه: قد شرب وروَى. فقال: دعه. ثم أمر بشاة فذُبحت، وشَوى للشيخ منها، ثم أكل هو وعبداه. فأمهلت حتى إذا ناموا وسمعتُ الغَطيط ثُرت

---

(١) فى بعض أصول الأغانى: «مقيد يد ورجل حول خباء».

(٢) الجنبة والجنب، بمعنى. (٣) العس: القدح الضخم.

إلى الفَحل فحللتُ عِقاله وركبتُه ، فاُندفع بى ، وتبعتْه الإبل ، فسرتُ ليلتى حتى الصباح ، فلما أصبحتُ نظرتُ فلم أر أحداً ، فشَلَلْتُها (١) شَلاًّ عَنيفاً حتى تعالى النهار . ثم التفتُّ فإذا بشىء كأنه طائر ، فما زال يدنو منّى حتى تبيّنته ، فإذا هو فارس على فرس ، وإذا هو صاحبى بالأمس ، فعقلت الفحل ونثلت كنانتى ووقفتُ بينه وبين الإبل . فقال : أحلل عقال الفحل . قلت : لا والله ، لقد خلفت نُسيّات بالحيرة وآليت ألّية ألّا أرجع حتّى أفيدهن خيراً أو أموت . قال : فإنك ميت ، حُلّ عقاله لا أُم لك . فقلت : ما هو إلا ما قلت لك . فقال : إنك لمغرور ، انصب لى خِطامه واُجعل فيه خمس عُجَر (٢) . ففعلتُ . فقال : أين تريد أن أضع سهمى ؟ فقلت : فى هذا الموضع . فكأنما وَضعه بيده . ثم أقبل يَرمى حتّى أصاب الخمسة بخَمسة أسهم . فرددتُ نَبلى وحَططتُ قوسى ووقفت مُستسلماً . فدنا منّى وأَخذ السيف والقوس ، ثم قال : اُرتدفْ خَلفى ، وعَرف أنى الرجل الذى شربتُ اللبن عنده . فقلت : كيف ظنُّك بى ؟ فقال : أَقبح (٣) ظَنّ . قلتُ : وكيف قلت لما لقيت من تعب ليلتك وقد أظفرك الله بى ؟ فقال : أترانا كُنا نَهيجك وقد بتّ تُنادم مُهلهلا . فقلت : أزيد الخيل أنت ؟ قال : نعم ، أنا زيد الخيل . فقلت : كن خير آخذ . فقال : ليس عليك بأس . فمضى إلى موضعه الذى كان فيه ، ثم قال : أما لو كانت هذه الإبل لى لسلمتُها إليك ، ولكنها لبنت مُهلهل ، فأقم علىّ فإنى على شرف غارة . فأقمتُ أياماً ، ثم أغار على بنى نُمير فأصاب مائة بعير ، فقال لى : هذه أحبّ إليك أم تلك ؟ فقلت : هذه . فقال : دونكها . وبعث معى خفراء من ماء إلى ماء ، حتى وردوا بى الحِيرة .

(١) الشل : الطرد .

(٢) العجر : العقد ، الواحدة عجرة .

(٣) فى غير التجريد : « أحسن » .

وكان عروة بن زيد الخيل فارساً شاعراً ، فشهد القادسية فحسُن فيها بلاؤه ، وشهد مع على بن أبى طالب رضى الله عنـه صفّين ، وعاش إلى خلافة معاوية بن أبى سفيان ، فأراده على البراءة من علىّ رضى الله عنه ، فامتنع عليه ، وقال : شىء عن عروة ابنـه

يحاولنى مُعـاوية بن حرب ... وليس إلى الذى يَهوى سبيلُ

على جَحْـدى أبا حَسن عليًّا ... وحقِّى من أبى حَسن جَليل

أخبار فندا

ثم ذكر أبو الفرج « فندا » مولى عائشة بنت سعد بن أبى وقّاص . وكان خليعاً مُتهتّكا يجمع بين الرجال والنساء فى منزله . وهو الذى يُضرب به المثل فى الإبطاء ، فيقال : هو أبطأ من فند .

ذُكر أن عائشة بنت سعد أرسلته ليجيئها بنار ، فخرج لذلك ، فاقى عيراً خارجة إلى مصر فخرج معهم . فلما كان بعد سنة رجع فأخذ ناراً ودخل على عائشة وهو يَعْدو فسقط ، وقد قرب منها فقال : تَعِست العجلة ! فقال فى ذلك بعض الشعراء :

ما رأينــا لسعيد مثــلا   إذ بعثناه يجى (1) بالمِشْمله (2)
غَير فِنــد بَعثوه قابساً   فثوَى حولاً وسَبَّ العَجله

---

(1) فى التجريد : « فجا » .

(2) المشملة ، بكسر الميم : كساء تجمع فيه المقدحة بآلاتها . وقيل : هى بفتح الميم ، أى مهب الشمال . يعنى الجانب الذى بعث نوح عليه السلام الغراب إليه ليأتيه بخبر الأرض أجفت أم لا . (انظر : مجمع الأمثال فى : تعست العجلة) .

أخبار نُبيه بن الحجاج

هو : نُبيه بن الحجّاج بن عامر بن حُذيفة بن سَعد بن سَهم بن عَمرو بن هُصيص أبن كَعب بن لؤى بن غالب . نسبه

وأُمه وأُم أخيه «مُنبّه» : أَروى بنت عُميلة بن السبّاق بن عبد الدار بن قُصى . أمه

كان هو و خوه مُنبّه من وجوه قريش وذوى النّباهة فيهم ، وكانا ممّن نَصب لرسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة . وقُتلا معاً يوم بدر مشركَيْن . هو وأخوه ومقتلهما

وكان نُبيه من شعراء قريش ، وهو القائل ، وقد سألته زوجتاه الطلاق : شعره لزوجتيه وقد سألتاه الطلاق

سالتانى [1] الطلاق إذ رأتانى ... قَلَّ مالِى قــد جئْتُمانى بنُكْرِ
فلعلِّى أن يكثُر المــالُ عندى ... ويُخَلَّى عن المغارم ظَهرى
وتُرى أعبدٌ لنــا وجياد ... ومَنــاصيف من ولائد عَشر
وَىْ كأنْ مَن يكُنْ له نَشَب يُحْـ ... ـبَبْ ومن يفتقر يَعِشْ عَيْش ضُرِّ

ويُروى له : ما يروى له

قالت سليمى إذ طرقتُ أزورها ... لا أبتغى إلا أمرأً ذا مالِ
لا أبتغى إلا أمرأً ذا ثروة ... كيما أَسُدّ [2] مَفاقرى وخِلالى
فلأحرصنّ على أكتساب مُحبّب ... ولأكسَبَنْ فى عِفَّة وجمال

وذُكر أن رجلاً من خثعم قَدِم مكة تاجراً ، ومعه أبنة له ، يقال لها : القَتول ، أوضأ نساء العالمين ، فَعلِقها نُبيه بن الحجاج وغَلب أباها عليها وأخذها . فقيل شعره الذى فيه الغناء وسببه

(١) فى بعض أصول الأغانى : « تسألانى » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « يسد » .

لأبيها : عليك بحلف الفُضول[(١)]. فأتاهم فشكا ذلك إليهم . فأتوا نُبيه بن الحجاج، فقالوا : أخرج بنت هذا الرجل من عندك . فقال : لا أفعل . قالوا : فإنّا من عرفت . فقال : يا قوم ، متّعونى بها الليلة . فقالوا: قَبحك الله ! ما أجهلك ! لا والله ولا شَخْب لِقحة [(٢)]. فأخرجها إليهم ، فأعطوها أباها . فقال نُبيه الشعر الذى فيه الغناء ، وأفتتح به أبو الفرج أخباره ، وهو :

حَيِّ الدُّويرة إذ نأتْ ... منّا على [(٣)] عُدوائِهــــا
لا بالفراق تُنيلنـــــا ... شـيئًا ولا بلقائهــــا

وهذا الشعر من قصيدة ، ومنها :

أخــذت حَشاشة قلبــه ... ونأت فـكيف [(٤)] بنائها
لولا الفُضـــول وأنه ... لا أَمن من[(٥)] عَدْوائها
لدنوتُ من أبياتهــا ... ولطُفت حول خِبائهــــا
ولجئتهـــا أمشى بلا ... هَــادٍ إلى ظَلْمائهـــــا
فشربتُ فَضْـــلة رِيقها ... ولبتُّ فى أحشائهــــا

(١) هو حلف قديم كان بمكة أيام جرهم ، على التناصف والأخذ للضعيف من القوى والغريب من القاطن . وسمى حلف الفضول لأنه قام به رجال من جرهم كلهم يسمى الفضل .
(٢) اللقحة : الناقة الحلوبة . والشخب : ما خرج من الضرع من اللبن إذا حلب .
(٣) الدريرة : تصغير : دار . وعلى عدوائها ، أى على بعدها وتنائيها .
(٤) بنائها ، أى بنأيها .
(٥) عدوائها ، أى اعتدائها ، وهو بالقصر ومد للشعر .

ذكر حلف الفضول

ذُكر أن رجلاً من بنى زُبيد قَدِم مكة مُعتمراً فى الجاهلية ، ومعه تجارة ، سببه
١ فاشتراها منه رجل من بنى سَهم ، فأواها [1] إلى بيته ثم تغيّب ، فابتغى متاعه الزُّبيدى فلم يقدر عليه . فجاء إلى بنى سَهم يَستعديهم عليه ، فأغلظوا له . فعرف أن لا سبيل إلى ماله ، فطوّف فى بُطون قريش يستعين بهم ، فتخاذلوا عنه . فلما رأى ذلك أشرفَ على أبى قُبيس [2] ، حين أخذت قريش مجالسها ، فقال :

يا آل فِهر لمَظلوم بضاعتُه ... ببَطن مكة نائى الدّار [3] والنَّفَرِ

وأشعثٍ مُحرمٍ لم يقْض حُرمته [4] ... بين المقام وبين الرُّكن والحَجرِ [5]

أقائمٌ من بنى سَهم بذمّتهم ... أم ذاهبٌ [6] فى ضلالٍ مالُ مُعتمر

فلما نزل أعظمت قريش ذلك ، فتكلّموا فيه ، فقال المُكّيون [7] : والله لئن قُمنا فى هذا لتغضبنّ الأحلاف . وقالت الأحلاف : والله لئن تكلّمنا فى هذا ليَغضبن المُكّيون . فقال ناس من قريش : تعالوا فلنكن حِلفاً فضولا دون المكّيين ودون الأحلاف . فاجتمعوا فى دار عبد الله بن جُدعان ، وصَنع لهم طعاماً

---

(١) فى غير التجريد : « فلوى بها » .   (٢) أبو قبيس : جبل بمكة .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الحى » .   (٤) فى غير التجريد :

* ومحرم شعث لم يقض عمرته *

(٥) الرواية فى غير التجريد :

* يا آل فهر وبين الحجر والحجر *

(٦) الرواية فى غير التجريد :

« أقائم من بنى سهم بخفرتهم * فعادل أم »

(٧) فى التجريد هنا : « الملكيون » وفى غير التجريد : « المطيبون » .

عظيماً كبيراً . وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم معهم يومئذ قبل أن يُوحى الله تعالى إليه ، وعمره يومئذ خمس وعشرون سنة . فاجتمعت بنو هاشم و بنو أسد و بنو زُهرة و بنو تَيم ، وتحالفوا على ألا يُظلم بمكة غريب ولا حُر ولا عَبد إلا كانوا معه ، حتى يأخذوا له بحقه ، و يُؤدوا إليه مَظلمته من أنفسهم ومن غيرهم . ثم عمدوا إلى ماء من زَمزم فجَعلوه فى جَفنة ، ثم بعثوا به إلى البيت فغُسلت به أركانه ، ثم أتوا به فشَربوه .

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه

وروت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لقد شهدتُ فى دار عبد الله بن جُدعان حلف الفُضول ، أمَا لو دُعيت إليه اليوم لأجبتُ ، وما أُحب أن لى به حُمر النَّعم وأنى نقضتُه .

كلمة فى سبب تسميته

و يقال: إنه سُمى هذا الحِلف حلفَ الفضول ، لأن نفراً من جُرهم ، يقال لهم : الفَضل، وفضال ، والفُضيل ، كانوا تحالفوا على ما تحالفت عليه هذه البُطون .

ذكر خبر
الحبشة وسيف بن ذي يزن

ذو نواس وغزو نجران

ذُكر أنّ ملكاً من مُلوك اليمن - يقال له : ذو نُوَاس - غزا أهل نَجران وكانوا نصارى ، على دين المسيح عليه السلام . فدعاهم إلى اليهودية فامتنعوا ، فحصرهم . ثم إنه ظَفِر بهم وحَفر لهم الأخاديد وحرقهم بالنار ، وحرق الإنجيل وهَدم بِيعهم .

تعقيب لابن واصل

قلت : قيل : هم أصحاب الأخدود الذين ذكرهم الله تعالى فى كتابه (قُتل أصحابُ الأُخدود . النار ذات الوَقود . إذ هم عليها قُعود. وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود)(1) فإن هؤلاء القوم كانوا على شَريعة المسيح عليه السلام لم يبدِّلوها ، وكان دين اليهود مَنْسوخاً .

قال أبو الفرج :

فرار دوس واستنجاده قيصر

ثم انصرف ذو نُواس إلى اليمن ، وأَفلت منه رجلٌ. يقال له : دوس ذو ثعلبان - على فرس ، فَركضه حتى أعجزهم فى الرمل ، ومَضى دوس إلى قيصر ملك الروم يستغيثه ويُخبره بما صنع ذو نُواس بنَجران ، ومن قَتل من النصارى ، وأنه أخرب كنائسهم و بَقر النساء ، فما فيها ناقوس يُضرب به . فقال له قيصر : بَعُدت بلادى عن بلادكم ، ولكنى أبعث إلى قوم من أهل ملّتى من السُّودان قريباً منكم فينصرونكم . قال دوس ذو ثَعلبان : فذاك إذن . فقال قيصر : إن هذا الذى أصنعه بكم أذل للعرب ، أن يطأها سُودان ليس ألوانهم على ألوانهم ، ولا ألسنتهم على ألسنتهم . فقال : الملك أنظر لأهل دينه ، إنما هم خَوله . فكتب قيصر إلى ملك الحبشة : أن انصر هذا الرجل الذى جاء يستنصرنى واغضب للنصرانية ، وأوطىء

---

(1) الآيات ٤ - ٧ من سورة البروج .

خروج أرياط إلى اليمن

بلادَهم الحبشة. فخرج دوس ذو ثعلبان بكتاب قيصر إلى ملك الحبشة. فلما قرأ كتابه أمر أرياط، وكان عظيماً من عظمائهم، أن يخرج معه ينصرُه. فخرج أرياط فى سبعين ألفاً من الحبشة، وقوّد على جُنده قُواداً من رؤوسهم. وأقبل بفِيلة، وكان معه أبرهة. وكان فى عَهد ملك الحبشة إلى أرياط: إذا دخلتَ اليمن فاقتُل ثُلث رجالها، وخرّب ثلث بلادها، وابعث إلىّ ثلث نسائها، فخرج أرياط فى الُجنود فحَملهم فى السُّفن فى البحر يعبُر بهم حتى ورد اليمن. وقد قدّم مقدّمات الحبشة. فرأى أهلُ اليمن جنداً كبيراً، فلما تلاحقوا قام أرياط فى جنده خطيباً فقال: يا معشر الحبشة، قد علمتُم أنكم لن تَرجعوا إلى بلادكم، هذا البحر بين أيديكم، إن دخلتموه غرقتم، وإن سلكتم البرّ هلكتم واتّخذتْكم العربُ عبيداً، وليس لكم إلا الصبر حتى تموتُوا وتقتلوا عدوكم. وجَمع ذو نُواس جمعاً كثيراً، وجاء إليهم فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً. فكانت الدولة للحبشة، وانهزم ذو نُواس وأصحابُه فى كل وجه. ولما تخوّف ذو نواس أن يُؤسرَ ركض فرسه فاستعرض به البحر وقال: الموت فى البحر أحسن من إسارٍ أسود. ثم أقحم فرسَه فى لُجّة البحر، فمضى به فرسُه فكان آخرُ العهد به. واستولى أرياط على اليمن، فقتَل ثلثا، وبعث ثلث السبى إلى ملك الحبشة، وخَرّب تلك البلاد، وملك اليَمن، وهَدم حصونها. وكانت حصوناً منيعة، منها: غُمدان.

مقتل أرياط وظهور أبرهة

فلما استقر مُلك أرياط أخذ الأموال، وأظهر العطاء فى أهل الشرف. فغَضبت الحبشة حين أعطى أشرافهم وترك فقراءهم. فشكا بعض الفقراء ذلك إلى بعض. فقال لهم قائد من قواد الحبشة ــ يقال له: أبرهة ــ: لو أن رجلا غضب لغضبكم إذاً لأسلمتموه حتى يُذبح كما تُذبح الشاة؟ فقالوا: لا والمسيح، ما كُنا لنُسلمه أبدا. فواثقوه بالإنجيل أنهم لا يُسلمونه حتى يموتوا عن آخرهم. فنادى مناديه فيهم، فاجتمعوا إليه. وبلغ ذلك أرياط، فلم يصدّق به، فقال له خاصته: فأرسل إليه، فإن

أتاك فالأمر باطل ، و إن لم يأتك فاُعلم أنه كما يقال . فأرسل إليه : أن أجب الملك . فجثا على ركبتيه وخَرّ لوجهه وأخذ عُوداً من الأرض فجعله فى فيه ، وقال : اُذهب إلى الملك فأخبره بما رأيتَ منّى ، أنا أخلعه ! أنا أشدُّ تعظيماً له من ذلك ، وأنا آتيه على أربع قوائم بحساب البهيمة . فرجع الرسولُ إلى أرياط فأخبره الخبر . فقال : ألم أقل لكم ! فقالوا : الملك أعقل وأعلم منّا . فلما ولّى الرسول من عند أبرهة وتوارى صاح أبرهة فى الفقراء من الحبشة ، فاجتمعوا معهم السلاح والآلة التى كانوا يعملون بها ويهدمون المُدن ، ثم صفّوا صفّا ، وصفوا خلفه آخر . فلما أبطأ أبرهة على الملك أرياط ، وهو يرى أنه يأتيه على أربع قوائم كما قال ، ورأى أرياط خبر ما صنع أبرهة ، ركب فى الأشراف وأتباعهم فى السلاح وجاءوا بالفيلة — وكانت سبعة — فلما دنا بعضهم من بعض برز أبرهة بين الصفين ، ونادى بأعلى صوته : يا معشر الحبشة ، الله ربنا ، والإنجيل كتابنا ، وعيسى نبينا ، والنجاشى ملكنا ، علامَ يقتل بعضنا بعضا فى مذهب النّصرانية ، هذا رجل وأنا رجل ، فخَلُّوا بينى و بينه فإن قتلنى عاد الملك إلى ما كان عليه من أثرة الأغنياء وهلاك الفقراء ، و إن قتلته سلمتُم وعملت فيكم بالإنصاف بينكم ما بقيتُ . فقال الأشراف والقُوّاد من الحبشة : قد أخبرناك أنه قد صنع ما ترى ، وقد أبيتَ إلّا حسن الرأى فيه ، وقد أنصفك . وكان أرياط قد عُرف بالشجاعة والنجدة ، وكان جميلاً . وكان أبرهة قصيراً دميا ضعيفَ الفؤاد . فاُستحيا أرياط من القُواد أن يجبُن ، فبرز بين الصفين . ومشى أحدهما إلى صاحبه ، وحمل عليه أرياط ، فضرب أرياط أبرهة ضربةً وقع منها حاجباه وعامّة أنفه . ووقع بين رجلى أرياط . فعَمَد أبرهة إلى عمامة فشد بها وجهه ، وسكن الدم والتأم الجرح ، وأخذ عودا فجعله فى فيه ، وقال : أيها الملك ، إنما أنا شاة فاُصنع ما أردت ، فقد أبصرت أمرى . ففرح أرياط بما صنع ، وكان قد سَمّ خنجراً وجعله فى بطن فخذه كأنه خافية نسر . فلما رأى أبرهة أن أرياط قد انكسر

عنه ، وهو ينظر يميناً وشمالاً ليراه قواد الحبشة ، أستل خنجره فطعنه فى فرج درعه فأثبته ، وخر أرياط على قفاه ، وقعد أبرهة على صدره فأجهز عليه . فسُمِّى أبرهة الأشرم بتلك الضربة التى شَرمت وجهه وأنفه . فانقادت له الحبشة ، وملك اليمن عشرين سنة . .

تعقيب لابن واصل عن غزو أبرهة مكة

قلت: إن أبرهة الأشرم هذا لمّا استقر ملكه بنى كنيسة عظيمة وأمر العرب أن تحُجها بدلاً عن الكعبة . فجاء رجل من العرب فأحدث فى الكنيسة . فغضب أبرهة وحلف ليغزونّ مكة وليهدمنّ الكعبة ــ شرفها الله ــ فتوجّه إليها بجنوده ومعه الفيل . فلما قرُب من مكة أرسل الله طُيوراً ترجُم العسكر بحجارة صغار ، فما يقع حَجر على شخص منهم إلا هلك . ففى ذلك نزل قوله تعالى (ألم تر كيف فعل ربُّك بأصحاب الفيل) إلى آخر السورة . وكان مولد النبى صلى الله عليه وسلم فى سنة الفيل . ورجع أبرهة إلى اليمن وأعضاؤه تساقط عُضواً عُضواً .

استنجاد العرب بكسرى على الحبشة

قال أبو الفرج :

ثم ملك بعدَ أبرهة ابنهُ يكسوم . ثم ملك بعد يكسوم أخوه مَسروق بن أبرهة ، وأمه ريحانة بنت ذى يزن ، أخت سيف بن ذى يزن .

قيل : فلما طال على أهل اليمن البلاء ، مَشوْا إلى سيف بن ذى يزن الحِمْيرىّ وكلّموه فى الخُروج والانتصار للعرب من الحبشة . فخرج حتى أتى قيصر ملك الروم ، فكلّمه على أن ينصُره على الحبشة . فأبى وقال : الحبشة على دينى وملّتى ، وأنتم على دين اليهود . فخَرج من عنده وقَصد كسْرى ملك الفرس . فلما حضر عنده قال : غُلبنا على بلادنا ودَخل الأحابيش علينا ، وأنا أقربُ إليك منهم ، لأنى أبيض وأنت أبيض وهم سودان . فقال : بلادك بلاد بعيدة ، فلا أبعث معك جيشاً فى غير مَنفعة ولا أمر أخافه على ملكى . فلما أيأسه من النصرة أمر له

بعشرة آلاف وافٍ [1] وكساه كُسى . فلما خرج بها من باب كسرى فرّقها بين العَبيد والصبيان . فرأى ذلك أصحابُ كسرى ، فذكروه له . فأرسل إليه : ما صنعت بجائزة الملك تنثرها للناس ؟ فقال سيف : وما أعطانى الملك ! جبال أرضى ذهب وفضة . جئتُ الملكَ ليمنعنى الظُّلم ولم آته ليُعطينى الدراهم ، ولو أردت الدراهم كان ذلك فى بلادى كثيراً . فقال كسرى : أنظر فى أمرك . فخرج سيفٌ على طَمع ، فأقام عنده . فجعل كلما ركب كِسرى مركباً عَرض له . فجمع كسرى مرازبته فقال : ما ترون فى هذا العربى ، فقد رأيت رجلاً جلداً ؟ فقال قائل منهم : إن فى السجون قوماً قد حَبسهم الملك فى موجدة عليهم ، فلو بعث بهم الملك معه ، فإن قُتلوا استراح منهم ، وإن ظفروا بما يُريده هذا العربى فهو زيادة فى مُلك الملك .

خروج وهرز إلى اليمن

فقال كسرى : هذا الرأى . فأمر بهم كسرى فأُحضروا ، فوُجدوا ثمانمائة رجل . فولّى أمرَهم رجلاً منهم ـ يقال له : وهرز ـ وكان رامياً شجاعاً ، وأعطاهم سلاحاً ، وحملهم فى البحر فى ثمان سَفائن ، فغَرِقت سفينتان و بقى مَن بقى منهم ، وهم ستمائة رجل . فأرسوا إلى ساحل عدن . فلما أرسوا قال وهرز لسيف بن ذى يزن : ما عندك ؟ فقد جئنا بلادك . قال : ما شئت من رجل عربىّ وفرس عربى . ثم إن رِجْلى مع رجلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً . قال وهرز : أنصفت . فاستلحق [2] سيفٌ من أُستطاع من اليمن . ثم زحفوا إلى مسروق ابن أبرهة . فجمع إليه جنده من الحبشة ، وسار إليهم ، والتقى العسكران ، وأَتت أَمداد العرب من أَهل اليمن سيفاً . فبعث وهرز أُبناً له على جريدة خيل ، فقال : ناوشوهم القتال حتى ننظر كيف قتالهم ، فناوشهم ابنُه وناوشوهم شيئاً من قتال . ثم تورط ابنه فى هُلكة لم يستطع التخلص منها ، فاشتملوا عليه فقتلوه . فازداد

(١) الوافى : درهم وأربعة دوانيق .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فاستجلب » .

وهرز عليهم حنقاً ، وسيىء العرب وفرحت الحبشة ، وأظهروا الصليب ، فأوتر وهرز قوسه ــ وكان لا يقدر أحد أن يُوترها غيره ــ فقال وهرز والناس على صُفوفهم : انظروا أين ترون ملكهم ، فقال سيف : أرى رجلاً قاعداً على الفيل تاجُه على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء . قال : ذلك ملكهم . فقال وهرز ، اُتركوه . ثم وقف طويلّا ثم قال : انظروا هل تحول . فنظر سيف فقال : تحول على فرس . فقال هذا منه اختلاط . ثم وقف طويلّا فقال : انظروا هل تحول . فقال سيف : تحول على بغلة . فقال : أبنة الحمار ، ذلّ الأسود وذلّ مُلكه . ثم قال لأصحابه : إنى سأقتله فى هذه الرمية ، فتأملوا النّشابة . وأخذ النشابة وجعل فُوقها فى الوتر ، ثم نزع فيها حتى ملأها ، وكان أيِّدا ، ثم أرسلها فصكت الياقوته التى بين عينى ملكهم مسروق ، وتغلغلت النّشابة فى رأسه حتى خرجت من قفاه . وحملت عليهم الفرس ، وانهزمت الحبشة فى كل وجه ، وقُتل ملكهم مسروق . وجَعلت حِمير تقتل من أدركت منهم ، وتُجهز على جريحهم . وأقبل وهرز يريد دُخول صنعاء ــ وكانت بقرب موضع اللقاء ــ فلما دنا من باب المدينة رآه صغيراً ، فقال : لا تدخُل رايتى منكسة أبداً ، اُهدموا الباب . فهدموا باب صنعاء ، ودخل ناصباً رايته وسِير بها بين يديه . فقال سيف بن ذى يزن : ذهب مُلك حِمير آخر الدهر ، لا يرجع إليهم أبدا .

فملك وهرز المدينة ، وقهر الحبشة ، وكتب إلى كسرى يُخبره : إنى ملكت اليمن ، وهى أرض العرب القديمة التى يكون فيها ملكهم . و بعث بجوهر وعُود وزباد(١) وعنبر وأموال . فكتب إليه كسرى يأمره أن يمَلّك سيف بن ذى يزن على اليمن . ويقدم وهرز إلى كسرى ، فخلف سيفاً على اليمن فملكها ، وجعل يقتل رجال الحبشة ويبقر نساءها عمّا فى بطونها حتى أفناها إلّا بقايا منها أهل ذمة

(١) الزباد : الطيب .

وقلّة ، فاتخذهم خَوَلًا . وكان قد آلَى ألّا يَشرب الخمر ولا يَمسّ أمرأة حتى يُدرك ثأره من الحبشة . فجُعلت له حُلتان واسعتان فأتزر بواحدة وأرتدى الأخرى . وجلس على رأس غُمدان يشرب و بَرّت يمينه .

ملك سيف ووفود العرب عليه تهنئه

وأختُلف فى سَنة مُلك سيفِ اليمنَ ، فقيل : كان بعد مولد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بسنتين ، وأن وُفود العرب وأشرافها وشعراءها أتته للتهنئة . فأتتْه وُفود قريش ، وفيهم عبدُ المطلب بن هاشم ، وأبن عمه أميــة بن عبد شمس ، وخويلد ابن أسد ، فى ناس من وجوه قريش ، فأتوه بصَنعاء فى رأس قصر له — يقال له : غُمدان — فاستؤذن لهم ، فدخلوا عليه وهو على شرابه ، وعلى رأسه غلام واقف ينثر فى مَفرقه المسك ، وعن يمينــه ويساره الُملوك والَمقاول ، و بين يديه أُميــة بن أبى الصلت — وأسمه : عبد الله بن ربيعة بن عمرو بن عُقدة بن عنزة بن عوف ابن قَسِىّ ، وهو ثقيف — وهو يُنشده مدحه فيه :

ليطلُب الثأر أمثــالُ أبن ذى يزن ... فى البحر خَيّمَ [1] للأعداء أحوالَا
أتَى هِرَقْل وقــد شالت نعامتُه ... فلم يجد عنده النَّصر الذى ســالا
ثم أنتحى نحو كِسرى بعــد عاشرةٍ ... من السِّــنين يُهين النفسَ والمــالا
حتى أتى ببَنِى الأحرار يقــدُمهم ... تخــالهم فوق مَتْن الأرض أجبالا
لله دَرّهمُ من فِتيــــةٍ صُـــبُر ... ما إن رأيتُ لهم فى الناسِ أمثــالا
بِيضٌ مَرازبة غُلب أســـاورة ... أُسدٌ تُرَبِّبُ [2] فى الغيضات أشبالا
فأشرب هنيئاً عليك التاج [3] مُرتفقا ... فى رأس غُمدان دَاراً منك محلالا
ثم أطل بالمسك إذ [4] شالت نعامتُهم ... وأَسْبِل اليومَ فى بُرْديك إسبالا

---

(١) خيم : ... (٢) تربت : تربى . (٣) مرتفقاً : متكئاً .
(٤) شالت نعامتهم ، أى بادوا وتفرقوا ، كأنهم لم تبق منهم إلا بقية . والنعامة : الجماعة .

تلكَ المكارمُ لا[١] قَعْبان من لَبَن ... شِيبا بماء فعادَا بعدُ أبوالا

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج هذه الأخبار ، هو البيت الأول من هذه الأبيات والبيت الأخير .

فبدأ عبدُ المُطلب فاستأذن فى الكلام . فقال له سيف بن ذى يزن : إن كنت ممن يتكلّم بين يدى الملوك فقد أذنّا لك . فقال عبد المطلب : إن الله أحلَّك أيها الملك مَحَلا رفيعاً ، صَعباً مَنيعاً ، شامخاً باذخاً ، وأنبتك منبتاً طابت أرومته ، وعزّت جُرثومته ؛ فى أكرم موطن ، وأطيب مَعْدن ؛ فأنت أبيت اللعن ملك العرب ، وربيعها الذى به تُخصب . وأنت أيها الملك رأس العرب الذى له تنقاد ، وعمودها الذى عليه العماد ، ومعقلها الذى إليه تلجأ العباد ، فسلفك خير سلف ، وأنت منهم خير خلف ، فلن يخمل من أنت خلفه ، ولن يهلك من أنت سلفه ، نحن أهل حرم الله وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذى أبهجنا لكشفك الكرب عن وجوه العرب . فنحن وفود التهنئة لا وفود المَرْزئة . فقال : فأيهم أنت أيها المتكلم ؟ قال : عبد المطلب بن هاشم . قال ابن أختنا ؟ قال : نعم . فأدناه حتى أجلسه إلى جنبه . ثم أقبل على القوم وعليه وقال : مرحباً وأهلا ، وناقة ورحلا ، ومناخاً سهلا ، ومَلِكا ربحلا[٢] ؛ يعطى عطاء جزلا ، قدسمع الملك مقالَتكم ، وقبل وسيلتكم ، وأنتم أهل الشرف والنباهة ، ولكم الكرامة ما أقمتم ، والحباء إذا ظعنتم . ثم أُستُنهضوا إلى دار الضيافة والوفود . فأقاموا شهراً فيها لا يَصلون إليه ولا يُؤذن لهم فى الانصراف ، وأُجريت عليهم الأنْزال . ثم انتبه لهم انتباهة ، فأرسل إلى عبد المطلب فأدناه ، وأخلى مجلسه ثم قال : يا عبد المطلب ، إنى مُفْضٍ[٣] إليك

(١) القعب : القدح الضخم .

(٢) ربحل : عظيم الشأن ، كثير العطاء .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « مفوض » .

من سر عِلْمى أمراً لو يكون غيرك لم أَبح به ، ولكنى رأيتك موضعه فأطلعتُك عليه ، فَلْيكن عندك مطويًّا حتى يأذن الله فيه ، فإن الله بالغ أمره : إنى أجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى اُخترناه لأنفسنا فاحتجبناه دون غيرنا خبراً عظيما ، وخطراً جسيما ، فيه شرف الحياة وفضل[(١)] الوفاة ، للناس عامة ، ولرهطك خاصة . فقال عبد المطلب : مثلك أيها الملك سَرّ وبَر ، فما هو ؟ فِداك أهل الوَبَر زُمرا بعد زمر . فقال سيف : إذا وُلد غلام بتهامة ، بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ولكم به الزعامة ، إلى يوم القيامة . فقال عبد المطلب : أيها الملك ، لقد أُبتُ بخَير ما آب بمثله وافد ، ولولا هيبة الملك وإكرامه وإعظامه لسألته أن يزيدنى فى البشارة ، لأزداد به سروراً . فقال سيف : هذا حينُه الذى يولد فيه ، أو قد وُلد ، واُسمه محمد ، يموت أبوه وأمه ، ويكفلُه جده وعمه . وقد ولدناه مرارا ، والله باعثُه جهاراً ، وجاعل له منّا أنصاراً ، يُعز بهم أولياءه ، ويُذل بهم أعداءه ؛ يضرب بهم الناس عن عُرض ، ويستبيح كرائم الأرض ، يخمد النيران ، ويكسر الأوثان ، ويعبد الرحمن ، قوله فصل، وحكمه عدل ؛ يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويُبطله . فقال عبد المطلب : أيها الملك ، عزّ جدك ، وعلا كعبك ، ودام مُلكك ، وطال عمرك ، فهل الملك مُخبرى بإفصاح ، فقد أوضح لى بعض الإيضاح ؟ فقال سيف بن ذى يزن : والبيت ذى الحُجب ، والعلامات على النُّصب ، إنك يا عبد المطلب ، لجدّه غير الكذب . فخرّ عبد المطلب ساجداً . فقال : اُرفع رأسك ، ثلج صدرك ، وعلا أمرك ، فهل أحسست شيئاً مما ذكرت لك . فقال له عبد المطلب : كان لى اُبنٌ وكنت به مُعجباً وعليه رفيقاً ، زوّجته كريمة من كرائم قومى اُسمها آمنة بنت وهب ، فجاءت بغلام سمّيته محمداً ، مات أبوه وأمه ، وكفلته أنا وعمه . فقال سيف : الأمر ما قلت لك ، فاحتفظ باُبنك

(١) فى غير التجريد : « وفضيلة » .

وأحذر عليه من اليهود ، فإنهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم إليه سبيلا ، وأطوِ ما ذكرت لك عن هؤلاء الرّهط الذين معك فإنى لست آمن أن تدخلهم النَّفاسة من أن تكون له الرياسة، فينصبون له الحبائل، ويطلبون له الغوائل ، وهم فاعلون، وبطيئاً ما يجيبه قومه ، وسيلقى منهم عنتا ، والله مُفلج[1] حجته ، ومُظهر دعوته ، وناصر شيعته . ولولا أنى أعلم أن الموت مجتاحى قبل مَبعثه لسرتُ بخيلى ورَجْلى حتى أُصيِّر يَثرب دار مُلكى ، وإنى أجد فى الكتاب المكنون أن بيثرب أُستحكامَ أمره ، وأهل نُصرته وموضع قبره ، ولولا أنى أتوقى عليه الآفات ، وأحذر عليه العاهات ، لأعلنت أمره على حداثة سنه . ولكنى صارف ذلك إليك عن غير تقصير منى بمن معك .

ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أعبُد وعشرة إماء ومائة من الإبل وحُلتين بُرودا ، وخمسة أرطال ذهباً ، وعشرة أرطال فضة ، وكَرِش مملوء عَنبراً . وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك . وقال : يا عبد المطلب ، إذا حال الحَوْل فأتنى . فمات ابن ذى يزن قبل أن يحُول عليه الحول . وكان عبد المطلب كثيراً ما يقول : يا معشر قريش ، لا يَغبطنى رجل منكم بجَزيل عطاء الملك وإن كثر ، فإنه إلى نفاد ، ولكن ليغبطنى بما يبقى لى شرفه إلى يوم القيامة . فإذا قيل له : وما ذاك ؟ قال : ستعلمون ما أقول ولو بعد حين .

سنة ملك بن ذى يزن

وقيل : إن السنة التى ملك فيها سيف بن ذى يزن كان للنبىّ صلى الله عليه وسلم من العمر فيها ثلاثون سنة ، وأنها كانت بعد عام الفجار بعشر سنين ، وقَبل بُنيان قريش الكعبة بخمس سنين .

ملك أبرهة وخلفه من ملوك الحبشة

وهذا القائل قال : إن أبرهة ملك ثلاثاً وعشرين سنة ، وملك ابنه يكسوم

(١) فى غير التجريد : « مبلج » .

تسع عشرة سنة . وملك مسروق اثنتى عشرة سنة ، فهذه اثنتان وسبعون سنة من حين غَلبت الحبشة على اليمن إلى انفصال أمرهم .

وذُكر أن سيف بن ذى يزن كان قد اتخذ من الحبشة جماعةً يحملون الحراب بين يديه ، فركب يوماً يتصيّد ، وهم معه بحرابهم يسعَوْن بها بين يديه ، حتى إذا كان وسطاً بينهم مالوا عليه بحرابهم فطعنوه بها حتى قتلوه . مقتل بن ذى يزن

أخبار أبي عطاء السندي

نسبه — وهو أفلح بن يسار، مولى بني أسد، ثم مولى عمرو[1] بن سماك بن حصين الأسديّ.

مخضرم الدولتين — وهو مُخَضرم الدّولتين: العباسية والأموية. ومنشؤه بالكوفة. وكان أبوه سِنديًّا لا يُفصح.

هو وسليمان ابن سليم — وكان في لسان أبي عَطاء عُجمة شديدة ولَثغة، لا يكاد يُفصح. وفي ذلك يقول لسليمان بن سُليم الكِلابيّ، وقد قصده:

أعوزتْني الرُّواة يابن سُليم ... وأبَى أن يُقيم شِعْري لِساني

وغلَا بالّذي أُجمجم صدري ... وجفاني لعُجمتي شَيطاني

وأزدرتْني العُيون[2] إذا كان لوني ... حالكاً مُجْتوًى من الألوان

فضربتُ الأمور ظَهراً لبطَن ... كيف أحتال حيلةً للساني

وتمنّيتُ أنّني كنتُ بالشِّعـ ... ـر فصيحاً وبان بعضُ بَناني

ثم أصبحتُ قد أنختُ رِكابي ... عند رَحب الفِناء والأعطان

فاكْفِني ما يضيق عنه رُواتي ... بفَصيح من صالحي الغلمان

يُفهم الناس ما أقول من الشِّـ ... ـعر فإن البيان قد أعياني

وأعتمدني[3] بالشُّكر يأبنُ سليم ... في بلادي وسائر البلدان

ستُوافيهمُ قصائد غُرّ ... فيك سبّاقة لكُلّ لِسان

---

(١) في التجريد: «مولى بني عنبر».

(٢) في التجريد: «الرواة».

(٣) في التجريد: «واعتقدني».

فقديماً جعلتُ شكرى جزاء ... كُل ذى نِعْمة بما أَوْلانى
لم تزل تَشترى المحامد قِدْماً ... بالرَّبيح الغالى من الأثمان

فأمر له بوَصيف بربرىّ فصيح ، فسمّاه عطاء ، وتكنّى به وروّاه شعره . فكان إذا أراد إنشاد مديح لمن يجتديه ، أو مُذاكرة بشعر(١) أمره بإنشاده .

أموى الهوى

وذُكر أن أبا عطاء السندى كان من أهل الهوى فى بنى أُمية والميل إليهم ، وشَهد معهم حرب بنى العبّاس فأَبلى ، وقُتل غلامُه عطاء وأُنهزم هو . وقيل إن المقتول أبنه لا غلامه . ولم يكن له نباهة فى أيام بنى العباس ، وهجاهم فى آخر أيام المنصور .

هو والمنصور

وذُكر أن أبا عطاء مدح أبا جعفر المنصور فلم يُثبه ، وأَظهر الأنحراف عنه لعلمه بمذهبه فى بني أُمية ، فعادوه المدح له . فقال له : يا ماص بظر أُمه ! ألست القائل فى عدو الله الفاجر نَصر بن سيّار ترثيه :

فاضت دُموعى على نَصرٍ وما ظَلمتْ ... عينٌ تَفيض على نَصر بن سيّارِ
يا نَصر من للقاء الحرب(٢) إن لَقِحت ... يا نصر بعدك أو للضَّيف والجار
الخِنْدِقىّ الذى يَحمى حقيقته ... فى كل يوم مَخوف الشر والعار
والقائد الخيل قُبًّا(٣) فى أعنّتها ... بالقوم حتى يلفّ الغار(٤) بالغار
مِن كل أبيض كالمِصباح من مُضر ... يجلو بسُنته الظَّلماء للسّارى
ماضٍ على الهول مِقْدام إذا اعترضت ... سُمر الرماح وولَّى كُل فرّار
إن قال قولاً وفَى بالقول موعدُه ... إنّ الكنانىّ وافٍ غيرُ غدّار

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أو مذاكرة لشعره أنشده » .

(٢) لقحت ، أى ثقلت واشتدت . تشبيهاً لها بالأنثى الحامل .

(٣) قبا : ضامرة .   (٤) فى بعض أصول الأغانى : « القار بالقار » .

والله لا أعطيتُك شيئاً أبدا . فخرج من عنده وقال عدةَ قصائد يذُمه فيها . منها قوله :

فليت جَوْر بنى مَروان عاد لنا ... وليت عَدْلَ بنى العبّاس فى النار

وقال أيضاً :

أليس الله يعلم أنّ قلبى ... يُحب بنى أُمية ما اُستطاعَا

ومابى أن يكونوا أهلَ عدل ... ولكنّى رأيت الأمر ضاعا

وذُكر أن المنصور لما أمر الناس بلُبس السّواد لَبسه أبو عطاء وقال :

لبستُ ولم أُكفُر من الله نعمة ... سوادًا إلى لونى ودينَا مُلهوجَا

وبايعتُ كرهاً بيعةً بعد بَيعة ... مبهرجة إذ كان أمراً مبهرجا

هو وحماد الراوية فى بيت

وحكى حمَّاد الراوية قال :

أنشدت أبا عطاء السندى هذا البيت :

إذا كنتَ فى حاجة مُرسلا ... فأرسل حكيماً ولا تُوصه

فقال أبو عطاء : بئس ما قال ! قلت : فكيف كان يقول ؟ قال : كان يقول :

إذا أرسلت فى أمر رسولا ... فأفهمه وأرسله أديبَا

فإن ضيعت ذاك فلا تَلُمه ... على أن لم يكن عَلِم الغُيوبا

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى عطاء السندى ، هو :

إذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه ... شكا الفقر أو لام الصَّديق فأكثرَا

وصار على الأدنين كَلاًّ وأوشكت ... صِلات ذوى القُربى له أن تنكَّرا

فلاترضَ من عيش بدُون ولا تنم ... وكيف ينام الليلَ من كان مُعْسِرا

أخبار خالد بن يزيد

(*) هو خالدُ بن يزيدَ بن مُعاوية بن أبى سُفيان صَخْر بن حَرب بن أُمية أبوه
أبن عَبد شَمس بن عَبد مَناف .

وأمه أُم هشام بنت هاشم بن عُتبة بن رَبيعة بن عبد شَمس . أمه

وكان من رِجالات قُريش سخاءً وعارضةً وفَصاحة . وكان قد شغل نفسَه بطَلب الكيمياء ، وأفنى بذلك عُمره ، وأسقط نَفْسَه . شهرته

قلت : أصحابُ هذه الصناعة يجعلونه قُدوتهم و إمامهم و يتَمسّكون بنُصوصه . وعندى أنّ هذا لم يحصُل له ولا لغيره ، ولم يحصُلوا إلا على عمل الزَّيف والبَهْرج . تعقيب لابن واصل

ولما تُوفِّى أبوه يَزيدُ بن مُعاوية وَلِى الخلافةَ بعده مُعاوية الأصغر بن يزيد بن معاوية . فلم يُقِم إلا شهراً ، ثم تُوفى . وكان خالد بن يزيد صغيراً ، فلم تؤل إليه الخلافة . وقدم من المدينة مروانُ بن الحكم بن العاص بن أُمية ، فبايعه بعضُ الناس بالشام ، و بايع بعضُهم لعبد الله بن الزبير ، وأجتمعت الزُّبيرية إلى الضحّاك أبن قيس الفِهرىّ ، وكانت بينه و بين مَروان وَقعة عظيمة بمَرج راهط ، قُتل فيها الضحّاك وأنهزم أصحابه ، وأستقر الأمرُ لمَروان بن الحكم ، فدَخل دمشقَ ، و بايعه الناسُ ، وأستوثق له مُلْك الشام . ثم مَضى إلى مصر فملكها . واجتمع لأبن الزبير الحجاز والعراقان ، ومَضى مروان فى الخلافة عشرة أشهر ؛ ثم تُوفى ، وولى بعده أبنُه عبد الملك ، وقُتل أبن الزبير فى أيامه ، وصَفت له الدنيا . كيف وثب مروان إلى الخلافة

وكان مروانُ لمّا غلب على الأمر تزوّج أم خالد بن يزيد بن معاوية . فقال زواج مروان بأم خالد ومقتله

(*) هنا بهامش الأصل : « بلغت قراءة على المؤلف ومعارضاً بأصله المنقول منه وهو بيده » .

مروان لخالد يوماً فى الملأ، وأراد تصغير شأنه : يأبن الرطبة الأُست . فقال خالد له : إنّ الأمير مُخْتبر ، وأنت بهذا أعلم . ثم أتى أمه وقال لها : أنت صنعتِ بى هذا ! فقالت : دَعْه ، فإنّه لا يقولها لك بعد اليوم . فدخل مروان عليها فقال : هل أخبرك خالد بشىء ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ، خالد أشدُّ تعظيماً لك من أن يذكر لى شيئاً جرى بينك وبينه . فلما أمسى مروان وضعتْ مخدّة على وَجهه وقعدتْ عليها هى وجواريها حتى مات . فلما ولى عبدُ الملك الخلافة أراد قَتلها بأبيه ، وبلغها ذلك ، فقالت له : أما إنه ما أشد عليك أن يَعلم الناسُ أن أباك قتلته أمرأة . فكفّ عنها .

هو وأخوه مع عبد الملك فى شأن الوليد ابنه

وذُكر أنه دخل عبدُ الله بن يزيد بن معاوية على أخيه خالد ، فقال : لقد هممتُ اليوم بقتل الوليد بن عبد الملك . فقال له خالد . بئس ما هممت به فى أبن أمير المؤمنين وولىّ عهد المسلمين ! فقال : انه لقى خيلى فنفرّها وتلاعب بها . فقال له خالد : أنا أكفيكه إن شاء الله . فدخل خالد على عبد الملك بن مروان ، وعنده الوليد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ان ولى عهد المسلمين الوليد ، أبن أمير المؤمنين ، لقى خيل أبن عمه عبدالله بن يزيد فنفَّرها وتلاعب بها ، فشقّ ذلك على عبد الله . فنكس عبدُ الملك رأسه وقَرع القضيب بيده ، ثم رفع رأسه فقال : (إنّ الملوك إذا دخلوا قريةً أفسدوها وجَعلوا أعزّة أهلها أذلّةً وكذلك يفْعلون) . فقال له خالد : (وإذا أردنا أن نُهلك قريةً أمرنا مُترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القولُ فدمّرناها تَدْميرا) . فقال له عبد الملك : أتكلّمنى فيه وقد دخل علىّ لا يُقيم لسانَه لحنا . فقال له خالد : يا أمير المؤمنين ، أفَعلى الوليد تقول فى اللحن . قال : إن يكن لحّاناً فأخوه سُليمان . قال : وإن يكن عبدُ الله لحّاناً فأخوه خالد . فقال الوليد لخالد : أتكلمنى ولست فى عِير ولا نفير . فقال خالد : ألا تَسمع يا أمير المؤمنين ما يقول هذا : أنا والله أبن العير والنَّفير ، جدّى عُتبة بن ربيعة صاحب النَّفير ،

وجدى أبو سُفيان صاحب العـــير . ولكن لو قلت حُبيلات [١] وغُنيات ، والطائف صدقت ، ورحم الله عثمان .

هذا آخر الحديث .

تعقيب لأبى الفرج

قال أبو الفرج : إنما عيّره بأم مروان وأنها من الطائف . وترحم لعثمان لرَدّ عُثمانَ ـ رضى الله عنه ـ أباه الطَّريد [٢] .

تندره بمعاوية بن مروان

وذكر أن مُعاوية بن مروان كان ضعيف العقل ، فقال له خالد بن يزيد : يا أبا المُغيرة ، ما أهونك على أخيك ، لا يُولّيك ولاية ؛ قال : لو أردتُ لفعل . قال : كلا . قال : بلى والله . قال : فسَلْه أن يُولّيك بيت لِهْيا [٣] . قال : نعم . فدخل معاوية بن مروان على أخيه عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، ألستُ أخاك ؟ قال : بلى ، إنك لأخى وشقيقى . قال : فولّنى بيت لِهْيا . فقال : متى عهدك بخالد ؟ قال : عشية أمس . فقال : إياك أن تكلّمه . ودخل خالد على عبد الملك ، وعند معاوية أخوه ، فقال : كيف أصبحت يا أبا المغيرة ؟ قال : قد نهانا هذا عن كلامك . فغلب عبدَ الملك الضحكُ ، فقام وتفرّق الناس عنه .

من نوادر معاوية ابن مروان

وذُكر أنه أفلت لمعاوية بن مروان هـذا بازٍ ، فصاح : أغلقوا باب المدينة لا يخرج .

وذكر أنه قال له رجل : أنت الشريف ابن أمير المؤمنين. وأخو أمير المؤمنين ، وابن عم أمير المؤمنين عثمان ، وأمك عائشة بنت معاوية بن أبى سفيان ؟ قال : فأنا إذن كما قال القائل :

* مُردّد فى بنى اللَّخناء ترديدا [٤] *

---

(١) الحبل : شجر العنب ، واحدته : حبلة ، بالتحريك .

(٢) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرد الحكم أباه إلى الطائف ورده عثمان .

(٣) بيت لهيا : قرية بغوطة دمشق .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « تردادا » .

هو ومحمد بن عمرو بن سعيد ابن العاص

وذكر أن محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص قَدِم الشام غازياً ، فأتى عمّته بنت سَعيد بن العاص ، وهى عند خالد بن يزيد بن معاوية ، فدخل خالدٌ فرآه ، فقال : ما يقدَم علينا أحد من الحجاز إلا اُختار المُقام عندنا على المدينة . فظَنّ محمد أنه يُعرِّض به ، فقال له : وما يمنعه من ذلك وقد قدم قومٌ من المدينة على النّواضح[1] فنكحوا أمك ، وسلبوا مُلْكك ، وفرّغوك لطلب الحديث ، وقراءة الكُتب ، وعمل الكيمياء الذى لا تقدر عليه .

هو والحجاج فى خطبته رملة بنت الزبير

وذكر أنه لما قُتل عبد الله بن الزبير حَجّ خالد بن يزيد بن مُعاوية ، فخَطب رمْلة بنت الزُّبير بن العوام . فأرسل إليه الحجّاج بن يوسف حاجبَه عُبيد الله ابن موهب وقال له : ما كنت أراك تخطُب إلى آل الزبير حتى تُشاورنى ، وكيف خطبتَ إلى قوم ليسوا لك بأكفاء ، وكذا قال جدُّك معاوية ، وهم الذين نازعوا أباك على الخلافة ، ورموه بكُل قبيحة ، وشهدوا عليه وعلى جَدّك بالضلالة . فنظر إليه خالد طويلاً ثم قال : لولا أنك رسولٌ والرسول لا يُعاقب لقطَّعتُك إرْباً إربا . ثم طرحتُك على باب صاحبك ؛ قل له : ما كنت أرى أن الأُمور بلغت بك إلى أن أشاورك فى خطبة النساء. وأما قولك : نازعوا أباك ، وشهدوا عليه بكل قبيحة ؛ فإنها قُريش يقارع بعضها بعضا ، فإذا أقر الله عز وجل الحق قراره كان تعاطُفهم وتراحمهم[2] على قدر أحلامهم وفضلهم . وأما قولك : إنهم ليسوا بأكفاء ، فقاتلك الله يا حجاج ! ما أقل علمك بأنساب قريش ، أيكون العوام كفؤاً لعبد المُطلب بن هاشم فيزوّجه صفية ، ويتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خُويلد ، ولا تراهم أكفاء[3] لأبى سُفيان ؟ فرجع الحاجب فأعلمه . فقال خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان فيها :

(١) النواضح : الإبل يستق عليها الماء : الواحدة : ناضحة .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « تقاتلهم » . (٣) فى بعض أصول الأغانى : « أهلا » .

أليس يَزيد السَّيرُ فى كل ليلة ... وفى كُل يوم من أحبّتنا قُربَا
أحِنُّ إلى بنت الزُّبير وقد علتْ ... بنا العِيسُ خَرْقاً من تِهامة أو نَقَبا
إذا نَزلت أرضاً تحبّب أهلها ... إلينا وإن كانت مَنازلها جَدْبا
وإن نزلت ماء وإن كان قبلها ... مُلَيْحاً وجدنا ماءه بارداً عَذْبا
تَجُول خلاخيل النّساء ولا أرى ... لَرملة خَلخالاً يجُول(١) ولا قُلْبا
أُحِبُّ بنى العوّام طُرًّا لحُبها ... ومن حُبها أحببت أخوالها كَلْبا

وزيد فى أبياته ونُسب إليه ولم يَقُله:

فإن تُسْلمى نُسلم وان تَتَنصَّرى ... يشُد رجالٌ بين أعينهم صُلْبَا

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار خالد بن يزيد، هو الخامس والسادس والسابع.

هو وعبد الملك فى شعر نسب إليه

فقال له عبد الملك بن مروان يوماً: تنصّرت يا خالد. قال: وما ذاك؟ فأنشده هذا البيت. فقال له خالد: على من قاله وعلى من نحلنيه لعنةُ الله.

تعقيب لابن واصل

قلت: كان مقصود عبد الملك الغضّ من خالد بكُل طريق، لأنه كان يعلم أنّ أهل الشام إليه أميل، بسبب مَيلهم إلى أبيه يزيد وجده مُعاوية، وأنهم صنائعهما، وآل حَرب فى قُريش أشرف من آل أبى العاص.

شىء عن رملة

وكانت رملة هذه أُخت مصعب بن الزبير لأمه، أُمهما الرَّباب بنت أُنيف ابن عُبيد بن مَصاد بن كعب بن عُليم بن جناب بن هُبل(٢)، من كلب.

وكانت رَملة قبل خالد عند عُثمان بن عبد الله بن حَكيم بن حزام بن خويلد ابن أسد بن عبد العزى، فولدت له رَملةُ عبدَ الله بن عثمان، وهو أحد أزواج سُكينة بنت الحُسين بن على.

(١) القلب، بالضم: من الأسورة ما كان قلدا واحدا.

(٢) فى غير التجريد: «عليم بن عتاب بن ذهل». وانظر: جمهرة أنساب العرب (٤٢٦).

رملة وسكينة

وذُكر أن سُكينة نشزت على عَبد الله هذا ، فدخلت رملة — وهى عند خالد بن يزيد — على عبد الملك بن مروان ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، لو أن لنا من يدبِّر أمرنا ما كانت لنا رغبة فيمن لا يرغب فينا ، سُكينة بنت الحسين قد نَشزت على أبنى . قال : يا رملة ، إنها سُكينة . قالت : وإن كانت سكينة ، فوالله لقد ولدنا خيرَهم ، وأنكحنا خيرهم — تعنى بمن ولدوا : فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومن نكحوا : صفيّةَ بنت عبد المطلب ؛ ومن أنكحوا : رسول الله صلى الله عليه وسلم — فقال : يا رملة ، غرّنى منك عروة بن الزبير . قالت : ما غرك ، ولكن نصح لك ، لأنك قتلت أخى مُصعبا فلم يأمنِّى عليك .

أخبار
عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق

رضى الله عنهما

نسبه وأسم أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ عبد الله . وكان أسمه فى الجاهلية عَتيقاً، فسمّاه رسولُ الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ عبد الله بن أبى قُحافة . وأسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيم بن مُرة بن كعب بن لُؤى بن غالب . يلتقى هو ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى مُرة بن كعب ، وهو السابع من آباء رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، والسابع من آباء أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه .

وكان أسم عبد الرحمن: عبد العزّى ، فسمّاه رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبد الرحمن .

أمه وأمه وأم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ أم رُومان بنت عامر بن عُويمر ابن عبد شمس بن عتّاب بن أُذينة بن سبيع بن دَهمان بن الحارث بن غُنْم ابن مالك بن كِنانة بن خُزيمة .

إسلامه ولعبد الرحمن صُحبة بالنبىّ صلّى الله عليه وسلم . ولم يهاجر مع أبيه لصغر سنه ، فبقى بمكة ، ثم خرج قبل الفتح فى فتية من قُريش .

وقيل : كان إسلامه و إسلام مُعاوية بن أبى سفيان فى وقت واحد .

واحد من أربعة امتنعوا عن بيعة يزيد ولما بايع مُعاوية بن أبى سفيان لأبنه يزيدَ بن مُعاوية بولاية العَهد كان عبدُ الرحمن أحدَ الأربعة الذين أمتنعوا من البَيعة له ، وهم : الحسين بن علىّ ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبى بكر . قال

عبد الرحمن : تريدون أن تجعلوها كِسْروِيّة أو هِرقليّة ، كلما مات كسرى أو هِرقل مُلِّكَ كسرى أو هرقل . فقال مروان بن الحكم ـ وكان والياً على المدينة من قبل معاوية ـ : أيها الناس ، هذا الذى قال لوالديه :(أُفٍّ لكما أتَعدانني أن أخرج وقد خَلت القُرون من قبلى) .

موقف عائشة

فصاحت به عائشة رضى الله عنها : ألعبد الرحمن تقول هذا ! كذبت والله ، ماهو به ! ولو شئتَ أن أُسمى الذى نزلتْ فيه لسميتُه ، ولكنى أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لَعن أباك وأنت فى صُلبه ، فأنت فَضَضٌ(1) من لعنة الله .

وفى رواية أن عائشة رضى الله عنها قالت : يا مروان ، أفينا تتأول القرآن ، و إلينا تَسوق اللعن ! والله لأقومن يوم الجمعة بك مُقاما تودّ أنى لم أقمه . فأرسل إليها بعد ذلك وترضّاها واستعفاها ، وحلف أنه لا يصلِّى بالناس أو تُؤَمّنه .

هو وابنة الجودى وشعره فيها

وذُكر أن عبد الرحمن قَدم إلى الشام فى تجارة ، فرأى ابنةَ ملك من مُلوك الشام من غسّان على طِنفسة وحولها ولائد ، وكان يقال لأبيها : الجودى ، وهو الُجودى بن عدى بن عمرو بن أبى عمرو .

وذكر أنه كان مَلك دمشق فأعجبته واستهام بها ، وذلك قبل أن يفتح الله الشام على المُسلمين ، فقال فيها :

تذكّرت لَيلى والسماوةُ بيننا ... فما لابنه الُجوديّ لَيلَى وما لِيَا
وأنّى تَعاطى قلبُه حارثيّةً ... تحُلّ ببُصْرى أو تحُلّ(2) الجوابيا
وكيف تُلاقيها بلَى ولعلّها ... إنِ الناس حجّوا قابلاً أن تَلاقيا

(1) أى خرجت من صلبه متفرقاً . تعنى ما انفض من نطفة الرجل وتردد فى صلبه . وقيل : إنها أرادت : أنك قطعة منها وطائفة .

(2) الجوابى : جمع جابية ، وهى الحوض . والذى فى الأغانى : « الحوانيا » والحوانى : جمع حانية ، وهى الحانة .

هو وأبوه عمر في شأنها

وذُكر أن عمر رضى الله عنه قال لعبد الرحمن : مالك ولها يا عبد الرحمن ؟ فقال : والله ما رأيتها قط إلا ليلة فى بيت المَقدس فى جَوارٍ ونساء يتهادَيْن ، فإذا عثرت إحداهن قالت : يا بنة الجودى .

شعره فيها الذى فيه الغناء

وقال فيها عبد الرحمن الشعرَ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارها ، وهو :

يا ابنة الجودى قلبى كئيبُ　　مُستهام عندها ما يُنيبُ
جاورتْ أخوالَها حىَّ عُكل　　فلِعُكل فى فؤادى نَصيب

ما كتب به عمر إلى صاحب الثغر فى شأنها

واختلف فيما آل إليه أمرُ عبد الرحمن فى ذلك ، فقيل : إن عمر رضى الله عنه كتب إلى صاحب الثغر الذى به : إذا فتح الله عليكم دمشق فقد غَنَّمتُ عبد الرحمن ابن أبى بكر ابنةَ الجودى . فلما فتح الله عليهم غنّموه إياها .

سليم أبى بكر لها إياه

وقيل: إن المسلمين لما فتح الله عليهم ، وقَتلوا أباها، أصابوها ، فقالوا لأبى بكر الصديق رضى الله عنه : يا خليفة رسول الله ، أعط هذه الجارية عبدَ الرحمن فقد سلّمناها له . فقال أبو بكر رضى الله عنه : أكُلكم على ذلك ؟ قالوا : نعم . فأعطاه إياها .

شىء عنها

قيل : وكان لها بساط فى بلدها لا تَذهب إلى الكَنيف ولا إلى حاجة إلا بُسط لها ورُمى بين يديها بُرمّانيتين من ذهب تتلهّى بهما فى طريقها .

هى وعبد الرحمن فى بكائها

وكان عبد الرحمن إذا خرج من عندها ثم رجع إليها رأى فى عينيها أثر البكاء ، فيقول : ما يُبكيك ؟ اختارى خصالا أيها شئتِ فعلتُ : إما أن أعتقك وأنكحك ؟ فتقول : لا أشتهيه . وإن شئت رددتك على قومك ؟ فتقول: ولا أريد . فيقول : وان أحببت رددتك على المسلمين ؟ فتقول : ولا أريد . فيقول أخبريني ما يبكيك ؟ فتقول : أبكى المُلك فى يوم البؤس .

عدوه عائشة فى أمرها

وقالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : كنت أكلّمه فيها وفيما يَصنع بها ، فيقول : يا أُخيّة ، دعينى ، فوالله لكأنى أترشّف من ثَنَاياها حَبَّ الرُّمان . ثم ملَّها وهانت عليه . فكُنت أُكلِّمه فيها لينثنى إليها ، كما كنت أكلمه فى الإحسان إليها .

تجهيزها إلى أهلها

وذكر أن عائشة رضى الله عنها قالت له : لقد أَحببتَ ليلى فأفرطتَ ، وأَبغضتها فأفرطت ، فأما أَن تُنصفها وإما أَن تُجهزها إلى أهلها . فجهزها إلى أَهلها .

وفاته وتمثل عائشة بشعر على قبره

وذُكر أَن عبد الرحمن بن أَبى بكر رضى الله عنه تُوفى بالحُبْشِىّ – جبل فى مكة على أميال – فقدمت عائشة رضى الله عنها فوَقفت على قبره ، ثم قالت :

وكُنا كندمانَى جَذيمة حِقبةً … من الدّهر حتى قيل لن يتصدَّعَا

فلما تفَرقنا كأنّى ومالكاً … لطُول اجتماع لم نَبِتْ ليلةً معا

أخبار حاتم الطائي

نسبه

هو حاتم بن عبد الله بن الحشرج بن أمرىء القيس بن عدىّ بن أخزم بن أبى أخزم ـ واسمه هزومة ـ بن ربيعة بن جَرول بن ثُعل بن عَمرو بن الغَوث ابن طيىء ، وهو جَلهمة . وقد تقدمت بقية النسب .

كنيته

ويكنى : أبا سُفانة ، وأبا عدىّ ، بابنته وابنه .

ولداه

وقد أدرك عدىّ وسُفانة الإسلام فأسلما .

حديث على بن أبى طالب

وذُكر أن علىّ بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال : ياسبحان الله ! ما أزهد كثيراً من الناس فى الخير ! عجبت لرجل يجيئه أخوه فى حاجة لا يرى نفسه للخير أهلا ، فلو كُنا لا نرجو جنة ولا نخشى ناراً ، ولا ننتظر ثواباً ولا نخشى عقاباً ، لكان ينبغى أن نَطلب مكارم الأخلاق ، فإنها تدل على سبيل النّجاة . فقام رجل فقال : فداك أبى وأمى يا أمير المؤمنين ، أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، وما هو خير منه : لما أُتينا سبايا طيىء كان فى النساء جارية جمّاء حوراء[1] ، لعساء لَمياء[2] ، شماء الأنف ، مُعتدلة القامة ، دَرماء[3] الكَعْبين ، خدلّجة[4] الساقين ، لفّاء[5] الفَخذين ، خَميصة الخَصر ، ظاهرة الكَشْحين ، مصقولة المَتنين ، فلما رأيتها أُعجبت بها ، فقلت : لأطلبن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) جماء : كثيرة اللحم . والرواية فى غير التجريد : « حماء » . والحماء : السوداء .

(٢) لعساء : يعلو شفتّها سواد وهى بيضاء . ولمياء : أى لطيفة الشفتين رقيقتهما .

(٣) درماء الكعبين : مستويتهما .

(٤) خدلجة الساقين : ممتلئتهما .

(٥) لفاء الفخذين : ملتفتهما .

أن يجعلها من فَيْئى. فلما تكلمت أنسيتُ جمالها لما سمعتُ من فصاحتها، فقالت: يا محمد، هلك الوالد، وغاب الرافد، فإن رأيت أن تُخلى عنى ولا تُشمت بى أحياء العرب، فإنى بنت سيد قومى: كان أبى يفك العانى، ويحمى الذّمار، ويَقرى الضيف، ويُشبع الجائع، ويُفرج عن المكروب، ويُطعم الطعام، ويُفشى السلام، ولم يرُدّ طالب حاجة قطُّ، أنا ابنة حاتم طيء. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: يا جارية، هذه صفة المؤمن، لو كان أبوك إسلاميًّا لترحّمنا عليه، خلّوا عنها، فإن أباها كان يُحب مكارم الأخلاق، والله يُحب مكارم الأخلاق.

أم حاتم

وأم حاتم غنيّة بنت عَفيف بن عمرو بن امرئ القيس بن عدىّ. وكانت فى الجود ومكارم الأخلاق بمنزلة حاتم، لا تدخر شيئًا ولا يَسألها أحد شيئًا فتمنعه.

من كرمها

وذُكر أن إخوتها حَجروا عليها مُدة ومنعوها مالها. ثم أعطوها صِرْمة من الإبل، فجاءت إليها امرأة من هوازن تسألها، فقالت: دونك الصِّرمة فخُذيها، فوالله لقد عضّنى من الجوع مالا أمنع معه سائلا أبدا. وقالت:

لعَمرى لقِدْمًا عَضّنى الجوعُ عضةً فآليت ألّا أمنع الدّهر جائعا
فقولا لهذا اللائمى اليوم أعْفِنى فإنْ أنت لم تفعل فعَضّ الأصابعا
فماذا عليكم (١) أن تقولوا لأختكم سوى عَذْلكم أو عذل مَن كان مانعا
وما إن ترون اليوم إلا (٢) طبائعا فكيف بتركى يا ابن أم الطّبائعا

وكانت سُفانة بنت حاتم من أجود نساء العرب، فكان أبوها يُعطيها الصِّرمة (٣) من إبله فتنْهبها وتُعطيها الناس. فقال لها حاتم: يا بُنية، إما أن

(١) فى غير التجريد: «ماذا عساكم».
(٢) فى غير التجريد: «وماذا ... طبيعة».
(٣) الصرمة: القطيع من الإبل والغنم. ما بين العشرين إلى الثلاثين. وقيل إلى الستين.

أُعطى وتمسكى ، أو أَمسك وتُعطى ، فإنه لا يَبقى على هـــذا شىء .

وأما جود حاتم فأشهر من أن نُغرق فى وصفه . وقد ضَربت العربُ المثل بجُوده .

نشأة حاتم فى حجر جده

وذكر أنَّ أبا حاتم هلك وهو صغير ، فنشأ حاتم فى حِجر جدِّه سعد ابن الحشْرج ، ولما ترعرع جعل يُخرج طعامه ، فإن وجد من يأكله معه أكل ، وإن لم يَجد طَرحه . فلما رأى ذلك جدُّه وخاف أن يهلك مالَه . قال له : الحق بالإبل ، ووهب له جارية وفرساً وفِلْوها (١) . فلما أتى الإبلَ طفق يبغى الناسَ فلا يجدهم . ويأتى الطريق فلا يجد عليها أَحداً ؛ فبينا هو كذلك إذ مرَّ به عَبيد ابن الأبرص ، وبشر بن أَبى خازم ، والنابغة الذُّبيانى ، يريدون النُّعمان ابن المُنذر ، فسألوه القِرى ، فنحر لهم ثلاثة من الإبل ، فقالوا فيه أشعاراً مدحوه بها . فقال لهم حاتم : أَردتُ أن أُحسن إليكم فصار لكم الفضل علىّ ، وأَنا أُعاهد الله لئن لم تقُوموا إليها فتقتسموها لأضرِبن عَراقيبها عن آخرها . فاُقتسموا الإبل جميعها ، فأصاب كل واحد منهم تسعةً وتسعين (٢) بعيرا ، ومضَوْا على سفرهم إلى النُّعمان . ثم إن سعد بن الحشرج سَمع ما فعل حاتم ، فأتاه فقال : أين الإبل ؟ فقال : طوّقتُك بها طَوْق الحمامة مجدَ الدهر ، وكرماً لا يزال الرجلُ يحمل شعراً (٣) أثنى به علينا . فقال له جدُّه : أبإبلى فعلتَ ذلك ؟ قال : نعم . فقال : والله لا أُساكنك أبداً . فخرج جدُّه بأهله ، وترك حاتماً ومعه جاريتُه وفرسه . فقال حاتم يذكر ذلك :

وإنّى لعفٌّ الفقر مُشترَكُ الغِنى ... وتاركُ شكلٍ لا يُوافقه شَكْلِى
وَشَكْلِىَ شَكْلٌ لا يقُوم بمثله ... من الناس إلّا كُل ذى نِيقة (٤) مثلى

(١) الفلو ، بالكسر : المهر إذا عظم .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وثلاثين » .
(٣) فى غير التجريد : « بيت شعر » .
(٤) نيقة ، أى شرف عال .

وأجعــل مالى دون عِرْضىَ جُنَّــة   لنفسى وأستغنى بما كان من فَضْـلى
وما ضَرّنى أن سار سـعدٌ بأهله   وأفْردنى فى الدّار ليس مَعى أهــلى
سيكفى ابتناه المجد سعدَ بن حَشْرج   وأحمل عنكم كُل ما ضاع من ثِقْل
ولى مع بَذْل المـال والمَجْد صَوْلةٌ   إذا الحرب أبدت عن نَواجذها العُصْل(١)

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح أبو الفرج أخبار حاتم الطائى ، هو قوله يُخاطب زوجته ماوية بنت عَفْزر ، قبل تزوجه بها ، وكانت بنت مَلك ، وهى أم ولده عدىّ بن حاتم :

أماوىّ إن المــــال غادٍ ورائح   ويَبقى من المال الأحاديثُ والذِّكرُ
وقــد عَلِم الأقوامُ لو أنّ حاتما   أراد ثَراء المــــال كان له وَفْر
أماوىّ إن يُصبح صــداى بقَفرةٍ   من الأرض لا ماء لدىّ ولا خمر
تَرىْ أنّ ما أنفقتُ لم يك ضَرنى   وأن يدى مما بخلتُ به صِــــفْر

وأول هذه القصيدة :

أماوىَ قــد طال التجنُّب والهَجر   وقــد عَذَرتْنى فى طلابكُم العُذر
أماوىّ إمّا مانع فمُبــــيِّن   وإما عطــــاء لا يُنَهْنِهــه الزّجر
أماوىّ ما يُغنى الــثّراء عن الفتى   إذا حَشْرجت يوماً وضاق بها الصَّدْر
وإنِّىَ لا آلو بمــــالى صَنيعةً   فأوّله زادٌ وآخـــــره ذُخْر
يُفَكُّ به العــــانِى ويُؤكل طَيِّبا   وما إن تعرّتْه القِداح(٢) ولا(٣) الخمر
ولا أظلم ابْنَ العَمّ إن كان إخوتى   شُهوداً وقــد أودى بإخوته الدّهر
فمـــا زادنا بَغياً على ذى قَرابة   غِنانا ولا أزْرى بأحسابنــا الفَقْر

---

(١) العصل : جمع أعصل ، وهو الناب الشديد الاعوجاج .
(٢) القداح : قداح الميسر .
(٣) فى التجريد : « ولا القمر » مكانه « ولا الخمر » .

وما ضَرَّ جاراً يا أبنــة القوم فاُعلمى　　يُجاورنى ألّا يكون له سِــتْرُ
بعَينىّ عن جاراتِ قومىَ غفــلةٌ　　وفى السَّمع منِّى عن حديثهمُ وَقْر

حديث تطليق زوجه له

وذُكر أنّ النِّساء كُنّ يُطلِّقن رجالَهن فى الجاهلية كما يُطلِّقهن الرجال ، وكان طلاق النساء لأزواجهن أنهن كُن فى بيوت من شَعر ، فإذا أردنا تَطْليق أزواجهن حوّلن أبواب أخبيتهن من المَشرق إلى المَغرب ، أو من قِبل اليمن إلى قبل الشام . وكان أبنُ عمٍّ لحاتم ــ يُقال له : مالك ــ حَرّض ماوية هــذه أمرأة حاتم على تَطليقه وحَذّرها أن يترك أولاده عيالاً على قومه ، ورَغّبها فى أن ينكحها . وكانت من أحسن النساء . فأتاها حاتم ، وقد حوّلت الخباء ، فأخذ حاتم ولده عَديًّا وهبط به بَطن وادٍ . وجاء قوم فنزلوا على باب الخبــاء كما كانوا ينزلون ، فتوافَوْا خمسين رجلا ، فضاقت ماوية بهم ذَرْعا وقالت لجاريتها : أذهبى إلى مالك فقولى له : إن أضيافاً لحاتم قد نَزلوا بنا فأرسل إلينا بناب نَقريهم ، ولبن نَسقيهم . وقالت :لجاريتها انظرى إلى جبينه وفمه، فإن شافهك بالمعروف فاقبلى منه ، و إن ضرب بلحيته على زوره وأدخل يده فى رأسه فأقبلى ودعيه. فأتت الجارية مالكا فوجدته متوسداً وطباً من لبن ، وتحت بطنه آخر فأيقظته ، فأدخل يده فى رأسه وضرب بلحيته على زوره . فأبلغته الرسالة وقالت : إنمــا هى الليلة حتى يعرفوا مكانه . فقال : قولى لهــا : هذا الذى أمرتك أن تطلقى حاتماً فيه . وما عندى من كبيرة قد تركت العمل وما كنت لأنحر صفية غزيرة بشحم كلأها ، وما عندى لبن يكفى أضياف حاتم . فرجعت فأخبرتها بما رأت فيه وما قال . فقالتَ : ائت حاتماً وقولى : إن أضيافك قــد نزلوا بنا الليلة ، ولم يعلموا مكانك ، فأرسل إلينا بناب نقريهم ولبن نسقيهم . فإنما هى الليلة حتى يعرفوا مكانك . فأتت الجاريةُ حاتماً فصرخت به . فقال حاتم : لبّيك ، قريباً دعوت . فأبلغته الرسالة . فقــال : نعم ، وأثنتين وثلاثاً . ثم قام إلى الإبل فأطلق أثنتين من عقالها ، ثم صاح بهما

حتى أتى الخِباء . ثم ضَرب عَراقيبهما . فطفِقت ماويةُ تقول : هذا الذى طلّقتك فيه ، تترك ولدك وليس معهم شىء . فقال حاتم أبياتاً ، منها :

هل الدّهر إلا اليوم أو أمس أو غدُ ... كذاك الزّمان بيننا يتردّدُ
تُرد علينا ليلة بعد يومها ... فلا مالُنا يبقَى ولا الدّهر يَنفَد
بنو ثعل قومى فلا أنا مُدّعٍ ... سواهم إلى قومٍ ولا أنا مُسْند

يقول فيها :

فأقسمتُ لاأسرى إلى سرِّ جارة ... يدَ الدّهر ما دام الحمام يُغرِّد
ولا أشترى مالاً بغَدْر علمتهُ ... ألا كُل مالٍ خالط الغَدر أنكد
إذا كان بعضُ المال ربًّا لأهله ... فإنى بحمد الله مالى مُعبّد
يُفك به العانى ويُؤكل طيِّبا ... ويُعطى إذا ضَنّ[1] البخيل المُصرّد

هو وأسير فى عنزة

وذُكر أن حاتماً خرج فى الشهر الحرام يطلُب حاجة له ، فلما كان بأرض عَنزة ناداه أسيرٌ لهم : يا أبا سُفانة ، أكلنى الإسار والقمل . قال: ويلك والله ! ما أنا فى بلاد قَومى وما مَعى شىء ، وقد أسأتَ بى إذ نوّهت باسمى ، ومالك مَترك . فساوم العنزيّين فاشتراه منهم . وقال : خلّوا عنه وأنا أُقيم مكانه فى قيده حتى أؤدى فِداءه . ففعلوا . فأُتى بفدائه .

ماوية تحدث ابن أخيها عن جوده

وحُكى أنّ ابن أخى ماوية ـ امرأة حاتم ـ قال لماوية : ياعمة ، حدّثينى ببعض عجائب حاتم . قالت : كل أمره عجب ، فعَن أيّة تسأل ؟ فقال : حدِّثينى ما شئت . قالت : أصابت الناسَ سنةٌ فأصابت الخفّ والظّلف ، فإنى وإياه قد أسهرنا الجوع ، فأخذ عَديًّا ، وأخذتُ سفانة ، وجعلنا نُعلّلهما حتى ناما . ثم أقبل يحدّثنى يُعلّلنى بالحديث حتى أنام ، فرققتُ له من الجهد . فأمسكتُ عن كلامه لينام . فقال : أنمتِ ؟ مراراً ، فلم أُجبه . فسكت ونظر فى فتق الخِباء ، فإذا شىء أقبل ، فرفع

(١) فى غير التجريد : « هن » .

رأسه فإذا امرأة ، فقال : ما هذا ؟ قالت : يا أبا سفانة ؛ أتيتك من عند صبيان يتعاوون كالذئاب جوعاً . فقال : أحضرى صبيانك ، فوالله لأشبعنّهم . فقمت سريعاً ، فقلت : بماذا يا حاتم ؟ فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلا بالتعليل . قال : فوالله لأشبعن صبيانك مع صبيانها . فلما جاءت قام إلى فرسه فذبحه ، ثم قدح ناراً فأججها ، ثم دفع إليها شفرة . ثم قال : اشوى وكلى ، ثم قال : أيقظى صبيانك ، فأيقظتهما . فقال : والله إن هذا اللؤم ، تأكلون وأهل الصّرم (١) حالهم مثل حالكم ! فجعل يأتى الصّرم بيتاً بيتاً فيقول : اذهبوا عليكم بالنار . قالت : فاجتمعوا حول تلك الفرس ، وتلفّع بكسائه وجلس ناحيةً . فما أصبحوا ، ومن الفرس على الأرض لا قليل ولا كثير ، إلا عظم وحافر ، وإنه لأشد جوعاً منهم وما ذاقه .

(١) الصرم : قطع النخل . يريد الزراع المتصلين بالنخل .

أخبار ذى الرمة

نسبه وهو غَيلان بن عُقبة بن مَسعود بن حارثة بن عمرو بن مَلْكان بن عدىّ بن عبد مَناة بن أُدّ بن طابخة بن اليأس بن مُضَر بن نزار .

وقيل : غَيلان بن عُقبة بن نُهيس بن مَسعود بن حارثة بن عمرو بن رَبيعة ابن ساعدة بن كعب بن عوف بن ثَعلبة بن ربيعة بن مَلْكان .

كنيته ولقبه ويكنى أبا الحارث . وذو الرُّمة لقب لقبته به مَيّة ، وكان اجتاز بخبائها وهى جالسة إلى جانب أمها ، فاستسقاها ماء ، فقالت لها أمها : قُومى فاسقيه . فقامت فأتته بماء ، وكان على كتفه رُمّة ـ وهى قطعة من حبل ـ فقالت : اشرب ياذا الرُّمة . فلُقّب بذلك .

وقيل : بل كان يُصيبه فى صِغره فَزع ، فكَتبت له أمه تميمة ، فتعلقها بحبل ، فلُقب بذلك : ذا الرُّمة .

وقيل : لُقّب بذلك لقوله :

* أشعث باقى رُمّة التقليـــد[1] *

أمه وأم ذى الرُّمة امرأة من أسد .

شىء عن مسعود أخيه وكان له إخوة من أبيه وأمه شعراء ، منهم : مَسعود ، وهو الذى يقول يرثى أخاه ذا الرُّمة ، ويذكر لَيلى بنته :

إلى الله أشكو لا إلى الناس إنّنى ... وليلَى كِلانا مُوجَعٌ مات واحدُهْ

---

(١) رواية البيت فى اللسان « رم » :

* وغير مشجوج القفا موتود ... فيه بقايا رمة التقليد *

يعنى ما بقى فى رأس الوتد من رمة الطنب المعقود فيه .

ولمسعود يقول ذو الرُّمة :

ألا قل لَمسعود بجَرْعاء[1] مالك   وقـد هَمّ دَمعى أن تَسحّ أوائلُهْ
الأهل ترى الأظعان جاوزْن[2] مُشْرِفا   من الرَّمل أو سالت بهنّ سوائلُه

لمسعود فى رثاء ذى الرمة وأوفى

ومَسعود هو القائل يَرثى أخاه ذا الرُّمة ، وأوفَى بن دَلْهم ، ابن عمه :

نَعى الركبُ أوفَى حين آبت رِكابُهم   لَعمرى لقـد جاءوا بشرّ فأَوجعُوا
نعَوْا باسـق الأَخلاق لا يخْلُفونه   تكاد الجبالُ الصُّمُّ منـه تَصدّع
خَوى المسجدُ المَعمور بعد ابن دَلْهم   وأضحى بأوفى قَومُه قـد تَضَعْضعوا
تعزَّيتُ عن أوفى بغَيلان بعـده   عزاءً وجفنُ العَين ملآنُ مُـترع
ولم تُنسنى أوفى المُصيبات بعـده   ولـكنّ نَكْءَ القَرْح بالقَرْح أوجع

إخوان له

وكان اسم أخويه الآخرين : خرفاش[3] ، وهشام . وكان الواحد منهم يقول الأبيات فتنسب إلى ذى الرمة لشُهرته .

من صفة ذى الرمة

وقيل : كان ذو الرُّمة مُدوَّر الوجه ، حسنَ الشَّعرة جَعدها ، أقنى أنزعَ[4] خفيفَ العارضَين ، أكحل ، حسن الضَّحك ، مُفوَّهاً بليغاً ، يَضع لسانه حيث شاء .
وكان جرير والفرزدق يحسُدانه لجودة شعره مع حداثته وصغر سنّه .

للأصمعى فيه

وقال الأصمعى : ما أعلم أحداً من العُشَّاق شكا حُبًّا أحسن من شكوى ذى الرمة ، مع عِفّه وعقل رصين .

لأبى عبيدة فيه

وقال أبو عبيدة : ذو الرُّمة يُخبر فيُحسن الخبر ، ثم يَرد على نفسه الحُجة

(١) الجرعاء : الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « جاورن » بالراء المهملة .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « حرفاش » ، وفى بعض آخر : « جرفاس » .
(٤) الأقنى : الطويل الأنف مع دقة أرنبته وحدب فى وسطه . والأنزع : الذى أقبلت ناصية جبهته وارتفع أعلى شعر صدغها .

من صاحبه فيُحسن الرد ، ثم يعتذر فيُحسن التخلُّص ، مع حُسن إنصاف وعَفافٍ فى الُحكم .

هو وأعرابى بالمربد وقال بعضُهم : رأيتُ ذا الرُّمة بسُوق المِرْبد[1] ، وقد عارضه رجل يهزأ به ، فقال له : يا أعرابى ، أتشهد ما لم تَر ؟ قال : نعم . قال : بماذا ؟ قال : أشهد أن أباك ناك أمك .

هو وكنزة وذُكر أن ذا الرمة كان يَهوى مَيّة المنقرية ، وجدُّها قيس بن عاصم الذى تقدّم ذكره . وكانت كنزة[2] مولّدة لآل قيس بن عاصم ، فقالت ، ونَحلت ذلك ذا الرُّمة :

على وجه مَىّ مَسْحة من ملاحة ... وتحت الثياب الخزْى لو كان بادِياَ
ألم تَر أنّ الماء يَخْبُث طعمه ... وإن[3] كان لونُ الماء أبيضَ صافيا

فغَضب من ذلك ذو الرُّمة وحَلف بكُل الأيمان أنه ما قالها ، ثم أُطلع بعد ذلك على قائلتها .

هو ومى وذكر أن ذا الرُّمة وقف فى ركب معه على مية ، فسلّموا عليها ، فقالت : وعليكم السلام ، إلا ذا الرُّمة . فأحفظه ما سَمع منها بحَضْرة القوم ، وانصرف وهو يقول :

أيا مَىّ قد أشمتّ بى ويحك العدا ... وقطّعت حَبلاً كان منِّىَ باقياَ
فيا مَىّ لا مَرْجوعَ للوَصل بيننا ... ولكنّ هجراً بيننا وتقاليا

وقد ذُكر أن البيتين الأولين لذى الرُّمة ، ومعهما هذان البيتان . وقد ذُكر أنه أنشدها :

على وجه مىّ مَسحة من ملاحة ... وتحت الثياب الخِزى لو كان باديا

(١) سوق المربد : بالبصرة . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « كثيرة » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « لو » .

فكشفت ثوبَها عن بدنها وقالت : أشيئاً ترى لا أُم لك ! فقال :

ألم ترَ أنّ المـــاء يخبث طعمــه   وإن كان لون المـــاء أبيض صافيا

فقالت : أما ماتحت الثياب فقد رأيْته وعلمت أن لاشين فيه ، ولم يبق إلا أن أقول لك : هلم حتى تذوق ما وراءه ، والله لا ذُقت ذلك أبدا . فقال :

فياضيعة الشّعر الذى لجّ فاُنقضى   بمىّ ولم أملك ضــــلالاً فُؤاديا

ثم صلح الأمر بينهما ، فعاد إلى ما كان عليه من حُبها .

هو وقــد خانه زوج مى

وذُكر أن ذا الرمة ضاف زوج مىّ فى ليلة ظَلمـاء ، وهو طامع فى ألّا يعرفه زوجُها فيُدخله ويَقريه فيراها فيكلمها . ففطن له الزوج وعَرفه ولم يُدخله ، وأخرج إليه قِراه وتركه بالعَراء وراحلته . وقد عرفتْه مَىّ ، فلما كان فى جوف الليل تَغنّى غناء الرُّكبان :

أراجعــــة يا مَىّ أيامُنا الأُلى   بذى الأَثل أم لا ما لهنّ رُجوعُ

فغضب زوجُها ، فقال : قُومى فصِيحى به : يابن الزانية ، وأىّ أيام كانت لنا معك بذى الأثل ! فقالت : سبحان الله ! ضيف ، وللشاعر أن يقول . فاُنتضى سيفَه وقال : والله لأضربنّك به حتى آتى عليك أو لتقولن . فصاحت به كما أَمر بها زوجُها ، فنَهض إلى راحلته موليّاً وانصرف عنها مُغضباً يريد أن يَصرف مودته عنها إلى غيرها ، فمر بجوارٍ خارجات من بيت يُرِدن بيتاً آخر ، فيهن جارية من بنى عامر شَهلاء[1] حُلوة ، فوقعت عين ذى الرُّمة عليها ، فقال : يا جارية ، أترقعين لهذا الرجل خُفّه ؟ قالت ، تهزأ به : أنا خرقاء لا أُحسن أن أعمل شيئاً . فسمّاها : خرقاء ذى الرمة . يُريد أن يغيظ ميا . فقال فى خرقاء قصيدتين أو ثلاثا ، ثم لم يلبث أن مات .

(١) شهلاء : سواد عينها بين الحمرة و السواد .

من خبر خرقاء

وذكر أن خرقاء هـذه كانت تحُل فَلْجاً ، ويمُر بها الحاج فتقعد لهم تُحادثهم وتهاديهم ، وكانت تقعد معها فاطمة ابنتها ، ولم تكن مثلها فى الحسن .

وكانت خرقاء تقول : أنا مَنْسك من مناسك الحج ، لقول ذى الرمة فيها :

تمـام الحج أن تقف المطايا ... على خَرقاء واضـعة اللّثام

وذكر أنه نزل ركب بأبى خرقاء العامرية ، فأمر لهم بلَبن فسقُوا ، وقصّر عن شباب منهم، فأعطته خرقاء صبوحها وهى لا تعرفه، فشَرِبه ومضوا وركبوا ، فقال لها أبوها : أتعرفين الرجل ؟ قالت : لا والله . قال : هو ذو الرمة القائل فيك الأقاويل . فوضعت يدها على رأسها . وصاحت: واسوأتاه ! وابؤساه ! ودخلت بيتها . فما رآها أبوها ثلاثا .

وقيل إن خرقاء عُمّرت بعـد ذى الرمة عُمراً طويلاً حتى شَبّب بها العُجيف العُقيلى ، وقال فيها :

وخَرقاء لا تزداد إلا ملاحـة ... ولو عُمِّرت تَعميرَ نُوح وجلّت

وفاته

وذُكر أن ذا الرُّمة لم يزد عُمره على أربعين سـنة ، وتُوفى فى خلافة هشام ابن عبد الملك ، وكان قاصداً باب هشام فتُوفى بحُزوى[1] وهى الرّملة التى يذكرها فى شعره . وقد ذُكر أن راحلته وَقَصت[2] به ، فكان ذلك سبب موته ، وأنّ ذلك كان بعـد انصرافه من عند هشام ، وانه وُجد ميتاً وعليـه خِلع الخليفة ، ووُجد بيتان مكتوبان على قوسه ، وهما :

ألا أبلغ الرُّكبان[3] عنّى رسالة ... أهينُوا المَطـايا هُنّ أهلُ هَوانِ
وقـد تركتنى صَيْدح بمَضـلّة ... لسـانىَ مُلتاث من[4] الطّلوان

(١) حزوى : موضع بنجد فى ديار تميم . (٢) وقصت : عدت .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الفتيان » .
(٤) ملتاث : أى مضطرب . والطلوان : بياض يعلو اللسان من مرض أو عطش .

وصيدح : هى ناقته التى يقول فيها :

سمعت النـاس ينتجعون غيثا ... فقلتُ لصيدحَ انتجعى بلالا

يريد : بلال بن أبى بُردة بن أبى موسى الأشعرى :

وذكر أنه لما أنشده هذا الشعر ، قال : أو لم تنتجعى غير صيدح ! يا غلام ، أعطه حمل قَت لصيدح ، فأخجله .

وذكر آخرون أنه مات بالُجدرى ، وفى ذلك يقول :

ألم يأتِها أنّى تبدلّت بعـدها ... مُفوّفة صوّاغُها غيرُ أخرق

آخر شعر له

وذُكر أن آخر شعر قاله :

يارب قد أشرفْت نفسى وقد علمت ... علماً يقيناً لقـد أحصيتَ آثارى

يامُخرج الرُّوح من جسمى إذا احتضرت ... وفارج الكرب زَحْزِحنى عن النار

شعره الذى فيه الغنـاء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار ذى الرمة ، هو قوله :

وهاجرة من دون ميـة لم تقِل ... قَلوصى بها والُجندب الَجوْن يَرْمح (١)

بتيهـاء مِقفار يكاد ارتكاضُها ... بآل الضُّحى والهَجر بالطَّرف يمصح (٢)

كأن الفِرِنْد المحض مَعصوبة به ... ذُرى قُورها ينقدّ عنها وَيُنْصح (٣)

إذا ارفضّ أطراف السِّيـاط وهلّت ... جُروم المَطايا عـدّ منهن صَيدح (٤)

---

(١) الهاجرة : وقت الزوال . ويقال : نام القيلولة ، وهى نومة نصف النهار . والجندب : الجرادة . والجون : الأسود ، والأبيض ، من الأضداد . ويرمح : ينزو من شدة الحر لا يكاد يستقر على الأرض .

(٢) التيهاء : التى يتاه فيها من الأرض . والمقفار : التى لا أحد فيها ولا ساكن بها . وارتكاضها ، أى ارتكاض هذه التيهاء ، وهو نزوها بالآل . والآل : السراب . والهجر : الهاجرة . وقد ارتفع بفعله ، كأنه قال : يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف هو والهجر . ويمصح : يذهب.

(٣) والفرند : الحرير الأبيض . والمحض : الخالص . والقور : الجبال الصغيرة . الواحد : قارة . وينصح : يخاط ، يقال : نصحت الثوب ، إذا خطته . والناصح : الخياط . يقول : كأن هذا السراب حرير أبيض وقد عصبت به ذرى القور ، فتارة يغطيها وتارة ينجاب عنها وينكشف ، فكأنه إذا انكشف عنها ينقد عنها ، وكأنه إذا غطاها ينصح عنها ويخاط .

(٤) ارفض : انفتح : يعنى انفتاح أطواق السياط من طول السفر . والجروم : الأبدان ، واحدها : جرم ، بالكسر . وهلت : صارت كالأهلة فى الرقة . وصيدح : اسم ناقة ذى الرمة . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « عذبتهن » مكان « عد منهن » .

ذكر مقتل الزبير بن العوام
رضي الله عنه

نسبه وشيء عنه

الزُّبير بن العوام بن خُويلد بن أسـد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ بن كِلاب ، أحد الصحابة والسادة الأعلام، السابقين الأولين ، من المُهاجرين رضى الله عنهم أجمعين . شَهد مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المشاهد كلها، وأحد العَشرة المَقطوع لهم بشهادة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالجنّة . ورَجع يوم الجمل عن حَرب علىّ رضى الله عنه مُعترفاً بأن ما وقع منه من قتاله كان خطأً . ومات رضى الله عنه مَقتولا بوادى السِّباع ، على هذا الرأى . وما قُتل طلحة رضى الله عنه يوم الجمل إلّا بعد أن بايع لعلىّ رضى الله عنه بالخلافة على يد أصحابه . صحّ ذلك عنه وثبت ، ورجُوع عائشة رضى الله عنها عن ذلك ، واعترافها بصحة خلافة علىّ رضى الله عنه مَدفوع لا يُنكر .

وكان علىّ رضى الله عنه يقول : أرجو أن أكون أنا وطلحة والزُّبير ممن قال الله تعالى فيهم : (ونزعنا ما فى صدورهم من غلٍّ إخواناً على سُرر متقابلين) .

مقتله

فلنذكر الآن ما رواه أبو الفرج فى مَقتل الزُّبير رضى الله عنه :

قيل : سار الزُّبير وطلحة وعائشة رضى الله عنهم يُريدون عليًّا رضى الله عنه ، وسار يُريدهم ، فالتقَوْا عنـد قَصر عُبيد الله بن زياد بقُرب البصرة يوم الخميس ، النصف من جُمادى الآخرة سنة ست وثلاثين . فلما تراءى الجمعان خَرج الزُّبير رضى الله عنه على فرس، وعليه سلاحُه ، فقيل لعلى رضى الله عنه : هـذا الزبير ! فقال : أما إنه أحرى الرجلين إن ذُكّر بالله أن يذكره . وخرج علىّ رضى الله عنه

إليهما فدنا منهما حتى اختلفت أعناق دوابهم، فقال لهما: لقد أعددتما خيلاً وسلاحاً، إن كنتما أعددتما عند الله عذراً، فاتقيا الله ولا تكونا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، ألم أكن أخاكما فى دينكما تحرّمان دمى وأحرم دماءكما، فهل من حدث أحلّ لكما دمى؟ فقالا: ألّبت الناس على عثمان. فقال: يا طلحة، أتطلبنى بدم عثمان، فلعن الله قتلة عثمان! يا زبير، أتذكر يوم مررتُ مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بنى غنم فنظر إلىّ وضحك، وضحكتُ إليه، فقلت: لا يدع ابنُ أبى طالب زهوه. فقال: مه، ليس بمزهُو، ولتقاتلنه وأنت مزهو ظالم له. فقال: اللهم نعم، ولو ذُكّرت ما سرت مسيرى هذا، والله لا أقاتلك أبدا. وانصرف علىّ رضى الله عنه إلى أصحابه. فقال: أما الزبير فقد أعطى الله عهداً ألّا يقاتلنى. ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها. ما كنتُ فى موطن مذ عقلت إلا وأنا أعرف فيه أمرى غير موطنى هذا. قالت: وما تريد أن تصنع؟ قال: أدَعهم فأذهب. فقال له ابنُه عبد الله: أجمعتَ بين هذين الغارّين حتى إذا أخذ بعضهم لبعض أردت أن تذهب وتتركهم، أخشيتَ رايات ابن أبى طالب وعلمت أنها تحملها فتية أنجاد، فأحفظه. فقال: إنى حلفت ألّا أقاتله. فقال: كفّر عن يمينك وقاتله. فدعى غلاماً له يُدعى مكحولاً فأعتقه. فقال عبدُ الرحمن بن سُليمان التّيمى:

لم أر كاليوم أخا خوّان ... أعجبَ من مكفّر الأيمان

* بالعتق فى معصية الرّحمٰن *

وقال بعضُ شعرائهم:

يُعتق مكحولاً لصَون دينه ... كفّارةً لله عن يمينه

* والنُّكث قد لاح على جَبينه *

ونادى مُنادى علىّ رضى الله عنه: ألّا تقاتلوا القوم حتى تستشهدوا منكم

رجلاً . فما لبث أن أُتى برجل يتشحّط(١) فى دمه . فقال علىّ رضى الله عنه : اللهم أشهد . وأمر الناس ، فشدُّوا عليهم . وأمر بالنّداء بألّا يُذففوا(٢) على جريح ، ولا يَتبعوا مدبرا ، ولا يقتلوا أسيرا .

تعقيب لابن واصل

قلت : الذى ثبت أن الزُّبير رضى الله عنه لما ألزمه أبنهُ عبدُ الله بالقتال ، حَمل على عسكر علىّ رضى الله عنه وهو لا يُريد قَتل أحد ، فقال علىّ رضى الله عنه : أفرجوا له فإنه مُكره . فأفرجوا له . فشقّ العسكر ثم رَجع ، ثم توجَّه مُنصرفاً إلى المدينة . وأنهزم عسكر عائشة رضى الله عنها ، وصار جَملها كالقُنفذ من كَثرة النُّشَّاب . فجاء إليها أخوها محمد بن أبى بكر ، وهو من أصحاب علىّ رضى الله عنه ، وجاءها علىٌّ فركز رُمحه عند هَوْدجها ، فقالت له : ملكت فأَسْجح . فجهّزها مع جماعة من النِّساء فى زى الرّجال إلى المدينة .

مقتل طلحة

وأما طلحة رضى الله عنه فرُمى بسهم . فمَرّ به بعضُ أصحاب علىٍّ رضى الله عنه فقال : أمدُد يدك أبايعك لعلىّ بن أبى طالب . فمَدّ يدَه إليه ، فبايعه . ثم تُوفى رضى الله عنه .

قاتل الزبير

قال أبو الفرج : لما مضى الزُّبير قيل للأحنف : هذا الزبير قَدم . فقال : ما أَصنع به ، جمع بين غارّين من المسلمين يقتُل بعضُهم بعضا ، ثم مرّ يُريد أن يلحق بأهله . فقام عمرو بن جُرموز ، وفَضالة بن حابس ، ونُفيع بن كعب ، فلحقوه . فقَتله عمرو بن جُرموز .

تعقيب لابن واصل

قلت : قيل : إنه قَتله وهو نائم . وقيل : صلّى خلفه ، فلما أشتغل الزُّبير رضى الله عنه بالصلاة قَتله غدرا .

على وابن جرموز قاتل الزبير

وحكى زرّ بن حُبيش قال : كنت قاعداً عند علىّ بن أبى طالب ، فأتاه آت

(١) يتشحط فى دمه : يتخبط فيه . (٢) يذفف : يجهز .

فقال : هـذا ابن جُرموز قاتِل الزُّبير بن العوام يَستأذن على الباب . فقال : ليدخلنّ قاتلُ ابنِ صفيّة النار ، إنى سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول : إنّ لكل نبي حواريًّا ، وإن حواريّ الزبير .

مصعب وعبد الله فى شأن ابن جرموز

وذُكر أن ابن جُرموز أتى مُصعبًا ، لما ولى العِراق لأخيه عبد الله بن الزبير ، فوضع يده فى يده ، فقذفه فى السجن وكتب إلى أخيه عبد الله يذكر له أمره . فكتب إليه عبدُ الله : بئس ما صنعت ، أظننت أنى أقتل أعرابيًّا من بنى تميم بالزبير ، خَلِّ سبيل الرجل فخلّاه .

رثاء عاتكة للزبير

وذُكر أن عُمر الزبير لما قُتل سَبع وستون ، أو ست وستون سنة . فقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفيل ترثيه :

غَدر ابنُ جُرموز بفارسٍ بُهْمَةٍ ... يوم اللِّقاء وكان غيرَ[1] مُعَرِّدِ

يا عمرو لو نَبَّهته لوجدته ... لا طائشًا رَعِش البَنان ولا اليَد

شلّت يمينُك إن قتلت لَمُسلمًا ... حلّت عليك عُقوبة المُتعمِّد

إن الزُّبير لذو بلاء صادق ... سَمْح سجيّته كريم المَشْهد

فاذهب فما ظَفِرتْ يداك بمثله ... فيما مَضى ممن يَرُوح ويَغْتدى

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج خبر مقتل الزُّبير رضى الله عنه ، يقوله جرير بن الخطَفى يهجو الفرزدق ، ويعيّره بقتل عشيرته الزبير ، وهو :

إنّى تُذكِّرنى الزبيرَ حمامةٌ ... تدعو بمَجمع نخلتين هَديلا

أفتَى النَّدى وفَتَى الطِّعان قتلتمُ ... وفَتى الرِّياح إذا تهُب بَليلا

لو كنت حُرًّا يا بن أُم[2] مُجاشع ... شَيّعت ضيفَك فرسخين وميلا[3]

(١) البهمة ، هنا : الجيش ، وجماعة الفرسان . ومعرد ، أى منهزم .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « يابن قين » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « فرسخاً أو ميلا » .

قالت قريش ما أذلّ مُجاشعا جاراً وأكرم ذا القَتيل قَتيلا

شؤم عاتكة

وذُكر أن عاتكة بنت زيد هى من النساء المَعروفات بالشُّؤم ، تزوّجها عبدُ الله بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وعُمر بن الخطاب ، والزُّبير بن العوام ، والحُسين بن على رضى الله عنهم ، وكلهم قُتلوا عنها ، ورثتهم بأشعارها . فأول أزواجها عبدُ الله بن أبى بكر تزوّجها فى حياة أبيه أبى بكر رضى الله عنه ، فغَلبت عليه ، وكانت بارعة الجمال ، فمرّ عليه أبو بكر رضى الله عنه وهو معها فى عِلّيّة يناغيها فى يوم جُمعة ، وأبو بكر رضى الله عنه مُتوجه إلى الجُمعة ، ثم رجع وهو يناغيها . فقال : يا عبد الله ، أجمَّعت ؟ فقال : أو قد صلّى الناس ؟ قال : نعم . وكانت قد شغلتْه عن سُوق وتجارة كان فيها . فقال أبو بكر رضى الله عنه : قد شغلتْك عاتكة عن المَعاش والتجارة ، وقد ألهتك عن فرائض الله تعالى ، طلِّقها . فطلّقها تطليقة ، وتحوَّلت إلى ناحية الدار . فبينا أبو بكر رضى الله عنه يصلّى على سطح له إذ سمعه وهو يقول :

أعاتك لا أنساك ما ذرّ شارق وما ناح قُمرىُّ الحَمام المُطوّقُ
أعاتك إنى كل يوم وليلة إليك بما تُخفى النفوس مُعلَّق
لها خُلق جَزل ورأى ومَنطق وخُلْق سَوىٌّ فى حياء ومَصْدق
فلم أر مثلى طلّق اليوم مثلها ولا مثلَها فى غير شىء يُطلَّق

فسمع أبو بكر رضى الله عنه قولَه ، وقد رق له ، فقال : يا عبد الله ، راجع عاتكة . فقال : أشهدك أنى قد راجعتُها . وأشرف على غُلام له يقال له : أيمن ، فقال : يا أيمن ، أنت حُرّ لوجه الله ، أُشهدك أننى قد راجعت عاتكة . ثم خرج إليها يجرى إلى مُؤخّر الدار ، وقال :

أعاتكَ قد طُلقت فى غير ريبة ورُوجعت للأمر الذى هو كائنُ

كذلك أمر الله غادٍ ورائح ... على الناس فيـــه ألفة وتباين

وما زال قلبي للتفرّق طائراً ... فقلبي لما قرّت به العين ساكن (١)

لِيَهنك أنّي لم أجد فيك سَخطةً ... وأنك قد تمّت عليك المحاسن

وأنّك ممن زيّن الله وجهه ... وليس لوجه زيّن اللهُ شائن

وأعطاها عبد الله حديقة حين راجعها ، على ألّا تتزوّج بعـــده . وأصاب عبدَ الله سهمٌ من الطائف ، حين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاصرها ، فمات منه . فقالت عاتكة تَرثيه :

فلله عَينا من رأى مثلَ (٢) هالك ... أكرّ وأحمى فى الهياج وأصبرا

إذا أُشرعت فيه الأسنة خاضها ... إلى الموت حتى يترك الرُّمحَ أحمرا

فأقسمتُ لا تنفكّ عيني سخينةً ... عليك ولا ينفكّ جِلْدىَ أغبرا

يدَ الدهر ما غنّت حمامةُ أيكة ... وما طَرد الليلُ الصباحَ المُنوّرا

فخطبها عُمر بن الخطاب رضى الله عنـــه - وهو ابن عم أبيها زيد بن عمرو بن نُفيل . وقـــد تقدمت أخباره ، وأخوها سَعيد بن زيد رضى الله عنه أحد العشرة المَشهود لهم بالجنة — فقالت ، قد كان أعطانى حديقة على ألّا أتزوج بعده . قال : فاستفتى ، فاستفتت علىّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، فأفتاها بأن ترد الحديقة على أهله وتتزوج . فتزوّجت عمر رضى الله عنه . فدعى عُمرُ عليًّا رضى الله عنهما وجماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما بَنى بها ، فقال على رضى الله عنه : إن لى إلى عاتكة حاجةً أُريد أن أذكرها لها ، فقل لها تستتر حتى أكلّمها . فقال لها عُمر : استترى يا عاتكة فإن على بن أبى طالب يُريد أن يكلّمك . فأخذت مِرْطها فلم يَظْهر منها إلا ما بَدا من براجمها (٣) ، فقال . يا عاتكة :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لما قرب الله ساكن » .

(٢) فى غير التجريد : « مثله فتى » .

(٣) البراجم : مفاصل الأصابع كلها .

فأقسمتُ لا تنفكّ عينى سخينة عليك ولا ينفكّ جلدى أغبرا

فقال له عمر رضى الله عنه : يرحمك الله ، ما أردتَ إلى هذا ، فقال علىٌّ رضى الله عنه : وما أرادت إلى أن تقول ما لا تفعل ، وقد قال الله عز وجل : (كَبُرَ مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) هذا شىء كان فى نفسى أحببتُ أن يخرج . فقال عمر : ما حَسّن الله فهو حسن . فلما قُتل عمر رضى الله عنه ــ قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وقد أحرم بالصلاة والمسلمون خلفه يُصلون ــ قالت عاتكة ترثيه :

عين جُودى بعَبرة ونَحيب لا تملّى على الإمام النَّجيبِ
فجَعَتْنا المَنون بالفارس المُعـ ـلَم يوم الهِياج والتَّلْبيب
عِصمةِ الله والمُعين على الدَّهـ ـر غياث المُنتاب والمَحْروب
قُل لأهل الضّراء والبؤس موتُوا قد سَقَتْه المَنون كأسَ شَعوب

وقالت أيضاً :

مُنع الرقاد فعاد عينىَ[(١)] عِيدُ مما تَضمّن قلبىَ المعمودُ
يا ليلة حبُستْ علىّ نُجومها فسهِرتُها والشامتون رُقود
قد كان يُسهرنى حذارك مرة فاليوم حقّ لعينى التَّسهيد
أبكى أمير المؤمنين ودونه للزائرين صفائحٌ وصَعِيد

فلما انقضت عِدتها خَطبها الزبير بن العوام رضى الله عنه ، فأَجابته . فلما دخل بها قال لها : يا عاتكة ، لا تخرُجى إلى المسجد ــ وكانت امرأة عَجزاء بادنة . فقالت : يابن العوام ، أتريد أن أدع لغَيرتك مصلًّى صليت فيه مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم وأبى بكر وعُمر . قال : لا ، فإنى لا أمنعك . فلما سَمع النداء لصلاة الصبح توضأ وخرج ، فقام لها فى سقيفة بنى ساعدة . فلما خرجت إلى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عود » .

الصلاة ضرب بيده على عَجيزتها . فقالت له : مالك قطع الله يديك ، ورَجعت . فلما رجع من المسجد قال : يا عاتكة ، مالى لم أرك فى مُصلاّك ، قالت : يرحمك الله يا عبد الله ، فسد الناس بعدك ، الصلاة فى القَيطون [1] اليوم أفضل منهـا فى البيت ، وفى البيت أفضل منها فى الحجرة . فلما قُتل الزبير رضى الله عنه رثته بما تقدّم ذكره ، فتزوجها بعده الحسين بن على رضى الله عنهما ، فقُتل عنها يوم كربلاء ، فكانت أول من رَفع خَدّه من التراب يوم قُتل ، فقالت ترثيه :

واحُسيناً فلا نَسيتُ حُسينا ... أقصدته أسنّة الأعداء
غادروه بكَربلاء صريعاً ... جادت المزن فى ذَرى كَربلاء

وتأيّمت بعد ذلك ، فكان عبد الله بن عُمر رضى الله عنهما يقول : من أراد الشهادة فليتزوج عاتكة .

وذُكر أن مروان بن الحكم خطبها بعد الحسين رضى الله عنه ، فامتنعت عليه وقالت : ما كنت لأتخذ حماً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) القيطون : المخدع .

أخبار خفاف بن ندبة (*)

نسبه: هو خُفاف بن عمير بن الحارث بن الشَّريد بن رِياح بن يَقَظة بن عُصيّة ابن خُفاف بن أمرىء القيس بن بُهثة بن سُليم بن مَنصور بن عكرمة بن خَصفة ابن قيس عيلان بن مُضر بن نزار .

أمه: وندبة ، أمه ، وهى أمة سوداء .

شىء عنه: وكان خُفاف أسودَ أيضاً . وهو شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من فُرسانهم ، جعله ابن سلّام فى الطَّبقة الخامسة من الفُرسان مع مالك بن نُويرة ، ومع أُبنى عمّه: صَخر ومعاوية ، ابنى عمرو بن الشَّريد، ومالك بن حِمار(1) الشَّمخى ، أحد بنى شَمخ ، من فزارة ، فارس فزارة وسيدهم ، وفيه يقول خُفاف حين طعنه فقتله :

فإن تك خَيلى قد أُصيب صَميمُها ... فعَمْداً على عَينٍ تيمَّمتُ مالكا
أقول له والرُّمح يَأْطر(2) مَتْنَه ... تأمَّل خُفافا إنّنى أنا ذالكا

التهاجى بينه وبين ابن مرداس: ثم ذكر أبو الفرج التَّهاجى بينه و بين العباس بن مرداس السُّلمى ، وطوّل القول فى ذلك ، فلم أر ذكر شىء منه .

الشعر الذى فيه الغناء: والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار خُفاف :

ألَا طرقت أسماءُ لا حينَ مَطرقِ ... وأنَّى إذا حلَّت بنَجْران نَلْتقِى

(*) وقبل « أخبار خفاف » ذكر أبو الفرج أخبار دنانير وأخبار عقيل ، وقد مر عنهما ابن واصل .

(1) وكذا فى النقائض (ص : ٧٦) . وفى غير التجريد : « حماد » . وفى جمهرة أنساب العرب (٢٤٧) : « خيار » . (2) يأطر متنه : يثنى .

أخبار جبهاء

اسمه

ثم ذكر أبو الفرج جَبهاء الأشجعىّ . ويقال له أيضاً : جُبيهاء . وأُسمه : يزيد ابن عُبيد ، أحد بنى بكر بن أشجع .

شىء عنه

وهو شاعر بدوى ، من شعراء الدولة الأموية ، ليس من الفحول ، ولا ممن مدح الخلفاء .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى افتتح به أبو الفرج أخباره ، هو :

أَلَا لا أُبالى بعـد رَيّا أوافقت ... نَوانا نَوى الجيران أم لم تُوافِقِ

هِجَانُ المُحيَّا حُرّة الوجه سُربلت ... من الحسن سِربالًا عتيقَ البنائق (١)

---

(١) البنائق : جمع : بنيقة ، وهى مضم الزر .

أخبار والبة بن الحباب

نسبته وكنيته

هو أسديّ صليبةً[1]، كوفى ، شاعر من شُعراء الدولة العبّاسية . ويكنى : أبا أُسامــة .

منزلته فى الشعر

وهو أُستاذ أبى نُواس . وكان ظريفاً غَزِلا وصّافاً للخمر والغِلمان المُرْد . والشعر له فى ذلك مُقارَبٌ ليس بالجيد .

هو وبشار وأبو العتاهية

وهاجَى بشّار بن بُرد وأبا العتاهية ولم يَصنع شيئاً وفَضحاه ، فعاد إلى الكوفة كالهارب .

شهادة عمارة له عند المهدى

وذُكر أن المهدىّ قال لُعمارة بن حَمزة : من أرقُّ الناس شعراً ؟ فقال له : والبة ابن الُحباب ، وهو الذى يقول :

ولها ولا ذَنبٌ لهـا   حُبٌّ كأطراف الرِّماحِ
فى القلب يَقدح والحشى   فالقَلب مَجْروح النواحى

فقال : صدقت . فقال : فما يمنعك من منادمته يا أمير المؤمنين ؟ قال : يمنعنى قولُه :

قلت لساقينا على خَلوة   أَدْنِ كذا رأسَك من[2] راسِى
ونَم على صدرك لى ساعةً   إنى أمرؤ أَنكح جُلّاسى

أفتريد أن نكون من جُلاسه على هذه الشريطة ؟

شعره الذى فيه الغناء

والبيتان الأولان ، هما الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار والبة .

---

(١) صليبة : أى قريب القرابة .

(٢) فى غير التجريد : « راسيا — جلاسيا » .

كان يعشق أبا نواس

وذُكر أن والبة كان يعشق أبا نواس ، وهو القائل :

يا شقيق النفس من حكم   نِمْتَ عن ليلى[1] ولم أَنِم

ثم أُدعى أبو نواس هذا الشعر ، فلا يُعرف إلا به .

بينه وبين أبي نواس

وذُكر أن والبة بن الُحباب كشف ثوب أبي نواس يوماً ، فرأى حُمرة أليتيه و بياضهما ، فلم يملك نفسه أن قبّلهما ، فضرط عليه أبو نواس . فقال والبة : لم فعلت هذا ؟ فقال : كراهية أن يضيع قول القائل : ما جزاء من قَبل الآست إلا ضَرْطة .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عن عينى » .

أخبار عمران بن حطّان

نسبه — هو عِمران بن حِطّان بن ظبيان بن لَوذان بن عمرو بن الحارث بن سَدوس. ابن شَيبان بن ذُهل بن ثعلبة بن عُكابة بن على بن بكر بن وائل . ويكنى أبا شهاب .

عقيدته — شاعر فصيح من شعراء الخوارج ودُعاتهم والمُقدمين فى مذهبهم . وكان من القَعَدة ، لأن عُمره طال فضَعُف عن الحرب وحُضورها ، فاقتصر على الدعوة والتّحريض بلسانه . وكان قبل ذلك يطلُب الحديث والعِلم ، ثم ابتلاه الله تعالى بمذهب المارقة فضلّ وأضل .

أدرك عائشة — وكان أدرك أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وغيرها من الصحابة وروى عنهم .

هربه بمذهبه وموته — وأصل عِمران من البصرة ، فلما اشتهر بهذا المذهب الخبيث طَلَبه الحجاج فهَرب إلى الشام ، فطلبه عبدُ الملك فهرب إلى عُمان ، وكان ينتقل من مكان إلى مكان ، حتى مات فى تواريه . .

عبدالملك والحجاج فى شأنه — وذُكر أن عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجّاج بن يوسف يُخبره بصفة عمران بن حِطّان وأنه ينتقل فى مدائن الشام . فاجتهد عبد الملك فى طلبه . ونزل عمران برَوح بن زِنباع الجُذامى ، ورَوح لا يعرفه . وكان رَوح يسمُر عند عبد الملك ، فقال له ليلة : يا أمير المؤمنين ، إن فى أضيافنا رجلاً ما سمعتُ منك حديثاً إلا سمعته منه ، وزادنى مما ليس عندى . فقال : ممن هو ؟ فقال : من الأزد . وكان عمران قال لروح : إنى من الأزد . فقال : إنى لأسمعك تصف صفة عمران بن حطان ، لأنى سمعتك تذكر لغة فزارية ، وصلاة وزهداً ورواية وحفظاً ، وهذه صفته . قال

روح : ما أنا وعمران . ثم دعا عبد الملك بكتاب الحجاج ، فإذا فيه صفة عمران ، وأنه رجل طوال أفوه . فقال روح : هذه والله صفة الرجل . ثم أنشد عبدُ الملك قول عِمران بن حطّان يَمدح عبد الرحمن بن مُلجم المُرادى بقتله على بن أَبى طالب رضى الله عنه :

يا ضَربة مِن تقِيّ[1] ما أَراد بها إلّا ليبلُغ من ذى العَرش غُفرانَا
إنى لأذكره يوماً فأَحسبه[2] أَوفى البريّة عند الله مِيزانا

ثم قال عبد الملك : من يعرف منكم قائلها ؟ فسكت القوم جميعاً . فقال لروح : سل ضيفك عن قائلها . قال : نعم ، أَنا سائله فما أَراه يخفى عليه ، وما سألته عن شىء قط فلم أَجده عالماً به . وراح رَوح إلى أَضيافه فقال لهم : أَمير المؤمنين قد سألنا عن الذى يقول :

* يا ضربة من تقىّ ما أَراد بها *

ثم ذكر الشعر ، وسألهم عنه . فقال عمران : هذا قول عمران بن حِطّان فى ابن مُلجم ، قاتل علىّ بن أَبى طالب . فقال : فهل فيها غير هذا تُفيدنيه ؟ قال : نعم :

لله دَر المُرادىّ الذى سفكت كفّاه مُهجة شر الخلق إنسانَا
أَمسى عشيّة غَشّاه بضربته مما جناه من الآثام عُريانا

فغدا رَوح فأَخبر عبد الملك . فقال : من أَخبرك بذلك ؟ قال : ضيفى . فقال : أَظنه والله عمران بن حطان ، فأَعلمه أَنى قد أَمرتك أَن تأتينى به . فقال : أَفعل . فراح روح إلى أَضيافه ، ثم أَقبل على عمران ، فقال : إنى ذكرتُك لأمير المؤمنين فأَمرنى أَن آتيه بك . فقال : قد كنت أُحب ذلك وما مَنعنى من ذكره إلا الحياء

(١) فى بعض أصول الأغانى : «كريم» .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « إنى لأفكر فيه ثم أحسبه » .

منك ، وأنا متبعك ، فانطلق . فدخل روح على عبد الملك ، فقال له : أين صاحبك ؟ فقال : قال لى : أنا متبعك . فقال : أظنك والله سترجع فلا تجده . فلما رجع إلى منزله إذا عمران قد مضى ، و إذا هو قد خلّف رقعة عند رأسه ، فإذا فيها :

يا رَوح كم من أخى مَثْوى نزلت به ... قد ظنّ ظنّك من لَخم وغَسّانِ
حتى إذا خفتَه فارقتُ منزله ... من بعد ما قيل : عمران بن حِطّان
قد كنت ضيفَك حولاً لا تُروِّعنى ... فيه الطوارقُ من إنس ومِن جان
حتى أردت بى العُظمى فأوحشنى ... ما أوحش الناسَ من خوف ابن مروان
فاعذر أخاك ابنَ زنباع فإنّ له ... فى الحادثات هناتٍ ذات ألوان
يوماً يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يمن ... وإن لقيت معديًّا فعَدْنانى
لو كنتُ مستغفراً يوماً لطاغية ... كنتَ المقدَّم فى سرِّى و إعلانى
لكن أبت ذاك آياتٌ مطهّرة ... عند التلاوة فى طه وعمران

استشهاد رجل من متخلفى الخوارج بشعر له

وذُكر أنه كتب عيسى الحبطى إلى رجل من الخوارج ـ يقال له : أبو خالد ـ تخلف عن الخروج مع قطرى بن الفجاءة المازنى ، أو غيره منهم :

أبا خالد انفر فلست بخالد ... وما ترك القرآنُ عذراً لقاعدِ
أتزعم أن الخارجينَ على الهدى ... وأنتُ مقيمٌ بين لصٍّ وجاحد

فكتب إليه : ما يمنعنى من الخروج إلا بناتى والحدب(١) عليهن ، حيث سمعتُ عِمران بن حطّان يقول :

لقد زاد الحياة إلىّ حُبًّا ... بناتى إنهنّ من الضِّعافِ
مخافةَ أن يذُقن البؤس بعدى ... وأنْ يَشرَبْن رَنْقا بعد صافى
وأن يَعْرين إن كسى الجوارى ... فيُبدى الضُّرُّ عن هُزل عِجاف(٢)

(١) فى بعض أصول الأغانى : «والخوف» . وفى بعض آخر : « والحرب » .
(٢) العجاف : جمع عجفاء ، وهى المهزولة .

فلولا هن قد سَوّمت مُهرى وفى الرحمن للضُّـعفاء كافى

فجعل عيسى يقرأ الأبيات و يبكى و يقول : صدق أخى ، إن فى ذلك لعذراً ، و إن فى الرحمن للضعفاء كافيا .

وهذه الأبيات هى الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عمران ابن حطّان . شعره الذى فيه الغناء

أخبار الأضبط بن قريع (*)

شعره الذى فيه الغناء

ثم ذكر أبو الفرج الأضبط بن قريع ، والشعر الذى له وفيه الغناء :

قد يجمع المالَ غيرُ آكله ويأكل المالَ غيرُ من جمعهْ

فاقبلْ من الدهر ما أتاك به من قَرَّ عيناً بعَيشه نفعه

لكُل هَمٍّ من الهُموم سعه والصبح والمسا لا بقاء معه

وهذه من أبيات ، منها :

لا تحقرن الفقير علك أن تَرْ كع يوماً والدهرُ قد رَفعه

(*) وقبل أخبار الأضبط ترجم أبو الفرج لعمارة بن الوليد ، إلا ان ابن واصل مر عنه ولم يشر .

أخبار أعشى ربيعة

هو عبد الله بن خارجة بن حَبيب بن قَيس بن عمرو بن حارثة بن أبي رَبيعة ابن ذُهل بن شَيبان بن ثَعلبة بن عُكابة بن صَعب بن عليّ بن بكر بن وائل ابن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعميّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . نسبه

شاعر إسلاميّ من ساكني الكوفة ، وكان مروانيّ المذهب ، شديدَ التعصُّب لبني أمية . مروانى المذهب

وذُكر أنّ الأعشى هذا قَدم على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : ما الذى بقى منك ؟ قال : لقد ذهب منّى وقد بقى علىّ ، إنى أنا الذى أقول : قدومه على عبد الملك، وما كان من زيد الكاتب

وما أنا فى أمرى ولا فى خُصومتى ... بمُهتَضم حقِّى ولا قارع سِنّى
ولا مُسلِمٍ مولاى عند جناية ... ولا خائفٍ مولاى من شَرّ ما أجنى
وإنّ فؤاداً بين جنبيّ عالم ... بما أبصرتْ عَينى وما سمعت أُذنى
وفَضّلنى فى الشِّعر واللُّب أنّنى ... أقول على عِلْمٍ وأعرف من أَعنِى
وأصبحت إذ فضّلت مروانَ وابنه ... على الناس قد فضّلت خير أبٍ وابن

فقال عبد الملك : من يلومنى على هذا ؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وعشرة تُخوت من ثياب ، وعشر فرائض[1] من الإبل ، وأَقطعه ألف جَريب[2] ، وقال : امض إلى زيد الكاتب يكتُب لك بها . فأتاه وتردّد إليه مراراً ، فأبطأ عليه ، فأتى سفيان بن الأبرد الكلبي مُستشفعاً به إلى زيد ، فكلمه سفيان فأبطأ عليه ، فعاد الأعشى إلى سفيان فقال له :

---

(١) الفرائض : جمع فريضة ، وهى المسنة من الإبل .

(٢) الجريب : قدر ما يزرع من الأرض .

عُد إذ بدأت أبا يحيى[١] فأنت لها ... ولا تكُن حين هاب الناسُ هيَّابَا
وأشفع شَفاعة أنفٍ لم يكُن ذَنَبا ... فإنّ مِن شُفعاء النــاس أذنابا

فأتى سُفيان زيداً فلم يفارقه حتى قضى حاجتَه .

ومن جيد الشعر

ومن جيّد الشعر قولُ الأعشى يمدح عبد الملك بن مروان :

رأيتُك أمسِ خيرَ بنى سعيد ... وأنت اليوم خيرٌ منك أمسِ
وأنت غدا تَزيد الضِّعف فضلا ... كذاك تَزيد سادةُ عبد شَمس

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبـار الأعشى ، هو البيتان الأولان من الأبيات التى تقدم ذكرها[٢] .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بحسنى » مكان «أبا يحيى » .
(٢) يعنى القصيدة (ص : ١٩٣١) .

أخبار عمرو بن قميئة

هو عمرو بن قَمِيئة بن سَعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثَعلبة بن عُكابة ابن صَعب بن علىّ بن بكر بن وائل ، وقد تقدم بقية النسب . نسبه

وقد ذكر أنّ عمراً هذا من قُدماء الشعراء فى الجاهلية . ويقال : إنه أول من قال الشعر من نِزار ، وهو أقدم من أمرىء القيس ؛ ولقيه أمرؤ القيس فى آخر عُمره فأخرجه معه فى طريقه ، وسمّته العرب عَمراً الضائع ، لموته فى غُربة ، وفى غير أَرب ولا مطلب . أقدميته ولقاؤه امرأ القيس

وذُكر أن عَمرو بن قَميئة كان شاعراً فحلاً متقدّماً ، وكان شاباً جميلًا حسنَ الوجه مديدَ القامة حسنَ الشعر . ومات أبوه وخلّفه صغيراً ، فكفله عمه مَرثَدُ ابن سعد ، وكانت سَبّابتا قَدميه ووُسْطاهما مُلتصقتين . وكان عمه مُحبّاً له رفيقاً عليه مُعجَباً به ، وكان عند مرثد أمرأة ذات جَمال ، فهَوِيت عَمراً وشُغفت به ولم تُظهر ذلك له ، فغاب مَرثد لبعض أمره ، فبعثت أمرأتُه إلى عمرو تدعوه على لسان عمّه ، وقالت للرسول : ائتنى به من وراء البُيوت . ففعل . فلما دخل أنكر شأنَها ، فوقفت ساعة ثم راودتْه عن نفسه ، فقال : لقد جئتِ بأمر عظيم ، وما كان مثلى ليُدعى لمثل هذا ، والله لو لم أمتنع من ذلك وفاءً لعمى لأمتنعنّ خوفَ الدناءة والذِّكر القبيح الشائع فى العرب . فقالت : والله لتفعلنّ أو لأسوأنّك . فقال : إلى المَساءة دَعَيْتِنِي ! ثم قام فخرج من عندها . وخافت أن يُخبر عمّه بما جرى ، فأمرت بجَفنة فكُبّت على أثر عمرو . فلما رجع عمّه وجدها مُغضبة ، فقال لها : مالكِ ؟ فقالت : إن رجلًا من قومك قريب من القرابة جاء يَستامنى نفسى ، ويُريد فراشك منذ خرجت . قال : هو وامرأة عمه

ومن هو ؟ قالت أما أنا فلا أسميه ، ولكن قم فاقْف أثره تحت الجفتة . فلما رأى الأثر عرفه . وكان لمرثد سيف يقال له ذو الفقار ، فآلى ليضربنّه به ، فهرب فأتى الحيرة ، فكان عند اللخميّين ، ولم يكن يقوى على بني مرثد لكثرتهم ، وقال لعمرو بن هند : إن القوم أطردونى . فقال له : ما فعلوا إلا وقد أجرمت ، وأنا أفحص عن أمرك ، فإن كنتُ مجرماً رددتك إلى قومك . فغضب وهَمّ بهجائه وهِجاء مرثد ، ثم أعرض عن ذلك وَمدح عمّه وأعتذر إليه .

شهادة عادلة

وذُكر أن رجلًا سأل حماداً الراوية : مَن أشعر الناس ؟ قال الذى يقول :

رمتنى بناتُ الدّهر من حيث لا أرى فكيف بمن [1] يُرمى وليس برامِي

تعميره

وذُكر أنه عُمّر تسعين سنة ، ولمّا بلغها قال :

كأنى وقد جاوزتُ تسعين حجة خلعتُ بها عنّى عِنان لجامِي
على الراحتين مرةً وعلى العصا أنوء ثلاثاً بعدهن قِيامى
رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى وكيف بمن يُرمى وليس برامى
فلو أن ما ترمى [2] بنَبل رأيتها ولكنما أرمى بغير سهام
وأهلكني تأميل يوم وليلة وتأميلُ عامٍ بعد ذاك وعام

شعر امرئ القيس فيه

ويقال إن عمرو بن قَمِيئة هو الذى عناه أمرؤ القيس بقوله :

بكى صاحبى لمّا رأى الدّرب دونه وأيقن أنّا لاحقان بقَيصرَا
فقلت لا تبك عينُك إنما نُحاول ملكا أو نَموت فنُعذرا

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عمرو بن قميئة ، هو قوله :

نأتك أُمامةُ إلا سُؤالا وإلا خيالًا يُوافى خَيالَا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فما بال من » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فلو أن ما أرمى » .

يُوافى مع الليل ميعادها ... ويأبى مع الصّبح إلّا زِيالا (١)

فذلك تَبــذل من وُدها ... ولوشهدت لم تُوات النَّوالا

وقــد رِيع قلبيَ إذ أعلنوا ... وقيل أجدّ الخليط احتمالا

المؤمــل بن جميــل

ثم ذكر أبو الفرج « المؤمل بن جميل » ولم أختر له شيئاً .

مساور بن سوار

شىء عنه

ثم ذكر « مُساور بن سوار الوراق » مولى قيس عيلان . وكان قليل الشعر ، من أصحاب الحديث .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار مساور الوراق هو :

إنّى وهبتُ لظالمى ظُلمى　　　وغفرتُ ذاكَ له على عِلْمِ
ما زال يَظلمنى وأرحمه　　　حتى رثيتُ له من الظُّلْمِ

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : «زيالا» مكان «احتمالا» .

أخبار سعيد بن حميد بن يحيى

أصله وشيء عنه

يكنى : أبا عثمان . من أولاد الدَّهاقين . وأصله من النَّهروان . ويقال : إنه مولى بني سامة بن لؤي . ومولده ببغداد ، وبها نشأ . وكان يتنقّل فى السُّكنى بينها و بين سُرَّ من رأى . وهو شاعر حسن الكلام ، فصيح .

شيء عن أبيه

وكان أبوه وجهاً من وُجوه المُعتزلة ، فخالف أبن أبي دُواد فى بعض مذهبه ، فأغرى المعتصم وقال : إنه شُعو بى زنديق . فحَبسه مدة طويلة ، ثم خلّى الواثقُ سبيلَه . وكان شاعراً أيضاً .

بينه و بين ابن ثوابة فى غلام أمرد

وذكر أن أبا العباس بن ثوابة كان يُعاتب سعيد بن حُميد على الشّغف بالغلمان المُرد ، فدخل سعيد بن حُميد يوماً على أبي العباس فرأى على رأسه غُلاماً أمردَ حسن الوجه عليه مِنطقه وثياب حِسان ، فقال ، يا أبا العباس :

أزعمت أنك لا تَلُوط فقُل لنا ... هذا المُقَرْطَق قائماً ما يَصنعُ

شهدت ملاحتُه عليك برِيبة ... وعلى المُريب شواهدٌ لا تُدْفَع

فضحك أبو العباس وقال : خذه لا بورك لك فيه ، حتى نستريح من عَتْبك .

هو وغلام من الموالى

وذُكر أن سعيد بن حُميد كان يهوى غلاماً من أولاد المَوالى ، فغاب عنه مدة ثم جاءه مُسلِّماً عليه ، فقال له : غبت عنى هذه المدة ثم جئتنى ولا تقيم عندى . فقال له : قد أمسينا . فقال : تبيت . فقال : لا والله ، ما أقدر . ولم يزل به حتى اتفقا على أنه إذا سمع آذان العَتمة انصرف . فقال له : قد رضيت . ووضع النبيذ ، فجعل سعيد يحث السّقى بالأرطال ، فلما قرُب وقت العَتمة أخذ ورقة وكتب فيها :

قُل لداعى الفِراق أخِّر قليلا ... قد قَضينا حقَّ الصلاة طَويلَا

أَخِّرِ الوقت فى الأذان وقَدِّم بعـد ذا الوقت بُكرة وأصيلا
ليس فى ساعـة تُؤخرها وِزْ رٌ فتحتى بها وتأتى [(١)] جَميلا
وتُراعى حق المودة فينـا وتُعـافَى من أن تكون ثقيلا

فلما قرأ المؤذن الرقعة ضَحِك ، وكتب إليـه يَحلف أنه لا يؤذِّن ليلته تلك العَتَمة . وجعل الفتى ينتظر الأذان حتى أمسى ، وسمع صوت الحارس ، وعلم أنها حيلة وقعت عليه ، وبات فى موضعه .

اعتذاره إلى فضل

وذُكر أن سعيداً كتب إلى فَضل الشاعرة رُقعة يعتذر إليها من تغيُّر ظنَّتْه به ، وفى آخرها .

تَظنُّون أنى قـد تبدّلت بعدكم بديلاً و بعضُ الظَّن إثم ومُنكَرُ
إذا كان قلبى فى يديكم رَهينـة فـكيف بلا قلبٍ أُصافى وأهجُر

شعره إلى ابن ثوابة وقد غلظ عليه

وذُكر أنّ سَعيد بن حُميـد كان صديقاً لأبى العباس بن ثَوابة ، فدعاه يوماً ، فجاءه رسول فضل الشاعرة فسأله المصير إليها ، فمَضى معه وتأخّر عن أبى العباس ، فكتب إليه رُقعة يُعاتبه معاتبةً فيها بعض الغِلظة . فكتب إليه سعيد :

أَقْلِلْ عتابَك فالبقاء قليـلُ والدهرُ يَعـدل مرةً ويَميلُ
لم أبكِ من زَمن ذممتُ صروفه إلّا بكيتُ عليه حين يَزول
ولـكل نائبة ألمّت مـدة ولـكل حالٍ أقبلت تَحويل
والمُنتمون إلى الإخاء جماعـة إن حُصِّـلوا أفناهم التَّحصيل
ولعلّ أحداثَ اللّيالى والرَّدى يوماً ستَصدع بيننـا وتَحول
فلئن سبقتُ لتبكينَّ بحَسرة وليكثُرنّ علىّ منك عَويل
ولتفجعنّ بمُخلص لك وامقٍ حبلُ الوفاء بحَبله [(٢)] موصول

---

(١) لم يرد هذا البيت إلا فى التجريد .

(٢) الأبيات التالية لم ترد إلا فى التجريد .

وليذهبنّ جمال كل مروءة ... وليعفُونّ فناؤها المأهول
ولئن سبقتَ ولا سبقتَ ليمضين ... مَن لا يُشاكله لدىّ عَديل
وأراكَ تَكلف بالعِتاب وودّنا ... باقٍ عليه من الوفاء دَليل
وُدٌّ بدا لذوى الإخاء جميله ... وبدت عليه بَهجة وقَبول
ولعلّ أيّام الحياة قصيرة ... فعلام يكثُر عتْبنا ويطُول

شعر فضل إليه

وذُكر أنه بلغ فَضلَ الشاعرة أنّ سعيد بن حُميد تعشّق جاريةً من جوارى القِيان ، فكتبت إليه :

يا عالىَ السِّن سيِّء الأدب ... شِبْت وأنت الغلامُ فى الطَّرب
ويحك إن القِيانَ كالشَّرك الـ ... ـمنصوب بين الغُرور والعَطَب
لا يتصدَّين للفقير ولا ... يطلُبن إلّا معادن الذّهب
بينا تشكّى هواكَ إذ عدلت ... عن زَفرات الشّكوى إلى الطّلب
تلحظ هذا وذا وذاك وذا ... لحظ مُحبٍّ بعين مُكتئب

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار سعيد بن حميد ، هو :

تنامين عن لَيلِى وأسهره وحدى ... وأنهى جُفونى أن تبُثك ما عِندى
فإن كنتِ لا تدْرين ما قد فعلتِه ... بنا فانظُرى ماذا على قاتِل العَمْد

أخبار ابن مُناذر

اسمه وكنيته

هو محمد بن منـاذر ، مولى بنى ضُبير بن يَربوع ، ويكنى : أبا جعفر . وقيل : أبا عبد الله . وقيل : أبا ذَريح ، باُسم ولد له يسمى : ذَريحا ، مات صغيرا ، وفيه يقول :

كأنك للمنـايا يا ... ذَريحُ اللهُ صَـوّرك

فناط بوجهك الشِّعرى ... وبالإكليـل قَلّدك

قول الجاحظ فى نسبه

وقال الجاحظ : كان محمد بن مناذر مولى سليمان القهرمان ، وكان سليمان مولى عُبيد الله بن أبى بكرة ، مولى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، وكان أبو بكرة عبداً لثقيف ؛ ثم ادعى عُبيـد الله بن أبى بكرة أنه ثقفى ، وادعى سليمان القهرمان أنه تميمىّ ، وادعى ابن مناذر أنه صليبة من بنى ضُبير بن يربوع . فابن مناذر مولى مولى مولى ، وهو دَعىّ مولى دَعى مولى دعي ، وهذا مما لا يجتمع فى غيره قط ممن عرفناه وبلغنا خُبره .

منزلته فى الشعر وشىء عنه

وكان ابن مناذر شاعراً فصيحاً متقدِّماً فى العلم باللغة ، إماماً فيها ، أخذ عنه أكابر أهلها . وكان فى أول أمره يتألّه ، ثم عدل عن ذلك فهجا الناس وتهتك وقذف أعراض أهل البصرة ، حتى نُفى إلى الحجاز ، فمات هناك .

عصره

وذكر أنه أدرك المهدى ومدحه ، وعاش إلى آخر أيام المأمون .

هو وقومه حين كرهوا إمامته

وذكر أن ابن مناذر كان يؤم الناس فى المسجد الذى فيه قبيلتُه ، فلما أظهر ما أَظهر من الخلاعة والمُجون كرهوا أن يُصلِّى بهم ، وأن يأتموا به ، فقالوا شعراً

وذكروا ذلك فيه ، وهجَوه، وألقوا الرُّقعة فى المحراب ، فلما قضى صلاته قرأها ثم قَلبها وكتب فيها :

نُبِّئت قافيــةً قِيلت تَناشدها قومٌ سأترُكُ فى أعراضهم نُدَبَا

نالكَ الذين رَووهــا أمَّ قائلها ونالكَ قائلُهــا أمَّ الذى كتبا

ثم رمى بها إليهم ، ولم يَعد إلى الصلاة بهم .

أول تهتكه — وكان أول تهتّك ابن مناذر أنه عشق عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى وفُتن به ، فتهتّك بعد ستره ، وفَتك بعد نُسكه .

شعره الذى فيه الغناء وشىء عن عبد المجيد معشوقه — ولما تُوفى عبد المجيد هــذا رثاه ابن مُناذر بالقصيدة التى أولهــا الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار ابن مناذر ، وهو :

كُلّ حىّ لاقِى الحِمام فمُودى ما لِحَيّ مؤمَّل من خُــلودِ

لا يَهاب المَنونُ شيئاً ولا تُبـ ـقِى على والدٍ ولا مَــولود

وحَــكى خلّاد الأرقط قال : لقينى ابنُ مناذر بمكة فأنشدنى هذه القصيدة ، ثم قال : اقْرَأْ أبا عُبيدة السلام وقل له : يقول لك ابن منــاذر : اتّق الله واحكم بين شعرى وشعر عدِىّ بن زيد ، ولا تَقُل : ذلك جاهلىّ وهذا إسلامى ، فتحكم بين العصرين ، ولــكن احكُم بين الشعرين ودَع العصبية . وكان ابن منــاذر يَنحو نحو عدِىّ بن زيد ويَميل إليه ويقدّمه ، ومنها :

إن عبدَ المَجيــد يوم تولَّى هدّ رُكناً ما كان بالمَهْدُودِ

هدّ عبدُ المجيد رُكنى وقد كنـ ـتُ بُركنٍ أبوءُ منــه شديد

ما دَرى نعشُه ولا حاملوه ماعلى النّعش من عَفاف وجُود

وأرانا كالزرع يَحْصُدنا الدهـ ـر فمِن بين قائمٍ وحَصــيد

ومنهـا :

لأقيمنّ مأتماً كنجـوم اللـ ـيل زُهراً يَلْطِمن حُرّ الُخدود

مُوجعات يبكين للكَبِد الحرّ ى عليـه وللفؤاد العَميد

كنتَ لى عصمةً وكنت سماءً بك تحيا أرضى ويخضرّ عُودى

ولما سمعتْ أم عبد المجيد هذا الشعر قالت : والله لأُبرّن قسمه . فأقامت عليه مأتمًا ، وقامت مع أخوات عبد المجيد وجواريه يَصِحن عليه : واى، ويه . ويقال إنها أول من فعل ذلك وقاله فى الإسلام .

ومنهـا :

يَقدح الدهرُ فى شَماريخ رَضوَى[1] ويَحُط الصُّخور من هَبُّود[2]

وذُكر أن أعرابيًّا سمع هـذا البيت فقال : ما أجهل قائله بهَبُّود ؟ والله إنها لأَكمة ما تُوارى الخارئ ، فكيف يحُط منها الصخور[2] .

من حب ابن مناذر لعبد المجيد

وذُكر أن عبد المجيد هـــذا كان من أحسن الناس وجهاً وأدباً ولباساً ، وأكملهم فى كل حال ، وكان على غاية المحبّة لأبن مناذر والمُساعدة له والشَغف به ، وكان يبلِّغ أباه خبره ، على جلالته وسنه وموضعه من العلم ، فلا يُنكر ذلك ، لأنه لم يكن تبلُغه ريبةٌ عنه .

وذُكر أن ابن مُناذر خرج فى صـلاة التراويح ، وهو فى المَسجد بالبصرة ، وخرج عبد المجيد خلفه ، فلم يزل يُحدِّثه إلى الصُّبح ، وهما قائمان ، إذا انصرف عبد المجيد شيّعه أبن مناذر إلى منزله ، فإذا بلغـــه وأنصرف أبن مُناذر تَبعه عبد المجيد ، لا يَطيب أحدُهما نفساً بفراق صاحبه حتى أصبحا . فقيل لعبد الوهاب

(١) رضوى : جبل بالمدينة .

(٢) ذكر ياقوت هذا البيت فى رسم « هبود » وذكر قصة كهذه ولكنها تختلف عنها .

أبى عبد المجيد : ابن مناذر قد أفسد ابنك . فقال : أوما يَرضى ابنى أن يرضى ابن مناذر به .

مدح ابن مناذر لعبد المجيد

ومما قاله ابنُ مناذر يمدح به عبد المجيد هذا قصيدةً أولها :

شَيّب رَيْبُ الزمان رأسى لهفى على رَيْب ذا الزمان
يقدح فى الصُّم من شَرَورَى ويُحدر العُصْم من أبان(١)

ومنها :

منّى إلى الماجد المُرجّى عبد المجيد الفتى الهِجان
خير ثقيف أبًا ونفسا إذا ٱلتقت حَلْقتا(٢) البطان
نَفسى فداء له وأهلى وكُل ما تَملك اليَدان
كأنّ شمسَ الضُّحى وبَدْر الدُّجى عليه مُعلَّقان
نِيطا معًا فوق حاجبيه والشمسُ والبدرُ يَضحكان
مُشمِّرًا همُّه المعالى ليس بَرِثٍّ ولا بوانِى
بَنى له عزةً ومجداً فى أول الدهر بانِيان
بانٍ تلقّاه من ثقيف ومن ذوى الأزد خيرُ بانِى
فاسأله ممّا حوت يداه يهتزّ كالصارم اليَمانى

وكان عبد المجيد هذا محدِّثًا جليلا ، قد رَوى عنه وُجوه المحدِّثين وكُبراء الرُّواة .

مرض عبد المجيد ولزوم ابن مناذر له

ومرض عبد المجيد مرضاً شديداً ، فكان ابن مناذر مُلازماً له يُمرّضه ويخدُمه ولا يتولى أمرَه غيره بنفسه ، ولا يَكله إلى أحد .

فحكى بعضُ مَن حضره قال : إنه أُسخن لعبدالمجيد ماء حارٌّ ليشرب به ، فاشتد به الأمر فجعل يقول : آه ، بصوت ضعيف . فغمس ابن مُناذر يده فى الماء الحار

(١) شرورى : جبل مطل على تبوك . وأبان : أحد جبلين ، سمى أحدهما : أبان الأبيض ، والآخر : أبان الأسود . أو هما شرقى الحاجر : وبينهما ميلان ، (٢) البطان : حزام القتب .

وجَعل يقول : آه ، مع عبد المجيد ويده تحترق ، وقد كادت تسقط . قال : فجذبناها وأخرجناها ، وقلنا له : أمجنون أنت ! إيش هذا ! أيَنتفع[1] هو بذاك ؟ فقال : أساعده ، وهذا جهدٌ من مُقل .

جزع ابن مناذر على موت عبد المجيد ورثاؤه له

ثم أستقل عبدُ المجيد من علّته تلك وعُوفى مدة طويلة ، ثم وَقع من سطح فمات . فجزع عليه ابن مُناذر جزعاً شديداً ، حتى كاد يفضُل أهلَه وإخوته فى البكاء والعويل ، وظَهر منه من الجزع ما عجب الناس له ، ورثاه بالقصيدة الدالية وغيرها . ومما رثاه به :

يا عين حقّ لك البُكا ء بحادث الرُّزء الجَليلْ
فأبكى على عبد المجـ ـيد وأعولى كُلَّ العَويل
لا يُبعد اللهُ الفتى الـ ـفيّاض ذا الباع الطَّويل
عَجِل الحِمامُ به فودَّ عنا وأذّن بالرحيل
لَهفى على الشَّعر المُعفَّـ ـر منك والخدِّ الأَسيل
كُسفت لفقدك شَمسُنا والبدرُ آذن بالأُفول

ابن مناذر وأبو نواس

وذُكر أنّ أبن مُناذر دخل المسجد الجامع بالبصرة ، فوقعت عينُه على غلام مَليح الصورة مُستند إلى سارية ، فكتب رقعة وأنفذها إليه . فقرأها الغلام وكتب على ظهرها :

مَثَل أمتداحك لى بلا وَرِق مَثلُ الجدار بُنى على خُصّ[2]
وألذُّ عندى مِن مديحك لى سُود النِّعال ولَيِّن القُمْص
فإذا عزمتَ فهَىِّ لى وَرِقا وإذا فعلتَ فلستُ أَستعصى

فلما قرأها أبن مناذر قام إليه وقال له : ويلك ! أنت أبو نُواس ؟ قال : نعم .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « مما ينتفع به ذاك » . (٢) الخص : القصب .

فأنت أبن مناذر ؟ قال : فسلّم عليـــه وتعانقا ، وكان ذلك أول المودة بينهما .

غلبة المجون على شعره

وذُكر أن أبن مُناذر لما ترك النُّسك ومال إلى الخلاعة ، كان إذا أمتدح أو فَخر لم يجعل أُفتتاح شعره ومُبتدئه إلّا الُمجون ، حتى قال فى مدحه للرشيد :

هل عندكم رُخصة عن الحسن الـ ـبصرىّ فى العِشق وأبن سيرينـا
إن سَــــفاهاً بذى الجلالة والـ ـشَّيبة ألاَّ يَزال مَفْتــــونا

وقال أيضاً فى هذا المعنى :

ألا يا قمر المَســـــجـ ـد هل عندك تَنْويلُ
شِفائى منــك إن نَوَّلْـ ـتنى شَمّ وتَقْبيـــــل
سَـــلا كُلُّ فؤادٍ و فُؤادى بك مَشْغول
لقــد حُمِّلتُ من حُبِّـ ـك ما لا يَحْمل الفِيل

رثاؤه الرشيد

وذُكر أن هارون الرشيد كان وصل أبن مُناذر مراتٍ بِصلات سنية ، فلما مات الرشيد رثاه أبن مُناذر فقال :

مَن كان يبكى للعُـــلا ملكاً وللهمم الشَّريفهْ
فَلْيبــك هارون الخليـ ـفة للخليفة والخليفــه

هو والرشيد يوم التروية

وذُكر أن الرشيد حجَّ بعد إيقاعه بالبرامكة ، وحجَّ معه الفضل بن الربيع . قال أبن مُناذر : وكنت مُضيقاً مُملقاً ، فهيّأت قولًا أجدتُ تَنْميقه وتنوّقت فيه ، فدخلتُ إليــه فى يوم التَّروية (١) فإذا هو يسأل عنى ويطلُبني ، فبدَرنى الفضلُ أبن الربيع قبل أن أتــكلم فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا شاعر البرامكة ومادحهم . وكان البشر ظهر فى وجهه لما دخلت ، فتنكر وعَبس فى وجهى . فقال له الفضل : مُره يا أمير المؤمنين أن يُنشدك قولَه فيهم :

(١) يوم التروية : يوم قبل يوم عرفة ، وهو الثامن من ذى الحجة ، سمى به لأن الحجاج يتروون فيه من الماء وينهضون إلى منى ولا ماء بها فيتزودون ريهم من الماء يسقون ويستقون .

* أتانا بنو الأملاك من آل برمك *

فقال : أنشدها . فأبيتُ . فتوعّدنى ، فأنشدته :

أتانا بنو الأملاك من آل برمك فياطيب أخبار و ياحُسن منظرِ
إذا وردوا بطحاء مكة أشرقت بيحيى و بالفضل بن يحيى وجعفر
فتُظلم بغدادٌ ويجلو لنا الدُّجى بمكة ما عِشنا ثلاثةُ أقمُر
فما صَلحت إلا لجودٍ أكفُّهم وأقدامُهم إلا لأعوادِ منبر
إذا راضَ يحيى الأمرَ ذلّت صعابُه وحَسْبك من راعٍ له ومُدَبِّر
ترى الناس إجلالًا له وكأنهم غَرانيقُ ماء تحت بازٍ مُصَرصر[(١)]

ثم أتبعت ذلك أنْ قلت : كانوا أولياءك يا أمير المؤمنين أيامَ مدحتُهم وفى طاعتك ، لم يلحقهم سُخطك ، ولم تحلُل بهم نقمتك ، ولم أكن فى ذلك مُبتدعاً ، ولا خَلا أحدٌ من نُظرائى من مدحهم ، وكانوا قوماً قد أظلّنى فضلهم ، وأغنانى رِفدهم ، فأثنيتُ بما أولوا . فقال : يا غلام . الطم وجهه . فلُطمت والله حتى سدرت[(٢)] وأظلم ما بينى و بين أهل المجلس . ثم قال : اسحبوه على وجهه ، والله لأحرمنّك ، ولا تركت أحداً والله يُعطيك فى هذا العام شيئاً . فسُحبت حتى أُخرجت ، وانصرفت وأنا أسوأ الناس حالا فى نفسى وحالى ، وما جرى علىّ ، ولا والله ما عندى يومئذ ما يُقيم قُوت عيالى لِعيدهم . فإذا بشابٍّ قد وقف علىّ ثم قال : أعزز علىّ والله يا كبيرَنا بما جرى عليك ، ودَفع إلىّ صُرة ، وقال : تبلّغ بما فى هذه . فظننتُها دراهم ، و إذا بها ثلثمائة دينار . فقلت له : من أنت ؟ جعلني الله فداك . فقال : أنا أخوك أبو نُواس . فاستعن بهذه الدّنانير واعذرنى . فقبلتُها وقلت له : وصلك الله يا أخى وأحسن جزاءك .

---

(١) الغرانيق : جمع غرنوق ، وهو من طيور الماء . والصرصرة : صوت البازى .
(٢) سدرت : تحيرت .

شعر له في جعفر والرشيد

وحكى ابن مُناذر قال: قال لي جعفر بن يحيى: قُلْ فيَّ وفي الرشيد شعراً تَصف فيه الأُلفة بيننا. فقلت:

قد يَقطع الرَّحم القريبُ ويكفرُ النُّـ ... ـعَمى ولا كتقـارُب القَلْبيْنِ
يُدنى الهوى هذا ويُدنى ذا الهوى ... فإذا هما نَفْس ترى نَفْسين

قال أبو الفرج: هذا أخذه ابن مُناذر من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الرحم تُقطع، وإن النِّعم تُكفر، ولن ترى مثل تقارُب القلوب.

أخبار أشجع السُّلمى

نسبه

هو أشجع بن عمرو . ويكنى : أبا الوليد . من ولد الشَّريد بن مَطرود السُّلمى . وكان أبوه تزوّج امرأة من أهل اليمامة ، فشَخص معها إلى بلدها ، فولدت له هناك أشجع . ونشأ باليمامة . ثم مات أبوه فقَدمت به أُمه البصرة ، فطلبت ميراث أبيه ، وكان له هناك مال ، فماتت أُمه بالبصرة ، وكان من لا يعرفه يدفع نسبه .

منزلته فى الشعر وصلته بالرشيد

ثم كبر وقال الشعر وأجاد وعُدَّ فى الفحول . وخَرج إلى الرقة ومدح الرشيد بها والبرامكة ، وانقطع إلى جعفر بن يحيى خاصة وأصفاه مدحه ، فوصله بالرشيد ومَدحه ، وأثرى وحَسُنت حاله فى أيامه .

وفوده على الرشيد مع الشعراء

وحَكى أشجع قال : شخصت من البصرة إلى الرقة فوجدتُ الرشيدَ غازياً ولحقتنى خَلّة[1] ، فخرجت حتى لقيته منصرفاً من الغزو ، وكنت قد اتصلت ببعض أهل داره ، فصاح صائحٌ ببابه : من كان ها هنا من الشعراء فليحضُر يوم الخميس . فحضرنا سبعة وأنا ثامنهم . فأمر بالبُكور يوم الجمعة ، فبَكّرنا وأُدخلنا . وقُدِّم واحد واحد منّا يُنشد ، على الأسنان ، وكنت أحدث القوم سناً وأرثَّ القوم حالا ، فما بُلغ إلىّ حتى كادت الصلاة تجب ، فتقدمت والرشيد على كُرسى وأصحاب الأعمدة بين يديه سِماطان ، فخِفت أن أبتدئ من أول قصيدتى بالتّشبيب فتجب الصلاة ويفُوتنى ما أردت ، فتركت التَّشبيب وأنشدته من موضع المَديح من قصيدتى التى أولها :

تذكر عهد البِيض وهو لها تِرْب وأيامَ يُصبى الغانياتِ ولا يَصْبُو

(١) الخلة : الحاجة .

فابتدأت قولى فى المديح :

إلى ملك يَستغرق المالَ جُودُه مكارمُه نَثْرٌ ومَعروفه سَكْبُ

وما زال هارونُ الرّضى ابنُ محمد له من مِياه النَّصر مشربها عَذب

متى تبلغ العِيس المَراسِيل بابَه بنا فهُناك الرُّحب[1] والمنزل الرَّحب

جمعتَ ذوى الأهواء حتى كأنهم على مَنهج بعد افتراقهمُ رَكْب

بعثتَ على الأعداء أبناءَ دُربة فلم تَقِهم منهم حُصون ولا دَرْب

وما زِلت تَرميهم بهم متفرِّدا أنيسَاك جِنُّ[2] الرأى والصارم العَضْب

جَهدتُ فلم أبلغ عُلاك بمدحة وليس على من كان مُجتهداً عَتب

فضحك الرشيد ثم قال : خفت أن تحضُر الصلاة و يَنقطع المديح عليك فبدأت به وتركت التَّشبيب ، وأمرنى أن أُنشده التَّشبيب ، فأَنشدته إياه . فأمر لكل واحد من الشعراء بعَشرة آلاف درهم ، وأمر لى بضعفها .

وفوده على الرشيد فى قصره بالرقة

وحكى أحمد بن سيّار الجرجانى قال : دخلت أنا وأشجع السُّلمى ، وأبو محمد التَّيمى ، وابن رزين الخزاعى[3] على الرشيد فى قَصر له بالرَّقة ، وقد ضَرب أعناق قوم فى تلك الساعة ، فجَعلنا نتخلّل الدماء حتى وصلنا إليه . فأنشده أبو محمد التَّيمى قصيدةً له يذكر فيه نقفور ووقعته فى بلاد الروم . فنثر عليه مثل الدُّر من جودة شعره . وأنشده أشجع قوله :

قَصْرٌ عليه تحيّة وسلامُ ألقت عليه جمالَها الأيامُ

قصُرت سُقوف المُزن دون سُقوفه فيه لأعلام الهُدى أعلام

تُثنى على أيامك الأيام والشاهدان الحِلّ والإحرام

وعلى عدوّك يابن عم محمد رَصَدان ضوء الصُّبح والإظلام

فإذا تنبّه رُعْته وإذا غَفا سلَّت عليه سيوفَك الأحلام

(١) الرحب : الترحيب . (٢) فى غير التجريد : « حزم » .

(٣) فى غير التجريد : « الخراسانى » .

وأنشدته أنا قولى :

* زمن لنـــا[1] بالرّقتين قصير *

حتى انتهيت إلى قولى :

لاتبعد الأيام إذ ورق الصبا خَضلٌ وإذ غُصن الشباب نَضِير

فاستحسن هذا البيت . ثم مضيت فى القصيدة حتى أتممتها ، فوجه إلىّ الفضلُ ابن الربيع : أنفذ إلىّ قصيدتك فإنى أريد أن أنشدها الجوارى ، من استحسانه إياها . قال : فركب الرشيد يوماً قُبــة ، وسَعيد بن سَلم معه فى القبة ، فقال : أين محمد البيذق ؟ وكان رجلاً حسن الصوت يُنشد الشعر و يطّرب بحسن صوته أشدّ من طرب الغنــاء ، فحضر . فقال : أنشدنى قصيدة الجرجانى ، فأنشــده . فقال : الشعر فى ربيعة سـائر اليوم . فقال له سعيد بن سلم : يا أمير المؤمنين ، استنشده قصيدة أشجع بن عمرو . فأبى . فلم يزل به حتى أجاب إلى استماعها . فلما أنشــده هذين البيتين . * وعلى عــدوك يابن عم محمد * البيتين

قال له سعيد بن سلم : والله يا أمير المؤمنين ، لو خرس بعــد هذين البيتين لكان أشعرَ الناس .

وحكى إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال :

اصطبح الواثق فى يوم مَطير ، واتصل شُربه وشربنا معــه حتى سَقطنا لجنوبنا صَرْعى ، وهو معنا على حالنا ، فما حُوِّل أحد منا عن مضجعه ، وخدم الخاصة يطوفون علينا و يتفقدوننا ، وبذلك أمرهم وقال : لاتحركوا أحداً منهم عن مَضجعه ، فكان هو أول من أفاق منا ، وأمر بإنباهنا ، فقمنا فتوضأنا وأصلحنا من شأننا ، وجئنا إليه وهو جالس وفى يده كأس وهو يَروم شربها ، والخمار يَمنعه ، فقال لى : يإسحاق ، أنشدنى فى هذا المعنى شيئاً . فأنشدته قول أشجع السلمى :

ولقــد طعنت الليل فى أعجازه بالكأس بين غَطارف[2] كالأنجُم

(١) فى غير التجريد : « بأعلى » . (٢) الغطارف : السادة الأشراف .

يَتمايلون على النّعيم كأنهم ... قُضب من الهندىّ لم تتثلّم
وسعى بها الظّبى الغرير يزيدها ... طيباً و يَغْشمها(١) إذا لم تُغشم
والليلُ مُنتقب بفَضل ردائه ... قد كاديُسفر عن(٢) أغر أرثم
و إذا أمرَّتها الأكفُّ رأيتها ... تثنى الفَصيح إلى لِسان الأعجم
وعلى بَنان مُديرها (٣) عِقيانةٌ ... من لونها وعلى فُضول المِعْصم
تَغلى إذا ما الشعريان تلظّتا ... صَيفاً وتسكُن فى طُلوع المِرْزم(٤)
ولقد فَضضناها بخاتَم ربِّها ... بِكْراً وليس البِكْرُ مثلَ الأيِّم
ولها سُكون فى الإناء و بعده ... شَغْب يُطَوِّح بالكَمِىّ المُعْلَم
تُعطى على الظُّلم الفتى بقيادها ... قَسْراً وتَظلمه إذا لم تُظلْم

فطرب وقال : أحسن والله أشجع ، وأحسنت يا أبا محمد ، أعِد بحياتى . فأعدتُها . فشَرب كأسه عليها ، وأمر لى بألف دينار .

شعره إلى الرشيد وقد أبطأ عليه فى شىء

وذُكر أن أشجع السُّلمى كتب إلى الرّشيد ، وقد أبطأ شىء أمر له به :

أَبلغ أميرَ المؤمنين رسالةً ... لها عُنق بين الرُّواة فَسيحُ
بأنّ لسان الشعر يُنطقه النّدَى ... و يُخرسه الإبطاء وهو صحيح

فضحك الرشيد وقال له : لن نُخرس لسان شعرك ، وأمر بتعجيل صلته .

دخوله مع الشعراء على الرشيد للتهنئة بولاية جعفر خراسان

وحُكى أن الرشيد لمّا ولّى جعفر بن يحيى خراسانَ جلس للناس ، فدخلوا عليه فهنئوه . ثم دخل الشعراء فأنشدوه ، وقام أشجع آخرَهم فاستأذن فى الإنشاد . فأذن له ، فأنشده قوله :

أتصبر للبين أم تجزعُ ... فإنّ الدِّيار غدًا بَلْقَعُ
غدًا يتفرّق أهلُ الهوى ... و يكثُر باكٍ ومُسترجع

(١) يغشمها : يجور عليها ويسرف . (٢) أرثم : أبيض .
(٣) عقيانة : واحدة العقيان ، وهو الذهب . (٤) المرزم : نجم .

حتى انتهى إلى قوله :

ودوّيّة بين أقطـارها مقـاطع أرضين لا تُقطعُ
تجاوزتُها فوق عَيرانة(١) من الرّيح فى سيرها أسرع
إلى جَعفر نزعت رغبـةٌ وأىّ فتى نحـوه يَنزِع
فمـا دونه لأمرئٍ مَطمع وما لأمرئٍ غـيره مَقنع
ولا يَرفع الناسُ من حَطّه ولا يَضعـون الذى يَرْفع
تُريد الملوك مـدى جعفر ولا يَصنعون كما يَصنع
وليس بأوسعهم فى الغنى ولكنّ مَعروفه أوسـع
تلوذ المـلوك بأبوابه إذا نابها الحدث الأقطع
بديهتُه مثـلُ تدبيره متى رُمْتـه فهو مُسْتَجمِع
فكم قائلٍ إذ رأى ثروتى وما فى فُضول الغِنى أصنع
غدًا فى ظلال نَدَى جعفر يجُر ثيـاب الغِنى أشجع
فقل لخراسان تَحيى فقـد أتاها ابنُ يحيى الفتى الأروع

فأقبل عليه جعفر بن يحيى ضاحكاً واستحسن شعره ، وجعل يُخاطبه مخاطبة الأخ أخاه ، ثم أمر له بألف دينار .

شعره فى عزل جعفر

ثم بدا للرشيد فى ذلك التدبير ، فعزل جعفراً عن خُراسان بعـد أن أعطاه العهد والكُتب ، وعَقـد له العقد وأمر ونهى . فوَجم لذلك جعفر . فدخـل عليه أشجع ، فقال :

أمست خراسان تُعزّى بما أخطأها من جعفر المُرتجى
فإن الرشـيد المُعتلى أمره ولّى على مَشرقه الأبلجـا
ثم أراه رأيُه أنـه أمسى إليـه منهمُ أحوجا

(١) العيرانة : الناقة .

فضحك جعفر ثم قال : لقد هوّنت على العزل ، وقُمت لأمير المؤمنين بالعذر، فسَلْنى ما شئت . فقال : قد كفانى جُودك ذلّ السؤال . فأَمر له بألف دينار أُخرى .

شعره فى الأمين فى مجلس الأدب

وحكى أشجع ، قال : دخلت على محمد الأمين حين أُجلس مجلس الأدب للتعليم ، وهو ابن أربع سنين ، وكان يجلس فيه ساعة ثم يقوم ، فقلت :

ملك أبوه وأُمه من نَبعة ... فيها سراج الأُمة الوهّاج

شربت بمكة في رُبَى بطحائها ... ماءَ النبوّة ليس فيه مزاج

فأمرت لى زبيدة بمائة ألف درهم .

ولم يَملك الخلافةَ أحدٌ ، أبوه وأمه من هاشم ، إلا أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وابنه الحسن بن علىّ، ومحمد بن الرشيد. أُم علىّ رضى الله عنه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وأُم الحسن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأُم محمد بن الرشيد زبيدة بنت جعفر بن المنصور .

ما كان بين الرشيد ونقفور

وذُكر أنّ الروم كانت قد مَلكت عليها امرأة ، لأنه لم يكن بقى فى زمانها من أهل بيت المملكة غيرها ، وكانت تكتب إلى المهدي والهادى ، والرشيد فى أول خلافته بالتبجيل والتعظيم ، وتدرّ عليهم الهدايا ، حتى بلغ ابن لها، فحاز المُلك دونها ، وعاث وأفسد وفاسد الرشيد ، فخافت أُمه على ملك الروم أن يذهب ، وعلى بلادهم أن تعطب ، لعلمها بالرشيد وخوفها من سطوته ، فاحتالت لابنها فَسملت عينَه فبطل من الملك ، وعاد المُلك إليها ، فاستكبر ذلك أهلُ المملكة وأبغضوها من أجله ، فخرج عليها كاتب لها يقال له : نقفور ، وأعانه أهلُ المملكة وعاضدوه ، فقام بأمر المُلك وضَبط أمر الروم . فلما قوى على أمره وتمكّن فى مُلكه كتب إلى الرشيد : من نقفور ملك الروم إلى الرشيد ملك العرب . أما بعد : فإن هذه المرأة وضعتك وأباك وأخاك موضع الملوك ، ووضعت نفسها موضع السوق ، وإنى

واضعك بغير ذلك الموضع ، وعامل على تطرّق بلادك والهجوم على أمصارك ، أو تؤدى إلىّ ما كانت المرأة تؤديه إليك . والسلام .

فلما ورد كتابه على الرشيد كتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم . أما بعد . فقد فهمتُ كتابك ، وجوابك عندى ما تراه عِياناً لا ما تسمعه . ثم شخص فى شهره ذلك يؤم بلاد الروم فى جمع لم يُسمع مثله وقُواد لا يُجارون رأياً ونجدة . فلما بلغ نقفور ذلك ضاقت عليه الأرضُ بما رحُبت وشاور فى أمره . وجدّ الرشيد فجعل يتوغّل فى بلاد الروم يقتُل و يَسبى و يَغنم ، ويخرِّب الحصون ، و يعفِّى الآثار ، حتى صار إلى طرق مُتضايقة دون قسطنطينية ، فلما بلغها وجدها وقد أمر نقفور بالشَّجر فقُطع ورُمى فى تلك الطرق وأشعلت فيه النيران . فكان أول مَن لبس ثياب النفّاطين محمد بن يزيد ، فخاضها ، ثم أتبعه الناس . فبعث نقفور إلى الرشيد بالهدايا ، وخَضع له أشد الخضوع ، وأدّى إليه الجزية عن رأسه فضلاً عن أصحابه . ففى ذلك يقول أبو العتاهية :

إمامَ الهُدى أصبحتَ بالدِّين مَعنيّا ... وأصبحتَ تَسقى كُلّ مستمطرٍ ريّا
لك اسمان شُقّا من رَشاد ومن هُدى ... فأنت الذى تُدعى رشيدًا ومهديّا
بسطتَ لنا شرقاً وغرباً يدَ العلا ... فأوسعتَ شرقيًا وأوسعت غربيّا
ووشّيت وجه الأرض بالجود والنّدى ... فأصبح وجهُ الأرض بالجود موشيّا
وأنت أميرُ المؤمنين فتَى التُّقى ... نشرتَ من الإحسان ما كان مَطْويّا
قَضى الله أن يَبقى لهارون مُلكه ... وكان قَضاء الله فى الخلق مَقضيّا
تحلّيت للدنيا وللدِّين بالرضى (١) ... وأصبح نقفور لهارون ذمّيا

ورجع الرشيدُ لمّا أعطاه نقفور ما أعطاه إلى الرقة ، فلما سقط الثلج وأمن

(١) فى الديوان (٣٢١) : تجللت الدنيا لهارون ذى الرضا » .

نقفور أن كان المُهلة ، ونقض ما كان بينه وبين الرشيد ، ورجع إلى حاله الأولى ، فلم يَجترئْ يحيى بنُ خالد فضلاً عن غيره على إخبار الرشيد بغدر نقفور ، فبذل هو وأبنُه الأموالَ للشُّعراء على أن يقولوا أشعاراً فى إعلام الرشيد ذلك . فكلُّهم كاعَ وأشفق ، إلا شاعراً من أهل جُدة يكنى : أبا محمد ، وكان ذو اليمينين طاهر بن الُحسين فى أيام المأمون آختصه ورفَع قَدره جدًّا ، فأعطاه يحيى و بنوه مائة ألف درهم ، فدخل إلى الرشيد فأنشده :

نَقض الذى أعطاكه نقفور ... فعليه دائرةُ البَوار تدُورُ
أَبشرْ أميرَ المؤمنين فإنه ... فَتحٌ أتاك به الإله كبير
ولقد تباشرتِ الرعيّةُ إذ أتى ... بالنّقض عنه وافدٌ وبَشير
ورَجَتْ يمينك أن تعجِّل غزوة ... تشْفى النفوس نكالُها مذكور
أعطاك جِزْيته وطأطا خَدّه ... حَذر الصَّوارم والرَّدى محذور
فأجرته من وَقعها وكأنما ... بأكفنا شُعل الضِّرام تَطِير
وصرفتَ من طول العساكر قافلاً ... عنه وجارُك آمنٌ مَسرور
نقفور إنك حين تغدر أن نأى ... عنك الإمام لجاهلٌ مغرور
أظننتَ حين غدرت أنك مُفلِت ... هَبِلَتك أمك ما ظننتَ غُرور
ألقاك حَيْنُك فى زَوَاخِرِ بحره ... فطما عليك من الإمام بُحور
إن الإمام على آقتسارك قادر ... قَرُبت ديارُك أمْ نأتْ بك دُور
ليس الإمام وإن غفلنا غافلاً ... عمّا يسُوس بحزمه ويُدير
يا من يُريد رضى الإمام بسَعيه ... والله لا يَخفى عليه ضَمير
لا نُصح يَنفع مَن يغشّ إمامه ... والنُّصح من نُصحائه مشكور
نُصح الإمام على الأنام فريضة ... ولأهله كفّارة وطَهور

فلما أنشد هذه القصيدة قال الرشيد : أوَقد فعل ؟ وعلم أن الوزراء احتالوا فى إعلامه ذلك . فغزاه فى بقيّة من الثلج ، فافتتح هرقلة فى ذلك الوقت ، فقال أبو العتاهية فى فتحه إياها :

ألا نادت هِرَقْلة بالخراب ... من الملك المُوثَّق بالصواب
غدا هارون يُرعد بالمنايا ... ويُبرق بالمُذكَّرة الغِضاب
ورايات يَحُل النصر فيها ... تمُر كأنها قِطع السَّحاب
أميرَ المؤمنين ظفرت فاسلم ... وأبشر بالغَنيمة والإياب

وفتح الرشيد قبل هرقلة الحصون والمدن وخرّبها . ولما أناخ على هرقلة وجدها أمنع حصن ، فتحصن أهلها بها ، وألحّ عليها الرشيد بالسهام . والمجانيق والعرّادات(١) ففتح باب الحصن يوماً فاستشرف المسلمون ، وإذا رجل من أهلها كأكمل الرجال ، قد خرج فى أكمل السلاح ، فنادى : قد طالت مواقفتكم إيانا ، فليَبْرُز إلىّ منكم رجلان ، ثم لم يزل يزيد حتى بلغ عشرين ، فلم يُجبه أحد . فدخل وأغلق باب الحصن . وكان الرشيد نائماً فلم يَعلم بخبره إلا بعد انصرافه ، فغضب ولام خَدَمه وغِلمانه على تركهم إنباهه ، وتأسف لفوته . فقيل له : إن الامتناع منه سُيغريه ويُطغيه ، وأَحْرِ به أن يخرج فى غد فيطلب مثل ما طلب . فطالت على الرشيد ليلته ، وأصبح كالمنتظر له ، فإذا هو بالباب قد فُتح وخرج الفارس طالباً للمبارزة ، وذلك فى يوم شديد الحر ، فجعل يدعو بأنه يثبُت لعشرين منهم . فقال الرشيد : من له؟ فابتدره جِلة قواده ، كهرثمة بن أعين ، ويزيد بن مزيد ، وعبد الله ابن مالك ، وخزيمة بن خازم ، وأخوه عبدالله ، وداود بن مَزيد ، فعزم على إخراج بعضهم . فضج المُطوعة حتى سُمع ضجيجهم . فأذن لعشرين منهم ، فاستأذنوا فى المشورة ، فأذن لهم . فقال قائلهم : يا أمير المؤمنين ، قُوادك مشهورون بالبأس

(١) العرادات : جمع عرادة . وهى أشبه شىء بالمنجنيق .

والنجدة وعُـلُوّ الصوت ومداومة الحرب ، فمتى خرج واحد منهم فقَتل هذا العلج لم يكبُر ذلك ، وإن قتله العلج كانت وَصمة فى[1] العسكر قبيحَة وثلمة لاتُسد ، ونحن عامة لم يرتفع لأحد منا صوت إلا كما يصلح للعامة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يخلينا نختار رجلا فنُخرجه إليه ، فإن ظفر عَلم أهل الحصن أن أمير المؤمنين ظفر بأعزّهم على يد رجل من العامة من أبنـاء الناس ، ليس ممن يُوهن قتله ولا يؤثر ، و إن قُتل الرجل فإنما أُستشهد رجل لم يؤثر ذهابه فى العسكر ولم يثلمه ، وخرج إليه بعده مثله ، حتى يقضى الله ماشاء . فقال الرشيد : قد استصو بت رأيكم هذا . فاختاروا رجلا منهم ــ يقال له : أبن الجزرى ــ وكان معروفاً بالبأس فى الثغر . فقال له الرشـيد : أتخرج ؟ قال : نعم ، وأستعين بالله . فقال : أعطوه فرساً ورُمحاً وسيفاً وتُرساً . فقال : ياأمير المؤمنين، أنا بفرسى أوثق ، و برمحى بيدى أشد ، ولـكنى قد قبلت السيفَ والتُّرس . ولبس سلاحه . وأستدناه الرشيد فودّعه ، وأتبعه الدعاء . وخرج معه عشرون من المُطّوعة . فقال العلج ، لمـا انقض الجزرى فى الوادى ، وهو يعدّهم واحداً واحداً : إنمـا كان الشرط عشرين وقد زدتم رجلا ، ولـكن لابأس . فنـادَوه : ليس يخرج إليك إلا رجل واحد . فلمـا فصل منهم ابن الجزرى تأمله الرومى ، وقد أشرف أهل الحصن يتـأملون صاحبهم وقِرْنه . فقال له الرومى : أتصدُقنى عمّا أستخبرك ؟ قال : نعم . قال : أنت بالله ابن الجزرى ؟ قال : اللهم نعم . فـكفر له ، ثم أخذا فى شأنهما ، فتطاعنا حتى طال الأمر بينهما ، وكاد الفرسان يقومان وليس يخدش أحدهما الآخر . ثم رمَيا رمحيهما وأنتضيا سيفيهما وتجالدا بهما ، وكل واحد منهما يتقى ضربة صاحبه بتُرس فلا يُصيبه شيء . و بقيا على ذلك زمناً طو يلا . ثم انهزم ابن الجزرى ، فدخلت المسلمين كآبة لم يكتئبوا مثلها ، وعطعط المشركون أختيالا وتطاولا . و إنمـا انهزم ابن الجزرى حيـلة على

(١) فى غير التجريد : « وضيعة على » .

الرومى ، ثم عطف على الرومى ، فرماه بوَهَق[١] فى عنقه ، فوقع على الأرض ، فما وصل إليها حتى فارق رأسُه جسده . وكبّر المسلمون أعلى تكبير ، وانخذل المشركون وبادروا باب الحصن يُغلقونه . وصاح الرشيد بالقُوّاد . اُجعلوا النار فى المجانيق . ففعلوا وجعلوا الكتّان والنّفط على الحجارة وأضرموها ناراً ورمَوا بها السوْر ، فكانت النار تلصق به وتأخذه الحجارة وقد تصدّع فتهافت . فلما أحاطت بهم النيران فتحوا الباب مستأمنين . فقال الشاعر الذى من أهل جُدة :

هوتْ هرقلةُ لما أن رأت عجباً   جَوائما تَرتمى بالنّفط والنارِ
كأنّ نيراننا فى جَنب قلعتهم   مُصبّغات على أرسان[٢] قصّار

فأعظم الرشيدُ العَطاء لابن الجزرى . وقُوِّد فلم يقبل التقويد إلا بغير رزق وعِوض . وسأل أن يُعفى ويُترك بمكانه من الثغر . فلم يزل به طُول عمره .

شعره الذى فيه الغناء وقصته

ولما انصرف الرشيد من غزاة هرقلة قَدم الرقة فى آخر شهر رمضان . فلما عيّد جلس للشعراء ، فدخلوا عليه ، وفيهم أشجع السلمى ، فبدرهم أشجع ومدحه بالشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أشجع ، وهو :

لا زلتَ تنشُر أعياداً وتَطويها   تَمضى بها لك أيامٌ[٣] وتُمضيها
ولاتَقَضَّت بك الدنيا ولا بَرحت   يَطوى لك الدهرُ أياما[٤] وتُفنيها

ومنها :

مُستقبلا بهجة الدنيا وزينتها   أيامنـا لك نَظْمٌ فى[٥] لياليها

---

(١) الوهق : الحبل المغار ترمى فيه أنشوطه .
(٢) الأرسان : الحبال ، الواحد : رسن .
(٣) فى غير التجريد : « وتفنيها » .
(٤) فى غير التجريد : « وتفنيها » .
(٥) فى غير التجريد : « أيامنا لك لا تفنى وتفنيها » .

وليَهنك الفتح والأيام مُقبِلة إليك بالنَّصر مُعقوداً نواصيها

أمست هِرقلة تُرمى[1] من جَوانبها وناصر الله والإسلام يَرميها

مُلَّكتَها وقتلت الناكثين بها بنَصر مَن يملك الدُّنيا بما فيها

ما رُوعِى الدِّين والدنيا على قدم بمثل هارون راعيه وراعيها

فأمر له بألف دينار وقال : لا يُنشدنى أحدٌ بعده . فقال أشجع : واللهِ لأمرُه بألّا يُنشده أحد بعدى أحبُّ إلىّ من صلته .

أنشد الرشيد فى عيد فطر فوصله

وذُكر أن أشجع دخل على الرشيد فى يوم عيدِ فطر فأنشده :

استقبل العيدَ بعُمر جديد مَدّت لك الأيام حَبل الخلودَ

مُصعَّدا فى دَرجات العُلا نجمُكَ مقرون بسَعد السُّعود

واُطوِ رداء الشَّمس ما أطلعت نوراً جديدًا كلَّ يوم جديد

تَمضى لك الأيامُ ذا غبطة إذا أتى عيدٌ طوى عُمْرَ عِيد

فوصله بعشرة آلاف درهم ، وأمر بأن يُغنَّى فى هذه الأبيات .

شعر له يهنىء به الرشيد فى أوبته من حج

وذكر أن الرشيد كان يحج سنة ويغزو سنة ، لم يزل على ذلك مدة خلافته ، وكانت ثلاثا وعشرين سنة ، وكانت السنة التى لا يحج فيها يُحَج عنه مائة من الفقهاء ، والسنة التى لا يغزو فيها يبعث الجيوش إلى الثغر لغزو العدو . وكان يتصدّق كل يوم من صُلب ماله بألف درهم . فقدم سنة من الحج ، وقد مُطر الناس يوم قدومه ، فأنشده أشجع السلمى :

فابتسام النبات فى أثر الغيـ ـث بنوّاره كسُرج الظلام

مَلك من مَخافة الله مُغضٍ وهو مُغضًى له من الإعظام

ألِف الحجّ والجهاد فما ينفـ ـك من سفرتَين فى كل عام

---

(١) فى غير التجريد : « تهوى » .

سفراً لجهـــاد نحو عدوّ والمَطايا السّــفرة الإحرام
طلب الله فهو يَسعى إليه بالمَطايا وبالجيــاد السوامى
فيَــداه يدٌ بمــكة تدعو ه وأُخرى فى غزوة الإسلام

شعره فى رثاء الرشيد

ولما تُوفى هرون الرشيد ، وكانت وفاته بطوس سنة ثلاث وتسعين ومائة ، قال أشجع السلمى يرثيه :

غربت فى المَشرق[1] الشمـ ـس فقل للعـــين تَدْمع
ما رأينـــا قطُّ شمســاً غربت من حيث تَطلع

(١) فى غير التجريد : « بالمشرق » .

أخبار ابن مفرّغ

هو يزيد بن ربيعة بن مُفرِّغ . وإنما لُقِّب جده : مفرِّغ ، لأنه راهَن على سقاء لبن أن يشرب به حتى فرّغه ، فسُمِّى : مفرِّغا . نسبه

ويكنى : أبا عثمان . كنيته

وهو من حِمْير . ومن الناس من أنكر ذلك ، وزعم أن جدّه مُفرِّغا كان عبداً للضحَّاك بن عوف الهلالى ، فأعتقه . وقيل : إنه حليف قريش ، ثم حليف آل خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية . أصله

وكان كثير الهجاء لآل زياد بن سُمية ، الذى أُدعى مُعاوية بن أبى سفيان نسبه إلى أبى سفيان ، ولم يولد على فراشه ، وإنما وُلد على فراش عُبيد ، عبد ثقيف . وهو منفيّ عن أبى سفيان بحكم الشَّرع المُطهّر، وهو قولُ الرسول صلى الله عليه وسلم: الولد للفراش وللعاهر الحجر . فما قاله يزيد بن مفرِّغ قوله : هجاؤه لأبى زياد

ألا أبلغ معاوية بنَ حَرب ... مُغلغلةً من الرَّجل اليَمانِى
أتغضب أن يُقال أبوك عفٌّ ... وتَرضى أن يُقال أبوك زانى
وأشهد أن رِحْمك من زياد ... كرِحم الفِيل من ولد الأتان
وأشهد أنها ولدت زيادا ... وصْخرٌ[1] من سُميّة غيرُ دانِ

وقوله :

إذا أودى مُعاوية بن حَرب ... فبشِّر شِعب قَعبك[2] بانصداع

---

(١) فى غير التجريد : « وصحرا » .

(٢) القعب : القدح الضخم الغليظ وفى غير التجريد : « قلبك » .

فأشهد أن أمك لم تُباشر | أبا سفيان واضعة القِناع
ولكن كان أمراً فيه لَبس | على وَجَلٍ شديد وأرتياع (١)

وقوله :

إن زياداً ونافعاً وأبا بكـ | ـرة عندى من أعجب العَجب
إنَّ رجالًا ثلاثة خُلقوا | فى رِحم أنثى (٢) ما كُلهم لأب
ذا قرشى كما يقول وذا مو | لًى وهذا أبنُ عمّه عربى

وقوله فى عُبيد الله بن زياد :

فكِّر ففى ذاك إن فكّرت مُعتبر | هل نِلْتَ مَكرُمة إلّا بتأمير
عاشت سُمية ما تَدرى وقد عَمرت | أن أبنها من قُريش فى الجماهير

سبب هذا الهجاء

وكان السبب فى هَجو يزيد بن مفرغ لآل زياد أن عبّاد بن زياد لمّا ولّى سجستان أستصحب يزيد بن مُفرغ معه ، وكان قبل ذلك منقطعاً إلى سعيد بن عثمان بن عفان ، وذلك فى أيام يزيد بن معاوية — وقيل : بل فى أيام معاوية . والأول أصح — فاشتغل عبّاد عن أبن مفرغ بحربه وخراجه ولم يُحسن إليه . فبسطَ ابن مفرغ لسانه فيه ، فذمه وهجاه .

هجاؤه عباد ابن زياد وثأر عباد منه

وكان عبّاد عظيم اللحية ، فسار معه يزيد بن مفرّغ ، فدخلت الريح فى لحية عباد فنفشتْها ، فضحكَ ابن مفرغ وقال لرجل من لخم كان إلى جانبه :

ألا ليت اللِّحى كانت حَشيشا | فنُعلفها دوابّ (٣) المسلمينا

فسعى به اللخمى إلى عبّاد ، فغضب من ذلك ، وكثُر القول فيه عند عباد ابن زياد وأنه يسُبه ويهجوه وينال من عرضه .

---

(١) فى غير التجريد : « وامتناع » .
(٢) فى غير التجريد : « وكلهم » .
(٣) فى غير التجريد : « خيول » .

وأجرى عبّاد الخيل مرة فجاء سابقا، فقال ابن مفرغ:

* سبق عباد وصلَّت لحيتُه *

فطلب عبّاد عليه العِلل، ودسّ إلى قوم كان لهم عليه دَين فقدّموه إليه، فحبَسه وضربه.

وكان لابن مفرّغ عبد يقال له بُرد، وجارية يقال لها الأراكة(١)، وكان شديد الضنّ بهما، فباعهما عليه، وباع فرسه وسلاحه وأثاثه وقسم الثمن بين غرمائه، وبقيت عليه بقية حبسه بها.

شعره الذى فيه الغناء

ومما قاله فى حَبسه الشعرُ الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج، وهو:

حيِّ ذا الزَّور وانْهه أن يعودا ... إنَّ بالباب حارسَين قُعودا

مِن أساوير ماينُون(٢) قِياما ... وخلاخيلَ تُذْهل المَولودا

لاذَعرتُ السَّوام فى فَلق الصُّبـ ... ـح مُغيراً ولا دُعيتَ يزيدا

يوم أُعطى مخافةَ الموت(٣) ظُلْماً ... والمنايا يَرْصُدْننى أن أحيدا

هربه من عباد وعبد الله وتعذيبهما له

ثم إن عباد بن زياد أخرجه من السجن، فهرب إلى البصرة، ثم خرج منها إلى الشام، وجعل يتنقل فى مُدنها ويهجو زياداً وولده، وأشعاره ترد البصرة وتنتشر وتبلغهم. فكتب عُبيد الله بن زياد — وهو أمير العراقين — إلى يزيد ابن معاوية يُخبره بهجو ابن مفرغ له ولأبيه وإخوته ونَفيهم عن أبى سفيان بالقَدْح فى أعراضهم، وقذف أبى سفيان بالزِّنا، وأنه يجول فى مدائن الشام. فجدّ فى طلبه، فأتى البصرة واستجار بالأحنف بن قيس، فأبى أن يُجيره. ثم استجار

(١) فى غير التجريد: «الأرالة».
(٢) فى غير التجريد: «ماكثات».
(٣) فى غير التجريد: «ضيما».

بخالد بن عبد الله بن أَسيد ، فأبى . فأتى عُمر بن عبد الله بن خالد بن أسيد ابن معمر التيمى . وطَلحة الطلحات الُخزاعى ، فلم يجيراه . فأتى المُنذر بن الجارود العبدى ، فأجاره . وكانت أبنته بحرية تحت عُبيد الله بن زياد . و بلغ ذلك عُبيد الله بن زياد فطلب المنذر ، فحضر عنده مدلاً عليه بمكان أبنته عنده . فبعث عُبيد الله الشرط فكبسوا دار المنذر وأتوه بأبن مفرغ . فلم يشعر المنذر إلا بابن مفرغ وهو قائم على رأسه . فقام إلى عبيد الله فكلمه فيه وسأله العفو عنه . فأبى ذلك عبيد الله . فغضب المنذر . فقال له عبيد الله : لعلك تُدلّ بكر بمتك عندى ، إن شئتَ والله لأبيتنها[1] بتطليق البتة . فخرج المنذر من عنده . وأمر عُبيد الله بحبس أبن مفرغ . وكتب إلى يزيد بن معاوية يستأذنه فى قتله . فورد الكتاب إليه بالمنع من ذلك والإذن له فى عقوبته وتأديبه . فأمر عُبيد الله بابن مفرغ فسُقى نبيذاً حُلواً قد خُلط فيه الشُّبرم ، فأسهل بطنه ، وطيف به على تلك الحال . وقُرن بسنَّور وخنزير[2] فجعل يَسْلح والصِّبيان يتبعونه ويصيحون به . وطيف به كذلك فى أسواق العامة بالبصرة حتى ضعفت قوته وكاد يموت . ثم أمر به فغُسل بالماء ، فلما اغتسل قال :

يغسل الماء ما فعلتَ وقولى ... راسخٌ منك فى العِظا البوالِى

فردَّه عُبيد الله إلى الحبس . فأمر أن يُسلَّم حِجاماً ، وقدَّموا إليه عُلوجاً وأمروه أن يَحجمهم ، فكان يأخذ المشراط فيقطع به رقابهم ، فيهربون منه . فترك وَرُدَّ إلى محبسه . فقال أبن مفرغ فى ذلك :

وما كنت حجّاماً ولكن أحلَّنِى ... بمنزله الحجّام نأيِى عن الأهل

ثم أمر عُبيد الله بن زياد ببعث أبن مفرغ إلى أخيه عبَّاد بسجستان ، ووكل

---

(١) فى غير التجريد : « لأبيعنها » .

(٢) فى غير التجريد : « بهرة وخنزيرة » .

به رجالاً وجَّههم معه ـ وكان لما هرب ابن مفرغ من عبَّاد يهجوه ويكتب كل ما هجاه به على حيطان الخانات . فتقدم عُبيد الله إلى الموكلين به أن يأخذوه بمحو ما كتبه على الحيطان بأظافيره . وأمرهم ألَّا يتركوه يصلّ إلا إلى قبلة النصارى إلى المشرق . فكانوا إذا دخلوا بعض الخانات التي ينزلها فرأوا فيها شيئاً مما كتبه من الهجاء أخذوه يمحوه بأظافيره . وكان يفعل ذلك ويحكه بها حتى ذهبت أظافيره . فكان يمحو بعظام أصابعه ودمُه يسيل . حتى سلَّموه إلى عباد فحبسه وضيَّق عليه ، فقال قصيدته التي أولها :

ألا طرقتنا آخر الليلِ زينبُ … سلامٌ عليكم هل لما فات مطلبُ

فقالت تجنَّبنا ولا تقربنَّنا … وكيف وأنتم حاجتى أتجنَّب

ومنها :

قُرنت بخنزير وهرّ وكلبة … زماناً وشأن الجلد ضَرْب مُشذَّب

وأُطعمت ما إن (١) لا يحلُّ لآ كل … وصلّيت شرقاً بيتُ مكة مُغرب

من الطف مَجْنوباً (٢) إلى أرض كابل … فملُّوا وما مَلَّ الأسيرُ المعذَّب

فلو أنَّ لحمى إذ هَوى لعبتْ به … كرام الملوك أو أُسودٌ وأذؤب

لهوَّن وجدى أو لزادت بصيرتى … ولكنَّما أودت بلحمىَ أكلُب

أعبَّاد ما للوم عنك محوّل … ولا لك أم من قريش ولا أب

سينصُرنى من ليس ينفع عنده … رُقاك وقَرْم من أمية مُصعب

وقُل لعبيد الله : ما لك والد … بحقٍّ ولا يدرى أمرؤ كيف تنسب

ولما طال حبس ابن مفرّغ بسجستان ركب طلحة الطلحات الخزاعى إلى الحجاز ، ودعا قُريشاً إلى القيام فى أمره ، لكونهم حُلفاءه ، فانتدب معه خالد وساطة طلحة فى فكاكه

(١) فى غير التجريد : « ما لا إن » .

(٢) مجنوباً : مقودا إلى جنب فرس .

ابن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية ، وعبد الله أخوه ، وعمر ابن عبيد الله بن مَعمر التيمى ، ووجوه خُزاعة وكنانة . وخرجوا إلى يزيد ابن معاوية .

رسوله بشعره إلى الحصين

وبعث ابن مفرِّغ رجلا من بنى الحارث بن كعب فقام على سور حِمص ، وواليها يومئذ الحُصين بن نُمير السَّكونى ، وأنشد هذه الأبيات :

أبلغ لديك بنى قَحْطان قاطبةً ... عضَّت بأير أبيها سادةُ اليمنِ

أضحى دعىُّ زياد فَقْع قَرْقرة ... يااللعجائب يلهو بابن ذى يَزَن

والحِميرى طَريح وسط مَزبلة ... هذا لعمركمُ غَبْن من الغَبن

قُوموا فقولوا أمير المؤمنين لنا ... حق عليك ومنٌّ ليس كالمنن

فاكفف دَعىّ زياد عن أكارمنا ... ماذا تُريد إلى الأحقاد والإحَن

فاجتمعت اليمانية إلى حُصين بن نمير وحَرَكوه عن القيام بنصرة ابن مفرِّغ ، فركبوا وقصدوا دمشق ، وقدموا على يزيد بن معاوية ، وقد سبقهم الرجل فنادى بذلك الشعر يوم الجمعة على درج المسجد الجامع بدمشق ، فثارت اليمانية وتكلَّموا ، ومشى بعضهم إلى بعض ، وقدم القرشيون والخزاعيون على يزيد وكلموه فى ابن مفرغ ، فسرَّح يزيد بن معاوية رجلا من حمير يقال له : خمخام . وكتب معه : إلى عباد بن زياد ، نفسك نفسك ، وأن تسقط من ابن مفرغ شعرة فأفيدك والله به ، ولا سلطان لك ولا لأخيك ولا لأحد غيرى عليه . فجاء خمخام حتى انتزعه جهاراً من الحبس بمحضر من الناس ، وأحضر له دابة من دواب البريد فركبها . فلما استوى على ظهرها قال :

عَدَسْ (١) ما لعبَّاد عليك إمارة ... نجوتِ وهذا تَحملين طليقُ

---

(١) عدس وحدس : رجل كان يعنف على البغال فى أيام سليمان عليه السلام ، وكانت إذا قيل لها حدس أو عدس انزعجت .

و إن الذى نجّى من الكرب بعدما ... تلاحَم فى دَرْب عليك مُضَيق
أتاك بخَمخَام فأنجاك فالحق ... بأهلك[1] لا تُحْبَس عليكِ طريق
لعمرى لقد أنجاك من هُوّة الرّدى ... إمامٌ وحَبل للأنام وَثيق
سأشكر ماأوليت من حُسن نعمة ... ومثلى بشُكر المُنعمين خَليق[2]

هو يزيد ابن معاوية

ولما دخل ابن مفرِّغ على يزيد بن معاوية قال : يا أمير المؤمنين، اختر منّى خصلة من ثلاث خصال فى كلها لى الفرج: إما أن تُقيدنى من ابن زياد. و إما أن تخلِّى بينى و بينه ، و إما أن تقدّمنى فتضرب عنقى ؟ فقال يزيد : قبح الله ما اخترته وخيرتنيه ! أما القود من أبى زياد فما كنت لأُقيدك من عامل كان عليك ظالمته وشتمت عرضه وعرضى معه ، وأما التخلية بينك و بينه فلا ولا كرامة ، ما كنت لأخلى بينك و بين أهلى تقُطع أعراضهم ؛ وأما ضرب عنقك فما كنت لأضرب عُنق مُسلم من غير أن يستحق ذلك ، ولكن أفعل بك ما هو خير لك مما اخترته لنفسك ، أُعطيك دِيتك . فإنهم قد كانوا عرضوك للقتل ، وا كفُفْ عن ولد زياد ، فلا يبلغنى أنك ذكرتهم ، وانزل أى البلاد شئت . وأمر له بعشرة آلاف درهم .

اعتذاره لابن زياد

فخرج حتى أتى الموصل فأقام بها مدة . ثم أتى عبيد الله بن زياد فدخل إليه وأعتذر إليه وسأله الأمان فأمّنه ووصله .

خروجه إلى كرمان ونقضه لعهده مع ابن زياد

ثم خرج إلى كرمان فأقام بها حتى مات بها يزيد بن معاوية ، وغلب عبد الله ابن الزبير على الحجاز والعراقين ، وهرب عبيد الله بن زياد . وكان أهل البصرة قد أجمعوا على قتله . فعاد ابن مفرغ إلى البصرة وعاود هَجْو بنى زياد . ثم ظهر المختار

---

(١) فى غير التجريد ، « بأرضك » .
(٢) هذه رواية اللسان والتجريد . وفى غيرهما « حقيق » .

ابن أبى عُبيدة الثقفى بالكوفة مبايعاً لابن الزبير وطالباً بثأر الحُسين بن على ابن أبى طالب ، رضي الله عنهما ، فبايعه أهلها وجد فى قتل قَتلة الحسين رضى الله عنه وإخراب دورهم . ثم سير الجيوش لقتال عُبيد الله بن زياد ، وقد أقبل من الشام فى عسكر عظيم ، فالتقوا بالزاب فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أهل الشام وقُتل عبيد الله بن زياد .

مقتل ابن زياد وشعر ابن مفرغ فيه

فذكر أن إبراهيم بن الأشتر النخعى — وكان صاحب جيش المختار — حمل على كتيبته فانهزموا ، ولقى عبيد الله بن زياد فضربه فقتله ، وجاء إلى أصحابه وقال : إنى ضربت رجلاً وفاح منه المسك وأظنه ابن مرجانة ! وأومأ لهم إلى موضعه . فجاءوا إليه وفتشوا عليه فوجدوه ، وإذا هو عبيد الله بن زياد ، فأخذوا رأسه وحملوه إلى المختار ، فقال ابن مفرغ :

إنّ الذى عاش ختّاراً بذمّته ... وعاش عبداً قتيل الله بالزاب
العبد للعبد لا أصل ولا طَرف ... ألوتْ به ذات أظفار وأنياب
إنّ المنايا إذا ما زُرن طاغية ... هَتكن عنه سُتوراً بين أبواب
هلّا جُموع نزار إذ لقيتهم ... كنت امرأً من قُريش غيرَ مُرتاب
لا أنت زاحمت عن مُلك لتمنعَه ... ولا مددتَ إلى قوم بأحساب[1]
ما شُق جَيْب ولا ناحتْك نائحة ... ولا بكتْك جيادٌ عند أسلاب
أقول بُعداً وسحقاً عند مَصرعه ... لابن الخبيثة وابن الكودن[2] الكابى

(١) فى غير التجريد : « بأسباب » .
(٢) الكودن : البرذون يوكف ، وبه يشبه البليد .

أخبار الزبير بن دحمان

صناعته

هو أحد المغنّين الحُذاق والمتقدّمين فى الصناعة .

وفوده على الرشيد

وذكر أن الرشيد كتب فى إشخاصه إلى مدينة السلام فوافاها ، واتفق وقت قدومه خُروج الرشيد إلى الريّ لمحاربة بندار[1] هرمز أصبهبذ طبرستان ، فأقام الزبير بمدينة السلام إلى أن رجع الرشيد ، فدخل عليه بالخيزرانة ، وهو الموضع الذى يعرف بالشمّاسية ، فغناه فى أول غنائه صوتاً قاله فى الرشيد مدحه به وذكر خروجه إلى طبرستان . وقيل : إن الشعر لأبى العتاهية . وهو :

ألا إن حــــزبَ الله ليس بمُعجـز ... وأنصـــاره فى مَنْعـــة المتحرِّزِ
أبى الله أن يُعصى لهــــارون أمره ... وذلَّتْ له طـوعاً يد المُتعــــــزِّز
إذا الراية السوداء راحت أو اُغتدت ... إلى هاربٍ منهـــا فليس بمُعجز
أطاعت لهارون العِــــداةُ لدى الوغى ... وكبّر للإســـلام بنـــدار[1] هرمز

فاستحسن الرشيد الشعر والغناء . وأمر له بألف دينار . فدُفعت إليه . ومكث ساعة ثم غنى :

وأحور كالغُصن يَشفى السقام ... ويحكى الغَـــــزال إذا مارنـا
شربتُ المُدامَ عــــلى وجهه ... وعاطيتـــهُ الكأسَ حتى اُنثنى
وقلت مَـــــــديحاً أرجّى به ... مِن الأجر والحظ نيـلَ الغِنى[2]
وأعنى بذاك الإمـــــامَ الذى ... به الله أعطى العبـــادَ المُنى

---

(١) فى التجريد : « بنداذ » .

(٢) فى غير التجريد : « من الأجر حظاً ونيل الغنى » .

فأمر له بألف دينـار آخر . فقبضها ، وحف على قلبه واستظرفه ، وأغناه فى مُدة يسيرة .

غنى الرشيد عن البرامكة فأبكاه

وذكر أن الرشيد بعد قتله البرامكة كان شديد الأسف عليهم والندم على مافعله بهم ، ففطن لذلك الزُّبير بن دَحمان ، فكان يُغنِّيه فى هذا المعنى فيحركه ، فغناه يوماً ، والشعر لامرأة من بنى أسد :

مَن للخُصوم إذا جد الخصام بهم يومَ الجدال[١] ومن للضمَّر القُودِ

ومَوقفٍ قد كفيتُ الناطقين به فى مَجْمَعٍ من نواصِى الناس مَشهود

فرّجتـه بلسان غير مشتبه[٢] عند الحفـاظ وقلب غير مَرْدود

فقال الرشيد : أعد . فأعاد . فقال له : ويحك ، كأن قائل هذا الشعر يصف يحيى بن خالد . وجعفر بن يحيى ، وبكى حتى جرت دموعه . ووصل الزبير صلةً سنية .

(١) فى غير التجريد : « النزال » .

(٢) فى غير التجريد : « ملتبس .

أخبار العُمانيّ

نسبه

هو محمد بن ذُؤَيب بن مِحجن بن قُدَامة الحنظلي ، ثم الدارميّ .

سبب تلقيبه : العماني

وقيل له : العُمانى ، وهو بصرى ، لأنه شديد صفرة اللون ، ليس هو ولا أبوه من أهل عُمَان .

إفادته بشعره

وكان شاعراً راجزاً متوسطاً ، من شعراء الدولة العباسية . وكان لطيفاً مقبولاً ، فأفاد بشعره أموالاً جزيلة .

شعره الذى فيه الغناء

ذكر أنه دخل على الرشيد يوماً فأنشده قوله فيه ، وهو الشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخباره :

يا ناعش الجَدّ إذا الجد عَثر وجابر العَظم إذا العظم انكسرْ
أنت ربيعى والربيع يُنتظر وخير أنواء الرَّبيع مابَكَر

فقال له الرشيد : إذن يبكر عليك ربيعنا ؛ يافضل ، أعطه خمسة آلاف دينار وخمسين ثوباً .

أرجوزته فى بيعة الأمين

وذُكر أن الفضل بن يحيى بن خالد وجّه الوفد من خراسان إلى الرشيد يحضّونه على البيعة بولاية العهد لابنه محمد الأمين ، فقعد لهم الرشيد ، وتكلّم القوم على مراتبهم ، وأظهروا السُّرور بما دعاهم إليه من البيعة لابنه محمد . وكان فيمن حضر العُمانى ، فقام بين صفوف القُواد وقال فى ذلك أرجوزة طويلة أولها :

لما أتانا خَبرٌ مُشَهّر أغرّ لا يَخفى على من يُبصرُ
جاء به الكوفى والمُبصِّر والراكب المُنجد والمُغوّر

قلت لأصحابى ووجهى مُسفر ... يخبِّر الناس وما يَسْتخبر
فاز بها محمد فأقصروا ... وللرجال حَسْبكم لا تُكثروا
فى كُتب العلم التى تُسطَّر ... قد كان هذا قبل هذا يُذْكر

فلما فرغ من أرجوزته قال له الرشيد : أبشر يا عُمَانى بولاية محمد العهد . قال : إى والله يا أمير المؤمنين ، بُشرى الأرض المُجْدبة بالغيث ، والمرأة النَّزور بالولد ، والمريضِ المُدْنف بالبرء . قال : ولم ذلك ؟ قال : لأنه نَسِيج وحده ، وحامى مجده ، ومُورى زَنده . قال : فما لك فى عبد الله ؟ — يعنى المأمون — قال : مرعى ولا كالسَّعدان . فتبسَّم الرشيد وقال : قاتله الله من أعرابى ، ما أعرَفه بمواضع الرغبة ، وأسرعه إلى أهل البذل والعائدة ، وأبعده عن أهل الحزم والعزم الذين لا يُستمنح ما لديهم بالثناء ، أما والله إنى لأعرف فى عبد الله حَزم المنصور ، ونُسك المهدى ، وعز نفس الهادى ، ولو أشاء أن أنسبه إلى الرابعة لنسبته إليها .

حضه الرشيد على توليه القاسم العهد

وكان الرشيد قد جعل محمداً ولى عهده ، والمأمون عبد الله ولى عهد محمد ، فأنشده العمانى يوماً أرجوزة ، فحرَّضه فيها على أن يجعل القاسم ولىّ عهد أخويه الأمين والمأمون ، فلما انتهى إلى قوله منها :

ما قاسمٌ دون مدى ابن أمه ... قل للإمام المُقتَدى بأمه
وقد رضيناه فقُم فسمِّه

فتَبسم الرشيد وقال : ويحك ، ما رضيت أن أوليه العهد وأنا جالس حتى أقوم على رجلى ! فقال العمانى : ما أردت ياأمير المؤمنين قيامك على رجليك ، وإنما أَردت قيام العزم . قال : فإنا قد وليناه العهد . وأمر ابنه القاسم أن يحضر .

ومر العمانى فى أرجوزته يهدر حتى أتى على آخرها . وأقبل القاسم فأومأ إليه الرشيد ، فجلَسَ مع أخويه ، وقال له : ياقاسم ، عليك جائزةُ هذا الشيخ ، فقد سألنا

أن نوليك العهد ، وقَدْ فعلنا . فقال : حُكمك ياأميرالمؤمنين . فقال : ما أنا وهذا ، بل حُكمك . فأمر له الرشيد بجائزة ، وأمر له القاسم بجائزة أخرى مُفردة .

تعقيب المؤلف

قلت : القاسم خَلعه أخوه المأمون من ولاية عهْدِه لما صار الأمر إليه ، وولى الخلافة بعْدَ المأمون أخوه أبو إسحاق المعتصم .

أخبار عروة بن أُذينة

وأُذينة (١) لقب . وأسمه : يحيى بن مالك بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن زحل بن يعمر — هو الشداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة.

سبب تلقيب جده الشداخ

وسمى يعمر : الشداخ — لأنه كان يحمل ديات قَتْلى كانت بين قريش وخُزاعة، وقال : شدخت هذه الدماء تحت قدمى ، فسمى الشداخ .

وقال ابن الكلبي :

كنيته وشيء عنه وعن روايته

هو الشداخ بضم الشين ، ويكنى عُرْوَة : أبا عامر . وَهو شاعر غزل ، من شُعراء أهل المدينة . وَهو معدود فى الفقهاء والمحدثين . روَى عنه مالك بن أنَس الفقيه وغيره . ورَوى هو عن أبيه وغيره . فما روى :

قال عروة بن أذينة : حدثنى أبى مالك بن الحارث قال : أدركت علىّ بن أبى طالب بالبصرة . وقد هزم الناس ودخل البصرة ، فكنت آتيه أتحدَّث إليه ، فركب يوماً يطوف ورَكبت معه . فإنى لأسير إلى جانبه إذ مررنا بقبر طلحة ، فنظر إليه نظراً شَديداً ، ثم أقبل علىّ فقال : أمسى والله أبو محمد بهذا المكان غريباً . ثم تمثل :

وما تدرى وإن أزمعت أمراً ... بأى الأرض يُدْرِكك المَقيلُ

والله إنى لأكره أن تكون قريش قَتْلى تحت بطُون الكواكب . قال : فوقع العراقيون يشتمُون طلحة ، وعلىّ ساكت . حتى إذا فرغوا أقبل علىّ علىّ وقال : إنه وإن قالوا ماسمعت لكما قال أخو جُعفىّ :

فتى كان يُدْنيه الغنى من صديقه ... إذا ما هو اُستغنى ويُبعده الفقرُ

(١) مكان هذه الترجمة فى الجزء الحادى والعشرين من الأغانى . والترجمة التى تلى ترجمة العمانى فى الأغانى هى ترجمة أشعب .

ثم أردت أن أكلمه بشيء، فقلت: يا أمير المؤمنين. فقال: وما منعك أن تقول: يا أبا حسن؟ فقلت: أبيت. فقال: أما والله إنهما لأحبُّهما إلىّ لولا الحمق، ولوددت أنى خُنقت بحبل حتى أموت قبل أن يُفعل بعثمان ما فُعل، وما أعتذر من قيام بحق، ولكن العافية ممّا ترى كانت خيراً.

هو وجماعة من الشعراء عند هشام

وحكى يحيى بن عروة بن أذينة قال: أتى أبى وجماعة من الشعراء هشام ابن عبد الملك، فنسبهم، فلما عرف أبى قال له: أنت القائل:

لقد علمتُ وما الإسرافُ من خُلقى ... أنّ الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى له فيُعنّينى تطلّبه ... ولو قعدتُ أتانى لا يُعنّينى
وأن حَظ أمرئٍ غيرى سيبلغه ... لا بُد لا بُد أن يحتازه دونى
لا خير فى طمع يُدنى لمنقصة ... وغُبّر من كفاف العيش يكفينى
كم من فقير غنىّ النفس تَعرفه ... ومن غنىّ فقير النفس مِسكين
ومن أخٍ لى طوى كشحًا فقلت له ... إنّ انطواءك عنى سوف يَطوينى
إنى لأنطق فيما كان من أربى ... وأكثر الصمت فيما ليس يَعنينى
لا أبتغى وصل مَن يبغى مفارقتى ... ولا ألين لمن لا يشتهى لِينى

فقال له ابن أذينة: نعم أنا قائلها. قال: أفلا قعدت فى بيتك حتى يأتيك رزقك؟ وغفل عنه هشام. فخرج من وقته فركب راحلته ومضى مُنصرفاً، ثم افتقده هشام فعرف خبره، فأتبعه بجائزة وقال للرسول: قل له: أردت أن تكذبنا وتصدق نفسك. فلحقه وقد نزل على ماء يتغدّى عليه، فأبلغه رسالته ودفع إليه الجائزة. فقال: قل له: قد صدقنى ربّى وكذبك.

وقال يحيى بن عروة: وفرض له فريضتين. كنت أنا فى إحداهما.

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء . وافتتح به أبو الفرج أخبار عروة بن أذينة ، هو البيتان الأولان من هذه الأبيات .

هو وسكينة

وذكر أن سُكينة بنت الحسين بن علىّ وقفت على عُروة بن أذينة فى موكبها ومعها جواريها ، فقالت : يا أبا عامر ، أنت الذى تزعم أن لك مروءة وأن غَزلك من وراء عفة ، وإنك تقى ؟ قال : نعم . قالت : أفأنت الذى يقول :

قالت وأَبثثتُها وَجدى فبُحت به   قد كنت عندى تُحب الستر فاستتر

ألستُ تُبصر من حولى فقلت لها   غطّى هواك وما ألقى على بصرى

فقال لها : بلى . فقالت : هن حرائر إن كان خرج هذا من قلب صحيح .

هو وجارية سألته

ذكر أنه وقفت امرأة على ابن أذينة وهو بفناء داره . فقالت له : أنت ابن أذينة ؟ قال : نعم . قالت : أنت الذى يقول الناس إنك برىء وإنك صالح وأنت الذى تقول :

إذا وجدت أوارَ الحب فى كَبدى   أقبلتُ نحو سِقاء القوم أبتردُ

هَبنى بردت ببرد الماء ظاهره   فمن لحرٍّ على الأحشاء يتّقد

فقال : نعم .

أخبار مخارق (*)

هو مُخارق بن يحيى ، مولى هارون الرشيد ، وكان قبله لعاتكة بنت شُهدة ، وهي من المغنّيات المُحسنات المتقدّمات في الضّرب . نسبه وولاؤه

ونشأ بالمدينة ، وقيل : بالكوفة . منشؤه

وكان أبوه جزّاراً مملوكا ، وكان وهو صبيّ ينادي على ما يَبيعه أبوه من اللحم ، فلمّا بان طيبُ صوته علّمته مولاته طَرفاً من الغناء ، وأرادت بَيعه ، فاُشتراه منها إبراهيم الموصلي ، وأهداه للفضل بن يحيى بن خالد ، فأخذه منه الرشيد ثم أعتقه . شيء عنه وعن أبيه

وكان يلقّب أبوه ناووساً ، وإنما لُقّب بذلك ، لأنه بايع رجلاً أنه يمضي إلى ناووس بالكوفة فيطبخ فيه قدراً بالليل حتى تنضج ، وطرح رهنه بذلك ، فدسّ الرجل الذي راهنه رجلا فألقى نفسه في الناووس بين الموتى ، فلما فرغ ناووس من طَبيخه مدّ الرجل يده من بين الموتى وقال له : أطعمني ، فغرف من المرقة ملء المغرفة فصبّها في يد الرجل فأحرقها وضربها بالمغرفة ، وقال له : أُصبر حتى نُطعم الأحياء ثم نتفرغ للموتى ، فلُقب ناووساً لذلك . لقب أبيه وسبب ذلك

ولما اشترى الرشيد مخارقا كان يقف بين يديه مع الغلمان ويغنّي وهو واقف ، فغنّى ابنُ جامع يوماً بين يدي الرشيد : حيلته هو وإبراهيم الموصلي على الرشيد في صوت لابن جامع

هَوت هرقلةُ لمّا أن رأت عجباً ... حوائماً ترتمى بالنّفط والقارِ
كأنّ نيرانها (1) في جَنب قلعتهم ... مصبّغات على أرسان قصّار

(*) جاءت هذه الترجمة في الأغاني بين تراجم الجزء الحادي والعشرين .

(1) في غير التجريد : « نيرانها » .

فطرب الرشيد واستعاده عدة دَفعات ، وأقبل يومئذ على ابن جامع دون غيره ، فغمز مخارق إبراهيم بعَينه وتقدّمه إلى الخلاء ، فلما جاءه قال له : مالى رأيتك مفكِّراً ؟ قال له : أما ترى إقبال أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت ؟ فقال : قد والله أخذتُه . فقال له : ويحك ، إنه الرشـيد وابن جامع مَن تَعلم ، ولا يمكن مُعارضته إلا بما يزيد على غنائه ، وإلا فهو الموت . فقال : دَعنى وخَلاكَ ذَمّ ، وعرِّفه أنى أغنى به . فقال : فإن أحسنت فإليك يُنسب ، وإن أساءت فعلىّ يعود . فقال إبراهيم للرشيد : يا أمير المؤمنين ، أراك متعجباً من هذا الصوت بغير ما يستحقّه وأكثر ما يستوجبه . فقال : لقد أحسن فيه ابن جامع ما شاء . فقال : أو لابن جامع هو؟ قال : نعم ، كذا ذكر . قال : فإن عبدك مخارقاً يغنّيه . فنظر إلى مخارق فقال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : هاته ، فغناه وتحفّظ فيه فأتى بالعجائب . فطرب الرشيد حتى كاد يطير فرحاً ، ثم أقبل على ابن جامع فقال : ويلك ! ما هذا ؟ فابتدأ يحلف له بالطلاق وكُل مُحرجة أنه لم يُسمع ذلك الصوت قطُّ إلا منه ولا صنعه غيره ، وأنها حيلة جرت عليه . فأقبل على إبراهيم فقال . أصدقنى بحياتى . فصدقه عن قصة مخارق . فقال له : أكذاك يا مخارق ؟ قال : نعم يا مولاى فقال : اجلس إذن مع أصحابك فقد تجاوزت مرتبة من يقوم ، وأعتقه ووصله بثلاثة آلاف دينار ، وأقطعه ضيعة ومنزلا .

تكنية الرشيد له

وكنّى الرشيد مخارقاً أبا المهنأ .

وحكى مخارق قال :

قصة مثوا كلته للأمين

دعانى الأمين يوماً وقد اصطبح ، واقترح علىّ :

اِستقبلتْ وَرَقَ الرَّيحان[1] تقطفه   وعَنبر الهنـد والوردية الجدَدَا
ألستَ تَعرفنى فى الحىّ جارية   ولم أخُنك ولم ترفع إلىّ يدا

(١) التجريد : « تقطفه » .

فغنّيته إياه ، فطرب طرباً شديداً وشرب عليه ثلاثة أرطال وِلاء ، وأمر لى بألف دينار ، وخَلع علىّ جُبة وَشْى كانت عليه مذهبة ودرّاعة مثلها ، وعمامة مثلها تكاد تُغشى البصر من كثرة الذهب . فلما لبست ذلك ورآه علىّ نَدِم ، وكان كثيراً ما يفعل ذلك ، فقال لبعض الخدم : قل للطبّاخ يأتينا بمَصْليّة[1] معقودة الساعةَ . فأتى بها . فقال لى : كُل معى . وكنت أعرف الناس بمذهبه وكراهيته لذلك ، فامتنعت ، فحلف أن آكل معه . فحين أدخلت يدى فى الغضارة[2] رَفع يده ثم قال : أُف ، نغّصتها والله علىّ وقذّرتها عندى بإدخال يدك فيها ! ثم رفس القَصعة رفسة فإذا هى فى حِجرى . وودَكها يسيل على الخلعة حتى نَفذ إلى جلدى ، فقمت مُبادراً فنزعتُها و بعثت بها إلى منزلى وغيّرت ثيابى وعُدت وأنا مغموم منها ، وهو يضحك . فلما رجعتُ إلى منزلى جئت كل صانع حاذق فجهدوا فى إخراج ذلك الأثر منها فلم يخرج ، ولم أنتفع بها حتى أحرقتها ، وأخذت ذهبها .

وضرب الدهر بعد ذلك ضَربه ، ثم دعانى المأمون فدخلت إليه وهو جالس . و بين يديه مائدة عليها رغيفان ودَجاجتان . فقال : تعال فكُل . فامتنعت . فقال : تعال ويلك فساعدنى . فجلست معه فأكلت معه حتى أستوفى ، ووضع النبيذ ودعا علّويه فجلس ، فقال : يا مخارق ، أتغنى :

أقول التماس العُذر لمّا ظلمتنى وحمّلتنى ذنباً وما كُنت مذنباً

فقلت : نعم يا سيدى . قال : غَنه . فغنيته ، فعبس فى وجهى ثم قال : قَبحك الله ، هكذا تُغنّى ! ثم أقبل على علّويه فقال : تغنّيه ؟ قال : نعم يا سيدى . قال : غنّه . فغنّاه ، فوالله ما قاربنى فيه . فقال : أحسنت والله ! وشَرب رطلا

(١) مصلية : أى شاة مشوية .

(٢) الغضارة : الصحفة .

وأمر له بعشرة آلاف درهم، واستعاده ثلاثا وشرب عليه ثلاثة أرطال، وأعطاه مع كل رِطل عشرات آلاف درهم، ثم خذف بإصبعه[1] وقال: بَرْق يمان، وكان إذا أراد قَطْع الشراب فعل ذلك وقُمنا. فعلمت من أين أُتيت. فلما كان بعد أيام دعانى فدخلتُ إليه وهو جالس فى ذلك الموضع بعينه يأكل، فقال: تعال ويلك فساعدنى. فقلت: الطلاق لى لازم إن فعلت. فضحك ثم قال لى: ويلك! أترانى بخيلا على الطعام؟ لا والله، ولكنى أردت أن أؤدبك، لأن السادة لا يَنبغى لعبيدها أن تؤاكلها، أفهمت؟ فقلت: نعم. قال: فتعال الآن فكُل على الأمان. فقلت: أكون. إذن أول من أضاع تأديبك إياه، وأستحق العقوبة من قريب. فضحك حتى استغرب. ثم أمر لى بألف دينار، ومضيتُ إلى حُجرتى المرسومة[2] لى للخِدمة، وأُتيت بطعام فأكلت. ثم دعا بى وبعَلويّة ووضع النبيذ. فلما جلسنا قال لعلويه: أتغنى:

ألم تقُولى نعم قالت أرى وَهَمًا ... منّى وهل يُؤخذ الإنسان بالوَهَمِ

فقال: نعم ياسيدى. فغنّاه. فعبَس فى وجهه وبسر[3]، وقال: قَبَحك الله، أتغنّى هذا هكذا؟ ثم أقبل علىّ فقال: أتغنيه يا مخارق؟ قلت: نعم يا سيدى. وعلمت أنه يريد أن يستقيد لى من عَلويه ويرفع منى، وإلا فما أتى علّويه بما يُعاب فيه. فغنّيته، فطرب وشرب رطلا وأمر لى بعشرة آلاف درهم، وفعل ذلك ثلاث مرات كما فعل به، ثم أمر بالانصراف، فانصرفنا. وما عاودت بعد هذا مؤاكلة خليفة إلى وقتى هذا.

ترضيه المعتصم بعد غضبه عليه

وذُكر أن المعتصم غضب على مُخارق وأمر أن يُجعل فى المؤذِّنين ويلزمهم، ففَعل ذلك، وأمهل حتى علم أن المعتصم يشرب، وأذنت العصر، فدخل مخارق

(١) الخذف: الرمى بالحصى الصغار بأطراف الأصابع. والذى فى التجريد وأصول الأغانى «حذف» بالحاء المهملة.

(٢) التجريد: «الموسومة». (٣) بسر: عبس.

إلى الستر حيث يقف المؤذن للسلام ، ثم رفع صوته جَهده ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، الصلاة يرحمك الله . فبكى المعتصم حتى جرت دُموعه . وبكى كل من حضره . ثم قال : أدخلوه إلىّ . ثم أقبل على الحاضرين فقال : سمعتم هكذا قط ؟ هذا الشيطان لن يترك أحداً يغضب عليه . فأُدخل إليه، فقبّل الأرض بين يديه . فدعاه المعتصم إليه وأعطاه يده فقبلها ، وأمر بإحضار عود فأُحضر ، وأعاده إلى مرتبته .

وحكى مخارق قال :

غنى المأمون بيتين صنعهما في رثاء جارية له

كنا عند المأمون فجاءه الخادم الحرمى [1] ، فأسرّ إليه شيئاً ، فوثب فدخل معه ، ثم أبطأ علينا ساعة وعاد وعينه تَذرف ، فقال لنا : دخلتُ الساعة إلى جارية لى كنت أحظاها فوجدتها فى الموت ، فسلّمت عليها ، فلم تستطع رد السلام إلا بأصابعها إيماء ، فقلت هذين البيتين :

سلام على من لم يُطق عند بينه ... سَلاماً فأومى بالبنَان المُخضّبِ

فما أسطعتُ توديعاً سوى سرعة البكا [2] ... وذلك جهد المُستهام المعذّبِ

ثم قال : غن فيهما يا مخارق . فما استعادنى ذلك الغناء قط إلا بكى .

وفاته وسببها

وكانت وفاة مخارق فى أول خلافة المتوكل . وقيل : فى أول خلافة الواثق . وذُكر أن سبب وفاته أنه أكل قنّبيطة باردة ، فقتلته من يومه .

---

(١) التجريد : « الحزمى » بالزاى .

(٢) فى غير التجريد : « فما اسطعت توديعا له بسوى البكا » .

أخبار أبى محجن الثقفى (*)

نسبه هو عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عُمير بن عوف بن قَسِىّ . وقد تقدم ذكر بقية هذا النسب .

شىء عنه وهو من المُخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام . شاعر فارس شجاع ، معدود فى أولى البأس والنجدة ، وكان من المُعاقرين للخمر المحدودين فى شُربها .

أتى به عمر بين شاربى خمر ذَكر أنه أُتى عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — بجماعة فيهم أبو محجن الثقفى ، وقد شربوا الخمر ، فقال : أشربتم الخمر بعد أنْ حَرّمها الله ورسوله ؟ فقالوا : ما حرّمها الله ولا رسوله ، إن الله يقول : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جُناح فيما طَعموا إذا ما اتقوا وآمنوا) . فقال عمر — رضى الله عنه — لأصحابه : ما ترون فيهم ؟ فاختلفوا فيهم . فبَعث إلى على بن أبى طالب — رضى الله عنه — فشاوره ، فقال له على — رضى الله عنه — : إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغى أن يستحلّوا الميتة والدم ولحم الخنزير . فسكتوا . فقال عمر لعلى — رضى الله عنهما — : ما ترى فيهم ؟ فقال : أرى إن كانوا شربوها مستحلّين لها أن يُقتلوا ، وإن كانوا شربوها وهم يؤمنون أنها حرام أن يُحدوا . فسألهم ، فقالوا : والله ما شككنا فى أنها حرام ، ولكنّا قدرنا أن لنا نجاة فيما قلناه . فجعل يحدهم رجلا رجلا ، وهم يخرجون ، حتى انتهى إلى أبى محجن ، فلما جلده أنشأ يقول :

(*) هذه الترجمة جاءت فى الأغانى بين تراجم الجزء الحادى والعشرين .

ألم تر أن الدهر يعـثُر بالفتى ... ولا يستطيع المرء صَرْف المَقادرِ
صبرتُ فلم أجزع ولم أكُ[1] كائعا ... لحادث دهر فى الحُكومة جائر
وإنى لذو صَبر وقد مات إخوتى ... ولستُ عن الصَّهباء يوماً بصابر
رماها أمير المؤمنين بحَتفها ... فخِلّانها يبكون حول المعاصر

فلما سمع عمر — رضى الله عنه — قوله :

* ولست عن الصهباء يوماً بصابر *

قال : قد أبديتَ مافى نفسك ، ولأزيدنك عقوبة لإصرارك على شرب الخمر . فقال له على — رضى الله عنه — : ما ذلك لك ، وما يجوز أن تُعاقب رجلا قال : لأفعلن وهو لم يفعل ، وقد قال تعالى فى الشعراء : (وأنهم يقولون مالا يفعلون) . فقال عمر — رضى الله عنه — : فقد أستثنى الله منهم قوماً . فقال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) . فقال على — رضى الله عنه — : أفهؤلاء عندك منهم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يشرب العبدُ الخمر حين يشربها وهو مؤمن .

حديث نفى عمر له بشعره فى امرأة هويها ثم إطلاقه

ذُكر أن أبا محجن هوى أمرأة من الأنصار — يقال لها : شموس — فحاول النظر إليها بكل حيلة ، فلم يقدر على ذلك ، فأجّر نفسه من عامل يعمل فى حائط إلى جانب منزلها ، فأشرف من كُوة فى البستان فرآها ، فقال فيها شعراً ، وبلغ ذلك زوجها ، فاُستعدى عليه عمر — رضى الله عنه — ، فنفاه إلى حَضَوْضَى[2] ، وبعث معه رجلا يقال له : أبن جَهراء ، وقال له ، لا تدع أبا محجن يُخرج معه سيفاً . فعمد أبو محجن إلى سيفه فجعل نَصله فى غِرارة ، وجعل جفنه فى غرارة أخرى فيها دقيق له ، فلما انتهى أبن جهراء إلى ساحل البحر أشترى أبو محجن

(١) الكائع : الجبان الهياب .

(٢) جبل فى الغرب كانت العرب تنفى إليه خلعاءها .

شاة وقال لابن جهراء : هلم نتغدى : ووثب إلى الغرارة ، وكأنه يخرج منها دقيقاً ، فأخذ السيف ، فلما رأى ابن جهراء السيف فى يده خرج يعدو حتى ركب بعيره راجعاً إلى عمر — رضى الله عنه — فأخبره الخبر ، وأقبل أبو محجن إلى سعد ابن أبى وقاص — رضى الله عنه — وهو يقاتل العجم يوم القادسية . وبلغ عمر — رضى الله عنه — خبره ، فكتب إلى سعد يأمره بحبسه ، فحبسه وقيده . ولما كان يوم الكتائب ، وهو يوم من أيام القادسية ، اقتتل المسلمون والفرس منذ أصبحوا إلى أن انتصف النهار ، فلما قامت الشمس تزاحف الناس فاقتتلوا حتى انتصف الليل . وهذه الليلة التى كان فى صبيحتها يوم أرماث . فلما انتصف الليل تحاجز الناس وبات المسلمون ينتمون منذ لدن أمسوا .

وسمع ذلك سعد فاستلقى لينام ، وقال لبعض من عنده : إن تم الناس على الانتماء فلا توقظنى ، فإنهم أقوياء على عدوهم . وإن سكتوا أو سكت العدو فلا تنبهنى فإنهم على السواء ، وإن سمعت العدو ينتمون وهؤلاء سكوت فأنبهنى وإن انتماء العدو من السوء .

قيل . ولما اشتد القتال تلك الليلة كان أبو محجن فى الحبس ، فصعد إلى سعد يستعفيه ويستقيله ، فزبره ورده ، فنزل فأتى سلمى بنت أبى حفصة ، زوجة سعد ، فقال لها : يا بنت أبى حفصة ، هل لك فى خير ؟ قالت : وما ؟ قال : تخلين عنى وتعيريننى البلقاء ، فلله علىّ إن سلمنى الله أن أرجع إلى حضرتك حتى تضعى رجلى فى قيدى . فقالت : وما أنا وذاك . فرجع يرسف فى قيوده ويقول :

كفى حزناً أن تردى الخيل بالقنا ... وأترك مشدوداً علىّ وثاقيا

إذا قمت عنانى الحديد وغلقت ... مصاريعُ من دونى تُصم المناديا

وقد كنتُ ذا مال كثير وإخوة ... فقد تركونى واحداً لا أخا ليا

وقد شفّ جسمى أننى كلّ شارق أعالج كبلًا مُصمتاً قد برانيا
فلله درّى يوم أُترك مُوثقاً وتذهل عنى أسرتى ورجاليا
حبيساً عن الحرب العَوان وقد بدت وإعمال غيرى يوم ذاك العواليا
ولله عهدٌ لا أخيس بعهده لئن فُرّجت ألّا أزور الحوانيا

فقالت سلمى : إنى قد أستخرت الله ورضيت بعهدك ، فأطلقتْه وقالت : أما الفرس فلا أعيرها . ورجعت إلى بيتها . فاُقتاد أبو محجن الفرس وأخرجها من باب القصر الذى يلى الخندق فركبها ، ثم دب عليها ، حتى إذا كان بحيال الميمنة وأضاء النهار وتصافّ الناس ، كبّر ثم حمل على ميسرة القوم ، فلعب برُمحه وسلاحه بين الصفين ، ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلب ، فبدر أمام الناس ، وحمل على القوم يلعب بين الصفين برُمحه وسلاحه ، وكان يقصف الناس ليلتئذ قصفاً مُنكراً ، فعجب الناس منه وهم لا يعرفونه ولم يروه بالأمس . فقال بعض القوم : هذا من من أوائل الأصحاب هشام بن عتبة[1] . وقال قومٌ : إن كان الخضر يشهد الحروب فهو صاحب البلقاء . وقال آخرون . لولا أن الملائكة لا تباشر القتال ظاهراً لقُلنا هذا مَلك بيننا . وجعل سعد يقول : وهو مشرف ينظر إليه : الطعن طعن أبى محجن والصبر صبر البلقاء ، لولا محبس أبى محجن لقلت : هــذا أبو محجن وهذه البلقاء . فلم يزل يقاتل حتى اُنتصف الليل . فتحاجز أهل العسكرين ، وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر ووضع نفسه عن دابته ، وأعاد رجله فى القيد ، وأنشأ يقول :

لقد علمتْ ثقيفٌ غيرَ فخر بأنا نحن أكرمهم سيوفا
وأكثرهم دروعاً سابغات وأصبرهم إذا كرهوا الوُقوفا

(١) فى غير التجريد : « هاشم » . وكان أبوعتبة يسمى : هشاماً وهاشماً : (الإصابة) , كان هشام شجاعاً مشهوراً يعرف بالمرقال ، لأنه كان يرقل فى الحرب ، أى يسرع .

وأنا رِفــدهم فى كل يوم ... فإن جَحدوا فسَلْ بهمُ عريفا
وليلة قادس لم يشــعروا بى ... ولم أكره لمخرجِىَ الزُّحوفا
فإن أُحبس فقد عرفوا بلائى ... وإن أُطلق أجرِّعهم حُتوفا

فقالت له سلمى : يا أبا محجن ، فى أى شىء حبسك هذا الرجل ؟ فقال : والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ، ولكنى كنت صاحب شراب فى الجاهلية ، وأنا امرؤ وشاعر يدبّ الشعر على لسانى أحياناً ، فحبسنى لأنى قلت :

إذا مت فادفنّى إلى أصل كرمة ... تروِّى عِظامى بعد موتى عُروقها
ولا تدفنّى فى الفَــلاة فإننى ... أخاف إذا ما مت ألّا أذوقهـــا
ليروى بخمر الحُصّ (١) لحمى فإننى ... أسير لها من بعــد ما قد أسوقها

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء . وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى محجن هو البيتان الأولان من هذه الأبيات .

عود إلى حديث إطلاقه

قيل : وكانت سلمى هذه قد رأت فى المسلمين جولة ، وسعد رضى الله عنه فى القصر لعلّة كانت به لم يقدر معها على حُضور الحرب ، وكانت قبله عند المُثنى بن حارثة الشيبانى ، فلما قُتل خَلف عليها سعد رضى الله عنه ، فلما رأت شدة البأس صاحت : وا مثنّاه ولا مُثنى اليوم . فلطمها سعد . فقالت له : أف لك أجبناً وغيرة ؟ فكانت مُغاضبة لسعد عشية أرماث ، وليلة الهدأة ، وليلة السواد . حتى إذا أصبحت أتته وأخبرته خبر أبى مِحجن . فدعا به وأطلقه ، وقال : اذهب فلستُ مؤاخذك بشىء تقوله حتى تفعله . فقال : لا جرم والله ، إنى لاأجيب لسانى إلى صفة قبيح أبداً .

شعره فى تركه الخمر

وقال أبو محجن فى تَركه شرب الخمر :

رأيت الخمر صالحة وفيها ... مناقب تُهلك الرجــل الحليما
فلا والله أشربها حياتى ... ولا أســقى بها أبداً نديما

(١) الحص : الورس أو الزعفران .

ابن له مع معاوية

وذكر أن ابن أبي مِحجن دخل على معاوية بن أبي سفيان فقال : أليس أبوك الذى يقول :

إذا مت فادفنى إلى أصل كرمة ؟

فقال : لو شئت لذكرت ما هو أحسن من هذا من شعره ! قال . وما ذاك ؟ قال قوله :

لا تسألى الناس عن مالى وكثرته ... وسائلى الناس ما فِعلى وما خُلقى

أعطى السنان غداة الرّوع حصته ... وعاملَ الرمح أرويه من العَلق

وأطعن الطّعنة النّجلاء عن عُرض ... وأكتِم السرّ فيه ضربة العُنق

عفّ المطالب عمّا لست طالبه ... وإن ظُلمت شديد الحقد والحَنَق

قد أجود وما مالى بذى[1] قَنع ... وقد أكر وراء المحجم الفَرِق

والقوم أعلم أنى من سراتهم ... إذا سما بَصر الرِّعديدة الشّفق

قد يُعسر المرء حيناً وهو ذو كرم ... وقد يَثُوب سوام العاجز الحمِق

سيكثر المال يوماً بعد قلّته ... ويكتسى العُود بعد اليُبس بالورق

فقال معاوية : لئن أسأنا لك القول لنُحسنن لك الصفد[2] . ثم أجزل صلته وقال : إذ ولدت النساء فلتلد مثلك .

حديث لبعضهم

وحكى بعضهم : أنه مرّ على قبر أبي محجن الثقفى فى نواحى أذربيجان أو جُرجان . قال : فرأيت قبره وقد نَبتت حوله ثلاثة أصول كرم وقد طالت وأثمرت ، وهى معروشة . وعلى قبره : هذا قبر أبي محجن الثقفى . فوقفت طويلا أتعجب مما اتفق له حتى صار كأمنية بلغها حيث يقول :

* إذا مت فادفنى إلى أصل كرمة *

(١) قنع : قناعة .

(٢) الصفد : العطاء .

أخبار زهير بن جناب (*)

نسبه

هو زُهير بن جَناب بن هُبَل بن عبد الله بن كِنانة بن بكر بن عوف بن عُذْرة بن زَيد بن اللات بن رُفيدة بن ثَور بن كلب بن ثعلبة (1) بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة .

طبقته وشيء عنه

شاعر جاهلي . وهو أحد المعمَّرين . وهو سيد كلب وقائدهم فى حروبهم . وكان شجاعاً مظفَّراً مَيمون النقيبة فى غَزَواته . وهو أحد من مَلّ عمره فشرب الخمر صِرفا حتى قتلته . ولم يوجد شاعر فى الجاهلية والإسلام وَلد من الشعراء أكثر من وَلد زهير .

عمره ومنزلته بين قومه

وذكر أنه بلغ من العمر مائتين وخمسين سنة ، أوقع فيها مائتى وقعة بالعرب . ولم تجتمع قضاعة إلا عليه وعلى حن بن زيد العذرى . ولم يكن فى اليمن أشجع ولا أخطب ولا أوجه عند الملوك من زهير بن جناب .

شعره لحفيد له

وذكر حمّاد الراوية أن زهيراً هذا عاش أربعمائة سنة ، فرأته أُبنة له فقالت لابن ابنها : خُذ بيد جدك . فقال له : من أنت ؟ فقال : فلان بن فلان بن فلانة . فأنشأ يقول :

أبُنَىّ إن أهلكْ فقد ... أورثُتكم مجدًا بُنَيّه
وتركتُكم أبناء سا ... داتٍ زنادُكم وَرِيّه
مِن كُل ما نال الفتى ... قد نِلتُه إلا التحيّه

(*) ممن وردت تراجمهم فى الجزء الحادى والعشرين .

(1) فى غير التجريد : «كلب بن وبرة بن تغلب» .

والمـوتُ خـيرٌ للفتى فليهلكنْ وبه بقيّـه

وله وقد بلغ مائة سنة

وهو القائل وقد بلغ مائتى سنة :

لقـد عُمِّرت حتى ما أبالى أحتفى فى صباحى أو مسائى

وحقّ لمن أتت مائتان عامًا عليه أن يَمَلّ من الثّواء

شعره الذى فيه الغناء

وقال أيضاً فى كبره ، وهو الشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخباره :

ألا يا لقومى لا أرى النجم طالعا ولا الشمس إلّا حاجبى بيمينى

ومُعزبتى[1] عنـد القفا بعمودها فأقصى نكيرى أن أقول ذَرِينى

أمين على أسرارهن وقد أرى أكون على الأسرار غير أمين

فللموت خيرٌ من حِداج[2] موطّأ مع الظّعن لا يأتى المحل لحـين

سبب شربه الخمر صرفا حتى مات

وذكر أنه كان زهير إذا قال : ألا إن الحى ظاعن ؛ ظعنت قضاعة . وإذا قال: ألا إن الحى مقيم ؛ نزلوا وأقاموا . فلما أسنّ نُصب ابن أخيه عبد الله بن عليم للرياسة فى كلب ، وطمع أن يكون كعمه ، وأن تجتمع قضاعة كلها عليه . فقال زهير يوما : ألا إن الحى ظاعن . فقال عبد الله : ألا إن الحى مقيم . فقال زهير : ألا إن الحى مقيم . فقال عبد الله : ألا إن الحى ظاعن . فقال زهير : من هـذا المخالف علىّ منذ اليوم . قالوا : ابن أخيك عبد الله بن عليم . فشرب زهير الخمر حينئذ صِرفا حتى مات .

ممن شربوا الخمر صرفا حتى الموت

وممن شرب الخمر صِرفاً حتى مات عمرو بن كلثوم التغلبى ، وأبو براء عامر ابن مالك مُلاعب الأسنّة .

وقيل : عاش هُبَل بن عبد الله ، جد زهير بن جناب ، ستمائة وسبعين سنة .

(١) المعزبة كمعزفة : المرأة تكون مع الشيخ ترعاه و تكلؤه .

(٢) الحداج : أن تشد على الناقة أو البعير الحدج ، وهو مركب ليس برحل ولا هودج تركبه النساء .

أخبار صريع الغوانى (*)

نسبه وكنيته

هو مسلم بن الوليد . مولى أبى أمامة أسعد بن زُرارة الخزرجى . ويُكنى : أبا الوليد .

طبقته ومذهبه

وهو شاعر متقدّم من شعراء الدولة العباسية . منشؤه ومولده الكوفة . وهو فيما قيل : أول من قال الشعر المعروف بالبديع . وهو لقّب هذا الجنس البديع واللطيف . وتبعه فيه جماعة أشهرهم فيه أبو تمام الطائى . فإنه جعل شعره كله مذهباً واحداً فيه .

مجود فى الخمر

وكان حسنَ للنظم فى الخمر . وكثير من الناس يَقرنه بأبى نواس فى هذا المعنى، وهو أول من عقد هذه المعانى المُطربة واُستخرجها .

له فى جارية تعشقها

وذكر أنه علق جارية ذات ذِكر وشرف ، وكان منزلها فى مهبّ الشمال من منزله ، وفى ذلك يقول :

أُحب الرِّيح ما هبَّت شمالا ... وأحسُدها إذا هبَّت جَنوبَا

أهابك أن أبوح بذات نفسى ... وأَفْرَق إن سألتُك أن أخيبا

وأهجر صاحبى حُب التَّجنى ... عليه إذا تجنّيت الذُّنوبا

كأنى حين أُغضى عن سواكم ... أخاف لكم على عَينى رَقيبا

وكانت له جارية يُرسلها إليها يَبثُها سرّه ، وتعود إليه بأخبارها ورسائلها ،

(*) هذه الترجمة سقطت من أجزاء الأغانى كلها حتى الجزء الحادى والعشرين .

فطال ذلك بينهما حتى أحبَّتْها الجارية التى عَلقها مسلم ومالت إليها ، وكلتاهما فى نهاية الحسن والكمال . وكان مُسلم يُحب جاريته هذه محبَّة شديدة ، ولم يكن يهوى تلك وإنما كان يريد الغَزل والمجون وأن يشيع له حديث هواها . وكان يرى ذلك من الملاحة والظَّرف والأدب . فلما رأى مودة تلك الجارية لجارتها هَجر جاريته مُظهراً لذلك وقَطعها عن الذهاب إلى تلك ، وذلك قوله :

وأهجُر صاحبى حُبَّ التجنِّى عليــه إذا تجنَّيت الذُّنوبا

شعره الذى الغناء

وراسلها مع غير جاريته الأولى ، وفى ذلك قوله ، وهو الشعر الذى فيه الغناء ، افتتح به أبو الفرج أخبار مسلم بن الوليد :

تدَّعى الشوق إذ نأتْ وتجــنَّى إذا دَنتْ
سرّنى لو صبرت عنـ ـها فتجــزى بما جَنت
إنَّ سلمى لو أتقت ربَّهـا فىّ أنجـــزت
زَرعت فى الحشا الهوى وســقَتْه حتى نبت

ذكر شعره للمأمون فاستجاد به

وذكر أنه اجتمع أصحاب المأمون عنده يوماً ،فأفاضوا فى ذكر الشعر والشعراء ، فقال له بعضهم : أين أنت ياأمير المؤمنين عن مُسلم بن الوليد ؟ قال : حيث يقول ماذا ؟ قال : حيث يقول : وقد رثى رجلاً :

أرادوا ليُخفوا قَبره عن عدوِّه فطِيبُ تراب القبر نَمَّ على القبرِ

وحيث مدح رجلا بالشجاعة فقال :

تجود بالنفس إن ضَنَّ الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجودِ

وهجا رجل بقُبح الوجه والأخلاق فقال :

قَبُحت مَناظره فحــين خَبرتُه حسُنت منــاظرُه لقُبح المَخبرِ

وتغازل فقال :

هوًى يجِـــدُّ وحبيب يلعبُ أنت لقًى[1] بينهما مُعَـــذَّبُ

فقال المأمون : هذا أشعر من خُضتم اليوم فى ذكره .

كرمه ابن يزيد بعد أن نبهه إلى ذلك الرشيد

وحكى يزيد بن مَزْيد قال :

أرسل إلىّ الرشيد يوماً فى وقت لا يرسَل فيه إلى مثلى ، فأتيتُه لابساً سلاحى مستعدًّا لأمرٍ إن أراده . فلما رآنى ضحك إلىّ ثم قال لى : يايزيد . خبرنى من الذى يقول :

تراهُ فى الأمن فى دِرع مُضاعفة لايأمن الدهرَ أن يُدْعى على عَجَلِ

لله من هاشم فى أرضه جبــل وأنت وابنُك رُكنا ذلك الجبل

فقال : لا أعرفه ياأمير المؤمنين . فقال : سوءة لك من سيد قوم ، يُمدح بمثل هذا الشعر ولا يَعرف قائله ، وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله ، وهو مسلم ابن الوليد . فانصرفت فدعوت به ووصلتُه وولّيته .

وذُكر أنه دخل يزيد بن مَزيد على الرشيد فقال له : ياابن مزيد ، من الذى يقول :

لا يَعبق الطّيب خدَّيه ومَفْرقه ولا يُمسّح عينيه من الـكحلِ

قد عوّد الطيرَ عاداتٍ وثقنَ بها فهن يَتْبَعنه فى كُل مرتحل

فقال : لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين . فقال له الرشيد : أيقال فيك مثل هذا الشعر ولا تعرف قائله ؟ فخرج من عنده خجلاً ، فلما صار إلى منزله دعا حاجبه فقال : من بالباب من الشعراء ؟ قال : مسلم بن الوليد . قال : وكيف حجبته عنى ولم تُعلمنى بمكانه . قال : أخبرته أنك مُضيق وأنه ليس فى يديك شىء تُعطيه

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لعا » .

وسألته الإمساك والمقام أيامًا إلى أن تتسع . فأنكر ذلك عليه ، وقال : أدخله إلىّ . فأدخله ، فأنشد قوله فيه :

أُجررتُ ذيل خليع فى الصِّبا غَزل — وشمَّرتْ هِمَمُ العُذال عن عَذَلِ
ردّ البكاء على العين الطَّموح هوًى — مفرَّق بين توديع ومُرتحل (١)
أما كفَى البين أن أُرمى بأسهمه — حتى رمانى بلحظ الأعين النُّجل
مما جَنت لى وإن كانت مُنًى صدقت — صبابة خُلس التَّسليم بالمُقَل

فقال له : قد أمرنا لك بخمسين ألف درهم فاقبضها واعذر . وخرج الحاجب. فقال لمسلم : قد أمرنى أن أرهن ضيعة من ضياعه على مائة ألف درهم ؛ خمسون ألفًا منها لك ، وخمسون ألفًا لنفقته . فأعطاه إياها . وكتب صاحب الخبر إلى الرشيد بذلك . فأمر له بمائتى ألف درهم . وقال : اقض الخمسين الألف التى أخذتها للشاعر وزِدْه مثلها . وخُذ مائة ألف درهم لنفقتك . فافتكّ ضيعته وأعطى مُسلمًا خمسين ألفًا أخرى .

إرسال يزيد بن مزيد فى طلبه

وحكى صريع الغوانى مُسلم بن الوليد قال : كنت جالسًا فى دُكان خياط بإزاء منزلى ، إذ رأيت طارقًا ببابى . فقمتُ إليه ، فإذا هو صديق من أهل الكوفة قد قَدِم من قُم (٢) . فسُررت به وكأن إنسانًا لَطم فى وجهى ، لأنى لم يكن عندى درهم واحد أُنفقه عليه . فقُمت فسلّمت عليه وأدخلته منزلى ، وأخذت خُفين كانا لى أتجمل بهما ، فدفعتُهما إلى جاريتى وكتبتُ معها رُقعة إلى بعض معارفى فى السوق أسأله أن يبيع الخُفين ويشترى لى لحمًا وخُبزًا بشىء سمَّيته له . فمضت الجارية وعادت إلىّ وقد اشترت لى ما حدّدته ، وقد باع الخُفين بتسعة دراهم ، فكأنها إنما جاءتنى بخُفين جديدين . فقعدت أنا وضيفى نطبخ . وسألت جارًا لى أن يسقينا قارورة نبيذ،

(١) الديوان : « ومحتمل » .
(٢) قم : مدينة بين أصفهان وساوة .

فوجّه بها إلىّ ، وأمرت الجارية أن تُغلق باب الدار . فإنا لجالسان نطبخ حتى طرق الباب طارق ، فقلت للجارية : أنظُرى مَن هذا ؟ فنظرت مِن شق الباب فإذا رجل عليه سَواد وشاشيّة ومنطقة ومعه شاكرى[1] فخبّرتنى بموضعه . فأنكرت أمرى ، ثم رجعت إلى نفسى فقلت : لست بصاحب دعارة ولا للسلطان علىّ سبيل . ففتحت البابَ وخرجتُ إليه ، فنزل عن دابّته وقال لى : أنت مسلم بن الوليد ؟ فقلت : نعم . فقال : كيف لى بمعرفتك ؟ قلت : الذى دلّك على منزلى يصحح لك معرفتى . فقال لغلامه : امض إلى الخياط فسَله عنه . فمضى فسأله عنى . فقال : نعم هو مسلم بن الوليد . فأخرج إلىّ كتاباً من خُفه وقال : هذا كتاب الأمير يزيد بن مَزيد إلىّ يأمرنى ألا أفُضه إلا عند لقائك ، فإذا فيه : إذا لقيت مسلم بن الوليد فادفع إليه هذه العشرة آلاف درهم التى أنفذتها تكون فى منزله ، وادفع إليه ثلاثة آلاف درهم تكون لنفقته ، ليتحمّل بها إلينا. فأخذت الثلاثة والعشرة ودخلت إلى منزلى والرجل معى ، فأكلنا ذلك الطعام وازددتُ فيه وفى الشراب ، واشتريت فاكهة واتسعت ووهبت لضيفى من الدراهم ما يُهدى به هديّة لعياله ، وأخذت فى الجهاز . ثم ما زلت معه حتى صِرنا إلى الرقّة إلى باب يزيد ، فدخل الرجل فإذا هو أحد حُجابه . فوجده فى الحمام ، فخرج إلىّ فجلس معى قليلاً ، ثم خبّر الحاجب بأنه خرج من الحمام ، فأدخلنى إليه ، فإذا هو على كرسى جالس وعلى رأسه وصيفة بيدها غِلاف مرآة ، وبيده هو مرآة ومشط يسرّح لحيته . فقال يامسلم ، ماالذى بطأ بك عنا ؟ فقلت : أيها الأمير ، قلة ذات اليد . قال : فأنشدنى . فأنشدته قصيدتى التى جئته بها :

أجررتُ ذيلَ خليع فى الصّبا غزل ... وشُمرت همم العُذال عن عَذَلى

فلما صرت إلى قولى :

(١) شاكرى . من الشاكرية ، وهى فرقة من الجند ظهرت فى عهد العباسيين .

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه ولا يمسِّح عينيه من الكحل

وضع المرآة فى غلافها وقال للجارية : انصرفى . فقد حرّم مسلم علينا الطيب . فلما فرغت من القصيدة قال لى : يا مسلم ، أتدرى ماالذى حدا بى على أن وجهتُ إليك ؟ فقلت : لا والله ما أدرى . فقال : كنت عند الرشيد منذ ليال أغمز رجليه . إذ قال لى : يا يزيد ، من القائل فيك :

سلّ الخليفةُ سيفاً من بنى مَطر يمضى فيَخترم الأجساد والهامَا

كالدَّهر لا ينثنى عمّـا يهمُّ به قد أوسع الناسَ إنعاماً و إرغامَا

فقلت : والله ما أدرى ! فقال الرشيد : يا سبحان الله ، إنك مقيم على أعرابيّتك ، يقال فيك مثل هذا الشعر ولا تَدرى من قائله ؟ فسألت عن قائله ، فأُخبرت أنك أنت هو . فقُم حتى أُدخلَك على أمير المؤمنين . ثم قام فدخل على الرشيد . فما علمت حتى خرج علىّ الآذن فأذن لى . فدخلت على الرشيد فأنشدتُه ما لى فيه من الشعر . فأمر لى بمائتى ألف درهم . فلما انصرفت إلى يزيد أمر لى بمائة ألف درهم وتسعين ألف درهم وقال : لا يجوز أن أعطيك مثل ما أعطاك أميرُ المؤمنين . وأقطعنى إقطاعات تبلغ غلّتها مائتى ألف درهم . قال مسلم : ثم أفضتْ بى الأمور بعد ذلك إلى أن أغضبنى . فهجرتُه ، فشكانى إلى الرشيد . فدعانى وقال لى : أتبيعنى عرض يزيد ؟ فقلت : نعم ياأمير المؤمنين . فقال : بكم ؟ فقلت : برغيف خبز . حتى خِفته على نفسى . فقال : قد كنت على أن أشتريه منك بمال جسيم ، فلست أفعل ولا كرامة ، فقد علمت إحسانه إليك ، وأنا نفىّ عن أبى . ثم والله والله لئن بلغنى أنك هجوته لأنزعنّ لسـانك من بين فـكّيك . فأمسكت عنه بعد ذلك وما ذكرتُه بخير ولا بشر .

وذُكر أنه أُهدى إلى يزيد بن مزيد جارية وهو يأكل ، فلما رُفع الطعام من رثاؤه يزيد ابن مزيد

بين يديه وطئها ، فلم ينزل عنها إلا ميتاً . وذلك ببردعة [١] من أذربيجان . ودُفن بمقبرة من مقابر بَردعة . وكان مسلم بن الوليد فى صُحبته ، فقال يرثيه :

قـــبر ببَردعة استسرّ ضريحه   خطراً تقاصر دونه الأخطارُ
أبقى الزمان على ربيعةَ بعده   حُزناً كعُمر الدهر ليس يُعار
نَفضت بك الأحلاس آمال الغنى   وأسترجعت رُوّادها الأمصار
فاذهب كما ذهبت غَوادى مُزْنة   أثنى عليها السهل والأوعار

السبب فى قلة ما يروى له

وذُكر أن راوية مسلم جاء إليه بعد أن تاب ليعرض عليه شعره . فغافله مسلم ثم أخذ منه الدفتر الذى فى يده فقَذف به فى البحر . فلهذا قَلّ شعره فليس فى أيدى الناس منه إلا ما كان بالعراق . وما كان فى أيدى الممدوحين من مَدائحه .

ما كان بينه وبين دعبل دخل خراسان

وذُكر أن مسلم بن الوليد خَرج إلى خُراسان فحصلت له عند الفضل بن سهل بها حُظوة ، فخرج دعبل لما بلغه ذلك إلى خراسان . وكتب إلى الفضل بن سهل :

لا تعبأنْ بأبن الوليد فإنه   يَرميك بعد ثلاثة بمَلالِ
إن الملول وإن تقادم عهده   كانت مودّته كفَىء ظِلالِ

فدفع الفضل إلى مُسلم الرقعة وقال : أنظر يا أبا الوليد إلى رقعة دعبل فيك . فلما قرأها قال له : هل عرفت لقب دعبل وهو غلام أمرد يُفسق به ؟ قال : لا . قال : كان يلقب بمَيّاس : ثم كتب إليه :

مياس قُل لى أين أنت من الورى   لا أنت مَعقول ولا مجهولْ
أما الهجاء فدَقّ عرضُك دونه   والمدح عنك كما علمتَ جَليل
فاذهب فأنت طليق عِرضك إنه   عِرض عَززت به وأنت ذَليل

بينه وبين دعبل فى جارية

وحكى دعبل الخزاعى قال : بينما أنا جالس بباب الكرخ إذ مرت بى

(١) بردعة . بالدال المهملة وبالذال المعجمة أيضاً . بلد فى أقصى أذربيجان .

جارية لم أر أحسن منها وجهاً ولا قدًّا ، تتثنى فى مشيتها وتنظر فى أعطافها . فقلت متعرِّضاً لها :

دُموع عينى بهـا أنبساط ونومُ عينى به أنقبـاضُ

فأجابت مسرعة ، وقالت :

وذا قليلُ لمن دهته بلحظها الأعينُ المِراض

فأدهشتنى وعجبت منها ، فقلت :

فهل لمولاى عَطف قلب أو للذى فى الحشا انقراض[١]

فأجابتنى غيرَ متوقِّفة :

إن كنتَ تهوى الوداد منّا فالوُدُّ فى ديننـا قِراضُ

فما دخل أذنى كلام قط أحلى من كلامها ، ولا رأيت أنضر وجهاً منهـا . فعدلت عن ذلك الشعر وقلت :

أترى الزمان يسرُّنا بتلاقِ ويضم مشتاقاً إلى مُشتاقِ

فأجابتنى مسرعة وقالت :

ما للزمان وللتحـكم بيننا أنتَ الزمان فسُرَّنا بتلاقِ

قال : فمضيت أمامها أؤُم بها منزل مسلم بن الوليد ، وهى تتبعنى . فصرت إلى منزله . فصادفت عنده عُسرة . فدفع إلىّ منديلا وقال : أذهب فبعه وخذ لنا ما نحتاج إليه وعُد . فمضيت مسرعاً ، فلما رجعت وجدتُ مسلماً قد خلا بها فى سِرداب . فلما أحسّ بى وثب إلىّ وقال : عرّفك الله يا أبا على جميل ما فعلت ، ولقّاك ثوابه . وجعله أحسن حَسنة لك ! فغاظنى قولُه وطَنزه[٢] ،وجعلت أفكّر أى شىء أعمل به : فقال لى : بحياتى يا أبا على ، من الذى يقول :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « إعراض » .

(٢) الطنز : الكلام باستهزاء .

بتُّ فى دِرعها وبات رَفيقى جُنُبَ القلب طاهرَ الأطرافِ

فقلت :

من له فى حِرِ أُمِّهِ ألفُ قَرن قد أنافت على عُلوّ منافِ

وجعلت أشتمه وأثبُ عليه . فقال لى : يا أحمق ، منزلى دخلت ، ومنديلى بِعتَ ، ودراهمى أنفقت، على من تحَرِّد(١) أنت، وأى شىء سبب حَرْدك يا قواد؟ فقلت له : مهما كذبتَ على فيه من شىء فما كذبت فى الُحمق والقِيادة !

وحكى الأصمعى قال :

قصة سعيد بن سلم فى امرأة نغصها عليه مسلم

قال سعيد بن سَلم : قدمتْ علىّ امرأة من باهلة من اليمامة ، فمدحتنى بأبيات ، فما تمّ سرورى بها حتى نغّصنيها مسلم بن الوليد بهجاء بلغنى أنه هجانى به ، فقلت ماالأبيات التى مُدحت بها ؟ فأنشدنى :

قبيلة قيس ساد قيساً وسَلْمها فلما تولى ساد قَيساً سعيدُها

وسيِّد قيس سيد الناس كلهم وإن مات من رغم وذَلّ حَسودها

هُم رفعوا كفّيك بالمجد والعُلى ومن يرفع الأبناء إلا جُدودها

إذا مدّ للعَلْيا سعيدٌ يمينه نفت كفُّه عنها أكفًّا يُريدها

فقلت له : فبأى شىء نغّصها عليك مسلم ؟ فضحك وقال : كلفنى شططا ، ثم أنشدنى :

وأحببت من حبها الباخلين حتى ومقت ابنَ سلم سعيدا

إذا سِيل عُرفا كسا وجهه ثياباً من اللُّؤم صُفراً وسُودا

يغار على المال فعلَ الجواد وتأبى خلائقه أن يجُودا

---

(١) تحرد : تغضب .

هو ودعبل

وحكى أن مسلم بن الوليد كان أستاذ دعبل ، وعنه أخذ دعبل ، ومن بحره استقى ، ثم تهاجرا وماتا متهاجرين .

حفظ ابن سعيد لشعر مسلم وأبي نواس

وحكى أحمد بن سعيد ، أن أبا تمام حلف ألّا يصلّى حتى يحفظ شعر مسلم وأبى نُواس . فمكث شهرين كذلك حتى حفظ شِعرِيهما . قال : فدخلت عليه فرأيت شعرهما بين يديه ، فقلت له : ما هذا ؟ فقال اللات والعزى أعبدهما من دون الله .

إكرام ذى الرياستين له

وحكى مُسلم بن الوليد قال : وجه إلىّ ذو الرياستين ، فحُملت إليه ، فقال : أنشدنى قولك :

بالغَمر من زينب أطلالُ | مرّت بها بعدك أحوالُ

فأنشدته إياها حتى انتهيت إلى قولى :

وقائل : ليست له همّة | كلاّ ، ولكن ليس لى مال (١)

وهمة المُقتِرِ (٢) أمنية | عون على (٣) الدهر وأشغال

لاجِدَةٌ (٤) أُنهض عزمى بها (٥) | والناس سُؤَّالٌ وبُخّال

فاقعد (٦) مع الدّهر إلى دولة | ترفع (٧) فيها حالَك الحال

فلما أنشدته هذا البيت قال : هذه والله الدولة التى ترفع حالك . وأمر لى بمال عظيم ، وقلّدنى كوَرَ جُرجان .

وذكر أنه كان لمسلم زوجة من أهله ، وكان يحبها ، فماتت فجزع عليها جزعاً شديداً ، وتنسك مدة طويلة ، وعزم على ملازمة ذلك ، فأقسم عليه بعضُ إخوانه

---

(١) الديوان : « ولكن ماله مال » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « المعتر » .
(٣) « « « : « هم من » .
(٤) الجدة : « الميسرة » .
(٥) الديوان : « لا جدة تنهض فى عزمها » .
(٦) الديوان : « فاصبر » .
(٧) « : « تحمل » .

ذات يوم أن يزوره ، ففعل ، فأكلوا وقدّموا الشراب ، فامتنع منه وأباه وأنشأ يقول :

بُكاء وكأس كيف يجتمعان ... سبيلاهما فى القلب مُختلفانِ

دعانى وإفراط البكاء فإننى ... أرى اليوم فيه غيرَ ما تَريان

غدت والثّرى أولى بها من وليّها ... إلى منزل ناء لعينك دانى

فلا حُزن حتى تنزف العينُ ماءها ... وتعترفَ الأحشاء بالخفقان

وكيف بدفع اليأس والوَجد بعدها ... وهمّاهُما فى القلب يَعتلجان

أخبار محمد بن وهيب

هو محمد بن وُهيب الحِميرى صليبةً . شاعر بغدادىّ من شعراء الدولة العباسية . وأصله من البصرة . نسبه وأصله وعصره

وكان يَستميح بشعره ويتكسّب بالمديح ، مَدح الحسنَ بن رجاء بن أبى الضحاك فوَصله ، وأوصله بالمأمون حتى مدحه . وكان يتشيّع . وله مراثٍ فى أهل البيت . وهو متوسط من شعراء طبقته . وفى شعره أشياء نادرة فاضلة وأشياء مكلّفة . شعره وصلته بالمأمون

وذُكر أن الشعراء اُجتمعوا على باب المعتصم فبَعث إليهم الوزيرُ محمد بن عبد الملك الزيات يقول لهم : إن أمير المؤمنين يقول لكم : من كان منكم يُحسن أن يقول مثل قول النُّميرى فى الرشيد : قصة شعره الذى فيه الغناء

خليفةَ الله إنّ الجُود أوديةٌ … أحلّك الله منها حيث تَجتمعُ

من لم يكن بأمِين الله مُعتصماً … فليس بالصّلوات الخمس يَنتفع

إنْ أخلف القَطرُ لم تُخلف مخايلُه … أو ضَاق أمرٌ ذَكرناه فيتّسع

فَلْيدخل وإلا فلينصرف . فقام محمدُ بنُ وهيب فقال : فينا من يقول مثلَه . قال : فأى شىء قلت ؟ فقال :

ثلاثة تُشرق الدنيا ببَهجتهم … شمسُ الضُحى وأبو إسحاق والقَمرُ

يَحكى أفاعيلَه فى كل نائبة … الغيثُ والليثُ والصَّمصامة الذّكر

فأمر بإدخاله وأحسن جائزته .

وهذان البيتان هما الشعر الذى فيه الغناء افتتح به أبو الفرج أخبار محمد بن وهيب .

مما يستحسن من شعره

ومما يستحسن قولُه :

يدُل على أننى عاشقٌ ... من الدّمع مُستشهد ناطقُ
ولى مالك أنا عبدٌ له ... مُقرٌّ بأنِّى له وامِق
إذا ما سموتُ إلى وصله ... تعرَّض لى دونه عائق
وحاربنى فيه رَيْب الزما ... ن كأنّ الزمان له عاشق

من جيد شعره فى مدح ابن سهل

ومن جيد شعره قصيدة مدح بها الحسن بن سهل ، أولها :

ودائع أسرار طوتْها السَّرائر ... وباحتْ بمكتوماتهنّ النواظرُ

يقول فى مديحها :

لهـا[1] فلَكٌ فيه الأسنةُ أنجمٌ ... ونَقع المنـايا مُستطير وثائر
أجزْت قضاء الموت فى مُهجِ العدا ... به فاستباحتْها المَنايا[2] الغَوادر
لك اللَّحظات الكالئات قواصدا ... بنُعمى وبالبأساء وهْى شَواذر
فلو لم تكن إلا بنفسك فاخراً ... لمـا انتسبت إلا إليك المَفاخر

ولما أنشدها محمد بن وُهيب الحسنَ بن سهل طرب حتى نزل عن سريره إلى الأرض ، وقال : أحسنت والله وأجملت ، ولو لم تقل قط ولا تقول فى باقى الدهر غير هذا لمـا احتجت إلى القول ، وأمر له بخمسة آلاف دينار وأقتطعه إلى نفسه .

أهجى بيت هو له

وقال ابن الأعرابى : أهجى بيت قاله المحدثون قولُ محمد بن وهيب ، وهو من أبيات يهجو بها علىّ بن هشام :

لم تَنَدْ كفُّك[3] من بذل النوال كما ... لم يَند سيفُك مذ[4] قُلِّدْتَه بدَمِ

---

(١) الضمير فى « لها » يعود إلى « جنة » فى بيت قبل هذا ، وهو :

وأرعن فيـه للسوابغ جنـة ... وسقف سماء أنشأته الحوافر

(٢) فى الأصل : « المنون » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « لم تند كفاك » .
(٤) فى الأصل « ما » .

من نادر شعره

وذكر أن محمد بن وهيب بلغه أن دعبل بن على قال : أنا ابن قولى[١] :

لا تعجبي يا سَلْمُ من رجلٍ ضَحك المشيبُ برأسه فبكى

وأن أبا تمام قال : أنا ابن قولى[١] :

نَقِّل فؤادَك حيثُ شِئْتَ من الهوَى ما الُحب إلا للحبيب الأولِ

فقال محمد بن وهيب : وأنا ابن قولى[١] :

ما لمن تمّت محاسنُه أن يُعادى طَرف مَن رَمقا
لك أن تُبدى لنا حَسنا ولنا أن نُعمِلَ الحَدَقا

وهذا من نادر الشعر وجيده ، وأول هذه الأبيات :

نَمْ فقد وَكَّلت بى الأرَقا لاهياً بُعدًا لمن عَشقا
إنما أبقيتَ من جسدى شَبحاً غيرَ الذى خَلقا
وفتًى ناداك فى كُرب حُشِيت[٢] أحشاؤه حُرَقا
إنما عاقبتَ ناظره أن أعاد اللَّحظ[٣] مُسترقا

وبعده البيتان المذكوران أولا ، وبعدها :

من رأى شيئًا فأعجبه فليقل سُبحان من خلقا
قدحت كفّاك زَند هَوًى فى سَواد القَلب فاحترقا

مدحه لابن هشام على غلام أعطاه إياه

وذكر أنه دخل محمد بن وهيب على أحمد بن هشام يوماً ، وقد مدحه ، فرأى بين يديه غلماناً صِباح الوجوه ، فدَهش لمّا رأى ذلك وبقى مُتبلِّدًا لاينطق حرفاً . فضحك أحمد منه وقال له : مالك ويحك تكلم بما تريد ! فقال :

(١) فى غير التجريد : « أين قولى » .
(٢) فى غير التجريد : « أسعرت » .
(٣) فى غير التجريد : « إذ أعاد الطرف » .

قد كانت الأصنامُ وهْىَ قديمة كُسرت وجدَّعهن إبراهيمُ
ولديك أصنام سَلِمْنَ من الأذى وصَفَت لهنَّ نضارة[1] ونَعيم
وبِنــا إلى صنم نــلوذ برُكنه فقر وأنت إذا هُززتَ كريم

فقال له : اختر من شئت منهم ، فاختار واحداً منهم . فأعطاه إياه .

فقال يمدحه :

فَضلت مكارمُه على الأقوام وعلا فحاز مــكارم الأيامِ
وعلتْه أبَّهة الجمــــال كأنه قمر بدا لك من خلال غَمام
إنّ الأمــير على البريّة كلها بعد الخليفة أحمدُ بن هشام

ومن نادر الشعر قصيدة مدح بها محمدُ بن وهيب المأمون ، أولها : من مدحه للمأمون

العُذر إن أنصفت يتّضح وشهيدُ حُبك أدمعٌ سُفحُ
فضحتْ ضميرَكَ عن ودائعــه إنّ الجفون نواطقٌ فُصح
وإذا تكلمت الجفون[2] على إجمامهـــا فالسرُّ مُفتضح

ومنهـا :

ما زال يلثمنى مراشـــــفه ويُعلّنى الإبريق والقَــدح
حتى أستردَّ الليلُ خِلعتــه ونشا خــلالَ سواده وَضح
وبدا الصباح كأنّ غُرته وجهُ الخليفــة حين يُمتدح

ومنهـا :

نشرت بك الدنيـا محاسنَها وتزيّنت بصِفاتك المِــدَح
وإذا سلمتَ فــكل حادثة جَللٌ فــلا بُؤس ولا ترح

---

(١) فى غير التجريد : « غضارة » .
(٢) فى غير التجريد : « العيون » .

وذكر (١) أن محمد بن وهيب سأل محمد بن عبد الملك الزيات حاجة فأبطأ فيها ، فوقف عليه ثم قال :

طُبع الكريم على وفائه وعلى التفضُّل فى إخائه

تُغنى عنايتُه الصديـ ـقَ عن التعرُّض لاُقتضائه

حَسْب الكريم حباؤه فكِل الكريمَ إلى حِبائه

فقال له : حسبك ، قد حنَّنت فأبلغت ، والحاجة تسبقك إلى منزلك . ووفى له بذلك .

(١) هذا الخبر وما معه من شعر غير موجود فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

أخبار مزاحم العقيلى

نسبه هو مزاحم بن عمرو بن مرة بن الحارث[1] بن مُصرف بن الأعلم بن خُويلد بن عامر بن عَقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . وقد تقدم بقية النسب .

زمانه وكان فى زمن جرير بن الخطفى . وكان جرير يصفه ويقرّظه .

شعره الذى فيه الغناء وإعجاب جرير به وحكى عن جرير أنه قال : ما من بيتين كنت أحب أن أكون سبقت إليهما غير بيتين من قول مزاحم العقيلى :

ودِدتُ على ما كان من سرف الهوى ... وغَىّ الأمانى أنّ ما شئتُ يُفعلُ
فترجعَ أيّام مَضين ولذّة ... تولّت وهل يُثنى من الدهر[2] أول

وهذان البيتان هما الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار مزاحم .

وله من جيد الشعر ومن جيد الشعر قول مزاحم العقيلى :

لصفراء فى قلبى من الُحب شُعبة ... حِمًى لم تُبِحْه الغانياتُ صميم[3]
بها حَلّ بيت الُحب ثم ابتنى[4] بها ... فبانت بيوت الحىّ وهو مُقيم
بكَت دارهم من نأيهم فتهلّلت ... دموعى فأىَّ الجازعين ألوم
أمستعبراً يَبكى من الُحب[5] والجوى ... أم آخر يبكى شجوهُ فيَهيم

(١) فى غير التجريد : « عمرو بن الحارث » .
(٢) فى غير التجريد : « العيش » .
(٣) فى غير التجريد : « سموم » .
(٤) فى غير التجريد : « اثنى » .
(٥) فى غير التجريد : « الحزن » .

تضمّنه من حُب صفراء بعدما ... سلا هيضات[١] الحب فهو كليم
ومن يتهيّض حُبُّهن فؤادَه ... يمُت أو يعش ما عاش وهو سقيم
كحرّان صادٍ ذِيد عن بَردِ مَشرب ... وعن بُللات الرّيق فهو يحوم

تمنى جرير لو أن له بعض شعره

وذُكر أن عبد الملك بن مروان قال لجرير: يا أبا حَزرة، هل تحب أن يكون لك بشىء من شعرك شىء من شعر غيرك؟ قال: ما أحب ذلك، إلا أن غلاماً ينزل الروضات من بلاد بنى عقيل، يقال له: مزاحم العقيلى، يقول حسناً[٢] من الشعر لا يقدر أحد أن يقول مثله، كنت أحب أن يكون لى بعض شعره مقايضة ببعض شعرى.

شعره فى ليلى عندما تزوجت

وذُكر أن مزاحماً كان يهوى امرأة من قومه يقال لها: ليلى، فغاب غيبة عن بلاده، ثم عاد وقد تزوجت، فقال فى ذلك:

أتانى بظَهر الغَيب أنْ قد تزوجت ... فظَلّت بىَ الأرضُ الفضاء تدورُ
وزايلنى[٣] لُبى وقد كان حاضراً ... وكادَ جَنانى عند ذاك يَطير
فقلت وقد أيقنت أنْ ليس بيننا ... تلاقٍ وعينى بالدّماء تمُور
أيا سرعة الأخبار[٤] أن قد تزوجت ... فهل يأتينِّى بالطلاق بشير
ولستُ بمُحص حُب ليلى لسائل ... من الناس إلا أن أقول كثير
لها فى سواد القلب تسعة أسهم ... وللناسِ طُرًّا من هواى عشير

ومن الناس من يزعم أن ليلى هى التى كان يهواها المجنون، وأنهما اجتمعا، هو ومزاحم فى حُبها.

(١) فى غير التجريد: «هضبات».
(٢) فى غير التجريد: «حوشيا».
(٣) فى غير التجريد: «وقد زايلت».
(٤) فى غير التجريد: «الأحباب حين».

أخبار بكر بن النطاح الحنفى

كنيته والرىء عنه

ويُكنى : أبا وائل . وقيل : إنه عِجلى ، من بنى سعد بن عِجل . وكان صعلوكا يقطع الطريق ، ثم أقصر عن ذلك . وجعله أبو دُلف العِجلى من الجند ، وجعل له رزقاً سُلطانياً . وكان شجاعاً بطلا فارساً شاعراً حسن الشعر والتصرف فيه .

سبب صلته بأبى دلف

وذكر أن بكر بن النطاح قال قصيدته التى يقول فيها :

هنيئاً لإخوانى ببغداد عيدهم وعيدى بحُلوان قِراع الكتائبِ

وأنشدها أبا دلف . فقال له : إنك لتكثر وصف نفسك بالشجاعة ، وما رأيت لذلك أثراً عندك قط ، ولا فيك . فقال : أيها الأمير ، وأى غناء يكون عند الرجل الحاسر الأعزل ؟ فقال : أعطوه فرساً وسيفاً ورمحاً ودرعاً . فأعطوه ذلك أجمع . فأخذه وركب الفرس وخرج على وجهه ، فلقيه مال لأبى دلف يُحمل من بعض ضياعه ، فأخذه ، وخرج جماعة من غلمانه فمانعوه ، فجرحهم جميعاً وقطعهم ، فانهزموا وسار بالمال ، فلم ينزل إلا على عشرين فرسخاً . فلما اتصل خبره بأبى دلف قال : ن جنينا على أنفسنا ، وقد كنا أغنياء عن إهاجة بنى وائل . ثم كتب إليه بالأمان وسوّغه المال وكتب إليه : صر إلينا ولا ذنب لك ، نحن كنا سبب فعلك بتحريكنا إياك وتحريضنا . فرجع ، ولم يزل عنده يمدحه حتى مات .

شعره الذى فيه الغناء

ومما يستحسن من شعر بكر بن النطاح قوله فى جارية لبعض الحنفيين كان يهواها ، وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار بكر بن النطاح ، وهو :

أُكذّب طَرفى عنك والطرف صادق[1] وأسمع أذنى فيكِ[2] ما ليس تَسمعُ
ولم أسكن الأرض التى تسكنينها لئلا[3] يقولوا صابرٌ ليس يَجزع
لقيتُ أموراً فيك لم ألقَ مثلها وأعظم منها فيك ما أتوقّع
فلا كبدى تَبلى ولا لك رحمةٌ ولا عنك إقصارٌ ولا فيك مَطمع

قدم أبا دلف على قتله فارسين فأجازه

وذُكر أن أبا دُلف لحق أكراداً قطعوا الطريق فى عمله ، وقد أردف منهم فارس رفيقاً له خلفه ، فطعنهما جميعاً فأنفذهما ، فتحدث الناس أنه أنفذ بطعنة واحدة فارسين ، فلما قدم من وجهه دخل عليه ابن النطاح فأنشده :

قالوا ويَنظم فارسين برُمحه[4] يوم اللقاء ولا يراه جليلَا
لا تعجبوا فلو أن طول قَناته مِيل إذن نَظم الفوارس مِيلا

فأمر له أبو دلف بعشرة آلاف درهم . فقال بكر :

له راحة لو أنّ معشار جُودها على البَرّ كان البَرُّ أندى من البَحرِ
ولو أنّ خلق الله فى جسم فارس وبارزه كان الخليّ من العمر
أبا دلف بُوركت فى كل بلدة كما بُوركتْ فى شهرها ليلةُ القدر

نصرانى يعشقه شعره فى غلام

وذُكر أن بكر بن النطاح كان يتعشّق غلاماً نَصرانياً ويُجن به ، وفيه يقول :

يا من إذا دَرس الإنجيلَ ظَلّ له قلب التَّقِيّ عن القرآن مُنصرفا
إنى رأيتك فى نَومى تُعانقنى كما تعانق لامُ الكاتب الألفا

(١) فى غير التجريد : « أكذب نفسى عنك كل ما أرى » .
(٢) « « : « منك » .
(٣) « « : « قتيلا » .
(٤) فى غير التجريد : « بطعنة » .

ذكر
مقتل مصعب بن الزبير
ابن العوام بن خويلد
ابن أسد بن عبد العزيز بن قصى (*)

شيء عن مصعب

وكان جواداً شجاعاً ، ولّاه أخوه عبد الله بن الزبير العراقين ، وجمع بين عائشة بنت طلحة وسُكينة بنت الحسين ، أجمل أهل عصرها . وكانت الشام ومصر لعبد الملك بن مروان يُدعى فيهما له بالخلافة ، ويُدعى لابن الزبير بالخلافة فيما سوى ذلك من الأعمال .

مشاورة عبد الملك مروان فى حربه

فلما كانت سنة اثنتين وسبعين استشار عبد الملك بن مروان عبدَ الرحمن بن الحكم فى المسير إلى العراق ومناجزة مصعب . فقال : يا أمير المؤمنين ، واليتَ بين عامين تغزو فيهما ، وقد خسرت خَيلك ورجالك ، وعامك هذا عام حار ، فأرح نفسك وجهدك ، ثم ترى رأيك . فقال : إنى أبادر ثلاثة أشياء : أحدها الشام ، وهى أرض المال بها قليل ، وأخاف أن ينفد ما عندى ؛ وأشراف أهل العراق ، وقد كاتبونى يدعوننى إلى أنفسهم ؛ وثلاثة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كبروا ونفدت أعمارهم ، فأنا أبادر بهم الموت أحب أن يحضروا معى .

ثم مشاورته يحيى بن الحكم

ثم دعا يحيى بن الحكم : وكان يقول : من أراد أمراً فليشاور يحيى ابن الحكم ، فإذا أشار عليه بأمر فليعمل بخلافه . فقال : ما ترى فى المسير إلى العراق ، فقال : أرى أن ترضى بالشام وتدع مصعباً بالعراق ، فضحك عبد الملك .

(*) لم يصرد له أبو الفرج ترجمة ، وإنما ساق أخباره إثر أخبار بكر بن النطاح .

ثم مشاورته عبدالله بن خالد

ودعا عبد الله بن خالد بن أسيد فشاوره ، فقال : يا أمير المؤمنين ، غزوت مرة فنصرك الله ، فغزوت ثانية فزادك الله بها عزًّا ، فأقم عامك هذا .

ثم مشاورته محمد بن مروان

فقال لمحمد بن مروان : ماترى ؟ قال أرجو أن ينصرك الله ، أقمت أم غزوت . فشمِّر فإن الله ناصرك .

خروج عبدالملك لحرب مصعب

فأمر الناس فاستعدوا للمسير . ثم توجه بالجنود إلى العراق . وكاتبه أشراف أهل الكوفة والبصرة يدعونه إلى أنفسهم . فكتب إليهم يعدهم الإحسان إليهم ويمنّيهم ، فأجابوه وشرطوا عليه شروطاً وسألوه ولايات ، وسأله ولاية أصبهان أربعون رجلا منهم . فقال عبد الملك لمن حضره : ويحكم ! ما أصبهان هذه ؟ تعجباً من كثرة طالبيها ، وكتب إلى إبراهيم الأشتر النَّخعى : لك ما سَقى الفرات إن تبعتنى ، فجاء إبراهيم بالكتاب إلى مُصعب فقال : هذا كتاب عبد الملك ، ولم يخصنى بهذا دون غيرى من نظرائى فأطعنى فيهم . فقال ، أصنع ماذا ؟ قال : تدعو بهم فتضرب أعناقهم . فقال : أقتلهم على ظَن ظننته ؟ قال : فأوقرهم حديداً وابعث بهم إلى أرض المدائن حتى ينقضى الحرب . قال : إذن نفسد قلوب عشائرهم ويقول الناس : عبث مصعب بأصحابه . قال : فإن لم تفعل فلا تُمدنى بهم ، فإنهم كالمومسة تريد كل يوم حليلا ، وهم يريدون كل يوم أميراً . وأقبل عبد الملك حتى نزل الأخنونية(١) ، ونزل مصعب بن الزبير بمَسكن(٢) إلى أوانا(٣) ، وخندق ، ثم تحوّل ونزل دير الجاثليق(٤) وهو بمسكن ، وبين العسكرين ثلاثة فراسخ ، وأرسل عبد الملك إلى مُصعب رجلا يدعوه إلى أن يجعل الأمر شورى فى الخلافة . فأبى ذلك مصعب . وقدّم عبد الملك أخاه محمد بن مروان ، وقدّم مصعب إبراهيم بن

---

(١) الأخنونية : من أعمال بغداد .

(٢) مسكن : موضع على نهر دجيل قريب من أوانا .

(٣) أوانا : بلدة بينها و بين بغداد عشرة فراسخ .

(٤) دير الجاثليق : دير قديم قرب بغداد غربي دجلة .

الأشتر ، فالتقت المقدمتان ، فانهزمت مقدمة مصعب وقُتل إبراهيم بن الأشتر بعد أن قاتل قتالا شديداً وأبلى بلاء حسناً ، وانصرفت مقدمة مصعب منهزمة إليه . ثم دنا محمد بن مروان من مصعب ، فخَذل بعضُ أصحاب مُصعب مُصعباً وانضموا إلى محمد بن مروان . فدنا محمد من مصعب وناداه : فداك أبى وأمى ، إن القوم خاذلوك ولك الأمان . فأبى قبول ذلك . فدعى محمدُ بن مروان عيسى بن مصعب ، فقال له أبوه مصعب بن الزبير : انظر ما ذا يريد محمد . فدنا منه فقال : إنى لكم ناصح ، إن القوم خاذلوكم ولك ولأبيك الأمان ، وناشده . فرجع إلى أبيه فأخبره . فقال : يا بنى ، إنى أظن أن القوم سبقوك . فإن أحببت أن تأتيهم فأتهم . فقال : والله لا تتحدّث نساء قريش أنى خذلتك ورغبت بنفسى عنك . قال : فتقدم حتى أحتسبك . فتقدم وتقدم ناس فقُتل وقُتلوا ، وفارق أهل العراق مُصعباً حتى بقى فى سبعة أنفس ، وجاء رجل من أهل الشام ليحتز رأس عيسى ، فشد عليه مصعب فقتله ، ثم شد على الناس فانفرجوا ، ثم رجع فقعد على مرفقةِ ديباج . ثم جعل يقوم عنها ويحمل على أهل الشام فيرجعون عنه ، ثم يرجع فيقعد على المِرفقة ، فعل ذلك مراراً ، فأتاه عُبيد الله بن زياد بن ظبيان فدعاه إلى المبارزة ، فقال: اغرب يا كلب ، وشد عليه مُصعب فضربه على البيضة فهشمها فجرحه ، ورجع عبيد الله فعَصب رأسه ، وجاء ابن أبى فروة كاتب مصعب فقال له : جُعلت فداك ، قد تركك الناس وعندى خيل مُضمّرة فاركبها وانْج بنفسك . فضرب فى صدره وقال : ليس أخوك بالعَبد ، ورجع ابن ظبيان فحمل عليه، وزَرق[1] زائدةُ ابن قدامة مصعباً ونادى : يا لثارات المختار ، فصرعه . وقال عبيدالله لرجل ديلمى : احتز رأسه ــ فنزل فاحتز رأس مصعب بن الزبير ، وحمله إلى عبد الملك . فيقال : إن عبد الملك لما رأى الرأس سَجد . قال ابن ظبيان : فهممت والله أن أقتله

(١) زرق : رمى بالمزراق . وهو رمح قصير .

فأكونَ أفتكَ العرب ، قتلت ملكين من قريش فى يوم واحد ، ووجدت نفسى تنازعنى إلى الحياة فأمسكت .

مصعب وسكينة يوم مقتله

وذُكر أن مصعباً كان يومئذ قد دخل على زوجته سُكينة بنت الُحسين بن على رضى الله عنهم ، فنزع عنه ثيابه وتوشّح بثوب وأخذ سيفه ، فعلمت سكينة أنه لا يريد أن يرجع ، فصاحت من خلفه : واُحزناه عليك يا مُصعب . فالتفت إليها ، وقد كانت تخفى ما فى قلبها منه ، فقال : أو كل هذا لى فى قلبك ؟ فقالت : إى والله . وما كنت أخفى منه أكثر . فقال : لو كنت أعلم أن كل هذا لى عندك لكانت لى ولك حال . ثم خرج فلم يرجع . فقال أبن الرقيات يرثى مصعباً :

لقد أورثَ المصرَين حُزناً وذِلة قتيلٌ بدير الجاثَليق مُقيمُ
فما قاتلت فى الله بكرُ بن وائل ولا صَبرت عند اللقاء تميمُ
ولكنه رام القيام ولم يكن له مُضرىٌّ يوم ذاك كريم

بين عبد الملك وجلسائه فى شأن مصعب

وذُكر أن عبد الملك بن مروان قال يوماً لجلسائه : من أشجع الناس ؟ فأكثروا فى هذا المعنى . فقال : أشجع الناس مُصعب ، جمع بين عائشة بنت طلحة ، وسكينة بنت الحسين ، وأمة الحميد بنت عبد الله بن عاصم ، وولى العراقيين ، ثم زحف إلى الحرب فبذلتُ له الأمان والحباء والولاية والعفو عما خَلص فى يده . فأبى قبول ذلك ــ واُطرح ما كان مشغولا به من ماله وأهله وراء ظهره ، وأقبل بسيفه قُدماً فقاتل ، وما بقى معه إلا سبعة ، حتى قُتل كريما .

مقتل عبد الله ابن الزبير

ثم دخل عبدُ الملك الكوفة واستولى على العراق وتجرّد لمحاربة عبد الله بن الزبير ، وسيّر الحجّاج بن يوسف الثقفى لقتاله ، فقتله وانتظمت الأمور لعبد الملك .

عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب أخيه

وذُكر أنه لما أتى عبدَ الله بن الزبير قتلُ أخيه مصعب أضرب عن ذكره أياماً حتى تحدّثت به إماء مكة فى الطريق، ثم صعد المنبر فجلس عليه ملياًّ لا يتكلم .

والكآبة على وجهه ،وجبينُه يرشح عرقاً . قال الراوى : فقلت لآخر إلى جنبى : ماله لا يتكلم ؟ أتراه يهاب المنطق ، فوالله إنه لخطيب ، فما تراه يهاب ؟ فقال : أراه يريد أن يذكر قتل مصعب ، سيد العرب ، فهو يتقطع لذكره ، وغير ملوم هو ، فقام فقال : الحمد لله الذى له الخلق والأمر ، مالك الدنيا والآخرة ، يعز من يشاء ويذل من يشاء ، ألا إنه لم يُذل الله من كان الحق معه ، وإن كان مفرداً ، ولم يعز الله من كان الباطل معه، وإن كان فى العدة والعدد والكثرة . ثم قال : إنه قد أتانا خبرٌ من العراق بلد الغدر والشقاق، فساءنا وسرنا ، أتانا أن مصعباً قتل ، رحمة الله عليه ومغفرته . فأما الذى أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لَذعة يجدها حميمه عند المُصيبة ، ثم يرعوى من بعد ذلك ذو الرأى والدين إلى جميل الصبر . وأما الذى سرنا فإننا علمنا أن قَتله شهادة ، وأن الله جل وعز جاعل لنا وله ذلك خيرة إن شاء الله . إن أهل العراق أسلموه وباعوه بأقل ثمن كانوا يأخذونه منه وأخسره ، أسلموه إسلام النَّعم المُحطم فقُتل ، ولئن قتل لقد قُتل أبوه وعمه وأخوه ، وكانوا الخيار الصالحين ؛ والله ما نموت كما يموت بنو مروان حَتف أنوفنا ، ما نموت إلا قَتلاً قَتلا قَعْصًا قَعْصا[1] بين قَصد الرماح وتحت ظلال السيوف ، وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قُتل رجل منهم فى جاهلية ولا إسلام قط ، وإنما الدنيا عارية من المَلك القهار الذى لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه ، فإن تُقبل الدنيا علىّ لا آخذها أخذ الأشِر البطر ، وإن تُدبر عنى لا أبكى عليها بكاء الخَرِق المهتر[2] ، ثم نزل .

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج خبر مصعب ، قولُ ابن قيس الرقيات فيه يمدحه لما ولى العراق :

---

(١) يقال : مات قعصا قعصاً : إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه .

(٢) فى غير التجريد : « الخوف المهتر » .

ليت شعرى أأول الهرج هـذا ⁂ أم زمان من فتنة غير هَرَج

إن يعش مُصعب فنحن بخير ⁂ قد أتانا من عيشنا ما نُرَجّى

مَلِك يُطعم الطعـام ويسقى ⁂ لبن البُخْت فى عساس[1] الخلنج

جلب الخيل من تهامة حتى ⁂ بلغت خيـله قُصور زَرَنج[2]

حيث لم تأت قبله خيل ذى الأ ⁂ كتاف يُوجفن بين قُفّ[3] ومَرج

(١) العساس : الأقداح العظام ، الواحد : عس . والخلنج : نوع من الشجر

(٢) زرنج : قصبة سجستان .

(٣) القف : الأرض ذات الحجارة .

أخبار أشعب الطامع

اسمه وكنيته وأمه — هو أشعب بن جُبير . وأسمه شُعيب . وكنيته أبو العلاء . وكان يقال لأمه : أم الجلندح[1] . وقيل : بل أم حُميد[2] ، مولاة أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وأسمها : حميدة .

مقتل أبيه — وكان أبوه خرج مع المختار بن أبى عُبيدة ، فأسرع مُصعب بن الزبير فضرب عنقه صَبرا وقال : تخرج علىّ وأنت مولاى ؟

نشأته — ونشأ أشعب بالمدينة فى دُور آل أبى طالب ، وتولّت تربيته عائشةُ بنت عثمان بن عفان — رضى الله عنه .

وحُكى عن أشعب عن أمه أنها كانت تُغرى بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنها زنت فحُلقت وطيف بها . وكانت تنادى على نفسها ، من رآنى فلا يزنِيَنّ . فقالت لها امرأة ، كانت تطلع عليها : نهانا الله عنه فعصيناه ، أُطيعك وأنت محلوقة مجلودة راكبة على جمل !

شىء عن أمه — وحَكى بعض ولد أشعب أن أشعب وأباه كانا موليا عثمان رضى الله عنه ، وأن أمه كانت مولاة أبى سفيان بن حرب ، وأن ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها أخذتها معها لما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت تدخل إلى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيَسْتَظْرِفْنَهَا . ثم إنها فارقت ذلك وصارت تنقل أحاديث بعضهن إلى بعض وتغرى بينهن ، فدعا النبى صلى الله عليه وسلم عليها فماتت .

---

(١) فى غير التجريد : « الجلنجع » .

(٢) فى غير التجريد : « أم جميل » .

ولاؤه

وقيل : إن أشعب كان مولى الزبير بن العوام .

سبب إعتاقه

وذُكر أن أشعب كان مع عثمان ـ رضى الله عنه ـ يوم الدار ، فلما حُصر جرّد مماليكَه السيوفَ ليقاتلوا ، فقال لهم عثمان رضى الله عنه : من أغمد سيفه فهو حُر . فقال أشعب : فلما وقعت الكلمة فى أذنى كنت أول من أغمد سيفه ، فأعتقت .

دوره عند مقتل عثمان

وحُكى عن أشعب أنه قال : كُنت حين حُصر عثمان بن عفان أسعى فى الدار ألقط السهام .

شيء عن سنه

وحكى عنه أنه قال : سمعت الناس يموجون فى أمر عثمان . وهذا يدل على أنه كان صغير السن يومئذ . وأدرك خلافة المهدى بن المنصور ، من بنى العباس .

تعقيب للمؤلف

قلت : كان مقتل عثمان ـ رضى الله عنه ـ فى ذى الحجة من سنة خمس وثلاثين للهجرة ، وكانت خلافة المهدى فى ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، فبين الوقتين مائة وثلاث وعشرون سنة . فعلى الرواية الأولى كان أشعب يوم الدار أبن خمس عشر سنة على الأقل ، لأنه كان ممن يحمل السيف ويقاتل ، فيكون عمره مائة ونيفا وأربعين سنة . وعلى الرواية الأخيرة جاز أن يكون أبن خمس سنين يومئذ ، فيكون عمره مائة وثمانيا وعشرين سنة ، وهو أقل ما يمكن .

حديث للنوفلى عنه وقد رآه يدخل على المهدى

وحكى محمد النوفلى قال :

رأيت أشعب وقد أرسل إليه المهدى . فقُدم به عليه . قال : فرأيته قد دخل بعضُه فى بعض كأنه فرخ ، وعليه جُبة وشى وقَلَنْسية وَشْى ، وقد لبس على الجبة قميصاً سملا(١) لترى الجبة تحته . فقال له رجل : يا أشعب ،هب لى قلنسيتك هذه . فقال له : يا بارد ، أنت لم تُرد القلنسية وإنما أردت أن يقال : هو أطمع من أشعيب !

(١) السمل : الثوب الخلق البالى .

نوادر من طمعه

وحُكى أن أشعب كان يقول : ما زُفت بالمدينة امرأة قط إلى زوجها إلا كنست بيتى ورَفعت سترى طَمعاً أن تُهدى إلىّ .

من علمه

وذُكر أن أشعب كان يقرأ القرآن ، وكان حسن الصوت ، وروى شيئاً من الحديث .

قصته مع أمه وقد وهب له غلام

وحكى أن أشعب قال : تعلقت بأستار الكعبة فقلت : اللهم أذهب عنى الحرص والطلب إلى الناس . فمررت بالقُرشيين وغيرهم فلم يُعطنى أحد شيئاً ، فجئت إلى أمى فقالت : مالك جئت خائباً ؟ فأخبرتها . فقالت : والله لا تدخل حتى ترجع فتستقبل ربك . فرجعت فقلت : أقلنى . ثم رجعت فلم أمرّ بمجلس لقريش وغيرهم إلا أعطانى .

ووُهب لى غلام فخفت أن أخبرها فتموت فرحاً ، فقلت : وهبونى غين . فقالت : أى شىء غين ؟ قلت : لام . فقالت : أى شىء لام ؟ فقلت : ميم . فقالت : أى شىء ميم ؟ فقلت : غـلام . فغشى عليها ، ولو لم أقطع الحروف لماتت الفاسقة فرحاً .

هو مع الواقدى فى دينار وجده

وحكى الواقدى قال : كنت مع أشعب نريد المصلى ، فوجد ديناراً فقال : يا بن واقد . فقلت : ما تشاء؟ فقال : وجدت ديناراً فما أصنع به ؟ فقلت: عرِّفه . فقال : أمُّ العلاء إذن طالق . قلت : فتصنع به ماذا ؟ فقال : أشترى به قطيفة فأعرِّفها .

الأصمعى عن صوته

وحكى الأصمعى قال : رأيت أشعب يغنى ، وكأن صوتَه بلبل .

نادرة له مع زياد ابن عبيد الله

وذُكر أنه تغدّى أشعب مع زياد بن عبيد الله الحارثى ، وكان والياً على المدينة ومكة من قبل المنصور ، وكان بخيلا على الطعام ، فأتى بمضيرة ، فقال أشعب للخباز : ضَعها بين يدىّ . فوضعها بين يديه . فقال زياد: من يصلى بأهل السجن ،

فقال : ليس لهم إمام . فقال : أدخلوا أشعب يصلّي بهم . فقال : أو غير هذا أصلح الله الأمير ! أحلف ألّا آكُلَ مضيرة أبداً ! .

إخراجه يده من خرق بابه

وذُكر أن أشعب كان له خَرق فى بابه ، وكان ينام فيخرج يده من الخرق يطمع أن يجيء إنسان فيطرح فى يده شيئاً ! .

هو ومروان ابن أبان بن عثمان بن عفان

وذُكر أن أشعب صلّى يوماً إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان بن عفّان ، وكان مروان عظيمَ العجيزة فأفلتت منه ضَرطة عند نهوضه ، فانصرف أشعب من الصلاة ، فوهم الناسُ أنه هو الذى خرجت منه الضرطة . فلمّا انصرف مروانُ إلى منزله جاءه أشعب فقال له : ألدية ؟ قال : دية ماذا ؟ قال : دية الضرطة التى تحمّلتها ، وإلا والله شهرتها عنك ! فلم يدعه حتى أخذ منه شيئاً صالحاً .

هو وإسماعيل بن جعفر فى جدى أهداه إليه

وذُكر أنه غذّى جدياً بلَبَن أُمه وغيرها ، حتى بلغ غاية ، ومن مبالغته فى ذلك أنه قال لزوجته : تُرضعينه بلَبنك . ففعلت ؛ ثم جاء به إسماعيل بن جعفر ابن محمد بن علىّ بن الحسين بن على رضى الله عنهم فقال : تالله إنه لأبنى ، قد رَضِع بلبن زوجتى ، وقد حبوتك به ، ولم أر أحداً يستحقه سواك . فنظر إسماعيل إلى فتنة من الفتن فأمر به فذُبح وصُمّت ، فأقبل عليه أشعب فقال : المكافأة ؟ فقال : ما عندى والله اليوم شيء ، ونحن من تعرف ، وذلك غير فائت لك ، فلما يئس منه قام من عنده فدخل على أبيه جعفر بن محمد رضى الله عنه ، ثم اندفع يشهق حتى التقت أضلاعه . ثم قال : أخلنى . قال : ما معنا أحد يسمع ولا عليك عين . فقال : وثب إسماعيل ابنك على ابني فذبحه وأنا أنظر إليه . فارتاع جعفر وصاح : ويلك ! ويلك ! وفيمَ ؟ وتريد ماذا ؟ قال : أما ما أريد فوالله مالى فى إسماعيل حيلة ، ولا يسمع هذا سامع بعدك أبداً . فجزاه خيراً وأدخله منزله ، وأخرج له مائتى دينار وقال : خذ هذه ولك عندنا ما تُحب . وخرج إلى إسماعيل ، وهو لا يُبصر ما يطأ عليه ، فإذا هو مسترسل فى مجلسه ، فلما رأى وجه أبيه نكره وقام

إليه . فقال : يا إسماعيل ، فعلتها بأشعب وقتلت ولده ، فاستضحك وقال : جاءنى بجَدى من صفته كذا ، وخبّره الخبر ، فأخبره أبوه بما كان منه وصار إليه . فكان جعفر رضى الله عنه يقول لأشعب : رُعتنى راعك الله . فيقول : روعة ابنك فى الجَدى أكبر من روعتك أنت فى المائتى الدينار .

طلبه إلى امرأة أن تكبر طبق خوص

وذُكر أن أشعب وقف على امرأة تعمل طبق خوص . فقال : كبِّريه . فقالت : لم ، أتريد أن تشتريه ؟ قال : لا ، ولكن عسى أن يشتريه إنسانٌ فيهدى إلىّ فيه هدية فيكون كبيراً خيراً من أن يكون صغيراً .

بخله على صديقه

وذُكر أن صديقة أشعب قالت له : هب لى خاتَمك أذكرك به . قال : أذكرينى أنى منعتُك إياه فهو أحبُّ إلىّ !

هو وصبيان أمرهم بالذهاب إلى بيت ابن عثمان

وذُكر أن أشعب قال مرة للصبيان : هذا عمرو بن عثمان يقسم مالا . فمضوا فلما أبطأوا عنه أتّبعهم يحسب أن الأمر قد سار حقاً كما قال .

مابلغ من طمعه

وذُكر أنه قيل لأشعب : ما بلغ من طمعك ؟ قال : ما رأيت اثنين يتسارّان قط إلا قدّرت أنهما يأمران لى بشىء .

بينه وبين أمه فى رؤيا رآها

وذُكر أن أشعب قال لأمه : رأيتك فى النوم مطليّة بعسل وأنا مطلىّ بعذرة ! فقالت : يا فاسق ! هذا عملك القبيح أراكه الله عز وجل . قال : إن فى الرؤيا شيئاً آخر . قالت : وما هو ؟ قال : رأيتنى ألطعك[1] وأنت تلطعيننى . فقالت : لعنك الله يا فاسق !

هو وامرأة سألته أن يهدى إليها

وذُكر أن أشعب كان يتحدث إلى امرأة بالمدينة حتى عُرف ذلك ، فقالت لها جاراتها : لو سألته شيئاً فإنه مُوسر . فلما جاء قالت له : إن جاراتى يقُلن لى : مايصلك بشىء . فخرج نافراً من منزلها ، فلم يقربها شهرين . ثم إنه جاء ذات يوم فجلس على الباب ، فأخرجت إليه قدحاً ملآن ماء ، فقالت : أشرب هذا من الفزع فقال : أشربيه أنت من الطمع !.

(١) اللطع : اللحس ، لطع الشىء بلسانه : لحسه .

وذُكر أنه دخل أشعب يوماً على الحسين بن على — رضى الله عنهما — وعنده أعرابى مختلف الخلقة قبيح المنظر ، فسبّح أشعب حين رآه ، وقال للحسين : بأبى أنت وأمى ، أتأذن لى أن أسلح عليه ؟ فقال الأعرابى : أفعل ما شئت . ومع الأعرابى قوس وكنانة ، ففوّق نحوه سهماً وقال : والله لئن فعلت لتكونَنّ آخر سلْحة سلحتَها ، فقال: أشعب للحسين : جُعلت فداك ، قد أخذنى القُولنج . هو وأعرابى بين يدى الحسين

وذُكر أن أشعب كان يغنّى ، وله أصوات قد حُكيت عنه ، وكان ابنه عبيدة يغنيها ، فمن أصواته : من أصواته

أرونى من يقوم لكم مقامى إذا ما الأمر جلّ عن الخطابِ
إلى من تفزعون إذا حَثوْتم بأيدكم علىّ من التراب

وذُكر أن أشعب قيل له : أرأيت أحداً أطمع منك ؟ قال : نعم كلب تبعنا أربعة أيام على مَضغ العلك . أطمع من أشعب

وحَكى أشعب قال : بلغنى أن عبد الله بن عمر ، فى مال له يتصدق بثمرته ، فركبت إليه ناضحاً[1] ووافيته فى ماله ، فقلت : يا ابن أمير المؤمنين ، و يا ابن الفاروق ، أوقر لى هذا تمراً . فقال : أمِن المهاجرين أنت ؟ فقلت : اللهم لا ، قال : أفمِن التابعين بإحسان؟ فقلت : أرجو ، فقال: إلى أن يحق رجاؤك . قال : أفمن أبناء السبيل أنت ؟ قلت: لا. قال : فعلام أُوقر لك بعيرك تمراً ؟ قلت : لأنى سائل ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أتاك سائل على فرس فلا تردَّه . قال : لو شئت أن أقول لك : إنه قال لو أتاك على فرس ولم يقل أتاك على بعير لفعلنا[2] ، ولكنى أمسك عن ذلك لاستغنائى عنه ، لأنى قد قلت لأبى عمر ابن الخطّاب : إن أتانى سائل على فرس يسألنى أن أعطيه . فقال : إنى سألت هو وابن عمر فى مال الصدقة

(١) الناضح : البعير يستقى عليه .
(٢) فى التجريد والأغانى (لقلنا) ولعل ما أثبتناه أولى .

رسول الله صلى الله عليه وسلّم عما سألتنى عنه، فقال : لى . نعم : إذا لم تصب راجلا، ونحن أيها الرجل نُصيب رجّالة، فعلام أُعطيك وأنت على بعير ! فقلت له : بحق أبيك الفاروق ، وبحق الله عز وجل، وبحق رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما أوقرته لى تمراً، فقال لى عبد الله : أنا مُوقره لك تمراً، ووحق الله وحق رسوله صلّى الله عليه وسلّم لئن عاودت أُستحلافى لابررت لك قسَمك،ولوأنك أُقتصرت على استحلافى[1] بحق أبى علىّ فى تمرة أعطيكها لما أنفذت قسمك، لأنى سمعت أبى يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لاتُشد الرحال إلى مسجد لرجاء الثواب إلا إلى المسجد الحرام ومسجدى بيثرب ولا يبر أحد قسم مستحلفه إلا أن يَستحلفه بحق الله وحق رسوله . ثم قال للسودان فى ذلك المال[2] : أوقروا بعيره تمراً، ولما أخذ السودان فى حشو الغَرائر قلت : إن السودان أهل طرب و إن أطربتهم أجادوا حشو غرائرى . فقلت : يا أبن الفاروق، أتأذن لى فى الغناء فأُغنّيك ؟ فقال لى : أنت ورأيك[3] . فأندفعت فى النّصب، فقال لى : هذا الغناء الذى لم نزل نعرفه، ثم غنّيته لطويس المغنى صوتاً آخر وهو :

خليلى ما أخفى من الحب ناطق   ودمعى بما قلت الغداة شهيد[4]

قال لى عبد الله : ياهناه، لقد حدث فى هذا الغناء[5] مالم نكن نعرفه . قال: ثم غنّيته لابن سريج بقوله :

يا عين جودى بالدُّموع السفاح   وأبكى على قَتلَى قُرَيش البِطاح

(١) فى التجريد (على إحلافك) وهذه رواية الأغانى .
(٢) فى التجريد (فى تلك الحال) وهذه عن الأغانى .
(٣) فى الأغانى (أنت وذاك) وهذه رواية التجريد .
(٤) رواية الأغانى :

خليلى ما أخفى من الحب باطل   ودمعى بما قلت الغداة شهير

(٥) رواية الأغانى : (فى هذا المعنى) .

تسوره على سالم بن عبد الله طمعاً فى طعامه

فقال : ويحك ياأشعب ، هذا يَحْيقُ الفؤاد — أراد يحرق الفؤاد — ، لأنه كان ألثغ لا يبين الراء ولا اللام . قال أشعب : فكان بعد ذلك لا يرانى إلا أستعادنى هذا الصوت .

وذُكر أنه قيل لأشعب : إن سالم بن عبدالله بن عمر قد مَضى إلى بُستان فلان ومعه طعام كثير . فبادرَ حتى يلحقه، فأغاق الغلامُ البـاب دونه ، فتسوَّر عليه ، فصاح به سالم ، ويلك ! بناتى . فناداه أشعب : لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد . فأمر بالطعام فأُخرج إليه منه ما كفاه .

قصته مع السيدة سكينة والحجام

وذكر أن سكينة بنت الحسين غضبت على أشعب فى شىء خالفها فيه ، فحلفت لتحلقنّ لحيته ، ودعت الحجّام وقالت له : أحلق لحيتـه ، فقال له الحجّام : أنفخ شـدقيك حتى أتمـكن منك . فقال يا ابن البظراء ، أمرتْك أن تحلق لحيتى أو تُعلمنى الزَّمر ! أخبرنى عن أمرأتك إذا أرادت أن تحلق حِرها تنفخ أشداقه ! فغضب الحجّام وحلف لا يحلق لحيته ، وانصرف . فبلغ سـكينةَ الخبر وما جرى بينهما ، فضحكت وعفت عنه .

تعقيبه على وليمة زياد بن عبد الله

وذُكر أن زياد بن عبد الله الحارثى كان من أبخـل خلق الله ، فأولم وليمة ليطهر بعض أولاده، وكان الناس يحضرون ويقدم الطعام فلا يأكلون شيئاً إلا تعللاً لعلمهم به ، فقُدِّم فيما قُدِّم جَدى مشوى فلم يعرض له أحد ، وجعل يردِّده على المـائدة ثلاثة أيام والناس يجتنبونه ، إلى أن انفضت الوليمة . فأصـغى أشعب إلى بعض من كان هناك ، فقال : أمرأته طالق إن لم يكن هذا الجَدى بعد أن ذُبح وشُوى أطول حيـاة وأكثر عمراً منه قبل الذبح ! فضحك الرجل ، وسمعها زياد فتغافل .

من نوادر زياد فى البخل

وذكر أن كاتبـاً لزياد بن عبد الله هذا أهدى إليه طعاماً ، فأتى به وقد

تغدّى ، فغضب وقال : ما أصنع به . وقد أكلت ، ادعوا أهل الصُّفة ، يأكلونه فبعث إليهم . وسأل كاتبه فيم دعا أهل الصفة ؟ فعُرّف . فقال الكاتب : عرفوه أن فى السلال أخبصة وحلوى ودجاجاً وفراخاً . فأخبر بذلك . فأمر بكشفها ، فلما رآها أمر برفعها ، فرفعت وجاء أهل الصفة فأعلم بهم . قال : أضربوهم عشرين عشرين درة ، واحبسوهم فإنهم يفسون فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤذون المصلين[1] ، فكُلِّم فيهم . فقال : أحلفوهم ألّا يعاودوا وأطلقوهم .

هو وأبان وأعرابى

وذُكر أن أبان بن عثمان بن عفان كان من أهزل الناس ، فبينا هو ذات يوم وعنده أشعب إذ أقبل أعرابى ومعه جمل له . والأعرابى أزرق أشقر أزعر غضوب يتلظّى كأنه أفعى ، ويبين الشرّ فى وجهه ، مايدنو منه أحد إلا شتمه ونهره . فقال أبان : هذا والله من البادية[2] ، ادعوه لى . فدُعى له وقيل له : إن الأمير أبان ابن عثمان يدعوك ، فأتاه وسلّم عليه ، وسأله أبان عن اسمه ونسبه ، فانتسب له . فقال : حيّاك الله يا خالى ، حبيب أزداد حُبًّا . فجلس فقال له : إنى فى طلب جمل مثل جملك هذا منذ زمان فلم أجده كما أشتهى بهذه الصفة ، وهذه الهامة واللون والصولة والوَرِك والأخفاف[3] ، فالحمد لله الذى جعل ظَفَرى به من عند من أحبه ، أتبيعه ؟ قال : نعم أيها الأمير . قال : فإنى قد بذلت لك فيه مائة دينار . وكان الجمل يساوى عشرة دنانير ، فطمع الأعرابى وسُرّ وانتفخ وبان السرور والطمع فى وجهه ، وأقبل أبان على أشعب وقال له ويلك : إن خالى هذا من أهلك وأقاربك يعنى الطمع ، فأوسع له مما عندك ، فقال نعم بأبى أنت وأمى وزيادة ، فقال له أبان يا خال : إنما زدتك فى الثمن على بصيرة . على أن[4] الجمل يساوى ستين ديناراً ، ولكن بذلتُ

(١) فى التجريد (المسلمين) وهذه رواية الأغانى .

(٢) فى التجريد ، (البابة) والتصويب عن الأغانى .

(٣) رواية الأغانى (القامة) واللون والصدر والورك والأخفاف .

(٤) رواية الأغانى : (وإنما الجمل) .

لك مائة دينار لقلة النقْد عندنا ، وإنى أعطيك به عروضاً تساوى مائة . فزاد طمع الأعرابى وقال : قبلت ذلك أيهـا الأمير ، فأسرّ إلى أشعب فأخرج شيئاً مغطًّى ، فقال له : أخرج ما جئت به . فأخرج جَرد عمامة خزٍّ خَلِقة تساوى أربعة دراهم . فقال له : قوّمها يا أشعب ، فقال : عمـامة الأمير تعرف به ، ويَشهد فيها الأعياد والُجمع ، ويَلقى فيها الخلفاء ، خمسون ديناراً . فقال : ضعها بين يديه . وقال لأبن ربيح[1] : أثبت قيمتها، فكتب ذلك . ووضعت العمامة بين يدى الأعرابى ، فكاد يدخل بعضه فى بعض غيْظاً ولم يقدر على الكلام ، ثم قال له : هاتِ قلنسوتى ، فأخرج قلنسوة طويلة خَلِقة قد علاها الوسخ والدُّهن وتخرّقت ، تساوى نصف درهم . فقال : قوّم ، فقال :قلنسوة الأمير تعلو هامته ، ويصلى فيها الصلوات الخمس ، ويجلس للحكم ، ثلاثون ديناراً ، فأثبت ذلك ووُضعت القَلنسوة بين يدى الأعرابى فتربّد وجهه وجحظت عينـاه وهَمَّ بالوثوب ثم تماسك ، وهو مُتقلقل . ثم قال لأشعب : هات ما عندك ، فأخرج خُفَّين خَلِقين قد نقبا وتقشرا . فقال : خُفَّا الأمير يطأ بهما الروضة ، ويعلو بهما منبر النبى صلى الله عليه وسلم ، أربعون ديناراً، فقال : ضعهما بين يديه ، فوضعهما ثم قال للأعرابى : اُضمُمْ إليك متاعك . وقال لبعض الأعوان اُذهبْ فخُذ الجمل . وقال لآخر : اُمض مع الأعرابى فاقبض ما بقى من ثمن المتاع ، وهو عشرون ديناراً ، فوثب الأعرابى وأخذ القماش وضرب به وجوه القوم ثم قال له : أتدرى أصلحك الله من أى شىء أموت ؟ قال : لا . قال : إذ لم أدرك أباك عثمان فأشترك[2] والله فى دمه ، إذ قد وَلد مثلك ! ثم نهض مثل المجنون حتى أخذ برأس بعيره ، وضحك أبان حتى سقط ، وضَحك كل من كان معه . وكان الأعرابى بعد ذلك إذا لقى أشعب يقول له : هلم إلىّ يا ابن الخبيثة حتى أكافئك على قيمة المتاع يوم قُوّم ! فيموت أشعب منه .

---

(١) رواية الأغانى : (زبنج) . (٢) رواية التجريد : « فأشرك » .

هو وعجوز عند موته

وذُكر أنه كان بالمدينة عجوز شديدة العين ، لا تنظُر إلى شىء تستحسنه إلا عانته[١] ، فدخلت على أشعب وهو فى الموت وهو يقول لبُنيَّته : يابنيَّة : إذا متُّ فلا تندبينى والناس يسمعونك فتقولين : يا أبتاه أندبك للصوم والصلاة ، يا أبتاه أندبك للفقه والقراءة ، فيكذبك الناس ويلعنوننى ! والتفت أشعب فرأى المرأة فغطَّى وجهه بكمِّه وقال لها : بالله يا فلانة إن كنتِ استحسنت شيئاً مما أنا فيه فصلِّ على محمد صلى الله عليه وسلم ، لا تهلكيني . فغضبت المرأة وقالت : سخنت عينك ، وفى أى شىء أنت مما يستحسن ؟ أأنت فى آخر الرمق ، قال : قد علمت ولكن قلت : لا يكون قد استحسنت خفة الموت علىّ وسهولة النزع فيشتدُّ ما أنا فيه . فخرجت المرأة من عنده وهى تشتمه ، وضحك كل من حضر من كلامه ثم مات .

(١) رواية التجريد « عانت » .

أخبار عويف القوافى

نسبه وسبب تلقيبه

هو عُويف بن معاوية بن عُقبة بن حِصن بن حُذيفة بن بَدر بن عمرو ابن جُؤَية بن لَوْذان بن ثَعلبة بن عدىّ بن فَزارة بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيث ابن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار. وهو شاعر مُقِلّ من شُعراء الدولة الأُموية من ساكنى الكوفة، وإنما قيل له: عويف القوافى، ببيت قاله، وهو:

سأكذِب من قدكان يزعم أنني   إذا قلت قولاً لا أُجيد القوافيَا

فوقف على جرير بن عبد الله، فقال:

أصبتُ على بَجيلة من شقاها   هجائى حين أدركنى المَشيبُ

فقال له جرير: ألا نشترى منك أعراض بجيلة؟ قال: بلى. قال: بكَم؟ قال: بألف درهم وبرذون. فأمر له بما طلب، فقال:

لولا جرير هلكت بجيلة   نِعم الفتى وبئست القبيلة

فقال له جرير: ما أراهم نجَوا منك بعد.

هو والوليد بن عبد الملك

وذُكر أنه لم يكن رجل من خلفاء بنى أمية أنفس على قومه ولا أحسد لهم من الوليد بن عبد الملك بن مروان، فأذن يوماً للناس فدخلوا عليه، وأذن للشعراء وكان أول من برز من بين يديه عُويف القوافى الفزارى فاستأذنه فى الإنشاد، فقال: ما أبقيتَ لى بعد ما قلت لأخى بنى زهرة؟ قال: وما قلتُ له بعد[1]

---

(١) فى غير التجريد: «مع».

ما قلتُ لأمير المؤمنين . قال : ألست الذى تقول له ؟

يا طلح أنت أخو الندى وحليفه   إن الندى من بعد طلحةَ ماتا
إن الفَعال إليك أطلق رَحـله   فبحيث بِتَّ من المنازل باتا

أولست الذى تقول له :

إذا ما جاء يومك يا أبن عوف   فلا مَطرت على الأرض السماء
ولا سـار العزيز[1] بغُنم جيش   ولا حَمَلت على الطُّهر النساء
تساقَى الناس بعدك ياأبن عوف   ذَريع الموت ليس له شـفاء

ألم تقمْ عليك الساعة يوم قامت عليه ؟ لا والله لا أسمع منك شيئاً ولا أنفعك بنافعة أبداً ، أخرجوه عنى . فلما أُخرج ، قال له القرشيون والشّاميون : وما الذى أعطاك طلحة حين أستخرج هذا منك؟ فقال : أما والله لقد أعطانى غيرُه أكثر من عطيّته ، ولكن لا والله ما أعطانى أحدٌ قطُّ أحلى فى قلبى ولا أبقى شُكْراً ولا أجدر إلّا أنساها ـ ما عرفتُ الصلات ـ من عطيته . قالوا : وما أعطاك ؟ قال : قدمت المدينة ومعى بضيْعة لى لا تبلغ عشرة دنانير أريد أن أبتاع بها قَعوداً من قِعدان الصدقة ، فإذا برجل بصحن السوق على طِنفسة قد طُرحت له والناس حوله ، و إذا بين يديه إبل مَعلوفة[2] فظننت أنه عامل السوق فسـلمت عليه فأثبتنى وجهلتُه ، فقلت : إى رحمك الله ، هل أنت مُعينى ببصرك على قَعود من هذه القِعدان تبتاعه لى ؟ فقال : نعم ، أو معك ثمنه ؟ فقلت : نعم . فأهوى بيده إلىّ فأعطيته بضيْعتى ، فرفع طنفسته وألقاها تحتهـا ومكث طويلا ، فقمت إليه فقلت : إى رحمك الله ، انظر فى حاجتى . فقال : ما منعنى منك إلا النسيان ،

(١) فى غير التجريد : « البشير » .
(٢) فى غير التجريد : « مقعودة » .

أمعك حبل ؟ قلت : نعم . قال : هاك ذى أفرجوا ، فأفرجوا عنه حتى استقبل الإبل التى بين يديه ، وقال : اقترن هذه وهذه وهذه ، فما برحت حتى أمر لى بثلاثين بكرة ، أدنى بكرة فيها ، ولا دنية فيها خير من بضاعتى . ثم رفع طنفسته فقال : شأنك ببضاعتك فاستعن بها على قرض[1] ترجع إليه . فقلت : أى رحمك الله أتدرى ماتقول؟ فما بقى عنده إلا من نهرنى وشتمنى ، ثم بعث معى نفراً فأطردوها حتى أطلعوها فى رأس القنينة ، فوالله لا أنساه ما دمت حيًّا أبداً .

تعرضه لعمر ابن عبد العزيز

وحكى أبو بُردة بن أبى موسى الأشعرى قال : حضرت مع عمر بن عبد العزيز جنازة ، فلما انصرف انصرفت معه وعليه عمامة قد سَدلها من خلفه ، فما علمت به حتى اُعترضه رجل على بعير فصاح به :

أجبنى أبا حفص لقيت محمـداً ... على حوضه يَسقيك منه دِراكا

فقال له عمر : لبَّيْك ووقف ، فوقف الناس معه ، ثم قال له : فمه ؟ فقال :

وأنت امرؤ كلتا يديك مفيدة ... شمالك خيرٌ من يمين سِواكا

فقال : ثم مه ؟ فقال :

بلغت مدى المُجرين قبلك إذ جروا ... ولن يُدرِك المُجرون بعدُ مداكا

فجدّاك لا جدّان أكرم منهما ... هناك تناهى[2] المجد ثم هناكا

فقال له عمر : ألا أراك شاعراً ، مالك من حق عندى ، قال : لا ، ولكنى سائل وابن سبيل وذو مهمة . فالتفت عمر إلى قهرمانه فقال : أعطه فَضل نفقتى ، فإذا هو عُويف القوافى .

---

(١) فى غير التجريد : « من » .
(٢) التجريد : « تباهى » .

شعره فى عيينة بن أسماء

وذكر أن عويف القوافى كانت أخته عند عُيينة بن أسماء بن خارجة فطلّقها ، وكان عويف مراغِماً لعيينة . وقال : الُحرة لا تطلّق لغير ما بأس . فلما حَبس الحجاجُ بن يوسف عيينةَ وقيّده ، وقال عويف :

مُنِــــع الرقاد فما يُحسُّ رقادُ ... مما شجاك[1] ونامت العُــوّادُ
خبر أتانى عن عُيينة مُــوجع ... ولمثـــله تتصدّع الأكباد
بلغ النفـــوس بلاؤها فكأننا ... موتى وفينــا الروح والأجساد
لمّا أتانى عن عُيينـــة أنه ... عانٍ تظاهر فوقه الأقيـــاد
نَخلت له نفسى النصـيحة إنه ... عنـد الحفائظ تَذهب الأحقاد
وذكرت أى فتى يســد مكانه ... بالرِّفد حــينَ تقاصر الأرفاد
أم من يُهين لنـا كرائم ماله ... ولنـــا إذا عدنا إليه معاد

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفَرج أخبار عويف قوله :

ألَمّت خنـــاس وإلمـــامها ... أحاديثُ نفس وأحـــلامها

(١) فى غير التجريد : « خبر أتاك » .

أخبار عبد الله بن جحش

ثم ذكر أبو الفرج عبدَ الله بن جحش فاُخترت من أخباره حكاية أوردها ، وهى أنه كان بالمدينة جارية يقال لها : صهباء ، من أحسن الناس وجهاً ، وكانت من هذيل ، فتزوجها أبن عم لها ، فمكثت معه حيناً لا يقدر على وطئها من شدة ارتتاقها ، فأبغضته فطالبته بالطلاق فطلقها ، ثم أصاب الناس مطر شديد فى الخريف فسال منه العقيق سيلا عظيما ، وخرج أهل المدينة وخرجت صَهباء معهم ، فصادفت عبد الله بن جحش وأصحابه فى نُزهة ، فرآها وأفترقا ، ثم مضت إلى أقصى الوادى وأستنقعت فى الماء ، وقد تفرق الناس وخفُّوا ، فاُجتاز بها عبد الله بن جحش فرآها ، فتهالك عليها وهام بها ، وكان بالمدينة أمرأة تدُل على النساء يقال لها قطنة ، وكانت تداخل القرشيات وغيرهن ، فلقيها عبد الله أبن جحش فقال لها : أخطبى لى على صهباء . فقالت : قد خطبها عيسى بن طلحة أبن عبيد الله . فأجابوه ، ولا أراهم يختارونك عليه . فشتمها أبن جحش وقال لها : كل مملوك لى حر ، لئن لم تحتالى فيها حتى أتزوجها لأضربنك ضربة بالسيف ، وكان مقداماً جسوراً . ففرقت منه . فدخلت على صهباء وأهلها فتحدثت معهم ، ثم ذكرت ابن عمها فقالت لعمة صهباء : ما باله فارقها ؟ فأخبرتها خبرها ، وقالت : لم يقدر عليها وعجز عنها . فقالت لها : ولأخت صهباء ، إن هذا ليعترى كثيراً من الرجال ، فلا ينبغى أن تقدموا فى أمرها إلا على من تختبرونه ، وأما والله لو كان أبن جحش لصهباء لثقَبها ثَقب اللؤلؤ ولو رُتقت بحجر . ثم خرجت من عندهم . فأرسلت صهباء إلى عمتها : مُرى أبن جحش فليخطبنى . فمَضى فخطبها فأنعمت له

زواجه من صهباء

وأبى أهلها إلا عيسى بن طلحة ، وأبت هى إلا ابن جحش ، فتزوّجته ودخل بها وافتضّها . فأحب كل واحد منهما صاحبه ، فقال فيها الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عبد الله بن جحش وهو :

نعم الضجيع إذا النجوم تغوّرت بالغور أولاها على أخراها
عذب مقبّلها وثيرٌ ردفها عبلٌ[1] شواها طيّب مجناها
صهباء[2] يطويها الضجيع لحسنها[3]
طى الحمالة ليّن متناها
لو يستطيع ضجيعها لأجنّها فى الجوف
حبّ نسيمها[4] وجناها
يا دار صهباء التى لا أنتهى عن ذكرها أبداً ولا أنساها !

(١) التجريد : « عذب » .
(٢) غير التجريد : « صفراء » .
(٣) « « : « لصلبها » .
(٤) « « : « وفشاها » .

أخبار عبد الله بن العباس الربيعي

نسبه وشيء عنه

هو عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع ، والربيع — على ما يدّعيه أهلُه — ، ابن يونس بن أبي فروة ، وآل أبي فروة يدفعون ذلك ويزعمون أنه لقيط وُجد منبوذاً وكفله يونس بن أبي فروة ورباه ، فلما خدم أبا جعفر المنصور أُدعى إليه .

منزلته في الشعر

ويكنى عبد الله : أبا العباس ، وكان شـاعراً مطبوعاً مُحسناً ، جيد الصنعة في الغناء نادرها ، حسن الرواية ، حـلو الشعر ظريفه ، ليس من الشعر الجزل ولا المرذول ، ولـكنه حسن مطبوع من أشعار المُترفين وأرباب النعم .

وذُكر أنه كان كثير المُلازمة للاصطباح لا يفوتُ ذلك إلا يوم جمعة وصوم شهر رمضان ، ومن قوله فيه :

ومُسـتطيل على الصَّهباء باكرها ... في فتيةٍ باُصطباح الرّاح حُذّاقِ
فكل شيء رآه ظنـــه قدحًا ... وكلُّ شيء رآه ظنّه السـاقِي

هو في شعر أعيا عليه

وحكى عبد الله بن العباس الربيعي قال : كنت جالساً على دِجلة في ليلة من الليالي ، فأخذت دواة وقرطاساً وكتبت شعراً حضرني وقلته في ذلك الوقت :

مـــــالّ وكـنت منتظراً ... فاُصبر فهذا جرائر القَــدرِ[1]
لعلنـــا أن نديل من زمن ... فرّقنــا والزمان ذو غِـيرَ

---

(١) هكذا البيت في التجريد وصدر غير مستقيم وزناً وعجزه في الأغاني غير مستقيم ، ورواية الأغاني هي :

أخلفك الدهـر ما تنظـره ... فاصبر فذا جـل أمر القدر

ثم أرتج عليّ فلم أدر ما أقول ، حتى يئست من أن يجيئني ، فالتفتُّ فرأيت القمر وكانت ليلة تمامه ، فقلت :

فانظر إلى البـــدر فهو يشبهه   إن كان قد ضنّ عنــك بالنظر

ثم صنعت فيه لحناً

شعره فى يوم دجن الواثق

وحكى خالد بن حمــدون قال :

كنّا عند الواثق فى يوم دَجن فلاحَ برق فاستطار ، فقال : قولوا فى هذا شيئاً . فبدرهم عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع فقال :

أعِـــنّي على بارقٍ لامــــع   خفيّ كلَمْحك بالحـــاجبِ
كأنّ تألّقـــه فى السماء   يدَا كاتب أو يدا حاســـبِ

وصنع فيه لحناً شَرِب عليه الواثق بقيّة يومه ، واستحسن شــعرَه ومعناه وصنعته ، ووصل عبد الله صلةً سنيّة .

شعره للمتوكل حين غضبت عليه قبيحة

وذُكر أنّ قَبيحة أم المعتز غضبت على ســيدها المتوكل وهاجرته ، فدخل الجلساء والمغنّون ، وفيهم عبدُ اللّه بن العبّاس الرّبيعى ، وكان قد عَرف الخبر ، فقال هذا الشعرَ وغنّى فيه :

لستَ منّى ولستُ منــك فدَعى   وامض عنّى مُصاحباً بســلامِ
لم تجد عـــلةً تجنَّى بها الذنـــبَ فصارتْ تعتلّ بالأحــلام
وإذا ما شــكوتُ ما بىَ قالت   قد رأينا خِلاف ذا فى المنــام

فطرب المتوكّل وأمر له بعشرين ألف درهم ، وقال له : إنّ فى حيــاتك يا عبد الله لأُنساً وجمالا وبقاء للمروءة والظَّرف .

هو وجملة من المغنين والشعراء عند أبى عيسى

وحكى محمد بن حسن قال :

كنا عند أبى عيسى بن الرشيد فى زمن الربيع ، ومعنا مخارق وعَلُّويه وعبد الله ابن العباس . ومحمد بن الحارث بن بُسْخَنَّر ، ونحن مُصطبحون فى طارمة مضروبة

على بُستانه ، وقد تفتّح فيه وُرود وياسمين وشقائق ، والسماء مُغيمة غَيما مُطبقاً ، وقد بدأت ترش رشًّا ساكناً ، فنحن فى أكمل نشاط وأحسن يوم إذ خرجت قيّمة دار أبى عيسى فقالت : ياسيدى ، قد جاءت عَساليج . فقال : تخرج إلينا ، فليس بحَضرتنا مَن نَحتشمه ، فخرجت إلينا جارية مُشكلة حُلوة حَسنة العقل والهيئة والأدب ، وفى يدها عود ، فسلمت ، فأمرها أبو عيسى بالجلوس ، فجلست ، وغنّى القوم حتى انتهى الدور إليها ، فظننا أنها لا تَصنع شيئاً ، وخِفنا أن تهابنا فتحصر . فغنّت غناء حسناً مُطرباً ولم تدع أحداً ممن حَضر إلا غنت صوتاً من صنعته وأدّته على غاية الإحكام . وطربنا واستحسنا غناءها ، وخاطبناها بالاستحسان ، وألحّ عبدُ الله بن العباس من بيننا بالاقتراح عليها والمِزاح معها ، فقال له أبو عيسى عَشقتها وحياتى يا عبد الله . فقال : لا والله ياسيدى وحياتك ماعشقتها . ولكني استملحت غناءها ، وكل ما شاهدت منها من منظر ومن شكل وعقل وعشرة . فقال أبو عيسى : ويلك ، فهذا والله هو العشق وسببه ، ورُب جِد جَرّه اللعب . وشربنا ، فلما غلب النبيذ على عبد الله غنّى أهزاجاً قديمة وحديثة وغنّى هزجاً فى شعر قاله فيها لوقته ، فما فَطِنَ له إلا أبو عيسى وهو :

نطق السُّكر بسرّى فبدا ... كم ترى المكتومَ يُخفى لا يَصِح
سحر عينيك إذا ما رنتا ... لم يَدَعْ ذا صبوة أو يَفْتَضِح
ملكت قلبى فأمسى علقاً ... عندها صبًّا بها لم يسْتَرِح
بجَمال وغناء حسن ... جلّ عَن أن ينْتقيه المقترح
أورث القلب هموماً ولقد ... كنت مسروراً بمرآه فرح
ولكم مُغتبق هما وقد ... باكر اللهو بكوز المُصطبح

فقال له أبو عيسى : فعلتها والله ياعبد الله ، ونعر[1] طرباً وشرب على الصوت .

(١) فى غير التجريد : « وطار » .

قال له : صح والله قولى لك فى عَساليج ، وأنت تكابرنى حتى فَضحَك السُّكرُ ! فجحد وقال : هذا غناء كنت أرويه ، فحلف أبو عيسى أنه ما غناه ولا قاله إلا فى يومه ، وقال له : أحلف بحياتى أن الأمر ليس هو كذلك ، فلم يفعل . فقال له أبو عيسى : والله والله لو كانت لى لوهبتها لك ، ولكنها لآل يحيى بن مُعاذ ، و والله لئن باعوها لأملكنّك إياها ولو بكل ما أملك ، و وحياتى لتنصرفن قبلك إلى منزلك . ثم دعا بحافظتها وخادم من خدمه و وجّه بها معهما إلى منزله . والتوى عبد الله قليلاً وتجلّد وجاحد[1] أمره ، ثم انصرف واتصل الأمر بينهما بعد ذلك واشترتها عمّته رُقية بنت الفَضيل[2] بن الربيع ، من آل يحيى بن معاذ ، وكانت عندهم حتى ماتت .

وحكى عبد الله بن العباس قال :

دعانى الواثق فى يوم نَيْرُوز ، فلما دخلت عليه غنيتُه فى شعر قلته ، وصنعت فيه لحناً ، وهو :

هى للنيروز جاما ومُداماً ونَدامى
تحمدون[3] الله والوا ثق هارون الإماما
ما رأى كِسرى أنو شر وان مثل العام عاما
نَرجساً غضًّا ووردًا وبهاراً وخُزامى

فطرب واستحسن الغناء وشرب عليه حتى سكر ، وأمر لى بثلاثين ألف درهم .

وحكى حَمدون بن إسماعيل قال :

---

(١) فى غير التجريد : « وجاحدنا » .
(٢) « « « : « الفضل » .
(٣) « « « : « يحمدون »

دخلت على عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع ، وخادم له يَسقيه ، و بيده عُود وهو يغنى :

إذا اصطبحتُ ثلاثًا وكان عُودى نديمى
والكأس تَضحك[1] ضحكا من كف ظَبْىٍ رَخيم
فما علىّ طريق لطارقات الهُموم

فما رأيت أحسن ما حكى[2] حاله فى غنائه ، ولا سمعت أحسن ما غنى[3]

وحكى عبد الله بن العباس قال :

لقينى سوار بن عبد الله القاضى ، وهو سوار الأصغر ، فأصغى إلى ، وقال : إن لى إليك حاجة : فأتنى فى خَفِىّ . فجئته فقال : لى إليك حاجة قد أنست بك بها[4] ، لأنك لى كالولد ، فإن شرطت لى كِتمانها أفضيت إليك بها . قلت : ذاك للقاضى علىّ شرط واجب . فقال لى : إنى قلت أبياتاً فى جارِية لى أَميل إليها وقد قلتنى وهجرتنى وأحببت أن تصنع فيها لحناً وتُسمعنيه ، و إن غنيته وأظهرته بعد ألا يعلم أحد أنه شعرى فلست أبالى ، أفتفعل ذلك ؟ قلت : حباً و كرامة للقاضى . قال : فأنشدنى سوّار لنفسه .

سَلَبَتْ عِظامى لحمَها فتركْتها عوارى فى أَجْلادِها تتكسّر
وأخليتُ منها مُخَّها فتركتُها أنابيبَ فى أجوافها الريح تَصْفر
إذا سمعت ذكر[5] الفراق تَقعقعت
مفاصلُها من هَول ما تتنظر[6]

(١) فى غير التجريد : « تغرب » .
(٢) » » : « مما حكى » .
(٣) » » : « مما غنى » .
(٤) » » : « فيها » .
(٥) » » : « باسم » .
(٦) » » : « ما تتحذر » .

خُذِى بِيَدى ثم اُكشِفى الثوب فانظرى
ضنى[1] جسدى لكنّنى أتستّرُ
وليس الذى يَجرى من العين ماؤها
ولكنها نفسى تذوب فتقطر

قال . فصنعت فيه لحناً ثم عرفته خبره فى رقعة كتبتها إليه ، وسألته وعداً يعِدنى المصير إليه ، فكتب إلىّ : نظرت فى القصة فوجدت هذا الأمر لا يصلُح ولا ينكتم على حضورك وسماعى إياك ، وأسأل الله أن يسرك ويبقيك ، فغنيت الصوت وظَهر حتى تغنى به الناس ، فلقينى سوار يوماً فقال لى : يا اُبن أخى ، قد شاع أمرك فى ذلك الباب حتى سمعناه من بَعد ، كأنا لم نعرف القصة ، وجعلنا جميعاً نضحك .

وحكى عبد الله بن العباس قال : جمعنا الواثق يوماً بعقب عِلة غليظة كان فيها فعوفى وصح جسمه ، فدخلت عليه وهو مع المغنين ، وعودى فى يدى ، فلما وقعت عينى عليه من بعيد وجهرت بحيث يسمع صوتى ، ثم ضربت بالعود وغنيته فى شعر قلته من طريقى ، وصنعت فيه لحناً ، وهو :

اُسلم وعمّرك الإله لأمة بك أصبحت قهرت[2] ذوى الإلحاد
لو تَستطيع وقتْك كلَّ أذية بالنفس والأموال والأولاد

فضحك وسُرَّ وقال : أحسنت يا عبد الله وسَررتنى بابتدائك ، اُدْنُ منى . فدنوت حتى كنت أقرب المغنين إليه . ثم استعادنى الصوت ، فأعدته ثلاث مرات وشرب عليه ثلاثة أقداح ، وأمر لى بعشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابه .

(١) فى غير التجريد : « بلى » .
(٢) هذه رواية الأغانى ؛ ورواية التجريد « مهرق » .

وذُكر أن عبد الله بن العباس كان يهوى جارية نصرانية . فجاءته يوماً تودعه ، فأعلمته أن أباها يُريد الانحدار إلى بغداد والمضى بها معه ، فقال فى ذلك :

أفــدى التى قلت لها والبــين منـا قد دَنا
فقــدك قد أنحل جسـ ـمى وأذاب البَــدَنا
قالت : فمـاذا حيلــتى كذاك قــد ذُبت أنا
إذن بغيرى[1] فاقتنــع قلت إذن طال[2] العنـا

وذُكر أن عبد الله بن العباس دخل على المتوكل فى آخر شعبان فغنّاه :

عَلِّلانى نَعِمــتما بمــدام واُسقيانى من قبل شهر الصيام
حرَّم الله فى الصيام التصـابى فــتركناه طاعة لــلإمام
أظهر العدل واُسـتبان[3] به الديـ ـن وأحيـــا شرائع الإسلامِ

فأمر المتوكل بالطعام فأحضر ، وبالنبيذ والجلساء فأتى بذلك ، واصــطبح . وأقبل عبد الله يغنيه فى هذه الأبيات يومه ، فأمر له بعشرة آلاف درهم .

والشعر الذى فيــه الغناء : افتتح به أبو الفرج أخبار عبد الله ، هو للعرجى ، وهو أبيات أولها :

أماطت كساء الخز عن حر وجهها وأدنت على الخدين برداً مهلهلا
من اللاء لم يَحججن يبغين حسبة ولــكن ليقتلن البرىء المغفــلا

وقد تقدمت أخبار العرجى .

---

(١) فى غير التجريد : « باليأس » .
(٢) « « : « قل » .
(٣) « « : « ستنار » .

أخبار سلم الخاسر (*)

هو سلم بن عمرو : مولى أبي بكر الصديق رضى الله عنه . شاعر بَصرى مطبوع مُتصرف فى فنون الشعر ، من شعراء الدولة العباسية ، راوية بشار بن بُرد ، وتلميذه وعنه أخذ ، ومن بحره اغترف ، وعلى مذهبه ونمطه .

قال الشعر ، ولُقب الخاسر ، لأنه ورث عن أبيه مُصحفاً فباعه واشترى بثمنه طُنبورا .

وقيل : خلّف أبوه مالاً فأنفقه على الأدب والشعر . فقال له بعض أهله : إنك لخاسر الصّفقة ، فلقب بذلك .

وقيل : لما مات أبوه واقتسموا ماله وقع فى نصيب سَلم مُصحف فردّه وأخذ مكانه دفاتر شعر كانت لأبيه ، فلُقِّب الخاسر لذلك .

وذُكر أنه مدح المهدى أو الرشيد ، وكان قد بلغه أن سَلْماً لُقب الخاسر لإخراجه ماله ، وكان مائة ألف درهم فى الأدب والشعر ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وقال : كَذِّبْ بهذا جيرانك . فجاءهم بها ، فقال لهم : هذه المائة الألف التى أنفقتها وربحتُ الأدب ، فأنا سلم الرابح لا الخاسر .

وذُكر أنه لما بنى صالح بن المنصور قصره بدجلة قال فيه سلم الخاسر :

يا صالحَ الُجود الذى مجدُه ... أفسدَ مجدَ الناس بالُجودِ
بنيتَ قصرًا مُشرفًا عاليًا ... بطائرى سَعد ومَسعود

(*) ممن جاءت تراجمهم فى الجزء الحادى والعشرين .

كأنما ترفع بنيانه جنُّ سليمان بن داود

لا زلت مسروراً به سالماً على اختلاف البِيض والسُّود

يعنى بالبيض والسود : الأيام والليالى . فأمر له صالح بألف دينار .

وذُكر أن عاصم بن عُتبة الغسّانى كان صديقاً لسَلم الخاسر كثير البرّ به والمُلاطفة له ، وفيه يقول سلم :

لعاصم سَماء عارضها تهتان

أمطارها اللُّجين والدُّرّ(١) والعِقيان

وناره تنادى إذ خَبت النيران

الجود فى قحطان ما بقيت غسّان

أسلم وما أبالى ما فعل الإخوان

صلت له المعالى والسَّيف والسِّنان

ما ضر مرتجيه من عثرة الزمان

من غاله مخوف فعاصم أمان

فأعطاه عاصم سبعين ألف درهم ، وكان مبلغ ما وصل إلى سَلم من عاصم خمسمائة ألف درهم ، فلما حضرته الوفاة دعا عاصماً ، فقال له : إنى ميت ولا ورثة لى وإن مالى مأخوذ وأنت أحق به . فدفع إليه خمسمائة ألف درهم ، ولم يكن لسَلم وارث ، وكان عاصم هذا جواداً .

وذُكر أن أبا الشَّمقمق طالب سَلما الخاسر أن يهب له شيئاً ، وقد خرجت لسلم جائزة ، فلم يفعل ، فقال أبو الشَّمقمق يهجوه :

---

(١) فى التجريد : « والإبريز » .

يا أُمّ سَلم هداكِ الله زُورينا حتى يَنيكَكِ فرداً أو تنيكينا

ما إن ذكرتك إلا هاج لى شَبَق ومثل ذكراك أم السَّلم يَشْجينا

فجاءه سلم فأعطاه خمسة دنانير، وقال: أُحب أن تعفينى أُستزارتك أمى وتأخذ هذه الدنانير فتُنفقها.

وكان أبو عُبيد الله الأشعرىّ وزير المهدى، وغالباً على أمره كله: وكان بينه وبين الربيع سباق على تغيير قلب المهدى عليه، فدخل الربيع على المهدي يوماً وأبو عبيد الله وزيره جالس يعرض عليه كتباً، فقال له أبو عبيد الله: مُر هذا أن يتنحى، يعنى الربيع. فقال المهدى: تنحَّ! فقال الربيع: لا أفعل فقال له المهدى: كأنك ترانى بالعين الأولى، قال: لا بل أراك بالعين التى أنت بها. قال: فلم لا تتنح إذ أمرتك؟ فقال له: أنت ركن الإسلام، وقد قتلت أبن هذا، فلا آمن أن تكون معه حديدة يغتالك بها، فقام المهدى مذعوراً، وفتش أبو عبيد الله فوجد بين جوربه وخفه سكين، فسقطت مرتبة أبى عبيد الله، ورُدت الأمور كلها للربيع من الوزارة، ووليها يعقوب بن داود. وكان أبو عبيد الله أدخله إلى المهدى، فقال سلم الخاسر فيه:

أدخلته فعَلا عليك كذاك شُؤم الناصيه[1]

يعقوب ينظر فى الأمو ر وأنت تنظر ناحيه

وكان سبب قتل المهدى بن أبى عبيد الله وزيره أنه بلغ المهدى من جهة الربيع أن أبن أبى عبيد الله زِنديق، فقال له المهدى: هذا حسد منك، فقال: افحص عن هذا، فإن كنت مبطلا بلغت فيك الذى يلزم من كذبك. فأتى ابن أبى عبيد الله فقرره تقريراً خفيّا، فأقر بذلك، فاستتابه فلم يتب فقال لأبيه: اقتله، فقال: لا تطيب نفسى بذلك، فقتله وصلبه على باب أبى عبيد الله.

(١) ورد هذا البيت فى الأغانى بعد الذى يليه.

وذُكر أنه دخل سَلم الخاسر على الفضل بن يحيى فى يوم نَيروز والهدايا بين يديه ، فأنشده :

أَمن رَبْع تســـــائله وقد أقوَتْ منــازله
بقلبى من هوى الأطلا ل حُبٌّ ما يزايــله
رويدكم عن المشغو ف إن الحب قاتله
بلابل صــدره تَسرى وقد نامت عـــواذله
أحق النـــاس بالتفضيـ ل من ترعى فواضله
رأيت مكارم الأخلا ق ما ضَمت حمائله
فلست أرى فتى فى النا س إلا الفضل فاضــله
يقول لســـانه خيراً فتفعــله أنامـــــله
ومهما ترْجُ من خــير فإن الفضـــل فاعله

وكان إبراهيم الموصلى وابنه إسحاق حاضرين ، فقال الفضل لإبراهيم : كيف ما ترى ؟ فقال : أحسن مرأى ومسمع ، وفضل الأمير أكثر منه . فقال : خذوا ما أهدى إلىّ اليوم فاقتسموه بينكم أثلاثاً إلا ذلك التمثـال ، فإنى أريد أن أهديه اليوم إلى دنانير . ثم قال : لا والله ما هكذا تفعل الأحرار . يُقوَّم ثم يدفع إليهم ثمنه ثم تهديه . فقُوِّم بألفى دينـار فحملها إلى القوم من بيت ماله ، واقتسموا جميع الهدايا بينهم .

وذُكر أنه قيل لمَعن بن زائدة : ما أحسن ما مُدحت به من الشعر عندك ؟ قال : قول سلم الخاسر :

أبلغْ الفِتيــــان مألُكةً إنّ خــير الوُد ما نفعــا
إن قوماً من بنى مطــــر أتلفت كفّاه ما جَمَعــــا

كلما عُدنا لنائله عاد فى مَعروفه جَذَعا

وذُكر أنه حدث فى أيام الرشيد أمر فاحتيج فيه إلى الرأى ، فأشكل . وكان الفضل غائباً فورد فى ذلك الوقت ، فأخبره بالقصة فأشار بالرأى فى وقته ، فدخل عليه سَلم الخاسر فأنشده :

بديهته وفكرته سواء إذا ما نابه خطب كبير
فأحزم ما يكون الدهر رأياً إذا أعيا المشاور والمُشير

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

وذُكر أنه لما تُوفى المهدى وأتى خبرُ وفاته إلى ابنه موسى الهادى ، وهو بجرجان ، فبويع له هناك ، فدخل عليه سَلم الخاسر فأنشده بعد أن هنأه مع المهنئين :

لمّا أتت خيرَ بني هاشم خلافةُ الله بجُرجان
شمر للحرب سرابيلَه برأى لا غَمر ولا وانى
لم تَدخل الشُّورى على رأيه والحزم لا يُمضيه رأيان

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار سلم الخاسر ، هو :

حَضر الرحيلُ وشُدت الأحداج وغدا بهن مُشمِّر مزعاج
للشوق نيران قَدَحْنَ بقلبه حتى استمرّ به الهوى المِلْجَاجُ
أزعج هواكِ إلى الذين تُحبهم إن المحب يَشُوقُه الإزعاج
لن يُدْنِينَّكَ للحبيب ووصله إلا السُّرى والبازل الهَجْهَاج

وهذا الشعر من قصيدة مدح بها سَلم الخاسر الرشيد .

وذُكر أنه لما انتهى منها إلى قوله :

إن المنايا فى السيوف كوامن حتى يهيِّجها فتًى هيـــاج

قال الرشـيد : كان ذاك معن بن زائدة ، فلما انتهى قوله إلى :

ومدجَّج يغشى المضيق بسيفه حتى يكون بسيفه الإفراج

قال الرشيد : ذلك يزيد بن مزيد . فقال : صدق أمير المؤمنين . فاغتاظ جعفر ابن يحيى ، وكان يزيد بن مزيد عدوًّا للبرامكة مُصافياً للفضل بن الربيـع . فلما انتهى إلى قوله :

نزلت نجومُ الليل فوق رءوسهم فلكل رأس كوكبٌ وهّاج

قال له جعفر : من قلّة الشعر حتى يُمدح أمير المؤمنين بشعر قيل فى غيره هذا لبشار فى فلان التميمى . فقال الرشـيد : ما تقول ياسلم ؟ قال : صدق يا سيدى ، وهل أنا إلا جزء من محاسـن بشار ، أم هل أنطق إلا بفضل منطقه ، وحياتك يا سيدى إنى لأرى له تسعة آلاف بيت ما يعرف أحد غيرى شيئاً منها ، فضحك الرشيد وقال : ما أحسن الصدق ، أمض فى شعرك . فأمر له بمائة ألف درهم . ثم قال للفضل بن الربيع : هل قال أحد غير سَلم فى طيّنا للمنازل شيئاً ؟ وكان الرشيد قد انصرف من الحج وطوى المناهل ، فوصف ذلك سلم فقال : يا أمير المؤمنين ، النَّمرى فأمر النَّمرى بالإنشاد فأنشده قوله :

تخرّق سربال الشباب مع البرد وحالت لنا أُم الوليد عن العَهْدِ

فقال الرشيد للعباس بن محمد : أيهما أشعر عندك يا عم ؟ قال : كلاهما شاعر ، ولو كان الشعرُ يُستفحل لجودته حتى يؤخذ منه نسل لاستفحلت كلام النَّمرى ؛ فأمر له بمائة ألف درهم .

أخبار أبى صدقة (*)

هو مسكين بن صَدقة ، من أهل المدينة ، مولى لقريش ، وكان مليحَ الغناء طيب الصوت ، كثير الرواية ، صالح الصنعة ؛ من أكثر الناس نادرة ، وأخفهم روحاً ، وأشدهم طمعاً ، وألحهم فى مسألة .

وكان له ابن يقال له : صدقة ، يُغنى ، وليس من المعدودين .

وابن ابنه أحمد بن صدقة الطنبورى أحد المُحسنين من الطُّنبوريين . وله صنعة جيدة ، وكان أشبه الناس بجدِّه فى المَرَح والنوادر .

وأبو صدقة من المغنين الذين أقدمهم الرشيد من الحجاز فى أيامه .

وذُكر أن الرشيد قال له يوماً : ويلك ما أكثر سؤالك ؟ فقال : وما يمنعنى من ذلك ، واسمى مسكين ، وكنيتى أبو صدقة ، واسم ابنى صدقة ، فمن أحق بهذا منى ؟ .

وكان الرشيد يَعبث به كثيراً ، فقال يومًا لمسرور : قل لابن جامع ولإبراهيم الموصلى والزبير بن دحمان وزلزل وبرصوما وابن أبى مريم المدينى : إذا رأيتمونى قد طابت نفسى فليَسأَل كل واحد منكم حاجة مقدار صلته ، وذكر لكل واحد منهم مبلغ ذلك ، وأمرهم أن يكتموا أمرهم عن أبى صدقة ، فقال لهم مسرور ما قال له ، ثم أذن لأبى صدقة قبل إذنه لهم . فلما جلس قال له يا أبا صدقة : قد أضجرتنى بكثرة مسألتك لنا ، وأنا فى هذا اليوم ضجر ، وقد أحببت أن أتفرج

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

وأَفرح ، ولست آمن أن تنغص على مجلسى بمسألتك ؛ فإما أن أعفيتنى من أن تسألنى اليوم حاجة و إلا فانصرف . فقال له : لست أسألك فى يومى هذا ، ولا إلى شهر حاجة . فقال له الرشيد : أما إذا اشترطت لى هذا على نفسك فقد اشتريت منك حوائجك بخمسمائة دينار ، وها هى ذى فخذها طيّبة مُعجلة ، فإن سألتنى شيئاً بعد هذا اليوم فلا لوم علىّ إن لم أَصلك سنة بشىء . فقال له : نعم ، وسنتين . فقال له الرشيد : زِدْنِى فى الوثيقة ، قال : قد جعلت أَمر اُمرأَتى أم صدقة فى يدك فطلّقها متى شئت ، إن شئت واحدة و إن شئت ألفاً إن سألتك فى يومى هذا حاجة ، وأشهدتُ الله ومن حضر على ذلك ، ودفع إليه المال . ثم أذن للجلساء والمُغنين فدخلوا وشرب القوم ، فلما طابت نفس الرشيد قال له اُبن جامع : يا أمير المؤمنين ، قد نِلت منك ما لم تبلغه أُمنيتى وكثُرَ إحسانك إلىّ حتى كبتُّ أعدائى وقتلتهم ، وليس لى بمكة دار تشبه حالى ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لى بمال أبنى به داراً وأفرشها بباقيه لأَفقأَ عيون أعدائى وأزهق نفوسهم فعل . قال : وكم قدرت لذلك ؟ قال : أربعة آلاف درهم . فأمر له بها . ثم قام إبراهيم الموصلى فقال له : قد ظهرت نعمتك علىّ وعلى أَكابر ولدى ، وفى أصاغرهم من أحتاج إلى أَن أُطهره ، ومنهم صغار أحتاج أَن أتخذ لهم خدماً ، فإن رأى أَمير المؤمنين أَنْ يُحسن معْونتى على ذلك فعل . فأمر له بمثل ما أمر لاُبن جامع . وجعل كل واحد منهم يقول من الثناء ما يحضره ، ويسأل حاجته على قدر جائزته ، وأبو صدقة ينظر إلى الأموال تفرّق يميناً وشمالا . فوثب على رجليه قائماً ، ورمى بالدنانير من كُمّه وقال للرشيد : أَقلني أَقالك الله عثرتك . فقال له الرشيد : لا أَفعل . فجعل يستحلفه ويضطرب ويلحُّ ، والرشيد يضحك ويقول : ما إلى ذلك سبيل : الشرط أملك . فلما عِيل صبره أَخَذ الدنانير فرمى بها بين يدى الرشيد وقال : هاكها قد رددتها عليك وزدْتك فرج أُم صدقة ، فطلّقها إن شئت واحدة و إن شئت ألفاً ،

وإن لم تلحقنى بجوائز القوم فألحقنى بجائزة هذا البارد بن الباردة عمرو الغزال . وكانت ثلاثة آلاف دينار ، فضحك الرشيد حتى أستلقى ، ثم رد عليه الخمسمائة الدينار وأمر له بألف دينار أخرى معها ، وكان ذلك أكثر ما أخذه منذ يوم خدمه إلى أن مات ، وانصرف يومئذ بألف وخمسمائة دينار .

أخبار فضل الشاعرة (*)

هى جارية مولّدة من مولدات البصرة ، وكانت أمها من مولّدات اليمامة ، بها وُلدت ، ونشأت فى دار رجل من بنى عبد القيس ، وباعها بعد أن أدّبها وخرجها ، فاشْتُرِيَتْ وأُهْدِيَتْ إلى المتوكل . وكانت تزعم أن الذى باعها أخوها ، وأن أباها كان معترفاً بها وأدّبها وخرّجها ، وأن بنيه من غير أمّها تواطئوا على بيعها وجحدها ، ولم تكن تعرف بعد أن أعتقت إلا بفضل العبدية الشاعرة .

وكانت حسنة الوجه والجسم والقوام ، أديبة فصيحة سريعة البديهة مطبوعة فى قول الشعر ، ولم يكن فى نساء زمانها أشعر منها .

وقيل : إنها كانت لرجل من النخّاسين بالكرخ — يقال له : حسنويه — فاشتراها محمد بن الفرج أخو عمر بْن الفرج الرُّخجى ، وأهداها إلى المتوكل ، وكانت تجلس للرجال و يأتيها الشعراء .

وذُكر : أن أبا دلف العجلى ألقى عليها :

قالوا عَشِقْتَ صغيرةً فأَجبتُهم ... أشهى المطىِّ إلىّ ما لم يركبِ
كم بين حَبّة لُؤلُؤ مَثْقُوبة ... نُظمت وحبة لؤلؤ لم تُثقب

فقالت فضل مُجيبة له :

إن المطية لا يَلَذ ركوبُها ... ما لم تذلَّلْ بالزّمام وتُركب
والدُّر ليس بنافع أربابه (1) ... إن لم يؤلّف للنّظام و يُثقب

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

(1) فى غير التجريد : « أصحابه » .

وذُكر أنه عرضت على المعتمد جارية تباع فى خلافة أبيه المتوكل ، وهو يومئذ حديث السن ، فاشتط مولاها فى السَّوم ، فلم يشترها وخرج بها إلى ابن الأغلب صاحب إفريقية ، فبيعت هناك . فلما أفضت الخلافة إلى المعتمد سأل عن خبرها وقد ذَكرها ، فذُكر أنها بيعت وأولدها مولاها ، فقال المعتمد لفضل الشاعرة : قولى فيها شيئاً . فقالت :

عَلَم الجمال تركتنى ... فى الحب أشهر من علم
ونصبتنى يا مُنْيَتِى ... غرضَ المظنّة والتُّهَم
فارقتنى بعد الدنو ... فصرت عندى كالحلم
فلو أن روحى فارقت ... جسمى لفقدك لم تُلَم
ما كان ضرك لو وصلت ... فخفّ عن قلبى الألم
برسالة تهدينها ... أو زورة تحت الظلم
أو لا فطيف فى المنام ... فلا أقلّ من اللَّمَم

وحكى محمد بن العباس اليزيدى قال :

كتب بعض أهلنا إلى فَضل الشاعرة :

أصبحت صَبًّا[1] هائم العقل ... إلى غزال حسن الشكل
أضنى فؤادى طول عهدى به ... وبُعْده عنّى ومن وَصْلى
مُنية نفسى فى هوًى فضل ... أن يجمع الله بها شملى
أهواك يا فضل هوًى خالصاً ... فما لقلبى عنك من شُغل

فأجابته :

الصبر ينقُصُ والسقام يزيد ... والدار دانية وأنت بعيد

(١) فى غير التجريد : « فرداً » .

فقالت فضل :

تَصُـد وأَدنو بالمودّة جاهدا وتبعُد عنّى بالوصال وأقرُبُ

فقلت أنا :

وعندى لها العُتبَى على كل حالة فما منه لى بُدٌّ ولا عنه مَذهب

بينها وبين أديب ألقى عليها بيتاً

وحكى أحمد بن أبى طاهر قال :

ألقى بعضُ أصحابنا من أهل الأدب على فضل الشاعرة :

ومُستفتح بابَ البـلاء بنَظرة تزوّد منها قلبُـه حسرةَ الدّهرِ

فقالت :

فوالله ما يدرى أتدرى بما جَنَتْ على قلبه أم أهلـكَتْه وما تدرى

شعرها إلى الباخرزى والضرير تعتذر عن حجبهما ورد الباخرزى

وذُكر أنّ أبا منصور البَاخرزى أتى هو وأبو يوسف الدّقّاق الضرير منزل فضل الشـاعرة فَحُجِبَا عنها ، وما علمتْ بهما ، ثم بَلَغها مجيئُهما وانصرافهما ، فـكرِهَت ذلك وغَمّها ، فـكتبَتْ إليهما تعتذر :

وما كنتُ أَخشى أن تَروْا لى زَلّةً ولـكنَّ أمرَ اللهِ ما عنه مَذْهَبُ

أعوذُ بِحُسْنِ الصَّفح منكم وقبلنا بصَـفحٍ وعَفوٍ ما تعوّذَ مُذنب

فـكَتب إليها أبو المنصور :

لِئن أهديتْ عُتباكِ لى ولإخوتى فمثلُك يافَضـل الفضائل يُعتِبُ

إذا اُعتذر الجانى محا العذرُ ذنبَه وكُل اُمرئٍ لايَقبل العذرَ مُذنب

رقعتها إلى المتوكل بعد سكر لم يفق منه

وحكى علىّ المُنجِّم قال :

قال لى المتوكل يوماً ، وفضل الشـاعرة واقفة بين يديه : يا علىّ ، كان بينى وبين فضل مَوعد ، فشربتُ شراباً فيه فَضل فسكرتُ ونِمْت ، وجاءتنى للموعد

فحرّكتنى بكُل ما ينبّه به النائم من قَرْصٍ وتحريك وتغميز وكلام ، فلم أتنبّه ، فلما علمَتْ أنه لا حيلة لها فىّ كتبَتْ رُقعة ووضعَتها على فخذى وأنصرَفت ، فلما أنتبَهْت رأيتُها فأخذتُها وقرأتُها ، فإذا فيها :

قد بدا شِبْهُكَ يا مَوْ لاىَ يحْدُو بالظلامْ
قُمْ بنا نقْضِ لُبانا تِ ألتزام والتثامْ
قبل أن تفضحنا عو دَةُ أرواح النِّيام

شعرلها فى كأس أهدتها قبيحة إلى المتوكل

وذُكر أنه خرجت قبيحة ــ أُم المعتز ــ إلى المتوكل يوم نَيروز ، وفى يديها كأس من بِلّور ، فيها شراب صافٍ ، فقال لها : ماهذه فديتُك؟ قالت : هديّتى لك فى هذا اليوم ، عرّفك الله بركته . فأخذها من يدها . وإذا على خدّها مكتوب بالمسك : جعفر . وكانت فضل الشاعرة واقفة على رأسه ، فقالت :

وكاتبةٍ بالمسك فى الخدّ جعفرَا
بنفسى سوادُ المسك من حيثُ أثّرَا
لئن أثّرت بالمسك سطراً(١) بخدّها
لقد أَودعتْ قلبى من الحُبِّ أسطُرا
فيا مَن مُناها فى السّريرة جعفر
سقا الله من سُقيا ثَنَاياك جعفرا

فأمر المتوكل عَريب فغنّت فيه . وقالت فضل فى ذلك :

سُلافة كالقمر الباهرِ فى قدحٍ كالكوكب الزاهرِ
يُديرها خِشْفٌ(٢) كبَدر الدُّجى فوق قَضيب أهيف ناضِرِ
إلى فتًى أروعَ من هاشم مثلِ الحسام المُرهَف الباتر

(١) فى غير التجريد : « سكرا » (٢) الخشف ، مثلثة : ولد الظبى أول ما يولد .

هي وابن الجهم وقد أمرها المتوكل أن تجيزه

وذُكر أن المتوكل قال يوماً لعليّ بن الجهم : قُل بيتاً ، وطالب فضلَ الشاعرة أن تُجيزه ، فقال عليّ : أَجيزى يا فضل :

لاذَ بهـــا يشتكى إليها فلم يَجِدْ عنـــدها مَلاذَا

فأطرقت ساعة ثم قالت :

ولم يزل ضـــارعاً إليها تَهْطِل أجـــفانُه رَذاذاً
فعـاتبوه فزاد عِشـــقاً فمـات وَجْداً فكان ماذا

شعرها الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار فضل الشاعرة ، هو :

إنّ من يَملِك رِقِّ مالِكٌ رِقّ الرِّقاب
لم يكن يا أحسنَ العا لَم هذا فى حسابى

أخبار ابن الخياط

نسبه وولاؤه
هو: عبد الله بن سالم[1] بن يونس بن سالم، مولى قُريش. وقيل: مولى هُذيل.

طبقته
شاعر ظريف، ماجن خليع، مُخضرم، من شعراء الدولة الأموية والعباسية.

انقطاعه إلى آل الزبير
وكان مُنقطعاً إلى آل الزبير بن العوام، رضى الله عنه، مدّاحاً لهم.

قدومه على المهدى
وقَدم على المهدىّ مع عَبد الله بن مُصعب، فأوصله إليه ومدحه، وأحسن المهدىّ صلته.

مدح المهدى بعد مدح فأضعف له الجائزة
وذُكر أنه دخل أبن الخياط على المهدىّ فمدحه، وأمر له بخمسين ألف درهم، ففرّقها كلَّها على الحواشى، وقال يمدحه:

لمستُ[2] بكفِّى كفَّه أبتغى الغِنى ... ولم أدْرِ أنَّ الجود من كفِّه يُعدِى

فلا أنا ممَّا قد أفاد ذوو الغِنى ... أفدتُ وأعدانى فأتلفتُ ما عِندى

فبلغ المهدىَّ هذا الشعرُ، فأضعف له الجائزة، وأمر بحملها إلى منزله، فحُملت.

كان عاقا بأبيه كان ابنه عاقا به
وذُكر أنَّ عبد الله بن سالم، المعروف بأبن الخيَّاط، كان عاقًّا بأبيه، وكان ابنه يونس عاقًّا به، فرئى يونس وهو يعصُر حَلْق أبيه، فقال له رجل: أتفعل هذا بأبيك! وخلَّصه من يده، ثم أقبل على الأب يُعزِّيه ويسكِّن منه. فقال له الأب: يا أخى، لا تَلُمه وأعلم أنه أبنى حقًّا، والله لقد خنقت أبى فى هذا

---

(١) فى غير التجريد: «عبد الله بن محمد بن سالم».

(٢) فى غير التجريد: «أخذت».

الموضع الذى خنقنى فيه ، فانصرف الرجل وهو يضحك .

من شعر ابنه له

وذُكر أنه قال يونس لأبيه :

ما زال بى ما زال بى طَعنُ أبى فى النسبِ
حتى تريَّبتُ وحتّى ســاء ظنّى بأبى

ومن شعر ابنه لابنه

ونشأ ليونس ابنٌ يقال له : دُحَيم ، فكان أعقَّ الناس به ، فقال يونس فيه :

جلا دُحَــيم عَماية الرِّيبِ والشَّكَّ منى والطعن فى نَسبى
ما زال بى الظنُّ والتشكّك حتى عقّنى مثلَ ماعققتُ أبى

من نوادر ابنه معه

وحكى يونس بن عبد الله بن الخياط قال :

جئت يوماً إلى أبى وهو جالس عنـده أصحاب له ، فوقفت عليه لأغيظه ، وقلت : ألا أنشدكم شعراً قلته بالأمس ؟ قالوا : بلى ، فأنشدتهم :

يا سائلى مَن أنا أو مَن يُناسبنى أنا الذى ما له أصلٌ ولا حَسَبُ
الـكلب يَختال فخراً حين يُبصرنى والـكلبُ أكرمُ منى حين يَنْتسب[1]
لو قال لى الناس طُرًّا أنت ألأمُنا ما وَهِم النــاسُ فى ذاكم ولا كذبوا

فوثب أبى ليضربنى . فعدوتُ بين يديه ، فجعل يشتمنى والناس يضحكون .

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار ابن الخياط ، هو :

شعره الذى فيه الغناء

أُمامــة لا أراكِ اللهُ ذُلَّ معيشــةٍ أبدا
ألا تســتصلحين فتًى وقاكِ السوء قد فَسدا
غلام كان أهلُك مرّة يدعــونه ولدا

---

(١) فى غير التجريد : « نسب » .

أخبار علي بن جبلة

نسبه ونشأته

هو: عليّ بن جَبَلة بن عبد الرحمن[1] الأنباري . ويكنى: أبا الحسن . ويلقب بالعَكَوَّك ، من أبناء الشيعة الخُراسانية ، من أهل بغداد ، وبها نشأ .

شيء عن عماه

وكان ضريراً . ويقال . إنه كان أكمه ، وهو الذي يُولد ضريراً . وقيل : عَمِي بعد أن نشأ .

منزلته في الشعر

وهو شاعر مطبوع ، عذب اللفظ جَزْله ،لطيف المعاني، مدّاح حسن التصرف .

غضب المأمون عليه وسبب ذلك

واستنفد شعره في مدح أبي دُلَف القاسم بن عيسى العِجلي ، وأبي غانم حُمَيد بن عبد الحميد الطوسي ، وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دُلف خاصة ، حتى فضل من أجله ربيعة على مُضر ،وجاوز الحدَّ في ذلك ، فيقال : إن المأمون طلبه حتى ظفر به فسَلّ لسانه من قَفاه. ويقال : بل هرب حتى مات في تواريه ولم يقدر عليه .

قال أبو الفرج : وهذا هو الصحيح من القولين ، والآخر شاذ .

شعره في مدح أبي دلف

ومن جيد المدح وفاخره قصيدتُه التي مدح بها أبا دلف ، التي أولها :

ذادَ وِرْدَ الغَيّ عن صَدَرِه وأرعوى واللهوُ من وَطَرِه
وأبتْ إلا البُكاء له ضحكاتُ الشَّيبِ في شَعَره
نَدَمي أنّ الشباب مَضى لم أبلِّغْهُ مَدَى أَشَره

ومنها :

دَع جَدَا قَحطان أو مُضر في يَمانيه وفي مُضره
وامتدح من وائل رجلًا عُصر الأيام من[2] عُصره

(١) في غير التجريد : « عبد الله » .

(٢) في غير التجريد : « عصر الآفاق في ».

المَنايا فى مَقانبه(١) والعَطايا فى ذُرى حُجره
ملكٌ تَنَدَى أنامله كانبلاج النَّوْء عن مَطره
مُستهلٌّ عن مَواهبه كابتسام الرَّوض عن زَهره
جَبل عزّت مناكبه أمِنت عَدنان فى ثُغره
إنما الدُّنيا أبو دُلَف بين باديه ومُحتضره
فإذا ولّى أبو دُلف ولّتْ الدُّنيا على أثَره
لستُ أدرى ما أقول له غيرَ أن الأرض فى خَفره
كلُّ مَن فى الأرض من عَرب بين باديه إلى حَضره
مُستعير منه مَكْرُمة يَكتسيها يومَ مُفتخره

وذُكر أن علىّ بن جَبلة قال هذه القصيدة فى أَبى دلف بعد قَتله الصُّعلوك المعروف بقُرقور، وكان من أعظم الناس بأسًا وأشدهم، وكان يقطع هو وغلمانٌ له على القوافل وعلى القُرى، وأبو دلف يجتهد فى أمره فلا يقدر عليه؛ فبينا أبو دُلف ذات يوم يتصيّد، وقد أمعن فى طلب الصيد وحدَه، إذا بقُرقور قد طلع عليه، وهو راكب فرسًا يشُق الأرض شقًّا، وأيقن أبو دلف بالهلاك وخاف أن يولّى عنه فيهلك، فحمل عليه وصاح: يافتيان، يمنة يمنة، يُوهمه أن معه خيلا قد أكمنها له. فخافه قُرْقور وعطفَ على يساره هاربًا، ولحقه أبو دلف فوضع رمحه بين كتفيه، فأخرجه من صدره، ونزل إليه فاحتز رأسه وحمله على رُمحه حتى أدخله الكَرَج.

وذكر أن رأسه حمله بين يديه عند دخول الكرج أربعةُ نفر على رُمح.

ومن هذه القصيدة فى ذكر قُرقور:

ولقُرقور أدرت رحًى لم تكُن ترتدّ فى فِكَره

(١) المقانب: جمع مقنب، وهو الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

قد تأنّيتَ البقـــاء له فأبى المحتومُ من قـَدَره
وطغى حتى رفعتَ له خُطَّة شَنعاءَ من ذِكره

إعجاب أبي تمام ببيتين له

وحكى عبد الله بن محمد بن جرير قال :
أنشدت أبا تمام الطائي يوماً من الأيام قصيدةَ عليّ بن جَبلة البائية ، فلما بلغتُ إلى قوله :

وردّ البيضَ والبيضَ(١) إلى الأغماد والحُجْبِ
كأنّ الناسَ جِسْمٌ وهْـ ـو فيهم موضع القَلْبِ

اهتز أبو تمام من قَرنه إلى قدمه ، ثم قال : أحسن والله ! لوددتُ أنّ لي هذا البيت بثلاث قصائد من شعري مكانَه .

قصيدته في رثاء حميد التي احتذاها البحتري في رثاء الثغرى

ومن جيد الشعر ونادره قصيدةُ عليّ بن جَبلة التي يرثي بها حُميداً الطُّوسي ، وأوردها أبو الفرج بطولها وقال : إنما ذكرتها على طولها لجودتها وكثرة نادرها ، وقد أخذ البُحتري معانيها فسلخها وجعلها في قصيدتيه اللتين رثى بهما أبا سعيد الثّغري ، وهما :

* انظرُ إلى العَلياء كيف تُضامُ *

و

* بأيّ أسًى تُثْنَى الدموعُ الهواملُ *

وقد أخذ أبو تمام الطائي بعض معانيها . قال : ولولا كراهة الإطالة لشرحت المواضع المأخوذة منها ، وإذا تأمل ذلك مُنتقد بصير عرفه . وقصيدة عليّ بن جَبلة هي هذه :

أللدّهر تَبكي أم على الدهر تَجزعُ وما صاحبُ الأيام إلّا مُرَوَّعُ(٢)

(١) البيض ، الأولى : السيوف ، والثانية : النساء . (٢) في غير التجريد « مفجع » .

ولو سهّلت عنك الأسى كان فى الأسى
عَزاء مُعِين للبيب ومَفْزع

تعزَّ بما عَزّيت غيرك إنها سِهام المَنايا حائماتٌ ووُقَّع(١)

أُصبنا بيوم فى حُميد لو أنه
أصاب عُروشَ الدّهر ظلّت تَضَعضع

فأدّبنا ما أدّب الناسَ قبلنا ولكنّه لم يَبْقَ للصّبر موضع

وكيف التقى مثوًى من الأرض ضَيق
على جَبَل كانت به الأرضُ تُمنع

ولمّا انقضت أيامُه انقضّت العُلا وأضحى به أنفُ النّدى وهو أجدع

وراح عدوّ الدِّين جذلانَ ينتحى أمانىّ كانت فى حَشاه تقَطَّع(٢)

وكان حُميد مَعْقلا رَكعت به قواعدُ ما كانت على الضَّيم تَركع

وكنتُ أراه كالرَّزايا رُزِئتها ولم أدر أن الخلق تبكيه أجمع

حِمام رَماه من مواضِع أمنه حِمامٌ كذاك الخطب بالخطب يقرع(٣)

لقد أدركت فينا المَنايا بثأرها وحلّت بخَطب وَهْيُه ليس يُرقع

نَعينا حُميداً للسَّرايا إذا غَدت تُذاد بأطراف الرِّماح وتُوزَع

وللهُرهق المَكروب ضاق بأمره فلم يَدْر فى حَوْماتها كيف يَصنع

وللبيض خلّتها البُعول فلم يدع لها غيره داعى الصباح المفزّع

كأنّ حُميداً لم يقُد جيش عَسكرٍ إلى عسكر أشياعُه لا تُرَوَّع

(١) فى غير التجريد: «معز ... ومقنع»

(٢) فى غير التجريد: «فى حشى منقطع».

(٣) فى غير التجريد: «يقدع».

ولم يبعث الخيل المغيرة بالضحى مراحاً ولم يرجع بها وهى ظُلَّع
رواجع يحملن النهاب ولم تكن كتائبه إلا على النهب ترجع
هوى جبلُ الدنيا المنيع وغيثُها الـ ـمَريع وحاميها الكمىّ المُشيَّع
وسيف أمير المؤمنين ورمحه ومفتاح باب الخطب والخطبُ أفظع
فأقنعه من ملكه ورباعه ونائله قفرٌ من الأرض بلقع
على أىّ شجوٍ تشتكى النفسُ بعده إلى شجوه أو يذخر الدمعَ مَدمع
ألم تر أن الشمس حال ضياؤها عليه وأضحى لونها وهو أسفع
وأوحشت الدنيا وأودى بهاؤها وأجدب مرعاها الذى كان يُمرع
وقد كانت الدنيا به مُطمئنةً فقد جُعلت أوتادها تتقلّع
بكى فقدَه روحُ الحياة كما بكى نداه الندى وابنُ السبيل المُدفّع
وأيقظ أجفاناً وكان لها الكرى ونامت عيون لم تكن قطُّ تهجع
وفارقت البيضُ الخدورَ وأُبرزت عَواطلَ حَسْرى بعده لا تقنَّع
ولكنه مقدار يومٍ ثوى به لكل امرئ منه نِهال ومَشرع
أغرّ على أسيافه ورماحه تُقسَّم أنفال الخميس وتُجمع
حَوى عن أبيه بذلَ راحته الندى وطعْن الكُلى والزاعبيّه[1] شُرَّع

جوابه عن إغراقه فى مدح حميد الطوسى

وذُكر أنه قال رجل لعلىّ بن جبلة : ما بلغتَ من مديح أحد ما بلغت فى مديحك حُميداً الطوسى . فقال : وكيف لا أفعل وأدنى ماوصل إلىّ منه أنى أهديتُ إليه قصيدة فى يوم نَيروز ، فسُرّ يومها وأمر أن يُحمل إلىّ كل ما أُهدى إليه ، فحُمل إلىّ ما قيمته مائتا ألف درهم ، وأهديت إليه قصيدة فى يوم عيد فبعث إلىّ بمثل ذلك .

(١) الزاعبية : الرماح إذا هزت كأن كعوبها يجرى بعضها فى بعض .

وقصيدته التى أهداها يوم النَّيروز هى التى يقول فيها :

حُميدُ يا قاسمَ الدنيـــا بنائلهِ وسيفُه بين أهل النُّكْث والدّينِ
أَنت الزمانُ الذى يجرى تصرُّفه على الأنام بتشــديد وتَلْيين
لو لم تــكُن كانت الأيام قد فَنِيت والمَــكرُماتومات المجدُ مُذْ حِين
صوّرك الله من مَجــدٍ ومن كرم وصَوّر الناسَ من ماء ومن طِين

إنشاده أبا دلف وإجازته إياه

و ذُكر أنّ علىّ بن جبلة دخل يوماً على أبى دُلف، فقــال له : هات مامعك يا على . فقال : إنه قليل . قال : هاته ، فــكم من قليل هو أجود من كثير ، فأنشده :

اللهُ أجرىمن الأرزاق أكثرَها على يديك فشُــكراً يا أبا دُلفِ
أُعطى أبو دُلف والريحُ عاصفةٌ حتى إذا وقفتْ أعطى ولم يَقف

فأمر له بعشرة آلاف درهم . فلمــا كان بعد مُدة دخل إليه فقال له : هات ما معك . فأنشده :

مِن مَلَكِ المــــوت إلى قاسم رسالةٌ فى بَطن قِرْطــاسِ :
يا فارس الفُرسان يوم الوَغى مُرْنى بمن شئت مِن الناس

فأمر له بألفى درهم . وكان قد تطيّر من ابتدائه فى هــذا الشعر ، فقال له : ليست هذه من عطاياك أيها الأمير . فقال : بلغ بها هذا المقدار ارتياعُنا من تحمُّلك رسالة من ملك الموت ، عليه السلام .

استئذانه عبد الله ابن طاهر فى الرجوع إلى أهله

وذُكر أن علىّ بن جبــلة قدم على عبد الله بن طاهر بخُراسان مادحاً له : فأجزل صلته . ثم استأذنه فى الرجوع ، فسأله أن يُقيم ، وكان بِرّه يتصل عنده . فلما طال مقامه اشتاق إلى أهله ، فدخل عليه فأنشده :

راعه الشَّيبُ إذ نزلْ وكَفَاه عن العَذَلْ

وأُنقضت مُـدة الصِّبى وأُنقضى اللهوُ والـغَزل
قـد لعمرى دَمَلْتُهُ بخِضاب فما أندمل
فأبْك للشَّيب إذ بدا لا على الرَّبع والطَّلل
وَصَـل الله للأمير ر عُرَى المُـلْك فاُتَّصل
مَلك عَزْمـه الزما نُ وأفعالُه الدُّول
كَسِرْوِىٌّ بمجـده يَضربُ الضاربُ المَثل
وإلى ظِلّ عِـزّه يَلجأ الخائفُ الوَجِل
كُل خَلق سِوى الإما م لإنعامه خَـوَل
ليته حـين جاد لى بالغِنى جاد بالقَفَل

فضحك وقال : أبيت إلا أن تُوحشنا ، وأجزل صلته وأذن له .

إنشاده حميداً فى رمضان

وذُكر أنه دخل علىّ بن جبلة على حُمَيد الطُّوسى فى أوّل يوم فى شهر رمضان، فأنشده :

جَعل الله مَدخل الصوم نُوراً[(١)] لحُميد ومُتْعـةً فى البقاء
فهو شهر الرَّبيـع للقُرّاء وفِراقُ النَّدمان والصَّهباء
وكأنّى أرى النَّدامى على الخسـ ف يَرْجون صُبحهم بالمساء
قد طَوى بعضُهم زيارةَ بعض وأستعاضُوا مَصاحفاً بالغِناء

ومنهـا :

بحُميد وأين مثلُ حُميـد فَخَرَت طَيِّئٌ على الأَحياء
مَلك يأمُل العِبـادُ نَداه مثلَ ما يأمُلون قَطْرَ السَّماء
صاغه الله مُطْعِم الناس فى الأرْ ض وصاغ السَّحاب للإسقاء

(١) فى غير التجريد : « فوزا » .

فأمر له بخمسة آلاف درهم، وقال له: استعن بهذه على نفقة صومك.

نشاده حميداً فى شوال وأجازته إياه

ثم دخل عليه ثانى شوال، فأنشده:

عللانى بصفو ما فى الدِّنان ... واتركا ما يقولُه العاذلان

واسبقا فاجعَ المنيّة بالعيـ ... ـش فكلٌّ على الجديدين فانى

عللانى بشَربة تُذهب الهمَّ ... وتنفى طَوارق الحِدْثان (١)

وانفُثا (٢) فى مَسامع سدَّها الصو ... مُ رُقَى الموصلىّ أو دَحمان

قد أتانا شـوّال واقتبل العَيْـ ... ـش وأعدى قَسراً على رمضان

نِعمْ عَون الفتى على نُوب الدَّهْـ ... ـر سماعُ النايات (٣) والعيـدان

وكؤوس تَجرى بماء كُروم ... ومطىُّ الكؤوس أيدى القِيان

من عُقار تُميتُ كلَّ احتشام ... وتَسُرَّ النَّدْمان بالنَّدمان

وكأن المِزاج يَقدح فيها ... شَرراً فى سَبائك العِقْيان

فاشرب الراح واعصِ مَن لام فيها ... إنها نعم (٤) عُدَّة الفِتْيان

يقول فى مدحها:

خُلقتْ راحتاه للجُود والبأ ... س وأمواله لشُكر اللِّسان

ملَّكته على العباد معدٌّ ... وأقرّت له بنو قَحطان

أَرْيحىّ النَّدى جميلُ المحيَّا ... يدُه والسَّماح مُعتقدان

وجهه مُشرقٌ إلى مُعتفيه ... ويداه بالغَيث تَنفجران

جَعل الدَّهرُ بين يَوميه قِسْميـ ... ـن بعَرْفٍ جَزل وحَرّ طِعان

(١) فى غير التجريد: «الأحزان».
(٢) فى غير التجريد: «وألقيا».
(٣) فى غير التجريد: «القيان».
(٤) التجريد: «بعض».

ومنها :

قد جعلنا إليك بعث المطايا　　هرباً من زماننا الخوّان

وحملنا الحاجاتِ فوق عِتاق　　ضامناتٍ حوائجَ الرُّكبان

ليس جُودٌ وراء جُودك يُنْتا　　ب ولا يَمتفى لغَيرك عانى

فأمر له بعشرة آلاف درهم . وقال : تلك كانت للصوم فخفّفت فخففنا ، وهذه للفِطر ، وقد زِدتنا وزدناك .

هو ومحبوبة له وحميد الطوسى

وذُكر أن علىّ بن جبلة كان يهوى جاريةً أديبةً شاعرة ، وكانت تُحبه هى أيضاً ، على عماه وقُبح وجهه وما به من الوَضَح ، وأنها زارته يوماً وأمكنته من نفسها حتى أُفتضها . قال علىّ بن جبلة : وذلك عنيتُ بقولى :

ودمٍ أهرقتُ[1] من رشأ　　لم يُرِد عَقْلاً على هَدَره

[وهى القصيدة التى مدح فيها أبو دلف[2]] . قال : ثم قصدت حُميدًا الطوسى بقصيدتى التى مدحته بها ، فلما استؤذن لى عليه أبى أن يأذن لى، وقال : قولُوا له : أى شىء بقَّيت لى بعد قولك فى أبى دلف :

إنما الدُّنيا أبو دُلف　　بين باديه ومُحتضره

فإذا ولّى أبو دُلف　　ولَّت الدنيا على أثره

فقال للحاجب : قل له : الذى قلت فيك أحسن من هذا ، فإن وصلتنى سمعتَه . فأَمر بإيصالى إليه . فأَنشدته قولى فيه :

إنما الدنيا حُميدٌ　　وعطاياه[3] العظامْ

فإذا ولّى حُميد　　فعلى الدنيا السلام

فأمر لى بمائتى دينار ، فنثرتُها فى حِجر عَشيقتى، ثم حيّيته بقصيدتى التى أولها :

دِجلةٌ تَسقى وأبو غانمٍ　　يُطعم من تَسقى من الناس

(١) فى غير التجريد : « أهدرت » . (٢) تكملة من الأغانى . (٣) فى غير التجريد : « وأياديه » .

فأمر لى بمائتى دينار . ومن هذه القصيدة :

النـاسُ جِسمٌ وإمامُ الهدى رأسٌ وأنت العـين للراس

شعره فى محبوبته وقد غضبت عليه

ومن جيد الشعر قوله فى محبوبته التى تقدم ذكرها ، وقد غضبت عليه :

تُسيء ولا تَستنكر السُّوء إنها تُدِلّ بما تبلوه عندى وتَعرِفُ

فمن أين ما استعطفتها لم تَرِقّ لى ومن أين ماجرّبتُ صَبرى يَضْعف

أقبح هجاء له

وذُكر أن أقبح ما هُجى به الناس فى ترك الضيافة قولُ علىّ بن جبلة :

أقاموا الدَّيدبان على يَفاع[1] وقالوا لا تنم للدَّيدَبان

فإن آنست شخصاً من بعيد فصفِّق بالبَنان على البَنان

تراهم خشيةَ الأضياف خُرْسًا يُقيمون[2] الصلاة بلا آذان

أنشد حميداً فأعطاه صدقة كان أعدها لرمضان

وحُكى أن حُميدا الطوسى دفع إلى كاتبه فى أول شهر رمضان ألف دينـار للصدقة ، فجاء علىّ بن جبلة فاستأذن عليه ، فأذن له ، فأنشده :

إنَّ أبا غانم حُميـدًا غيثٌ على المُنتفعين هامى

صوَّره الله سيفَ حَتْف وبابَ رِزْق على الأنام

يا مانعَ الأرض بالعَوالى والنِّعم الجمَّة العِظام

ليس من السُّوء فى مُعاذ مَن لم يكن منك فى ذِمام

وما تعمّدتُ فيك وَصفاً إلا تَقـدّمتَه أمامى

فقد تناهتْ بِك المَعالى وانقطعت مُدة الـكلام

أجِدَّ شَهراً وأبْلِ شَهرا وأسلمْ على الدَّهر ألفَ عام

فالتفت حُميد إلى كاتبه وقال : أعطه الألف الدينار حتى نُخرج للصدقة غير هذه .

---

(١) اليفاع : التل . (٢) فى غير التجريد : « ويأذنون » .

شفاعة حميد له لدى أبى دلف

وذكر أنه جاء علىّ بن جبلة إلى حُميد الطوسى مُستشفعاً به إلى أبى دُلف، وكان غَضب عليه وجفاه، فركب معه إلى أبى دُلف شافعاً له وسأله فى أمره، فأجابه، واتصل الحديث بينهما، وعلىّ بن جبلة محجوب، فكتب إليه:

لا تتركنّى بباب الدار مُطَّرحا ... والحُرّ ليس عن الأحرار يُحتجبُ

هَبنا بلا شافع جئنا ولا سَبب ... ألستَ أنت إلى مَعروفك السَّبب

فأمر بإيصاله إليه، ورضى عنه ووصله.

غضب المأمون عليه

وذُكر أن المأمون لما أدخل عليه علىّ بن جبلة قال له: إنى لستُ أستحلّ دمك لتفضيلك أبا دُلف على العرب كلها، وإدخالك فى ذلك قُريشاً، وهم آل الرسول صلى الله عليه وسلم وعِترته، ولكنى أستحللته بقولك فى شعرك وكُفرك حيث تقول القول الذى أشركت فيه، وهو:

أنتَ الذى تُنزل الأيامَ منزلَها ... وتنقُلَ الدهرَ من حال إلى حالِ

وما مددتَ مَدى طَرْفٍ إلى أحدٍ ... إلا قَضيتَ بأرزاق وآجال

كذبت يا عاضّ بَظْر أُمه، ما يقدر على ذلك أحد إلا الله عزّ وجل الواحد القهار، سُلوا لسانه من قفاه، ففعُل به ذلك.

وذُكر أنه لما بلغ المأمونَ قولُ علىّ بن جبلة لأبى دُلف:

كل من فى الأرض من عَرب ... بين باديه إلى حَضرهْ

مُستعير منك مَكرُمة ... يكتسيها يومَ مُفتخره

غضب من ذلك وقال: أطلبوه، فطُلب فلم يُقدر عليه، فلمّا اتصل به الخبر هَرب إلى الجزيرة وتوسط الشام، فظفروا به فأخذوه وحملوه إلى المأمون، فلما صار إليه قال له: يابن اللّخناء: أنت القائل لابن عيسى:

«البيتين» :

* كل من في الأرض من عرب *

جعلتنا ممن نَستعير المكارم منــه . فقال: يا أمير المؤمنين ، أنتم أهل بيتٍ لا يُقاس بكم أحد ؛ لأن الله عز وجل فضَّلكم على خلقه واُختاركم لنفسه ، وإنما عنيت بقولي أشكالَ القاسم وأقرانَه . فقال: والله ما استثنيت أحداً عن الكُل ، سُلُّوا لسانه من قَفاه .

شعره الذي فيه الغناء

والشعر الذي فيه الغناء . وافتتح به أبو الفرج أخبار عليّ بن جبـلة العَكَوَّك ، هو :

بأبي مالكَ عَنِّي مائلَ الطَّرف كليلا
وأرى برّك نَزْرا وتحفِّيك قليلا
وتُسميني عدوّا وأُسمّيك خليلا
أتعلَّمتَ سُلوا أم تبدّلتَ بديلا
أحمد الله فما أغْـ ـنى الرّجا فيك فَتيلا

أخبار أبي محمد التيمي

نسبه وولاؤه

هو: عبد الله بن أيوب. ويُكنى: أبا محمد، مولى بنى تَيم، من أهل الكوفة.

طبقته وشيء عنه

من شعراء الدولة العباسية. أحد الخلعاء المجّان الوصّافين للخمر.

وكان صديقاً لإبراهيم الموصلى وأبنه إسحاق ونديماً لهما. ثم اتصل بالبرامكة ومَدَحهم، واتصل بيزيد بن مَزيد، ولم يزل منقطعاً إليه حتى مات.

أجاز بيتاً لإبراهيم الموصلى من شعر مدح فيه الفضل

وحكى إبراهيم الموصلى قال: قلت:

* وُصف الصدُّ لمن تَهوى فصَدّ *

ثم أُرتج علىّ، فمكثتُ عشرة أيام لا يستوى لى تمامُه، فدخل علىّ التّيمى فرآنى مفكراً، فقال: ما قِصتك؟ فأخبرته، فقال:

* وبدا يَمزح بالهجر فجَدّ *

ثم أتممتها فقلت:

ماله تعدل عنّى وجهَه ... وهو لا يعدله عندى أحدْ

وخرجت إلى مَدح الفضل بن الربيع، فقلت:

قد أرادوا غِرّة الفضل وهل ... تُطلب الغِرّة من خِيس الأسَدْ

ملك ندفع ما نَخشى به ... و به يصلُح منّا ما فَسد

يفعل الناس إذا ما وَعدوا ... وإذا ما فعل الفَضلُ وَعد

فضل الرشيد مرثيته على مرثية مروان

وحكى محمد الراوية ـ الذى يقال له: البندق، وكان يقرأ شعر المُحدثين على الرشيد ـ قال: قال لى الرشيد يوماً: أنشدنى مرثية مروان بن أبى حَفصة فى معن التى يقول فيها:

كأنّ الشمسَ يوم أُصيب مَعنٌ   من الإظـلام مُلبسة جِلالاَ
هو الجبل الذى كانت معدّ   تَهِد من العدوّ به الجِبالا
أقمنا باليمامـة بعد مَعن   مُقـاماً لا نُريد به زِيالا
وقُلنا أين نذهب بعد مَعن   وقد ذَهب النّوال فلا نَوالا

فأنشدته إياها . ثم قال : أنشدنى قصيدة أبى محمـد التَّيمى فى مرثيـة يزيد ابن مزيد ، فهى والله أحبّ إلىّ من هذه ، فأنشدته :

أحقٌّ أنّه أودَى يزيـدُ   تبيّنْ أيّها النـاعى المُشيدُ
أتدرى من نَعيت وكيف فاهت   به شفتاك كان بك الصّعيد
أحامِى المجدِ والإسلام أودى   فما للأرض وَيحك لا تَميد
تأمّل هل ترى الإسلام مالتْ   دعائمه وهل شاب الوليـد
وهل شِيمت سيوفُ بنى نِزار   وهل وُضعت عن الخيل اللُّبود
وهل تَسقِى البلادَ عِشارُ مُزن   بدِرّتها وهـل يَخضرّ عُود
أما هُدّت لمصرعـه نِزار   بلى وتقوّض المجد المَشيد
وحلّ ضَريحَه إذ حلّ فيـه   طريفُ المجد والحَسب التليد
أمَا والله لا تنفكّ عيـنى   عليك بدَمعها أبدًا تَجُود
فإنْ تجمد دُموعُ لئيم قـوم   فليس لدَمع ذى حَسب جُمود
أبعد يزيدَ تختزن البَواكى   دُموعاً أو تُصان لها خُدود
لِتَبْـكك قُبة الإسلام لمّا   وَهتْ أطنابُها ووَهى العَمود
ويَبْـكك شاعرٌ لم يُبْق دهرٌ   له نَشباً وقد كَسد القصيد
فمن يدعو الإمامَ لكُلّ خَطب   ينُوب وكُل مُعضـلة تؤُود

ومن يدعو الخميس إذا تعايا بحيلة نفسه البطلُ النَّجيد (١)
فإن يهلك يزيدُ فكل حىٍّ فريسٌ للمنيَّة أو طريد
ألم تعجب له أنّ المنايا فتكنَ به وهُنّ له جنود
لقد عزّى ربيعةَ أنّ يوماً عليها مثلَ يومك لا يعود

قال : فبكى هارون الرشيد بُكاء شديداً أتسع فيه ، حتى لو كانت بين يديه سُكُرّجة لملأها من دُموعه .

أجاز للأمين شعراً أنشده فى غلامه

وذُكر أنه لما حاصر طاهرُ بن الحُسين بعساكر المأمون بغدادَ ، وبها محمد الأمين ابن الرشيد محصور ، خرج كوثر غلامه ليشاهد الحرب ، فأصابته رَجمة فى وجهه ، فجلس يبكى ، وكان محمد الأمين شديدَ الشغف به ، فوجد الأمين لما جىء به ، جعل يمسح الدم عن وجهه ، وقال :

ضربوا قُرّة عينى ومن أجلى ضربُوهُ
أخذ الله لقلبى من أُناس رجموه

وأراد زيادة الأبيات فلم يُواته ، فقال للفضل بن الربيع : مَن ها هنا من الشعراء ؟ فقال : الساعةَ رأيت عبد الله بن أيوب التّيمى . فقال : علىّ به . فلما دَخل أنشده محمدٌ الأمين هذين البيتين ، وقال : أجِزها . فقال :

ما لِمن أهوى شبيهٌ فبه الدُّنيا تتيهُ
وَصْله حُلوٌ ولكن هجره مُرٌّ كريه
مَن رأى الناسُ له الـ فضلَ عليهم حسدوه
مثل ما قد حسد القا ئمَ بالمُلك أخوه

وقال محمد الأمين : أحسنت والله ! هذا خير مما أردنا ، بحياتى يا عبّاس إلا

(٢) فى التجريد : « المجيد » .

نظرتَ : فإن كان جاء على الظهر ملأت أحمال ظهره دراهم ، وإن كان جاء فى زَورق ملأته له . فأُوقرت له ثلاثة أبغل دراهم .

صلته بالمأمون

فلما قُتل محمد الأمين وصفت الدنيا للمأمون خرج أبو محمد التَّيمى إلى خُراسان قاصداً المأْمون وأُمتدحه ، فلم يأْذن له ، فصار إلى الفضل بن سهل ذى الرياستين ، وزير المأمون ، ولجأ إليه وأُمتدحه ، فأَوصله إلى المأْمون ، فلما سلّم عليه ، قال له المأْمون : إيه يا تَيمى :

مثل ما قد حسد القا ... سمَ بالمُلك أخوه

فقال التَّيمى : بل أنا الذى أقول :

نُصر المأمون عبد الله لمّا ظلموه
نَقض العهد الذى كا ... نُوا قديماً أخذوه
لم يُعامله أخوه ... بالذى أَوصى أبوه

ثم أنشده قصيدة أُمتدحه بها :

جَزِعتَ أُبنَ تَيم أنْ علاك[١] مَشيبُ ... وبانَ شبابٌ والشَّباب حَبيبُ

فلما أنشده إياها وفرغ منها ، قال له : قد وهبتُك لله عزّ وجل ولأخى أبى العباس ، يعنى الفضل بن سهل ، وأمرت لك بعشرة آلاف درهم .

شعره الذى فيه الغناء

وحكى أبو محمد التيمى ، قال : أنشدت محمداً الأمين أول ما وَلى الخلافة :

لا بُد من سَكرة على طَرب ... لعلّ رُوحاً تُدال[٢] من كُرَب
تعاطَها[٣] صَهباءَ صافيةً ... تَضحك عن لؤلؤ وعن ذَهب
خليفةَ الله أنت مُنتخب ... لخير أُم من هاشم وأَب
أَكرمْ بأصلَيْن أنت فَرعُهما ... من الإمام[٤] المنصور فى النَّسب

(١) فى غير التجريد : « أتاك » . (٢) فى غير التجريد : «يديلى» .
(٣) غير التجريد : « فعاطنيها » .
(٤) فى غير التجريد : «أكرم بفرعين يجريان به * إلى الإمام» .

فأمر له بمائتى ألف درهم ، فصالحونى على مائة ألف درهم .

وهذه الأبيات البائية هى الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار التيمى .

أخذ معنى للحجاج فضمنه شعره

وذُكر أن الحجّاج بن يوسف كتب إلى قُتيبة بن مُسلم : إنى قد نظرت فى سنّى ، فإذا أنا ابن ثلاث وخمسين سنة ، وأنا وأنت لدةُ عامٍ واحد، وإن امرأً قد سار إلى منهل خمسين سنة لقَمِنٌ أن يَرِدَه. والسلام . فأخذ هذا المعنى أبو محمد التَّيمى وقال:

إذا ذهب القَرن الذى أنت فيهمُ وخُلِّفت فى قَرن فأنت غريبُ
وإن امرأً قد سار خَمسين حِجةً إلى مَنهل من وِرْده لقريب

أطعمه إسحاق وسقاه وغناه

وحكى أبو محمد التيمى قال : اجْتزْت بإسحاق الموصلى فقال لى : أُدخل حتى أطعمك طعاماً صِرفاً وأسقيك شراباً صرفاً . فدخلت إليه فأطعمنى لحماً مكبّباً وشواء حارًّا وبارداً مبزّراً[1] ، وسقانى شراباً صِرفاً ، وغنّانى وحدَه مرتجلا :

ولو أن أنفاسى أصابت بحرّها حديداً إذن ظلّ[2] الحديدُ يَذُوبُ
ولوأنّ عينى أُطلقت مِن وِكائها[3] لمَا كان فى عام الجُدوب جُدوب
ولو أن سَلْمى تطلُع الشمسُ دونها وأُمسى وراء الشمس وهى تَغيب
لحدّثتُ نفسى أن تُريع[4] بها النّوى وقلت لقلبى إنهـــا لقريب

فلم تزل تلك حالى حتى حُملت من بينه سكران .

استعتب ابن مسعدة فأعتبه ووصله

وذُكر أن عمرو بن مَسعدة كان عاتباً على أبى محمد التَّيمى ، فدخل التَّيمى عليه وأنشده :

---

(١) مبزراً ، أى متبل ، قد ألقيت فيه التوابل لتجود رائحته و يجود طعمه .

(٢) فى غير التجريد : «كاد» .

(٣) الوكاء : رباط القربة ، جعل حابس دمعه من هذا .

(٤) أن تريع بها النوى ، أى مخافة أن تفزعها النوى .

يا أبا الفضل كيف تغفل[١] عنى ... وتخلَّى[٢] عند الشدائد منّى
أنسيتَ الإخاء والعهدَ والوُ ... دّ حديثاً ما كان ذلك ظنِّى
أنا من قد بلوتَ فى سالف الدّهـ ... ـر مضتْ شِرّتى ولم تفْنَ سنِّى
فاصطنعْنى لِما ينوب به الدهـ ... ـر فإنى أجوز فى كل فنّ
أنا ليثٌ على عدوّك سَلْمٌ ... لك فى الحرب فابتذلنى وصُنِّى[٣]
أنا طَبٌّ بالرأى فى موضع الرأ ... ى مُعين على الخصيم المُعَنِّى
وأمين على الوَدائع والسـ ... ـرّ إذا ما هَوِيتَ أن تأتمنّى
ونَديم إذا أردت نديماً ... ومُغنٍّ إن لم يَزُرْك مُغَنِّى
وظريف عند المزاح خفيف ... فى الملاهى وفى الصِّبى مُتثنِّى
لم تخنِّى ولم أَخُنك ولا والـ ... ـله ربِّى لا خُنتُ من لم يَخُنِّى
إن أكن تُبتُ أو هجرتُ الملاهى ... وسُلافاً يُجِنُّها بطنُ دَنّ
فحديثى كالدُّر فُصِّل باليا ... قوت يجرى فى جِيدِ ظَبْى أغنّ

فأمر له بعشرة آلاف درهم ورضى عنه .

له فى غلام هوية وهوى الغلام جارية

وذكر أن التَّيمى كان يهوى غلاماً ، وكان الغلام يهوى جارية من جوارى القيان ، وكان بها مشغولا عنه ، وكانت القينة تهوى الغلام ، فقال التّيمى :

وَيلى على أهيفَ[٤] مَمْكورِ ... وساحرٍ ليس بمسحورِ
نُؤثره الحور علينا كما ... نُؤثره نحن على الحُور
عُلِّق مَن عُلِّقه فى هوى ... مُنتظم الألفة مغمور
وكل من يهواه فى أمره ... مُقلَّبٌ صَفقـة مَقمور

---

(١) فى غير التجريد : « تعقل » .
(٢) تخلى ، أى تتخلى ، فحذف إحدى التاءين . وفى غير التجريد : « أم تخلى » .
(٣) غير التجريد : « وصلنى » . (٤) غير التجريد : « أغيد » .

مما يروى له

ومما يروى للتَّيمى :

لا تَخْضَعنّ [١] لمَخلوق على طَمع | فإنّ ذاك مُضرٌّ منك بالدِّين
وارغب إلى الله ممَّا فى خَزائنه | فإنما هو بين الكاف والنون
أما ترى كُلَّ من ترجو وتسأله [٢] | من الخلائق مِسكين ابن مِسكين

(١) غير التجريد : « لا تخضعن » .

(٢) غير التجريد : « وتأمله » .

ذكر خبر جنان مع أبي نواس

ولاؤها

كانت جِنان هذه جاريةَ آل عبد الوهاب بن عبد الحميد الثقفى المحدِّث ، الذى كان ابن مناذر يَصحب ابنه عبد الحميد، ورثاه بعد وفاته. وقد تقدمت أخبارهما .

هى وأبونواس والشعر الذى فيه الغناء

وكانت حُلوة ، جميلة المنظر ، أديبة عاقلة ، ظريفة تَعرف الأخبار ، وتروى الأشعار ، فرآها أبو نُواس الحسن بن هانئ الحَكمىّ الشاعر ، فاستحلاها وأحبَّها ، فعزمت سنةً على الحج ، فقال أبو نواس : والله لا يفوتنى المسيرُ معها والحج عامى هذا ، فسبقها إلى الخروج ، بعد أن علم أنها خارجة إلى الحج ، وما كان نوى الحج ، ولا سبَّب خروجه إلى الحج إلا عزمُها ، وقال فى ذلك ـ وهو الشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج خبر جنان مع أبى نواس :

ألم تَر أنَّنى أفنيتُ عُمرى   بمَطلبِها ومطلبُها عسيرُ
فلمَّا لم أجِدْ سَبباً إليها   يُقرِّبنى وأعيتنى الأُمور
حَججتُ وقلتُ قد حَجّت جِنان   فيجمعُنى وإيَّاها المَسير

تلبية أبى نواس بشعر فى الحج

وذُكر أنه لما حجّ لبّى بشعر ورفع به صوته ، فكان يطرَب به كل من سمعه ، وهو :

إلاهَنا ما أعدلك   مَليكَ كُلِّ مَن مَلَكْ
لبّيك قد لبَّيت لك   لبَّيك إنَّ الحمد لك
والحمد والنِّعمة لك   ما خاب عبدٌ سألك[1]
أنت له حيثُ سَلك   لولاك ياربّ هلك
لبَّيك إنَّ الحمد لك   والمُلكَ لا شريك لك

---

(١) غير التجريد : « أملك » . وفى الأرجوزة هنا خلاف فى مساق أشطارها .

والليل لمّا أنْ حلك والسابحات فى الفَلك
على مجَارى المُنْسلك كُل نبىّ ومَلك
وكُل من أهلّ لك سبّح أو لبّى فلك
يا مُخطئاً ما أغفلك عجّل وبادرْ أجلك
واختم بخير عملك

ويقال : إن أبا نواس لم يَصدُق فى حُب امرأة غير جنان .

اعتذاره إليها

وذكر أنها غضبت من كلام كلّمها به أبو نواس ، فأرسل يعتذر إليها ، فقالت للرسول : قُل له : لا برَح الهجران رَبعك ، ولا بلغت أملك من أحبّتك . فرجع الرسول إليه ، فسأله عن جوابها ، فلم يخبره ، فقال :

فديتُكِ فِيمَ عَتبُك من كلامٍ نطقتِ به على وجهٍ جميلِ
وقولُك للرسول :عليك غيرى فليس إلى التواصل مِن سَبيل
فقد جاء الرسولُ له انكسار وحالٍ ما عليهـا من قَبول
ولو رَدّت جِنان مَردّ خير تبيّن ذاك فى وجه الرسول

ومما قاله فيها :

جَنان إنْ جُدتِ يامُناىَ بما آمُل لم تَقْطُر السماء دَمَا
وإن تمادَىْ ولا تماديتِ فى مَنْعك أُصْبحْ بقَفرة رِمما
عُلِّقت مَن لو أتى على أنفُس الـ ـماضين والغابرين ما نَدما
لو نظرتْ عينُه إلى حَجر ولّد فيه فُتورُها سَقما

شعره فيها بعد أن نقلت إليه امرأة خبرها

وحكى الجمّاز قال :

كنت عند أبى نواس جالساً، إذ مرّت بنا امرأة ممن تُداخل الثّقفيين، فسألها

عن جنان، وألحّ فى المسألة واستقصى، فأخبرته خبرها، وقالت : قد سمعتها تقول لصاحبة لها من غير أن تعلم أنى أسمع : ويحك، قد آذانى هذا الفتى وأبرمنى وضيّق علىّ الطرق بحدة نظره وتهتّكه، وقد لهج قلبى بذكره والفكرة فيه من كثرة فعله لذلك حتى رحمته. ثم التفتت فرأتنى، فأمسكت. فسُرَّ أبو نواس بذلك سروراً شديداً، فلما قامت المرأة أنشد يقول

يا ذا الذى عن جَنانٍ ظلّ يُخبرنى ... بالله قُل وأعِد يا طيّب الخبرِ

قال اشتكتك وقالت ما ابتُليت[1] به ... أَراه من حيثُ ما أقبلتُ فى أثرى

ويُعمِل الطَّرفَ نحوى إنْ مررتُ به ... حتى ليُخجلنى من حِدَّة النَّظر

وإنْ وقفت له كيما يكلّمنى ... فى الموضع الخِلْو لم يَنطق من الحصر

ما زال يفعل بى هذا ويُدْمنه ... حتى لقد صار من هَمّى ومن وَطَرِى

شعره إلى قاض عاب عليه وقوفه مع امرأة

وذُكر أن محمد بن حفص، قاضى البصرة، مرّ بأبى نواس، وهو يكلم امرأة فى الطريق، فقال له : اتق الله. فقال : إنها حُرمتى أيها القاضى. قال : فصُنها عن هذا الموضع وانصرف عنها. فكتب إليه أبو نواس :

إنّ التى أبصرتَها[2] ... سَحَراً أكلّمها رَسُولْ

أدّت إلىَّ رسالةً ... كادت لها نفسى تَسيل

مِن ساحر العينين يَجْـ ... ـذب خَصْرَه رِدْفٌ ثقيل

مُتقلّد قوسَ الصبا ... يَرمى وليس له[3] رَسِيل

فلو أنَّ أُذْنك عندنا[4] ... حتى تَسمَّع ما نقول

لسمعتَ ما استقبحتَه ... من أمرنا وهو الجميل

(١) فى التجريد : « ما بليت ».

(٢) التجريد : « أبصرتنى ».

(٣) رسيل : ند ومقابل.

(٤) غير التجريد : « بيننا ».

ثم وَجَّه بها ، فألقيت الرُّقعة فى الرِّقاع بين يدى القاضى ، فلما قرأها ضحك وقال : إن كانت رسولا فلا بأس .

شعره فى جنان فى مأتم

وذُكر أن أبا نواس أشرف من دار على منزل عبد الوهاب الثقفى ، وقد مات بعض أهله ، وعندهم مأتم ، وجِنان واقفة مع النساء تَلْطِم وجهها ، وفى يدها خِضاب ، فقال :

يا قَمَراً أبرزه مَــأتمُ ... يندُب شجواً بين أتراب
يَبكى فيُذْرِى الدُّرَّ من عَينه ... ويَلْطِم الوَرد بعُنّــاب
لا تبْكِ مَيْتاً حَلّ فى حُفرةٍ ... وأبكِ قَتيلاً لك بالباب
أبرزه المــأتمُ لى كارهاً ... برَغم دايات وحُجّاب
لا زال موتاً دأبُ أحبابه ... ودأب أن أبصره[1] دابى

وحَكى حُسين بن الضحاك قال :

أنشدنا سُفيان بن عُيينة قولَ أبى نواس :

يبكى فيُذْرى الدّر من عينه ... ويَلطم الورد بعُنّــاب

فعجب[2] منه ، وقال : آمنت بالذى خلقه .

وذُكر أن جِنان هَجرت أبا نواس مرة ، فأطالت هجره ، فرآها ليلة فى منامه ، وأنها قد صالحته ، فقال :

إذا التقى فى النَّوم طَيْفــانا ... عاد لنا الوصــلُ كما كانَا
يا قُرة العَين فمــا بالُنــا ... نَشقى ويلتذّ خَيــالانا
لو شِئْتِ إذ أحسنتِ بى فى الكرى ... أَتْممتِ إحسانَك يَقظــانا
وعاشقَيْن اصطلحا فى الكَرى ... وأصبحــا غَضْبى وغَضبانا
كذلك الأحــلامُ غدّارة ... وربما تَصدُق أحيــانا

(١) فى غير التجريد : « ولا تزال رؤيته دابى » . (٢) فى غير التجريد : « فعجبت ».

وذكر أنه رآها يوماً فى ديار ثقيف، فجَبهتْه بما كره ، فغضب وهجرها مدة، فأرسلت إليه رسولاً لتُصالحه ، فرده ولم يصالحها، ورآها فى النوم تطلب صُلحه، فقال:

دسّتْ له طيفَها كيما تُصالحه ... فى النَّوم حين تأبَّى الصُّلحَ يقظانا
فلم يجد عند طيفى طيفُها فرجاً ... ولا رثى لتَشَكِّيه ولا لانا
خشيتُ أنَّ خيالى لا يكون لما ... أكونُ من أجله غضبانا غَضبانا
جِنان لا تسأليني الصُّلحَ سُرعة ذا[1] ... فلم يكن هيِّناً منك الذى كانا

(١) المسموع : سرع ذا ، بالفتح والضم ، وسرعان ذا .

أخبار ابن أبي عيينة

نسبه

أبو عُيينة: اسمه، وكُنيته: أبو المنهال. وهو ابن محمد — وقيل. المنجاب — ابن أبي عُيينة بن المُهلَّب بن أبي صُفرة. واسم ابن أبي صُفرة: ظالم بن سُراق بن صُبح بن كِندىّ بن عَمرو بن عدىّ بن وائل بن الحارث بن العَتيك بن الأسد ابن عِمران بن الوضّاح بن عمرو مُزيقياء بن حارثة بن الغِطريف بن امرئ القيس البِطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد.

منزلته فى الشعر

وهو شاعر مَطبوع ظريف غَزِل هجّاء.

هجاؤه ابن عمه

وأنفد شعره فى هجاء ابن عمّه: خالد.

هو وأخوه شاعران

وكان له أخ يُقال له: عبد الله، شاعر، وهو أشعر من أخيه: عبد الله.

وقيل لعبد الله: أنت أشعر أم أخيك؟ فقال: لو كان له عِلمى لكان أشعر منّى.

شعره الذى فيه الغناء وقصته

وذُكر أن ابن أبي عُيينة كان يتعشّق فاطمةَ بنت عمر بن حَفص — الملقّب: هزار مَرْد — وكانت امرأة جليلة نبيلة سُرّية من النساء. وكان أبوها من الشُّجعان. وتزوجها عيسى بن سليمان. فكان ابن أبي عُيينة خوفاً من أبيها وزوجها يُسِرّ عشقها ويلقّبها: دنيا، كتماناً لأمرها. وقيل: إن دنيا كانت جارية لها.

فمما قاله فيها من الشعر، الشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخباره، وهو:

تَجنّى علينا آلُ مكتومةَ الذَّنبا   وكانوا لنا سَلْما فأضحَوْا لنا حَرْبا

يقولون: عَزَّ القلبَ عِند[1] ذهابه   فقلتُ ألَا طُوبايَ لو أنّ لى قَلْبا

---

(١) فى غير التجريد: «بعد».

وهذا الشعر من قصيدة جيّدة من مشهور شعره ، ومنها :

وقالوا تَجَنَّبْتنا فقلتُ أبعــدَ ما غلبتُم على قلبى بسُلطانكم غَصْبا
غِضاب وقــد ملّوا وُقوفى ببابهم ولسكنَّ دُنيا لا مَلُولا ولا غَضْبى
وقد أرسلتْ فى السرِّ : إنّى بريّة ولم تَرَ لى فيما ترى منهم ذَنْبـا
وقالت لك العُتْبى وعندى لك الرِّضى وما إنْ لهم عندى رضاء ولا عُتْبَى
ونُبِّئتُها تَلْهو إذا اشتد شـوقُها بشِعْرى كما تُلْهِى المغنِّيةُ الشَّرْبا
فأَحببتُها حُبًّـا يقرُّ بعينهـا وحُبِّى إذا أحببت لا يُشبه الحُبَّا
فيا حسرتَى نُغِّصتُ قُربَ ديارها فلا زُلفـةً منها أُرجِّى ولا قُرْبا
لقد شَمِتَ الأعداءُ أن حِيل بينها وبينى ألا للشّامتين بنـا العُقْبى

من شعره فى محبوبته

ومن جيده شعره فيها :

ضيَّعتِ عهد فتًى لعهدِك حافظٌ فى حِفظه عَجب وفى تَضْييعكِ
ونأَيْتِ عنه فمـا له من حِيلة إلاّ الوُقوف إلى أوانِ رُجوعك
متخَشِّعاً يُذْرِى عليك دموعَه أسفاً ويَعجب من جُمود دُموعك
إن تَقْتُليـه وتذهبى بفؤاده فبحُسن وجهك لا بحُسن صَنيعك

شعر له فيها أخذ البحترى معناه

ومن شعره فيها :

جئتُ قالتْ دُنيا علامَ نهارا زُرتُ هلاّ انتظرت وقتَ المساء
إن تكن مُعجباً برأيك لا تَفْـ رَقَ فاسْتَحْى يا قليلَ الحياء
ذاك إذ رُوحها ورُوحى مِزا جان كأصفَى خَمْرٍ بأعذبِ ماء

فأخذ هذا المعنى البُحترىّ فقال :

يهتزّ مثل اهتزاز الغُصن حرّكه مُرورُ غَيْث من الوَسْمىّ سَحّاح

جعلتُ حُبَّك من قَلبى بمنزلة هى المُصفاةُ[(١)] بين الماء والرّاحِ

مما يروى له من شعر

ومما يُروى لابن أبى عُيينة :

ما لا يكون فلا يكون بحيلة أبدًا وما هو كائنٌ سيكونُ

سيكون ما هو كائنٌ فى وقته وأخو الجهالة مُتْعَبٌ محزون

يَسعى القوىُّ ولا ينال بسَعيه حظًّا ويَحظى عاجزٌ ومَهين

شعر له فى محبوبته وقد بلغه أنها تزوجت

وذُكر أن أبى عُيينة بلغه أن محبوبته التى كان يُشبِّب بها قد زُوجت ، ثم بلغه أنها تُهْدَى إلى زوجها ، فقال ـ وهو من جيد الشعر :

أرى عهدَها كالورد ليس بدائم ولا خَيْرَ فيمن لا يدُوم له عَهْدُ

وعهدى لها كالآس حُسْنًا وبَهجة له نُضرة تبقى إذا ما انقضى الوَرْد

فما وَجِد العُذرىّ إذ طال وجْدُه بعَفْراء حتى سَلّ مُهجتَه الوَجْد

كوَجدِى غداةَ البين عند التقائها وقد شفّ عنها دون أترابها[(٢)] البُرْد

وقلت لأصحابى هى الشمسُ ضوؤها قريب ولكن فى تَناولها بُعْد

وإنى لمن تُهدَى إليه لحاسدٌ جرى طائرى نَحْسًا وطائرُه سَعْد

شعره فى محبوبته

ومن شِعره فى مَحبوبته ، التى كان يُسَمِّيها دنيا :

يا حُسنها يوم قالت لى مُوَدِّعة لا تَنْسَ ما قلتَ مِن فيها إلى أُذنى

كأنّنى لم أَصِل دُنْيا علَانيةً ولم أَزُر أهل دُنيا زَوْرةَ الخَتَن[(٣)]

جِسْمى مَعى غير أنّ الرُّوح عندكُم فالرُّوح فى وطَن والجِسم فى وطَن

فَلْيعجب الناسُ منّى أنّ لى جسدا لا رُوح فيه ولا رُوحٌ بلا بَدَن

(١) فى غير التجريد : « المصافاة » . (٢) فى التجريد : « أثوابها » .

(٣) الختن : زوج فتاة القوم . ومن كان من قبله من رجل أو امرأة .

من جيد شعره

ومن جيد الشعر قولُ ابن أبى عُيينة ، رواه عنه إسحاق الموصلى :

لا يكُن منك ما بدا لى بعينيـ ـك من الحب حيلةٌ[1] وخِداعا
إن يكُن فى الفؤاد شىء وإلّا فدعينى لا تقتُلينى ضَياعا
فلعلِّى إذا اقتربْتِ تبـاعد تُ وأظهرت جفوةً وامتناعا
حين نفسى لا تستطيع لما قد وقعتْ فيه من هواها ارتجاعا

شعره فى ملح داود وهجاء قبيصة

وذُكر أن ابن أبى عُيينة قصد قَبيصة بن روح بن حاتم المهلّبى ، واستماحه فلم يجد عنده ما قدّر فيه ، فخرج مُغاضباً . فوجه إليه ابنُ عمّه داود بن يزيد بن حاتم المهلّبى ، فترضّاه وأرضـاه ، وبلغ ما أحبه من بِره ومعونته ، فقال يمدحه ويهجو قَبيصة :

أقبيصَ لستَ وإن جَهِدْت بمُدرك سَعْىَ ابن عمّك ذى العُلى داوُدِ
شتّان بَينك يا قَبيص وبينه إنّ المُذمّمَ ليس بالمحْمُود
اختار داوُد بنـاءَ محامد واخترتَ أكْل شَبارق[2] وثريد
قد كان مجدُ أبيك لو أحْيَيْتَه[3] رَوحٍ أبا خلف كمجد يَزيد
لـكنْ جرى داوُد جَرْى مبرِّز يحْوى المَدى وجريتَ جَرْى بَليد
داوُد محمودٌ وأنت مُـذمّم عجباً لذاك وأنتما من عُود
ولربّ عُود قد يُشَق لمَسجد نصفٌ وسائره لحُشّ يهود
فالحُشّ أنت له وذاك لمسجدٍ كم بين مَوْضع مَسْلح وسُجود
هـذا جزاؤك يا قَبيص لأنه جادت يَداه وأنت قُفْل حَديد

---

(١) فى غير التجريد : « اللحظ ... واختداعا » .
(٢) الشبارق : جمع شبرق ، بالكسر ، وهو نبـات غض يؤكل ، ثمرته شاكة صـغيرة الجرم حمراء مثل الدم ، منبتها السباخ والقيعان .
(٣) فى غير التجريد : « لو أحببته » .

هجاؤه خالد بن يزيد وقصة ذلك

وذُكر أن خالد بن يزيد بن حاتم بن قَبيصة بن المهلب ولى جُرجان ، فسأل ابنَ عمه ابنَ أبى عيينة أن يصحبه ويخرج معه ، ووعده الإحسان والولاية وأوسع له المواعيد. وكان ابن أبى عُيينة جُنديًّا، فجرد اسمه فى جريدته وأخرج رزقه معه ، فلما حصل بجُرجان أعطاه رزقه لشهر واقتصر به على ذلك ، وتشاغل عنه وجفاه . فبلغ خالداً أن ابن أبى عيينة قد هجاه وطعن عليه و بسط لسانه فيه ، وذكره بكل قبيح عند أهل عمله ووُجوه رعيته ، فلم يقدر على معاقبته لقرابته منه ، فدعا به وقال : بلغنى أنك تريد أن تهرُب ، فإما أن أقمت لى كفيلاً برزقك أو رددتَه . فأتاه بكفيل، فأعْنته ولم يقبله ، ولم يزل يردّه حتى ضجر،فجاءه بما قبض من الرزق فأخذه ، فلجَّ ابنُ أبى عُيينة فى هجاء خالد وأكثر فيه حتى فضحه . فمما هجاه به من أبيات :

له مَنظر يُعمِى العيونَ سَماجةً ... وإن يُخْتبر يوماً فيا قُبحَ مُختبرِ[1]
أبوك لنا غَيث يُعاش بوَبله ... وأنت جَرادٌ ليس يُبقى ولا يَذَر
له أثر فى المَكرمات يَسُرنا ... وأنت تُعفِّى دائماً ذلك الأثر
لقد قنعت قَحطان خِزْياً بخالد ... فهل لكِ فيه بعدها اليوم يامُضر[2]

وذكر أنه لم يجتمع لأحــد من المُحدثين فى بيت واحد هجاء رجل ومدح أبيه ، كما اجتمع لأبى عُيينة فى البيت الثانى من هذه الأبيات .

ذكر الفضل للرشيد أهجى بيت له

وذُكر أن الفضل بن الربيع قال له الرشيد ، من أهجى المحدثين فى عصرنا ؟ قال : الذى يقول فى ابن عمه :

---

(١) فى غير التجريد : « فيا سوء » .

(٢) فى غير التجريد : « فهل لك فيه يخزك الله يا مضر » .

لو كما ينقص يزدا د إذن نال السماء
خالد لولا أبـــوه كان والكلب سواء
أنا ما عشت عليـه أسوأ النـاس ثناء
إنّ من كان مُسيئاً لحقيقٌ أن يُسـاء

فقال الرشيد : هذا ابن أبى عيينة ، ولعمرى لقد صدقت .

أخبار دعبل الخزاعي

نسبه وكنيته

هو : دِعبل بن عليّ بن رَزين بن سُليمان بن تَميم بن نَهشل بن خِراش بن خالد ابن عبد الله بن دِعبل بن أنس بن خُزيمة بن سَلامان بن أَسْلم بن أَفْصى بن حارثة ابن عَمرو بن عامر بن مُزيقياء . وقد تقدم بقية النسب . ويكنى : أبا علي .

شاعر هجاء

شاعر متقدم مَطبوع هجّاء خبيث اللسان ، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا وزرائهم ولا أولادهم، ولا ذو نباهة ، أحسن إليه أو لم يحسن ، ولا أفلت منه كبير .

تشيعه وقصيدته التائية

وكان شديد التعصب للقحطانية على النِّزارية ، وكان شيعيًّا . وله القصيدة التائية المشهورة في مدح أهل البيت عليهم السلام ، التي أولها :

مدارس آيات خَلَتْ من تلاوة ... ومنزل وَحْيٍ مُقفر العَرَصاتِ
أُناس عليٌّ الخَيْر منهم وجعفر ... وحمزة والسجّاد ذو الثفنات (١)
إذا فَخروا يوماً أتوا بمحمد ... وجبريل والقرآن (٢) والسُّورات

يقول فيها :

ألم تر أنّي من ثلاثين حِجةً ... أروحُ وأغدو دائمَ العَبرات
أرى فَيْئَهم في غيرهم مُتقسَّما ... وأيديهمُ من فَيْئهم صَفِرات
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غدٍ ... تقطّع قَلبي إثرهم حَسَرات

بينه وبين الرضى وقد أنشده هذه القصيدة

وقصد بهذه القصيدة الرضى أبا الحسن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ، رضى الله عنهم ، بخُراسان ، وكان المأمون قد أخذ بيعة الناس له بولاية العهد ، وأنه الخليفة بعده ، وأمر بنزع السواد ولباس الخُضرة .

---

(١) الثفنات : جمع ثفنة ، وهي الركبة ، يعني أن طول السجود أثر في ثفناته .

(٢) غير التجريد : « والفرقان » .

قال دعبل : فلما دخلت على علىّ بن موسى الرضى ، قال لى : أنشدنى شيئاً مما أحدثت بعدنا ، فأنشدته :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مُقفر العَرَصات

حتى انتهيتُ منها إلى قولى :

إذا وُتِروا مدُّوا إلى واتِرِيهمُ أكُفًّا من الأوتار مُنقبِضَات

قال : فبكى حتى أغمى عليه ، وأومأ إلىّ خادم على رأسه : أنْ اُسكت . فسكت ، فمكث ساعة ، ثم قال لى : أعد ، فأعدت حتى انتهيت إلى هذا الموضع أيضاً ، فأصابه مثل الذى أصابه فى المرة الأولى . وأومأ الخادم إلىّ : أن اُسكت . فسكت . ثم مكث ساعة أخرى ، ثم قال لى : أعد ، فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها . فقال لى: أحسنت ، ثلاث مرات . ثم أمر لى بعشرة آلاف درهم ممّا ضُرب باسمه . ولم تكن وقعتْ إلى أحد بعدُ . وأمر لى مَن فى منزله بحَلى كثير ، أخرجه إلىّ الخادم . قال : فقدمت العراق فبعتُ كل درهم منها بعشرة دراهم ، اشترتها منى الشيعة . فحصل لى مائة ألف درهم . فكان أول مال اعتقدته .

استوهب على الرضى ثوبا

وذُكر أنّ دعبلا استوهب علىّ الرّضى ثوباً قد لَبسه ليجعله فى أكفانه ، فخلع جُبة كانت عليه وأعطاه إياها . وبلغ أهل قُم[1] خبرُها ، فسألوا دعبلا أن يبيعهم إياها بثلاثين ألف درهم ، فلم يفعل . وخرجوا عليه فى طريقه فأخذوها غصباً وقالوا : إن شئت أن تأخذ المال فافعل ، وإلا فأنت أعلم . فقال : إنى والله لا أعطيكم إياها طوعاً ولا تنفعكم غصبا . وأشكوكم إلى الرضى عليه السلام . فصالحوه على أن أعطوه الثلاثين الألف الدرهم وفَرْد كُمٍّ من بطانتها . فرضى بذلك ، فكانت فى أكفانه . وكتب القصيدة التى أولها « مدارس آيات » فى ثوب ، وأحرم فيه لما حج ، وأمر بأن يكون فى أكفانه .

(١) قم : مدينة إسلامية مستحدثة ، تذكر مع قاشان .

بقى عمره هارباً

ولم يزل دعبل مرهوب اللسان ، وخائفاً من هجائه الخلفاء ، فهو دهرَه كله هارب متوارٍ ، وكان يقول : أنا أحمل خشبتى على كتفى منذ خمسين سنة ، ولستُ أجد أحداً يصلُبنى عليها .

ما بين ابراهيم بن المهدى والمأمون فى هجائه

وذُكر أن إبراهيم بن المهدى قال يوماً للمأمون قولاً فى دعبل يحرِّضه عليه . فضحك المأمون وقال : إنما تحرّضنى عليه لقوله فيك :

يا مَعشر الأجناد لا تَقنطوا وارضَوْا بما كان ولا تَسْخَطُوا
فسوف تُعطَوْن حُنَينيَّة[1] يلتذُّها الأمرد والأشْمط
والمَعبديات[2] لقوّادكم تَدخل الكيس[3] ولا ترْبط
وهكذا يُرزق قُوّادكم خليفة مُصحفه البَرْبَط[4]

فقال إبراهيم : قد والله هجاك أنت أيضاً يا أمير المؤمنين . قال : دع هذا عنك ، فقد عفوت عنه فى هجائه إياى لقوله هذا ، وضحك . ثم دخل أبو عبّاد وزير المأمون ، فلما رآه المأمون من بُعد قال لإبراهيم : دعبل يجسُر على أبى عباد بالهجاء ويُحجم عن أحد . فقال له إبراهيم : وكأنّ أبا عبّاد أبسط يداً منك يا أمير المؤمنين . قال : لا ، ولكنه حديد جاهل لا يؤمن ، وأنا أحلم وأصفح ، والله ما رأيت أبا عبّاد مُقبلاً إلا أضحكنى قول دعبل فيه :

أَولى الأمور بضَيعة وفساد أمر يدبِّره أبو عبّادِ
وكأنه من دَير هِزْقَل[5] مُفْلتٌ حَرِدٌ[6] يجُرُّ سَلاسل الأقياد

حر فى تشطره

وذُكر أن دِعبلاً كان أول أمره يتشطّر ويصحب الشُّطّار ، فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين العشاء والعَتمة ، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة ، وكان يروح كل ليلة بكيسه إلى منزله . فلما طَلع مُقبلاً إليهما وثبا عليه فجرحاه وأخذا

(١) حنينية : نسبة إلى حنين ، رجل يضرب به المثل فى الرجوع عن الحاجة بالخيبة .
(٢) المعبديات : سبعة أصوات تنسب إلى معبد المغنى .
(٣) الرواية فى غير التجريد : « لا تدخل الكيس » . (٤) البربط : العود .
(٥) دير هزقل : بين البصرة وعسكر مكرم . (٦) حرد : منفرد .

ما فى كُمه ، فإذا هى ثلاثُ رمانات فى خرقة ، ولم يكن كيسه معه . ومات الرجل فى مكانه . وأستتر دِعبل وصاحبه . وجدَّ أصحابُ القتيل فى طَلبهما . وجدّ السلطان فى ذلك . فطال على دِعبل الاستتار واضطرُ إلى أن هرب من الكوفة ، فما دخلها حتى كتب أهله إليه : إنه لم يبق من أولياء القتيل أحد .

وقيل : لما قال مُسلم بن الوليد صريع الغوانى : سرقته من مسلم

مُستعبر يَبكى على دِمنة ورأسه يَضحك فيه المَشيبْ

سَرقه دعبل فقال :

لا تعجبى يا سَلْمُ من رجل ضَحِك المشيبُ برأسه فبَكَى

فجاء أجودَ من قول مُسلم ، فكان أحقَّ به . وهذا البيت فيه غناء ، وقبله :

أين الشباب وأيةً سلكا لا أين يُطلب ضلّ بل هَلكا

وبعده :

يا ليت شعرى كيف نَوْمكما يا صاحبىّ إذا دَمِى سُفِكا

لا تأخُذا بظُلامَتى أحدا قلبى وطَرْفى فى دَمِى أشتركا

وذُكر أن دعبلا نُعى إليه أبن عم له من خُزاعة ، فقال يرثيه ـ قال محمد بن يزيد المبرد : ولقد أحسن فيها ما شاء : رثاؤه ابن عم له

كانت خُزاعة ملءَ الأرض ما اتسعت فقصَّ مَرُّ الليالى من حَواشيها

هذا أبو القاسم الثاوى ببَلقعة تسفى الرِّياح عليها من سوافيها

هبّت وقد علمتْ أنْ لا هُبوب به وقد يكون حسيرًا إذ يُباريها

أضحى قِرًى للمنايا إذ نَزلن به وكان فى سالف الأيام يَقْريها

وذُكر أن هذه الأبيات قالها دعبل فى أبى القاسم المُطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعى .

هو وابن المدبر

وحَكى إبراهيم بن المدبِّر، قال: لقيت دعبل بن علىّ، فقلت: أنت أحسن الناس حيث تقول:

إنّى من القوم الذين سُيوفهم قتلت أخاك وشرّفتك بمَقْعدِ
رفعُوا محلّك بعد طُول خُموله واستَنْبطوك من الحضيض الأوْهد

فقال: يا أبا إسحاق، أنا أحمل خشبتى منذ أربعين سنة فلا أجد من يَصْلبنى عليها.

قلت: وهذان البيتان من أبيات يهجو بها دعبلٌ المأمون، ويعيِّره بأنه لولا طاهر بن الحسين ونصره له لما استتبّ أمره.

هجاؤه المعتصم

وقال دعبل يهجو المعتصم، وكان بلغه أنه يريد اغتيالَه فهرب معه إلى الجبل:

بَكى لشتات الدِّين (1) مكتئبٌ صَبٌّ وفاض بفرط الدّمع من عينه غَرْبُ
وقام إمام لم يكن ذا هِداية فليس له دينٌ وليس له لُبّ
وما كانت الأنباء (2) تأتى بمثله يُملّك يوماً أو تَدين له العُرب
ولكن كما قال الذين تتابعوا من السّلف الماضين إذ عَظُم الخطب
مُلوكُ بنى العباس فى الكتب سبعة ولم تأتنا عن ثامنٍ منهمُ (3) الكُتب
كذلك أهل الكهف فى الكهف سبعة
كرام (4) إذا عُدُّوا وثامنُهم كلْب
وإنّى لأُعلى كلبَهم عنك رِفعةً لأنك ذو ذنب وليس له ذَنب
لقد ضاع مُلك النّاس إذ ساس مُلكهم
وصِيفٌ وأشناس فقد عَظُم الكرب
وفَضْل بنى مروان يُثلم ثَلمة يَظل لها الإسلام ليس له شَعْب

(1) فى التجريد: «البين».
(2) فى التجريد «الأنباء».
(3) فى غير التجريد: «لهم كتب».
(4) فى غير التجريد: «خيار».

معارضته ابن الزيات فى رثائه المأمون

ولما مات المعتصم قال وزيره محمد بن عبد الملك الزيات :

قد قلت إذ غيّبوه وانصرفوا ... فى خير قبر لخير مدفونِ
أذهب فنعم الحفيظ كنت على الدّ ... نيا ونعم المعين فى الدِّين
لن يجبر الله أمة فقدت ... مثلك إلا بمثل هارون

فقال دعبل بن علىّ يعارضه :

قد قلت إذ غيّبوه وانصرفوا ... فى شرِّ قبر لشرِّ مدفون
أذهب إلى النار والجحيم[(1)] فما ... خلّفتك إلّا من الشّياطين
ما زلت حتى عقدت بيعة من ... أضرّ بالمسلمين والدِّين

شعره فى موت المعتصم وخلافة الواثق

وقيل ، لما بلغ دعبلا نعىُ المعتصم وخلافةُ ابنه الواثق قال :

الحمد لله لا صبرٌ ولا جَلَدُ ... ولا رُقاد إذا أهلُ الهوى رقدُوا
خليفةٌ مات لم يحزن له أحد ... وآخرٌ قام لم يفرح به أحد
فمرّ هذا ومرّ الشؤم يتبعه ... وقام هذا فقام الشّؤم والنّكد

قلت:روى نِفْطويه[(2)] فى تاريخه ، وغيره : أن الواثق لما ولى الخلافة جاء دِعبل بهذه الأبيات ، فأعطاها لبعض الحجّاب ، فأوصلها إلى الواثق ، فلما قرأها الواثق غضب وطلب دعبلا ، فهرب ولم يقدر عليه .

خبر إنشاد ابن مهرويه لابن أبى داود شعراً لدعبل فيه

وحكى القاسم بن مَهْرَويه قال :

كنت عند أحمد بن المُدبّر ليلة فأنشدتهُ لدعبل فى القاضى أحمد بن أبى دُواد :

إن هذا الذى دُواد أبوه ... وإيادٌ قد أكثر الأنباء
ساحقتْ أمه ولاط أبوه ... ليت شِعرىَ عنه فمِن أين جاء
جاء من بين صخرتين صَلودَيْـ ... ـن عقامَيْن يُذنبتان الهَباء
لا سِفاح ولا نِكاح ولا ما ... يُوجب الأمّهات والآباء

(١) غير التحريد : « والعذاب » .
(٢) هو أبو عبد ابراهيم بن محمد بن عرفة الأزدى العتكى ، ومن كتبه : كتاب التاريخ . (الفهرست) .

فاستعادها أربعَ مرات ، فظننتُ أنه يريد أن يحفظها ، ثم قال : جئنى بدِعبل حتى أُوصله إلى المتوكل . فقلت له : دِعبل مَوْسوم بهجاء الُخلفاء والتشيُّع ، وإنما غايته أن يحْمَل ذكره ، فأمسك عنى . ثم لقيت دعبلا ، فحدثته . فقال : لو حضرت أنا أحمد بن المدبّر لما قدرت أن أقول أكثر مما قلت .

شعر له كتب به إلى أبى نهشل

وحكى دِعبل قال :

كتبت إلى أبى نَهشل بن حُميد :

إنما العيش فى مُنادمــة الإخـ وان لافى الُجلوس عند الكَعَابِ
و بِصرْف كأنها ألسُن البَر ق إذا أستعرضت رَقيق السّحاب
إن تكونوا تركتمُ لذة العَيـ ش حِذارَ العِقاب يوم العِقاب
فدعُونى وما ألذّ وأهـــوى وادفعُوا بى فى نَحر يوم الحساب

بينه وبين مبتدئ فى الشعر

وحكى دعبل قال :

كان لى صديق مُتخلف يقول شعراً فاسداً وأنا أنهاه عنه ، فأنشدنى يوماً :

إن ذا الُحب شديد ليس يُنجيــه الفرارُ
ونجا من كان لا يعشق من ذُل الُمخازى

فقلت : هذا لا يجوز ، البيت الأول على الراء والثانى على الزاى . فقال : لا تنقطه . فقلت : إن الأول مرفوع والثانى مكسور . فقال : أنا أقول له لا تنقطه وهو يَشْكله .

حديثه عن شعره

وذُكر أنّ دعبلا قال :

مكثت ستّين سنة ليس من يوم ٍ ذَرّ شارقُه إلا وأنا أقول فيه شعرا .

بين المأمون وأبى دلف وابن طاهر فى شأنه

وحكى عمرو بن مَسعدة قال:

حضرت أبا دلف عند المأمون ، وقد قال له المأمون : أى شىء يروى لأخى

خزاعة يا قاسم ؟ قال : وأى إخوة خزاعة يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومن تعرف فيهم شاعراً ؟ قال : أما مِن أنفسهم فأبو الشِّيص ، ودِعبل ، وداوود بن رَزِين ؛ وأما من مواليهم فطاهر ، وابنه عبد الله . فقال . ومن عسى من هؤلاء أن يُسأل عن شعره سوى دِعبل ! هات أى شىء عندك فيه . قال : وأى شىء عندى فى رجل لم يُسلِّم عليه أهلُ بيته حتى هجاهم ، فقَرَن إحسانهم بالإساءة ، وبَذْلهم بالمَنع ، وجُودهم بالبخل ، حتى جعل كل حسنة لهم بإزاء سيئة . قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول فى المُطلب بن عبد الله بن مالك ، وهو أصدق الناس وأقربهم منه ، وقد وفد إليه إلى مصر فأعطاه وولّاه ، فلم يمنعه ذلك من أن قال فيه :

اُضربْ ندَى طَلحة الطلحات مبتدئاً[1] بلُؤم مُطَّلب فينا وكُن حَكَما
تُخْرِج خُزاعة من لؤم ومن كرم فلا تُحِسّ لها لُؤماً ولا كَرَما

فقال المأمون : قاتله الله ! ما أغوصه وألطفه وأدهاه ! وجعل يضحك . ثم دخل عبد الله بن طاهر ، فقال : أى شىء تحفظ يا عبد الله لدعبل ؟ فقال : أبياتاً فى أهل بيت أمير المؤمنين . قال : هاتها . فأنشده قولَ دعبل :

سَقْياً ورَعْياً لأيام الصَّبابات أيامَ أرفُل فى أثواب لذّاتى
أيامَ غُصْنى رطيبٌ من لَيانته أصبُو إلى غير جارات وكَنّات
دعْ عنك ذِكر زمان فات مَطلبُه واقذف برَحْلك عن مَتْن الجهالات
واقْصِد بكل مَديح أنت قائله نحو الهُداة بنى بيت الكَرامات

فقال له المأمون : إنه وجد والله مقالا فقال ، ونال ببعيد ذكرهم ما لا يناله من غيرهم . ثم قال المأمون : لقد أحسن فى وصف سفر سافَره فطال ذلك السفر عليه ، فقال :

(١) فى غير التجريد : « متئدا » .

ألم يَأْنِ للسَّفْرِ الذين تحمّلوا إلى وطن قبل الممات رجوعُ
فقلتُ ولم أملك سوابقَ عَبرة نطقْن بما ضُمَّت عليه ضُلوع
تبيّن فكم دارٍ تفرّق شملُها وشملٍ شتيتٍ عاد وهو جميع
طُوال[1] الليالى صَرْفُهنّ كما ترى لكل أُناس جَذْبة وربيع

ثم قال: ما سافرت قطّ إلا كانت هذه الأبيات نُصْبَ عينى فى سَفرى وهِجِّيراى، ومُسايتى حتى أعود.

هو والسراج فى حضرة المطلب وقصة ذلك

وحكى دعبل قال:

حججتُ أنا وأخى رَزين، وأخذنا كُتباً إلى المطلب بن عبد الله بن مالك الُخزاعى، وهو بمصر يتولاها، وصحِبنا رجلٌ يُعرف بأحمد بن فلان السراج – نسى الراوى عن دعبل اسمه – فما زال يُحدِّثنا ويؤانسنا طول طريقنا، ويتولى خِدْمتنا كما يتولّاها الرفقاء والأتباع، ورأيناه حسن الأدب، وكان شاعراً ولم نعلم، وكَتمَنا نفسه، وقد علم ماقصدْنا له فعرَضْنا عليه أن نقول قصيدة فى المُطّلب وننحله إياها. فقال: إن شئتم، وأرانا سُروراً وتقبُّلا له. فعَملنا له قصيدة، وقلنا له تُنْشدها المُطلب فإنك تَنتفع بها. فقال: نعم. ووردنا مصر، فدخلنا على المُطلب، فأوصلنا إليه كُتباً كانت معنا، وأنشدناه فسُر بموضعنا، ووصفْنا له أحمد السّراج هذا وذكرنا له أمره، فأذن له فدخل عليه ونحن نظن أنه ينشده القصيدة التى نحلناه إياها. فلما مَثَل بين يديه عدل عنها وأنشده:

ما جئتُ[2] مُطَّلباً إلا بمُطّلب وهمةٍ بلغتْ بى غايةَ الرُّتَبِ
أفردتُه برجائى أن تُشاركه فىّ الوسائلُ أو ألقاه بالكُتُب

وأشار إلى كُتبى التى أوصلتها إليه، وهى بين يديه. فكان ذلك أشدَّ شىء مرّ بى منه، ثم أنشده:

(١) فى غير التجريد: «كذاك».
(٢) غير التجريد: «لم آت».

رحلتُ عَنْسًا[(١)] إلى البيت الحرام على ... ما كان من وصَبٍ فيها ومن نَصَبِ
ألقى بهـا وبوَجهى كُلَّ هاجرة ... تـكاد تَقْدح بين الجِلْد والعَصَب
حتى إذا ماقَضت نُسْكى ثَنيت لها ... عِطْف الزِّمام فأَمّت سيِّد العَرب
فيمَّمَتْك وقـــد ذابتْ مفاصلُها ... من طول ماسَغبٍ لاقت ومن تَعب[(٢)]
إنّى استجرتُ بأَسْتارين[(٣)] مُسْتلمًا ... رُكْنين مُطَّلبًا والبيتَ ذا الُحجب
فذاك للأَجَـــل المَرْجُوّ أَلْمسه ... وأنت للعاجــل المأْمول والطَّلب
هذا ثنائى وهذى مِصرُ سانحــةٌ ... وأنت أنت وقد ناديتُ من كَثَب

قال : فصاح مُطَّلب : لبيك ، لبيك . ثم قام إليه فأخذ بيده وأجلسه معه ، ثم قال : يا غـــلام : البِدَر ، فأحضرت . ثم قال : الخِلع ، فنُشرت . ثم قال : الدواب ، فقيدت . فأمر له من ذلك بما ملأ عينيه وأعيننا وصُدورنا وحسدناه عليه . وكان حَسدنا بما اتفق له من القَبول وجودة الشعر ، وغَيظنا بكتمانه إيانا نفسه واحتياله علينا ، أكثر وأعظم . فخرج بما أمر له به ، وخَرجنا صفرا .

والقصيدة التى مدح بها دِعبل الُمطَّلب ، هى التى يقول فيها :

أبعدَ مصر وبَعـــد مُطَّلب ... ترجو الغِنى إنّ ذا مِن العَجَب
إن كاثرونا جِئنـــا بأسرته ... أو واحدونا جئنـــا بمُطَّلب

ثم إن الُمطلب ولَّى دعبلاً أسوان ،

هجاؤه المطلب وعزل المطلب له عن أسوان

وهجا دعبلَ المطلبَ بعد ذلك بما تقدم ذكره ، بقوله :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عيسى » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ما نعب لاقت ومن نقب » .
(٣) روى أبو الفرج : « قال ابن المرزبان : حدثنى من سأل الرياشى عن قوله : أستاربن . قال : يجوز على معنى : أستار كذا ، أو أستار كذا » .

تُعلِّق(1) مِصْرٌ بك المُخزيا ... ت وتبصق فى وجهك المَوصِلُ
وعاديتَ قَوْماً(2) فما ضَرَّهم ... وشرَّفت قوماً فلم يَنْبُلوا
شِعارُك عند الحروب النَّجاء ... وصاحبك الأخْور الأفْشل(3)
فأنت إذا ما التقَوْا آخر ... وأنت إذا انهزموا أوّل(4)

ولما بلغ المُطَّلب هِجاء دِعبل إياه عَزله عن أسوان ، وأنفذ إليه كتاب عزله مع مولى له ، وقال له : انتظره حتى يَصعد المنبر يوم الجمعة ، فإذا علاه فأوصل إليه الكتاب وأمنعه من الخطبة ، وأنزله عن المنبر وأصعد مكانه . فلما أن علا المنبر تنحنح ليخطب ، فناوله الكتاب . فقال له دِعبل : دعنى حتى أخطب فإذا نزلت قرأته . فقال : لا ، قد أمرنى أن أمنعك الخطبة حتى تَقرأه . فقرأه ، وأنزله عن المنبر مَعزولا .

من مديحه للمطلب

ومما مدح به دِعبلٌ المطلبَ :

زَمَنى بمُطَّلب سُقِيتَ زمانا ... ما كنتَ إلا روضةً وجنانا
كل النَّدى إلّا نداك تكلُّف ... لم أرض بعدك كائناً من كانا
أصلحتنى بالبرِّ بل أفسدتنى ... وتركتَنى أتسخَّط الإحسانا

مهاجاته أبا سعد المخزومى

وذُكر أن دعبلا كان يُهاجى أبا سعد المَخزومى ، فقال كل واحد منهما فى صاحبه شعراً كثيراً لم يروه إلا العلماء بالشعر . فلما قال دعبل فى أبى سعد :

يا أبا سعد قَوْصره(5) ... زانِى الأُخت والمَره

(1) فى بعض أصول الأغانى : « تنوط » .
(2) فى بعض أصول الأغانى : « وضعت رجالا » .
(3) الرواية فى بعض أصول الأغانى :
شعارك فى الحرب يَوْم الوغى * إذا انهزموا عجلوا عجلوا
(4) الرواية فى بعض أصول الأغانى :
فأنت لأولهم آخر * وأنت لآخرهم أول
(5) القوصرة ، بتشديد الراء وتخفف : وعاء للتمر ، وكناية عن المرأة .

حفظ ذلك صبيان الكُتّاب ومارّة الطريق والسِّفل فلهجوا به . فما اجتاز المخزومىُّ بعد ذلك بموضع إلا سمع هذا الشعر من السِّفل ، فمنهم من يعرفه فيعيبه به ، ومنهم من لا يعرفه فيَسمعه منه لخفّته على لسانه .

خبره مع أبى سعد عن مصالحته ثم تهاجيهما

وحكى دعبل قال :

جاءنى أبو سعد المخزومى يوماً ببغداد أشدّ ما كان بينى وبينه من الهجاء ، وبين يدى صحيفة ودواة وأنا أهجوه فيها . إذ دخل علىّ غلامى فقال لى : أبو سعد المخزومى على الباب . فقلت له : كذبت . فقال : بلى والله يامولاى ، هو أبو سعد . فأمرته فرفع الدواة والجلد والذى كان بين يدى ، وأذنت له فى الدخول ، وجعلت أحمد الله فى نفسى وأقول : الحمد لله الذى أصلح ما بينى وبينه من هَتك الأعراض وذِكر القبيح ، وكان الابتداء منه ، فقمت إليه وسلّمت عليه وهو ضاحك مسرور ، فأظهرت له مثل ذلك من السرور به ، ثم قلت : أصبحت والله حاسداً لك . قال : على ماذا يا أباعلى؟ فقلت : لسبقك إياى إلى الفضل . فقال : أنا اليوم فى دعوتى[1] عندك . فقلت : ما أحببت . فقال : إن كان عندك ما نأكله وإلا ففى منزلى شىء مُعد . فسألت الغلمان ، فقالوا : ما عندنا إلا قِدر أمسية . فقال : غاية واتفاق جيد ، فهل عندك شىء نشرب به ، وإلا وجهتُ إلى منزلى ففيه شراب مُعد . فقلت له : عندنا ما نشرب . فطرح ثيابه وردّ دابته وقال : أحب ألّا يكون معنا غيرنا . فتغدينا وشربنا ، فلما أخذ الشراب منه قال : مُر غلاميك يُغنيانى . فأمرت الغلامين فغنّياه ، فطرب وفرح واستحسن الغناء ، حتى سرنى وأطربنى معه . ثم قال : حاجتى إليك يا أبا علىّ أن تأمرهما بأن يغنيانى فى هجائك لى . وكان الغلامان لكثرة ما يسمعانه منى فى هجائه قد حفظا منه أشياء ولحّناها . فقلت له : سبحانك الله يا أبا سعد ، قد طفئت النائرة وذهبت العداوة وانقطع الشر ، فما

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فى دعوى » .

حاجتك إلى هذا ؟ قال : ســألتك بالله إلا فعلت ، فليس يشُق ذلك علىّ ، ولو كرهته لما سألته . فقلت فى نفسى : تُرى أبا سعد يمّاجن علىّ ؟ يا غلمان ، غنّوه بما يريد . فقال : غنوا :

يا أبا سعــــد قَوصره زانىَ الأخت والمَـره

فغنّوه ، وهو يحرك رأسه وكتفيه ويُصفق ويطرب ، فما زلنا يومنا مسرورين . فلما ثمل ودّعنى وقام وانصرف ، وأمرتُ غِلمانى فخرجوا معه إلى البـاب ، فإذا غلام منهم قد انصرف إلىّ بقطعةِ قرطاس وقال : دَفعها إلىّ أبو سعد وأمرنى أن أدفعها إليك ، فإذا فيها :

لدعبلٍ نعمةٌ يَمُتّ[(١)] بهـــا فلستُ حتى الممات أنساها
أدخلنـــا داره فأطعمنا[(٢)] ودسّ أمرأتـــه فنِكْناها

فقلت : ويلى على ابن الفاعلة ، هاتوا جلدةً ودواة. فردُّوهما علىّ ، فعُدت إلى هجائه . ولقيته بعد ذلك بيومين أو ثلاثة ، فما سلّم علىّ ولا سلّمت عليه .

تحريضه الصبيان على أبى سعد

وحكى دعبل قال :

لما هاجيت أبا سعد المخزومى أخذتُ معى جوْزًا ودعوت الصبيان وأعطيتهم وقلت: صيحوا :

يا أبا ســـعد قَوصره زانى الأُخت والمـــره

فصاحوا به ، فغلبتُه .

بين المأمون والمخزومى فى شأنه

وحكى أبو سعد المَخزومى ــ وهو عيسى بن خالد بن الوليد ــ قال : أنشدت المأمون قصيدتى التى رددتُ فيها على دِعبل قولَه :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « سنة يمن » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « أدخلنا داره فأكرمنا » .

ويَسومنى المأمون خُطة عاجز　　أوَ ما رأى بالأمس رأسَ مُحَمَّدِ

وأول قصيدتى :

أخذ المشيبُ من الشباب الأغْيَدِ　　والنائباتُ من الرجالِ بمَرْصَدِ

ثم قلت : يا أمير المؤمنين : إيذن لى فى أن أجيئك برأسه ؟ فقال : لا ، هذا رجل فخر علينا ، فأما قتله فلا حُجة فيه .

قصيدته فى مدح الرضى وهجاء الرشيد وسبب ذالك

وكان المأمون لما أخذ البيعة بولاية العهد لعلىّ الرِّضى اُضطربت عليه العراق ، وخرج بها عليه عمُّه إبراهيم بن المهدى . فسار المأمون من خراسان إلى العراق ومعه الرِّضى ، فلما وصل إلى طُوس تُوفى بها الرّضى ــ رحمه الله . فقيل : إن المأمون سَمَّه . ودُفن بطُوس إلى جانب قبر الرشـيد . وأظهر المأمون الجزع عليه . فقال دعبل قصيدةً يمدح بها أهلَ البيت ــ عليهم السلام ــ يذكر دفن الرِّضى عند الرشيد ، ويمدح الرِّضى ويهجو الرشيد ، فمنها :

وليس حىٌّ من الأحياء نَعلمه　　من ذى يَمان ولا بَكْر ولا مُضَرِ
إلّا وهم شُركاء فى دِمائهمُ　　كما تشارَكَ أيسار على جُزُرِ[(١)]
قَتْل وأَسْر وتَحْريق ومَنْهبة　　فعلُ الغُزَاة بأرضِ الرُّوم والخزر
أرى أُميـة مَعذورين إن قَتلوا　　ولا أَرى لبنى العبّاس من عُذر
أُربَعْ بطُوس على القبر الزّكى إذا　　ما كنتَ تَرْبع من دَين إلى[(٢)] وطر
قبران فى طُوس : خيرُ الناس كلهمُ　　وقبرُ شرّهمُ هذا من العِبَر
ما ينفع الرِّجس من قُرب الزّكى ولا　　على الزّكىّ بقُرب الرِّجس من ضَرر
هيهات كل امرىء رَهْن بما كسبت　　له يداه فخُذ ما شئت أو فَذَر

(١) الأيسار : جمع ياسر ، وهو الذى يلى قسمة الجزور .
(٢) التجريد : « دين على » .

هو والمأمون وطاهر فى هجاء عم المأمون

ولما بلغ المأمونَ هجاء دِعبل لعمّه إبراهيم بن المهدى بقوله :

أنّى يكون ولا يكون ولم يكن[1] يَرِث الخلافةَ فاسقٌ عن فاسقِ
إن كان إبراهيم مُضطلعاً بها فلَتَصْلُحَنْ من بعده لمُخارق
ولتصلحنْ من بعد ذلك لزَلْزل ولتصلحنْ من بعده للمارِق

ضحك ، فقال : قد صفحنا عن كل ما هجانا به إذ قرن إبراهيم بمخارق المغنى فى الخلافة ، وولّاه عهده ، وكتب إلى طاهر بن الحسين بالأمان له ، وأمر له بمال . فأجازه طاهر وخلع عليه ، وأشار عليه بقصد المأمون . فلما دخل عليه قال : أنشدنى قولك :

مَدارس آيات خلتْ من تلاوة ومَنزل وحْى مُقفر العرَصات

فجزع دعبل . فقال : لك الأمان ، فلا تخف ، وقد رويتُها ولكن أحب سماعها من فِيك . فأنشده إياها إلى آخرها ، والمأمون يبكى ، حتى اخضلّت لحيته بدُموعه :

إنشاده ابن طاهر وبر ابن طاهر له

وذُكر أنه دخل دِعبل على عبد الله بن طاهر ، فأنشده :

جئتُ بلا حُرمة ولا سَبب إليك إلّا بحُرمة الأَدبِ
فاقض ذِمامى فإننى رجلٌ غيرُ مُلحٍّ عليك فى الطَّلب

فانتعل عبدُ الله بن طاهر ودخل إلى الحُرم ووجّه إليه بألف درهم ، وكتب إليه :

أعجلتَنا فأتاك عاجلُ بِرِّنا ولو انتظرتَ كثيرَه لم يَقْلُلِ
فخُذ القليلَ وكُن كأنك لم تَسل ونكون نحن كأنّنا لم نَفعل

(١) فى بعض أصول الأغانى : * أنى يكون و ليس ذاك بكائن *

حديث موته

وذُكر أن دعبلا هجا مالك بن طَوق هجاءً قبيحاً، فطلبه ، فهرب إلى البصرة ، وعليها إسحاق بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، وكان قد بلغه هجاء دعبلٍ النّزارية ، فظفر به إسحاق وأمر به فضُرب العصىّ حتى سَلَحَ ، ثم أمر به فألقى على قفاه ، وفتح فمه ورد السّلح فيه، والمقارع تأخذ رجليه ، و إسحاق يحلف ألاّ يكُف حتى يبلع سَلحه كله أو يقتله . فما رُفعت المقارع حتى بلع سلحه كله . ثم خلاّه فهرب إلى الأهواز . فبعث إليه مالك بن طوق رجلا وأعطاه سُماً وأمره أن يغتاله كيف شاء ، وجعل له على ذلك عشرة آلاف درهم . فلم يزل يطلبه حتى وجده قد نزل قرية بنواحى السُّوس ، فاغتاله فى وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة . فضرب ظهر قَدَمه بعُكاز له زجّ مسموم . فمات من غَدٍ ودُفن بتلك القرية .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار دعبل ، هو :

أين مَحلُّ الحىّ يا حادى[1] ... خَبِّر سَقاك الرّائحُ الغادِى
مُستصحب للحرب خَيفانةً ... مثل عُقاب السَّرحة العادى[2]
بين خُدور الظُّعن مَحجوبة ... حَدا بقلبى مَعها الحادى
وأسمر فى رأسه أزرق ... مثل لسان الحيّة الصادِى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ياوادى » .

(٢) الخيفانة : الفرس السريعة، شبهت بالجرادة لضمورها . والعقاب : طائر من العتاق ، يقع على الذكر والأنثى . والسرحة : من كبار الشجر .

أخبار جُعيفران الموسوس

نسبه ومولده ومنشؤه

هو: جعفر بن علىّ بن أصفر بن السرىّ بن عبد الرحمن الأنبارى، من ساكنى سُرَّ مَن رأى. ومولده ومنشؤه ببغداد.

أبوه وتشيعه

وكان أبوه من أبناء الجند الخراسانية، وكان يتشيّع ويُكثر لقاء على بن موسى، رضى الله عنه.

شىء عن حاله

وكان جُعيفران أديباً شاعراً مطبوعاً، غلبت عليه المِرّة السوداء فاختلط وبطل فى أكثر أوقاته ومعظم أحواله، ثم كان إذا أفاق وثاب إليه عقلُه وطبعه قال الشعر.

أصله

وذُكر أن أصله من العجم.

أبوه وموسى بن جعفر فى شأنه

وذُكر أنه وطئ سُرِّية لأبيه قبل أن يختلط، فشكاه أبوه إلى موسى بن جعفر — رضى الله عنهما — فقال: إن كنت صادقاً عليه فليس يموت حتى يفقد عقلَه، وإن كنت قد تحققت ذلك من فعله فلا تساكنه فى منزلك، ولا تُعطه من مالك شيئاً فى حياتك، وأخرجه من ميراثك بعد وفاتك. فأخرجه أبوه من منزله، وزَوى ماله عنه. ثم مات أبوه واختلط هو، كما قال موسى بن جعفر.

صياح الصبيان به وشعره فى ذلك

وذكر بعضُهم قال:

غاب عنا جُعيفران أياماً ثم جاءنا والصّبيان يُنشدون خلفه، وهو عُريان، ويصيحون به: يا جُعيفران، يا خرا فى الدار. فلما بلغ إلىّ وقف وتفرّقوا عنه، فقال لى: يا أبا عبد الله:

رأيت الناس يدعونى ... بمجنون على حالِ
وما بى اليومَ من جِنٍّ ... ولا وَسواس بَلْبالِ

ولكنْ قولهُم هـذا لإفلاسى و إقـــلالى
فـلو كنتُ أخَا وَفْر رخيًّا ناعمَ البـــال
رأونى حسنَ العقـل أحُلّ المنزل العـــالى
وما ذاك علىخُـــبْر ولـكنْ هَيبة المـــال

قال : فأدخلته منزلى . فأكل ، وسقيته أقداحاً ، ثم قلت له : أتقدر على أن تغيّر تلك القافية ؟ فقال : نعم . ثم قال بديهة غيرَ مفكر ولا متوقِّف :

رأيت النـــاس يَرمو نِى أحياناً بوَسْواسِ
ومَن يضبطُ يا صـاح مَقال الناس فى النّاس
فدَعْ ما قاله الناسُ ونازع صَفوة الـكاس
فـتًى حُرًّا صحيح الوُ دّ ذا بِرّ وإينـــاس
فإنّ الخلق مَغرور بأمثـــالى وأجناسى
ولو كنتُ أخَا مالٍ أتوْنى بين جُـــلّاسى
يُحـيونى ويَحـــبونى على العينين والراس
ويدعـونى عزيزاً غيـ ر أنّ الذُّل إفلاسى

ثم قام يبُول ، فقال بعض من حضر : أى شىء معنى عشرتنا هذا المجنون العُريانَ ، والله ما نأتمنه وهو صاحٍ ، فـكيف إذا سكر . وفطن للمعنى ، فخرج إلينا وقال :

ونَدامَى أ كلـــونى أن [1] تغيَّبتُ قليـــلاَ
زعمـــوا أنّىَ مَجنـ ـون أرى العُرى جَميلا
كيف لا أعرى وما أُبصر فى الناس مَثيلا
إن يكن قد ساءكم قُرُ بى فخلُّوا لى السبيلا
وأتِموا يومـــكم سرّ كمُ الله طويـــلا

(١) غير التجريد : « أو » .

فاعتذرنا إليه ، وقلنا له : والله ما نلذ إلا بقربك ، وأتيناه بثوب فلبسه ، وأتممنا يومنا معه .

دخوله على أبى دلف

وحكى علىّ بن يوسف قال :

كنت عند أبى دُلف يوماً ، فاستأذن عليه حاجبهُ لُجعيفران الموسوس ، فقال له : أى شيء أصنع بموسوس ؟ قد قضينا حقوق العُقلاء وبقى علينا حقوق المجانين ! فقلت له : جُعلت فداء الأمير ، موسوس أفضل من كثير من العقلاء ، وإن له لساناً يُتقى ، وقولاً مأثوراً يبقى ، فالله الله أن تحجُبه ، فليس عليك منه أذى ولا ثِقل . فأذن له . فلما مثل بين يديه قال :

يا أكرمَ العالمَ موجودًا ويا أعزَّ النـاس مَفقودَا
لمّا سألتُ الناس عن واحد أصبح بين الناس محْمودا
قالوا جميعاً إنه قاسم أشبه آباءً له صِيدا
لو عَبَدَ الناسُ سوى ربّهم أصبحتَ بين الناس مَعبودا
لا زلت فى نُعمى وفى غبطة مُكرّماً فى الناس محَسودا

فأمر له بألف درهم وكسوة . فلما جيء بالدراهم أخذ منها عشرة دراهم ، وقال: تأمر القَهرمان أن يعطينى الباقى مفرّقاً كلما جئت ، لئلا يضيع منى ، فقال للقهرمان: أعطه المال ، وكلما جاءك فأعطه منه ماشاء حتى يفرّق الموت بيننا . فبكى جُعيفران، ثم قال :

يموت هـذا الذى أراه وكل شيء له نفـادُ
لو غيرَ ذى العرش دام شيء لدام ذا المُفضل الجواد

ثم خرج . فقال أبو دلف : أنت كنت أعلمَ به منى . ثم غبر مدة ثم لقينى ، فقال : يا أبا الحسن ، ماذا فعل أميرنا وسيدنا وكيف حاله ؟ فقلت : بخير ، وهو على

غاية الشوق إليك . فقال : أنا والله يا أخى إليه أشوق ، ولـكنى أعرف أهل هذا العسكر وشرههم وإلحاحهم عليه بالمسألة ، والله ما أراهم يتركونه حتى يخرج فقيرا . فقلت له : دع هذا عنك وزُرْه ، فإن كثرة السؤال لا تضُر بماله . فقال : وكيف ، أهو أيسر من الخليفة ؟ فقلت : لا . فقال : والله لو تبذَّل لهم الخليفــة كما يتبذَّل لهم أبو دلف ، وأطعمهم فى ماله كما يُطعمهم لأفقروه فى يومين ، ولـكن أسمع منى ما قلته فى وقتى هذا . فقلت : هات أبا الفضل . فأنشأ يقول :

أبا حسن بلِّغن قاسماً ... بأنِّىَ لم أجفُهُ عن قِلَى
ولا عن مَلال لإتيانه ... ولا عن صُدود ولا عن عَنا
ولـكن تعففّتُ عن ماله ... وأصفيتُه مِدْحتى والثَّنا
أبو دُلف سيّد ماجد ... سنىّ العطيّة رَحب الفِنا
كريم إذا أنتــابه المعتفو ... ن عَمَّهمُ بجَزيل الحِبـا

قال : فأبلغتها أبا دلف وحدّثته بالذى جرى . فقال لى : قد لقيته منذ أيام ، فلما رأيته وقفت له وسلَّمت عليه ، فقال لى : سِرْ أيها الأمير . ثم قال :

يا مُعدىَ الُجود على الأموال ... ويا كريمَ النفس والفَعَـالِ
قد صُنتنى عن ذِلة السؤال ... بجُودك المُوفى على الآمـــال
صانك ذو العزّة والجـــلال ... من غِـيَرِ الأيّام والليالى

ولم يزل يختلف إلى أبى دُلف ويبرّه حتى افترقا .

وذكر أن جُعيفران كان خبيث اللسان هجّاء ، لا يسلم عليه أحد . فاطلع يوماً فى الُجب فرأى وجهه وقد تغيَّر وعفا شعره[1] ، فقال يهجو نفسه : هجاؤه نفسه

(١) عفا شعره : طال وكثر .

ما جعفر لأَبيــــه ولا له بشَبيــــهِ
أضحى لقوم كثير فكُلّهم يدّعيــــه
هــــذا يقول بُنَيِّى وذا يُخــاصم فيه
والأُم تَضحك منهم لعِلْمها بأبيــــه

أخبار السَّرِىّ

نسبه

ثم ذكر أبو الفرج :

السرىّ بن عبد الرحمن بن عُتبة بن عُوَيم بن ساعدة الأنصارى ، وجدُّه عُوَيم أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

منزلته فى الشعر

والسرى شاعر من شعراء أهل المدينة ، ليس بمُكثر ولا فَحْل ، وكان أحد الغزلين ، والفتيان ، والمنادمين على الشراب .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج ذكره ، هو :

ولها مَربع ببُرقةِ خَاخ ومَصيف بالقَصْر قَصر قُباء[1]
كفّنونى إن مِتّ فى دِرع أَروى وأُجعلوا لى من بئر عُروة مائى
سُخنة فى الشتاء باردة الصَّيـ ف سِراجٌ فى الليلة الظلماء

(١) خاخ : موضع بين الحرمين . وقباء : موضع بين مكة والبصرة .

أخبار مِسكين الدّارمىّ

نسبه

هو : رَبيعة بن عامر بن أُنيف بن شُريح بن عمرو بن زيد بن عبد الله بن عُدس ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم .

لقبه وسبب ذلك

ومسكين ، لقب له ، وإنما لُقب به لقوله :

أنا مسكينٌ لمن أنكرنى ... ولمن يَعرفنى جِدٌّ نَطِقْ
لا أَبيع الناسَ عِرضى إننى ... لو أَبيع الناس عِرضى لنَفَق

وقال فيه أيضاً :

سُمِّيتُ مِسْكيناً وكانت لحاجة[1] ... وإنّى لمسكينٌ إلى الله راغبُ

هو والفرزدق

وهو شاعر شريف من سادات قومه، هاجى الفرزدق ثم كافه ، فكان الفرزدق يَعُد ذلك فى الشدائد التى أفلت منها .

رثاؤه لمسكين الدارمى ومعارضة الفرزدق له

وذُكر أنّ زيادا كان قد أرعى مسكيناً الدارمى حِمًى له بناحية العُذَيب[2] فى عام قَحط ، حتى أخصب الناس وأحيَوا ، ثم كتب له ببُر وتمر وكَساه . فلما مات زياد رثاه مِسكين ، فقال :

رأيتُ زيادةَ الإسلام ولّتْ ... جِهارًا حين ودّعَنا زِيادُ

فقال الفرزدق يعارضه ، وكان منحرفاً عن زياد لطلبه إياه وإخافته له :

أمسكينُ أبكَى الله عينَك إنما ... جَرى فى ضلالٍ دمعُها إذ تحدّرا[3]

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لحاجة » .

(٢) العذيب : ماء بينه وبين القادسيه أربعة أميال .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « فتحدرا » مكان « إذ تحدرا » .

بكيتَ على عِلْج بمَيسانَ(١) كافرٍ   كَكِسْرى على عُدوانه أو كقَيْصرى
أقول له لمّا أتانى نَعيّـــــه   به لا بظَبْىٍ بالصَّرِيمــة أعْفرا(٢)

فقال مسكين يُجيبه :

ألا أيها المرء الذى لستُ قاعداً   ولا قائماً فى القوم إلا أنبرى لِيَا
فجئنى بعمٍّ مثــل عمّىَ أو أبٍ   كمثل أبى أو خالِ صِدْق كخاليا
كعمرو بن عمرو أو زُرارةَ ذى النّدى   أو البِشر من كُلٍّ فرعتُ الرّوابيا

فأمسك الفرزدق عنه ولم يُجبه وتكافّا .

وذُكر أن الفرزدق قال :

نجوت من ثلاثة أشياء ما أخاف بعدها شيئاً : نجوت من زياد حين طلبنى ، ونجوت من أبنى رُميلة وقد نَذَرا دمى ، وما فاتهما أحد طلباه قط ، ونجوت من مهاجاة مسكين الدارمى ، لأنه لو هاجانى لأضطرنى إلى أن أهدم شَطر حَسبى وفخرى ، لأنه من محبوبة نَسبى وأشراف عشيرتى ، وكان جرير يومئذ ينتصف منّى بيدى ولسانى .

وقال أبو عبيدة : أشعر ما قيل فى الغَيرة قولُ مِسكين الدارمى :

ألا أيها الغــائر المُستشيـ   ـط فيما تَغــار إذا لم تُغرْ
فما خيرُ عِرْس إذا خِفتَها   وما خـير عِرس إذا لم تزَر
وإنى سأُخلى لهـــا بيتها   فتحفظ لى نَفْسها أو تذر
تغار على الناس أن ينظُروا   وهل يَفتن الصالحاتِ النّظر
إذا الله لم يُعطنى حُبّهـا   فلن يُعْطِىَ الحُبّ سَوْطٌ مُمر

(١) ميسان : كورة واسعة بين البصرة وواسط .
(٢) الصريمة : موضع ، ذكره ياقوت ولم يعرف به .

استشهد بشر فى كتابه إلى عبد العزيز ابن مروان ببيتين له

وذُكر أن عبد العزيز بن مروان كتب إلى أخيه بِشْر بن مروان كتاباً ، وبِشْر يومئذ على العراق . فورد عليه الكتاب وهو ثَمِل ، وكان فيه كلام أحفظه ، فأمر بِشْر كاتبه ، فأجاب عبد العزيز جواباً قبيحاً ، فلما ورد عليه عَلِم أنه كتبه وهو سكران ، فجفاه وقطع مُكاتبته . فكتب إليه بشر : لولا الهفوة لم أحتج إلى العذر ، ولم يكن لك فى قبوله منى الفضل ، ولو احتمل الكتابُ أكثرَ مما ضمّنتُه[1] لزدت فيه ، وبقية الأكابر على الأصاغر من شيم الكرام ، ولقد أحسن مسكين الدارمى حيث يقول :

أخاك أخاك إنّ من لا أخا له ... كساعٍ إلى الهَيجا بغير سِلاحِ
وإن ابن أم المرء[2] فاعلم جَناحه ... وهل يَنهض البازى بغير جَناحِ

فلما وصل كتابه إلى عبد العزيز دمعت عينه وقال : إن أخى كان منتشياً لمّا جرى منه ما جرى ، فسلوا عمن شهد ذلك المجلس ، فسئل عنهم ، فأُخبر بهم . فكتب إليه بقبوله عذره . وأقسم عليه ألّا يعاشر أحداً من نُدمائه الذين حضروا ذلك ، وأن يعزل كاتبه ، ففعل .

شعره فى تولية يزيد بن معاوية وحديث ذلك

وذكر أن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان كان يؤثر مسكيناً الدارمى ويقوم بحوائجه عند أبيه . فلما أراد معاوية البيعة بولاية العهد ليزيد تهيّب ذلك وخاف ألّا يمالئه عليه الناس لحُسن البقية فيهم ، وكثرة من يترشح للخلافة . وبلغه فى ذلك ذَرْو[3] كلام بلغه من سعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر ، فأمر يزيد بن معاوية مسكيناً أن يقول أبياتاً ويُنشدها معاوية فى مجلسه ، إذا كان حافلا وحضره وجوه بنى أمية ، فلما اتفق ذلك دخل مسكين إليه وهو جالس ، ويزيد ابنه عن يمينه ، وبنو أمية وأشراف الناس فى مجلسه ، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ضممنه » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وإن ابن عم المرء » .
(٣) ذرو كلام : أى طرف منه .

إنْ أُدْعَ مِسْكيناً فإنِّى ابنُ معشر من النـاس أَحمِى عنهمُ وأذُودُ
إليك أمـيرَ المؤمنين رحلتُها تُثير القَطا ليلاً وهُنّ هُجود
وهاجرة ظلّت كأن ظباءها إذا ما اتقتْها بالقُرون سُجود
ألا ليت شعرى ما يقول ابنُ عامر ومروان أم ماذا يقول سعيد
بَنِى خُلفاء الله مهـلاً فإنما يُبوِّئُهـا الرحمنَ حيثُ يُريد
إذا المِنبر الغربىّ خـلاه ربُّه فإن أمـير المؤمنين يَزيد

فقال معاوية : ننظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله . ولم يتـكلم أحد من بنى أُمية إلا بالإقرار والموافقة ، وذلك الذى أراده يزيد ليعلم ما عندهم . ثم وصله معاوية ويزيد فأجزلا صلته .

عقيد المغنى والرشيد فى شعر مسكين هذا

وحكى عَقيد المُغنى قال :

غنيتُ الرشيد ليلة :

* إذا المنـبر الغربىّ خلاّه ربُّه *

ثم فَطنت لخطئى ، ورأيت وجهه قد تغير ، فقلت :

* فإن أمير المؤمنين[1] عَقيـد *

فطرب وقال : أحسنت والله ، بحياتى قل : « فإن أمير المؤمنين عقيد » فوالله لأنت أحق بها من يزيد بن معاوية ، فتعاظمتُ ذلك ، فحلف ألاّ أغنيه إلا كما أمر ، ففعلت ، وشرب عليه ثلاثة أرطال ووصلنى صلة سنية .

هو وامرأته فى شعر له

وذُكر أنه كان لمسكين الدارمى امرأة من مِنْقر[2] ، وكانت فاركاً كثيرة الخصومة والمماظّة[3] ، فجازت به يوماً وهو فى نادى قومه يُنشد قوله :

(١) فى بعض أصول الأغانى: « المحسنين » .
(٢) منقر ، على وزن منبر : بطن من تميم .
(٣) المماظة : المخاصمة والمشاتمة .

إن كنت[١] مسكيناً فما قَصَّرت قِدْرى بيوت الحىّ والجُدْر

فوقفت تَسمع منه ، حتى إذا بلغ إلى قوله :

نارى ونار الجــار واحدة وإليه قَبلى تُنزَل القِــدْر

فقالت : صدقت والله ، يجلس جارك بطبخ قدره فتصطلى بناره ، ثم ينزلها فيجلس فيأكل وأنت بحذائه مثل الكلب ، فإذا شبع أطعمك . أجل والله إن القِدر لتنزل إليه قبلك . فأعرض عنها ومرّ فى قصيدته حتى بلغ فيها إلى قوله :

ما ضرّ جــارًا لى أجاوره ألّا يكون لبــابه[٢] سِتر

فقالت له : أجل : إن كان له ستر هتكته . فوثب إليها يضربها ، وجعل قومه يضحكون منهما .

قال أبو الفرج :

وهذه القصيدة من جيد شعر مسكين وفاخره .

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار مسكين :

سَلب الشباب[٣] رداءه عنِّى ويَتبعــه إزارُهْ

ولقــد تحلُ علىّ حُــلَّته ويُعجبنى افتخـاره

سائلْ شبابى هل أسأْ ت مِساكه[٤] أو ذلّ جاره

ما إن ملـكت المال إلـــلا كان لى وله خِيــاره

(١) فى بعض أصول الأغانى : « إن أك » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « لبيته » .
(٣) فى التجريد : « الزمان » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « سائل شبابى هل مسكت بسوأة » .

أخبار أبي محمد اليزيدي

و بعض أولاده

هو: يحيى بن المبارك، أحد بني عدىّ بن عبدشمس بن زيد بن مناة بن تميم. نسبه
وقيل: إنه مولاهم.

وسمي اليزيدى، لأنه كان خرج مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ابن على - رضى الله عنهم - بالبصرة لما خرج على المنصور. فلما قُتل إبراهيم توارى زماناً، ثم اتصل بعد ذلك بيزيد بن منصور خال المهدى، فوصله بالرشيد، فنُسب إلى يزيد هذا. وجعله الرشيد مؤدب ولده المأمون. فلم يزل هو وأولاده مُنقطعين إلى المأمون وولده. سبب تلقيبه باليزيدى

وكان أبو محمد عالماً باللغة والنحو، راوية للشعر، متصرفاً فى فنونه. وأخذ العلم عن أبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب النحوى، وأكابر البصريين. وقرأ القرآن على أبي عمرو بن العلاء، وأخذ عنه قراءة أبي عمر الدّورى[1] والسُّوسى[2]. فقراءة أبي عمرو التى نقرأ بها الآن مأخوذة عن أبي محمد هذا. علمه وشيوخه

وله أولاد وأولاد أولاد شعراء، سنذكر بعضهم إن شاء الله تعالى.

وحكى أبو محمد اليزيدى قال: شعره فى ضرب المأمون رؤوس أسرى فى حضرة الرشيد

كان الرشيد جالساً فى مجلسه فأُتى بأسير من الروم، فقال لدفافة العبسى: قم فاُضرب عنقه، فضربه فنَبا سيفه. فقال لابن فايح المدنى: قم فاُضرب عنقه:

---

(١) الدورى: حفص بن عمر أبو عمر. إمام القراء فى عصره. توفى سنة ٢٤٦ هـ (النشر ١: ١٣٤، وطبقات القراء ١: ٢٥٥).

(٢) السوسى: صالح بن زياد الرقى أبو شعيب، قارئ ضابط. توفى سنة ٢٦١ هـ (النشر ١: ١٣٤، وطبقات القراء ١: ٣٣٣).

فضرب به فنَبا سيفه أيضاً . فقال : أصلح الله أمير المؤمنين، تقدّمتنى ضربة عبسيّة .
فقال الرشيد للمأمون ــ وهو يومئذ غلام ــ :

قم فداك أبوك فاضرب عنقه ، فقام فضرب العلجَ فأبان رأسه ، ثم دعا بآخر فأمره بضرب عنقه ، فضرب به فأبان رأســه . ثم دعا بآخر فأمره بضرب عنقه ، فضرب به فأبان رأسه . ونظر إلىّ المأمون نظر مُستنطق فقلت :

أبقى دفاقة عاراً عند[1] ضَرْبته ... عند الإمام لعَبْس آخرَ الأبَدِ
كذاك أُسرته تَنْبو سيوفهمُ ... كسيف وَرْقاء لم يَقطع ولم يَكد
ما بال سيفُك قد خانتك ضربتُه ... وقد ضربتَ بسيف غير ذى أَوَد
هلّا كضَربة عبد الله إذ وقعت ... ففرّقت بين رأس العِلج والجسد

شعره حين خطب المأمون الناس

ولما بلغ المأمونُ وصار إلى حدّ الرجال أمر الرشيد مُعَلّمه أبا محمد اليزيدى أن يعمل له خطبة يخطب بها يوم الجمعة ، فعمل له خطبة بليغة . فخطب بها المأمون ، وكان جهير الصوت حسن اللهجة ، فرقّت لها قلوب الناس وأبكى من سمعه . فقال أبو محمد اليزيدى قصيدة أولها :

لِتَهْن أميرَ المؤمنين كرامةٌ ... عليه بها شكرُ الإله وُجوبُ
بأن ولىّ العهد مأمون هاشم ... بدا فضلُه إذْ قام وهْو خَطيب
ولمّا رماه الناس من كُل جانب ... بأبصارهم والعُود منــه صَليب
رَماهم بقول أنصــتوا عجباً له ... وفى دونه للسامعين عَجيب
ولما وعت آذنهم ما أتى به ... أنابت ورقّت عند ذاك قُلوب
فأبكى عُيونَ الناس أبلغُ واعظ ... أغرّ بِطاحىّ النّجــــار نَجيب

ومنها :

شَبيه أمــــير المؤمنين حَزامةً ... إذا وردت يوماً عليه خُطوب
إذا طاب أصلٌ فى عُروق مُشاجة[2] ... فأغصانه من طيبه ستَطيب

(١) فى أصول الأغانى: « بعد » .
(٢) التجريد: « مشاح عروقه » .

فأمر الرشيد لأبي محمد بخمسين ألف درهم ، ولابنه ابن أبي محمد بمثلها .

شعره للرشيد بعد حجه

وذكر أنه استأذن أبو محمد اليزيدى الرشيد ، وهو بالرقة ، فى الحج ، فأذن له . فلما عاد أنشده :

يا فَرْحتا إذ صَرفنا أوجُه الإبلِ إلى الأَحبَّة بالإزعاج والعَجلِ
نحثُهنّ ولا يُونين من دَأَبٍ لكنّ للشّوق حثًّا ليس للإبلِ
يا نائياً قرّبت منه وساوسُه أمسى قرينَ الهوى والشوقِ والوَجل
إن طال عهدُك بالأحباب مُغتربًا فإنّ عهدك بالتّسهيد لم يَطُل
أمَا اشتفى الدهرَ من حرّان مُختبلٌ صَبٌّ الفؤاد إلى حَرّان مُختبل
عِشْ بالرجاء وأمِّل قُربَ دارهمُ لعلّ نفسكَ أنْ تبقى مع الأمل

شعره الذى فيه الغناء

والبيتان الأولان من هذه الأبيات ، هما الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبي محمد اليزيدى ، رحمه الله .

أخبار محمد اليزيدى

شاعر مجيد

وكان محمد بن أبى محمد اليزيدى شاعراً فاضلا .

سرقاته

وحُكى عنه أنه قال :

ما سرقت من الشعر قطُّ إلا معنيين ، قال مُسلم بن الوليد :

ذاك ظبىٌ تحيَّر الحسنُ فى الأَر كان منه وحَلَّ كُلَّ مكانِ
عرضتْ دونه الحِجالُ فما يَلْ قاك إلا فى النَّوم أو فى الأمانى

فقلت :

يا بعيدَ الدار موصو لاً بقلبى ولِسانِى
ربما باعدَك الدَّه ر فأَدنتْك الأمانى

وقال مُسلم :

متى ما تَسمعى بقَتيل حُبّ[1] أُصيب فإننى ذاك القَتيلُ

فقلت :

أَتيتُكِ عائذاً بك منْ كِ لمَّا ضاقت الحِيَلُ
وصيَّرنى هواكِ وبى لَحَيْنِى يُضرب المَثَلُ
فإن سلمتْ لكم نفسى فما لاقيتُه جَلَل
وإنْ قَتل الهوَى رجُلاً فإنّى ذلك الرجلُ

شعره فى قنفذ

وحكى عبد الله بن أيوب ، مولى بنى أُمية ، قال :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أرض » .

بات عندى ليلةً محمدُ بن أبى محمد اليزيدى ، فظهر لنا قُنفذ ، فقلت له : قل فيه شيئاً ، فقال :

وطارق ليـلٍ زارنا بعد هَجعةٍ ... من الليل إلا ما تحدّث سامِرُ
فقلتُ لعبد الله ما طارقٌ أتى ... فقال أمروٌ سِيقت إليه المَقادر
قَرَيْناه صَفْوَ الزّاد حينَ رأينه ... وقد جاء خفّاقَ الحَشى وهو سادِر
جَميل المُحيّا فى الرّضَى فإذا أَبَى ... حَمتْه من الضَّيم الرِّماحُ الشواجر
ولستَ تراه واضعاً لسـلاحه ... يدَ الدهر مَوْتوراً ولا هو واتِر

دخوله إلى المأمون فى حجبة له

وذُكر أنه جاء محمد بن أبى محمد اليزيدى إلى باب المأمون ، فاستأذن ؛ فقال له الحاجب : قد أخذ دواءً وأمرنى ألّا آذن لأحد . قال : أفأمرك ألّا توصل إليه رقعة ؟ قال : لا . فدفع إليه رقعة فيها :

هديّتى التحيـةُ للإمام ... إمامِ العَدل والمَلِك الهُمام
لأنى لو بذلتُ له حياتى ... وما أهوى لَقَلَّا للإمام
أراكَ من الدواء اللهُ نَفعاً ... وعافيةً تـكون إلى تَمام
وأعقبكَ السلامةَ منه ربٌّ ... يُريك سلامةً فى كُل عام
أتأذن فى السلام بلاَ كلام ... سوى تقبيل كفِّك والسلام

فأوصلها إليه ، وخرج فأذن له ، فدخل وسلّم ، وحُملت معه ألف دينار .

شكا إلى المأمون ديناً فوفاه ابن طاهر وقصة ذلك

حكى محمد بن بن أبى محمد اليزيدى قال :

شكوت إلى المأمون دَيناً . فقال لى : إن عبد الله بن طاهر اليوم عندى وأريد الخلوة معه ، فإذا علمت بذلك فاُستَدْعِ أن تكون ثالثاً(١) أو أُخرجه إليك ، فإنى

(١) بعض أصول الأغانى: « فاستدع أن يكون دخولك » .

سأحكم لك عليه بمال . فلما علمتَ أنهم قد جلسوا للشرب سِرْتُ إلى البــاب ، وكتبت بهذين البيتين :

يا خيرَ ساداتٍ وأصحـــابِ   هذا الطُّفيلىّ على البـابِ
فصيِّروا لى معــكم مَجلسا   أو أخرجوا لى بعضَ أصحابى

وبعثت بهما إليه . فلما قرأهما قال : صدق ، اكتبوا إليه وسَلُوه أن يختار : أما دخولك فمـا إليه ســبيل ، ولـكن من تختار لنُخرجه إليك ؟ فـكَتب إلىّ بذلك . فـكتبت : ما كنت لأختار على أبى العباس أحدا ـ يعنى عبد الله ابن طاهر ـ فقـال المأمون لعبد الله بن طاهر : قُم إلى صديقك . فقال : يا مـــير المؤمنين ، إن رأيت أن تُعفينى من ذلك ، أتخرجنى عمّا شرّفتنى به من مُنادمتك وتُبدلنى بها منادمة ابن اليزيدى ؟ فقال : لا بد من ذلك أو تُرضيه . قال : فَلْيحتكم . قال : أخاف أن يشتطّ أو تقصِّر أنت ، ولـكن أحكُم فأَعدل . قال : قد رضيت . قال : تحمل إليه ثلاثة آلاف دينار مُعجَّلة . قال : قد فعلت . فأمر صاحب بيت المال بحملها معى ، وأمر عبد الله بردّ عِوضها إلى بيت المال .

أخبار إبراهيم اليزيدى

كان شاعراً

وكان إبراهيم بن أبى محمد اليزيدى شاعراً .

شعره إلى المأمون بعد سكرة عربد فيها

وذكر أنه دخل على المأمون يوماً وهو يشرب ، فأمره بالجلوس وأمر له بشراب ، فشرب وزاد فى الشرب ، فسكر وعربد . فأخذ علىُّ بن صالح صاحب المُصلى بيده فأخرجه . فلما أصبح خُبِّر بما صنع ، فجزع من ذلك ، فكتب إلى المأمون :

أنا المذنب الخطّاء والعفو واسعٌ ولو لم يكن ذنب لما عُرف العفْوُ
ثَمِلتُ فأبدتْ منِّىَ الكأْسُ بعضَ ما كرهتُ وما إن يستوى السُّكر والصَّحو
ولولا حُمَيَّا الكأس كان احتمال ما بُدهت به لا شكّ فيه هو السَّرو (1)
ولا سيّما إذ كنتُ عند خليفة وفى مجلس ما إن يجوز به اللَّغو
تنصَّلت من ذنب تنصُّلَ ضارع إلى من لديه يُغفر العمد والسَّهو
فإن تعفُ عنِّى يُلْفَ خَطْوِىَ واسعاً وإلا يكُن عفوٌ فقد قصُرَ الخطْو

شعره فى القاضى ابن أكثم

وإبراهيم بن أبى محمد اليزيدى هو الذى يقول فى القاضى يحيى بن أكثم :

وكُنَّا نُرَجِّى أن يُرى العَدْلُ ظاهراً فأعقبنا بعد الرّجاء قُنوطُ
متى تَصلحُ الدُّنيا ويَصلُح أهلُها وقاضى قُضاة المسلمين يَلُوط

بين المأمون وابن أكثم فى خادم

وذُكر أن المأمون نظر إلى يحيى بن أكثم يلحظ خادماً له ، فقال للخادم : تعرَّض له إذ قمتُ ، فإنى سأقوم للوضوء ، وأمره ألّا يبرح ، وعُد إلىَّ بما يقول

---

(1) السرو : الشرف .

لك . وقام المأمون ، وأمر يحيى بالجلوس . فلما قام المأمون غمز الخادمُ يحيى بعينيه . فقال له يحيى : (لولا أنتم لكنّا مؤمنين) . فمضى الخادم إلى المأمون فأخبره . فقال له : عُد إليه وقُل له : (أنحن صَددناكم عن الهُدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مُجرمين) . فخرج الخادم إليه فقال له : ما أمره المأمون ؟ فأطرق يحيى وكاد يموت جَزعاً ، وخرج المأمون ، وهو يقول :

متى يصلُحُ الدُّنيا ويصلُح أهلها وقاضى قُضاة المُسلمين يَلُوطُ

قُم فانصرف واتق الله وأصلح نِيّتك .

أخبار أبى جعفر اليزيدى

كان شاعراً وشىء من شعره

وكان أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبى محمد اليزيدى شاعراً ، وهو الذى يقول:

شَوقى إليكَ مع الأيام يزدادُ والقلبُ مُذ غِبْتَ للأحزان مُعتادُ
يا لهفَ نفسى على دَهر فُجعت به كأنّ أيامه فى الُحسن أعياد

إنشاده للمأمون

حَكى أبو جعفر هذا قال :

دخلت على المأمون وهو فى مجلس غاصّ بأهله ، وأنا يومئذ غلام ، فاستأذنت فى الإنشاد فأذن ، فأنشدته مَديحًا لى مدحتُه به ، وكان يستمع للشاعر ما دام فى تَشبيب أو وصف ضَرب من الضُّروب ، حتى إذا بلغ إلى مديحه لم يسمع منه إلا بيتين أو ثلاثة ، ثم يقول للمُنشد : حَسبك . فأنشدته :

يا من شكوت إليــه ما أَلقاه وبذلتُ من وُدّى له أَصفاهُ
فأجابنى بخِــلاف ما أمَّلتُه ولرُبما مَنع الحريصَ مُناه
أترى جميلاً أنْ شكا ذا صَبوة فهجرتَه وغضبتَ من شَـكواه
يكفيك صمتٌ أو جواب مُؤنس إن كنت تكره وَصْلَه وهَواه
موت الحبيب سعادةٌ إن كان مَن يهواه يزعُم أنّ ذاك رِضــاه

فلما صِرت إلى المديح قلتُ :

أبقى لنا اللهُ الإمــامَ وزاده عِزًّا إلى العزِّ الذى أعطــاه
والله أكرمنا بأنّا معشرٌ عُتقاء من نِعَم العِبــاد سِواه

فسُرَّ بذلك المأمون وضحك ، وقال : جعلنا الله وإياكم ممن يشكر النعمة ويُحسن العمل .

أخبار كعب المخبَّل

نسبه

وهو من قيس[1].

حديث تعشقه أخت زوجه

ذكر أنه كان مزوّجاً بابنة عم له ، وكانت أحبَّ الناس إليه ، فخلا بها ذاتَ يوم ، فنظر إليها وهى واضعة ثيابها ، فقال لها : يا أم عمرو ، هل ترين أن الله عز وجل خلق أحسنَ منك ؟ فقالت : نعم ؛ أختى مَيلاء أحسنُ منّى . قال : فإنى أحب أن أنظر إليها . فقالت : إن علمتْ بك لم تخرج ، ولكن كُن من وراء الستر . ففعلت ، وأرسلت إليها فجاءتها . فلما نظر إليها عَشقها وانتظرها حتى مضت إلى أهلها ، فعارضها وشكا إليها حُبه . فقالت : والله يابن عم ، ما وجدتَ من شىء إلا وقد وقع لك فى قلبى أكثر منه . وعادت مرةً أخرى فخلا معها ، فأتتهما أختها أم عمرو وهما لا يَعلمان ، فرأتهما جالسين ، فمضت إلى إخوتها — وكانوا سبعة — فقالت: إما أن تزوّجوا ميلاء كعباً وإما أن تكفونى أمرها . وبلغه الخبرُ ووقوفُ إخوتها على ذلك ، فرمى بنفسه نحو الشام حياءً منهم . وكان منزله ومنزل أهله الحجاز ؛ فلم يَدْر أهلُه ولا بنو عمه أين ذهب .

شعره الذى فيه الغناء

فقال كعب — وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره :

أفى كُل يوم أنت مِن لاعج الهوى ... إلى الشُّم من أَعلام ميلاءَ ناظرُ
بعَمشاء من طُول البُكاء كأنما ... بها خَزَر أو طرفُها مُتخازِر
تمنّى المُنى حتى إذا مَلّت المُنى ... جَرى واكفٌ من دَمعها مُتبادِر

رجل من الشام يحمل هذا الشعر وغيره إلى أهله وحديث موته

فسمع ذلك منه رجل من أهل الشام ، ثم خرج ذلك الشامىّ يريد مكة ، فاجتاز بأم عمرو وأختها ميلاء ، وقد ضل الطريق ، فسلّم عليهما ، ثم سألهما عن

(١) من تراجم الجزء الحادى والعشرين (١٥٩-١٦٤) .

الطريق . فقالت أم عمرو : ياميلاء ، صفي له الطريق . فذكر، لما نادت : يا ميلاء، شعر كعب هذا فتمثَّل به . فعرفت أُم عمرو الشعر ، فقالت : يا عبد الله ، من أين أقبلت ؟ فقال : من الشام . فقالت: ممن سمعت هذا الشعر؟ فقال : من رجل من أهل الشام . فقالت: أتدرى ما اسمه ؟ فقال : سمعت أنه كعب .فقالت : فأقسمتُ عليك ألّا تبرح حتى تُسمع إخوتنا قولَك . فنُحسن إليك نحن وهم ، فقد أنعمت . فقال : أفعل، وإني لأروى له شعراً آخر ، فما أدرى أتعرفانه أم لا ؟ فقالت : نسألك بالله إلا أَسمعتناه . فقال : سمعتُه يقول :

خليليّ قد رُمتُ الأُمورَ وقِستُها[1] ... بنفسى وبالفِتيان كُلَّ زمانِ
ولم أُخْفِ سرًّا للصديق ولم أجد ... خليًّا ولا ذا البَثِّ يَسْتويان
من الناس إنسانان دَيْنى عليهما ... مليئان لو شاءا لقد قَضيانى
خليليّ أمّا أُم عمرو فمنهما ... وأمّا عن الأخرى فلا تَسلانى
بُلينا بهجران ولم أرَ مِثْلنا[2] ... من الناس إنسانَيْن يَهتجران
أشدَّ مُصافاة وأبعدَ عن قِلًى ... وأعصَى لواشٍ حين يُكتنفان[3]
يُحدّث طَرْفانا بما فى قلوبنا[4] ... إذا ما اُستعجمتْ بالمَنطق الشَّفتان
فوالله ما أدرى أكُلُّ ذوى الهوى ... على ما بِنا أم نحن مُبتليان
ولا تَعجبا ممّا لىَ اليومَ من هَوًى ... فبِى كُلَّ يوم مثلُ ما تَريان
خليليّ عن أىّ الذى كان بيننا ... مِن الوصل أم ماضى الهوى تَسلان
وكُنا كريمَىْ مَعشر حَطَّ[5] بيننا ... هوًى فحفِظناه بحُسن صِيان

(١) بعض أصول الأغانى: « قد قست الأمور ورمتها » . (٢) التجريد : « مثلهما » .
(٣) « « « : « يكتفيان » . (٤) بعض أصول الأغانى : « صدورنا » .
(٥) « « « : « حم » .

فما زادنا بُعد المَدى نقضَ مِرَّة ... ولا رَجعا من عِلمنا ببيان

خليلىَّ لا والله ما لىَ بالذى ... تُرايدن من هَجر الحبيب يَدان

ولا لىَ بالسِّر[1] أعتلامٌ إذا نأت ... كما أنتما بالسرِّ[1] مُعتلمان

فنزل الرجل ووضع رحله حتى جاء إخوتهما . فأخبرتاهم الخبر ، وكانوا مهتمين بكعب ، لأنه كان أبن عمهم وأشعرهم وأظرفهم . فأكرموا الرجل وحملوه ودلّوه على الطريق وطلبوا كعبا ، فوجدوه بالشام ، فأقبلوا به ، حتى إذا كانوا فى ناحية ماء[2] لأهلهم إذا الناس قد أجتمعوا عند البيوت . وقد كان كعب ترك بُنَيّاً له صغيراً ، فوجّهوه فى ناحية الماء[2] . فقال له كعب : ويحك يا غُليم ! من أبوك ؟ فقال له : رجل يقال له : كعب . قال: وعلى أى شىء قد اجتمع الناس ؟ — وأحسّ قلبه بشر — قال : قد اجتمعوا على خالتى ميلاء . قال : وما قصتها ؟ قال : ماتت . فزفر زفرة مات فيها مكانه .

---

(١) بعض أصول الأغانى : « بالبين » . (٢) التجريد : « مال » .

أخبار خالد الكاتب

نسبه وكنيته وبلده

هو خالد بن يزيد . ويُكنى : أبا الهيثم . من أهل بغداد. وأصله من خراسان.

وسوسته

وكان أحدَ كُتَّاب الجيش ، ووُسْوِس فى آخر أمره وغَلبت عليه السَّوداء .

وقيل : كان يهوى جارية لبعض الوجوه ببغداد ، فلم يقدر عليها . وولاّه محمد ابن عبدالملك الزيات الإعطاء بالثُّغور ، فخرج فسمع فى طريقه مُنشداً يُنشد :

مَن كان ذا شَجن بالشام يطلُبه
ففى سِوى الشام أمسى الأهلُ والشَّجنُ

فبكى حتى سقط على وجهه مَغشيًّا عليه ، ثم أفاق مخلطاً ، واتصل ذلك حتى وُسوس وبَطل .

إنشاده إبراهيم ابن المهدى

وحكى خالد الكاتب قال :

دخلتُ على إبراهيم بن المهدىّ ، فاستنشدنى . فقلت : أيها الأمير ، أنا غلام أقول فى شُجون نفسى ، لا أكاد أمدح ولا أهجو . قال : ذاك أشدُّ لدواعى البلاء ، فأنشدتُه :

عاتبتُ نفسى فى هَوا ... ك فلم أجِدْها تَقبلُ
وأطعتُ داعِيَها إلي ... ك ولم أُطع من يَعذل
لا والذى جعل الوُجو ... ه لحُسن وجهك تَمثل
لا قلتُ إن الصبر ع ... نك من التَّصابى أجمل

فبكى إبراهيم وصاح : وأى عليك يا إبراهيم . ثم أنشدته أبياتى التى أقول فيها:

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين (٣١-٣٨) .

وبَكى العاذلُ لى مِن رَحمة[1] وأبُكائى لبُكاء العاذل

فقال : يا رشيق ، كم معك من العين ؟ قال ستمائة وخمسون ديناراً . قال : أقسمها بينى وبين الفتى ، وأجعل الكسر له صحيحاً . فأعطانى ثلثمائة وخمسين ديناراً، فاشتريتُ بها منزلى بساباط الحسن والحسين ، فوارانى إلى يومى هذا .

شعره الذى فيه الغناء

وهذا البيت الأخير من أبيات الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار خالد ، وهو :

عِشْ فحُبِّيك سريعاً قاتلى والضَّنَى إنْ لم تَصلنى واصلِى
ظَفِر الشوقُ بقلبٍ دَنِف فيك والسُّقم بجِسْم ناحل
فهما بين اكتئاب وضَنًى تركانى كالقَضيب الذَّابل

هو وأبو تمام فى هوى غلام

وذُكر أن خالد كان مُغرماً بالغلمان المُرد يُنفق عليهم كل مايفيد، فهوى غلاماً يقال له : عبد الله ، وكان أبو تمام يهواه ، فقال فيه خالد :

قَضِيب بانٍ جناه وَرْدٌ تحمله وجنةٌ وخَــدٌّ
لم أثْن طَرفى إليــه إلّا مات عزاءٌ وعاش وَجْد
مَلّك طَوْعَ النفوس حتى علّمه الزَّهوَ حين يبدو
وأجتمع الصدّ فيه حتى ليس لخلقٍ سواه صــدّ

وبلغ أبا تمام ذلك فقال فيه :

شِعرُكَ هذا كُله مُفرط فى بَرْده ياخالدُ البارِدُ

فَعلقها الصبيان ، فلم يزالوا يَصيحون به : يا خالد يا بارد ، حتى وُسوس .

هو وغلام فى دار قمار

وحكى أبو الفضل الكاتب أنه دعى خالداً ذات يوم ، فأقام عنده ، وخلع عليه . فما استقر به المجلس حتى خرج . قال : فأتبعته رسولا ليتعرّف خبره ، فإذا هو قد جاء إلى غلام كان يُحبه ، فسأل عنه ، فوجده فى دار القمار ، فمضى إليه حتى

---

(١) بعض أصول الأغانى : « و بكى العاذل لى من رحمتى » .

خلع عليه تلك الثياب وعانقه وقبّله وعاد إلينا . فلما جاز خالد أعطاه الغلامُ الذى وجّهنا به إليه دنانير ودعاه ، فجاء به إلينا . وأمرناه بإخفائه ففعل . وسألنا خالداً عن خبره فكتمه وجمجم . فغمزنا الرسول فأخرجه إلينا . فلما رآه خالد بكى ودَهِش . فقُلنا : لا ترُع ، فإن القصة كيت وكيت ، وإنما أردنا أن نعرف خبرك لا أن نسوءك ، فطابت نفسه ، وأجلسه إلى جنبه ، وقال : قد بُليت بحُبّه وبالخوف عليه مما قد ُبلى به من القمار . وأنشدنا لنفسه فيه :

مُحبّ شَفّه ألمُه ... وخامر جسمَه سَقَمُهْ
وباح بما يُجَمجِمه ... من الأسرار مُكتتمه
أما ترثى لمكتئب ... يُحبك لَحمه ودَمه
يغار على قميصك حـ ... ـين تَلبسه ويَتّهمه

هو وابن السرى بعد غيبة

وحكى محمد بن السّرىّ أنه أطال الغيبة عن بغداد ، ثم قَدِمها وقد وُسوس خالد ، فمرّ به فى الرُّصافة والصبيان يصيحون خلفه : يا غلام ، الشُّريطىُّ يا خالد البارد . فيرجع إليهم فيضربهم ويرميهم . فقال : فقلت له : كيف أنت يا أبا الهيثم؟ قال : كما ترى . فقلت له : فمن تعاشر اليوم ؟قال : من أحذره . فعجبت من جوابه مع اختلاله . فقلت له : ما قلتَ بعدى من الشعر ؟ قال : ما حفظه الناس وأُنسيته ، وعلى ذلك قولى :

كَبِدٌ شفّها غليلُ التّصابى ... بين هَجر(١) وسَخطة وعَذابِ
كلَّ يوم تَدمى بجُرح من الهجـ ... ـر(٢) ونوع مجدَّد من عذاب
يا سَقيم الجُفون أسقمت جسمى ... فاشفِنى كيف شئت لا بك ما بى
إن أكُن مُذنباً فكن حَسَن العفـ ... ـو أو اجعل سوى الصُّدود عقابى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عتب » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « التسوق » .

ثم قال : يا أبا جعفر ، جُننت . فقلت : ما جعلك الله مجنوناً وهذا كلامك فى نثرك ونظمك .

طلب منه ابن الطلاس أن ينشده

وحكى محمد بن الطلّاس قال :

حضرت جنازة لبعض جيرانى ، فلقيت خالداً فى المَقبرة ، فقبضت على يده ، فقلت : أنشدنى . فقال : خلِّ عن يدى . فأرخيت يدى عن يده ، فأنشدنى :

لم تَرَ عــينٌ نَظَرتْ ... أحسنَ من مَنظرهْ
النور والنّعمــة إن ... عرفتَ[1] فى مَخبره
لاتَصِلُ الألسنُ[2] بالْـ ... وصــف إلى أكثره
كيف بمن تنتسب الشّـ ... مسُ إلى جَـــوهره

بيته فى جارية كانت تصيح به

وحكى بعضهم قال :

مرَّ بنا خالد الكاتب هارباً والصبيان يصيحون به ، فجلس إلىّ وقال : فرِّق هؤلاء عنِّى . ففعلت ، وألحّت عليه جارية تصيح به : يا خالد يا بارد . فقال لها :

أيا مُنتنةَ الـكُس ... ويا من كُسها رَسّ

فقال له : يا أبا الهيثم ، أى شىء معنى «رس» ؟ قال : تشتهى الأير الكبير والصغير والوسط ولا تكره منها شيئاً ، وأقبل الصبيان يصيحون بتلك الجارية بمثل ما قال لها خالد ، وهى ترميهم وتهرُب منهم ، حتى غابوا معها عنّا . فأقبل علىّ خالد متمثلا :

وما أنا فى أمرى ولا فى خُصومتى ... بمُهتضَم حقّى ولا قارع سنِّى

إنشاده لأبى تمام ومعارضته له

فاحتبسته عندى يومه ، فلما شرب وطابت نفسه أنشدنا لأبى تمام :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « النور والنعمة والنعمة » .
(٢) التجريد : « الأنفس » .

أحبابَه لِمَ تفعلون بقلبه ... ما ليس يَفعله به أعداؤُهُ
مَطر من العَبرات خَدّى أرضُه ... حتى الصباح ومُقلتاه سماؤه
نفْسى فِداء محمد ووِقاؤه ... وكذبتُ مافى العالمين فِداؤه
أزعمتَ أنّ البدر يَحكى وجهه ... والغُصنُ حين يَميد فيه ماؤه
أسكت فأين جماله وكماله ... وبهاؤه وحياؤه وضياؤه
لا تَقْرِ [1] أسماءَ الملاحة باطلاً ... فيمن سواه فإنها أسماؤه

ثم قال ، وقد عارضه أبو الهيثم ، يعنى نفسه :

فديتُ محمداً من كل سوء ... يُحاذر فى رَواح أو غُدُوّ
أيا قمرَ السماء دنوتَ حتى ... كأنك قد ضَجِرت من العُلوّ
رأيتُك مِن حَبيبك ذا بِعاد ... وممّن لا يُحبك ذا دُنوّ
وحَسبك حَسرة لك من حبيب ... رأيتَ زِمامه بيدَىْ عدوّ [2]

شعره فى تفاحة غلفت بغالية

وذُكر أن على بن المعتصم دعا خالداً الكاتب يوماً وهو يشرب ، وقد أخرجت له وصيفة من وصائف حَظيّته تفاحةً مغلّفة بغالية، بعثت بها إليه ستُّها ، فقال خالد:

تُفاحة خرجتْ بالدُّر من فيها ... أشهى إلىّ من الدُّنيا بما فيها
بيضاء فى حُمرة غُلّت بغالية ... كأنما قُطفت من خَدّ مُهديها
جاءت بها قينةٌ من عند غانية ... رُوحى من السوء والمكروه تَفديها
لو كنتُ مَيتاً ونادتْنى بنغمتها ... إذاً لأسرعتُ من لَحْدى أُلبّيها

(١) قرا الأمر ، يقروه ويقريه : تتبعه .
(٢) بعض أصول الأغانى : « بيد العدو » .

أخبار المسدود

اسمه وكنيته — أسمه : علىّ . وكنيته : أبو الحسن .

أبوه — وكان أبوه قصَّاباً من أهل بغداد .

سبب تلقيبه بالمسدود — وإنما سُمّى المَسدود ، لأنه كان مَسدود فَرد مَنخَر مفتوح الآخر .

منزلته فى الغناء — وكان يقول : لو أن مَنخرى الآخر مفتوحاً لأذهلتُ بغنائى أهل الحلوم وذوى الألباب ، وشغلت مَن يسمعنى عن أمر دينه ودُنياه ومعاشه ومَعاده . وكان أشجى الناس صوتاً ، وأحسنهم نادرة ، ولم يكسب أحد من المغنيين بطُنبور ما كسبه .

غناؤه الواثق وتعريضه به — وذُكر أن الواثق كان قد أمر جُلساءهُ ألّا يَرد أحد نادرته عن أحد ولا عنه. فغنّى الواثق يوماً :

نظرتُ كأنّى من وراء زُجاجة ... إلى الدار من فَرط الصّبابة أنظرُ

وكان النبيذ عمل فيه وفى الجلساء . فالتفت إليه المسدود فقال : أنت أبداً تنظر من وراء زجاجة ، إن كان فى عينك ماء الصبابة أو لم يكن . وكان فى عين الواثق بياض . فغضب من ذلك وقال : جُرُّوا برجل العاضّ بَظر أُمه . فسُحب من بين يديه . ثم قال : يُنفى إلى عُمان الساعة من وقته . وحَدَر[1] معه الموكَّلون. فلما سلموه إلى صاحب البصرة سأله أن يقيم عنده ، ففعل . فلما جلس للشراب ابتدأه وقال : أحذرونى يأهل البصرة على حُرمكم . فقد دخلت بلدكم وأنا أزنى خلق الله . فقال له الجمّاز : إنما يعنى أنه أزنى خلق الله أُمًّا . فغضب المَسدود وضَرب بطُنبوره الأرض وحَلف ألا يغنّى . فسأله الأمير أن يُقيم ؛ وأخرج الجمّاز وكل من حَضر . فأبى

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين (١٦٤ — ١٦٦) .

(١) حدر : انحدر .

وألحّ ، فأحدره إلى عُمان ، فمكث الواثق لا يسأل عنه سنةً ، ثم اشتاقه فكتب في إحضاره . فلما جاء قبّل الأرض بين يديه واعتذر من هَفوته وشكر التفضّل عليه . ثم قال له : حدِّثني ما رأيت بعدى . فقال : لى حديث ليس فى الأرض أطرف منه . وأعاد عليه حديثه بالبصرة . فقال له الواثق : قَبَحك الله ، ماأجهلك! أنت سوقة وأنا ملك ، وكنتُ صاحياً وكنتَ منتشياً ، وبدأت القوم فأجابوك ، فبلغ منك الغضب ما ذكرته ، وما بدأتك فتُجيبنى ، وبدأتنى بالمرح بما لا يحتمله النظير لنظيره ، ويلك لا تعاود بعد هذا ممازحة خليفة وإن أذن لك فى ذلك ، فليس كل أحد يحضُره حلمُه كما حضرنى فيك .

حديث الرقعة التى أعطاها هو الواثق غلطاً

وذُكر أنه لم يكن فى الخلفاء أحلمَ من الواثق ، ولا أصبر على أذى وخلاف . وكان يعجبه غناء أبى حَشيشة الطُّنبورى ، فوجِد المَسدود من ذلك وهجا الخليفة ببيتين ، فكانا معه فى رُقعة، وفى رقعة أخرى حاجة لامرأة تريد أن ترفعها إليه ؛ فغلط بين الرقعتين فناوله الرقعة التى فيها هَجوه ، وهو يرى أنها رقعة الحاجة . فقرأها وفيها :

مِن المسدود فى الأنف إلى المَسدود فى العَيْنِ
أنا طَنْبَـــل له شِق فيا طَبـــلاً بِشقّين

فلما قرأ الرقعة علم أنها فيه ، فقال للمسدود : غلطت بين الرقعتين ، فهات الأخرى وخُذ هذه واحترس من مثل هذا ، مازاده على هذا .

أغضب المنتصر فاحتمله

وذكر أن المسدود تحدّث فى مجلس المنتصر بحديث ، فقال المنتصر : ومتى كان ذلك ؟ فقال : ليلة لا ناهٍ ولا زاجر . يعرّض له بليلة قتل فيها أبوه المتوكل ، وأنّ ذلك كان بأمره . فأغضى المنتصر واحتمله .

هو وجارية فى حضرة المعتمد

وقالت مُغنية للمســـدود يوماً بين يدى المعتمد : غنّ يا مسدود . فقـــال : نعم يا مفتوحة .

أخبار سلمة بن عياش

نسبه وشىء عنه

هو : سلمة بن عياش ، مولى بنى حِسْل بن عامر بن لُؤىّ . شاعر بَصرى من مُخضرمى الدَّولتين . وكان يتديّن و يتصوّن .

انقطاعه إلى ابنى سليمان

انقطع إلى جَعفر ومحمد ، ابنى سليمان بن على بن عبد الله بن العباس ، ومدحهما فأكثر وأجاد .

هو وأبو سفيان ابن العلاء عند ابن سليمان وحديث الجارية التى وجهها له

وذُكر أنه كان سَلمة بن عياش وأبوسفيان بن العلاء يوماً عند محمد بن سليمان وجارية له تُغنيهم وتسقيهم — يقال لها : بربر — فقال سلمة :

إلى الله أشكو ما ألاقى من القِلى ... لأهلى وما لاقيتُ من حُبّ بَربرِ

على حين ودّعت الصبابةَ والصِّبى ... وفارقتُ أخدانى وشَمَّرت مِئزرى

نأى جَعفر عنّا وكان لمثلها ... وأنت لنا فى النائبات كجعفر

فقال محمد بن سليمان : خُذها هى لك . فاستحيا وارتدع وقال : لا أريدها . فألحّ عليه فى أخذها . فقال : أُعتق ما تملك إن أخذتُها . فقال له أبو سفيان : يا سَخين العين ، أعتق ما تملك وخذها ، فهى خير مما تملك .

رثاؤه لأبى سفيان ابن العلاء

فلما مات أبو سفيان بن العلاء رثاه سلمة ، فقال :

لعمرك ما تعفو كلومُ مُصيبةٍ ... على صاحبٍ إلاّ فُجعت بصاحبِ

تقطّع أحشائى إذا ما ذكرتهم ... وتَنهل عينى بالدُّموع السَّواكب

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين (٨٤ — ٨٧)

وكنتُ أمرأً جلداً علىماينُوبنى ومُعترفاً بالصَّبر عند المَصائبِ
فهدَّ أبو سفيان رُكنى ولم أكن جُزوعاً ولا مُستكثراً للنوائب
غَنينا معاً بضعاً وخمسين حِجةً خليلَىْ صَفاء وُدُّنا غير كاذب
فأصبحتُ لمَّا حالت الأرضُ دونه على قُربه منّى كأن لم أُصاحب

والبيتان الأولان من هذه الأبيات، الشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار سلمة بن العياش .

بعض أخبار أبي العتاهية

(*) ثم ذكر أبو الفرج شعراً يُغَنّى فيه من شعر أبي العتاهية ، فاقتضى ذلك ذكر بعض أخباره :

شعره للأمين وهو الشعر الذى فيه الغناء

ذُكر أنه لما جلس محمد الأمين فى الخلافة أنشده أبو العتاهية :

يا بن عمِّ النبىّ خيرِ البريّه ... إنما أنت رحمةٌ للرعيّهْ
يا إمام الهُدى الأمين المصفّى ... يا لُباب[1] الخلافة الهاشميّهْ
لك نفسٌ أمّارة لك بالخير ... وكفٌّ بالمكرُمات نديّه
إنّ نفساً تحمَّلتْ مثل ما حُمِّـ ... لتَ المُسلمين نفسٌ قويّه

ثم خرج إلى دار أم جعفر ، فقالت له : أنشدنى ما أنشدت أمير المؤمنين ، فأنشدها . فقالت : أين هذا من مديحك فى المهدى والرشيد ؟ فغضب وقال : إنما أنشدت أمير المؤمنين ما يستملح ، وأنا القائل فيه — وهذا هو الشعر الذى فيه الغناء :

يا عمودَ الإسلام خَير عَمود ... والذى صِيغ من حَياء وجُودِ
والذى فيه ما يُسلِّى ذوى الْـ ... أحزان عن كُلِّ هالك مَفقود
والأمين المُهذَّب الهاشمىّ الْـ ... قَرم مَحض الآباء مَحض الجُدود
إن يوماً أراكَ فيه ليومٌ ... طلعت شمسُه بسَعد سُعود

(*) مرت أخبار أبى العتاهية فى الجزء الثانى من القسم الأول . وقد ذكر أبو الفرج ما يأتى بعنوان : « أخبار أم جعفر » .

(1) غير التجريد : « بلباب » .

أخبار أيمن بن خريم

(*) هو : أيمن بن خُرَيم بن الأخرم بن [شداد بن](1) عمرو بن فاتك بن القُلَيْب بن عمرو بن أسد بن خُزيمة بن مُدركة بن الياس بنُ مضر بن نزار . نسبه

لأبيه صُحبة بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم . أبوه صحابي

وكان أيمن يتشيّع . متشيع

ذُكر أن عبد الملك بن مروان كان شديد الشغف بالنساء ، فلما أسنّ ضعُف عن الجماع وازداد غرامه بهن . فدخل عليه أيمن بن خريم فقال له : كيف أنت يا أيمن ؟ فقال بخير يا أمير المؤمنين. قال : كيف قُوتك ؟ قال : كما أحب ولله الحمد، إنى لآكل الجذعة من الضأن بالصاع من البُر وأشرب العُسّ(2) المملوء ، أعبُّه عبّا ، وأرتحل البعير الصعْب فأُنْصِبه(3) ، وأركب المُهر الأَرِن فأذلّله ، وأفترع العذراء لا يُقعدنى عنها الكِبر ، ولا يمنعنى عنها إلا السَّحر(4) ، ولا يَروينى الغُمَر(5) ، ولا ينقضى منِّى الوطر . فغاظ عبدَ الملك قولُه وحسده ، فمنعه العطاء وحَجبه وقَصده بما كره ،حتى أثر ذلك فى حاله . فقالت له أمرأته : ويحك : أصدقنى عن حالك ، هل لك جُرم؟ قال : لا والله. قالت : فأى شيء دار بينك وبين أمير المؤمنين آخر ما لقيته؟ فأخبرها . فقالت : إنا لله ، مِن ها هنا أُتيت ، أنا أحتال لك فى ذلك حتى أزيل ما جرى عليك ، فقد حسدك الرجل على ما وصفت من نفسك . فتهيأت ولبست ثيابها ودخلت على عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، زوجة عبد الملك ، فقالت : هو وعبد الملك وقد سأله عن قوته

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين (٥ — ٨) .

(١) تكملة من الاستيعاب والجهرة (١٨٠) . (٢) العس : القدح العظيم .

(٣) التجريد : « فأنضيه ». (٤) غير التجريد : « الحصر » .

(٥) الغمر : بضم ففتح : القدح الصغير .

أسألك أن تَسْتعدى لى أمير المؤمنين على زوجى . قالت : وماله ؟ قالت : ماأدرى أنا مع رجل أو حائط ، فإن له لسنتين ما يعرف فِراشى ، فسَليه أن يفرّق بينى وبينه . فخرجت عاتكة إلى عبد الملك فذكرت له ذلك ، وسألته فى أمرها ، فوجّه إلى أيمن فأَحضره ، وسأله عما شكَتْ منه ، فاعترف بذلك . فقال له : أولم أسألك عامَ أول عن حالك فوصفت لى كيت وكيت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الرجل ليتحمّل عند سلطانه و يتجلّد عند أعدائه بأكثر مما وصفتُ به نفسى ، وإنى القائل :

لقيتُ من الغانيات العُجاباَ ... لو أُدركُ منّى الغوانى[1] الشّباباَ
يَرى الشَّيبَ يجمعُ النساء الحِسا ... ن عتباً[2] شديداً إذا المرء شابا
ولو كِلْتُ بالمُدّ للغــانيات ... وضاعفتُ فوق الثِّياب الثِّيابا
إذا لم ينَلْهن من ذاك ذاك ... بَغَيْنك عند الأمير الكِذابا[3]
إذا لم يُخالطن كُل الخِــلا ... ط أصبحن مُخْرَنطات[4] غِضابا
و يَعْركن بالمسك أجيادَهن ... و يُدنين عند الحِجال العيابا[5]
علام يُكحّلن حُور العيون ... و يُحدثن بعد الخضابا الخضابا
و يَبْرُقْن[6] إلّا لما تعلمون ... فلا تمنعن النّساء الضِّرابا

فجعل عبد الملك يضحك من قوله . ثم قال : أولى لك يأبن خُريم ، لقد لقيت منهن تَرحا ، فما تُرى أن نصنع بينك وبين زوجتك ؟ قال : تستأجلها إلى أجل العِنّين ، وأُداريها لعلى أستطيع إمساكها . قال : أفعل ذلك . ففعل . وأمر له بما فات من عطائه ، وعاد إلى برّه وتقريبه .

(١) التجريد : « الغوانى » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ولكن جمع العذارى الحسان عناء » .
(٣) غير التجريد : « جحدتك عند الأمير الكذابا » . (٤) مخرنطات : أنفات مستكبرات .
(٥) التجريد : « الحجاب العيابا » . والحجال : جمع حجلة ، وهى القبة تستر فيها المرأة .
(٦) يبرقن : يتجملن . وفى غير التجريد : « و يغمزن » .

أخبار حُجَيّة

شعره الذى فيه الغناء

ثم ذكر أبو الفرج شعراً يُغنى فيه لحُجية بن المضرِّب الكندى ، يقول :

تصابيتَ أم هاجت لك الشوقَ زينبُ ... وكيف تَصابِى المرء والرأسُ أشيبُ

إذا قَرُبت زادتْك شـوقاً بقُربها ... وإن جانبتْ لم يُسْلِ عنها التجنُّب

فلا اليأْس إن ألممتَ يبدو فترعوى ... ولا أنت مَردود بما جئتَ تطلب

وفى اليأْس لو يبدو لك اليأس راحة ... وفى الأرض عمَّن لا تُواتيك مَطلب

حديثه مع زوجته فى بره بأولاد أخيه

وكان من حديث حُجَيَّة هذا أنه كان له أخ يقال له : معدان ، فمات وترك صِبية صغاراً فى حِجر أخيه ، فكان أبرّ الناس بهم وأعطفهم عليهم ، وكان يُؤْثرهم على صِبيانه . فمكث بذلك ما شاء الله . ثم إنه عرض له سفر لم يجد بدًّا من الخروج فيه ؛ فخرج وأوصى بهم امرأته . وكانت إحدى بنات عمّه ، وكان يقال لها : زينب . فقال : اصنعى ببَنِى أخى ما كنت أصنع بهم . ثم مضى لوجهه ، فغاب أشهراً ثم رجع ، وقد ساءت حال الصبيان وتغيَّرت . فقال لامرأته : مالى أرى بنى معدان مهازيل وأرى بنىَّ سِمَانا ؟ فقالت : كنت أواسى بينهم ، ولكنهم كانوا يعبثون و يلعبون . فخلا بالصبيان ، فقال : كيف كانت ولاية زينب لكم ؟ قالوا : سيئة ، ما كانت تعطينا من القوت إلا مِلْء هذا القدح من لبن — وأروه قدحاً صغيراً . فغضب على امرأته غضباً شديداً وتركها ، حتى إذا أراح عليه راعيا إبله ، قال لهما : اذهبا فأنتما و إبلكما لبنى معدان. فغضبت من ذلك زَينب وهجرته ، وضربت بينها وبينه حجاباً . فقال : والله لا تذوقين منها صَبوحاً ولا غَبوقاً أبداً .

وقال فى ذلك :

لَجَجْنا ولَجَّتْ هذه فى التغضُّب ولُطَّ(١) الحجابُ بيننا فى التجنُّبِ
وخَطَّت بعُودَىْ إثمدٍ جَفْنَ عَينها لتَقتلنى وشدَّما حُبُّ زينب(٢)
تلوم على مالٍ شَفانى(٣) مكانُه فلُومى حياتى ما بدا لك واُغضبى
رحمتُ بنى مَعدان إذْ قلَّ مالهُم وحقَّ لهم منّى وربِّ المُحصَّب(٤)
وكان اليتامى لا يَسُدّ اختلالَهم هدايا لهم فى كُل قَعب مُشعَّب(٥)
فقلت لعبدَيْنا أريحَا عليهمُ سأجعل بيتى بيتَ آخرَ مُعْزِب(٦)
وقُاتُ خذوها واُعلموا أنّ عمكم هو اليوم أَولى منكمُ بالتكسُّب
عيالى أَحقُّ أَن ينالوا خَصاصةً وأَن يشربوا رَنقاً إلى حين مَكسبى(٧)
أُحابِي بها مَن لو قَصدتُ لمَالِه حَرِيباً(٨) لآسانِى إلى حين مَرْكبى(٩)
أَخى والذى إنْ أَدْعُه لمُلِمّة(١٠)
يُجبْنى وإن أغضب إلى السَّيف يَغضَبِ

هرب امرأته إلى المدينة وإسلامها وقصته معها

وكان حُجية هذا وامرأته نصرانيين ، فلما بلغها هذا الشعر خرجتْ حتى أتت المدينة فأسلمت ، وذلك فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فركب حُجية إلى المدينة يطلب زَينب أن تُرد عليه . ونزل بالزُّبير بن العوّام رضى الله عنه وأخبره بقصته . فقال له الزبير : إيّاك أن يَبلغ هذا عنك عُمر فتلقى منه أذى . وانتشر

(١) لط : أسدل ، بالبناء للمجهول فيهما .
(٢) شد ما حب زينب ، أى : حق حبها ، أو : نعم حبها . (٣) التجريد : « شفائى » .
(٤) المحصب : موضع رمى الجمار . (٥) القعب : القدح الضخم .
(٦) معزب : مبعد . (٧) الخصاصة : الفقر . والرنق : الكدر من الماء .
(٨) الحريب : المسلوب المال . (٩) غير التجريد : « لآسانى على كل موكب » .
(١٠) غير التجريد : « عظيمة » .

خبر حُجية وفشا بالمدينة وذُلم فيما كان مَقدمُه . فبلغ ذلك عمر، فقال للزبير ، رضى الله عنهما : بلغتنى قصة ضيفك ، ولقد هممت به لولا تحرُّمه بالنزول عليك . فرجع الزبير إلى حُجية فأعلمه قول عمر رضى الله عنه . فقال حجية فى ذلك :

إنَّ الزبير بنَ عوّام تَداركنى　　منه بسَيْب كريم سَيْبه عَمَمُ

عائشة وأخوها عبدالرحمن مع ولدى أخيهما محمد بعد مقتله

وذُكر أن محمد بن أبى بكر الصديق لمّا قتله عمرو بن العاص ومعاوية بن حُديج بمصر ، وجعلاه فى جِلد حمار وأحرقاه بالنار. وكان محمد بن أبى بكر والياً بمصر من قِبل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، خلْف ابنه القاسم بن محمد ، وهو أحد فقهاء المدينة السّبعة ، وأُختاً له .

فحدّث القاسم بن محمد قال : جاء عمّى عبد الرحمن بن أبى بكر فاحتملَنا وقدم بنا المدينة ، فبعثت إلينا عائشة فاحتملَتنا ، فما رأيت والدة قطّ ولا والداً أبرّ منها . فلم نزل فى حِجرها ، حتى إذا كان ذات يوم وقد ترعرعنا ألبستنا ثياباً بيضاء ، ثم أجلست كل واحد منّا على فخذها ، ثم بعثت إلى عمّى عبد الرحمن ، فلما دخل عليها تكلّمت ، فحمدت الله عز وجل وأثنت عليه ، فما رأيت مُتكلماً قبلها ولا بعدها أبلغ منها . ثم قالت : يا أخى ، إنى لم أزل أراك مُعْرِضاً منذ قبضتُ هذين الصبيّين منك ، ووالله ما قبضتُهما تطاولاً عليك ، ولكنّك كنت رجلاً ذا نساء ، وكانا صبيين لا يكفيان من أنفسهما شيئاً ، فخشيتُ أن تَرى نساؤك منهما ما يتقذّرْنَه من قبيح أمر الصبيان ، فكنتُ ألطف لذلك وأحقَّ بولايته ، وقد قويا على أنفسهما وشبّا وعرفا ما يأتيان ، فهما هذان فضُمهما إليك وكُن لهما كحُجية بن المضرِّب ، أحد بنى كندة .

ثم قصت عائشة رضى الله عنها عليه خبره .

أخبار أبى الهندى

نسبه — هو : غالب بن عبد القُدّوس بن شَبِث بن رِبْعى .

طبقته وشعره — وكان شاعراً مطبوعاً. وهو مُخضرم الدّولتين : الأموية والعباسية. وكان جَزْل الشعر ، حسنَ الألفاظ ، لطيفَ المعانى . وإنما أخمله وأمات ذكره بُعده عن بلاد العرب ومُقامه بسجستان وخراسان ، وشغفه بالشراب ومُعاقرته إياه وتهتُّكه.

من وصاف الخمر و بعض ما قال — وأستفرغ شعره بصفة الخمر ؛ وهو أول من وصفها من شعراء الإسلام .

ومن جيد قوله فيها :

سقيتُ أبا المطوّح[1] إذ أتانى ... وذو الرُّعثات[2] مُنتصبٌ يصيحُ
شراباً يهرُب الذّبان منـــه ... ويَلثغ حين يَشربه الفَصيح

حديث سكره ثلاثة أيام مع قوم وشعره فى ذلك — وذُكر أن أبا الهندىّ اشتهى الصّبوح ذات يوم ؛ فأتى خمّاراً بسِجِسْتان فى محلّة — يقال لها : كوه زيان . وتفسيره بالعربية : جبل الخسران — يباع فيها الخمر والفاحشة ؛ وتأوى إليها كل زان ومُغنية . فدخل إلى الخمار فقال : أسقنى ، وأعطاه ديناراً . فكال له ، وجعل يشرب حتى سكر ؛ وجاء قوم يُسلِّمون عليه ، فصادفوه على تلك الحال ؛ فقالوا للخمار : ألحقنا به . فسقاهم حتى سكروا . وانتبه أبو الهندى فسأل عنهم ، فعرّفه الخمّار خبرهم . فقال : هذا الآن وقت السكر ، والآن طاب ، فألحقنى بهم ، فجعل يشرب حتى سكر ؛ وانتبهوا فقـالوا للخمار : ويحك هذا نائم بعد ! فقال : لقد انتبه ، فلما عرف خبركم شرب حتى سكر .

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

(۱) فى غير التجريد : « المطرح » .

(۲) ذو الرعثات : الديك . والرعثات : جمع رعثة ، وهى عثنون الديك ولحيته .

قالوا : فألحقنا به . فسقاهم حتى سكروا . وانتبه أبو الهندى فسأل عن خبرهم فعرفه. فقال : والله لألحقن بهم . فشرب حتى سكر . فلم يزل ذلك دأبه ودأبهم ثلاثة أيام لم يلتقوا ، وهم فى موضع واحد . ثم تركوا هم الشرب عمداً ، حتى أفاق فلقوه . وفى ذلك يقول أبو الهندى :

نَدَامَى بعـــد ثالثة تلاقَوْا ... تَصُدُّهم بكوه زيَّان راحُ
وقد باكرتُها فتُركت منهـــا ... قتيلاً ما أصـــابتْنى جِراح
وقالوا أَيها الخمَّار من ذا ... فقـــال أخ تخوَّنه[1] أصطباح
وقالوا هاتِ راحَك فالْحقنـــا ... به وتعلَّلوا ثم أســـتراحوا
فما إن لَبَّثتْهم أنْ رَمَتْهم ... بحَدِّ سلاحها ولها ســـلاح
وحان تنبُّهى فسألتُ عنهم ... فقـــال أتاحهم قَدَرٌ مُتاح
رأوك مُجدَّلا فاســـتخبرونى ... فحرَّكهم إلى الشُّرب أرتيـــاح
فقلت بهم فألحقنى فهبُّـــوا ... فقالوا هل تنبَّه حين راحوا
فقال نعم فقـــالوا ألحقنا ... به قد لاح للرّائى صَـــباح
فما إن زال ذاك الدأب منَّـــا ... ثلاثاً يُستحلّ ويُســـتباح
نَبيتُ معاً وليس لنا ألتقـــاءٌ ... بِمَبْيتٍ ما لنـــا فيه بَراح[2]

حجه مع ابن سيار وامتناعه عن الشرب

وذُكر أن نصر بن سيّار ، عامل خراسان ، حجَّ وأخرج أبا الهندى معه ؛ فلما حضرت أيام الموسم قال : يا أبا الهندى ، إنّا بحيث ترى ، وفدُ الله وزُوّاره . فهَبْ لى النبيذ فى هذه الأيام واحتكم علىّ ، فلولا ماترى مامنعتك . فضمن له ذلك ، وأغلظ عليه الاحتكام . فوكل به نصرُ بن سيار بعضَ ثقاته . فلما انقضى الأجل

(١) تخونه : خانه وفانه .
(٢) لم يرد هذا البيت فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

مضى فى السّحر، قبل أن يلقى نصراً ؛ فجلس على أكمة يُشرف منها على فضاء واسع ، ووضع بين يديه إداوة[١] وأقبل يشرب ويبكى ، ويقول :

أديرَا علىّ الكأس إنى فقدتُها ... كما فقَد المَفطومُ دَرَّ المَراضِعِ
حليفُ مُدام فارق الراحُ رُوحَه ... فظلّ عليها مُستهِلّ المَدامع

حديث موته

وحَكى صَدَقة بن إبراهيم البَكرى قال :

كان أبو الهندى يشرب معنا ؛ وكان إذا سكر يتقلّب تقلُّباً قبيحاً فى نومه . فكنّا كثيراً ما نشُد رجله لئلا يسقُط من السطح ؛ فسكر ليلةً وشددنا رجله بحَبل وطوّلنا فيه ليقدر على القيام للبول وغير ذلك من حوائجه . فسقط من السطح فأمسكه الحبل ، فبقى معلّقاً منكّساً ، وتخنّق بما فى جوفه من الشراب ؛ فأصبحنا فوجدناه ميتاً .

قال : صَدقة فمررت بقبره بعد ذلك فوجدتُ عليه مكتوباً :

اجعلوا إن متُّ يوماً كفنى ... ورقَ الكَرْم وقبرى مِعْصرَهْ
إنّنى أرجو من الله غداً ... بعد شُرب الراح حُسنَ المغفره

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به الفرج أخبار أبى الهندى :

لمّا سمعتُ الدِّيك صاح بسُحرةٍ ... وتوسّط النَّسران بطنَ العَقربِ
وبدا سُهيلٌ فى السماء كأنه ... ثورٌ وعارضَه عِجانُ الرَّبرب[٢]
نبّهتُ نَدْمانى وقلت له اصطبح ... يا بنَ الكرام من الشَّراب الأصهب[٣]
صَفراء تَبرق[٤] فى الزُّجاج كأنها ... حَدق الجرادة أو لُعاب الجُندب

---

(١) الإداوة : إناء صغير .

(٢) الربرب : القطيع من بقر الوحش . والعجان : المنتهية سمنا . والرواية فى غير التجريد : « هجان » ، وهى البيض الكرام .

(٣) الأصهب : الأشقر . والرواية فى غير التجريد : « الطيب » . (٤) غير التجريد : « تبدو » .

أخبار سعيد بن وهب(*)

نسبه

(*)هو : سعيد بن وهب بن عثمان . مولى بنى سامة بن لؤى . بصرىّ . مولده ومنشؤه البصرة ، ثم صار إلى بغداد فأقام بها .

موطنه

كتب للبرامكة

وكانت الكتابة صناعته ، فتصرّف مع البرامكة واصطنعوه .

مذهبه فى الشعر وموته بعد توبة

وكان شاعراً مطبوعاً . ومات فى خلافة المأمون . وأكثر شعره فى الغزل والشراب ، ثم نسك وتاب ، وحج راجلا على قدميه . ومات على توبة وإقلاع ومذهب جميل .

رثاه أبو العتاهية

مات وأبو العتاهية حىّ ، فرثاه وكان صديقه .

شعره فى كتاب السلطان

وذُكر أنه نَظر إلى قوم من كُتاب السلطان فى أحوال جميلة ، فأنشأ يقول :

من كان فى الدُّنيا له شارةٌ ... فنحن من نَظّارة الدُّنيا
نَرمُقها من كَثَب حسرةً ... كأننا لفظٌ بلا مَعنى
يَعْلُو بها الناسُ وأيامنا ... تذهب فى الأرذل والأدنى

أنشد الفضل بن يحيى بيتين فغلب بهما

وذُكر أن سعيد بن وهب دخل على الفضل بن يحيى فى يوم قد جلس فيه للشعراء ، فجعلوا يُنشدونه ويأمر لهم بالجوائز ، حتى لم يَبق منهم أحد ، ثم التفت إلى سعيد بن وهب كالمُستنطق . فقال له سعيد : أيها الوزير ، إنى ما كنت أستعددت لهذه الحال ولا تقدّمتْ لها عندى مقدمة فأعرفها ؛ ولكن قد حضرنى بيتان أرجو أن ينوبا عن قصيدة . فقال : هاتهما ، فرُبَّ قليل يكون أبلغ من كثير . فقال سعيد :

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

مَدح الفضلُ نفسَه بالفَعالِ فعَلَا عن مَديحنا بالمَقالِ
أَمرونى بمَدْحه قلتُ كلاَّ كَبُر الفضل عن مَديح الرِّجال

فطرب الفضل وقال : أحسنت والله وأجدت ، ولئن قَلّ القولُ ونزر فلقد اتسع المعنى وكثُر . ثم أمر له بمثل ما أعطاه كلَّ من أنشده مديحًا يومئذ ، وقال : لا خير فيما يجىء بعد بيتيك ، وقام من المجلس ، وخرج الناس لا يتناشدون سوى البيتين .

شعره فى محاجاة جارية

ولسعيد بن وهب أبيات هى لُغز فى القلم مُوهمة ، حاجَى بها جارية شاعرة ظريفة أديبة — يقال لها حَسناء — وهى :

أُحاجيك أيا حَسنا ء فى جِنس من الشِّعرِ
وفى ما طُوله شِبر وقد يُوفى على الشّبر
له فى رأسه شقٌّ نَطُوفٌ بالنَّدى يجرى
إذا ما جَفّ لم يُجْدِ لدى بَرّ ولا بَحْر
فإن بُلَّ أتى بالعَجَ ب المُعْجِب والسِّحر

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار سعيد بن وهب ، هو :

لقد قلتُ حين قُرِّبَ ت العيسَ يا نَوارُ
قِفوا فاْربعوا قليلا فلم يرْبعوا وساروا
ونفسى لها حنين وقلبى له انكسار
وصدرى به غَليل ودَمعى له انحدار

أخبار رؤبة بن العجّاج

نسبه

(*) واسم العجّاج : عبد الله بن رُؤْبة بن حنيفة ؛ وهو أبو خزيم بن مالك أبن قُدامة بن أُسامة بن الحارث بن عوف بن سعد بن زيد مَناة بن تميم .

راجز بدوى

من رُجاز الإسلام وفُصحائهم المذكورين المقدّمين منهم . بدويّ نزل البصرة.

عصره ومنزلته وموته

وهو من مُخضرمى الدولتين ، مدح بنى أمية ، ومدح بنى العباس ، ومات فى خلافة المنصور ، وأخذ عنه وجوه أهل اللغة ، وكانوا يقتدون به ويحتجّون بشعره، ويجعلونه إماما .

كنيته

ويُكنى : أبا الجحّاف[1] ، وأبا محمد .

ليونس فى فصاحته

وقيل ليونس النحوى : هل رأيت أفصح من رؤبة ؟ فقال : لا ، ما كان مَعد بن عدنان أفصح منه .

أرسل إليه أبو مسلم واستنشده فأنشده

وذُكر أنه لما أفضت الخلافة إلى بنى العباس ، بعث أبو مسلم صاحب الدعوة إلى رؤبة يستدعيه ، فلما دخل عليه قال له : أنشدنى قولك :

* وقاتم الأعماق خاوى المُخترق *

فقال : وأُنشدك أحسن منه ؟ فقال : هات . فأنشده :

قلت وَسجى[2] مُستجدّ حَوكا

لبّيك إذ دعوتنى لبّيــكا

أحمد ربًّا ســـاقنى إليكا

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

(١) غير التجريد : « أبا العجاف » . (٢) فى غير التجريد : « وقولى » .

فقال : هات كلمتك الأولى . فقال : أو أُنشدك أحسن منها ؟ قال : هات . فأنشده :

ما زال يبنى خَندقاً ويهدمه
ويستجيش عسكراً ويهزمه
ومغنما يجمعـــه ويَقسمه
مروان لما أن تهاوت أنجمه
وخانه فى حُـكمه مُنجِّمـــه

فقال : دع هذا وأنشدنى : «وقاتم الأعماق» . فقال : وأحسن منه . قال : هات . فأنشده :

رفعتَ بيتاً وخفضتَ بيتا
وشِدتَ رُكن الدِّين إذ بنيتا
فى الأكرمين من قُريش بيتا

فقال : هات ما سألتك عنه . فأنشده :

ما زال يأتى الأمرَ من أقطاره
على اليمين وعلى يَســـاره
حتى أقرّ الملك فى قَراره
وفَر مَروان على حماره

فقال : هات ما دعوتك له وأمرتك بإنشاده ، ولا تنشد شيئاً غيره . فأنشده :

* وقاتم الأعماق خاوى المخترق *

فلما صار إلى قوله :

يَرْمى الجلاميدَ بِجُلمود مِدَقّ (١)

(١) مدق : ما يدق به ، ويكون بدلا من جلمود . وقيل : مدقّ ، أى يدق الأشياء ، وهو على هذا وصف لجلمود .

قال : قاتلك الله ! لشدّ ما استصلبت بالحافر ! ثم قال : حسبك ، أنا ذلك الجلمود المِدق .

سئل عن أكله الفأر فأجاب

وذُكر أن رؤبة كان يأكل الفأر . فقيل له فى ذلك وعُوتب . فقال : هن والله أنظف من دَواجنكم ودَجاجكم اللواتى يأكلن القَذر ، وهل يأكل الفأر إلا نقىّ البُر ولُباب الطعام .

ليونس فى تفضيله هو والعجاج

وذُكر أنه قيل ليونس : من أشعر الناس ؟ قال : العجاج ورؤبة . فقيل له : لم نَعن الرُّجّاز . فقال : هما أشعر أهل القصيد ، وإنما الشعر كلام وأجوده أشعره . قال العجاج :

* قد جَبر الدِّين الإله فجُبر *

وهى نحو من مائتى بيت موقوفة ، ولو أطلقت قوافيها كانت منصوبة ، وكذلك عامة أراجيزه .

الرجز الذى فيه الغناء

والرجز الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار رؤبة ، هو :

داينْتُ[1] أروى والدُّيون تُقضَى
فمَطلت بعضاً وأدّت بعضَا
يا ليت أروى إذ لوتك القَرْضا
جادت بقَرض فشكرتُ القَرضا

---

(١) التجريد : « دلمت » .

أخبار أسماء بن خارجة

شعره الذى فيه الغناء

ثم ذكر أبو الفرج شعراً لأسماء بن خارجة الفزارى يُغنَّى فيه :

خُذى العفو منى تَستديمى مودَّتى ... ولا تَنطقى فى سَورتى حين أَغْضَبُ
ولا تَنقُرينى نقركِ الدُّف مَرةً ... فإنكِ لا تَدْرين كيف المغيَّب
فإنِّى رأيت[1] الُحبَّ فى الصَّدر والأذى ... إذا اجتمعا لم يَلبث الُحبّ يذهب

وصيته لابنته حين زوجها من الحجاج

وذُكر أن أسماء هذا زوّج ابنته هنداً من الحجّاج بن يوسف ، فلما كان ليلة أراد البناء بها ، قال لها : يابنية ، إن الأمهات يؤدّبن البنات ، و إن أُمك هلكت وأنتِ صغيرة ، فعليك بأطيب الطيب الماء ، وأحسن الحسن الكحل ، و إياك وكثرة المُعاتبة فإنها مقطعة للوُد ، و إياك وكثرة الغيرة فإنها مفتاح الطلاق ، وكونى له أَمَة يكن لك عبداً ، وأعلمى أنى القائل — وذكر البيت الأول والثانى والثالث من هذه الأبيات البائية .

وكانت هند هذه امرأة مجرّبة ، قد تزوجها جماعة من أمراء العراق ، فكان الحجَّاج يصفها فى مجلسه بكل خير .

جزع ابنته على زوجها عبيد الله ابن زياد بعد وفاته

وذكر أن أول أزواج هند بنت أسماء هذه عُبيد الله بن زياد ، وهو أبو عُذرتها ، فلما قُتل ، وكانت معه ، لبست قُبَاء وتقلَّدت سيفاً وركبت فرساً لعبيد الله — كان يقال له : الكامل — وخرجت حتى دخلت الكوفة ليس معها دليل ، ثم كانت بعد ذلك أشد خلق الله جزعاً عليه .

---

(٢) غير التجريد : « وجدت » .

ولقد قالت يوماً : إنى لأشتاق إلى القيامة لأرى وجه عبيد الله .

زواج ابنته من بشر وعدم جزعها عليه بعد موته

فلما قَدم بِشر بن مروان الكوفة من قبل أخيه عبد الملك بن مروان، دُلَّ عليها فخطبها فتزوجها ، فولدت له عبد الملك بن بشر ، ثم مات فلم تُكثر الجزع عليه . فقال الفرزدق فى ذلك :

إلاّ تكُنْ هِند بَكتْه فقد بكتْ عليه الثُّريّا فى كواكبها الزُّهرِ

تزوجها الحجاج ثم طلقها

ثم خطبها الحجاج بن يوسف فتزوجها ، وأرسل إليها بثلاثين غلاماً مع كل غلام عشرة آلاف درهم وثلاثين جارية ، مع كل جارية تخَت ثياب ، فحظيت عنده حُظْوة كثيرة ، وقدم بها معه البصرة وبنى بها فى قصره المعروف بقصر الحجّاج . ولما دخلت معه هذا القصر قال لها : هل رأيت قط أحسن من هذا القصر؟ قالت : ما أحسنه ؟ قال: لتصدقننى. قالت : أما إذ أبيت فو الله ما رأيت أحسن من القصر الأحمر ، وكان دار الإمارة بالبصرة ، وكان عبيد الله بن زياد بناه بطين أحمر . فغضب الحجّاج عليها وطلقها ، وبعث إلى القصر فهدمه وبناه بلَبن .

أخبار السُّليك بن السلكة

نسبه

هو : السُّليك بن عمرو ــ وقيل : عُمير ــ بن يَثْرِبىّ . أحد بنى مُقاعس ، وهو : الحارث بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم .

أمــه

والسُّلَـكة أُمّه ، وهى أَمَة سوداء .

من عدائى العرب

وهو : أحد صعاليك العرب العَدَّائين الذين كانوا لا يُلحقون ولا تتعلّق بهم الخيل ، وهم : السُّليك بن السُّلكة ، والشَّنْفرى ، وتأبّط شرّا ، وعمرو بن بَرّاق ، ونُفيل بن بَرّاقة .

منهجه فى الغارة

وذُكر أن السُّليك كان يستودع فى الشتاء بيضَ النعام ماءَ السماء ثم يدفنه ، فإذا كان الصيف وانقطعت إغارة الخيل أغار ، وكان أدلّ من قَطاة ، يجيء حتى يقف على البيضة ، وكان لا يغير على مُضر وإنما يغير على اليمن ، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة .

خروجه مرة للغارة

فأملق مرة حتى لم يبق معه شيء ، فخرج يعدو على رجليه رجاءَ أن يُصيب غِرة من بعض من يمر به فيذهب بإبــله ، حتى أمسى فى ليلة من ليالى الشتاء باردة مُقمرة ، فاشتمل الصماء[1] ونام ، فبينما هو نائم إذ جثم عليـه رجل فقعد على جنبه ، فقال : استأسر . فرفع السليك إليه رأسـه وقال : الليل طويل وأنت مُقمر . فأرسلها مثلا . فجعل الرجل يلهزه[2] ويقول : يا خبيث ، استأسر . فلما آذاه بذلك أخرج السُّليك يده فضم الرَّجُل إليه ضمة ضرط منها وهو فوقه . فقال السليك : أضرطاً وأنت الأعلى . فأرسلها مثلا . ثم قال له السُّليك : ما أنت ؟

---

(١) اشتمال الصماء : أن يرد فضل ثوبه على عضده اليمنى ثم ينام عليها .

(٢) يلهزه : يلكزه .

قال : أنا رجل أفتقرت فقلت : لأخرجنّ فلا أرجع إلى أهلى حتى أستغنى فآتيهم وأنا غنىّ . قال : فانطلق معى. فانطلقا فوجدا رجلاً قصّته مثل قصتهما ، فاصطحبوا جميعاً حتى أتوا الجوف جوف مُراد ، فلما أشرفوا عليه إذا فيه نَعم ، قد ملأ كل شيء من كثرته ، فهابوا أن يُغيروا فيطردوا بعضها ويلحقهم الطلب ، فقال لهم سليك : كونوا قريباً منّى حتى آتى الرِّعاء فأعلم لكم علم الحى ، أقريب أم بعيد ، فإن كانوا قريباً رجعت إليكم ، وإن كانوا بعيداً قلت لكم قولاً أومىء إليكم به ، فأغيرا . فانطلق حتى أتى الرِّعاء ، فلم يزل يستنطقهم حتى أخبروه مكان الحى ، فإذا هم بعيد إن طلبوا لم يدركوا . فقال السليك للرعاء : ألا أغنّيكم ؟ فقالوا : بلى ، فرفع صوته وغنى :

يا صاحبيّ ألا لا حيّ بالوادى سوى عَبيد وآمٍ بين أذْوادِ
أتنظران قريباً رَيث غَفلتهم أم تغدُوان فإنّ الريحَ للغادى

فلما سمعا ذلك أتيا السُّليك ، فطردوا الإبل ، فذهبوا بها ، ولم يبلغ الصريخ الحىّ حتى فاتوهم بالإبل .

شعره الذى فيه الغناء ، وقصته

وذُكر أن السُّليك أغار على بنى عُوارا ، بطن من بنى مالك بن ضُبيعة ، فلم يظفر منهم بفائدة ، وأرادوا مُساورته ، فقال شيخ منهم : إنه إذا عدا لم يتعلّق به شيء ، فدعوه حتى يرد الماء ، فإذا شرب ثَقُل ، فلم يستطع العَدْو وظفرتم به . فأمهلوه يعدو حتى وَرد الماء ، فشرب ، ثم بادروه . فلما رأى أنه مأخوذ خاتلهم وقصد إلى أدنى بيوتهم حتى ولَجَ على امرأة منهم ، يقال لها : فكيهة ، فاستجار بها ؛ فمنعته وجعلته تحت دِرعها ، واخترطت السيف ، وقامت دونه ؛ فكاثروها ، فكشفت خِمارها عن شعرها وصاحت بإخوتها ، فجاءوها ودفعوا عنه حتى نجا من القتل . ففى ذلك يقول السُّليك :

وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار السليك :

لعمرو أبيك والأنبــاء تَنْمِى لَنِعْم الجارُ أختُ بنى عُوارَا
من الخَفِرات لم تَفضح أباها[1] ولم تَرفع لإخوتها شَــــنارا
كأنَّ مجامع الأرداف منهـا نَقًى دَرَجت عليه الريح هَارا
وما عجزت فُكيهة يوم قامت بنَصل السَّيف واُستلبُو الخِمارا

قصته مع بنى كنانة

وذُكر أن السليك أخذ رجلا من بنى كنــانة بن تَيم بن أُســامة بن مالك ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنم[2] بن تغلب ، يقال له : النعمان بن عقبان[3]، ثم أطلقه ، ثم قدم بعد ذلك على بنى كنانة ، وهو شيخ كبير ، وهم على ماء لهم ، فأتاه النعمان باَبنيه : الحكم وعثمان، وهما سيدا بنى كنانة ، ونائلة اُبنته ،وقال :هذان وهذه لك ، وما أملك غيرهم . فقالوا :صدق . فقال : لقد شكرت لك وقد رددتهم عليك .فجمعتْ له بنو كنانة إبلا عظيمة فدفعوها إليه ، ثم قالوا له: إن رأيت أن تُرينا بعض ما بقى من إحضارك ؟ فقال : نعم ، ابغُونى أربعين شاباً وابغونى درعاً ثقيلة . فأتوه بذلك. فلبس الدرع ، وقال للشبان : الحقونى إن شئتم . ثم عدا وعَدَوا جنبه فلم يلحقوه ، ثم غاب عنهم ، وكرّ حتى عاد إلى القــوم وهو وحده يُحضر والدرع فى عُنقه تضطرب ، كأنها خِرقة ، من شدة إحضاره .

وذكر[4] أن السُّليك لقى رجلا من خَثعم يقال له : مالك بن عمرو ، فأخذه ومعه اُمرأة له من خفاجة ، يقال لها : النوار ، فقال له الخثعمى : أنا أفدى نفسى منك . فقال له السليك : ذلك لك . فرجع إلى قومه وخلّف اُمرأته رَهينة معه . فوطئها السُّليك ، وجعلت تقول له: اُحذر خثعم، فإنى أخافهم عليك ، فأنشأ يقول:

---

(١) التجريد : « أخاها » .
(٢) فى غير التجريد : « عثمان » . وانظر الجمهرة (٢٨٦) .
(٣) غير التجريد : « عقبان » .
(٤) لم يرد هذا الخبر فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

تُحذِّرني كي أَحذر العامَ خَثْعما وقد علمتْ أنّى أمرؤ غير مُسلِمِ
وما خَثعم إلا لئـــام أرقّة إلى الذّل والإسحاق تُنمى وتَنْتمى

وبلغ الخبرُ شِبْل بن قلادة وأنس بن مُدرك الخثْعميين ، فحالفا إلى السُّليك ، فلم يشعر إلا وقد طرقا فى الخيل ، وأنشأ يقول :

من مُبلغ حِزْبى بأنّى مَقتولْ يا رُب نَهب قد حَويتُ عُثكول[1]
ورُب قِرْن قد تركت مَجدول ورُب زوج قد نكحتُ عُطبول[2]
ورُب عانٍ قد فككت مَكبول ورُب وادٍ قد قطعتُ مسيول

فقال أنس لشِبل : إن شئت كفيتُك القوم وا كفنى الرجل ، وإن شئت ا كفنى القوم وأ كفيك الرجل . فقال : بل أ كفيك القــوم : فشد أنس على السُّليك فقتله ، وقتل شبل وأصحابُه من كان مع السُّليك .

(١) العثكول : العندق بما عليه . يريد نهباً كثيرا .
(٢) العطبول : المرأة الفتية الجميلة ، الممتلئة الطويلة العنق .

أخبار أبي نُخَيلة

نسبه

وأبو نُخَيلة ، اسمه لا كنيته . وكنيته : أبو الجنيد . وهو : ابن حَزن[1] بن زائدة ابن لقيط بن هرم بن يَثربى بن ظالم بن مُجاشر بن جمّاز بن عبد العُزى بن كعب ابن سعد بن زيد بن مناة بن تميم .

عقوقه لأبيه

وكان عاقًّا بأبيه ؛ فنفاه أبوه عن نفسه ، فخرج إلى الشام فأقام هناك إلى أن مات أبوه ، ثم عاد ؛ وبقى مشكوكاً فى نَسبه مَطعوناً عليه .

شعره

وكان الأغلب على شعره الرّجز ، وله قصيد ليس بالكثير .

بين الأمويين والهاشميين

ولما خرج إلى الشام اتصل بمَسلمة بن عبد الملك بن مَروان فاصطنعه وأحسن إليه ، وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد ، واستماحهم فأغنوه . وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم . انقطع إلى بنى هاشم ولقّب نفسه شاعر بنى هاشم ، فمدح خُلفاء بنى العباس ، وهجا بنى أمية فأكثر .

مدحه مسلمة وقصة ذلك

وحكى أبو نُخَيلة قال :

وفدت على مَسلمة بن عبد الملك فمدحتُه وقلت فيه :

أمَسلم إنّى يا ابن كُل خليفة ... ويا فارسَ الدُّنيا ويامَلك[2] الأرضِ
شكرتُك إن الشكر حَبلٌ من التقى ... وما كل من أقرضته[3] نعمةً يَقْضِ
فألقيتَ لمَّا أن أتيتك زائراً ... علىّ لِحافاً سابغ الطُّول والعَرض
وأحييتَ لى ذكرى وما كان خاملاً ... ولكنّ بعض الذكر أنبهُ من بعض

فقال لى مسلمة : من أنت ؟ فقلت : من بنى سعد . فقال : ما لكم يا بنى سعد

(١) غير التجريد : « عدن » . (٢) غير التجريد : « ويا فارس الهيجا ويا جبل » .
(٣) فى غير التجريد : « أوليته » .

والقصيد ، وإنما حظكم الرّجز . فقلت له : أنا والله أرجز العرب . قال : فأنشدنى من رجزك . فكأنى والله لمّا قال لى ذلك لم أقُل رجزاً قطّ ، أنسانيه الله كله ، فما ذكرت منه ولا من غيره شيئاً إلا أرجوزة لرؤبة ، وقد كان قالها فى تلك السنة ، وظننت أنها لم تبلغه ، فأنشدتُه إياها ؛ فنكّس رأسه وتعتّت[1]؛ ثم رفع رأسه إلىّ وقال لى : لا تُتعب نفسك ، فإنى أروَى لها منك . فانصرفت وأنا أكذب الناس عنده ، وأخزاهم عند نفسى ، حتى تلطفتُ بعد ذلك ومدحتُه برَجز كثير ، فعرفنى وقرّبنى ، وما رأيت ذلك منه ـ يرحمه الله ـ ولا قرّعنى به حتى افترقنا .

شعره الذى فيه الغناء وقصته

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى نُخَيلة ، هو البيتان الأولان من هذه الأبيات المذكورة .

وذُكر أنه لما أفضت الخلافةُ إلى بنى العباس دخل أبو نُخَيلة على أبى العباس السفاح ؛ فسلّم عليه واستأذن فى الإنشاد . فقال له أبو العباس : لا حاجة لنا فى شعرك ، إنما تُنشدنا فضلات بنى مروان . فقال : يا أمير المؤمنين :

كنا أناساً نُرهب الأَمـلاكا ... إذ رَكبوا الأَعناق والأوراكا
قد ارتجينـا زمناً أباكا ... ثم ارتجينا بعده أخاكا
ثم ارتجينا بعده إيّاكا[2] ... فكان ما قلت لمن سواكا
زُورا فقد كفَّر هـذا ذاكا

فضحك وأجازه جائزة سنية ، وقال : أجل ، إن التوبة لتكفّر ما قبلها ، وقد كفَّر هذا ذاك .

وقد قيل : إنه لما وقف أبو نُخَيلة بين يدى السفّاح سلّم عليه ودعا له وأثنى عليه ، ثم استأذن فى الإنشاد . فقال : من أنت ؟ فقال : عبدك يا أمير المؤمنين

(١) أى لم يستمر فى كلامه .
(٢) فى غير التجريد : « ثم ارتجينا بعده » .

أبو نخيلة . فقال له : لا حياك الله ولا قرّب دارك ، ألست القائل فى مَسلمة بن عبد الملك بالأمس :

أمُسلم إنى يابن كُل خليفــة ويا فارس الهيجا ويا ملَكِ الأرض

أما والله لولا أنى قد أمَّنت نُظراءك لما ارتد إليك طرفك حتى أُخْضِبك بدمك . فأنشده أبو نخيلة الرجز المذكور . فتبسم أبو العباس ثم قال : أنت شاعر وطالب خَير ، وما زال الناس يمدحون الملوك فى دُولهم ، والتوبة تَمحو الخطية ، والظفر يزيل الحقد ، وقد عفونا عنك واستأنفنا الصَّنيعة لك ، وأنت الآن شاعرنا ، فأُتَّسم بذلك ليزول عنك مِيسم بنى مروان ، فقد كفَّر هذا ذاك كما قلت .

تهنئة المنصور بالبيعة للمهدى

وكان السفَّاح أبو العباس قد عَهد بالخلافة بعده إلى أخيه أبى جعفر المنصور ، وبعد المنصـــور إلى ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، فلما تُوفى السفاح بايع الناسُ المنصور بالخلافة ، وبولاية عَهده لابن أخيه عيسى بن موسى ، فلما تمـكن الأمر للمنصور واستقرت قواعد ملـكه عَزم على خلع ابن أخيه عيسى ، ونَقل الأمر إلى ابنه محمد المهدى ، وطالب عيسى بخَلع نفسه ، فامتنع ، وجرت فى ذلك خطوب وتهديدات كثيرة من المنصور ، إلى أن أجاب عيسى إلى خلع نفسه . فذُكر أنه لمـا كان يوم البيعة للمهدى دخل أبو نُخيلة على المنصور وأنشده :

لم يُنسنى يابنة آل مَعبـد ذكراك تـكرارُ الليالى العُوَّدِ
ولا ذوات العَصب[1] المورَّد ولو طَلَبْن الوُدّ بالتــودد
ورُحْن فى الدُّر وفى الزَّبرجد

يقول فيها :

إلى أمـــير المؤمنين فاعمد إلى الذى يَندى ولا يَندى نَدِى

(١) العصب : من البرود .

سِيرِى إلَى بحر البِحار المُزبد ... إلى الذى إن نفِدت لم ينفَدِ
أو أثمدت أشراعُها لم يُثمد[1]

ومنها :

فقد رضينا بالغلام الأمرد ... وقد فزعنا[2] غيرَ أنْ لم نَشْهد
وغير أنّ العهد لم يؤكّد ... وأصنع كما شئت وزِدْه يَزدد[3]
ورَدِّه منك رداءَ المُرتدى[4] ... فهو رداء السابق المقلَّد
فنادِ للبَيعة جمعاً واُحشد[5] ... فى يومنا الحاضر هذا أو غد

وذُكر أن عيسى بن موسى كان حاضراً إنشادها .

قال أبو نخيلة : فلما خرجت أتبعنى عقال بن شَبة ، فقال : أما أنت فقد سررت أمير المؤمنين ، ولئن تم الأمر لتصيبن خيراً ، وإن لم يتم فابتغ لنفسك نفقاً فى الأرض أو سُلماً فى السماء . فقلت له :

* عَلقت مَعالقها وصَرّ الجُندب *

أنشد المنصور فأجازه

وذُكر أن أبا نُخيلة أنشد المنصور فى هذا المعنى أرجوزة طويلة ، أولها :

ماذا على شَحْط النَّوى عنّا كا[6] ... أم مامَرى[7] دمعَكَ من ذكراكا
وقد تبكَّيتَ فما أبكاكا

يقول فيها :

خليفة الله وأنت ذاكا ... أسْنِد إلى محمدٍ عصاكا

(١) الأشراع : موارد الماء . وأثمدت : أى قل ماؤها فنبت عنه .
(٢) غير التجريد : « فرغنا » .
(٣) غير التجريد : « ورد يردد » .
(٤) فى غير التجريد : « يرتدى » .
(٥) غير التجريد : « نحشد » .
(٦) فى غير التجريد : « غشاكا » .
(٧) مرى دمعك : استخرجه وأجراه . والرواية فى غير التجريد : « ما جرى » .

فأحفظُ الناس[١] لهـا أدناكا　　وأبنك ما استكفَيته كفاكا
فـكُلنـا مُنتظر لذاكا　　لو قيل هاتوا قيل[٢] هاكا هاكا

فوصله المنصور بألفى درهم .

انتقام عيسى منه وقتله

ولما خُلع عيسى بن موسى حقد على أبى نُخيلة وطلبه أشدَّ طلب ، فهرب منه وخرج يريد خراسان ، فبلغ عيسى خبرُه ، فبعث خلفه مولًى له يقال له : قطرىّ ، ومعه عِدة من مواليه ، وقال له : نفسَك نفسك أن يفوتك أبو نُخيلة . فخرج فى طلبه مُغذًّا للسير ، فلحقه فى طريق خراسان ، فأخذ قطرىٌّ أبا نخيلة فكتفه وأضجعه ، فلما وضع السكين على أوداجه قال له : يأبن اللخناء ، ألست القائل :

* علقت معالقها وصَرَّ الجندب *

الآن صَرَّ جُندبك .

فقال : لعن الله ذلك جندباً ، ما كان أشأمه ، ثم ذبحه قطرىّ وسلخ جلده ووجهه ، وألقى لحمه للنُّسور ، وأقسم لا يريم مكانه حتى تُمزّق السباعُ والطير لحمه ، فأقام حتى لم تبق إلا عظامه . ثم انصرف .

(١) التجريد : « له » .
(٢) فى غير التجريد : « قلت » .

أخبار المُنَخَّل اليشكرى

نسبه

هو : المُنخَّل بن عمرو . وقيل : — ابن مسعود — بن أفلت بن كعب بن سَوأة ابن غَنْم بن حَبيب بن يشكُر بن بكر بن وائل .

قدره فى الشعر

وهو شاعر مُقل من شعراء الجاهلية .

هو والنعمان وزوجه

وكان صحب النعمان بن المُنذر ، ملك الحيرة ، وكان جميلاً وسيما فعشقته المُتجرّدة ، زوجةُ النعمان بن المنذر ، وكانت فاجرة .

وذُكر أنها ولدت غلامين على فراش النعمان ، كانا أشبه الناس بالمُنخَّل ، فكان يقال : إنهما منه . وكان النعمان أحمر أبرش قصيراً دَميما ، وكان للنعمان يومٌ يركب فيه فيُطيل المُكث ، وكان المُنخّل من نُدمائه لا يُفارقه . فكان المنخل يأتى المُتجردة فى ذلك اليوم الذى يركب فيه النعمان ، فيطيل عندها ، حتى إذا جاء النعمان آذنتها بمجيئه وليدةٌ لها موكّلة بذلك فتُخرجه . فركب النعمان ذات يوم ، وأتاها كما كان يأتيها ، فلاعبتْه ، وأخذت قيداً فجعلت إحدى حَلقتيه فى رجله والأخرى فى رجلها ، وغفلت الوليدةُ عن ترقُّب النعمان ، لأن الوقت الذى كان يجىء فيه لم يكن قَرُب . فأقبل النعمان حينئذ ولم يُطل فى وجهه كما كان يفعل ، فدخل إلى المُتجردة فوجدها مع المُنخَّل ، وقد قَيدت رجلها ورجله بالقيد ، فدفعه النعمان إلى صاحب سجنه ، فعذَّبه حتى قتله .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء واُفتتح به أبو الفرج أخبار المُنخل هو :

ولقد دخلت على الفتا ... ة الخِدرَ فى اليوم المَطيرْ
فدفعتهــا فتدافعت ... مشىَ القطاة إلى الغدير

ولثمتها فتنفَّست كتنفُّس الظَّبْيِ البَهير

وهذا الشعر من قصيدة أولها :

إن كنت عاذلتى فسيرى نحو العراق ولا تَحُورى

لا تسألى عن جُلّ ما لى واُذكرى كَرَمى وخِيرى

ومنها بعض أبيات الغناء المذكورة :

فدنت وقالت يا منخَّل ما بجسمك من فُتور(١)

ما شَفَّ جسمى غيرُ حبك فاُهدئى عنّى وسيرى

ولقد شربت من المُدامة بالصغير وبالكبير

فإذا سكرت فإننى ربُّ الخَورنق والسَّدير

وإذا صحوتُ فإننى ربُّ الشُّويهة والبَعير

يا رُب يوم للمُنخَّل قد لَهَى فيه قَصير

يا هند هل من نائلٍ يا هند للعانى الأسير

زيد فيها؛ قال أبو الفرج : ولم أجده فى رواية صحيحة :

وأُحبها وتُحبنى ويُحب ناقتَها بعيرى

(١) غير التجريد : « حرور »

أخبار أمية بن الأسكر

هو : أمية بن حُرثان بن الأسكر[1] بن عبد الله سربال[2] الموت بن زُهرة ابن زينبة بن جُندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خُزيمة بن مُدركة ابن الياس بن مضر بن نزار . نسبه

شاعر مُخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان من سادات قومه وفُرسانهم ، وله أيام مأثورة مذكورة . طبقته ومنزلته

وكان له أخ يقال له : أبو لاعق الدم ، وكان من فرسان قومه وشعرائهم . أخوه

وابنه : كلاب بن أمية أيضاً أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم مع أبيه ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بصلة أبيه ومُلازمته . ابنه

وذكر أن كلاب بن أمية لقي طلحة والزبير ـ رضى الله عنهما ـ فسألهما : أى الأعمال أفضل فى الإسلام؟ فقالا : الجهاد . فسأل عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أن يُغزيه ، فأغزاه فى جيش . وكان أبوه قد كَبِر وضَعف ، فلما طالت غيبة كلاب عنه قال ـ والبيتان الأولان هما الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أمية : شعره الذى فيه الغناء وقصته

لمن شَيخان قد نَشدا كلاباً ... كتاب الله لو قَبِل الكتابا

أناشده فيُعرض فى إباء ... فلا وأبى كلاب ما أصابا

إذا سجعتْ حمامةُ بطن وادٍ ... إلى بَيضاتها دَعَوا كلابا

أتاه مُهاجران تكنّفاه ... ففارق سُنحه[3] خطأً وخابا

---

(١) التجريد : « الأشكر » . وانظر الجمهرة (١٧٣) .

(٢) التجريد والأغانى : « بسرابيل » وما أثبتنا من الجمهرة .

(٣) السنح ، بالضم : اليمن والبركة . وفى غير التجريد : « شيخه » .

تركتَ أباكَ مُرعشةً يداه وأُمك ما تُسيغ لها شرابا

وإنك والتماس الأجر بعدى كباغِى الماء يَتّبع السرابا

مجيئه عمر فى شأن ابنه وإنشاده إياه

فبلغت أبياته عمرَ بن الخطاب - رَضِىَ الله عنه - فلم يردُد كلاباً ؛ فطال مُقامه، فاشتد جزع أبيه واختلط . ثم أتى عمرَ - رضى الله عنه - يَوماً فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والأنصار ؛ فوقف عليه ثم أنشأ يقول :

أعاذلَ قد عذلتِ بغير قَدْرٍ ولا تَدْرِين عاذلَ ما أُلاقِى

فإمّا كُنت عاذلتى فَرُدِّى كِلاباً إذ توجّه للعراق

ولم أقضِ اللُّبانة من كِلاب غداةَ غدٍ وآذن بالفِراق

فتى الفتيان فى عُسْرٍ ويُسر شديد الرُّكن فى يوم التلاقى

ولا وأبيك ما باليتِ وَجدى ولا شَغفى عليك ولا اشتياقى

وإشفاقى عليك إذا شتونا وضمّك تحت نحرى واعتناقى

فلو فلق الفؤاد شديد وجد[1] لهمّ سَوادُ قلبى بانفلاق

فبكى عمر رضى الله عنه بكاء شديداً ، وكتب بردّ كلاب إلى المدينة . فلما دخل عليه قال له : ما بلغ من بِرك بأبيك؟ قال : كنت أُوثره وأَكفيه أمره ، وكنت أعتمد - إذا أردت أن أحلب له لبناً - أغزر ناقة فى إبله وأسمنها فأتركها حتى تستقر، ثم أغسل أخلافَها حتى ترد ، ثم أحتلب له فأسقيه . فبعث عمر رضى الله عنه إلى أُمية من جاء به فأدخله يَتهادى وقد ضعُف بصره وانحنى . فقال : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ فقال : كما ترى يا أمير المؤمنين . قال : فهل لك من حاجة ؟ قال نعم : كنت أشتهى أن أرى كلاباً فأشمه شمة وأضمه ضمة ، قبل أن أموت . فبكى عمر رضى الله عنه وقال : ستبلغ فى هذا ما تُحب إن شاء الله . ثم أمر كلاباً أن يحلُب لأبيه ناقة كما كان يفعل ، ويبعث إليه بلبنها . ففعل؛ وناوله عمر الإناء ،

(١) غير التجريد : « حطام » .

وقال : دونك هذا يا أبا كِلاب . فلما أخــذه وأدناه من فَمه قال لعُمر : والله يا أمير المؤمنين إنى لأجد رائحة يدى كِلاب من هذا الإناء ! فبكى عمر وقال : هذا كلاب عندك حاضر قد جئناك به . فوثب إلى أبنه فضمه إليه وقبّله ، وجعل عمر رضى الله عنه يبكى ومَن حضره ، وقال لكلاب : إلزم أبويك ، فجاهِدْ فيهما ما بَقيا ، ثم شأنك بنفسك بعدهما ، وأمر له بعطاء وصرفه مع أبيه ، فلم يزل مُقيماً معه حتى مات .

شعره فى كبره

وذُكر أن أُمية بن الأسكر عُمّر عمراً طويلاً حتى خَرِف ، فكان ذات يوم جالساً فى نادى قومه وهو يحدّث نفسه ، إذ نظر إلى راعى ضأن لبعض قومه ، فعجب منه ، فقام لينهض فسقط على وجهه ، فضحك الراعى منــه ، وأقبل أبناه إليه ، فلمـا رآهما أنشأ يقول :

يا بُنَىَّ[1] أُمية إنّى عنكما غانِى ... وما الغِنى غير أنّى مُرعش فانِى

يا بُنَىَّ أُمية إلاّ تحفظا كِبرى ... فإنما أنتما والثّكل مِثلان

أصبحت قرداً لراعى الضأن يلعب بى[2] ... ماذا يَريبك منّى راعى الضان

أُعجب لغــيرىَ إنى تابع سَلفى ... أعمام مَجد وأجدادى وإخوانى

تمثل على بن أبى طالب بشعر له

وقد تمثل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بهذه الأبيات على منبر الكوفة .

حكى عبد الله بن عدىّ بن الخيار قال : شهدت الحكمين ، ثم أتيت الكوفة وكانت لى إلى علىّ بن أبى طالب حاجة ، فدخلت عليه ، فلما رآنى قال : مرحباً بك يابن أم قتّال ، أزائراً جئتنا أم لحاجة ؟ فقلت : كلٌّ جاء بى ، جئت لحاجة وأحببت أن أُجدد بك عهداً . وسألته عن حديث ، فحدّثنى على ألا أحدّث به أحداً ، فبينا أنا يوماً فى المسجد بالكوفة ، إذا علىّ مُنتكب قَرْناً[3] له ، فجعل يقول:

(١) غير التجريد : « بنى » . (٢) غير التجريد : « يسخر بى » .

(٣) القرن : معروف . وانتكبه : وضعه على منكبه .

الصلاة جامعة ، وجلس على المنبر واجتمع الناس ، وجاء الأشعث بن قيس فجلس إلى جانب المنبر . فلما اجتمع الناس ورضى منهم ، قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس : إنكم تزعمون أن عندى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماليس عند الناس ، ألا والله ليس عندى إلا ما فى قَرَنى هذا ؛ ثم نَكب كنانته فأخرج منها صحيفة فيها : المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يدٌ على من سواهم ، مَن أحدث حدثاً أو آوى مُحدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

فقال له الأشعث بن قيس : هذه عليك لا لك ، دعها تترحَّل . فخفض علىّ بصره ، وقال : ما يُدريك ما علىّ مما لى ؟ عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين ، حائك ابن حائك ، مُنافق ابن منافق والله لقد أسَرَكَ الإسلام مَرّة ، والكُفر أخرى ، فما فَداك من واحدة منهما حَسَبُك ولا مالُك . ثم رفع إلىّ بصره وقال :

أصبحت قِرداً[1] لراعى الضأن يلعب بى ماذا يَريبك منِّى راعى الضانِ

فقلت له : بأبى وأمى ، قد كنت والله أحب أن أسمع هذا منك . فقال : هو والله ذاك . قال :

فما قِيل لى بعدها مِن مقالةٍ ولا عَلِقتْ منِّى جديداً ولا دَرْساَ[2]

(١) غير التجريد : « قنا » . والقن : العبد .
(٢) الدرس : الخلق البالى .

أخبار عَبْدة بن الطبيب

نسبه

ثم ذكر أبو الفرج : عَبْدة بن الطَّبيب . واسم الطَّبيب : يزيد بن عمرو بن وَعْلة ابن أنس بن عبد الله بن عبد بن تيم بن جُشَم بن عَبْد شمس بن سعد بن زيد مناة ابن تميم .

طبقته

وهو : شاعر مُجيد ليس بالمُكثر . وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام .

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء هو :

أَبُنَيَّ إنِّى قد كبرتُ ورابنى بَصرى وفىّ لمُصْلِح مُستمتعُ
فلئن كَبِرتُ لقد دنوتُ إلى البِلَى وخَلتْ لكم منّى خلائقُ أربع

من رثائه لقيس ابن عاصم

وهو الذى رثى قيس بن عاصم بقوله :

فما كان قيسٌ هُلكه هُلكَ واحدٍ ولكنّه بُنيانُ قومٍ تهدّما

أخبار الأغلب

شعره الذي فيه الغناء

ثم ذكر أبو الفرج خبر الأغلب ، وذكر شعره الذى فيه الغناء ، وهو :

إنَّ الليالى أسرعتْ فى نَقْضِى   أقعدننى من بعد طُول نَهضِ

أخذن بَعضى وتَركْن بعضى   حَنيْن طُولى وطَوَيْن عَرضى

نسبه

والأغلب ، هو : ابن جُشَم بن سعد ، أحد بني بَكْر بن وائل .

تعميره وإسلامه واستشهاده

وهو أحد المعمَّرين ، عُمِّر فى الجاهلية عمراً طويلاً ، وأدرك الإسلام فأسلم ، وحَسُن إسلامه وهاجر ، ثم كان فيمن توجَّه إلى الكوفة مع سعد بن أبى وقّاص ، رضى الله عنه ، فنزلها ، واُستشهد فى وقعة نهاوند ، فقبرُه هناك فى قبور الشهداء ، رحمه الله .

أول راجز

ويقال : إنه أوَّل مَن رجز الأراجيز الطِّوال من العرب .

له شعر فى تزوج سجاح بمسيلمة

ثم ذكر له أبو الفرج شعراً يذكر فيه تزوُّج سَجَاح بمُسيلمة الكذّاب ، لعنه الله ، أفحش فيه ، فاقتضى ذلك ذِكر سَجَاح وتزوّجها مُسيلمة .

ذكر خبر سجاح

قيل : إن سَجَاح التميميَّة ادَّعت النبوَّة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، واُجتمعت عليها بنو تميم ، وكان فيما ادعت أنه أُنزل عليها ؟ يأيها المؤمنون المُتقون ، لنا نِصف الأرض ولقريش نِصفها ، ولكنَّ قريشاً قومٌ يبغون . ادعاؤها النبوة

فتابعتها بنو تميم واُعتقدوا نُبوّتها . وكان فيهم الأحنف بن قيس ، وحارثة بن بدر ، ووجوه تميم كلها . من تتبعها

وكان شِبث بن رِبْعيّ الرِّياحيّ مؤذّنها . مؤذنها

وعمدت فى جيشها إلى مُسيلمة الكذّاب ، وهو باليمامة ، وقالت : يامعشر تميم ، اقصدوا اليمامة ، واُضربوا فيها كل هامة ، واضرموا فيها ناراً مَلهامة ، حتى تتركوها سوداء كالحمامة . من كلامها

وقالت أيضاً : إن الله لم يجعل هذا الأمر فى ربيعة وإنما جعله فى مُضر ، فاْقصدوا هذا الجمع ـ تعنى جمع مُسيلمة ـ فإذا فَضضتموه كررتم على قريش .

فسارت فى قومها ، وهم جمع عظيم. وبلغ مُسيلمةَ خبرُها ، وضاق بها ذرعاً وتحصن فى حِجر ـ وهو حصن اليمامة ـ وجاءت فى جيوشها فأحاطت به ، فأرسل إلى وجوه قومه وقال : ماترون ؟ فالوا : نرى أن تُسلم هذا الأمر إليها وتدعنا ، فإن لم نفعل فهو البَوار . وكان مُسيلمة داهية ، فقال : سأنظر فى هذا ، ثم بعث إليها : إن الله تبارك وتعالى أنزل عليكِ وحياً وأنزل علىّ ، فهلمّى نجتمع فنتدارس ما أُنزل علينا ، فمن أعرف الحق تبعه ، واجتمعنا فأكلنا العُربَ أكلا ، بقومى وقومك . فبعثت إليه : أفعل . فأمر بقبة أدم فضُربت ، وأمر بالعُود المَندلىِّ قصدها مسيلمة وخبر زواجه منها

فسُجِر(١) فيها . وقال : أكثروا من الطِّيب والمِجْمر(٢)، فإنَّ المرأة إذا شمت رائحة الطيب ذكرت البـاه . ففَعلوا ذلك . وجاءها رسوله يُخبرها بأمر القُبة المضروبة للاجتماع ، فأتته فقالت : هات ما أنزل الله عليك . فقال : ألم تَر كيف فعل ربك بالُحبلى ، أخرج منها نسمة(٣) تَسعى ، من بين صِفَاق(٤) وحَشى ، من بين ذكر وأنثى ، وأموات وأحيا ، ثم إلى ربهم يكون المُنتهى .

قالت : وماذا ؟ فقال : ألم تر أن الله خلقنا أفواجاً ، وجعل النساء لنا أزواجاً ، فنُولج فيهن قيسا(٥) إيلاجاً ، ونُخرجه منهن إذا شئنا إخراجاً .

قالت : فبأى شىء أمر ربك ؟ فقال :

ألا قُومى إلى النَّيـــكِ ... فقد هُيِّى لك المَضْـــجَعْ
فإنْ شِـــئتِ ففى البيت ... وإن شـــئت ففى المَخدع
وإن شئت سَـــلَقناكِ ... وإن شـــئت على أربع
وإن شِـــئت بثُلثيــه ... وإن شـــئت به أجمع

فقالت : بل به أجمع . فقال : كذلك أُوحى إلىّ ، فواقعها . فلمـا قام عنهـا قالت : إن مثلى لا يُجْرَى أمرُها هكذا ، فتكون وصمةً على قومى وعلىّ ، ولـكنى مُسلمة إليك النبوّة ، فاخطُبنى إلى أوليائى يُزوِّجوك ، ثم أَقود تميما معك. فخرجت وخرج ، واجتمع الحيَّان من حنيفة وتميم ، فقالت لهم سَجاح : إنه قرأ علىّ ما أُنزل عليه ، فوجدته حقًّا فاتبعتُه . ثم خطبها فزوّجوه إياها ، وسألوه عن المَهر فقال : قد وضعت عنكم صلاة العصر .

---

(١) سجر : أوقد ، بالبناء للمجهول فيهما . (٢) المجمر : العود .
(٣) فى غير التجريد : « نطفة » . (٤) الصفاق : جلد البطن .
(٥) القيس : الذكر . وفى غير التجريد : « الغراميل » .

قال الرواى : فبنو تميم إلى الآن بالرّمل لايصلُّونها ، و يقولون : هذا حق لنا ، ومَهرٌ لكريمتنا(١) لا نردّه . فقال شاعر تميم يذكر أمر سجاح فى قصيدة له :

أَضحت نبيَّتُنا أُنثى نُطيف بهـا وأصبحت أنبياء الله ذُكرانا

وذُكِر أنه سمع الزّبرقان بن بَدر الأحنفَ بن قيس يومئذ ، وقد ذكر مُسيلمةَ وما تلاه عليهم ، فقال الأحنف : والله ما رأيت أحمق من هذه الأنبياء قط . فقال الزبرقان : والله لأُخبرن بذلك مُسيلمة . فقال : إذن والله أُحلف أنك كذبت فيصدقنى ويكذبك . قال : فأَمسك الزّبرقان وعلم أنه قد صدق .

فحدَّث الحسن البصرى رحمه الله بهذا الحديث ، فقال : أَمِن والله أبو بحر من نزول الوحى .

مقتل مسيلمة وإسلام سجاح

ثم سار خالد بن الوليد بجيوش المسلمين إلى مُسيلمة ، لعنه الله . فقاتله ، فقُتل مسيلمة ، وانهزم أصحابه ، وأَسلمت سجاح بعد ذلك وحَسُن إسلامُها .

طليحة والأسود العنسى

وكان تنبأ أيضاً طُليحة بن خويلد الأسدى ، ثم أَسلم ، وكان أُدعى الأسودُ العَنسى النبوة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتله فيروز الدَّيلمى .

---

(١) غير التجريد : « كريمة منا » .

أخبار البُحتري

نسبه

هو : الوليد بن عَبيد بن يحيى بن عبيدين بن شِملال بن جابر[1] بن سلمة[2] ابن مُسهر[3] بن الحارث بن جُشَم[4] بن أبى حارثة بن جدى بن تَدول[5] بن بُحتر ابن عَتود بن عُنَير[6] بن سلامان بن ثُعل بن عمرو بن الغَوث بن جَلهمة ، وهو طيىء ، بن أُدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان .

كنيته ومنزلته فى الشعر

ويُكنى أبا عُبادة وأبا الحسن . شاعر فصيح فاضل حَسن المذهب نقىّ الكلام مطبوع .

شعره ومكان الهجاء منه

قال أبو الفرج : كان مشايخنا يَختمون به الشعراء المُحدثين . وله تصرُّف فى ضُروب الشعر سوى الهجاء ، فإنَّ بضاعته فيه نَزرة ، وجيّده فيه قليل .

ويقال : إنه كان له فيه شيء كثير فأحرقه عند موته .

تشبهه بأبى تمام

وكان البُحترى يتشبَّه بأبى تمام فى شعره ، ويحذو حَذوه ، وينحو نحوه فى البديع الذى كان أبو تمام يستعمله .

الحكم بينه وبين أبى تمام

وقيل فى الحكم بينهما : إن جيد أبى تمام خير من جيد البحترى ، ورديئه خير من وسط أبى تمام ورديئه .

اتصاله بأبى تمام وتوصيته به

وحكى البُحترى قال :

كان أول أمرى فى الشعر ونَباهتى فيه أن صِرتُ إلى أبى تمّام وهو بحمص ،

---

(١) الجمهرة (٣٧٧) : « تملان بن خالد » . (٢) فى غير التجريد : « مسلمة » .

(٣) الجمهرة : « سهم » . (٤) فى غير التجريد : « خيثم » .

(٥) الجمهرة : « جرول » . وغير التجريد : « نزول » .

(٦) الجمهرة : « عنين » . غير التجريد : « عنمة » .

فعرضت عليه شعرى ، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم ، فأقبل علىّ وترك سائر من حَضر ، فلما تفرقوا قال لى : أنت أشعر مَن أنشدنى فكيف حالك ؟ فشكوت إليه خَلة[1] ، فكتب إلى أهل مَعرة النعمان وشهد لى بالحذق فى الشعر ، وشفع لى إليهم ، وقال : امتدحهم ، فصرت إليهم فأكرمونى بكتابه ووظّفوا لى أربعة آلاف درهم ، فكانت أول مال أصبته .

وكانت نسخة كتابه : يصل كتابى هذا على يد الوليد أبى عُبادة الطائى ، وهو على بذاذته شاعر ، فأكرموه .

أول شعر له

وحَكى البُحترى قال :

كنت أتعشّق غُلاماً من أهل مَنبج ، يقال له : شَقران ، واتفق لى سفر ، فخرجتُ فيه وأطلتُ الغيبة ، ثم عُدت وقد اُلتحَى ، فقلت فيه ، وكان أول شعر قلته :

نَبتت لحيــــةُ شقرا ن شقيق النفس بَعدِى

حُلقت كيف أتتـــه قبل أن يُنجز وعدى

من أوسخ خلق الله وأبخلهم

وذكر أن البُحترى كان من أوسخ خلق الله ثوباً ، وأبخلهم على كل شىء ، وكان له أخ وغلام معه فى داره ، فكان يقتلهما جوعاً ، فإذا بلغ منهما الجوع أتياه يبكيان ، فيرمى إليهما بثمن أقواتهما مُضيَّقاً مقتراً ، ويقول : كلا ، أجاع الله أكبادكما ، وأعرى أجلادكما ، وأطال إجهادكما .

شعره فى جارية للمتوكل صبت فى فيه كوز ماء

وذُكر أنه اُجتازت جارية بالمتوكل معها كُوز ماء ، وهى أحسن من القمر ، فقال لها : ما اُسمك ؟ فقالت : بُرهان . فقال : ولمن هذا الماء ؟ قالت : لستِّى قَبيحة . فقال . صُبِّيه فى حَلْقى . فشربه عن آخره . ثم قال المتوكل للبحترى : قل فى هذا شيئاً ، فقال البحترى :

(١) الخلة : الحاجة .

ما قهوة (١) من رحيق كأسها ذَهبٌ   جاءت بها الحُور من جنّاتِ رِضوانِ
يوماً بأطيَب من ماء بلا عَطش   شربتُه عَبثاً من كفّ بُرهان

غلامه نسيم وشعره فيه بعد موته

وذُكر أنه كان للبحترى غلام ــ يقال له : نسيم ــ رُومى ، ليس بحسن الوجه ، وكان قد جعله باباً من أبواب الحِيل على الناس ، وكان يبيعه و يعتمد أن يصير إلى ملك بعض أهل المروءات ومن يَنفُق عنده الأدب ، فإذا حصل فى مِلكه شبَّب به وتشوّقه ، ومدح مولاه ، حتى يهبه له ، فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم ، فكُفى الناس أمره ، وفى نسيم هذا يقول البحترى :

دعا عَبرتى تجرى على الجور والقَصد   أظن نسيما حالف (٢) الهجر مِن بَعدِى
خَلا ناظرى من طَيفه بعد شَخصه   فواعجباً للدّهر فَقداً على فَقْد

شعره فى الاعتذار عن غلام جمشه

وذُكر أن البحترى كتب إلى محمد بن على بن القاسم يستهديه نَبيذاً ، فبعث إليه بنبيذ مع غُلام له أمرد ، فجمّشه البُحترى ، فغضب الغلام غضباً شديداً ، علم منه البحترى أنه سيُخبر مولاه بما جرى ، فكتب إليه :

أَبا جعفر كان تجميشُنا   غلامَك إحدى الهَنات الدَّنيَّهْ
بعثتَ إلينا بشَمس المُدام   تُضىء لنا مع شمس البريّهْ
فليت الهديَّة كان الرسو   لَ وليت الرسولَ إلينا الهديّهْ

فبعث إليه محمد بن على الغلام هدية ، فانقطع البحترى بعد ذلك عنه مُدة خجلاً مما جرى ، فكتب إليه محمد بن على :

هجرتَ كأنَّ البرّ أعقب حِشمة   ولم أر وصلاً قبل ذا أعقب الهجْرا

---

(١) فى غير التجريد : « شربة » .
(٢) فى غير التجريد : « قارب » .

فقال فيه البحترى قصيدته التى أولها :

فَتَى مَـــذحِج عفواً فتَى مَـــذحِج غفراً

وقال فيه أيضاً :

أمواهبٌ هاتيــك أم أنواءُ هُطل وأخـــذٌ ذاك أم إعطاء
إنْ دَام ذا أو بعضُ ذا مِن فعلِ ذا فَنِيَ السّـخاء فلا يُعدُّ سَخاء
ليْسَ الّذى حَلّت تميم وسطها (١) الدَّهناءلا بل صَدركَ الدهناء
ملك أعزَّ لآل طلحـــة مجْده كفّاه بحر سَماحة وسَـخاء
إنِّى هجرتك إذ هجرتُك حشمة لا العَوْد يُذهبها ولا الإبداء
أَخجلْتنى بنَدى يدَيْك فسوّدت ما بيننا تلك اليدُ البَيضـاء
وقطعتني بالـبرّ حتى إننى مُتوهّم ألاّ يكون لِقاء
صِلةٌ غدتْ فى النّاسِ وهىَ قطيعةٌ عجبٌ وبِرٌّ راح وهو جَفـاء
ليواصلنَّك رَكبُ شِعرى سائراً يَرْوِيه فِيك لحسنه الأعداء
حتّى يتمّ لك الثّناء مُخـلّداً أبداً كما تَمّت تلك النّعمـاء
فتظلُّ تَحسدُكَ المُلوكُ الصِّيدُ بِي ويَظلُّ يحسُدنى بك الشُّعراء

أنشد أبا تمام فذكره دنو أجله

وحكى البُحترى قال :

أنشدت أبا تمـام شيئًا من شعرى ، فتمثَّل ببيت أوس بن حَجر :

إذا مُقْرَمٌ مِنّا ذَرا حدُّ نابه تخَمّط منّا نابُ آخر مُقرَمِ (٢)

ثم قال لى : نعيتَ والله إلىَّ نفسى . فقلتُ : أعيذك بالله من هـذا القَول . فقال لى : إنَّ عمرى لن يطول ، وقد نشأ فى طيِّ مثلك ، أمَا علمت أن خالد بن

(١) غير التجريد : « وسطه ».

(٢) المقرم : البعير المكرم الذى لا يحمل عليه ولا يذلل ، يسمى به السيد الرئيس من الرجال . وذرا : انكسر . وتخمط : قسا وغلظ واشتد . يريد : إذا هلك منا سيد خلفه آخر .

صفوان رأى شَبيب بن شَيبة وهو من بين رهطه يتـكلّم فقال : يا بُنَىّ ، لقد نَعى إلىّ نفسى إحْسانُك فى كلامك ، لأنّا أهلَ البيت ما نشأ فينا خطيب قط ، إلاّ مات مَن قبله . فقلت : بل يُبقيك الله و يجعلنى فداك . ومات أبو تمّام بعد سنة .

هو و الصيمرى فى حضرة المتوكل

وحَكى أبو العنبس الصَّيْمرىّ قال :

كنت عند المتوكل والبُحترى يُنشده :

عن أىِّ ثَغرٍ يَبتسمْ وبأىِّ طَرفٍ يَحتكم

حتى بلغ إلى قوله :

قُل للخليفـــة جعفر الـ ـمُتوَكل بن المُعتصم

لِلمجتدى ابن المُجتدى والمُنعم ابن المُنتقم

أَســلِمَ لدين مُحمـــد فإذا سلمتَ فقد سَــلِم

وكان البُحتري من أبغض الناس إنشاداً ، يتشادق ويمشى تارةً جانباً وتارةً القَهقرى ، ويهزّ رَأْسه مرّةً وينكّبه أُخرى ، و يشير بكُمّه و يقف عند كل بيت ، و يقول : أحسنت والله . ثم يقبل على المُستمعين فيقول : ما لـكم لا تقولون لى : أحسنت ! هذا والله ما لاَ يُحسن أحد أن يقول مثله . فضجر المُتوكّل من ذلك وأقبل علىّ فقال: لا تسمع يا صيمرى ما يقول ؟ فقلت : بلَى يا سيّدى ، فمُرنى فيه بما أحببت . فقال : بحياتى أهجه على هذا الروي الذى أنشـدنيه . فقلت : تأمر ابن حمدون أن يكتب ما أقول . فدعا بدواة وقرطاس ، وحضرنى على البديه أن قلت :

أدخلتَ رأْسكَ فى الرَّحم وعلمتَ أنّكَ تنهزِمْ

(١) التجريد : « الحرم » .

يا بُحترى حَــــذار ويْـ حك من قُضاقضة[١] ضَغَم

فلقد أسَـلْتَ بواديكَ من الهجا سـيْلَ العَرِم

فبأىّ عِرْضٍ تَعتصِم وبِهتْكه جَفَّ القَلَم

واللهِ حِلْفــــة صادق وبِقَبرِ أحمـد والحَرَم

وحَقّ جَعفرٍ الإما م بن الإمام المُعتَصِم

لأُصــــيرَنَّكَ شُهْرَة بينَ المَسيلِ إلى العلم

حَىَّ الطُّلول بِذى سَلَم بينَ الأراكةِ والخِيَم

يا بن الثَّقيـلَةِ والثَّقيـ ل على قلوب ذوي النِّعَم

وعلى الصَّغيرِ مع الكبيـ ر من المَوالى والحَشَم

فى أىِّ سَلح يرْتَطِم وبأىِّ كفٍّ يَلتَقِم

يا بن المُباحَة للوَرَى أمِنَ العفافِ أم التُّهَم[٢]

إذ رَحْل أُختكَ للعجَم وفراشُ أُمِّكَ فى الظُّلَم

وببــــابِ دارِكَ حَانَة فى بيته يُؤْتَى الحَكَم

فغضب البُحترى وخرج يعدو ، وجعلت أصيح به :

أدخلتَ رأسَكَ فى الرحم وعلمتَ أنَّكَ تَنْهزِم

والمتوكّلُ يضحكُ ويصفّق حتى غاب عنه .

وذُكر أن المُتوكّل أمر يومئذٍ لأبى العنبس بالصِّلة التى أُعدَّت للبُحترى .

وذُكر أنَّ البُحترى لمَّا جَرَى ما جَرى مِن أبى العَنبس جاء أحمـد ابن يزيد فقال : أنت عشيرى وابن عم وصديق ، وقد علمت ما جرى علىَّ ،

(١) القضاقضة : الأسد يحطم كل شيء . (٢) غير التجريد : « العقاب أم الفهم » .

أفترى إن أخرج إلى مَنبج بغير إذن فقد ضـاع العلم وهلك الأدب . فقال له : لا تفعل من هذا شـيئاً ، فإنَّ المُلوك تمزح بأكثر من هذا . ومضى معه إلى الفتح بن خاقان فشـكا إليه ذلك . فقال له : نحواً من قول يزيد ووصله وخلع عليه وسكَّن منه ، فسكن إلى ذلك .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخبار البُحترى ، هو :

كم لَيْلةً فِيكَ بِتُّ أسهرها ولوْعة من هواكَ أُضمرها
وَجمْرَة والدُّمُوع تُطفِئُهَا ثمَّ يَعُودُ الجوَى فيُسعرها
بيْضاء رُؤْد[1] الشَّباب قد غمَسَت فى خَجـلٍ ذائبٍ بمُصفرها
اللهُ جارٌ لها فما امتلأت عَيناىَ إلاَّ من حيثُ أبصرها

(١) رؤد الشباب : حسنته .

أخبار علقمة بن عَبَدَة

هو : عَلقمة بن عَبَدَة بن النُّعمان بن ناشرة بن قيس بن عبد بن ربيعة ابن مالك بن زيد مناه بن تميم . نسبه

ويُسمَّى : عَلقمة الفحل ، سمَّته العرب بذلك لأنه خاف على أمرأة أمرئ القيس ، حكمت له على أمرئ القيس أنه أشعر منه ، فطلّقها أمرؤ القيس وخلف علقمة عليها . وحديث ذلك أنه كان تحت امرئ القيس امرأة من طيّئ ، تزوّجها حين جاور فيهم ، فنزل به علقمة الفحل فقال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أشعر منك . فتحاكما إليها ، فأنشدها امرؤ القيس قصيدته التى أولها : سبب تسميته علقمة الفحل

* خليلى مُرّا بى على أم جُندب *

وأنشدها علقمة قصيدته التى أولها :

* ذهبتَ من الهجران فى غير مَذْهبِ *

فقضت لعلقمة بأنّه أشعر من أمرئ القيس . فغضبَ أمرؤ القيس وطلّقها . فتزوّجها علقمة .

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار علقمة الفحل ، هو : الشعر الذى فيه الغناء

هل ما علمتَ وما أُستَوْدِعتَ مَكتومُ ... أمْ حَبْلُها إذ نأتكَ اليومَ مَصرُومُ

أم هل كَثيب[1] بكى لم تقْضِ عَبْرته ... إثر الأحبَّة يوم البَيْن مَشكوم

يَحملن أُترجة نَضْخ العبير بها ... كأنَّ تَطْيابها فى الأنف مَشموم

كأنَّ إبريقهم ظَبيٌ على شَرف ... مُفَدَّم[2] بِسبا الكتّان مَلثوم

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

(١) غير المجريد : والديوان (٤٣) «كبير» .

(٢) مفدم : عليه فدام ، وهو ما يوضع فى فم الإبريق من مصفاة ونحوها . وسبا الكتان : سبائبه ، جمع سبيبة ، وهى الشقة .

قد أشهد الشرب فيهم مِزْهر صَدِح (١) والقوم تصرعهم صهباء خُرطوم

حكم قريش له

وذُكر أنَّ العرب كانت تعرض أشعارها على قريش ، فما قبلوا منه كان مقبولاً ، وما ردُّوا منه كان مَردوداً ، فقدم عليهم علقمة الفحل فأنشدهم قصيدته التى يقول فيها :

* هل ما علمتَ وما أُستودعتَ مَكتوم *

فقالوا : هذه سمط الدَّهر . ثم عاد إليهم العام المقبل فأنشدهم :

طَحابك قلب فى الحِسان طَروب بُعيد الشَّباب عَصْر حان مَشِيبُ

فقالوا : هاتان سمط الدَّهر .

(١) الديوان (٦٧) : « رنم » .

انتهى الجزء الثانى من القسم الثانى

من كتاب تجريد الأغانى لابن واصل الحموى

يتلوه إن شاء الله

الجزء الثالث من القسم الثانى

وأوله

أخبار عريب

فهرست أول — لتراجم الجزء الثانى

من القسم الثانى من تجريد الأغانى

فهرست ثان — لتراجم الجزء الثانى

من القسم الثانى من تجريد الأغانى



تجريد الأغاني

تأليف

ابن واصل الحموى

المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

القسم الثاني — الجزء الثالث

تحقيـــق

الدكتور طه حسين و ابراهيم الأبيارى

القاهرة
مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
٤٠ شارع نوبار باشا (ساحاشارع الدواوين)
١٣٨٢ — ١٩٦٣

ذكر أخبار لعريب

شيء عنها

كانت عَريب مغنية محسنة صالحة الشعر ، وكانت مليحة الخط حسنة الكلام مُبدعة في الحسن والجمال والظرف وحُسن الصوت وجودة الضرب و إتقان الصنعة والمعرفة بالنّغم والرواية للشِّعر .

أمها وزواج جعفر بها وولادتها عريب

وذُكر أن أم عريب كانت تُسمى : فاطمة ، وكانت قيِّمة لأُم عبد الله ابن يحيى بن خالد ، وكانت صبية نظيفة ، فرآها جعفر بن يحيى فهويها ، وسأل أم عبد الله أن تزوجه إيّاها ففعلت . وبلغ الخبر يحيى بن خالد فأنكره ، وقال : أتتزوَّج من لا يُعرف له أب ولا أم ! أشتر مكانها ألف[1] جارية ، وأخرجها . فأخرجها وأسكنها داراً في ناحية باب الأنبار سرًّا من أبيه ، ووكل بها مَن يحفظها ، وكان يتردد إليها . فولدت عريب في سنة إحدى وثمانين ومائة ، فكانت سنوها إلى أن ماتت ستًّا وتسعين سنة . وماتت أم عريب في حياة جعفر ، فدفع جعفر عريب إلى امرأة نصرانية وجعلها داية لها .

شراء المراكبي لها

فلمّا حدثت النكبة بالبَرامكة بيعت عَريب من سنبس النخاس فباعها من المراكبي ، وهو أحمد بن عبد الله بن إسماعيل .

شبهها بجعفر

فكان الفضل بن مروان يقول : إذا نظرت إلى قدمى عريب شبّهتها بقدمى جعفر بن يحيى .

وذُكرت بلاغتها لبعض الكُتاب . فقال : وما يمنعها من ذلك ، وهى بنت جعفر بن يحيى .

---

(١) غير التجريد : « مائة » .

روايتها شعراً لعمها يجيب به رسول الرشيد

وحكت عريب قالت:

بعث الرشيد إلى أهلنا ـ يعنى البرامكة ـ رسولاً يسألهم عن أحوالهم، وأمره ألاّ يعلمهم أنه من قِبَله. قالت: فصار إلى عمّى الفضل، فسأله، فأنشأ عمّى يقول:

سألونا عن حالنا كيفَ أنتم ... مَن هَوَى نجمُه فكيف يكونُ
نحن قوم أصابنا عبث الدّهـ ... ـر فظَلْنا لرَيبه نَسْتكين

وأنكر أبو الفرج هذا وقال: الشعر للحُسين بن الضحّاك يرثى به الأمين، وبعده:

نتمنَّى من الأمين إيابا ... كلَّ يوم وأين منّا الأمينُ

عشقها حاتماً وقصة هربها من مولاها

وذُكر أن المراكبى مولى عريب خرج بها إلى البصرة فأدَّبها وخرّجها وعلّمها النّحو والخطّ والشّعر والغناء، فبرعت فى ذلك أجمع وتزايدت حتى قالت الشّعر، وكان لمولاها صديق يقال له: حاتم بن عدى، فعشقته عريب واتخذت سُلّماً من خُيوط غلاظ، فإذا أرادت المضى إليه لفّت ثيابها وجعلتها فى فراشها بالليل ودثّرتها بدِثارها ثم تسوّرت الحائط ومضت إلى حاتم هذا، فتمكث عنده ما تمكث ثم ترجع، وكانت ربما تبعث تطلب عُودها من مولاها، فيبعثه إليها ويظن مولاها أن حاتماً استعاره لمُغنِّية عنده ولا يعلم بشىء من الحال، ثقةً بصديقه. ثم هربت من المراكبى فكانت تُغنِّى عند قوم ببغداد مُستترة متخفّية. فكبسها وأخذها وضربها مائة مِقرعة.

اغتصاب الأمين لها وهربها بعد قتله

ولما صارت الخلافة إلى محمد الأمين طلبها من مولاها، فامتنع، فدعا بمولاها فأمر بضرب عُنقه. ثم سُئل فى أمره فحَبسه وطالبه بمبلغ كبير ـ قيل: إنه خمسمائة ألف درهم مما اقتطعه من نفقات الكُراع لأنه كان متولّيها ـ وأُخذت عريب من منزله فكانت عند الأمين حتى قُتل. فلما قُتل هَربت إلى مولاها المراكبى.

لبعض الشعراء في مظلومة وكان المراكبي أقامها رقيبة على عريب

وذُكر أنه كان للمراكبي جارية ــ يقال لها : مظلومة ــ جميلة الوجه بارعة الحسن ، وكان يبعث بها مع عريب إلى الحمّام وإلى مَن تزوره من أهله ومعارفه . فكانت ربمّا دخلت معها إلى ابن حامد الذي كانت تتعشّقه . فقال فيها بعض الشُّعراء .

لقد ظلَموكِ يا مَظلوم لمّا أَقامُوكِ الرّقيب على عَريبِ
ولو أَولوكِ إنصافاً وعَدلا لما أَخلَوكِ أنت من الرّقيب
أَتَنهين المُريب عن المعاصى فكيفَ وأنت من شأنِ المريب
وكيفَ يُجانب الجانى ذُنوباً لديْكَ وأنت داعيةُ الذُّنوب

شعر قريب منه للناشيء

وذَكر أبو الفرج أبياتاً تَقرب من هذا المَعنى ، وإن لم تَكن منه ، فى رقيبة مغنية ، قال : وأظنها للنّاشىء :

فديتُك لو أنهم أنصفو ك[1] لمَامَنعوا العينَ عن ناظريْكِ
أَلم يقرءوا وَيحهم ما يرو ن من وحى طَرفك فى مُقلتيْك
وقد بعثوكِ رقيباً لَنــا فَمَنْ ذا يكونُ رقيباً عليْك
تَصدّين أعيننا عن سِواك وهل تنظر العيْن إلاَّ إليْك

اشتراها المأمون ثم المعتصم وأعتقها

ثم اشترى المأمون عريب من المراكبي مولاها ، فذهبت به كل مذهب ميلاً إليها ومحبّة ، حتى قِيل إنه قبّل فى بعض الأيام رجلها . فلمّا مات المأمون بيعت فى ميراثه ولم يُبع له عبد ولا أَمة غيرها . فاشتراها المُعتصم بمائة ألف درهم وأَعتقها ، فهى مولاته .

قصة شراء المأمون لها من المراكبي

وكان المأمون أكره مولاها المَراكبي على بيعها ، لأنه كان شديد الشّغف بهــا ، وأنه دعا به ودفع إليه خمســة آلاف دينار وقال : لولا أنى حَلفت ألاّ

(١) غير التجريد : « أنصفوا * لتبدّ منعوا » .

أشـــترى مملوكاً بأكثر من هذا لِزِدْتك ، ولـكنّى سأوليك عملاً تَـكْسب فيه أضعافاً لهذا الثمن مضاعفة ، ورمى إليه بخاتمين ياقوتاً أحمر قيمتهما ألف دينـار ، وخلع عليه خِلعاً سنيَّة . فقال : ياسيّدى ، إنّمـا ينتفع الأحياء بمثل هذا وأمّا أنا فإنّى ميِّت لا محالة ، فإنَّ هذه الجارية كانت حياتى . وخرج من حضرته وتغيَّر عقله ، ومات بعد أربعين يوماً .

وقيل : إنَّ المأمون اشتراها بمائة ألف درهم .

حيلة ابن رباح فى إثبات ثمنها لاعتراض الفضل وقصة ذلك

فحـكى إبراهيم بن رباح قال :

كنت أتولّى نفقات المأمون ، فوصف له إسحاق بن إبراهيم عريب ، فأمره أن يشتريها ، فاشتراها بمائة ألف درهم ، وأمرنى المأمون بحَملها وأن أحمل إلى إسحاق مائة ألف درهم أخرى ، ففعلت ذلك ، ولم أدر كيفَ أثبتها ، فحـكيتُ فى الديوان أن المائة الألف خرجت فى ثمن جوهرة ، والمائة الألف الأخرى خرجت لصانعها ودلاّلها . فجـاء الفضل بن مروان فأنـكر ذلك حين رآه مُثبتاً ، وسألنى عنه ، فقلت : نعم ، هو ما رأيت . فأخبر المأمون بذلك ، فأنـكره ودعانى ، فدنَوت منه وأخبرته أنه هو المـال الذى خرج فى ثمن عريب وصلة إسحاق ، وقلت : إنمـا أصوّب يا أمير المؤمنين ما فعلت أو أُثبت أَنها خرجت صلة لمغنّ وثمن مغنّية ؟ فضحك وقال : الذى فعلت أصوب . ثم قال للفضل بن مروان : يا نبطى ، لا تعترض على كاتبى هذا فى شىء .

قصة حبسها لحبها ابن حامد

قيل :

وكانت عريب تتعشّق محمد بن حامد ، فكانت تُـكاتبه وهى عند المأمون ، وتحتال فى الخروج إليه والاجتماع به ، حتى قيل إنها حبلت منه ووضعت بنتاً . فقيل إنَّ المأمون زوَّجه منها . وقيل إنه أمر بإلباسها جُبَّة صوف وختم زيقها وحبَسها فى كهف مظلم شهراً لا ترى الضَّوء ، يدخل إليها خبز وملح وماء من تحت

الباب فى كل يوم ، ثم ذكَرها فرقَّ لها وأمَر بإخراجها . فلمّا فُتح البــاب عنها وأخرجت لم تتكلّم حتى أندفعت تغنّى :

لو كان يقدرُ أن يَبثك ما به　　　لرأيتَ أحسنَ عاتب يتعتّبُ

حَجبوه عن بصرى فُمثّل شخصه　　　فى القلب فهو مُحجَّب ما يُحجب

فبلَغ ذلك المأمون ، فقال : لا تصلح هذه أبداً .

من شعرها فى ابن حامد

وكانت عَريب تُـكاتب محمداً هذا برقاع فيها شِعر ، فممّا كاتبته به ووُجد فى تركَته بعد مَوته :

وَيلِى عَلَيْك ومِنـــكَ　　　أوقعتَ فى القلبِ شـــكّاً

زعمتَ أنى خؤونٌ　　　جوراً علىَّ وإفْكا

إن كانَ ما قلتَ حقّا　　　أو كُنتَ أزمعت تركا

فأبدل اللهُ ما بِى　　　من ذلَّةِ الحبِّ نُسـكا

فراسة المأمون وقد أومأ إليها ابن حامد فى مجلسه بقبلة

وذُكر أنّ عريب كانت عند المأمون يوماً ، وفى المجلس محمد بن حامد ، فغنَّت عَريب :

رمَى ضرعَ نابٍ فأستمرَّ بِطعنةٍ　　　كحاشيةِ البُردِ اليمانىّ المُسهّمِ

فقال لهـا المأمون : أمسكِى، فأمسكَت. ثم أقبلَ على النُّدماء فقال : أيُّـكمُ أَومأَ إلى عريب بقُبلة ؟ فوالله لئن لم يَصدقنى لأضربنَّ عُنقه . فقام محمد بن حامد فقال : يا أمـــير المؤمنين ، أنا أومأْتُ إليها ، والعفوُ أقربُ للتقوَى . فقال : قد عفوْت . فقال : كيف أستدلَّ أمير المؤمنين ؟ فقال : أبتدأت صوتاً وهى لا تُغنّى ابتداء إلاّ عنّى ، فعلمتُ أنّها لم تبتدئ هذا الصّوت إلاّ لشيءٍ أُومِئَ إليها به ، ولم يكُن شرط هذا الموضع إلاّ إيماء بقُبلة ، فعلمت أنها أجابته بطعنة .

إيثارها المعتز من بين ثمانية من الخلفاء عرفتهم

وذُكر أنها كانت تُحبُّ أبا عيسى بن الرشيد ، فكانت تقول : فعل بى ثمانية من خلفاءِ بنى العباس ، وما أحببْتُ منهم أحدًا إلاَّ المُعتز لشَبهه بأبى عيسى ابن الرَّشيد . والثمانية الذين عَنتهم وأُدعت أنهم فعلوا بها ، هم: الأمين ، والمأْمون ، والمُعتصم ، والواثق ، والمتوكّل ، والمُستعين ، والمُعتز .

سئلت عن شهوتها حين أسنت فأجابت

ولمَّا أَسنّت وعَجزت قيل لها : كيف شَهْوتك الساعة ؟ فضحكت وقالت : أمّا الشَّهوة فبحالها ، ولكن الآلة قد بطلت .

شرطها

وسُئلت مرّة عن شرطها أى شىء هو ؟ فقالت : شرطى أير صُلب ونكهة طيِّبة ، وما انضاف إليه من حُسن يوصف وجمال يُحمد فزيادة ، وأمَّا هذان فما لابدَّ منهما .

إعجاب المأمون بإجابتها عن الوصل بعد الهجر

وذُكر أنَّ المأْمون عَتب على عَريب فهَجرها أيَّاماً ، ثم اعتلّت فعادها ، فقال : كيف وجدتِ طَعم الهجر ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ، لولا مَرارة الهجر ما عرفت حلاوة الوَصْل ، ومَن ذَمَّ بَداءة الغضبِ حمدَ عاقبة الرّضى . فخرج المأمون إلى جُلسائه فحدَّثهم بالصّفة ، وقال : أترى لو كان هذا من كلام النُّظَّام لم يكن كثيراً !

رفضها دخول ابن أبى دواد بينها وبين المأمون

وذُكر أنها جرَى بينها وبين المأْمون كلام فهجرَته أيَّاماً . قال القاضى أحمد ابن أبى دُواد : فدخلتُ على المأْمون فقال لى : يا أحمد ، اُقض بيننا . فقالت عَريب : لا حاجة فى قضائه ودخوله بيننا ، وأنشأت تقول :

ونَخلطُ الهجرَ بالوصالِ ولا يدخُل فى الصُّلح بيننا أحدُ

هى وابن حمدون والمأمون فى خرجة لها

وحَكى أحمد بن حمدون عن أبيه قال :

كنتُ حاضراً مجلس المأمون ببلادِ الرُّوم بعد العشاء الآخرة فى ليلةٍ ظَلْماء ذاتَ رُعود وبُروق ، فقال لى المأْمون : اركب الساعةَ فرس النَّوْبة وسِرْ

عسكر أبي إسحاق ـ يعني المُعتصم ـ فأَدِّ رسالتي ، وهي كيت وكيت . فلم تثبت معي شمعة ، وسمعتُ وقع حافر دابَّة، فرهبتُ ذلك وجعلتُ أتوقّاه حتى صَكَّ رِكابي رِكاب راكب تلك الدّابَّة ، وبرَقتْ برقة فأبصرتُ وجه الرّاكب ، فإذا عَريب ، فقلت : عريب ؟ فقالت : نعم ، حمدون ؟ فقلت : نعم ، ثم قُلت لها : مِن أين أقبلتِ في هذا الوقت ؟ فقالت : من عند محمد بن حامد . فقلت : وما صَنعتِ عنده ؟ فقالت : عَريب تجيء في مثلِ هذا الوقت من عندِ محمد بن حامد خارجة من مَضربِ الخليفة راجعة إليه تقول لها : أي شيء عملتِ معه ؟ صلَّيت معه التَّراويح ، أو قرأت عليه أجزاء من القرآن ، أو دارستَه شيئاً من الفِقه ، يا أحمق تحادَثنا وتعاتَبنا واصطلحْنا ولَعبنا وشَربنا وغنّينا وتنايكنا وانصرفنا .

قال : فأخجلتني ، فافترَقنا ومضيْت فأدّيت الرِّسالة ، ثم عُدت إلى المأمون وأخذْت في الحديثِ وتناشدنا الأشعار ، فهمَمْت والله أن أحدثه بحديثها ثم هِبته ، فقلت : أقدّم قبل ذلك تعريضاً من الشِّعر ، فأنشدته :

ألا حيّ أطلالا لقاطعة الحبل ... ألوف تسوّى[1] صالح القوم بالرَّذلِ

فلوْ أنّ مَن أمسى بجانب قلعة ... إلى جَبلي طَيّ فساقطة الحَبْل[2]

جُلوس إلى أن يقصر الظلّ عندها ... لراحُوا وكُل القوم منها على وَصل

فقال المأمون : اخفض صوتك لا تَسمع عَريب وتظنّ أنّا في حديثها . فأمسكتُ عمّا أردت أن أخبره به وخار الله لي في ذلك .

رجوعها إلى ابن حامد بعد قطيعة

وذُكر أنّه وقع بينهما وبين محمد بن حامد شرّ كادا يخرجان به إلى القَطيعة ، فلقيته عَريب بعد ذلك فقالت له : كيف قَلْبك يا محمد ؟ فقال : أشقَى والله ما كان وأقرحه . فقالت له : استبدل تَسْلُ . فقال لها : لو كانت البلوَى اختياراً لفعلت .

---

(١) في بعض أصول الأغاني : « تساوى » . (٢) معجم البلدان : « ساقطه النعل » .

فقالت : لقد طال إذن تعبك ؟ فقال : وما يكون؟ أصبر مُكرهاً ، أما سمعتِ قول العباس بن الأَحْنف :

تعبٌ يطول[1] مع الرّجاء لِذى الهوَى خيرٌ له من راحةٍ فى الياسِ
لولا كرامتكم لما عاتبتُكم ولكُنتمُ عندى كبعضِ النّاس

فذَرفَت عيناها واُعتذرت إليه وأعتبته واُصطلحا وعاد إلى أفضل ما كانا عليه .

حديثها عن خبر صوت غنته

وحكى أحمد بن الفُرات قال :

كُنّا عند جعفر بن المأمون نشرب ، وعَريب حاضرة ، إذ غنّى بعض مَن كان هناك :

يا بدرُ إنكَ قد كسبت مشابها من حُسنٍ[2] ذاكَ المُستنير اللائحِ
وأراكَ تَمْصح[3] بالمَحاقِ وحُسنها باقٍ على الأيَّامِ ليس ببارِحِ

فضحكَت عَريب وصفَّقت وقالت : ما على وجهِ الأرض أحدٌ يعرفُ خبرَ هذا الصوت غيرِى . قال : فسألتها ، فقالت : أنا أُخبركم بقصَّته ، ولولا أنّ صاحب القصَّة قد مات لمَا أَخبرتكم ، إنّ أبا مُحَلِّم قَدِم بغداد فنزل بقُرب دار صالح المسكين فى خانٍ هناك . فاطّلعت يوماً أُم محمد بنت صالح فرأته يبول ، فأَعجبها مَتاعه وأحبّت مُواصلته ، فجعلت لذلك عِلّة بأن وجّهت إليه تَقترض منه مالاً وتُعلِمه أنّها فى ضيقةٍ وأنَّها ترُدّه إليه بعد جُمعة ، فبعث إليها عشَرَة آلاف درهم وحلف أنّه لو مَلَكَ غيرها لبعثَ بها . فاُستحسنت ذلك وواصلته وجعلت القَرض سبباً للوُصلة ، وكانت تُدخِله إليها ليلاً ، وكُنت أنا أُغنّى لهم ، فشربنا

(١) غير التجريد : « يكون » . (٢) غير التجريد : « وجه » .
(٣) تمصح : أى تذهب نضرتك .

ليلةً فى القمرِ . وجعلَ أبو مُحْلِم ينظرُ إليها ، ثم دعا بدواةٍ و رُقْعة وكتب فيها :

يا بدرُ إنَّكَ قد كُسبت مُشـابها   من وجهِ أُم محمد ابنة صـالح

والبيت الآخر ، وقال لى : غَنِّ فيه ، ففعلت ، واُستحسَناه وشربنا عليه . فقالت أُم محمـد فى آخر المجلس : إنّك قد غنّيت فى هذا الشّعر ، إلاّ أنَّه سيبقى علىَّ فَضيحة آخر الدَّهر . فقال أبو مُحْلِم : فأنا أُغيِّره . فجعل مكان « أُم محمد ابنَة صالح » : « ذاكَ المُستنير اللائح » وغنّيته أنا كما غيّره ، وأخـذه النّاس عنِّى . ولو كانت أُم محمد حيَّة لمَا أَخْبرتكم الخبر .

شعرها فى حذر ابن حامد

وذُكر أنَّ عَريب كَتبت إلى محمد بن حامد تَستزيره ، فـكتبَ إليها : إنِّي أخافُ على نفسى ، فَـكتَبت إليه :

إذا كُنتَ تحذر ما تحذر   وتزعمُ أنَّك لا تجسُرُ

فما لى أُقيم على صبوتى   ويومُ لقائِك لا يُقدَرُ

خبر يتعلق بشعر للأحوص

خبر المنصور مع رجل من أهل المدينة فى شعر للأحوص

ثم ذكر أبو الفرج شعراً للأحوص بن محمد الأنصارى يُغنَّى فيه ، وهو :

يا دار عاتكة التى أتعزّل[1] حذَرَ العِدى وبها الفؤاد مُوكّل

إنى لأمنحك الصُّدود و إنَّنى قَسماً إليك مع الصُّدود لأَميل

فاقتضى ذلك أن أذكر ما يتعلق بهذا الشِّعر ، والذى أخترته من ذلك أنَّه :

ذُكر أن المنصور أبا جعفر أمر الرَّبيع أن يبغى له رجلاً يعرف المدينة وأهلها وحيطانها وطُرقها ودُورها ، وذلك حين حجَّ ، وكان رجلٌ من أهل المدينة من الأنصار قد أنقطع إلى الرَّبيع زماناً ، فقال له الرَّبيع : تهيَّأْ ، فإنِّى أظُنّ أن جَدّك قد تحرَّك ، إنَّ أميرَ المؤمنين قد أمرنى أن أسايره برجل يعرف المدينة وأهلها ، فتحرَّ موافقته ولا تبدأ بشىء حتى يسألك ولا تكتمه شيئاً ولا تسأله حاجة . فغدا عليه الرَّجل ، وصلَّى المنصور الفجر وقال : يا ربيع ، الرَّجُل . فقال : ها هو ذا . فسار معه يُخبره عمَّا سأل ، ثم أقبل عليه المنصور فقال : مَن أنتَ أوَّلاً ؟ قال : مَن لا تبلغه مَعرفتك . قال : فما لك من الأهل والولد ؟ قال : ما تزوَّجت ولا عندى خادم . قال : فأَين مَنزلك ؟ فقال : ليس لى منزل . قال : فإنَّ أمير المؤمنين قد أمر لك بأربعة آلاف درهم . فرمى بنفسه فقبَّل رجله ، فقال : اُركَب ، فركب ، فلمَّا أراد الانصراف قال للرَّبيع : يا أبا الفضل ، إنَّ أمير المؤمنين قد أمر لى بأربعة آلاف درهم . قال : إيه . قال : إن رأيت أن تُنجزها . قال : هيهات . قال : فأصنع ماذا؟ قال : لاأدرى والله . فقال الفتى : هذا ما لم يكن فى الحساب .

---

(١) أتعزله : أكون عنه بمعزل .

فلبث أيّاماً ثم قال المنصور للرّبيع : ما فعل الرجل ؟ قال : حاضر . قال : سايرنا به غداً ، ففعل . فقال الرّبيع له : المَنصور خارج بعد غد ، فاحتل لنفسك ، فإنّه والله إن فاتك فإنّه آخر العهد به . فسار معه فجعل لا يكلّمه بشيء ، حتى انتهى إلى مَسيره ، ثم رجع ، وهو كالمُعرض عنه . فلمّا خاف فوته أقبل على المنصور فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا بيت عاتكة الذى يقول فيه الأحوص :

* يا بيت عاتكة الذى أتعزّل *

قال : فَمَهْ . قال : إنّه يقول فيها :

إنّ امرأ قد نالَ منكَ وسيلة ... يرجو منافع غيرها لَمُضَلّلُ

وأراك تفعَل ماتقول وبعضهم ... مذق الحديث[1] يقول ما لا يفعل

فقال له المنصور : قد وأبيك أذكرت بنفسك، وأمر له بأربعة آلاف درهم ، فقبضها وانصرف .

---

(١) مذق الحديث : غير مخلص فيه .

أخبار عبد الله بن الحسن

نسبه — هو : عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ـ رضى الله عنهم .

أمهاته — وأمّه فاطمة بنت الحسين بن على ، وأمّها أم إسحاق بنت طلحة بن عُبيد الله .

وأمّها الجرباء بنت قُسامة الطّائية ، وإنّما سُمّيت الجرباء ، لحسنها ، كانت لا تقف إلى جانبها أمرأة ، وإن كانت جميلة ، إلاّ أستقبح منظرها ، فكانت النساء يتحامَيْن أن يَقِفْنَ إلى جنبها ، فشُبهت بالنّاقة الجرباء التى تتوقّاها الإبل مخافة أن تُعديها .

خبر أم إسحاق بنت طلحة — وكانت أبنتها أم إسحاق بنت طلحة من أجمل نساء قُريش وأسوئهن خُلقاً ، فكانت ربّما حَملت وولدت وهى لا تكلم زوجها . وكانت أم إسحاق هذه عند الحسن بن علىّ ـ رضى الله عنهما ـ فولدت له طلحة بن الحسن ، فلمّا حضرت الحسنَ الوفاةُ قال لأخيه الحُسيْن ـ رضى الله عنهما ـ : ياأخى ، إنّى أرضى هذه المرأة لك ، فلا تَخرجَنّ من بيوتكم ، فإذا أنقضت عدّتها فتزوّجها . فلمّا تُوفى الحسن عنها تزوّجها الحُسيْن ، فولدت له فاطمة بنت الحُسيْن ، فهى أخت طلحة بن الحسن لأمّه وأبنة عمّه ، ودَرج طلحة ولا عقب له .

خبر فاطمة بنت الحسين — وتزوّجت فاطمة أبن عمّها الحسن بن الحسن فى حياة عمّه الحُسيْن ، هو الذى زوّجه إيّاها . فولدت له أولاداً منهم : عبدُ الله بن الحسن ، والحَسَن المُثلّث بن الحسن المُثنّى أبن الحسن السّبط ـ رضى الله عنهم ـ . ولمّا حضرت الحسن المُثنّى الوفاةُ جَزع وجعل يقول : إنّى لأَجد كَرباً ليس من كرب المَوت ، وأعاد ذلك دفعات . فقال له بعض أهله : ماهذا الجزع؟ تقدَم على رسول الله صلّى الله عليه وسلم جدّك ، وعلى علىّ والحسن والحُسيْن ، وهم أباؤك . فقال : لعمرى إن الأمر لكذلك،

ولكن كأنّى بعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان حين أموت وقد جاء فى مُمصَّرتين قد رجّل جُمّته يقول : أنا من بنى عبد مَناف ، جئتُ لأشهد أبن عمى، وما به إلاّ ن يخطب فاطمة بنت الحُسين ، فإذا جاء فلا يَدخل علىّ . فصاحت فاطمة به : سمع . فقال : نعم . فقالت : أعتقتُ كل مملوك لى وتصدّقت بكل مِلك لى إن أنا تزوّجتُ بَعدك أحداً أبداً . فسَكن الحَسن فما تنفّس ولا تحرّك حتى قضى . فلمّا أرتفع الصِّياح أقبل عبد الله العُثمانى على الصِّفة التى ذكرها الحسن ، فقال بعض القوْم : نُدخله . وقال بعضهم : لا يدخل . وقال قوم : لايضر دخوله . فدخل وفاطمة تَصُك وجهها . فأرسل إليها وَصيفاً كان معه ، فتخطّى النّاس حتى دنا منها فقال : يقول لك مَولاى : أبقى على وجهك فإن لَنا فيه أربا . فأرسلت يدها في كُمها وأختمرت ، وعرف ذلك فيها فما لطمت حتى دُفن ، فلمّا أنقضت عدّتها خَطبها . فقالت : فكيف لى بنذرى ويمينى ؟ فقال : نُخلف عليك بكلّ عبدٍ عبدين ، وبكل شىء شيئين . فأوْلدها عبدُ الله محمداً الملقّب بالدّيباج لحسنه ، فهو أخُو بنى الحسن المُثنّى لأُمّهم . وزوّج أبنته من إبراهيم بن عبد الله ، ولحقه الضرر فى أيّام المنصور بسببهم وآل أمره إلى الحبس والقتل .

وكان عبد الله بن الحسن شيخ أهله وسيداً من ساداتهم ومقدّماً فيهم فضلاً وعلماً وكرماً . منزلة عبد الله

وذكر أنّه أنتهى كل حُسن إليه فكان يقال : مَن أَحسَن النـاس ؟ فيقال : عبد الله بن الحسن . وكان يقول : أنا أقرَب النـاس من رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، ولدنى مرتين ، وأجتمعت له ولادة الحسن والحسين ـ رضى الله عنهما .

وكان عبد الله بن الحسن يلقّب النّفس الزّكيّة ، وكان جليل القَدر عظيم الشأْن فى بنى هاشم .

مبايعة الهاشميين له أيام بنى أمية

وقد ذكر أن بنى هاشم اجتمعوا بين الرُّكن والمُقام ورضوا به ، واتفقوا على مُبايعته بالخلافة سرًّا ، وذلك فى أيام بنى أُمية ، وكان من جُملتهم يومئذ أبو جعفر المنصور .

تتبع المنصور له

فلما زال ملك بنى أُمية وأفضت الخلافة إلى بنى العباس ، رُشّح محمد بن عبد الله للأمر ، ومال إليه خلق من الناس ، لمَا يعلمونه من أصالته وديانته وفضله وصلاحيته للخلافة وتعيُّنه بها ، وخاف من المنصور فاستتر هو وأخوه إبراهيم ، وجعلا يدعوان الناس سرًّا ، وأحس المنصور بذلك فاشتد فى طلبهما .

حكى أن المنصور دعا بنى هاشم رجلًا رجلا وسألهم عن محمد ، فكلهم يقول : قد علم يا أمير المؤمنين أنك قد عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم فهو يخافك على نفسه ، ولا يريد بذلك خلافاً ولا يُحب لك معصية ، إلا الحَسن بن زيد بن على فإنه أخبره خبره وقال : والله ما آمن وثُوبه عليك ، وإنه لا ينام ، فَتَر رأيك فيه . فأيقظ الحسن بن زيد من المنصور من لا ينام فجد فى طلبه .

إرسال المنصور ابن مسلم فى داره وحدث ذلك

فحكى عُقبة بن مُسلم أن المنصور دعاه فسأله عن اسمه ، فأخبره ، فقال : إنى لأرى لك هيبة وموضعاً وإنى أريدك لأمرٍ أنا مَعنىٌّ به . فقال : أرجو أن أصدق أمر أمير المؤمنين . قال : فأخف شخصك وأتنى فى يوم كذا وكذا . قال : فأتيته . فقال : إن بنى عمنا هؤلاء قد أبَوْا إلا كيداً لملكنا ، ولهم شيعة بخُراسان بقرية كذا وكذا يُكاتبونهم ويرسلون إليهم بصدقاتٍ وألطاف، فاخرج بكُسًى وألطاف حتى تأتيَهم متنكّراً بكتاب أكتبه[1] عن أهل تلك القرية ، ثم تسير ناحيتهم ، فإن كانوا نزعوا عن رأيهم فذاك ، وإن كانوا على رأيهم علمتَ ذلك وكنت على حذر ، حتى تلقى عبد الله بن الحسن متخشّعاً ، فإن جبهك، وهو فاعل ، فاصبر وعاوِدْه أبداً حتي يأنس بك ، فإذا ظهر لك ما فى قَلبه فاعجل إلىّ . ففعل ذلك به حتى أنس عبد الله بناحيته . فقال له عقبة : الجواب . فقال :

(١) فى غير التجريد : « تكتبه » .

أما الكتاب فإنى لا أكتبه ، ولكن أنت كتابى إليهم ، فأقرئهم السلام وأخبرهم أن ابنى خارج لوقت كذا . فشخص عقبة حتى قدم على المنصور فأخبره الخبر . فحج أبو جعفر المنصور ليقبض على عبد الله وإخوته .

قال صالح صاحب المصلى : إنى لواقف على رأس المنصور وهو يتغدى بأوطاس[1] ، وعلى مائدته عبدُ الله بن الحسن وأبو الكرام الجعفرى وجماعة من بنى العباس ، فأقبل عليه عبد الله بن الحسن فقال : يا أبا محمد ، محمد وإبراهيم أراهما قد استوحشا من ناحيتى وإنى أحب أن يأنسا بى و يأتيانى فأصلهما وأزوجهما وأخلطهما بنفسى ، وعبد الله مُطرق طويلا ويرفع رأسه ويقول : وحقك يا أمير المؤمنين مالى بهما ولا بموضعهما من البلاد عِلم ، ولقد خرجا من يدى . فيقول : لا تفعل يا أبا محمد وأكتب إليهما وإلى من يُوصل كتابك إليهما . وامتنع أبو جعفر المنصور من عامة غدائه ذلك اليوم إقبالا على عبد الله ، وعبد الله يحلف أنه لا يعرف موضعهما ، والمنصور يكرّر عليه : لا تفعل يا أبا محمد ، لا تفعل يا أبا محمد ، لا تفعل يا أبا محمد .

وقد كان المنصور قال لعُقبة بن سلم : إذا فرغتُ من الطعام فلحظتك فامثل بين يدى عبد الله فإنه سيصرف بصره عنك ، فدُر حتى تغمز ظهره بإبهام رجلك ، حتى يملأ عينيه منك ، ثم حسبك ، وإياك أن يراك ما دام يأكل . ففعل عُقبة ذلك . فلما رآه عبدالله وثب حتى جثا بين يدى المنصور وقال: ياأمير المؤمنين ، أقلنى أقالك الله . قال : لا أقالنى الله إن أقلتك ، ثم أمر بحبسه .

ولما اعتقل المنصور عبد الله بن الحسن اعتقل معه إخوته بنى الحسن المثنى ، واعتقل أخاهما لأمهما الديباج المُذهب محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن عفان ، وحملهم إلى العراق وأودعهم السجون ، فضُرب الديباج

(١) أوطاس : واد كانت به وقعة حنين .

حتى سالت عينه على خَده ، وكلهم ماتوا فى حبس المنصور رحمة الله عليهم . وكانت وفاة عبد الله بن الحسن سنة خمس وأربعين . وفى هذه السنة خرج محمد وأخوه إبراهيم على المنصور فقُتلا ، وأُتى برأسيهما .

الشعر الذى فيه الغناء وقصته

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عبد الله بن الحسن ، هو:

يا هنـــد إنك لو علمـ ـتِ بعـــاذلَين تَتابعا
قالا فلم أسمـــع لقو لهما[1] وقلتُ بل أسمعا
هندٌ أحبُّ إلىّ مِن أهلى ومالى[2] أجمعـــا
ولقد عصيت عواذلى وأطعت قلباً مُوجعا

وهذا الشعر يقوله عبد الله فى زوجته هنـــد بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود بن المطلب ، وأمها قُرينة بنت يزيد بن عبد الله بن وهب بن زَمعة بن الأسود بن المطلب ، وكانـــ أبو عبيدة جواداً سيداً ممدحاً ، وكانت هند قبل عبد الله بن الحسن تحت عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، فمات عنها فنكحها عبدُ الله بن الحسن ، فولدت له محمداً وإبراهيم .

زواج هند من عبد الله بن الحسن

وذكر أن هنداً هذه لما مات عنها عبد الله بن عبد الملك ورثت منه مالا عظيما ، فقال عبد الله بن الحسن لأُمه فاطمة بنت الُحسين ـ رضى الله عنهما ـ : أخطبى علىّ هنداً . فقالت : إذن ترُدك . أتطمع فى هند وقد ورثت من عبد الله ماورثته ، وأنت تَربٌ لا مال لك . فتركها ومضى إلى أبى عبيدة أبى هند فخَطبها إليه ،فقال : فى الرحب والسعة ، أما منِّى فقد زوجتُك ومكانَك لا تبرح ، ودخل

(١) غير التجريد : « لما قالا » .
(٢) غير التجريد « مالى وروحى » .

إلى هند فقال : يا بُنية ، هذا عبد الله بن الحسن أتاك خاطباً . قالت : فما قلت له ؟ قال : زوجتك له . قالت : أحسنت . قد أجزتُ ما صنعتَ . وأرسلت إلى عبد الله ألا تبرح حتى تدخل بأهلك . فيسرت له ، وبات بها مُعرِّساً فى ليلته ، ولا تشعر أُمه . فأقام سبعاً ، ثم أصبح يوم سابعه غادياً على أُمه وعليه رَدغ الطيب ، وهو فى غير ثيابه التى تَعرف ، فقالت له : يا بُنىّ ، من أين لك هذا ؟ فقال : من عند التى زعمتِ أنها لا تريدنى .

أخبار تأبط شرا

لقبه وسببه

هو ثابت بن خالد بن(1) عَميثل بن عديّ بن كعب بن حَزن بن تَيم بن سعد بن فهم(2) بن قيس عَيلان بن مُضر بن نزار .

وتأبط شرّا القبٌ لُقب به ، فقيل : لُقب بذلك لأنه رأى كَبشاً فى الصحراء فاحتمله تحت إبطه ، فجعل يبول عليه طُول طريقه ، فلما قرب من الحيّ ثُقل عليه الكبش حتى لم يقُلّه ، فرمى به فإذا هو الغول . فقال له قومه : ما كنت متأبطاً يا ثابت ؟ فقال : الغول . قالوا : لقد تأبطت شراً ، فسمى بذلك .

تعقيب لابن واصل

قلت : وهذا من أكاذيب العرب ، لأنهم يذكرون فى أشعارهم الغِيلان والسّعالى ، ولا حقيقة لشيء من ذلك ، وفى ذلك يقول الشاعر :

الغول والجود والعنقاء ثالثة أسماء أشياء لم توجد ولم تكنِ

وذُكر أنه لُقب بذلك لأن أمه قالت له فى زمن الكمأة : ألا ترى أن الحىّ يجتنون لأهلهم الكمأة فيروحون بها . فقال : أعطنى جرابك ، فأعطته ، فملأه لها أفاعى . فلما راح أتى بهن فى جرابه الذى أعطته متأبطاً به ، فألقاه بين يديها ، ففتحته فتساعين فى بيتها ، فوثبت وخرجت . فقال لها نساء الحى : ماذا أتاك به ثابت متأبطاً له ؟ فقالت : شرّا ، فلزمته : تأبط شرّا .

ومن قال بالقول الأول يحتج بقول تأبط شرّا :

فأصبحتُ الغول لى جارة فيا جارتا لك ما أهولا

---

(1) غير التجريد : « ثابت بن جابر بن سفيان بن عميثل » .

(2) فى غير التجريد : « تيم بن فهم » .

فطالبتُها بِضْعهـــا فالتوت علىّ وحاولتُ أن أفعلا
فمَن كان يسأل عن جارتى فإنّ لها باللِّــوى منزلا

ومنهم من قال: إنه قَتل الغول وحملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه ، فقالوا : لقد تأبطت شرا .

عـداء

والعرب تزعم أن تأبط شرا كان أعدى ذى ساق وذى كعبين[1] ، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة ، وكان ينظر إلى الظباء فينتقى على نظره أسمنها ، ثم يجرى خلفه فلا يفوته حتى يأخذه ، فيذبحه بسيفه ، ثم يشويه ويأكله .

هو وابن براق والشنفرى

وذكر أن تأبط شرا وعمرو بن برّاق والشَّنفرى ـ ومن الناس من يجعل مكان الشنفرى السُّليك بن السُّلكة ـ غزوا بَجيلة فلم يَظفروا منهم بغرّة وثاروا إليهم ، فأسروا عمرو بن براق وكتفوه وأفلتهم الآخران عدواً فلم يقدروا عليهما . فلما علما أن ابن براق أسر قال تأبط شرا للسليك : أمض فكن قريباً من عمرو ، فإنى ســأتراءى وأطمعهم فى نفسى حتى يتباعدوا عنه ، فإذا فعلوا ذلك فحُل كتافه وأنج . ففعل ما أمره به ، وأقبل تأبط شرا حتى تراءى لبجيلة ، فلما رأوه طَمعوا فيه ، وجعل يُطمعهم فى نفسه و يعدو عدواً خفيفاً يقرِّب فيه ويسألهم تخفيف الفدية وإعطائه الأمان حتى يستأسر لهم ، وهم يُجيبونه إلى ذلك ويَطلبونه ، وهو يُحضر إحضاراً خفيفاً لايتباعد ،حتى علا قَلعة أشرف منها على صاحبيه فإذا هما قد نجوا، ففطنت لهم بجيلة فألحقتهم طلباً ، ففاتاهم فقال : يامعشر بجيلة ، أعجبكم عدو ابن بَراق اليوم ، والله لأعدون لكم عدوًا أُنسيكم به عدوه، ثم عدا عدواً شديداً ومضى .

شعره الذى فيه الغناء

فقال تأبط شرا قصيدته التى أولها الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار تأبط شرا ، وهو :

---

(١) فى غير التجريد : « أعدى ذى رجلين وذى ساقين » .

يا عِيدُ مالك من شوق وإيراق ... ومَرّ طيف على الأهوال طرّاق (١)
يَسرى على الأين والحيّات مُحتفياً ... نفسى فداؤك من سارٍ على ساق (٢)

قصة هربه من هذيل وكان يشتار عسلا

وذكر أن تأبط شرا كان يشتار عسلا من غار من بلاد هُذيل، وأن هذيلا ذُكر ذلك لهم فرصدوه لإبّان ذلك، فلما تدلّى فى الغار جاءوا ووقفوا عليه، وقالوا له : اصعد . فقال : على الإطلاق والفداء (٣) . فقالوا : لاشرط لك. فقال: أفتراكم قاتلى وآكلى جناى، والله لا أفعل، وكان قبل ذلك قد نقب فى الغار نَقباً أعدّه للهرب، فجعل يُسيل العسل فى الغار يهريقه، ثم عمد إلى زق فشده على صدره، ثم لَصق بالعسل، فلم يزل ينزلق حتى خرج سالماً، وبين موضعه الذى نجا إليه وبين القوم مسافة بعيدة :

أقول لِلحيان وقد صَفِرتْ لهم ... وطابى ويومى ضيّق الحجر مُعْوِرُ
لكم خَصْلة إما فداء ومِنة (٤) ... وإما دمٌ والقَتل بالحُر أجدر
وأخرى أُصادى النفس عنها وإنها ... لَمورد حَزْم إن فعلت ومصدر
فرشت لهم صَدرى فزلّ عن الصفا ... به جُؤجؤ عَبل ومَتْن مُخصر
فخالط سهلَ الأرض لم يكدح الصّفا ... به كدحة والموت خَزيان ينظر
فأُبت إلى فَهم ولم أكُ آيبا ... وكم مثلها فارقتها وهى تصفر
إذا المرء لم يحتل وقد جَد جدّه ... أضاع وقاسى أمره وهو مُدبر
ولكنْ أخو الحزم الذى ليس نازل ... به الأمر إلا وهو للحزم مُبصر

(١) العيد : ما اعتاد من حزن وشوق . والإيراق : التأريق .
(٢) الأين : نوع من الحيات . ومحتفياً : حافياً .
(٣) غير التجريد : « الطلاقة أو الفداء » .
(٤) غير التجريد : « ها خطتا إما إسار ومنة » .

ولكن تريث الأمر من كل جانب (١) إذا سُدّ منه مُنخر جاش مُنخر

شعره فى امرأة من هذيل أراد زواجها

وذكر أنه خطب تأبط شرا أمرأة من هُذيل من بنى سهم ، فقال لها قائل : لا تنكحيه فإنه لأول نَصل غداً يُفقد . فقال :

وقالوا لهـا لا تنكحيه فإنه لأول نَصل إن يلاقى مُجمعا

فلم تَر من رأيٍ فَتيلا وحاذرت تأيُّمها من لابِس الليل أروعا

قليل غرار النوم (٢) أكبرُ همه دمُ الثأر أو يلقى كميًّا مُقنعا

قليل أدخار الزاد إلا تعـلّة فقد نشز الشُّرسُوف والتصق المِعى

رأين فتى لا صَيد وَحش يُهمه فلو صالحت إنساً لصالحنه معا

وإنى ولا عِلم لأعـلم أننى سألقى سِنان الموت يرشق أضلعا

على غرة أوجهرة من مُكابر (٣) أطال نزال الموت حتى تشعشعا

ولستُ أبيتُ الدهرَ إلا على فَتى أسلبه أو أذعر السِّرب أجمعا

ومَن يضرب الأبطال لا بُدَّ أنه سيلقى بهم من مَصرع الموت مَصرعا

(١) غير التجريد : فذاك قريع الدهر ما كان حوله .

(٢) التجريد : « غرار العين » . (٣) غير التجريد : « مكاثر » .

ذكر خبر
عمرو بن براق والشنفرى (*)

فأما : عمرو بن براق:

إغارة عمرو على جمل من همدان

فكان من الصعاليك المشهورين بسُرعة العدو ، وكان أغار على مال له رجلٌ من همدان ، يقال له : خُزيم ، فأغار عمرو على خُزيم فاسْتاق كل شيء له ، فأتاه خُزيم يطلب إليه ما أخذه منه ، فقال قصيدة منها :

كأنّ خُزيماً إذ رجا أن يضمها ... ويذهب مالى يابنة القوم حالمُ

شعره الذى فيه الغناء

ومنها الشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخبار عمرو ، وهو:

متى تَجمع القلب الذكىّ وصارماً ... وأنفاً حميًّا تجتنبك المَظالمُ

وكنتُ إذا قوم غَزونى غزوتُهم ... فهل أنا فى ذا ياهمدان ظالم

كذبتم وبيتِ الله لا تأخذونها ... مُراغمة ما دام للسَّيف قائم

فلا صُلح حتى تعثر الخيل بالقنا ... وتُضرب بالبيض الرِّقاق الجماجم

نسب الشنفرى

وأما : الشنفرى :

فهو رجل من الأزد ، من الأوس ، من الحِجر .

حديث انتمائه إلى بنى سلامان

وكان أيضاً من العدّائين المشهورين ، أَسرتْه بنو شَبابة بن فَهم بن عمرو بن قيس بن عيلان ، فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان بن مفرّج بن عوف بن مَيدعان بن مالك بن الأزد رجلا من فهم ، ثم أحد بنى شبابة ، ففدته بنو شَبابة بالشّنفرى .

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

هو وبنت السلامى وتوعده السلاميين

وكان الشَّنفرى فى بنى سلامان لا يَحسب نفسه إلا أحدهم ، نازعته بنتُ الرجل الذى كان فى حِجره ، وكان السَّلامى اتخذه ولداً وأحسن إليه وأعطاه ، فقال لها الشَّنفرى : اغسلى رأسى يا أُخية ، وهو لا يشك فى أنها أُخته ، فأنكرت أن يكون أخاها ولطمته ، فذهب مُغاضباً حتى أتى الذى اشتراه من فَهم ، فقال له الشنفرى : اصدقنى ممن أنا ؟ فقال : أنت من الأوس بن الحِجر . فقال : أما إنِّى لن أدعكم حتى أقتل منكم مائة بما استعبدتمونى . ثم إنه ما زال يقتلهم حتى قتل منهم تسعة وتسعين رجلا ، ولزم دار فَهم فكان يُغير على الأزد على رجليه فيمن معه من فَهم ، وكان يغير عليهم وحده ، أكثر ذلك . فكاد يُفنى سلامان من الأزد .

مقتله

ثم إن بنى سلامان ظفروا به فأسروه وقتلوه ، وقالوا له حين أرادوا قتله : أين نقبرك ؟ فقال :

لا تقبُرونى إن قبرى مُحَرَّم ... عليكم ولكن أبشرى أمَّ عامرِ
إذا احتملت رأسى وفى الرأس أكثرى ... وغُودر عند الملتقى ثَمّ سائرى
هنالك لا أرجو حَياة تَسرُّنى ... سَجيسَ الليالى مُبْسَلا بالجرائر[1]

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الشنفرى ، هو :

ألا أم عمرو أزمعتْ فاستقلّت ... وما ودَّعت جيرانَها إذ تولّتِ
فواندَمى بانت أُمامة بعدما ... طمعتُ فهَبْها نِعمةً قد تولّت
وقد أعجبتنى لا سَقُوطا خمارُها ... إذا ما مشت ولا بذات تلفُّت

(١) سجيس الليالى : أبداً . ومبسلا : مسلما

أخبار أبي خِراش الهذلي (*)

نســبه هو خُوَيلد بن مُرة ، أحد بني سَعد بن هُذَيل .

شاعر مخضرم شاعر فَحل فَصيح مُخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم ، وعاش بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم مُدة .

موته ومات في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، نَهشته أفعى فمات .

عــداء وكان ممن يعدو فيسبق الخيل في غارات قومه وحروبهم .

الشعر الذي فيه الغناء وقصته وذُكر أن خِراش بن أبي خِراش هو وعمه عروة بن مُرة غزوا قوماً من ثُمالة ، فظفر بهم الثُّماليون فأخذوهما أسيرين، واختلفوا في قَتلهما، فبعضُهم أراده وبعضُهم كَرهه ، حتى كاد يكون بينهم شر ، فألقى رجل من القوم ثوبَه على خِراش حين شُغل القوم بقتل عُروة ، ثم قال له : انج بنفسك . وانحرف القوم بعد قتلهم عُروة يطلبون قَتل خِراش ، فقالوا للرجل الذي كان ألقى ثوبه عليه ، وكانوا أسلموه إليه : أين خراش ؟ فقال : أفلت مني فذهب . فسعى القومُ في إثره فأعجزهم ، فقال أبو خراش يرثي أخاه عُروة ، ويمدح الرجل الذي تسبّب في إطلاق ابنه وإن لم يعرفه بعينه ، وهو الشعر الذي فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبي خِراش :

حمدتُ إلهي بعـــد عُروة إذ نجا ... خِراشٌ وبعضُ الشرِّ أهونُ من بَعْضِ

على[1] أنها تعفو الكُلوم وإنما ... نُوكَّل بالأدنى وإن جلَّ ما يمضي

ولم أدْرِ مَن ألقى عليه رداءَه ... سِوى أنه قد سلَّ عن ماجدٍ مَحْضِ

قصة موته وذُكر أن أبا خراش أتاه نفر من أهل اليمن قَدموا حُجّاجاً ، والماء منهم

(*) من تراجم الجزء الحادي والعشرين .

(1) غير التجريد : « بلى » .

غيرُ بعيد ، فقال : يا بني عمي ، ما أمسى عندنا ماء ، ولكن هذه بُرمة وشاة وقِربة ، فَرِدُوا الماء وكلوا شاتكم ثم دعُوا بُرْمتنا وقِرْبتنا على الماء حتى نأخذها . فقالوا : لا والله ، ما نحن بسائرين في ليلتنا هذه ، وما نحن ببارحين حيث أَمسينا . فلما رأى ذلك أبو خِراش أخذ قِرْبته وسعى نحو الماء تحت الليل حتى أستقى ، ثم أقبل صادراً فنهشته حيَّة قبل أن يصل إليهم ، فأقبل مُسرعاً حتى أعطاهم الماء وقال : اطبخوا شاتكم وكُلوا ، ولم يُعلمهم ما أَصابه . فباتوا على شاتهم يأكلون حتى أصبحوا ، وأصبح أبو خراش في الموت ، فلم يبرحوا حتى دفنوه ، فقال وهو في الموت :

لعمرك والمنايا غالباتٌ ... على الإنسان تطلُع كلَّ نَجْدِ
لقد أَهلكتِ حيةُ بطن أنف ... على الأصحاب ساقاً ذاتَ فَقْدِ

وقال أيضاً :

لقد أهلكتِ حيةُ ذات أَنف ... على الأصحاب ساقاً ذات فَضلِ
فما تركتْ عدوًّا بين بُصْرى ... إلى صَنعاء يطلبه بذَحْلِ

مؤاخذة عمر لليمانيين الذين كانوا سبب موته

فبلغ خبرُه عمرَ بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ فغضب غضباً شديداً ، وقال : لولا أن تكون سُنّة لأمرت ألّا يُضاف يمانٍ أبداً ، ولكتبت بذلك إلى الآفاق ، إن الرجل ليُضيف أحدهم فيبذل مجهوده فيتسخَّطه ولا يقبله منه ويطالبه بما لا يَقدر عليه ، كأنه يُطالبه بدين أو بتَبِعة ليفَضْحه ، فهو يُكلِّفه التكاليف ، حتى أهلك ذلك مِن فعلهم رجلاً مُسلماً وقتَله . ثم كتب إلى عامله باليمن أن يأخذ النفرَ الذين نَزلوا على أبي خراش فيغرِّمهم دِيته ويؤدِّبهم بعد ذلك بعُقوبة يَمسهم بها جزاءً لفعلهم .

أخبار ابن دارة (*)

شعره الذى فيه الغناء وقصته

ثم ذكر أبو الفرج عبد الرحمن بن مُسافع بن دارة .

وكان السمهرى اللص قد أخذته بنو أسد وبعثت به إلى والى المدينة ، وهو عمرو[1] بن حيان المُرّى ، فقتله بعد طول حبس ، وكان صديقاً لابن دارة . فقال ابن دارة يهجو بنى أسد ويحرض عليهم عُكْلاً ، قصيدة ، ومنها الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج ذكر ابن دارة[2] ، ومن هذه القصيدة :

تَهيم بها لا الدهرُ فانٍ ولا المُنَى ... سِواها ولا تسلى بنأيٍ[3] ولا شُغلِ

إذا سَخِطَتْ عينى وجدت حرارةً ... على كبدى كادتْ بها كبدى تَغْلى

ولم أر محزونَيْن أجمـلَ لوعةً ... على نائباتِ الدّهر منّى ومِن جُمْلِ

و إن شفاء النفس لو تُسْعِفُ المُنى ... ذواتُ الثّنايا الغُرّ والأعين النُّجْلِ

أُوْلئك إن يَمْنَعن فالمنعُ شِيمةٌ ... لهنّ و إن يُعطين يُحْمَدْن فى البَذْلِ

سأمسك بالوَصل الذى كان بيننا ... وهل ترك الواشُون والنأْىُ من وَصْلِ

أَلَا سَقِّيانِى قهوةً فارسـيةً ... من الأولِ المَختوم ليست من الفَضْلِ

تُنسّى ذوى الأحلام واللُّبِ حِلْمَهم ... إذا أزْبدت فى دَنِّها زَبد الفَحْلِ

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

(1) غير التجريد : « عثمان » .

(2) فى الخبر خلاف يخالف أصول الأغانى التى بين أيدينا .

(3) غير التجريد : « ولا ينسيك نأى » .

أخبار هدبة بن خشرم (*)

نسبه

هو هُدبة بن خَشرم بن كُرز بن أبى حيَّة ، أحد بنى عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذُبيان بن الحارث بن سعد بن هُذيم .

شاعر وكان راوية الحطيئة

شاعر فصيح متقدِّم من بادية الحجاز ، وكان راوية للحُطيئة ، والحطيئة لكعب بن زُهير ، وكعب لأبيه زُهير . وكان جميل بن معمر راوية هُدبة : وكُثيِّر بن عبد الرحمن الخُزاعى راوية جَميل .

قصة قتله زيادة بن زيد

وكان قد وقع شرٌّ بين هُدبة بن خَشْرم وزيادة بن زيد ، أحد بنى مُرة بن خشرم بن عبد الله بن ذُبيان ، وتسابَّا كثيراً ، فلم يزل هُدبة يطلب غِرّة زيادة حتى أصابها ، فبَيَّته فقتله ، وتنحَّى مخافة السلطان ، وعلى المدينة يومئذ سعيد ابن العاص ، فأرسل إلى عمِّ هُدبة وأهله ، فحبسهم بالمدينة . فلما بلغ هُدبة ذلك أقبل حتى أمكن من نفسه وتخلَّص عمَّه وأهله . فلم يزل محبوساً حتى شخص عبد الرحمن بن زيد ، أخو زيادة ، إلى معاوية بن أبى سفيان ، فأورد كتاباً إلى سعيد بأن يُقيد منه إذا قامت البيِّنة ، فأقامها ، فمشتْ عُذرة إلى زيادة[1] فسألوه قَبول الدِّية فامتنع ، فقال عبدُ الرحمن بن زيد :

أَنَخْتُم علينا كَلْكَل الحَرْب مَرةً ... فنحنُ مُنيخوها عليكم بِكَلْكَلِ
فلا تَدْعنى قومى لزيد بن مالك ... لئن لم أُعَجِّل ضربةً أو أُعجَّلِ[2]
أبعدَ الذى بالنِّعف[2] نِعْف مُحَسِّر[3] ... رهينة رَمْسٍ ذى تُراب وجَنْدلِ

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

(1) غير التجريد : « عبد الرحمن » .

(2) النعف : المكان المرتفع فى اعتراض .

(3) محسر : موضع ما بين مكة وعرفة. وفى غير التجريد : « كويكب » .

كريمٌ أصابته ذِئابٌ كثيرة فلم يَدْرِ حتى جِئْنَ من كل مَدْخل[(١)]
أأذكُر بالبُقْيا على من أساءنى[(٢)] وبُقْياى أنّى جاهدٌ غيرُ مُؤْتِلِى

وقيل : إن الشعر لمالك بن السّمح .

وذُكر أن هُدبة بن خَشرم لمّا بلغته أبياتُ عبد الرحمن قال : لم يُؤْيسني بعدُ ، ثم أرسل هُدبة إلى عبد الرحمن مَن كلّمه فى قَبول الدية ، فأنصت إليهم حتى فرغوا ، ثم قام مُغضباً وأنشد يقول :

سأكذِب أقواماً يقولون إنّنى سآخذ مالاً من دَمٍ أنا ثائره[(٣)]
فبأست أمرئ واست الذى زحرت به[(٤)] تَسُوق سَواماً من أخٍ هُو واتره[(٥)]

فرجعوا إلى هُدبة فأخبروه الخبر ، فقال : الآن يئست منه .

شعره فى امرأته وهو يساق إلى السجن

وذُكر أنه لمّا ذُهب بهُدبة بن خَشرم إلى السجن ليُقتل التفت فرأى امرأته ، وكانت من أجمل النساء فقال :

أقِلّى علىّ اللومَ يا أم بَوْزعا ولا تَعجبى ممّا أصاب فأوجعَا
ولا تَنكحى إن فرّق الدهر بيننا أغمّ القفَا والوجه ليس بأنزعا
ضَروباً بِلِحْيَيه على عظم زَوره إذا الناس هَشّوا للفَعال تقنّعا
وحُلى بذى أكرومة وحَميّة وحَير إذا ما الدهرُ عَضّ فأسرعا

هو عبد الرحمن بن حسان وقد سأله الزواج من امرأته

وذُكر أنه لمّا أُخرج ليُقتل جعل الناسُ يتعرضون له ويَستنشدونه ، فأدركه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، فقال له : يا هُدبة ، أتأمرنى أن أتزوج هذه

(١) هذا البيت لم يجىء فى غير التجريد . (٢) فى غير التجريد : « أصابنى » .
(٣) غير التجريد : « واتره » .
(٤) زحرت : صوتت . وفى غير التجريد : « زجرت » بالجيم .
(٥) غير التجريد : « سائره » .

بعدك ــ يعنى زوجته ــ وهى تمشى خلفه ؟ فقال : نعم ، إن كنت من شرطها فقال : ما شرطها ؟ فقال : قد قلت فى ذلك :

ولا تَنكِحى إن فرق الدهر بيننا أَغَمَّ القفا والوجه ليس بأنزعا

فمالت زوجته إلى جَزَّار فأخذت شَفرته فجدعت بها أنفها ، وجاءته تدمى وهى مَجدوعة ، وقالت : أتخاف أن يكون بعد هذا نكاح ، فرسف فى قيوده وقال : الآن طاب الموت .

شعره لأبويه عند مقتله

فأتاه أبواه يتوقَّعان الثُّكل ، وهما بشرّ حال ، فأقبل عليهما وقال :

أبلياني اليومَ صبراً منكما إن حُزناً إن بدا بادئُ شَرّ

لا أرانى اليوم إلا ميتاً إن بعد اليوم(١) دار المُستقَر

أصبرا اليومَ فإنى صابرٌ كلُّ حىٍّ بقضاء وقَدَر

شعره قبل مقتله

ولما دُفع هُدبة بن خَشرم إلى عبد الرحمن ليقتله بأخيه زيادة ، استأذنه فى أن يُصلى ركعتين ، فأذن له ، فصلّاهما وخفَّف ، ثم التفت إلى من حضر وقال : لولا أن يُظن بى الجزع لأطلتهما ، فقد كنت مُحتاجاً إلى إطالتهما ، وقال قبل أن يقتل :

إن تَقتلونى فى الحديد فإننى قَتلت أخاكم مُطلقاً لم يُقيَّد

فقال عبد الرحمن : والله لا أقتله إلا مُطلقاً من وَثاقه ، فأُطلق له ، فقام إليه وهزَّ السيف وقال :

قد علمتْ نفسى وأنت تعلمه لأقتلنَّ اليومَ مَن لا أرحمُه

ثم قتله .

رثاء أخيه له

فقال واسع بن خشرم يرثى أخاه هُدبة :

(١) غير التجريد : « الموت » .

يا هُدب يا خَير فِتيان العَشيرة مَن يُفجع بمثلك فى الدنيا فقد فُجعا

الله يعـــلم أنى لو خَشيتهم أوأوجس القلبُ من خوفٍ لهم جزعا(١)

لم يقتلوه(١) ولم أُسْلِمْ أخى لهم حتى نَعيشَ جميعاً أو نموت معا

يمثل إبراهيم بن عبد الله بأبيـاته مقتل أخيه محمد

وذُكر أنه لما قُتل محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنهم ـ بالمدينة ، وكان خرج بها على المنصور ، وخرج بالبصرة أخوه إبراهيم بن عبد الله ، وبلغه قتلُ أخيه محمد تمثّل بأبيات هُدبة بن خشرم هذه .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار هُدبة ، هو :

ألا يا لَقومى للنوائب والدّهر وللمرء تُردى نفسُه ثم لا يَدرِى

وللأرض كم من صالح قد تودَّأت(٢) عليــه فوارتْه بلمَّاعة(٣) قَفْر

---

(١) التجريد : « لم يسلموك » . (٢) تودأت الأرض عليه : غيبته وذهبت به .

(٣) لماعة : بقعة ذات وضح لما نبت فيها من الشعر .

أخبار الفرزدق

نسبه

هو همّام بن غالب بن صَعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان ابن مُجاشع بن دارم بن مالك بن حَنظلة بن زيد مناة بن تميم. واسم دارم : بحر. وأم غالب : ليلى بنت حابس بن عقال بن محمد بن سفيان . وأم الفرزدق من ضَبة .

سبب تلقيبه بالفرزدق

وإنما لُقب الفرزدق تَشبيهاً بالرغيف الضخم تجُففه النساء للقُوت . وأسمه فى اللغة : الفرزدق. وقيل : بل الفرزدق : القطعة من العجين التى تُبسط فيُخبز منها الخبز ، وإنما شُبه بذلك لأن وجهه كان غليظاً .

جده والموءودات

وكان يقال لجده صعصعة بن ناجية : مُحيي الموءودات .

وذُكر أنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبر النبىّ صلّى الله عليه وسلم بفعله فى الموءودات ، فاستحسنه .

وفود جده على النبى صلى الله عليه وسلم

قال صعصعة : قدمتُ على النبى صلّى الله عليه وسلم فعَرَض علىّ الإسلام فأسلمت . وعلّمنى آياً من القرآن ، فقلت : يا رسول الله ، إنى عَملت أعمالا فى الجاهلية هل لى فيها من أجر ؟ فقال : وما عملت ؟ فقلت : إنى أضللتُ ناقتين لى عُشراوين ، فخرجت أبغيهما على جَمل لى ، فرُفع لى بيتان فى فضاء من الأرض ، فقصدتُهما فوجدت فى أحدها شيخاً كبيراً ، فقلت له : هل أحسست من ناقتين عُشراوين ؟ فقال : وما نِجارهما ؟ قلت : ميسم بنى دارم . فقال : قد أصبنا ناقتيك ونَتجناها فظأرنا على أولادها ونَعش الله بهما أهل بيت من قومك من العرب من مُضر . فبينما هو يخاطبنى إذ نادت امرأة من البيت : قد ولدتْ .

فقال : وما ولدت ؟ إن كان غلاماً قد شَركنا فى قومنا ، وإن كانت جارية فادفنوها . فقالت : هى جارية . قلت : وما هذه . فقال: بنت لى . فقلت : فإنى أشتريها منك . فقال : يا أخا بني تميم ، أتقول لى : تبيعنى ابنتك وقد أخبرتك أنى من العرب من مضر ؟ فقلت : إنى أشترى منك دَمها لا رقبتها لئلا تقتلها . فقال : بكم تشتريها ؟ فقلت بناقتىّ هاتين . فقال : وبعيرك هذا ؟ قلت : نعم ، على أن تُرسل معى رسولا فإذا بلغت أهلى رددتُ لك البعير . ففعل . فلما بلغت أهلى رددتُ إليه البعير . فلما كان فى بعض الليل فكّرت فى نفسى ، وقلت : إن هذه مَكْرُمة ما سبقنى إليها أحد من العرب . فظهر الإسلام وقد أحييت ثلثمائة وستين مَوءودة ، أشترى كل واحدة منهن بناقتين وفحل ، فهل لى من أجر فى ذلك يا رسول الله ؟ فقال : هذا باب من البِرّ ولك أجره .

شعر الفرزدق فى جده

وفى ذلك يقول الفرزدق :

وجَدّى الذى مَنع الوائدين ... وأحيا الوئيد فلم يُوأد

شعر لصعصعة

وكان صعصعة هذا شاعراً ، وهو القائل :

إذا المرء عادَى مَن يودُّك صدرُه ... وكان لمن عاداك خِدْناً مُصافيا

فلا تسألَنْ عمّا لديه فإنه ... هو الداء ما يخفى بذلك خافِيا

وكان غالب أبو الفرزدق جوادًا .

من جود أبيه ومراصدة سحيم له

وذُكر أنه أتاه قوم فنحر لهم ناقة وأطعمهم إياها ، فلما وردت إبلُ سُحيم بن وثيل الرياحى حَبس منها ناقةً فنحرها من غدٍ ، فقيل لغالب : إنما نحر سحيم مواءمة ، أى مساومة . فقال غالب : كلا ، ولكنه امرؤ كريم ، وسوف أنظر فى ذلك . فلما وَردت إبل غالب حبس منها ناقتين فنحرهما وأطعمهما ، وفعل سُحيم مثل ذلك . فقال غالب : الآن علمت أنه يوائمنى ، فعقر غالب عَشراً فأطعمها بني يربوع

وغيرهم ، فعقر سُحيم عشراً ، فلما بلغ غالباً فعلُه ضحك ، فلما وردت إبلُه نحرها عن آخرها ، وكانت فيما قيل أربعمائة ، فأمسك سُحيم حينئذ ، ثم إنه عقر بعد ذلك فى خلافة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بكُناسة الكوفة مائتى ناقة وبعير ، فخرج الناس لأخذ اللحم ، فرآهم على رضى الله عنه فقال : أيها الناس ، لا يحل لكم إنما أُهِلّ به لغير الله عز وجل .

وذُكر أن الفرزدق كان مع أبيه يومئذ وهو غلام ، فجعل غالب يقول له : يا بنى ، أردد علىّ ، والفرزدق يَردها عليه ويقول : يا أَبة ، اعقر .

فلم يُغْن عن سُحيم فعلُه ، ولم يجعل كغالب إذ لم يُطق فعله .

حفظه القرآن

وذُكر أن غالباً رضى الله عنه بعد الجمل أتى عليًّا بالبصرة فقال : إنّ ابنى هذا من أشعر مُضر فاسمع منه . فقال على رضى الله عنه : علِّمه القرآن . فكان ذلك فى نفس الفرزدق ، فقيَّد نفسه وآلى ألّا يُحل قيدُه حتى يحفظ القرآن .

مدة قوله الشعر

وذُكر أن الفرزدق قال الشعر أربعاً وسبعين سنة ، واستدل على ذلك بأن أباه وصفه بالشعر بعد وقعة الجمل ، وكانت سنة ستًّا وثلاثين ، وتُوفى الفرزدق سنة عشر ومائة فى خلافة هشام بن عبد الملك ، فأقل مدة قال فيها الشعر هذه المدة . وتوفى فى السنة التى مات فيها جرير والحسن البصرى وابن سيرين .

إجادته الهجاء

وحُكى عن الفرزدق قال :

كنت أجيد الهجاء فى أيام عثمان .

وفاة أبيه ورثاؤه له

وتُوفى غالب أبو الفرزدق فى أول خلافة معاوية بن أبى سفيان ، ودُفن بكاظمة ، فقال الفرزدق يرثيه :

لقد ضَمّت الأكفانُ من آل دارم فتًى فائضَ الكفّين محضَ الضَّرائب

هو وابن ميادة

وذُكر أن الفرزدق مرّ يوماً بأبن ميّادة الرّماح ، والناس حوله ، وهو ينشد :

لو أن جميعَ الناس كانوا برَبْوة وجئتُ بجَدى ظالِم وأبن ظالم
لظلّت رقابُ الناس خاضعةً لنا سُجوداً على أقدامنا بالجَماجم

فسمعه الفرزدق فقال : يا بن الفارسية ، أما والله لتدعنّه لى أو لأنبشنّ أُمك من قبرها . فقال له أبن ميادة : خُذه لا بارك الله لك فيه . فقال الفرزدق :

لو ان جميع الناس كانوا برَبوة وجئتُ بجدى دارم وأبن دارم

خلاف الناس فيه وفى جرير

وذُكر عن يونس النّحوى قال :

ما جرى ذكر جرير والفرزدق فى مجلس قطّ شهدته فاتفق أهلُ المجلس على أحدهما .

هو وحماد فى جرير

وحكى حماد الراوية قال :

أنشدنى الفرزدق يوماً شعراً له ، ثم قال : أتيتَ الكلبَ ؟ يعنى جريرا . قلت : نعم . قال : أفأنا أشعر أم هو ؟ فقلت : أنت فى بعض وهو فى بعض . فقال : لم تناصحنى . فقلت : هو أشعر منك إذا رُوخى[1] من خِناقه . وأنت أشعر منه إذا خِفت أو رجوت . فقال : قضيت لى والله عليه ، وهل الشعر إلا فى الخير والشر .

رأى ابن سلام فيه

وقال أبن سلام :

كان الفرزدق أكثرهم بيتاً مُقلّداً ، والمُقلّد المستغنى[2] المشهور الذى يضرب به المثل ، من ذلك قولُه :

(١) غير التجريد : « أرخى » .
(٢) غير التجريد : « المغنى » .

فيا عجبا حتى كُليب تَسُبنى ... كأنّ أباها نهشل أو مُجاشعُ

وقـوله :

وكُنا إذا الجبّار صعَّر خدّه ... ضربناه حتى تَستقيم الأخادع

وقـوله :

قوارص تأتينى وتحتقرونها ... وقد يملأ القَطرُ الإناءَ فَيَفعم

وقـوله :

أحلامُنا تزنُ الجبـال رَزانة ... ويزيدُ جاهلنا على الُجهال(١)

وقـوله :

و إنك إن تَسعَى لتُدرك دارما ... لأنت المُعنَّى يا جرير المُـكلَّفُ

وقـوله :

ترى كل مظلوم إلينا فرارُه ... ويهرُب منّا جاهداً(٢) كلُّ ظالم

وقـوله :

ترى الناسَ ماسِرْنا يَسيرون خلفنا ... وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفّوا

وقـوله :

فسيف بنى عَبس وقد ضربوا به ... نَبا بيدَى ورقاء عَن رأسِ خالد

كذاك سيوفُ الهند تَنبو ظُباتها ... ويقطعن أحياناً مَناط القلائد

هو وجارية نهشل

وكان الفرزدق شديد الفُجور ، فذكر أنه لقى جارية لبنى نهشل ، فجعل ينظر إليها نظراً شديداً ، فقالت : مالك تنظر ، والله إن كان لى ألف حر ما طمعتَ فى واحد منها . قال : ولمَ يا خناء ؟ قالت : لأنك قبيح المنظر سيىء المخبر فيما أرى .

---

(١) غير التجريد : * وتخالنا جنا إذا ما نجهل * . (٢) غير التجريد : « جهده » .

فقال : والله لو خبرتنى لعنّ خبرى على منظرى . ثم كشف لها عن مثل ذراع البَكر ، فتكشفت له عن مثل سَنام الناب[1] ، فعاجاها ، فقالت : أنكاح بنسيّة[2] ، هذا شر القضيّة . فقال : ويحكِ مامعى إلا جُبّتى أفتسأليني إياها ، ثم علاها ، وقال فى ذلك :

أولجتُ فيها كذراع البكر مُدَملَك الرأس شديد الأَسْرِ
زاد على شِبرٍ ونصف شِبر كأننى أولجتُه فى جمر

فحملت منه ، ثم ماتت وهى حُبلى ، فبكاها وبكى ولده منها فقال :

وغِمد سلاحٍ قد رُزئت فلم أَنُح عليه ولم أبعث عليه البَواكيا
وفى جَوفه من دارم ذو حَفيظة لو ان المَنايا أنسأته لياليا
ولكنّ ريبَ الدهر يعثُر بالفتى فلم يَستطع دفعاً[3] لما كان جائيا
وكم مثلُه فى مِثلها قد وضعْتُه وما زلتُ وثّاباً أجُرُّ المَخازيا

هجاء جرير له

فقال جرير يهجوه ويعيّره بذلك :

كم لك يا بنَ القَين إن جاء سائل من ابن قَصير الباع مثلُك حاملُه
وآخر لم تَشعر به قد أضعتَه وأورثَه رِحْماً[4] كثيراً غوائله

هو ومروان بن الحكم

وذُكر أنه لما ولى سعيد بن العاص المدينة لمعاوية بن أبى سفيان دخل عليه الفرزدق فأنشده :

ترى الغُرَّ الجَحاجح من قُريش إذا ماالخَطبُ فى الحدثان عالا[5]
وُقوفاً ينظُرون إلى سَعيد كأنهم يرَوْن به هِلالا

---

(١) غير التجريد : « البكر » .
(٢) نسية ، أى نسيئة . فخفف وأدغم . والنسيئة : ما كان إلى أجل .
(٣) غير التجريد : « ردا » . (٤) غير التجريد : « رجما » .
(٥) غير التجريد : « غالا » .

فلما خرج الفرزدق من عنده قال له مروان بن الحكم : لم ترض أن نكون قُعوداً حتى جعلتنا قياماً ، وحقد ذلك عليه . فلما عُزل سعيد وولى المدينةَ مروان مدحه الفرزدق بقصيدته التى يقول فيها :

هُما دلّتانى من ثمانين قامة كما أنقضّ بازٍ أقتم اللون كاسرُهْ
فلما أستوت رجلاى فى الأرض قالتا أحَىّ يُرجَّى أم قتيلٌ نحاذره
فقلت أرفعوا الأسباب لا يشعروا بنا وأقبلتُ فى أعجاز ليلٍ أُبادره
أُبادر بوّابين قد وُكلوا[1] بنا وأحمر من ساج تَلُوح مَسامره

فقال له مَروان : أتقول هذا القول بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ! اُخرج من المدينة .

وفى ذلك يقول جرير :

تدلّيت تَزنى من ثمانين قامة وقصّرتَ عن باع النَّدى والمَكارم

مدحه الأبرش لوساطته له عند هشام وقصة ذلك

وذُكر أن الفرزدق هجا خالد بن عبد الله القَسرى ، وذكر المبارك ، وهو النهر الذى حفره بواسط ، فبلغه ذلك ، فكتب خالد إلى مالك بن المُنذر : أن احبس الفرزدق ، فإنه هجا نهر أمير المؤمنين بما قال :

فأهلكتَ مال الله فى غير حقّه على نهرك المَشئوم غير المُبارَكِ

فأرسل مالك إلى أيوب بن عيسى الضّبى ، وقال : ائتنى بالفرزدق . فلم يزل يُعمل فيه الحيل حتى أخذه ، فطلب إليهم أن يَمُروا على بنى حنيفة . فقال الفرزدق : ما زلت أرجو أن أنجو حتى جاوزت بنى حنيفة . فلما قيل لمالك : هذا الفرزدق ، انتفخ وريدُه غضباً . فلما دخل عليه قال :

(١) غير التجريد : « لا يشعروا » .

أقول لنَفسى حِين غُصّت برِيقها ... ألا ليت شِعرى مالها عند مالكِ
لها عنده أن يُرجع الله رُوحها ... إليها وتنجو من عَظيمِ[1] المَهالك

فسكن غضبُه وأمر به إلى السجن، فمدح فى السِّجن خالدَ بن عبد الله ومالك ابن المُنذر مديحاً كثيراً، فلم ينفعه، فعَدل إلى مدح هشام بن عبد الملك، وكتب إلى سعيد بن الوليد الأبرش أحياناً، فكلَّم له هشام بن عبد الملك:

إلى الأبرشِ الكَلبىّ أسندتُ حاجةً ... تواكَلها حيَّا تميم ووائلُ
على حين أن زَلّت بىَ النعل زلةً ... وأخلف ظنّى كل حافٍ وناعل
فدُونكما[2] يا بن الوليد فإنها ... مُفضّلة أصحابُها فى المحافل
ودونكها يا بن الوليد فقُم بها ... مقام أمرىء فى قومه غير خامل

فكلَّم الأبرش هشاماً، فأمر بتَخليته، فقال الفرزدق يمدح الأبرش:

لقد وثَب الكلبى وثبةَ حازم ... إلى خير خَلق الله نفسًا ومَحضرًا
إلى خير أبناء الخلائف لم يجد ... لحاجته من دُونه متأخَّرا

قصته مع جاريات الغدير

وحكى الفرزدق قال:

أصابنى بالبصرة مطر جَود ليلا، فإذا أنا بأثر دَواب قد خرجت ناحية البرية، فظننت أن قوماً خرجوا لنزهة، فقلت: خليق أن تكون معهم سُفرة وشراب، فقصصت آثارهم حتى وقفت إلى بغال عليها رحائل موقوفة على غدير، فأغذذتُ السير نحو الغدير، فإذا نسوة مُستنقعات فى الماء، فقلت: لم أر كاليوم قط ولا يوم دارة جُلجل، وانصرفت مستحيياً منهن. فنادينى: بالله يا صاحب البغلة ارجع نسألك عن شىء، فانصرفت إليهن، وهن فى الماء إلى حُلوقهن، فقلن: بالله لمَا حدّثتنا بحديث دارة جلجل. فقلت: إن

(١) غير التجريد: «جميع».
(٢) غير التجريد: «فدونكم».

امرأ القيس كان يهوى بنت عم له ، يقال لها : عُنيزة ، فطلبها زماناً فلم يصل إليها ، حتى كان يوم الغدير ، وهو يوم دارة جُلجل ، وذلك أن الحى احتملوا فتقدّم الرجال وتخلف النساء والخدم والثَّقل ، فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلَّف بعد ما سار مع الرجال غَلوة ، فكمن فى غيابة من الأرض حتى مر به النساء ، فإذا فتيات وفيهن عُنيزة ، فلما وردن الغدير قلن : لو نزلنا فنذهب عنا بعضَ كلالنا ، فنزلن إليه ونحّين العبيد عنهن ، ثم تجردن واغتمسن فى الغدير كهيئتكن الساعة ، فأتاهن امرؤ القيس مُخاتلاً[١] كنحو ما أتيتكن ، وهُن غوافل ، فأخذ ثيابهن فجمعها . قال الفرزدق : ورميت بنفسى عن بغلتى وأخذت بعض أثوابهن فجمعته ووضعتها على صدرى ، وقلت : أقول لكم كما قال امرؤ القيس : والله لا أُعطى جارية منكن ثوبها ولو أقامت فى الغدير يومها حتى تخرج مُجرّدة . قال الفرزدق : فقالت إحداهن ، وكانت أمجنهن : هذا امرؤ القيس كان عاشقاً لابنة عمه ، أفعاشق أنت لبعضنا ؟ فقلت : لا والله ، ما أعشق منكن واحدة ولكنى أشتهيكن . فنَعَرن[٢] وصفّقن بأيديهن وقُلن : خُذ فى حديثك فلستَ منصرفاً إلا بما تحب . قال الفرزدق : فتأبّين على امرىء القيس حتى تعالى النهار وخشين أن يقصرن دون المنزل الذى أردنه ، فخرجت إحداهن فدفع إليها ثوبها ، فوضعته ناحية ولبستْه ، وتتابعن على ذلك حتى بقيت عُنيزة وحدها ، فناشدته الله أن يطرح إليها ثوبها ، فقال: دعينا منك ، فحرام إن أخذتِ ثوبك إلا بيدك . فخرجت فنظر إليها مُقبلة ومُدبرة فوضع لها ثوبها فأخذته ، وأقبلن عليه يَعذلنه ويَلُمْنه ويقلن ، عرّيتنا وحبستنا وجوّعتنا ، قال : فإن نحرتُ لكن ناقتى أتأ كلن منها ؟ قلن : نعم . فاخترط سيفه فعقرها ونحرها وكشطها ، وصاح بالخدم فجمعوا له حطباً وأجّج ناراً

(١) غير التجريد : « مختالا » .

(٢) نعرن : صوتن بخياشيمهن .

عظيمة ، وجعل يقطع لهن من سنامها وأطايبها وكبدها فيلقيها على الجمر ، فيأكل ويأكل من معه ، ويشرب من زُكرة(١) كانت معه ، ويغنيهن وينبذ إلى العبيد والخدم من الكباب حتى شبعن وطربن . فلما أراد الرحيل قالت إحداهن : أنا أحمل رَحله ، وقالت الأخرى : علىّ حشيّته وأنساعه . فتقاسمن رحله بينهن ، وبقيت عُنيزة فلم يحمِّلها شيئاً . فقال لها امرؤ القيس : يا بنة الكرام ، لا بد أن تحمليني معك ، فإننى لا أطيق المشى وليس من عادتى . فحملته على غارب بَعيرها ، وكان يُداخل رأسه فى خِدرها فيقبلها ، فإذا امتنعت مال حَدجها ، فتقول : يا امرأ القيس : عقرت بعيرى فانزل ، فذلك قوله :

تقول وقد مال الغبيط بنا معا عقرتَ بَعيرى يا امرأ القيس فانزل

قال الفرزدق : فلما فرغت من حديثى ، قالت تلك الماجنة : قاتلك الله ، ما أحسن حديثك يا فتى وأظرفك ، فمن أنت ؟ قلت : من مُضر . قالت : ومن أيها ؟ . قلت : من تميم . قالت : ومن أيها ؟ قلت : إلى ها هنا انتهى جوابى . قالت : إخالك الفرزدق ؟ قلت : الفرزدق شاعر وأنا راوية : قالت : دعنا من تَوريتك عن نفسك ، أسألك بالله ، أنت هو ؟ قلت : أنا هو والله . قالت : فإن كنت هو فلا أحسبك مفارق ثيابنا إلا عن رِضى . قلت : أجل . قالت : فاصرف وجهك عن وجهنا ساعة ، وهمستْ إلى صواحبتها بشىء لم أفهمه ، فغطسن فى الماء فتوارين فأبدين رؤوسهن وخرجن مع كل واحدة ملء كفها طيناً ، وجعلن يتعادين نحوى ويضربن بذلك الطين والحمأة وجهى وثيابى ، وملأن عينى ، ووقفت مشغولا بعينى وما فيها ، وشددن على ثيابهن فأخذنها ، وركبتْ تلك الماجنة بغلتى وتركتنى منبطحاً بأسوأ حال وأخزاها ، وهى تقول : زعم الفتى أنه لا بد أن

---

(١) الزكرة : بالضم : دن .

ينيكنا . فما زلت فى ذلك المكان حتى غسلتُ وجهى وثيابى وجفّفتها ، وانصرفت عند مجىء الظلام إلى منزلى على قدمى ، فإذا بهن قد وجهن ببغلتى إلى منزلى مع رسول لهن ، وقلن له : تقول لك أخواتك : طلبتَ منّا مالا يُمكننا وقد وجهنا إليك بزَوجتك فنِكْها ليلتك ، وهذا كِسر درهم يكون لحمّامك إذا أصبحت . وكان الفرزدق إذا حدّث بهذا الحديث يقول : ما مُنيت بمثلهن .

هو وجرير فى بيت

وحَكى عبد الله بن عطيّة راوية الفرزدق وجرير قال :

دعانى الفرزدق يوماً فقال : إنى قد قلت بيت شعر والنوّار طالق إن نَقضه ابنُ المراغة ــ يعنى جريراً . قلت : وما هو ؟ قال : قلت :

فإنِّى أنا الموتُ الذى هو نازلٌ ... بنَفسك فانظُر كيف أنتَ مُحاولُه

أرحل إليه بالبيت. فرحلت إلى اليمامة فلقيت جريراً بفناء بيته يَعبث بالرمل ، فقلت : إن الفرزدق قد قال بيتاً وحَلف بطلاق النوار إنك لا تَنقضه . فقال : هيه ، أظن والله ذلك ، ما هو ويلك ؟ فأنشدته إياه . فجعل يتمرّغ فى الرمل يَحثوه على صدره ورأسه ، حتى كادت الشمس أن تغرب ، ثم قال : أنا أبو حَزرة ، طَلقت امرأة الفاسق ، ثم قال :

أنا الدهرُ يُفنى الموتَ والدهرُ خالد ... فجئنى بمثل الدّهر شيئاً يُطاوله

أرحل الى الفاسق ، قال : فقدمت إلى الفرزدق فأنشدته إياه وأخبرته بمقالة جرير . فقال : أقسمتُ عليك لمَا سترت الحديث .

هو ونسوة وقد ضرطت بغلته

وذُكر أن الفرزدق ركب بغلته ، فمر بنسوة ، فلما حاذاهن ضَرطت بغلته ، فضحكن منه ، فالتفت إليهن وقال : لا تضحكن ، فما حملتنى أنثى إلا ضرطت ، فقالت له إحدهن : ما حملك أكثر من أمك ، فأراها قد قاست منك ضُراطاً كثيراً . فحرّك بغلته وهَرب منهن .

هو والحسن البصرى فى هجاء إبليس

وذكر أن الفرزدق أتى الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ فقال : إنى قد هجوتُ إبليس . فقال : كيف تهجوه وعن لسانه تَنطق .

هو وابن أبيض

وذُكر أن حمزة بن بيض قال يوماً للفرزدق : يا أبا فراس ، أسألك عن مسألة . فقال : سل عمّا أحببت . قال : أيما أحب إليك : أن تسبق الخير[1] أو يَسبقك ؟ قال : إن سبقنى فاتنى وإن سبقته فُته ، ولكن نكون معاً لا يسبقنى ولا أسبقه . ولكن أسألك عن مسأله . فقال ابن بيض : سَل : قال أيما أحبّ إليك : أن تنصرف إلى منزلك فتجد امرأتك قابضة على أير رجل أو تجده قابضاً على حِرها ، فتحيّر ابن بيض ، وكان قد نُهى عنه فلم يقبل .

إخفاق بشر فى الإصلاح بينه وبين جرير

وذُكر أنه اجتمع الفرزدق وجرير عند بِشر بن مروان ، فرجا أن يُصلح بينهما حتى يتكافآ . فقال لهما : ويحكما ! قد بلغتما وقرُبت آجالكما ، فلو أنكما اصطلحتما ووهب كل واحد منكما لصاحبه ذنبه . فقال جرير : أصلح الله الأمير ، إنه يظلمنى ويتعدّى علىّ . فقال الفرزدق : أصلح الله الأمير ، إنى وجدت آبائى يظلمون آباءه فسلكت طريقتهم فى ظُلمه . فقال بشر : عليكما لعنة الله لا تصطلحان والله أبدا .

هو ودهقان أعياه

وحكى الفرزدق قال :

ما أعيانى جوابُ أحدكما أعيانى جواب دِهقان مرة . قال لى : أنت الفرزدق الشاعر ؟ قلت : نعم . قال : إن هجوتنى تخرب ضَيعتى[2] ؟ قلت : لا . قال : فتموت عيشونة ابنتى ؟ قلت : لا . قال : فرجلى إلى حَلقى[3] فى حِر أُمك . فقلت : ويحك ، فلم تركت رأسك ؟ قال : حتى أنظر أىّ شىء تصنع .

---

(١) الخير ، بالكسر : الأصل والشرف . وفى غير التجريد : « الحر » .

(٢) غير التجريد : « أفأموت إن هجوتنى » . (٣) غير التجريد : « عنقى » .

اختياره للقصار

وذُكر أنه قيل للفرزدق : ما اختيارك فى شعرك للقِصار ؟ قال : لأنى رأيتُها فى الصدور أثبت وفى المحافل أَجْوَل .

للحطيئة فى قصاره

وقيل للحُطيئة : ما بال قصارك أطول من طوالك ؟ قال : لأنها فى الآذان أَوْلج وفى أفواه الرُّواة أَعلق .

لعقيل فى قصر هجائه

وقيل لعقيل بن عُلَّفة : مالك تقصر فى هجائك ؟ قال : حسبك من القِلادة ما أحاط بالرَّقبة .

هو والجهم

وقيل : إن الجهم بن سُويد بن المنذر الجَرمى قال للفرزدق : أَما وجدتْ أمك من الأسماء إلا الفرزدق الذى تكسره النساء فى سَويقها . فأقبل الفرزدق على قوم معه فى المجلس فقال : ما اسمه ؟ فلم يخبروه باسمه ، فقال : والله لئن لم تخبرونى لأهجونكم كلكم . فقالوا : الجهم بن المنذر بن سويد . فقال الفرزدق : أحق الناس ألّا يتكلم فى هذا أنت ، لأن اسمك اسم متاع المرأة ، واسم أبيك اسم الحمار ، واسم جدك اسم الكلب .

هو والحسن فى طريقه إلى الكوفة

وذُكر أنه لقى الفرزدق الحسينَ بن على بن أبى طالب — رضى الله عنهما — وهو قاصد إلى الكوفة ، لمّا طلبه أهلُها ليبايعوه بالخلافة ، فقال له الحسين — رضى الله عنه : ما وراءك ؟ فقال: يا بن رسول الله ، أنفُس الناس معك وأيديهم عليك . فقال : ويحك ! معى وِقْر بعير من كُتبهم يدعوننى ويناشدوننى الله تعالى . فلما قَدم الحسين — رضى الله عنه — العراق وغدر به أهل الكوفة وحاربوه مع عبيد الله ابن زياد حتى قُتل ، قال الفرزدق : انظروا فإن غضبت العرب لابن سيدها وخيرها فاعلموا أنه سيدوم عزّها وتبقى هَيبتها ، و إن صبرت عليه ولم تُغير لم يزدها الله إلا ذُلا إلى آخر الأبد . وأنشدنى فى ذلك :

فإنْ أنتُم لم تثأَرُوا بابْنِ خَيْرِكم ... فألقُوا السِّلَاحَ وأغزِلُوا بالمَغازِل

هو وامرأة شريفة وحيلة امرأته

وذُكر أن الفرزدق أراد امرأة شريفة على نفسها، فامتنعت عليه، وتهدَّدها بالهجاء والفضيحة، فاستغاثت بالنَّوار امرأته، وقصّت عليها القصة. فقالت لها: عِديه ليلةً ثم أعلميني. ففعلت. وجاءت النَّوار فدخلت الحجلة مع المرأة. فلما دخل الفرزدق البيت أمرت الجاريةَ فأطفأت السِّراج، فانسلت المرأة من الحجلة وقعدت النَّوار فيها، فواقع الفرزدق النوار، وهو لا يشك أنها صاحبته. فلما فرغ قالت: يا عدو الله، يا فاسق، فعَرَف نَغْمتها وأنه خُدع. فقال لها: سبحان الله! ما أطيبك حراماً وأردأك حلالا.

مدحه أسماء ابن خارجة وقصة ذلك

وذُكر أنه مرّ أسماء بن خارجة الفَزارى على الفرزدق، وهو يَهنأ(١) بعيراً بنفسه، فقال له أسماء: يا فرزدق، كَسد شعرك واُطّرحك الملوك فصِرْت إلى مَهنأة إبلك، وقد أمرتُ لك بمائة بعير فاقبضها. فقال الفرزدق يمدحه:

إنّ السَّماح الذى فى الناس كُلهمُ ... قد حازه الله للمِفضال أسْماء
يُعطى الجزيل بِلا مَنٍّ يُكَدِّره ... عفــواً ويُتبع آلاءً بنَعْماء
ما ضَرّ قوماً إذا أمسى يُجاورهم ... ألّا يكونوا ذوى إبْلٍ ولا شاء

قصة طلبه بغيــا

وذُكر أنّ الفرزدق شَرب شراباً باليمامة وهو يُريد قَصْد العراق، فقال لصاحب له: إن الغُلمة قد آذتنى فأتنى ببغىّ. فقال: من أين أُصيب لك بَغيًّا؟ قال: فلا بد أن تحتال لى. فمضى الرجل إلى القرية فقال: هل من امرأة تقْبَل(٢) فإنّ معى امرأة قد أخذها الطلق، فبعثوا معه امرأة، فأدخلها على الفرزدق وقد غَطَّاه، فلما دنت منه واثبها، ثم ارتحل مُبادراً وقال: كأنى بالخبيث ـ يعنى جريراً ـ قد بلغه هذا الخبر، فقال:

---

(١) هنأ الإبل: يطليها بالهناء، وهو القطران.
(٢) قبلت المرأة تقبل، من باب علم: تلقت الولد عند الولادة. يريد امرأة صناعتها هذا.

وكنت إذا حللتَ بدار قَوْمٍ رحلتَ بِخزْية وتركتَ عارا

فبلغ جريراً الخبرُ فهجاه بهذا الشعر بعينه .

له في ساعة عجزه عن قول الشعر

وحُكى أن الفرزدق قال :

قد علم الناس أنّى فحل الشعراء ، وربما أتت علىّ ساعة لَقَلْعُ ضرسٍ من أضراسى أهونُ علىّ من قول بيت شعر .

وقد هجاهم قصته مع الأزد

وذُكر أن الفرزدق كان قد هجا الأزد ونال من أعراضهم ، فمرَّ بهم يوماً ، فوثب عليه ابن أبى عَلقمة لِيَنكحه ، وأعانه على ذلك سُفهاء من سُفهائهم ، فجاءت مشايخ الأزد وأولو النهى منهم فصاحوا بابن علقمة وبأولئك السفهاء ، فقال لهم ابن أبى علقمة : ويلكم أطيعونى اليوم واعصونى الدهر ، هذا شاعر مُضر ولسانُها ، وقد شتم أعراضكم وهجا ساداتكم ، والله لا تنالون من مُضر مثلها أبداً . فحالوا بينهم وبينه . فكان الفرزدق بعد ذلك يقول : قاتله الله ! والله لقد كان أشار عليهم بالرأى .

هو وأنصارى تحداه

وحَكى محمد بن إبراهيم قال :

قدم الفرزدقُ المدينةَ فى إمارة أبان بن عثمان بن عفان ، فأتى الفرزدق كُثيِّر عزّة ، فبينما هما يتناشدان الأشعار إذ طلع عليهما غلامٌ شَخت[1] رقيق الأدمة فى ثوبين مُمصَّرين[2] ، فقصد نحونا حتى انتهى إلينا ، فلم يُسلم وقال : أيكم الفرزدق ؟ فقلت — مخافة أن يكون من قريش — : أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها ؟ فقال : لو كان ذلك لم أقل له هذا . فقال له الفرزدق : من أنت ؟ لا أُم لك ! قال : رجل من الأنصار ، ومن بنى النجار ، ثم أنا ابن أبى بكر بن حَزم ، بلغنى أنك تزعم أنك أشعرُ العرب وتزعمه مضر ، وقد قال شاعرنا حسان

(١) شخت : دقيق ضامر .

(٢) ممصر : مصبوغ بالمصر ، بالكسر ، وهو الصمغ الأحمر .

بن ثابت شعراً فأردت أن أعرضه عليك وأُؤجلك سنة ، فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب كما قيل ، وإلا أنت مُنتحل كذاب ، ثم أنشده :

* ألم تَسَلِ الرَّبعَ الجديدَ التكلُّما *

حتى بلغ إلى قوله :

وأبقى لنا مَرُّ الحروب ورُزؤها سُيوفاً وأدراعاً وجَمًّا عَرَمْرَمَا

متى ما تَرِدْنا من مَعدٍّ عصابةٌ وغسَّانَ نَمنع حوضَنا أن يُهدَّما

لنا حاضرٌ فَعم وبادٍ كأنه شماريخ رَضْوَى عِزَّةً وتكرُّما

بكل فتًى عارى الأشاجع لاحه قِراع الكُماة يَرْشَح المسكَ والدَّما

وَلَدْنا بنى العَنقاء وابْنَىْ مُحَرِّق فأكرمْ بنا خالًا وأكرم بنا[1] ابنما

نُسوِّدُ ذا المال القليل إذا بدت مروءته فينا وإن كان مُعدما

وإنَّا لنَقْرى الضيف إن جاء طارقا من الشحم ما أمسى صَحيحاً مُسلَّما

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمعنَ بالضُّحى وأسيافُنا يَقطُرن من نجدةٍ دَما

فأنشده القصيدة ، وهى نيف وثلاثون بيتاً ، وقال له : إنِّى قد أجَّلتك فى جوابها حَولًا . فانصرف الفرزدق مُغضَباً يَسحب رِداءه ما يَدرى أيَّة طُرُقه يذهب[2] ، حتى خرج من المسجد ، وأقبل على كُثيِّر فقال : قاتل الله الأنصارى ! ما أفصح لهجته ، وأوضح حُجته ، وأجود شعره . فلم نزل فى حديث الأنصارى والفرزدق بقيةَ يومنا ، حتى إذا كان من الغد خرجتُ من منزلى إلى المجلس الذى كُنّا فيه بالأمس ، فأتانا كُثيِّر فجلس معى ، فإنا لنتذاكر الفرزدق ، ونقول : ليت شعرى ماذا صنع ! إذ طلع علينا فى حُلة أفواف ، وقد أرخى غديرته ، حتى جلس فى مجلسه بالأمس ، ثم قال : ما فَعل الأنصارى ؟ فنِلْنا منه وشَتمناه . فقال : قاتله الله ! ما مُنيت بمثله ولا سمعت بمثل شعره ، فارقتُه وأتيت منزلى

(١) غير التجريد : « بهذا » . (٢) غير التجريد : « ما يدرى أنه طرفه حتى » .

فأقبلتُ أُصعِّد وأُصوِّب فى كل فن من الشعر ، فكأنى مُفْحَم لم أقُل شعراً قط ، حتى إذا نادى المُنادى رحلتُ ناقتى وأخذت بزِمامها ، حتى إذا أتيتُ رَيّان ـ وهو جبل بالمدينة ـ ثم ناديت بأعلى صوتى : أخاكم ، أخاكم . فجاش صدرى كما يجيش المِرْجل ، فعقلتُ ناقتى وتوسّدت ذراعها ، فأقمتُ حتى قلتُ مائة بيت من الشعر وثلاثة عشر بيتاً . فبينما هو ينشد إذ طلع الأنصارى ، فلما انتهى إلينا سلّم علينا ثم قال : أمَا إنى لم آتك لأُعجلك عن الأجل الذى وقّتُ لك ، ولكنى أحببتُ ألّا أراك إلا سألتُك : إيش صنعت؟ فقال له : أُجاس . فجلس ، فأنشده :

عَزَفت بأعشاش[1] وما كِدْت تَعزف ... وأنكرت من حَدْراء ما كنتُ تَعرف

ولجّ بك الهِجرانُ حتى كأنما ... تَرى الموت فى البَيت الذى كنتَ تألف

حتى بلغ إلى قوله :

ترى الناس ما سِرْنا يسيرون خلفنا[2] ... وإنْ نحنُ أوْمأنا إلى الناس وقَّفُوا

وأنشدها الفرزدق حتى بلغ إلى آخرها . فقام الأنصاريُّ كئيباً ، فلمّا توارى طلع أبو بكر بن حَزم فى مَشيخة من الأنصار ، فسلّموا علينا وقالوا : يا أبا فراس ، قد عرفتَ حالنا ومكاننا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغنا أنّ سفيهاً من سُفهائنا قد تعرض لك ، فنسألك بحق الله وبحق رسوله لَمَا حفِظتَ فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووهبتنا له ولم تَفضحنا . فأقبلت عليه أُكلمه ، فلما أكثرنا عليه قال : اذهبوا فقد وهبتُكم لهذا القرشيّ .

هو والعنزى وقد تجاهل عليه

وحَكى هِشام[3] بن القاسم العَنزى قال :

جمعنى والفرزدقَ مجلس ، فتجاهلت عليه ، فقلت له : من أنت ؟ قال : ما تعرفنى ؟ قلت : لا . قال : فأنا أبو فراس . فقلت : مَن أبو فراس ؟ قال :

---

(١) أعشاش : موضع فى بلاد بنى تميم لبنى يربوع بن حنظلة .

(٢) التجريد : «حولنا» . (٣) غير التجريد : « هاشم » .

أنا الفرزدق . قلت : ومن الفرزدق ؟ قال : أَوَمَا تعرف الفرزدق ؟ قلت : أعرف الفرزدق شيئاً يتخذه النساء عندنا بالمدينة ويتسمّن به ، وهو القَتُوت . فضحك ، ثم قال : الحمد لله الذى جعلنى فى بُطون نسائكم .

فى وفاته

وحكى لَبْطة بن الفرزدق أنّ أباه أصابته ذاتُ الجنب ، فكانت سبب وفاته . ووُصف له أن يشرب النّفط الأبيض . قال : فجعلناه له فى قدح وسقيناه إياه . فقال : يابنى ، عَجِّل لأبيك شراب أهل النار . فقلت : يا أبة ، قل : لا إله إلا الله ، أكررها عليه مراراً . فنظر إلىّ ثم قال :

وظلت تَعالَى باليَفَاع كأنها ... رماحٌ نَحاها وُجهة الرّيح راكزُ[1]

فكان ذلك هِجّيراه[2] حتى مات .

هو وبلال ابن برده فى موته

وذكر أنه دخل بلال بن بُردة على الفرزدق فى مرضه الذى مات فيه ، وهو يقول:

أرونى من يقوم لكم مُقامى ... إذا ما الأمرُ جَلَّ عن الخِطاب

إلى مَن تَرجعون[3] إذا حثوتُم ... بأيديكم علىّ من التُّراب

فقال بلال : إلى الله عز وجل .

خبر وصيته لعبيده قبل موته

وذُكر أن الفرزدق كان قد دبَّر عبيداً له ، وأوصى بعتقهم بعد موته ، ودَفْع شىء من ماله إليهم . فلما احتُضر جمع سائر بنيه وأهل بيته وجعل يقول :

* أرونى من يقوم لكم مقامى * [البيتين]

فقال له بعض عبيده الذين أمر بعتقهم : إلى الله . فأمر ببَيْعه قبل وفاته وأبطل وصيته فيه .

وقيل : إن مولاة له قالت ذلك ، وكان أوصى لها بوصية . فقال : يا لبطة ،

(١) نحاها : أمالها . (٢) هجيراه : دأبه وشأنه .

(٣) عبر التجريد : « تفزعون » .

امحُها من الوصية . فقال سفيان ـ رحمه الله ـ لما بلغه ذلك : نعم ما قلت وبئس ما قال أبو فراس .

رثاؤه ابناً له مات قبله

وذكر أنه تُوفى للفرزدق ابن صغير ، قبل وفاته بأيام ، فصلى عليه ، ثم التفت إلى الناس فقال :

وما نحنُ إلا مِثْلُهم غيرَ أننا أقمنا قليلا بعدهم وتَقَدّمُوا

فلم يلبث إلا أياماً حتى مات .

وذُكر أنه بينما جرير جالس بفناء داره ، بحِجْر اليمامة ، إذا راكب أقبل ، فسأله جرير عن الموضع الذى قَدم منه ، فقال : من البصرة ، فسأله عن الخبر ، فأخبره بموت الفرزدق ، فقال :

نعى جرير نفسه لما بلغته وفاته

مات الفرزدق بعد ما جدَّعته ليت الفرزدقَ كان عاش طويلا

ثم سكت .

قال الراوى : فظننا أنه يقول شعراً ، فدَمعت عيناه . فقال القوم : سبحان الله ! أتبكى على الفرزدق ؟ فقال : والله ما أبكى إلا على نفسى ، أما والله إن بقائى خلافه لقليل ، إنه قلّ ما كان مثلنا رجلان مجتمعان على خير أو شر إلا كان أمدُ ما بينهما قريباً ، وقال :

فُجعنا بحمّال الديّات ابن غالب وحامى تميم كلها والبَراجم

بكيناكَ حِدثان الفِراق وإنما بكيناك إذ بانت أُمور العظائم (١)

فلا حَملت بعد ابن ليلى مُهيرة ولا مَدّ (٢) أنساعَ المَطِيّ الرّواسم (٣)

من مات معه

وذُكر أن جرير مات بعد الفرزدق بستة أشهر ، وذلك فى سنة عشر ومائة ، وتوفى فى هذه السنة : الحسن البصرى ، ومحمد بن سيرين ـ رحمهما الله . فقالت امرأة من أهل البصره : كيف يفلح بلد مات فقيهاه وشاعراه فى سنة .

(١) غير التجريد : « بكيناك شجواً للامور » . (٢) غير التجريد : « شد » .
(٣) الانساع : سيور الرحل . الواحد : نسع م

ونُسب جرير إلى البصرة لكثرة قُدومه من اليمامة إليها .

وقبر جرير باليمامة . وبها أيضاً قبر الأعشى الأكبر ، وقبر الفرزدق بالبصرة فى مقابر بنى تميم .

هو والحسن البصرى فى جنازة

وذُكر أن الفرزدق كان اُجتمع مع الحسن البصرى فى جنازة ، فقال الحسن ـ رحمه الله ـ للفرزدق : ما أعددت لهذا اليوم ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله مُنذ بضع وثمانين سنة . فقال الحسن : إذن تنجو إن صدقت .

وقال الفرزدق : وفى هذه الجنازة خير الناس وشر الناس . فقال الحسن : لست بخير الناس ولست بشرّهم .

على حلقة الحسن

وذُكر أن الفرزدق وقف على حلقة الحسن ، وهو يعظ الناس ، فقال :

لقد خاب مِن أولاد آدمَ مَن مشى إلى النار مغلولَ القلادة أزْرَقا

أخاف وراء القَبر إنْ لم يُعافِنى أشدَّ من القبر التهاباً وأضيقا

إذا جاءنى يوم القيامة قائدٌ عنيف وسَوّاق يسُوق[1] الفرزدقا

رؤية قرشى له فى منامه

وذَكر شيخ من قريش ، قال :

رأيت الفرزدق فى النوم ، فقلت : يا أبا فراس ، ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لى بإخلاصى يوم الحسن ، وقال : لولا شيبتك لعذّبتك فى النار .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الفرزدق ، هو :

ألم تَر أنّى يوم جَوِّ سُويقة بكيت فنادتْنى هُنيدة ماليَا

فقلتُ لها إن البكاء لراحةٌ به يَشتفِى من ظَنَّ أنْ لا تلاقيا

قِفِى ودِّعينا يا هُنيد فإننى أرى الركب قد شامُوا العقيق اليمانيا

وهذا الشعر من قصيدة يهجو بها الفرزق جريراً ، وهى ـ فيما قيل ـ أول قصيدة هجاه بها .

(١) غير التجريد : « يقود » .

أخبـــار
خالد بن عبد الله القسري البجلي

نسبه

وهو : خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرز بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس بن غَمغمة بن جرير بن شِق ــ وهو الـكاهن المشهور ــ بن صَعب بن يشكر بن رُهم بن أقزل ــ وهو سعد الصبح ــ بن زيد بن قَسر بن عَبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن لحيان بن الغوث بن الفند ــ وقيل : الفزر ــ بن نبت ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرُب بن قحطان .

شيء عن بجيلة

وبجيلة التى تنسب إليها هذه القبيلة : أُمرأة . وهى : بَجيلة بنت صَعب بن سعد العشيرة ، تزوَّجها أنمار بن إراش ، فولدت له أولاداً ، فنسبوا إليها .

وقيل . بل كانت أُمرأة حَبشية ، تحضن ولده إلّا خَثعم ، فلذلك صار خثعم قبيلة على حدة .

شيء عن أسد

وأسلم أسد بن كُرز ووفد على النبى صلى الله عليه وســلم ، وأهدى له ــ فيما ذكر ــ قوساً .

شيء عن يزيد

وكان أبنه يزيد بن أسد معه .

وروى يزيد بن أسد ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا يزيد ، أحْبب للناس ما تحبه لنفسك .

وخرج يزيد بن أسد فى أيام عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ فى بعوث المسلمين إلى الشام ، فكان بها . وكان مطاعاً فى اليمن عظيم الشأن .

ولما حضر عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ فى داره ، بعث إلى معاوية بن أبى سفيان ، وهو عامله على الشام ، يستنجده . فبعث معاوية إليه يزيد بن أسد

فى أربعة آلاف من الشام . فلما كان يزيد بن أسد ببعض الطريق بلغه الخبرُ أن عثمان ـ رضى الله عنه ـ قد قُتل ، فانصرف إلى معاوية ولم يُحدث شيئاً .

ولما كان يوم صِفّين قام يزيد بن أسد فى الناس خطيباً ، وعليه عمامة خَزّ سوداء ، وهو متكئ على قائم سيفه ، فقال ، بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم : وقد كان من قضاء الله جل وعز أن جمعنا وأهلَ ديننا فى هذه البقعة من الأرض ، والله يعلم أنى كنتُ كارهاً ، ولكنهم لم يُبلّعونا ريقنا ، ولم يدعونا نرتاد لديننا ، وننظر لمعادنا ، حتى نزلوا فى حريمنا وبَيْضتنا ، وقد علمنا أن فى القوم حلماً وطَغاماً ، ولسنا نأمن من طغامهم على ذُريتنا ونسائنا ، وقد كُنا لا نحب ألّا نقاتل أهل ديننا ، فأخرجونا حتى صارت الأمور إلى أن يصير قتالنا غداً حمية ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين . واللهِ الذى بعث محمداً صلى الله عليه بالحق نبيًّا ، إنّي لوددت أنى مِتُّ قبل هذا ، ولكن الله تبارك وتعالى إذا أراد أمراً بلغه ولم يستطع العباد رَدَّه ، فنستعين بالله العظيم .

شىء عن عبد الله ابن يزيد

وأما عبد الله بن يزيد بن أسد فلم يكن له نباهة من ذكر آبائه . وأهل المثالب يقولون : إنه دَعِىّ . وكان مع عمرو بن سعيد الأشدق وعلى شرطته ، لما خرج على عبد الملك بن مروان ، فلما قُتل عمرو هرب عبد الله حتى سألت اليمانية فيه عبد الملك ، لما آمن الناس عام الجماعة ، وآمنه .

نشأة خالد

ونشأ ابنه خالد بن عبد الله بالمدينة ، وكان فى حداثته يتخنث ويتبع المغنين والمُخنثين ، وكان يمشى بين عمر بن أبى ربيعة وبين النساء فى رسائله إليهن ، وكان يقال له : خالد الخرّيت(١) . وكل ما جاء فى شعر ابن أبى ربيعة وأخباره من ذكر الخريت ، فإنما يعنى به خالد بن عبد الله القسرى .

---

(١) الخريت : الدليل الحاذق .

خالد وأبوه وجده

وذُكر أن يزيد بن أسد كان يلقَّب : خطيب الشيطان . وكان أكذب الناس فى كل شىء ، معروفاً بذلك ، ثم نشأ ابنه عبد الله فسلك منهاجه ، ثم نشأ خالد ففاق الجماعة فى الكذب ، إلا أن الرياسة والسخاء كانا فيه ، فسترا ذلك من أمره .

أمه

وولى خالدُ بن عبد الله العراق لهشام بن عبد الملك . وكانت أمه رومية نصرانية ، فبنى لها كنيسة فى ظهر قبلة الجامع بالكوفة ، فكان إذا أراد المؤذن فى المسجد أن يؤذن ضرب لها بالناقوس ، وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءتهم . وكان أهل الكوفة يعيّرونه بذلك ويقولون : إنه ابن البظراء ، فأنف من ذلك . فيقال : إنه ختن أمه كارهة .

ذمه عليا

وكان — قبحه الله — يُكثر ذم علىّ بن أبى طالب — رضى الله عنه — ولعنه وشتمه فوق المنبر ، يتقرب بذلك إلى هشام بن عبد الملك .

فذُكر أنه كان يصرح باللعن تصريحاً ، فيقول : على بن أبى طالب بَعل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو الحسن والحسين ، ثم يقول لأهل المسجد : هل كنّيت .

هو وابن جعدة فى أمر على

وذُكر أنه دخل على فراس بن جَعْدة ، وبين يديه نَبق ، فقال خالد بن عبد الله — قبحه الله — : العن علىّ بن أبى طالب ولك بكل نَبقة دينار ، ففعل ، فأعطاه بكل نبقة ديناراً .

من إسفافه فى تفضيل هشام

وذُكر أنه قال على المنبر بالكوفة ، وذكر النبى صلى الله عليه وسلم : أيما أكرم على الرجل : رسوله فى حاجته أو خليفته فى أهله؟ يعرض خالد — لعنه الله — إن صح ذلك عنه ، بتفضيل هشام بن عبد الملك على الرسول صلى الله عليه وسلم .

حطه من شأن زمزم

وذُكر أن الوليد بن عبد الملك كان حفر بئراً بمكة ، بين ثنية ذى طُوى

وثنية الجون ، وكان خالد قبحه الله ينقل ماءها فيوضع فى حَوض جنب زمزم ، ليظهر للناس فضلها على زمزم . وكان يسمى بئر زمزم : أم الجِعلان[١] .

وخطب يوماً فقال : إبراهيم خليل الله أستسقى ماء فسقاه مِلحاً أُجاجاً ، و إن أمير المؤمنين استسقى ماء فسقاه الله عذباً نُقاخا[٢] . فغارت تلك البئر فلا يُدرى أين هى اليوم .

خطبته الناس وقد حبس بعض التابعين

وذُكر أنه خطب بمكة ، وقد أخذ بعض التابعين فحبسه فى دور آل الضرمى ، فأعظم الناس ذلك وأنكروه ، فخطب خالد وقال : قد بلغنى ما أنكرتم من أخذ عدو أمير المؤمنين ، ومن حاربه ، والله لو أمرنى أمير المؤمنين أن أنقُض هذه الكعبة حجراً حجراً لنقضتُها .

والأخبار الواردة عنه فى هذا الباب كثيرة ، ولم ينفعه تقرُّبه إلى هشام ، ومَن وَلى عنه من بنى أمية بهذه الأفعال والأقوال القبيحة ، بل سلَّط الله عليه من تقرَّب إليه بما يُسخطه ، حتى كان هلاكه على يده ، كما سنذكره .

من جوده

وذُكر أن خالد بن عبد الله كان جواداً بالمال ، بخيلا على الطعام جدا ، فوفد إليه رجل له به حُرمة ، فأمر أن يُكتب له بعشرين ألف درهم ، وحضر الطعامُ فدعا به ، فأكل أكلا مُنكراً ، فأغضبه ذلك وقال للخازن : لا يعرض علىّ صكُّه . فعرَّفه الخازن ، فقال : ويحك ! وما الحيلة ؟ قال : تشترى له غداً كل ما يحتاج إليه فى مطبخه وتَهب للطباخ دراهم حتى لا يشترى شيئاً ، وتسأله إذا أكل خالد أن يقول له : إنك كنت اليوم فى ضيافة فلان ، فاُشترى له كل ما أراد حتى الحطب ، فبلغ خمسمائة درهم . فأكل خالد وطاب له ما صُنع له . فقال له الطباخ : إنك كنت اليوم فى ضيافة فلان ، فاستحيا خالد ودعا بصكّه وجعلها ثلاثين ألف درهم ووقع فيه ، وأمر الخازن بتسليمها .

(١) الجعلان بالكسر : جمع جعل ، بالفتح : دويبة . (٢) النقاخ : البارد العذب الصافى .

من حيلة التجار معه

وذُكر أنه كان لبعض التجار على رجل دين ، فأراد استعداء خالد عليه فلاذ الرجل ببوّاب خالد وبَرّه . فقال له : سأحتال لك فى أمر هذا بحيلة لا يُدخله عليه أبداً . قال : فافعل . فلما جلس خالد للأكل أذن البواب للتاجر فدخل ، وخالد يأكل سمكاً ، فجلس فأكل أكلا شنيعاً ، فغاظ ذلك خالدا ، فلما خرج قال خالد لبوابه : فيم أتانى هذا ؟ قال : يستعدى على فلان فى دين يدّعيه عليه . فقال : والله إنى لأعلم أنه كاذب ، ولا يدخلنّ علىّ . وتقدم إلى صاحب الشرطة بأن يقبض يده على خصمه .

وذُكر أن خالد بن عبد الله لما عظُمت مكانته ومنزلته عند هشام بن عبد الملك أدلّ عليه إدلالا كثيراً ، فكان ذلك سبب غضبه .

غضب هشام عليه

وذُكر أنه كان عند هشام يوماً ، فالتفت خالد إلى ابنه يزيد بن خالد ، فقال له : كيف بك يا بُنى إذا احتاج بنو أمير المؤمنين إليك ؟ فقال : أُواسيهم ولو فى قميصى . فتبيّن الغضب فى وجه هشام واحتملها .

وربما كان يجرى ذكر هشام عند خالد فيقول : ابن الحمقاء ، فسمع ذلك رجل من أهل الشام فقال لهشام : يا أمير المؤمنين ، إن البَطِر الأشِر لكافر لنعمتك ونعمة أبيك وإخوتك يذكرك بأسوأ الذكر . فقال : ماذا يقول ؟ لعله يقول : الأحول ؟ قال : لا والله ، ولكن لا تلتقى[1] به الشّفتان . فقال : لعله يقول : ابن الحمقاء . فأمسك الشامى . فقال له هشام : قد بلغنى كل ذلك عنه .

ضياعه

واتخذ خالد ضياعاً كثيرة ، حتى بلغت غلته عشرة آلاف درهم .

فذُكر أنه دخل عليه دِهقان كان يأنس به ، فقال : إن الناس يحبون جسمك ، وأنا أحب جسمك ورُوحك ، قد بلغت غلتك عشرة آلاف درهم سوى

(١) غير التحريد : « ما تنفتق به » .

غلة أبيك ، وإن الخلفاء لا يصبرون على مثل هذا . فقال له خالد : إن أخى أسداً قد كلّمنى بمثل هذا ، فأنت أمرته ؟ قال : نعم . قال : ويحك ! دعه فرب يوم كان طلب فيه الدرهم فلا يجده .

تعذيب هشام له وقتله ابنه

ثم إن هشام بن عبد الملك عزل خالد بن عبد الله القسرى عن العراق وعذّبه وعاقبه أشد العقوبة ، وقتل ابنه يزيد بن خالد .

وساطة خالد بن صفوان عند هشام

قال خالد بن صفوان :

فرأيت فى رجله شريطاً قد شُدّ به ، والصبيان يجرونه . قال : فدخلت إلى هشام يوماً فحدّثته فأطلْت ، فتنفس فقال : يا خالد ، رُبَّ خالد كان أحبّ إلىّ قُرباً وألذّ حديثاً منك — يعنى خالداً القسرى . فانتهزتُها ورجوت أن أشفع فتكون لى عند خالد يد . فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما يمنعك من استئناف الصنيعة عنده ، فقد أدّبته بما فرط منه . فقال : هيهات ، إن خالداً أوجف فأعجف ، وأدل فأمل ، وأفرط فى الإساءة فأفرطنا فى المكافأة ، فَحَلِم(١) الأديم ، ونَغِل(٢) الجرح ، وبَلَغ السَّيل الزُّبى ، والحزّام الطِّبيين ، فلم يَبْق فيه مُستصلح ، ولا للصنيعة عنده موضع . عُد إلى حديثك .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار خالد بن عبد الله القسرى ، هو :

ومقالُها بالنَّعف نِعف مُحسّر لفتاتها هل تَعرفين المُعْرِضَا

ذاك الذى أَعطى مَواثِق عَهده أن لايخون وخِلتُ أنْ لن يَنْقضا

فلئن ظفرتُ بمثلها من مثله يوماً ليعترفنّ ما قد أقْرضا

---

(١) حلم : تآكل (٢) نغل : فسد.

أخبار
صخر بن جعد الخضرى

نسبه

وهو : أحد بنى جحاش بن سَلمة بن ثعلبة بن مالك بن طَريف بن مُحارب بن خَصفة بن قيس عيلان بن مُضر بن نزار .

لقب بنى مالك

ويسمى بنو مالك بن طريف : الخُضر ، لسوادهم .

وكان شديد الأُدمة ، وخرج ولدُه إليه فقيل لهم : الخضر . والعرب تُسمى الأَسود : أخضر .

منزلته فى الشعر

وهو شاعر فصيح من مُخضرمى الدولتين الأَموية والعباسية .

قصته مع ابنة عمه

وذُكر أن صخراً الجعدى كان مغرماً بكأس بنت بُجير بن جُندب ، فشَبّب بها . فلقيه أخوها وقاص ، وكان شجاعاً ، فقال له : يا صخر : إنك شببت بابنة عمك وشهرتها ، ولعمرى ما بها عنك مذهب ، ولا لنا عنك مرغب ، فإن كانت لك فى ابنة عمك حاجة فهلُم أزوجها منك ، وإن لم تكن لك فيها حاجة فلا أعلمن ما عرضت لها بذكر ولا أسمعنّه منك ، فوالله لئن فعلت ذلك ليخالطنّك السيف . فقال له : لا ، بل والله إن بى لأشد الحاجة إليها . فوعده موعداً ، فخرج صخر لموعده حتى نزل بأبيات القوم منزلَ الضيف ، فقام وقاص فذَبح وجمع أصحابه ، وأبطأ صخر عليهم . فلما رأى ذلك وقاص بعث إليه : أن هَلُم لحاجتك . فأبطأ . ورجع الرسول وقال لهم : ما رأيتُه إلا بطيئاً ، واستأناه وقاص فأبطأ ، فلما رأى ذلك من فعله غضب وقاص وعَمد إلى رجل من الحى ليس يعدل صخراً ، يقال له : حصن ، وهو مغضب لِما صنع ، فحمد الله وأثنى عليه وزوّجه بكأس ، وافترق القوم فمرُّوا بصخر فأعلموه بتزويج كأس لحصن ، فرحل

عنهم من تحت الليل واندفع يهجوها بأبيات منها :

وأنـكحها حِصْناً ليَطْمس حملها   وقد حَملت من قبل حِصْن وجَرَّتِ

أى : زادت على تسعة أشهر .

وترافع القوم إلى المدينة ، وأميرها يومئذ طارق ، مولى عثمان رضى الله عنه ، فأقام أهل كأس البينة عليه بقذفها ، فضُرب حَدّ القذف. فنَدم صخر على مافرط منه واستحيا من الناس للحَد الذى ضُرِب به . فلحق بالشام فطالت بها غيبتُه ، وطفق يقول فى كأس الأشعار ، ثم عاد فمرَّ بنخل كان لأهله ولأهل كأس فباعوه وانتقلوا إلى الشام ، فمرّ بها صخر ورأى المبتاعين لها يصرمونها ، فبكى عند ذلك بكاء شديداً وأنشأ يقول :

مررتُ على خَيْمات كأسٍ فأسبلت   مدامعُ عينى والرِّياح تُميلُها

وفى دارهم قومٌ سواهم فأسبلت   دموعٌ من الأجفان فاضَ مَسيلُها

كأنّ الليالى ليس فيها بسالم   صديقٌ ولا يَبقى عليها خليلُها

وقال أيضاً فيها :

ألَا يا كأس قد أفنيتُ شعرى   فلست بقـائل إلا رجيعا

ولست بنائم إلا بحُزن   ولا مُستيقظاً إلّا مَرُوعا

وإنكِ لو نظرتِ إذا التقينا   إلى كبدى رأيتِ به صُدوعا

شعره الذى فيه الغناء وسببه

وذُكر أنه أرسلت كأس بعد أن زُوجت إلى صخر بن الجعد تخبره أنها رأته فيما يرى النائم كأنه يُلبسها خماراً ، وأن ذلك جدَّد لها شوقاً إليه وصبابة ، فقال صخر ـ وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار صخر :

أنائل ما رُؤيا زعمتِ رأيتها   لنا عجبٌ لو أنّ رُؤياك تصدُقُ

أنائل ما للعَيش بعـدك لذّة   ولا مَشرب نلقاه إلّا مُرنَّق(١)

أنائل إنى والذى أنا عبده   لقد جعلت نفسى من البَين تُشفق

لعمرك إنّ البين منك يشوقنى   وبَعْض بعاد البَيْن والنَّاى أَشوق

(١) مرنق : مكدر .

أخبار أبي حفص الشطرنجي

هو : أبو حفص عمر بن عبد العزيز ، مولى بني العباس . نسبه

وكان أبوه من موالي المَنصور ، وكان اسمه اسماً أعجميًّا . فلما نشأ أبو حفص غيَّره وسمَّاه : عبد العزيز. أبوه

ونشأ أبو حفص في دار المهديّ ومع أولاد مواليه ، وكان كأحدهم ، وتأدّب ، وكان لاعباً بالشطرنج ، ومشغوفاً بها ، فلُقب بها لغَلبتها عليه . نشأته في دار المهدى

فلما مات المهدى انقطع إلى عُلية بنت المهدى ، وخرج معها لما زُوجت ، وعاد معها لما عادت إلى قصرها . وكان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأمور بينها وبين أخواتها وبنى أخيها من الخلفاء ، فتنتحل بعض ذلك وتترك بعضه . انقطاعه إلى علية

ومما يستجاد من شعر أبي حفص الشّطرنجي : من جيد شعره

عَرِّضاً للذى تُحب بحُبٍّ ثم دَعه يَرُوضه إبليسُ

فلعلّ الزمان يُدنيك منه إنّ هذا الهوى جليلٌ نَفيس

صابِر الحب لا يَغُرّنك[1] فيه من حَبيب تجهُّم وعُبُوس

وأقِلّ اللَّجاج واُصبر على الجـ ـهد فإنَّ الهوى نَعيم وبُوس

وذُكر أن الرشيد كان يُحب ماردة جاريته ، وهى أم ابنه المعتصم ، وكان خَلَّفها بالرقة . فلما قدم بغداد اشتاقها ، فكتب إليها : إجابته الرشيد عند زوجته ماردة

سلام على النازح المُغتربْ تحية صَبٍّ به مُكْتَئِبْ

---

(١) غير التجريد : « لا يصرفنك »

غـــزال مراتعه بالبُليخ إلى دَير زَكّى[1] فقصر الخشب[2]
أيا مَن أعان على نفسه بتخليفه طائعاً من أَحَبّ
سأستر والسَّتر من شيمتى هَوى من أُحب بِمَن لا أُحب

فلما ورد كتابه عليها أمرت أبا حفص الشّطرنجى فأجاب الرشـــيد عنها بهذه الأبيات :

أتـانى كتابُك يا سيدى وفيـه العجائبُ كل العَجب
فلو كان هذا كذا لم تـكن لِتتركنى نُهزة للكُرب
وأنت ببغـــداد ترعى بها بنات اللَّذاذة مع مَن تُحب
كتابك قـد زادنى صَبوة وأَسعر قلـبى بحَرِّ اللَّهب
وهَبْنى نَعم قد كتمت الهوى فكيف بكِتمان دَمْعٍ سَرِب
ولولا أتقاؤ[illegible] سـيدى لوافتْك بى الناجيات النُّجب

فلما قرأ الرشيد كتابها أنفذ من وقته خادماً على البريد ، حتى حَدَرها إلى بغداد فى الفرات .

أمره يحيى بصنع بيتين فى دنانير وأجازه

وذكر أن يحيي بن خالد قال لأبى حفص الشطرنجى ، ودنانير جاريته عنده يُلقى عليها ابن جامع صوتاً ، وكانت سوداء ، قل لى فى دنانير بيتين ولك بكل بيت مائة دينار إن جاءت كما أريد . فقال أبو حفص :

أشبهك المسك وأَشْبهته فائمةً فى لَونه قاعدَهْ
لاشك إذ لونكما واحد أنكما من طينة واحده

فأمر له يحيي بمائتى دينار .

(١) البليخ : نهر بالرقة . ودير زكى : دير بالرها .
(٢) معجم البلدان (دير زكى) : «فجسر الخشب».

شعره الذي فيه الغناء وقصته

وحكى أبو حفص الشطرنجي قال : قال لي الرشيد يوماً : ياحبيبي ، لقد أحسنت ما شئت في بيتين قلتهما . قلت : وما هما يا سيدي ؟ فمن شرفهما استحسانُك لهما ، قال : حيث تقول :

لَمْ أَلْقَ ذا شَجنٍ يَبُوح بحُبِّه ... إلا حسبْتُك ذلك المحبوبا

حذراً عليك وإنني بك واثق ... ألّا ينال سواى منك نَصيبا

فقلت : يا أمير المؤمنين ، ليسا لي ، هما للعباس بن الأحنف . فقال : صِدْقُك والله أعجبُ إليّ ، وأحسن منهما قولك :

إذا سرّها أمر فيه مَساءتي ... قضيتُ لها فيما تريد على نَفْسي

وما مرَّ يوم أرتجي فيه راحة ... فأذكره إلا بكيتُ على أمسي

وهذا البيتان هما الشعر الذي فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبي حفص الشّطرنجي :

شعره في علته التي مات فيها

وحكى عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال :

دخلت على أبي حفص الشطرنجي ، شاعر عُليّه بنت المهدي ، أعوده في علته التي مات فيها ، فجلست عنده فأنشدني لنفسه :

نعى الله ظلَّ الشباب المَشيب ... ونادتْك باُسمٍ سواك الخُطوب

فكُن مستعدًّا لداعي الفناء ... فإنَّ الذي هو آتٍ قريب

وقبلك داوى المريضَ الطبيب ... فعاش المريضُ ومات الطَّبيب

يخاف على نفسه من يتوب ... فكيف ترى حالَ مَن لا يَتوب

ذكر
حرب الفجار وحرب عكاظ

سبب تسميتها

وإنما سُميت هذه الحرب : الفِجار ، لاستحلالهم فيها الحُرُم . والفجار : فجاران : الأول ، والثانى أعظمهما .

الفجار الأول

فأمَّا الفِجار الأول ، فكانت الحرب فيه ثلاثةَ أيام ، ولم تُسمَّ بأسماء لشُهرتها[1] . وكان أول أمر الفجار أن بدر بن مَعشر الغِفارىّ ، أحد بنى غِفَار ابن مُلَيل[2] بن ضَمرة بن بكر بن عبد مناة بن كِنانة ، كان رجلا مَنيعاً مُستطيلا بمَنْعته على من ورد سُوق عُكاظ .

سوق عكاظ

وهذه السُّوق كانت تُقام للعرب فى أول ذى القِعدة من كل سنة ، ولا تزال قائمةً ، يُباع فيها ويُشترى إلى حُضور الحج ، وكان قيامهما فيما بين نَخلة والطائف عشرة أميال . وبها أموال ونَخل لثقيف .

فاتخذ بدرُ بن مَعشر الغِفارى مجلساً بسُوق عكاظ وقَعد فيه ، وجعل يَبذخ على الناس ويقول :

نحنُ بنو مُدركةَ بنِ خِنْدف ... مَن يَطْعنوا فى عَينه لا يَطْرِف
ومن يكونوا قومَه يُغطرف ... كأنهم لُجَّةُ بَحرٍ مُسدف

وبدر هذا باسطٌ رجلَه يقول : أنا أعزُّ العرب ، فمن زعم أنَّه أعزُّ منى فليضربها[3] بالسيف ، فإنه أعز منى . فوثب رجل من بنى نصر بن معاوية

---

(1) فى التجريد : « يشهر بها » .
(2) التجريد : « مليك » . وفى غير التجريد : « مالك » . وما أثبتناه من الجمهرة (ص ١٧٥).
(3) غير التجريد : « فليضرب دونى » .

ابن بكر بن هوازن ـ يقال له : الأحمر بن مازن بن أوس بن النابغة ، فضَربه بالسَّيف على رُكبته فأندرها ، ثم قال : خُذها إليك أيها المُخندف ، وهو ماسكٌ سيفَه . وقام أيضاً رجل من هوازن فقال :

أنا ابن هَمدان ذو التَّغطْرُفِ   بَحر بحـور زاخر لم يُنزَفِ
نحن ضربنا رُكبة المُخندف   إذْ مَدَّها فى أشهُر المُعرَّف

فهذا اليوم الأول من أيام الفِجار الأول .

اليوم الثانى من الفجار الأول

وأما الثانى فكان سببه أن شَباباً من قريش وبنى كنانة كانوا ذوى غَرام ، فرأَوا امرأة من بنى عامر جميلةً وسيمة ، وهى جالسة بسوق عكاظ . عليها بُرقع، وقد اكتنفها شباب من العرب وهى تُحدِّثهم ، فجاء الشباب من كنانة وقريش فأطافوا بها وسألوها أن تُسفر ، فأبَتْ . فقام أحدهم فجلس خلفها وحلَّ طرف ردائها وشدَّه إلى فوق حُجزتها بشوكة ، وهى لا تعلم . فلما قامت انكشف دِرْعها عن دُبرها ، فضحكوا وقالوا : مَنَعْتنا النظر إلى وجهك وجُدْتِ لنا بالنظر إلى دُبرك . فنادت : يا آل عامر . فثاروا وحملوا السلاح . وحملته كنانة واقتتلوا قتالا شديداً ووقعت بينهم دماء . فتوسَّط حرب بن أُمية واحتمل دماء القوم وأرضى بنى عامر من مُثلة صاحبتهم .

اليوم الثالث من الفجار الأول

وأما الثالث فكان سببه أنه كان لرجل من بنى جُشَم بن بكر بن هوازن دَين على رجل من بنى كنانة ، فلَواه به وطال اقتضاؤه إياه فلم يُعطه شيئاً ، فلما أعياه وافاه الجُشمى فى سوق عُكاظ بقِرد ، ثم جعل ينادى : مَن يبيعنى مثل هذا بمالى على فلان بن فلان الكنانى ؟ رافعاً صوته بذلك . فلما طال نداؤه بذلك وتعييره به كنانة ، مرّ به رجل منهم فضرب القِرْد بسيفه فقتله ، فهتف به الجُشمى : يا آل هوازن . وهتف الكنانى : يا آل كنانة . فتجمّع الحيّان

حتى تحاجزوا ، ولم يكن بينهم قتلى ، ثم كفُّوا . فهذه أيام الفجار الأول .

اليوم الأول من الفجار الثانى

وأما اليوم الأول من الفِجار الثانى ، فهو يوم نَخلة . وكان سببه أن البَرّاض ابن قَيس بن رافع ، أحد بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة ، كان سكّيراً فاسقاً ، فخلعه قومه وتبرّءوا منه . فشرب فى بنى الدِّيل فخلعوه . فأتى قريشاً بمكة فنزل على حَرب بن أُمية فَحالفه . فأحسن حَرب جواره . وشرب بمكة حتى همّ حرب أن يخلعه ، فقال لحرب : إنه لم يبق أحد ممن يَعرفنى إلا خلعنى سواك ، وإنك إن خلعتنى لم ينظر إلىّ أحد بعدك ، فدعنى على حِلفى وأنا خارج عنك . فتركه . وخرج فلحق بالنعمان بن المنذر بالحيرة . وكان النعمان يبعث إلى سوق عكاظ فى كل سنة بلَطيمة ، يُجيزها له سيد مُضر ، فتُباع ويُشترى له بثمنها الأَدم والحرير وبُرود العَصب وغير ذلك . فجهّز النعمان لَطيمةً له ، والبراض عنده ، وقال : مَن يُجيزها ؟ فقال البراض : أنا أُجيزها على بنى كنانة . فقال النعمان : إنما أُريد رجلاً يُجيزها على أهل نَجد . فقال عُروة الرَّحال بن عُتبة بن جعفر بن كلاب ، وهو يومئذ رجل من هوازن : أنا أُجيزها أبيتَ اللعن . فقال له البراض : وعلى بنى كنانة تجيزها يا عُروة ؟ قال : نعم وعلى الناس كلهم ، أفكلْبٌ خليع يجيزها . ثم شخص بها وشخص البراض ، وعُروة يرى مكانه ولا يخافه على ما صنع . حتى إذا كان بين ظهرى غطفان إلى جنب فدك بأرض يقال لها : أُوارة ، نام عُروة فى ظل شجرة ، ووجد البراض غفلته فقتله وأخذ اللَّطيمة وهرب وقال :

نقمتُ على المرء الكِلابىّ فَخْره ... وكنتُ قديماً لا أُقِرُّ فَخارا
علوتُ بحدّ السَّيف مَفرق رأسه ... فأسمع الوادِيَيْن خُوارا

قيل : وكانت العرب إذا قدمت عكاظ رفعت أسلحتها إلى عبد الله بن جُدعان التَّيمى ، حتى يفرغوا من أسواقهم وحَجهم ، ثم يردها عليهم

إذ طَعنوا . وكان سيداً حليما كريماً مُثرياً من المـال . فلما أُخبر خـبر البراض ، وقتله عُروة ، جاء حرب بن أمية إلى عبد الله بن جُدعان . فقال : احتبس قِبلك سلاح هوزان . فقال له ابن جُدعان : بالغدر تأمرنى يا حرب ، لو أعلم أنه لا يبقى منها سيف إلا ضُربت به ، ولا رمح إلا طعنت به ، ماأمسكت منها شيئاً ، ولـكن لـكم مائة درع ومائة رمح ومائة سيف من مالى تستعينون بها ، ثم صـاح ابن جدعان فى الناس : من كان له قِبَلى سـلاح فليأخذه . فأخذ الناس أسلحتهم . ولمـا علمت هوازن ومن ضامها من قيس خبر البراض قصدوا قريشاً وبنى كنانة وقاتلوهم بنَخلة قتـالاً شديداً . فانهزمت قريش وكنانة ، وأتبعتهم هوازن حتى جَنّ عليهم الليل ، فـكفّوا ونادى الأدرم بن شُعيب ، أحد بنى عامر بن صعصعة : يا معشر قريش ، ميعاد ما بيننا هذه الليالى(١) من العام المُقبل بعُكاظ .

وكان رؤساء قريش يومئذ : حرب بن أُمية ، وعبد الله بن جدعان ، وهشام ابن المغيرة . ورؤسـاء قيس : عامر بن مالك مُلاعب الأسـنة ، على بنى عامر ؛ وكدام بن عمير ، على فهم ، وعدوان ؛ ومسعود بن سَهم ، على ثقيف ؛ وسُبيع ابن ربيعة ، على بنى نَصر بن معاوية ؛ والصِّمة بن الحارث ، أبو دُريد ، على بنى جشم . وكانت راية قريش مع حرب بن أُمية ، وهى راية قُصى التى يقال لهـا : العُقاب . وفى ذلك يقول خِداش بن زهير من أبيات :

يا شَدّةً ما شَدَدْنا غيرَ كاذبة … على سُخينةَ لولا الليلُ والحرمُ

وكانت العرب تسمى قريشاً : سخينة . وقـدم البَراض باللَّطيمة مكة ، فجعل يأ كلها . فهذا اليوم الأول .

وأما اليوم الثانى من الفجار الثانى :

اليوم الثـانى من الفجار الثانى

فإن قريشاً تجمّعت وبنى كنانة بأسرها ، وبنو عبد مناة والأحابيش حلفاء

(١) غير التجريد : « الليلة » .

كنانة ، وأعطت قريش رؤوس القبائل أسلحةً تامة ، وأعطى عبدُ الله بن جُدعان خاصة من ماله مائة رجل من كنانة أسلحةً تامة ، وجمعت هوازن وخرجت ، ولم تخرج معهم بنو كلاب ولا كعب ، ولا شهد هذان البطنان من أيام الفجار إلا يوم نخلة ، مع أبي بَراء عامر بن مالك .

وكان القوم جميعاً مُتساندين ، على كل قبيله سيّدهم . فكان على بنى هاشم وبنى المطلب ولفِّهم : الزبير بن عبد المطلب ؛ وعلى بنى المُطلب خاصة ، وإن كانوا مع الزبير . عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد المطلب ، وأمه الشِّفاء بنت هاشم ابن عبد مناف .

تعقيب لأبى الفرج

قلت : عند يزيد هذا ينتهى نسب الشافعى رحمه الله .

قالوا : وحضر مع بنى هاشم ، هذا اليوم وما بعده من أيام الفجار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمره أربع عشرة سنة ، وذلك قبل أن يبعثه الله تعالى بست وعشرين سنة . وكان يُناول عمومته النَّبْل .

وكان على بنى عبد شمس ولفّها : حَرب بن أُمية ، ومعه أخواه : أبو سفيان ، وسفيان ؛ ومعهم بنو نوفل بن عبد مناف ، يرأسهم بعد حرب : مُطعم بن عدى ابن نوفل . وكان على بنى عبد الدار ولفّها : خُويلد بن أسد ــ أبو أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ــ وشمر[1] بن الحُويرث . وعلى بنى زُهرة ولفّها : مَخرمة بن نوفل ، وأخوه صفوان . وعلى بنى تَيم ولفّها : عبد الله بن جُدعان . وعلى بنى مخزوم : هشام بن المغيرة ، أبو عدو الله أبى جهل . وعلى بنى سهم : العاص بن وائل ، أبو عمرو بن العاص . وعلى بنى جُمع ولفّها : أمية بن خلف . وعلى بن عامر بن لؤى : عمرو بن عبد شمس بن عبدُود ، أبو سهيل بن عمرو . وعلى بنى

(١) غير المحريد : « عثمان » .

الحارث بن فهر : عبد الله بن الجرّاح ، أبو أبي عبيدة ـ رضي الله عنه . وعلى بني بكر : بلعاء بن قيس ، ثم مات فكان أخوه جُثامة بن قيس مكانه . وعلى بني عدي بن كعب : زيد بن عمرو بن نُفيل ، والخطّاب بن نفيل ، أبو عمر ـ رضي الله عنه . وعلى الأحابيش : الُحليس بن يزيد .

وكانت هوازن مُتساندين كذلك .

وهذا اليوم يقال له : يوم سَمطة .

فسبقت هوازن قريشاً فنزلت سَمطة من عُكاظ ، وأقبلت قريش فنزلت دون المَسيل ، وبنو كنانة في بطن الوادي . وأمرهم حرب بن أُمية ألّا يبرحوا ، ثم التقوا فاقتتلوا ، فكانت الكَرة في أول النهار لقُريش وكنانة . فلما كان آخر النهار تداعت هوازن وصبروا وكثر القتل في قريش ، فلما رأى ذلك بنو الحارث ابن كنانة ، وهم في بطن الوادي ، مالوا إلى قريش وتركوا مكانهم ، فلما كثر القتل فيهم قال لهم بلعاء بن قيس : الحقوا برَخَمَ ، وهو جبل ، ففعلوا ، وانهزم الناس : وفي ذلك يقول خِداش بن زهير في قصيدة له :

أَبْلغْ إن عرضتَ بنا[1] هشاما ... وعبد الله أَبْلغْ والوليدا
أولئك إن يكن في الناس خَير ... فإنّ لديهمُ حسباً وجُودا
هم خيرُ المعاشِرِ من قُريش ... وأَوْراهـا إذا قَدحت زُنُودا
جَلبنا الخيل ساهمةً إليهم ... عوابسَ يَدَّرِعْنَ النَّقْع قُودا
فجاءوا عارضاً بَرِدًا وجئنا ... كما أَضرمتَ في الغاب الوَقودا
ونادَوا يال عمرو لا تَفرّوا ... فقُلنا لا فَرار ولا صُدودا
فعاركنا الكُماة وعاركونا ... عِراكَ النمْر عاركت الأُسودا
فولّوا نَضْرِبُ الهاماتِ منهم ... بما انتهكوا المَحارمَ والحُدودا

(١) غير التجريد : « به » .

وقوله : يال عمرو ، يعنى : عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

فهذا هو اليوم الثانى من أيام الفجار الثانى .

اليوم الثالث من الفجار الثانى

وأما اليوم الثالث من الفجار الثانى :

وهو العبلاء ، فإنه جَمع القومُ بعضهم لبعض، والتقوا على قرن[1] الحول ، وهو موضع قريب من عُكاظ ، ورؤساؤهم على ما كانوا عليه يوم شَمطة ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزمت قريش وكنانة . وفى ذلك يقول خداش بن زهير :

ألم يبلغك ما قالت قريش ... وحيّ بنى كنانة إذ أُثيروا

دَهمناهم بأرعنَ مكفهرٍّ ... فظَلّ لنا بعَقْوتهم[2] زَئير

اليوم الرابع من الفجار الثانى

وأما اليوم الرابع من الفجار الثانى :

وهو : يوم عُكاظ ، فإنهم التقوا فى هذا الموضع على رأس الحول ، وقد جمع بعضهم لبعض ، والرؤساء بحالهم . وحمل عبد الله بن جُدعان يومئذ ألف رجل من بنى كنانة على ألف بعير ، وخشيت قريش أن يجرى عليها مثلُ ما جرى يوم العَبلاء ، فقيَّد حرب وسُفيان وأبو سفيان ، بنو أمية بن عبد شمس ، أنفسهم وقالوا : لا نبرح حتى نموت مكاننا . وكان على أبى سفيان بن أُمية يومئذ درعان قد ظاهر بينهما ، فسُمى هؤلاء الثلاثة يومئذ : العنابس ، وهى الأُسد ، واحدها : عنبسة . واقتتل الفريقان يومئذ قتالا شديداً ، وثبت الفريقان حتى همَّت بنو بكر ابن عبد مناة وسائر بطون كنانة بالهرب ، وحافظت بنو مخزوم حِفاظاً شديداً ، وكان أشدَّهم يومئذ بنو المُغيرة . فإنهم صبروا وأَبلوا بلاء حسناً . وحملت قريش وكنانة على قيس من كل وجه ، فانهزمت قيس كلها ، وكان مسعود بن مُعتِّب الثقفى ، سيد ثقيف ، قد ضرب يومئذ على امرأته : سُبيعة بنت عبد شمس بن

(١) التجريد : « رأس » .
(٢) العقوة : المحلة .

عبد مناف ـ خباء وقال لها : من دخلها من قريش فهو آمن ، فجعلت تُوصل في خبائها ليتسع . فقال لها : لا تتجاوزي توسيعه . فلما أنهزمت قيس دخلوا خباءها مُستجيرين به ، فأجار لها أبنُ أخيها حربُ بن أمية جيرانها ، وقال لها : يا عمة ، من تمسّك بأطناب خبائك أو دار حوله فهو آمن . فنادت بذلك . فاستدارت قيس بخبائها حتى كثُروا جدا ، ولم يبق أحد أراد نجاة إلا دار بخبائها ، فقيل لذلك الموضع : مدار قيس .

وكان زوجها مسعود بن مُعتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس ، وهو ثقيف ، قد أخرج معه يومئذ بَنيه من سُبيعة ، وهم : عروة ونُويرة ، والأسود[1] ، وكانوا يدُورون بخباء أُمهم ليُجيروا قيساً ، أَمرتْهم أُمهم بذلك أن يفعلوه .

وذُكر أنه لما انهزمت قيس أتى مسعود بن مُعتب امرأته سُبيعة فجعل أنفه بين ثديها وقال : أنا بالله وبك . فقالت : كلا ، زعمت أنك تملأ بيتي من أسراء قومي ، اجلس فأنت آمن .

فهذا اليوم الرابع من أيام الفجار .

وأما اليوم الخامس من الفجار الثاني :

اليوم الخامس من الفجار الثاني

وهو : يوم الحُريرة ، وهي حَرّة إلى جانب عكاظ ، فإنهم التقوا عند رأس الحول بهذا المكان[2] ، فانهزمت كنانة وقريش في هذا اليوم ، وقُتل أبو سفيان ابن أمية وثمانية رهط من بني كنانة ، قتلهم عثمان بن أسد ، من بني عمرو بن عامر بن ربيعة ؛ وقَتل ورقاء بن الحارث ، من بني عمرو بن عامر ، من بني كنانة ، خمسة نفر . فقالت أُميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ، وأُمها هجر بنت عبيد ابن رأس بن كلاب ، ترثي من قُتل من قومها وأبن أخيها أبا سفيان بن أُمية :

---

(١) زاد غير التجريد : « اوحة » . (٢) جاء هذا الخبر في غير التجريد من أخبار اليوم الخامس .

أَبَى ليلُك لا[1] يذهبْ ونِيط الطَّرف بالكوكبْ
ونَجْم دونه الأهوا ل[2] بين الدَّلو والعَقْرب
وهذا الصُّبح لا يأتى ولا يدنو ولا يَقْرُب

وهذا هو الشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج خبر الفجار، وبعده:

لِفَقْد[3] عشيرة منّا كرام الخِيم والمَذْهب[4]
أحال عليهمُ دهر حديدُ النَّاب والمِخْلب

ثم كان الرجل بعد ذلك يلقى الرجل، والرجلان يلقيان الرجلين، فيقتل بعضهم بعضاً.

ثم كانت بعد ذلك حرب بين هوازن وكنانة انتصرت فيها كنانة أول النهار وهوزان آخره.

قتلى قريش

وكان من قُتل فى حرب الفجار، من قريش: العوام بن خُويلد، أبو الزبير رضى عنه، قتله مُرة بن معتب؛ وقُتل حزام بن خويلد بن حكيم بن حزام، ومَعمر بن حبيب الجمحى.

قتلى قيس

وقتل من قيس: الصِّمة، أبو دريد.

الصلح

ثم وقع التراضى بين الفريقين بأن يعدُّوا القتلى، فيدوا من فَضل، فكان الفضل لقيس على قريش وكنانة، فاجتمعت القبائل على الصلح، وتعاقدوا ألاّ يعرض بعضهم لبعض. فرهن حرب بن أمية: أبنه أبا سفيان بن حرب، ورهن الحارث بن كلدة: أبنه النّضر، حتى أُديت الفضول.

وذُكر أن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس تقدّم يومئذ فقال: يا معشر قيس، هلمُّوا إلى صلة الأرحام والصلح. قالوا: وما صُلحكم؟ فقال: على أن ندى قتلاكم ونتصدّق عليكم بقتلانا، فرضوا بذلك. وساد عتبة مُذ يومئذ.

(١) فى رواية: «ليلى أن».
(٢) فى رواية: «النسيان».
(٣) غير التجريد: «بعقر».
(٤) غير التجريد: «والمنصب».

ولما رأت هوازن رهائن قريش فى أيديهم رغبوا فى العفو ، فأطلقوهم .

شهود النبى صلى الله عليه وسلم هذه الأيام

وذُكر أن النبى صلى الله عليه وسلم شهد الأيام المذكورة كلها إلا يوم نَخلة . وقد قيل : إنه شهدها وهو ابن عشرين سنة ، وأنه طَعن أبا براء مُلاعب الأسنة .

وذُكر أن النبى صلى الله عليه وسلم سُئل عن مشهده يومئذ . فقال : ما سَرنى أنى لم أشهده[1] ، لأنهم تعدّوا على قومى : عرضوا عليهم أن يدفعوا إليهم البراض صاحبهم ، فأبوا ذلك .

(١) غير التجريد : « ما سرنى أنى أشهده » .

أخبار مالك بن الصمصامة

نسبه

هو : مالك بن الصَّمصامة بن سعد بن مالك ، أحد بنى جعد بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

شاعر فارس جواد

شاعر بدوى مقل ، وكان فارساً جواداً ، جميل الوجه .

شعره الذى فيه الغناء

وكان يهوى جنوب بنت محصن الجعدية ، وكان أخوها الأصبغ بن محصن من فرسان العرب وشجعانهم ، وأهل النجدة والبأس منهم . ونُمى إليه نبذ من خبر مالك . فآلى يميناً جزماً لئن بلغه أنه عرض لها وزارها ليقتلنّه ، ولئن بلغه أنه ذكرها فى شعر أو عرض بها ليأسرنه ولا يُطلقه إلا بعد أن يجز ناصيته فى نادى قومه . فبلغ ذلك مالك بن الصمصامة ، فقال الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره ، وهو :

أُحب هُبوط الواديين وإننى ... لمشتهر[1] بالواديين غريبُ

أحقًّا عباد الله أن لستُ وارداً ... ولا صادراً إلا علىّ رقيب

ولا زائراً فَرْدًا ولا فى جماعة ... من الناس إلا قيل أنت مُريب

وهل ريبة فى أن تَحن نجيبة ... إلى إلفها أو أن يحن نجيب

تعقيب للمؤلف على أبى الفرج

ومن هذا الشعر ، ولم يذكره أبو الفرج :

وإن الكثيب الفَرد من جانب الحِمى ... إلىّ وإن لم آته لحَبيب

من مواقفه مع محبوبته

وذكر أنه انتجع أهل جنوب ناحية حِسْى والحِمى ، وقد أصابها الغيث

(١) التجريد : « مشتهر » .

وأمرعت ، فلما أرادوا الرحيل وقف لها مالك بن الصمصامة ، حتى إذا بلغته جنوب ، أخذ بخطام بعيرها ، ثم أنشأ يقول :

أريتُك إن أزمعتُم اليومَ نيـةً ... وغالكِ مُصطافُ الحمى ومَرابعُهْ
أترعَيْنَ ما استُودعتِ أم أنتِ كالذى ... إذ ما نأى هانتْ عليه ودائعُه

فبكت وقالت : بل والله أرعى ما استُودعت ، ولا أكون كمن هانت عليه ودائعه . فأرسل بعيرها وبكى حتى سقط مغشيًّا عليه ، وهى واقفة ، ثم أفاق وانصرف ، وهو يقول :

ألاَ إن حِسْياً دونه قُلّة الحمى ... مُنَى النفس لو كانت تُنال شَرائعهْ
وكيف ومِن دون الوُرود عوائق ... وأصبغ حامى ما أُحبُّ ومانِعه
فلا أنا فيما صَدَّنى عنه طامع ... ولا أرتجى وصلَ الذى هو قاطِعه

أخبار عبيد بن الأبرص

نسبه

هو : عَبيد بن الأبرص بن جُشَم[1] بن عامر بن مالك بن زُهير بن مالك ابن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خُزيمة بن مُدركة بن ألياس ابن مُضر بن نزار .

طبقته

شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية .

سبب قوله الشعر

وذُكر أنه كان رجُلاً مُحتاجاً ، ولم يكن له مال ، فأقبل ذات يوم ومعه غُنيمة له ، ومعه أُخته ماوية ، ليوردا غنمهما ، فمنعه رجل من بنى مالك بن ثعلبة وجَبهه ، فانطلق حزيناً مهموماً للّذى صَنع به المالكى ، حتى أتى شَجرات فاستظلّ تحتهنّ فنام هو وأُخته ، فزعموا أن المالكى نظر إليه وإلى أُخته إلى جنبه ، فقال :

ذاك عَبيد قد أصاب ميّا ‏ ‏ ‏ يا ليته ألقحها صبيا

فحملت فوضعت ضاويا

فسمعه عَبيد ، فرفع يده ثم ابتهل فقال : اللهمّ إن كان فلان ظلمنى ورمانى بالبهتان فأدِلْنى منه ــ أى اجعل لى عليه دُولة ــ وانصرنى عليه ، ثم وضع رأسه فنام ، ولم يكن قبل ذلك يقول الشعر .

فذكر أنه أتاه آتٍ فى المنام بكُبة من شَعر فألقاها فى فيه ، ثم قال له : قُم ، فقام يرتجز يعنى مالكا ، وكان يقال لهم : بنو الزنية ، ويقول :

يا بنى الزنية ما غَرَّكم ‏ ‏ ‏ لكمُ الويل بسربال حَجَرْ

---

(١) غير التجريد : « حنتم » . وانظر الجمهرة (ص١٨٢) .

ثم استمر بعد ذلك فى الشعر ، فكان شاعر بنى أسد غيرَ مُدافع .

شعره فى توعد امرئ القيس قومه

وذُكر أن بنى أسد لمّا قتلوا المَلِكَ حُجر بن عمرو الكِندى ، أبا أمرئ القيس ، اُجتمعوا إلى أمرئ القيس على أن يُعطوه ألف بعير دية أبيه أو يقيدوه من أى رجل شاء ، من بنى أسد ، أو يُمهلهم حولا . فقال : أما الدية فما ظننتُ أنكم تَعرضونها على مثلى ، وأمّا القَود فلو قيد إلىّ ألف من بنى أسد ما رضيتهم ولا رأيتهم كُفؤاً لُحجر ، وأما النّظِرة فلكم ، ثم إنّكم ستعرفونى فى فرسان قحطان ، أُحكِّم فيكم ظُبا السُّيوف وشَبا الأسنَّة ، حتى أشفى نفسى أو أنال ثأْرى . فقال عَبِيد بن الأبرص فى ذلك :

يا ذا المُخوِّفنا بقَتْ ل أبيه إذلالاً وحَيْنَا
أزعمتَ أنك قد قتل تَ سَراتنا كذباً ومَيْنا
هلاّ على حُجر بن أ مّ قَطام تبكى لا علَينا
نحْمى حقيقتنا وبعض القو م يَسْقُط بينَ بَيْنا
هلاّ سألتَ جُموع كِنـ دة يوم ولَّوا أين أينا
أيامَ نضرب هامهم ببواتر حتى أنحنَيْنا
نحن الألى فاجمع جُمو عك ثم وجِّهم إلينا
واُعلم بأن جيادنا آلينَ لا يقْضين دَينا
ولقد أبحْنا ما حَمَيـ ت ولا مُبيح لما حَمينا
كم من رئيس قد قتل ناه وضَيم قد أَبَيْنا
ولرُب سيدِ معشر ضَخْم الدَّسيعة قد رَمينا
إنّا لعمرك ما يُضا م حليفُنا أبداً لدَيْنا
وأوانس مثل الدّمى حُور العُيون قد اُسْتَبَيْنا

هو والمنذر فى يوم بؤسه وقصة ذلك

وذُكر أن المنذر بن ماء السماء كان قد نادمه رجلان من بنى أسد ، أحدهما : خالد بن المضلل ، والآخر : عمرو بن مسعود بن كلدة ، فأغضباه فى بعض المَنطق ، فأمر بأن تُحفر لكل واحد منهما حُفيرة ثم يُحطان فى تابوتين فيدفنان فى الحُفيرتين. ففُعل ذلك بهما ، حتى إذا أصبح سأل عنهما ، فأُخبر بهلاكهما ، فندم على ذلك وغمّه .

وفى عمرو بن مسعود وخالد بن المُضلل الأسديين يقول شاعر بنى أسد :

يا قبر بين بيوت آل محرّق ... جادتْ عليك رواعدٌ وبُروقُ

أمّا البكاء فقلّ عنك كثيرُه ... ولئن بكيت فبالبكاء حَقِيق (١)

ثم ركب المنذر حتى نظر إليهما ، فأمر ببناء الغَرِيَّين عليهما ، فبُنيا عليهما ، وجعل لنفسه يومين من السنة يجلس فيهما عند الغريّين ، سمّى أحدهما يوم بؤس ، والآخر يوم نعيم . فأوّل مَن يطلُع عليه يوم نعيمه يُعطيه مائة من الإبل سوداء ، وأوّل من يطلُع عليه يوم بؤسه يُعطيه رأس ظَربان أسود ، ثم يأمر به فيُذبح ويُغرَّى بدمه الغريّان ، فلبث بذلك بُرهة من دهره . ثم إن عَبيد بن الأبرص كان أوّل مَن أشرف عليه فى يوم بؤسه ، فقال : هلاّ كان الذّبح لغيرك يا عَبيد ؟ فقال : أتتك بحائن رجلاه ، فأرسلها مثلاً . فقال المنذر : أو أجل بلغ أناه . ثم قال له : أنشدنى ، فلقد كان شعرك يُعجبنى . فقال عَبيد : حال الجريض دون القريض ، وبلغ الحزام الطّبيين ، فأرسلها مثلاً . فقال المنذر : أسمعنى . فقال : المنايا على الحوايا . فأرسلها مثلاً. فقال له بعض القوم : هَبلتك أُمك ، أنشد الملك . فال : وما قول قائل مقتول ؟ فأرسلها مثلاً . فقال له آخر : ما أشد جزعك من الموت ! فقال : لا يرحل رحلك مَن ليس معك . فأرسلها مثلاً .فقال له المنذر :

(١) غير التجريد : « فللبكاء خليق » .

قد أمللتنى فأرحنى قبل أن آمر بك . فقال : مَن عزَّ بزّ . فأرسلها مثلاً . فقال له المُنذر : أنشدنى قولك :

* أقفر من أهله مَلْحوب *

فقال :

أقفر من أهله عَبيد فاليوم لا يُبدى ولا يُعيدُ

فقال له المُنذر : ويحك يا عَبيد ، أنشدنى قبل أن أذبحك . فقال عبيد :

والله إنْ مِتُّ لما ضَرّنى وإن أعش ماعِشْتُ فى واحدَهْ

فقال له المُنذر : لا بدَّ من الموت ، ولو أن النُّعمان عرض لى فى بُؤسى لذبحتُه ، فاُختر : إن شئت الأكحل ، و إن شئت الأبجل ، و إن شئت الوريد . فقال عَبيد: ثلاث خصال كسحابات عاد ، واردها شر وارد ، وحاديها شر حاد ، ومَعادها شر معاد ، ولا خير فيها لمرتاد ، فإن كنتَ لا محالة قاتلى فاُسقنى الخمر ، حتى إذا ماتت مفاصلى فشأنك وما تريد . فأمر له المُنذر بحاجته من الخمر ، حتى إذا أخذت منه وطابت نفسُه أمر به المنذر ليقتلَه ، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول :

وخيّرنى ذو البُؤس فى يوم بُؤسه خصالاً أرى فى كُلها الموتَ قد بَرقْ

كما خُيِّرت عادْ من الدّهر مَرّة سحائبَ ما فيها لذى خيرة أنَق

سحائب ريح لم توكَّل ببلدة فتتركها إلاّ كما ليلةَ الطَّلق

فأمر به المُنذر ففُصد ، فلما مات غُرِّى بدمه الغريّان .

المنذر و رجلا من طيء

ولم يزل كذلك حتى مَرّ به رجل من طيء يقال له : حنظلة بن أبى عفراء ، فقال له : أبيت اللعن ، والله ما أتيتك إلاّ زائراً ، ولأهلى مَن خَيرك مائراً ، فلا تكن ميرتهم قتلى . فقال : لا بُد من ذلك ، فسَلْنى حاجة أقْضها لك .

فقال : تؤَجلنى سنة أرجع فيها إلى أهلى فأُحكم من أمرهم ما أريد ، ثم أصير إليك . فقال : ومَن يكفل بك حتى تعود . فنظر فى وجوه جُلسائه فعرف منهم شَريك بن عمرو أبا الحوفزان بن شريك ، فأنشأ يقول :

يا شريكا يأبن عمرو ... ما من الموت محالَه
يا شريكا يأبن عمرو ... يا أخا مَن لا أخاله
إن شيبان قَبيل ... أكرم الله رجاله
وأبوك الخير عمرو ... وشراحيل الحماله
رقّياك اليومَ فى المجـ ... ـد وفى حُسن المَقالَه

فوثب شريك فقال: أبيت اللّعن ، يدى بيده ، ودمى بدمه ، إن لم يَعُد إلى أجله . فأطلقه المنذر . فلما كان من القابل جلس فى مجلسه ينتظر حنظلة أن يأتيه ،فأبطأ ، فأمر بشريك فقُرب ليقتله ، ولم يشعر إلاّ براكب قد طلع عليه ، فتأمّلوه فإذا هو حنظلة ، وقد أقبل متكفّناً متحنّطاً ، ومعه نادبته تندبه ، وقد قامت نادبة شريك تندبه . فلمّا رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما ، فأطلقهما وأبطل تلك السّنة .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار عَبيد بن الأبرص ، وهو :

يا دارَ هند عَفاها كُلُّ هَطّالِ ... بالجَبت مثل سحيق اليُمنة[1] البالِى
أربَّ فيها ولىٌّ[2] ما يغيّرها ... والريحُ ممّا تُعفّيها بأذيال
دار وقفتُ بها صُبحى أُسائلها ... والدّمعُ قد بلّ منّى جَيب سِربالى
شوقاً إلى الحىّ أيام الجميع بها ... وكيف يطرب أو يَشتاق أمثالى

(١) اليمنة : البرد اليمانى .
(٢) أرب : أقام . والولى : الثانى من أمطار السنة .

أخبار ربيعة بن مقروم الضبي

نسبه

هو : ربيعة بن مَقروم بن قيس بن جابر بن خالد بن عمرو بن عبد الله ابن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضَبّة بن أُدّ بن طابخة بن اليأس بن مضر ابن نزار .

طبقته

وهو مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وعُمِّر فى الإسلام طويلاً .

نشد حماد للوليد ابن يزيد شعراً لابن مقروم فى وصيفة جارية له وقصته ذلك

وحكى حمّاد الراوية قال :

دخلت على الوليد بن يزيد وهو مصطبح ، وبين يديه : معبد ، ومالك ، وابن عائشة ، وأبو كامل ، وحكم الوادى ، وعمر الوادى ، يغنونه ، وعلى رأسه وصيفة تَسقيه لم أَرَ مثلها تماماً وكمالاً وجمالاً ، فقال لى : ياحمّاد ، إنى أمرت هؤلاء أن يغنونى صوتاً يوافق صفة هذه الوصيفة ، وجعلتها لمن يوافق صفتها ، فما أتى أحد منهم بشىء ، فأنشد لى أنت ما يوافق صفتها ، وهى لك . فأنشدته قول ربيعة بن مَقروم الضبى :

شمّاء واضحة العوارض طَفْلة ... كالبدر من خَلل السّحاب المُنجلِى
وكأنّ فاها بعد ما طَرق الكرى ... كأسٌ تُصفّق بالرّحيق السّلسل
لو أنها عَرضت لأشمط راهب ... فى رأس مُشرفة الذُّرى مُتبتّل
لصَبا لبهجتها وحُسن حديثها ... ولَهمّ من ناموسه(1) بتنزّل

(1) غير التجريد : « ناقوسه » .

فقال الوليد : أصبت وصفها ، فاُخترها أو ألف دينار . فاُخترت الألف ، وأمرها فدَخلت إلى حُرمه ، وأخذت الألف .

شعره الذى فيه الغناء

وهذه الأبيات من قصيدة لربيعة بن مقروم ، هى من فاخر الشعر ونادره ، وأولها الشعر الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبار ربيعة ، وهو :

لِمن الديارُ كأنَّها لم تُحلل ... بجنوب أسنمةٍ فقُفِّ العُنْصلِ
دَرست معالمها فباقِى رَسمها ... خَلَق كعُنوان الكتاب المُحْول
دار لسُعدى إذ سعاد كأنّها ... رشأ غرير الطرف رخص المِفْصل
ولقد شهدتُ الخيل يومَ طِرادها ... بسَليم أوظفة القَوائم هَيْكل
وإذا جرى منه الحميمُ رأيته ... يهوى بفارسه هُوىّ الأَجْدل
فدعَوْا نَزالِ فكنت أوّل نازل ... وعلام أركبه إذا لم أنزل
ولقد جمعتُ المال من جَمع أمرئٍ ... ورفعتُ نفسى عن لئيم المَأْكل
ودخلتُ أبنيةَ الملوك عليهمُ ... ولشرُّ قول المرء ما لم يَفْعل
ولربَّ ذى حَنق علىّ كأنّما ... تَغلى عداوة صدره فى مِرْجل(١)
أَرخيته(٢) عنِّى فأبصر قَصْده ... وكويتُه فوق النواظر من عَل
وأخى محُافظة عصى عُذّاله ... وأطاع لذّته مُعمّ مُخْول
هشّ يراح إلى النّدى نبّهته ... والصبح ساطعُ لونه لم يَنْجلِ

(١) غير التجريد : « كالمرجل » . (٢) غير التجريد : « أزجرته » .

فأتيت حانوتاً له فصبحتُه ... من عاتقٍ بمزاجها لم تُقْتَل
صَهْباء صافية القَدَى[(1)] أغلى بها ... يَسَرٌ كريم الخِيم غير مُبخَّل
ولقد أصبت[(2)] من المعيشة لينها ... وأصابني منه الزّمان بكلكل
فإذا وذاك كأنّه ما لم يكن ... إلاّ تذكُّره لمن لم يَجهل
ولقد أتتْ مائة عليّ أعُدها ... حولاً فحولاً إنْ بَلاها مُبْتلى
فإذا الشّباب كمبذل أنضيتُه ... والدّهر يُبْلى كلّ جِدة مِبْذل

(١) القدى : الرائحة الطيبة . ومكان هذه الكلمة فى غير التجريد: « الياسية » .
(٢) التجريد : « أتيت » .

ذكر أخبار اليهود

النازلين بيثرب والحجاز

قد تقدَّم ذكر نُزول قُريظة والنَّضير حول المدينة ، ومجاورتهم الأوس والخزرج ، وحِلْفهم لهم ، ولا حاجة إلى إعادة ذلك .

وكان فيهم شعراء مشهورون ، منهم :

أوس بن ذى القرطى*

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء له ، هو :

أَنَّى تذكَّر زينَبَ القلبُ ... وطِلابُ وَصْل عَزيزة صَعْبُ

ما روضةٌ جاد الربيعُ لها ... موشيَّة[1] ما حولها جَدب

بألذ منها إذ تقول لنا ... سيراً قليلاً يلحق الرَّكب

(*) غير التجريد : « أوس بن ذى القرطى » .

(1) التجريد : « مولية » .

السّمـــوءل

ومن شعراء اليهود المشهورين : السّموءل بن عاديا بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب ابن عمرو . هكذا نسّبه بعضهم، وأنكر أبو الفرج هذه النّسبة ، وقال : هذا عندى مُحال ، لأن الأعشى أدرك شريح بن السّموءل ، وأدرك الأعشى الإسلام ، وعمرو مزيقياء قديم لا يجوز أن تكون بينه وبين السموءل ثلاثة آباء ولا عشرة إلاّ أكثر . نسبه

قال : وقد قيل : إنّ أمّه كانت من غَسان ، وكلهم قالوا : إنّه صاحب الحصن الأبلق المعروف بتيماء ، المشهور بالوفاء . أمه وشيء عنه

وقيل : إن السموءل من ولد هارون بن عمران ، عليه السلام . رأى آخر فى نسبه

والاتفاق واقع على أنّ قُريظة والنضير من ولد هارون عليه السلام .

قيل: وكان الحصن الأبلق لأبيه عاديا ، وقيل : إنّ عاديا جدّه ، وأبو السموءل اسمه غريض ، واحتفر عاديا فى هذا الحصن بئراً رويّة عذبة . وفى ذلك يقول السموءل : الحصن الأبلق

بنى لى عاديا حِصناً حصيناً   وماء كُلّما شئتُ استقيتُ

وكانت العرب تنزل به فيُضيفها ، وتمتار من حصنه ، وتقيم به سُوقاً ، وبه يُضرب المَثل فى الوفاء لإسلامه ابنه للقتل ، ولم يخن الأمانة فى الوديعة .

وكان السبب فى ذلك أن امرأ القيس بن حُجر الكندى ، كنّا قد ذكرنا إيقاعه ببنى كنانة ظنّا منه أنّهم بنو أسد قتلة أبيه حُجر ، وكراهة أصحابه لفعله قصة إسلامه ابنه للقتل

وتفرّقهم عنه حتى بقى وحده ، وٱحتاج إلى الهرب . وأن المُنذر بن ماء السماء طلبه ووجّه فى طلبه جُيوشاً من إياد و بهراء وتنوخ ، وجيشاً من الأساورة ، أمدّهم به كسرى أنوشروان ، وخذلته حمير وتفرّقوا عنه فلجأ إلى السموءل بن عاديا ، ومعه أدراع خمسة : الفضفاضة والضافية والمحصّنة والخريق وأم الذّيول ، كانت لبنى آ كل المرار يتوارثونها ملكاً عن ملك، ومعه ٱبنته هند وٱبن عمّه يزيد بن الحارث ٱبن معاوية بن الحارث ، وسلاح ومال ، كان بقى معه ، ورجل من فزارة يقال له الرّبيع بن ضبيع شاعر . فقال له الفزاريّ : قُل فى السموءل شعراً تمدحه به ، وأنشده الربيّع شعراً مدحه به ، وهو :

ولقد أتيت بنى المُصاص مفاخراً و إلى السموءل جئْتُه[1] بالأَبْلَقِ
عرفتْ له الأقوامُ كلّ فضيلة وحوى المكارمَ سابقاً لم يُسْبَق

فقال فيه ٱمرؤ القيس قصيدته ، التى أوّلها :

طرقتْك هنـد بعد طُول تجنُّب وهْناً ولم تك قبل ذلك تَطْرُق

فقال له الفزاريّ : إنّ السموءل يمنع منها حتى ترى ذات عينك . فقدم به على السموءل وعرّفه إيّاه وأنشداه الشّعر ، فعرف لهما حقهما، وضرب على هند قبّة من أدم وأكرمهم . ثم سأله ٱمرؤ القيس أن يكتب له إلى الحارث بن أبى شمر الغسّانى ليُوصله إلى قيصر ، ففعل و بعث معه مَن يدُلّه على الطّريق ، وأودع ٱمرؤ القيس أدراعه وٱبنته وماله عند السّموءل . وخلف ٱبن عمّه يزيد بن الحارث مع ٱبنته هند ، وكان من ٱمرئ القيس ما تقدّم ذكره فى أخباره . ولمّا مات ٱمرؤ القيس بالرّوم نزل الحارث بن ظالم ــ وقيل الحارث بن أبى شمر الغسانى ــ الأبلق . و يقال : إنّ الحارث بن ظالم وجّهه المُنذر بن ماء السّماء فى خيل وأمره

(١) غير التجريد : « زرته » .

بأخذ مال امرئ القيس من السموءل . فلما نازل السّموءل تحصّن منه . وكان له ابن قد يفع ، وخرج إلى قَنَص ؛ فلمّا رجع أخذه الحارث ثم قال للسّموءل : أتعرف هذا ؟ قال : نعم ! هذا ابنى . قال : فسلّم ما قِبلك أو أقتله . قال : شأنك فيه ، لست أخفر ذمّتى ولا مال جارى . فضرب الحارث وسط الغلام فقطعه قطعتين وانصرف عنه . فقال السّموءل فى ذلك :

وفيتُ بأدْرُع الكِندىّ إنّى ... إذا ما ذُم أقوام وَفَيْتُ
فأوصَى عاديا يوماً بألاّ ... تهدّم يا سموءل ما بنَيْت
بنى لى عاديا حِصْناً حصيناً ... وماء كلما شئت استَقَيْت

مدح الأعشى للسموءل وقصة ذلك

وقال الأعشى يمدح السّموءل؛ وكان استجار بابنه شُريح من رجل كلبى كان الأعشى هجَاه فظفر بالأعشى فأسره وهو لا يعرفه ، فنزل بابن السموءل فأحسن ضيافته ؛ ومرّ بالأعشى فناداه :

شُريح لا تُسلمنّى اليوم إذ علقتْ ... حبالُك اليوم بعد القيد أظفارى
قد سرت ما بين بَلقاء إلى عَدن ... فطال فى العُجم تَكْرارى وتَسْيارى
فكان أكرمهم عهداً وأوثقهم ... عقداً أبوكَ بعُرف غير إنكارى
كالغَيث ما استمطروه جاد وابلُه ... وفى الشّدائد كالمُستأسد الضّارى
كُن كالسّموءل إذ طاف الهُمام به ... فى جَحفل كهزيع الليل جَرّار
إذ سامه خُطّتَىْ خَسف فقال له ... قُل ما تشاء فإنّى مانعٌ جارى
فقال غَدر وثُكل أنت بينهما ... فاختر وما فيهما حظٌّ لمختار
فشكّ غيرَ طويل ثم قال له ... اقتُل أسيرَكَ إنّى مانعٌ جارى
وسوف يُعقبنيه إن ظفرتَ به ... ربٌّ كريم وبيضٌ ذاتُ أطهار

لا سِرّهن لدينا ذاهبٌ هَدراً وحافظات إذا اُستُودِعْن أَسرارى
فاُختار أدراعه كيلا يُسب بها ولم يكن وعدُه فيها بختّار

فجاء شُريح إلى الكلبى وقال : هَب لى هذا الأسير المضرور[1] . فقال : هو لك ، فأطلقه . وقال له : أقم عندى حتى أحبُوك وأُكرمك . فقال له الأعشى : إنّ تمام صَنيعتك إلىّ أن تعطينى ناقة ناجية وتخلينى السّاعة . فأعطاه ناقة ناجية ، فركبها ومضى من ساعته .

و بلغ الكلبى أنّ الذى وهب لشُريح هو الأعشى ، فأرسل إلى شُريح : اُبعث إلى الأسير الذى وهبت لك حتى أَحبوه وأُعطيه . فقال : قد مضى . فأرسل الكلبى فى إثره فلم يلحقه .

(١) غير التجريد : «المنصور» .

سعية بن غريض

وكان سعية بن غريض أخو السّموءل بن عاديا شاعر . أخو السموءل

وذُكر أن معاوية بن أبى سفيان كان يتمثّل كثيراً إذا اجتمع الناس في مجلسه بشعر سعية بن غريض وهو : تمثل معاوية بشعره

إنّا إذا مالت دَواعى الهَوى ... وأنصتَ السّامع للقائلِ
لا نجعل الباطل حقًّا ولا ... نَلُطّ[1] دون الحقّ بالباطل
نخافُ أن تَسفَه أحلامنا ... فنَخْمُلَ الدّهرَ مع الخامل

ومن هذا الشِّعر قوله :

لُباب هل عندك من نائل ... لعاشق ذى حاجةٍ سائل
علّلته منك بما لم يَنل ... يا رُبّما عَلّلت بالباطل

وذُكر أنّ سعية بن غريض بن عاديا كان ينادم قوماً من الأوس والخزرج ، ويأتونه فيقيمون عنده ويزورونه فى أوقات قد ألف زيارتهم فيها ، فأغار عليه بعض ملوك اليمن فانتُسف[2] ماله حتى افتقر ولم يبق له شيء ، فانقطع عنه إخوانه وجفَوْه . فلمّا أخصَب وعادت حاله وتراجعت راجعوه ، فقال فى ذلك :

أرى الخلّان لمّا قلّ مالى ... وأجحفتِ النّوائبُ ودّعونى
فلمّا أنْ غَنيت وعاد مالى ... أراهم لا أَبالك راجعونى
وكان القوم خلّانا لمّا لى ... وإخواناً لمّا خَوّلت دونى
فلمّا ندّ[3] مالى باعدونى ... ولمّا عاد مالى عاودونى

---

(١) المسموع : لط بالحق دون الباطل ، أى دافع ومنع الحق ، وهو يعنى أنه جعل الحق ما يهدر لبقاء الباطل . والتعبير هنا على القلب .

(٢) انتسف : استؤصل . دالبناء للمجهول فيهما . (٣) غير التجريد : « مر » .

الرّبيع بن أبى الحُقيق*

ومن شعراء قُريظة من اليهود : الرّبيع بن أبى الحُقيق .

شىء عنه

وهو أحد الرؤساء فى حرب بُعاث ، وكان حليفاً للخزرج هو وقومه . وكانت رياسة بنى قريظة يومئذ للرّبيع . ورياسة الخزرج لعمرو بن النُّعمان . ورئيس بنى النّضير يومئذ : سلام بن مَشكم .

من شعره

ومن جَيد شعر الرّبيع هذا :

سئمت وأمسيت رهن الفِرا ... ش من جُرم قَومى ومن مَغْرمى

فلو أنّ قومى أطاعوا الحليـ ... ـم لم تَتَعدَّ ولم تظلم

ولكن قومى أطاعوا الغُوا ... ة فأتتشر الأَمر لم يُبْرم

وأودى السَّفيه برأى الحليـ ... ـم حتى تحكَّم أهل الدّم[1]

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

(١) فى غير التجريد جاء هذا العجز عجزاً للبيت السابق .

كعب بن الأشرف

ومن شعراء اليهود :

كعب بن الأَشرف . واُختُلف فى نسبه ، فقيل : إنَّه من بنى النّضير ، وقيل : من طيىء . وأنّ أُمّه حملته وهو صغير إلى أخواله ، فنشأ فيهم . نسبه

وكان شديد العداوة للنّبى صلى الله عليه وسلّم ، يهجوه ويهجو أصحابه ويخذل عنه العرب . فبعث إليه النبى صلى الله عليه وسلم نفراً من أصحابه فقتلوه . مقتله

ثم ذكر أبو الفرج جماعة من الشُّعراء المشهورين ، ولم أستحسن لهم شيئاً أذكره [1] . تعقيب للمؤلف

(١) يعنى أخبار بيهس ، والكميت بن معروف ، ويعلى الأحول ، وجواس .

أخبار ابن المدبّر

كاتب شاعر

هو : أبو إسحاق إبراهيم بن المُدبِّر . كاتب شاعر متقدّم ، من وجوه كُتّاب أهل العراق ومُتقدِّميهم ، والمتصرِّفين فى كبار الأعمال .

إيثار المتوكل له

وكان المُتوكل يُقدِّمه ويؤثره ويفضِّله .

هوى عريب

وكان يَهوَى عَريب وتَهواه .

شعره فى حبس ابن خاقان له

وكان الوزير عُبيد الله بن يحيى بن خاقان حَبس إبراهيم بن المُدبِّر ، فقال : فى الحبس أشعاراً حسنة مختارة ، منها قولُه فى قصيدة أوّلها :

أَدُموعهــا أم لؤلؤٌ مُتناثر ... يَندَى به الورْد الجَنِىُّ الزّاهرُ[(١)]

لا تُؤيِسنَّك من كريم نَبوةٌ ... فالسّيفُ يَنبو وهو عَضْب باتر

هــذا الزّمانُ تَسُومنى أيّامه ... خَسْفاً وها أنا ذا عليه صابر

إنْ طال ليلى فى الإسار فطالما ... أفنيتُ دهراً ليــلُه مُتقاصر

والسِّجن[(٢)] يَحجُبنى وفى أكنافه ... منّى على الضَّرّاء ليثٌ خادِر

هلاّ تقطّع أو تصدّع أو هوى[(٣)] ... فعذرتُه لكنّه بىَ فاخِــر

وقال أيضاً فى الحبس :

ألستِ ترَيْن الخمر يظهر حُسنها ... وبهجتُها بالحبس والطِّين والقار[(٤)]

---

(١) غير التجريد : * يندى به ورد جنى ناضر *

(٢) غير التجريد : « والحبس » .

(٣) غير التجريد : « وهى » .

(٤) غير التجريد : « فى الطين » .

وما أنا إلاّ كالجواد يَصُونه ... مقوِّمه للسَّبق فى طىّ مِضْمارِ
أو الدُّرّة الزّهراء فى قعر لُجَّة ... ولا تُجْتلَى إلاّ بهَولٍ وأخطار
وهل هو إلاّ منزلٌ مثل مَنزلى ... و بيتٌ ودار مثلى بيتىَ أو دارى
فلاتُنكرى طُول المَدى وأذى العِدى ... فإنّ نهايات الأمُور لإقْصَار
لعلّ وراء الغيب أمراً يسُرّنا ... يقدّره فى عِلْمه الخالقُ البارى
وإنّى لأرجو أن أصول بجَعفر ... فأهضِمَ أعدائى وأُدرك بالثّار

مدحه ابن طاهر لسعيه فى إطلاقه

وطال حبس إبراهيم ، ولم يكن لأحد فى خلاصه حيلة ، مع قصد الوزير عُبيد الله إيّاه ، حتى خلّصه محمد بن عبد الله بن طاهر وجوّد المسألة فى أمره ، ولم يلتفت إلى عُبيد الله ، وبذل أن يحتمل من ماله كلّ ما يُطالب به . فأعفاه المُتوكل من ذلك ووهبه له . فمدحه إبراهيم ، فقال :

دعوتُك من كَرب فلبّيت دعوتى ... ولم تَعترِضْنى إذ دعوتُ المَعاذِرُ
إليك وقد حُلِّئْتُ(١) أو ردتُ هِمّتى ... وقد أعجزتْنى من هُمومى المَصادر
نَمى بك عبدَ الله فى العزّ والعُلا ... وحاز لك المجدَ المؤثَّل طاهر
وأنتم بنُو الدُّنيا وأملاك شَرقها(٢) ... وساستُها والأعظَمون الأكابر
مآثِر كانت للحُسين ومُصعب ... وطلحة لا يَحْوِى مداها المُفاخر
إذا بَذلُوا قِيل الغُيوث البواكر ... وإن غَضبوا قِيل اللّيوث الهَواصِر
تطيعكُمُ يومَ اللّقاء البَواتر ... وتُزْهَى بكم يوم المُقام المَنابر
وما لكمُ غيرُ الأسرّة مَجالس ... وما لكمُ غيرُ السُّيوف مَخاصِر

(١) كذا فى التجريد : حلئت : منعت . بالبناء للمجهول فيهما . وفى غير التجريد : «جليت» .
(٢) غير التجريد : « جوها » .

ولى حاجةٌ إن شئتَ أحرزتَ مجدها وسَرّكَ فيها[1] أوّلٌ ثم آخرُ
كلامُ أميرِ المؤمنين وعطفه فما لىَ بعد الله غيرَكَ ناصرِ
فإن ساعد المِقدار فالنُّجح واقع وإلاّ فإنّى مُخلص الوُدّ شاكر

شعره فى الرد على عريب وقد سأله عن حاله

وذُكر أن عَريب كتبت إلى إبراهيم بن المُدبّر رُقعة تسأل فيها عن حاله ، فكتب إليها :

وساءلتموه بعدكم كيف حالُه وذلك أمرٌ بيّن ليس يُشكِلُ
فلا تَسألُوا عن قَلبه فهو عندكم ولكنْ عن الجسم المخلّف فاسْألوا

وحَكى أبو طلحة الكاتب قال :

زيارة عريب له وقصة ذلك

كنت عند إبراهيم بن المُدبِّر ، فزارته بِدعة وتُحفة ، وأخرجَتا إليه رُقعة من عَريب ، فقرأناها فإذا فيها :

بنفسى أنت وسَمعى و بصرى ، وقَلّ ذلك لك ، أصبح يومنا هذا طيّباً ، طيّب الله عيشك ، قد احتجبت سماؤُه ، و رقّ هواؤُه ، وتكامَل صفاؤُه ، فكأنه أنت فى رقة شمائلك وطيب مَحضرك ومخبرك ، لا فقدتُ ذلك أبداً منك ، ولم يصادف حسنُه وطيبه منّى نشاطاً ولا طرباً ، لأمور صدّتنى عن ذلك أكره تنغيص ما أشتهيه لك من السرور بشَرحها ، وقد بعثت إليك ببدعة وتُحفة ليُؤنساك وتُسرُّ بهما ، سرّك الله وسرّنى .

فكتب إليها :

كيف السرور وأنتِ نازحةٌ عنّى وكيف يسُوغ لى الطَّربُ
إن غِبت غاب العيش وانقطعتْ أسبابُه وألحّتِ الكُرَبُ

(١) غير التجريد : « منها » .

وأنفذ الجوابُ ، فلم يلبث أن جاءت ، فبادر إليها وتلقّاها حافياً حتى جاء بها على حمار مصرىّ كان تحتها إلى صدر مجلسه ؛ يطأ الحمار بساطه وما عليه ، حتى أخذ بركابها فأنزلها فى مجلسه ، وجلس بين يديها ، ثم قال :

ألا رُبَّ يوم قَصَّر الله طُولَه ... بقُرب عَريب حبّذا هو من قُرْبِ

بها تَحسُن الدُّنيا ويَنْعَم عيشُها ... وتَجتمع السَّراء للعَين والقَلْب

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار إبراهيم بن المُدبِّر ، هو :

أَحِبَّتنا بأبى أنتمُ ... وسُقْياً لكم حيث ما كُنتمُ

أَطلتمْ عذابى بميعادكم ... وقلتمْ نَزور وما زُرْتم

فأمسك قلبى على لوعةٍ[1] ... ونمَّت دُموعى بما أَكتُم

ففيمَ أسأْتُم وأخلفتمُ ... وقِدْماً وفَيتُم وأحسنتُم

(١) غير التجريد : « لوعتى » .

ذكر يوم أوارة

هذا يوم من أيّام العرب مشهور .

حديثه

وكان من حديثه : أنّ الملك عمرو بن المُنذر بن ماء السَّماء ، وهو عمرو ابن هِند ، وكان يُعرف بأُمِّه هند بنت الحارث بن حُجر ، آكل المُرَار . كان عاقدَ طيِّئًا ألاّ يُنازَعوا ولا يُفاخَروا ولا يُغزَوْا ، وأنّ عمرو بن هند غَزا اليمامة ثم رجع ، فمرّ بطيء ، فقال زُرارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظلى : أبيت اللَّعن ، أُصِبْ من هذا الحىِّ شيئاً . فقال له : ويلك ! إنّ لهم عقداً . قال : وإن كان . فلم يزل به حتى أصاب منهم نِسوةً وأذواداً .

شعر ابن جروة وهو الذى فيه الغنـاء

فقال فى ذلك قيس بن جَروة الطّائى قصيدةً ، أوّلها الشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار هذه الحرب ، وما يتعلّق بها ، وهى :

ألاَ حَىِّ قَبل البَيْن مَن أنت عاشِقُهْ ... ومَن أنت مُشتاقٌ إليه وشائقُهْ

ومَن لا تُواتى دارَه غير فَيْنة ... ومَن أنت تَبكى كلَّ يوم تُفارقُهْ

يقول فيها :

فأقسمتُ جهداً بالمنـازلِ مِن مِنًى ... وما[1] خَبَّ فى بَطحائهنَّ دَرادِقُهْ[2]

لئنْ لم تغيِّر بعض ما قد صنعتمُ ... لأنتحيَنّ العظم ذو[3] أنتَ عارِقه[4]

---

(١) التجريد : « ومن » .

(٢) الدرادق: صغار الإبل ، الواحد : دردق .   (٣) ذو ، بمعنى الذى ، طائية .

(٤) عرق العظم : أكل ما عليه.

فسُمى قيس : عارقاً ، بهذا البيت . فغَضب عمرو بن هند لمّا بلغه شعره ، وحرّض زُرارة بن عُدس على قصد طيء ، وقال : أبيت اللّعن إنّ قيساً يتوعّدك و يهجوك . فغزا عمرو وطيئاً فأسر منهم أسرى . فوفد إليه حاتم الطّائى، فسأله فيهم ، فوهبهم إيّاه . وكان عمرو لمّا سأله حاتم فيهم وَهبه عمرو الأَسرى إلاّ قيس بن جَحدر ، لأنّه من رهط قيس بن جَروة ، المُسمّى بعارق ، فقال حاتم :

فككتَ عديًّا كُلّها من إسارها فأنعمْ وشفّعْني بقَيس بن جَحْدرِ

أبوه أبى والأُمهات امهاتنا فأنْعِم فِداكَ اليومَ أهْلِى ومَعشرى

فأطلقه عمرو .

عمرو بن هند و زرارة

وذُكر أن عمرو بن هند كان وضع أبناً له صغيراً ـ وقيل : بل كان أخاه ـ يقال له : مالك ، عند زُرارة بن عُدس ، وأنه خرج ذات يوم يتصيّد فأخفق ولم يُصب شيئاً ، فمرّ بإبل لرجل من بنى عبد الله بن دارم ، يقال له : سُويد . وكانت عند سُويد أبنة زُرارة بن عُدس ، فولدت له سبعة غِلمة ، فأَمر مالك بن المُنذر بناقة سَمينة منها فنحرها ، ثم أشتوى وسُويد نائم . فلمّا أنتبه شدّ على مالك بعصا فضربه فأمّه[1] ومات الغلام . وخرج سُويد هارباً حتى لحق بمكة ، وعلم أنّه لا يأمن ، فحالف بنى نوفل بن عبد مَناف ، وأُختلط بمكة . وكانت طيء تطلب عثرات زُرارة لتَحريض الملك على قصدهم . فقال عمرو بن ثعلبة بن غياث[2] أبن مِلْقط الطّائى يُحرّض عَمْراً على بنى دارم ويذكُر قتلَهم أخاه :

من مُبلغٌ عَمْراً بأنّ المر ء لم يُخلَق صُبارَهْ[3]

(١) فأمه : أى أصاب أم رأسه . (٢) غير التجريد: « عتاب » .
(٣) الصبارة : الحجارة .

وحـــــوادثُ الأيّام لا تبقى لهـا إلاّ الحِجارهْ
إنّ ابنَ عِجْزةَ[1] أمّـه بالسَّـفح أسفلَ من أُواره
تَسفى الرّياحُ خلال كشـ حَيْه وقد سَـلبُوا إزاره
فاقتـــل زُرارةَ لا أرى فى القومِ أفضلَ[2] من زُراره

فلمّـا بلغ الشعرَ عمرو بن هند بـكى حتى فاضت عيناه . وبلغ الخبرُ زُرارةَ فهرب ، وركب عمرو فى طلبه فلم يقدر عليه ، وأخذ امرأته وهى حُبـلى ، فقال : أذَكر فى بطنك أم أنثى ؟ فقالت : لا علم لى بذلك . فقال : ما فعل زُرارة الغادر الفاجر . فقالت : إنْ كان كما علمت ، لطيِّب العرق ، سمين المرق ، يأكل ما وجد ، ولا يسأل عمّا فقد ؛ لا ينـام ليلةَ يخاف ، ولا يشبع ليلة يُضـاف . فبقر بطنها . فقال قوم زُرارة لزُرارة : والله ما قتلت أخاه ، فأت الملك فاصدقه الخبر . فأتاه زُرارة فقال : جئنى بسُـــويد . فقال : قد لحق بمكة . فقال : علىّ ببنيه . فأتاه ببنيه السبعة ، وبأمهم بنت زُرارة ، وهم غِلْمة بعضهم فوق بعض . فأمر بقتلهم . فقُتلوا عن آخرهم . وآلى عمرو بن هند بأَليّة : لأحرقنّ من بنى حنظلة مائة رجل . فخرج يريدهم ، وبعث على مُقدِّمته عمرو بن ثعلبة بن غِيـاث بن مِلْقط ، فوجد القومَ قد نَذِروا بهم ، فأخذ منهم ثمانية وتسـعين رجلاً بأسفل أُوارة ، فضرب قُبّته وأمر لهم بأخدود . فخدَّ لهم ، ثم جعلهم فيه ثم أَضرمه ناراً ، فلمـا احتدمت وتلظَّت قَذَف بهم فيها فاحترقوا . وأقبل راكـب من البَراجم ــ وهم بطن من بنى حنظلة ــ عند المساء لا يدرى بشىء ممـا كان يوضع به بعيره . فقال له عمرو ابن هنـــد : ما جاء بك ؟ قال : حُب الطَّعام ، قد أقويتُ ثلاثاً لم أذق طعاماً ، فلمّـا سَطع الدُّخان ظننته دخان طعام . فقال له عمرو : ممّن أنت ؟ قال : من البراجم .

---

(١) ابن عجزة ، وعجزة : آخر ولد الرجل . والرواية فى اللسان (صبر) : « ها عن عجزة » .
(٢) اللسان : « أوفى » .

فقال عمرو : إنّ الشّقى راكب البراجم ، فأرسلها مثلاً ، ورَمى به فى النار . فهجت العرب تميماً بذلك . فقال أبن الصَّعق العامرى :

ألاَ أبلغ لديك بنى تميم بآية ما يُحبون الطّعاما

وأقام عمرو بن هند لا يرى أحداً ، فقيل له : أبيت اللّعن ! لو تحلّلت بامرأة منهم ، فقد أحرقت تسعة وتسعين . فدعا بأمرأة منهم ، فقال لها : مَن أنت ؟ فقالت : أنا الحمراء بنت ضَمرة بن جابر بن قَطن بن نَهشل . فقال : إنّى لأظنّك أعجميّة ؟ فقالت : ما أنا بأعجميّة ، ولا ولدتنى العجم :

إنّى لبنتُ ضَمرةَ بن جابر ساد معدًّا كابراً عن كابر

إنى لأُخت ضَمرة بن ضَمره إذا البلاد لُفِّعت بجَمره

فقال عمرو : والله لولا مخافة أن تلدى مثلك لصرفتك عن النّار . فقالت: أما والذى أسأله أن يضع وسادك ، ويخفض عمادك ، ويسلبك مُلكك ، ويقرِّب هُلكك ، ما أبالى ماصنعت. فقال : أقذفوها فى النار . فأُلقيت . فقالت : ألا فتًى يكون مكان هذه العجوز . فلمّا أبطئوا عليها قالت : صار الفتيان حُمَما . فذهبت مثلا ، فأُحرقت .

زرارة وابنه لقيط وقصة زواجه

وقيل : وكان زُرارة بن عُدس رجلاً شريفًا ، فنظر يوماً إلى أبنه لقيط ، ورأى منه خُيلاء ونشاطاً ، وجعل يضرب غلمانه وهو يومئذ شاب . فقال له زُرارة: لقد أصبحت تصنع صنيعاً كأنما جئتنى بمائة من هجائن المُنذر بن ماء السماء ، أو نكحت أبنه ذى الجدين قيس بن خالد ؟ فقال لقيط : لله علىّ ألاّ يمس رأسى غُسل ، ولا آكل لحماً ، ولا أشرب خمراً ، حتى أجمعها جميعاً أو أموت . فخرج لقيط ، وتبعه أبن خال له يقال له : قُراد ، وكلاهما كان شاعراً شريفاً ، فسارا حتى أتيا بنى شيبان ، فسلما على ناديهم ، فقال لقيط : أفيكم قيس بن خالد

ذو الجدين ــ وكان سيد ربيعة يومئذ؟ فقالوا : نعم . قال : فأيكم هو ؟ قال قيس : أنا قيس ، فما حاجتُك ؟ قال : جئتك خاطباً ٱبنتك . وكانت على قيس يمين ألاّ يخطب إليه ٱبنته أحد علانية إلاّ أصابه بشر وسمّع به . فقال له قيس : مَن أنت ؟ فقال : أنا لقيط بن زُرارة بن عُدس . فقال قيس : عجباً منك يا ذا الغُصّة ، هلاّ كان هذا بيني وبينك ! فقال له : ياعم ، انك لرغبة[1] وما بى من عار ، ولئن ناجيتك لا أخدعك ، ولئن عالنتُك لا أفضحك. فأعجب قيساً كلامه . فقال : كفء كريم ، إنى قد زوّجتك ومَهرتك مائة ناقة . ثم أرسل إلى أم الجارية : إنّى قد زوّجت الجارية لقيطَ بن زُرارة فٱصنعيها . وأمرها أن تضرب له قُبة ، وأمر لقيطاً بالانتقال إليها . فانتقل إليها وجلس فيها . وبعثت إليه أم الجارية بمجمرة وبخور . فبخّر شعره ولحيته ثم ردّها عليها . فلمّا رجعت الجارية إليها أخبرتها ما صنع ، فقالت : إنه لخليق بخير . فلمّا أمسى لقيط أُهديت إليه الجارية ، فمازحها بكلام ٱشمأزت منه . فنام وطرح عليها طرف خميصة وباتت إلى جنبه . فلمّا استثقل ٱنسلّت فرجعت إلى أمها . فٱنتبه لقيط فلم يرها ، فخرج حتى أتى ٱبن خاله قُرادًا ، وهو فى أسفل الوادى ، فقال : أرحل بعيرك وإيّاك أن يُسمع رغاؤه ، فرحلا متوجّهين إلى المُنذر بن ماء السماء . وأصبح قيس ففقد لقيطاً فسكت ، ولم يدر ما الذى ذهب به . ومضى لقيط حتى أتى المُنذر فأخبره بما كان من قول أبيه ، فأعطاه مائة من هجائنه ، فبعث بها مع قُراد إلى أبيه زُرارة ، فأتى أباه فأخبره . ثم خرج هو وقراد حتى أتيا قيس بن خالد ، فجهزها أبوها . فلمّا أرادت الرحيل ، قال لها : يا بُنية ، كونى لزوجك أمةً يكن لك عبداً ، وليكن أكثر طيبك الماء ، فإنك إنّما يُذهب بك إلى الأعداء ، وأراك إن ولدْتِ فستلدين لنا غيظاً طويلاً ، وٱعلمى أنّ زوجك فارس مُضر ، وأنه يوشك أن يُقتل أو يموت ،

(١) رغبة : أى يرغب فيك .

فلا تَخْمِشي عليه وجهاً ، ولا تَحلقي عليه شَعراً . فقالت : أما والله لقد ربّيتني ، صغيرة ، وأقصيتني كبيرة ، وزوّدتني عند الفراق شرّ زاد .

وارتحل بها لقيط ، فجعلت لا تمرّ بحيّ من العرب إلّا قالت : يا لقيط ، هؤلاء قومك ؟ فيقول : لا . حتى طلعت على محلة بني دارم ، فرأت القباب والخيل العراب ، فقالت : يا لقيط ، أهؤلاء قومك ؟ قال : نعم . فأقام أيّاماً يُطعم وينحر ، ثم بنَى بها . فأقامت عنده حتى قُتل يوم جبلة . فبعث إليها أبوها أخاً لها فحمَلها ، فلمّا ركبت بعيرَها أقبلت حتى قامت على نادى بني عبد الله بن دارم ، فقالت : يابني دارم ، أُوصيكم بالغرائب خيراً ، فوالله مارأيت مثل لقيط ، لم تخمش عليه امرأة وجهاً ، ولم تحلق شَعراً ، فلولا أنّي غريبة لخمشتُ وحلقت . فمضت حتى قدمت إلى أبيها فزوّجها من قومه .

فجعل زوجُها يَسمعها تذكُر لقيطاً وتحزن عليه ، فقال لها : أيّ شيء رأيتِ من لقيط أحسنَ في عينك ؟ قالت : خرج في يوم دَجْن وقد تطيّب وشرب ، فطرد البقر فصرع منها ثم أتاني به نَضحُ دماء . فضمّني ضمّة وشمّني شمة فليتني متُّ ثمة ، فلم أر منظراً كان أحسن من لقيط . فمكث عنها ، حتى إذا كان يوم دَجن شرب وتطيّب ، ثم ركب فطرد البقر ، فأتاها وبه نضح الدّم وريح الشّراب ، فضمّها إليه وقبّلها ، ثم قال : كيف ترين : أنا أحسن أم لقيط ؟ فقالت : ماء ولا كصَدّاء ،مرعى ولا كالسّعدان ، فذهبت مثلاً . وصداء : ركيّة ليس في الأرض ركية أطيب منها .

محبوبة

ثم ذكر أبو الفرج « محبـــوبة » .

شيء عنها

وهى مولدة من مولدات البصرة . وهى شاعرة مَطبوعة . كان أهداها عبد الله ابن طاهر إلى المُتوكل ، وكانت تُغنِّى غناء غيرَ فاخر .

شعرها الذى فيه الغناء

وشعرها الذى فيه الغناء ، هو :

* وكاتبة فى الخدّ بالمِسْك جَعفرا *

وقد تقدَّم ذكر هذا الشِّعر[1] .

ثم ذكر أبو الفرج شعراً قاله الواثق فى غلام له غَضِب عليه :

يا ذا الذى بعَذابى ظلَّ مُفتخرَا ... هل أنتَ إلاّ مليكٌ جار إذ قدرَا

لولا الهوَى لتَجـارَيْنا على قدر ... وإن أُفق مرةً منه[2] فسوف تَرَى

---

(١) انظر : أخبار فضل الشاعرة فى الجزء الخامس .

(٢) غير التجريد : « وإن أفق منه يوماً ما » .

أخبار
أحمد بن صدقة بن أبى صدقة

أبوه

وكان أبوه مُغنياً حجازيًّا ، وكان ينزل الشَّام .

صلته بالمتوكل

ووُصف للمتوكّل ؛ فأمر بإحضاره ؛ فقدم عليه فغنَّاه ؛ فاستحسن غناءه وأجزل صلته .

شهرته

واشتهاه الناس وكثُر مَن يدعوه ؛ فتكسَّب بذلك أكثر مما كسبه من المُتوكّل أضعافاً .

هو وخالد بن يزيد الكاتب والمأمون

وحَكى أحمد بن صدقة قال :

اُجتزت بخالد بن يزيد الكاتب فقلت : أنشدنى بيتين من شِعرك حتى أُغنِّى فيهما . فقال : وأيّ حظّ لى فى ذلك ؟ تأْخذ أنت الجائزة وأحصُل أنا على الإثم . فحلفتُ إنِّى إنْ أخذتُ بشِعره فائدة جعلت له منها حظًّا ؛ وأذكرتُ به الخليفة وسألته فيه . فقال : أمّا الحظ من جهتك فأنت أنزل من ذلك ؛ ولكن عسى أن تُفلح فى مسألة الخليفة ؛ وأنشدنى :

تقول سَلا فمَن المُدنَفُ ... ومن عينُه أبداً تَذرِفُ

ومن قلبُه قلقٌ خائف ... عليك وأَحشاؤُه تُرجِف

فلمّا جلس المأْمون للشُّرب دعانى ؛ وقد كان غضب على حظية له ؛ فلمّا طابت نفسه ووجّهت إليه بتُفَّاحة من عنبر عليها مكتوب بالذَّهب : ياسيّدى ، سلوت وما علم الله أنّنى عرفت شيئاً من الخبر .

وأُنتهى الدَّور إلىَّ ؛ فغنَّيت البيتين ؛ فاُحمرّ وجـه المأمون وأُنقلبت عيناه . وقال لى : يأبن الفاعلة ، لك علىّ وعلى حُرمى صـــاحب خبر . فوثبتُ وقلت : يا سـيّدى : ما السّبب ؟ قال : من أين عرفت قصَّتى مع جاريتى حتى غنّيت فى معنى ما بيننا ؟ فحلفت له إنّى لا أعرف شـــيئاً من ذلك ، وحدّثته حديثى مع خالد . فلمّا انتهيت إلى قوله : « أنت أنزل من ذلك » . ضحك وقال : صـدق ، و إن هذا الاتفاق طريف ، وأمر لى بخمســة آلاف درهم ، ولخالد بمثلهـا .

وحَـكى أحمد بن صدقة قال :

دخلتُ على المأمون فى يوم السّعانين[1] ، و بين يديه عشرون وصيفة روميات مُزنّدات ، قد تزينّ بالدّيباج الرُّومى ، وعلّقن فى أعناقهنّ صُـلبان الذَّهب ، وفى أيديهنّ الخوص والزَّيتون . فقال : و يلك يا أحمد ، قد قلت فى هؤلاء أبياتاً فغنِّنى فيها ، ثم أنشدنى :

ظِبـــاء كالدّنانـير ... مِلاحٌ فى المَقاصـــيرِ
جلاهنّ السّـعانين ... علينـا فى الزّنانـــير
وقد زَرَّفْنَ[2] أصـداغاً ... كأذنـــاب الزرازير
وأَقْبَلْنَ بأوســـاط ... كأوســـاط الزّنابير

فحفظتُه وغنَّيتـــه . فلم يزل يشرب وترقص الوصـــائف بين يديه بأنواع الرقص ، حتى سـكر . وأمر لى بألف دينــــار ، وأمر به بأن يُنثر

---

(١) السعانين : قبل الفصح بأسبوع .

(٢) زرف صدغيه : جعلهما كالزرفين ، وهو الحلقة .

على الجوارى ثلاثة آلاف دينار . فقبضتُ الألف ؛ ونُثرت ثلاثة الآلاف عليهن فانتهبتها .

الشعر الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أحمد بن صدقة ، هو لخالد الكاتب ، وهو :

سَقِمتُ حتى ملّنى العائدُ ... وذُبْتُ حتى شَمِتَ الحاسِدُ

وكنت خِلْوًا من رَسِيس الهوَى ... حتَّى رَمانى طرفُك الصَّائد

الحارث بن وعلة

ثم ذَكر أبو الفرج : الحارث بن وعلة بن عبد الله القُضاعى .

هو وأبوه

وكان الحارث ، وأبوه وعلة ، من فرسان قضاعة وأَنجاذها وأعلامها .

الشعر الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبار الحارث ، هو من جيد الشِّعر ، وتمثَّل به عبدُ الملك بن مروان لمَّا خرج عليه عبد الرّحمن بن محمد ابن الأشعث الكندى :

أَلم تَعلموا أنِّى تُخاف عَرامتى وأَنَّ قَناتى لا تَلين على القَسْرِ
وأَنِّى وإيَّاهم كَمَن نبَّه القَطا ولو لم تُنَبَّه باتت الطَّيرُ لا تَسْرى
أناةً وحلماً وانتظاراً بهم[1] غدا فمَا أَنا بالوانى ولا الضَّرِع الغُمْر[2]
أَظُن صُروف الدَّهر والجهل منهمُ سيحملهم[3] منِّى على مَرْكب وَعْر

(١) غير التجريد : « بكم » .
(٢) الضرع : الخاضع الذليل . والغمر ، بالضم ويفتح : الذى لم يجرب الأمور .
(٣) غير التجريد : « منكم * ستحملكم » .

أخبار
علي بن عبد الله الجعفري

نسبه

هو : عليّ بن عبد الله بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب .

منزلته

شاعر ظريف حجازي .

حبس المتوكل له

وكان عمر بن الفرج الرُّخَّجِي حمله إلى سُرمَن رأى ، مع مَن حمل من الطالبيين . فحبسه المُتوكل معهم ، وكان شيخ القوم وكبيرهم ، فمكث في الحبس مُدّة .

هو ورجل من الكتاب في حبسه

فذُكر أنّه دخل عليه الحبسَ رجلٌ من الكُتَّاب ، فقال : أُريد هذا الجعفري الذي قد تديَّث(1) في شعره . قال عليّ : فقلت له : إليّ ، فأنا هو . فعدل إليّ . فقال : جُعلت فداك ، أحبُّ أن تُنشدني بيتَيْك اللَّذين تديّثتَ فيها . فأنشدته :

ولمّا بَدا لي أنّها لا تودّني ... وأنّ هواها ليس عنّي بمُنْجَلِي
تمنَّيْتُ أن تَهوى سواي لعلّها ... تذوق حَرارات الهوى فترقّ لي

فكتبهما ، ثم قال : أُسمع ـ جُعلت فداك ـ بيتين قلتهما في الغيرة . فقلت : هاتهما . فقال :

رُبّما سرّني صُدودُك عنّي ... في طِلابيك وأُمتناعِك مِنّي
حَذَراً أن أكون مفتاح غَيري ... وإذا ما خلوتُ كنتِ التمنّي

(1) التديث : القيادة .

شعره الذى فيه الغناء

وحكى عبد الله بن شبيب قال :

أنشدنى علىّ بن عبد الله الجعفرى لنفسه :

والله لا نَظرَتْ عينى إليْك ولا　　سالت مساربُها شوقاً إليْك دَمَا

إلاَّ مفاجأةً عند اللقاء ولا[1]　　راجعتْك[2] الدّهرَ إلاَّ ناسياً كلِمَا

إن كنتُ خُنْتُ ولم أُضمِر خيانتكم　　فالله يأْخذ ممّن خان أو ظلما

سماحة بمُحبٌ[3] خانَ صاحبَه　　ماخان قطُّ مُحبٌّ يعرف الكَرما

وهذه الأبيات هى الشِّعر الذى فيه الغناء ، وأفتتح به أبو الفرج خبر علىّ ابن عبد الله الجعفرى .

(١) غير التجريد : « ولو » .
(٢) غير التجريد : « نازعتك » .
(٣) غير التجريد : « سماحة لمحب » .

أخبار عُيينة بن مرداس

نسبه

أحد بنى كعب بن عمرو بن تميم .

منزلته

شاعر مُقل ، غير معدود من الفُحول . ممّن أدرك الجاهليّة والإسلام ، هجّاء خبيث اللّسان .

لقبه

وكان يُلقَّب بابن فَسْوة .

وذُكر أن سبب تلقيبه بذلك ، أنّه كان له ابن عمّ يقال له : ابن فَسورة ، فأقبل يوماً من الحجّ ، فقال له ابن عُيينة : يا بن فَسْوة ، كيف كنت ؟ فوثَبَ مُغضباً فركب راحلته ، وقال : بئس لعمرو الله ما حيَّيت به ابن عمّك ، قدم عليك من سفر ، ونزل دارك . فقام إليه عُيينة مُستحيياً ، وقال : لا تغضب يا بن عم ، فإنّما مازحتك . فأبَى أن ينزل . فقال : انزل وأنا أشترى منك هذا الاسم ، فأتسمَّى به ، وظنّ أنّ ذلك لا يضرّه . فقال : لا أفعل أو تشتَريه منّى بمحضر العشيرة . قال : نعم . فجمعهم وأعطاه بُرداً وجملاً وكَبشيْن ، وقال لهم عُيينة : اشهدوا أنّى قد قبلتُ هذا النّبز ، وأَخذ الثّمن ، وأنا ابن فَسْوة . فزالت عن ابن عمّه يومئذٍ وغلبت عليه ، وهُجى بذلك ، فقال فيه بعض الشُّعراء :

* أودى ابن فسْوة إلاّ نَعتّه الإبلا *

وإنّما وصف بنعت الإبل ، لأنّه كان أنعت الناس للإبل ، فليس له كبير شعر إلاّ وهو يتضمّن وَصفها .

معمر

وعُمّرَ عمْراً طويلا .

وفوده على ابن عباس

وذُكر أنّ عُيينة بن مرداس أتى البصرة فى خلافة علىّ بن أبى طالب

ـ رضى الله عنه ـ فاستأذن علىّ ابن عبّاس ـ رضى الله عنه ـ وهو عامله عليها ، فأذن له ، وكان لا يزال يأتى أمراء البصرة فيمدحهم ، فيُعطونه ويخافون لسانه . فلمّا دخل على ابن عبّاس ، قال له : ما جاء بك إلىّ يابن فَسْوة ؟ فقال له : وهل عنك مُقصَّر ، أو وراءك معدى ؟ جئتك لتُعيننى على مروءتى وتصل قرابتى. فقال له ابن عبّاس : وما مروءة مَن يَعصى الرّحمن ، ويقول البُهتان ، ويقطع ما أمر الله به أن يُوصَل ! أُقسم بالله لئن بلغنى أنك هَجوْت أحداً من العرب لأقطعنّ لسانك . فأراد الكلام فمنعه مَن حضر ، وحبسه يومه ذلك ، ثم أخرجه من البصرة ، فوفد إلى المدينة بعد مَقتل علىّ ـ رضى الله عنه ـ فلقى الحسن ابن علىّ ، وعبد الله بن جعفر ـ رضى الله عنهما ـ فسألاه عن خبره مع ابن عبّاس، فأخبرهما ، فاشتريا عِرْضه منه بما أرضاه .

الشعر الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عُيينة بن مِرداس ، هو :

أتعرف رَسم الدّار من أُمِّ معبد ... نعم فرَماك الشّوقُ قبل التجلُّدِ

فيالَك من شَوقٍ ويالك عَبرة ... سوابقها مثلُ الجُمان المبدّد

ويعد هذين البيتين ، فى مديح عبد الله بن عامر بن كريز :

وكائن تخطّت ناقتى وزَميلُها ... إلى ابن كُريز من نُحوس وأَسْعُدِ

إذا ما مُلمّات الخطوب اعترينه[1] ... تجلّى الدُّجى عن كوكب متوقِّدِ

(١) غير التجريد : « اعتلينه » .

أخبار عبد الله بن العجلان

هو : عبد الله بن العَجلان بن الأَحبِّ بن عامر بن كَعب بن صَباح بن نَهد ابن زيد بن لَيث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قُضاعة . نسبه

شاعر جاهلى ، وهو أحد المُتيّمين من الشُّعراء ومن قتلة العشق منهم . جاهلى متيم

وكان سيِّداً فى قومه ، وابن سيِّد من ساداتهم . وكان أبوه أكثر بنى نهد مالاً . منزلته فى قومه

وكانت امرأته هند ، التى يذكرها فى شعره ، امرأة من قومه ، من بنى نهد . وكانت أحبَّ الناس إليه وأحظاهم عنده ، فبقيت معه سنين سبعاً أو ثمانى لم تلد . فقال له أبوه : إنَّه لا ولدَ لى غيرك ولا ولدَ لك ؛ وهذه المرأة عاقر فطلِّقها وتزوَّج غيرها . فأبى ذلك عليه ، فآلى ألاّ يُكلّمه أبداً حتى يطلقها ؛ وأقام على أمره ؛ ثم عمد إليه يوماً وقد شرب الخمر حتى سكر ، وهو جالس مع هند ، فأرسل إليه : أن صِرْ إلىّ . فقالت له هند : لا تمض إليه ؛ فوالله لا يريدك لخير ، وإنّما يُريدك لأنه قد بلغه أنّك سكران ، وطمع فيك أن يقْسم عليك فتطلّقنى ، فنَم مكانك ولا تمض إليه . فأبَى وعصاها ؛ وتعلقت بثوبه ؛ فضربها بمسواك ، فأرسلته . وكان فى يدها زعفران ، فأثّر فى ثوبه مكان يدها . ومضَى إلى أبيه ، فعاوده فى أمرها وأنّبه وضعّفه ، وجمع عليه مشيَخة الحىّ وفتيانهم ؛ فتناولوه بألسنتهم وعيَّروه بشغفه وبضعف عزمه ، ولم يزالوا به حتى طلّقها . فلمّا أصبح خُبر بذلك ؛ وعلمَت به هند فاحتجبت عنه وعادت إلى أبيها . فأسِف عليها أسفاً شديداً . ثم خطبها رجل من بنى عامر فزوّجها أبوه منه ، فبنى بها عندهم ، وأخرجها حديث امرأته

إلى بلده ، فلم يزل عبد الله بن العَجلان دَنِفاً سقيماً يقول فيها الشِّعر ويبكيها حتى مات أسفاً عليها . وعرضوا عليه فتياتِ الحىِّ جميعاً ، فلم يقبل واحدةً منهنّ . وقال فى طلاقه إيّاها .

فارقتُ هنـــداً طائعاً فندمتُ عنـــد فِراقِهـا
فالعينُ تَذْرى دَمعـــةً كالدُّر فى آماقِهـــا
مُتحـــلِّياً فوق الرّدا ءِ يَجُول فى رَقْراقِهـــا
خَوْدٌ رَداحٌ طَفـــلةٌ ما الفُحش من أخلاقِهـا
ولقـد ألذّ حديثهـــا وأسرّ عنـــد عِناقِها

الحرب بين بنى عامر وبين بنى نهد

ولمّا نُكحت هنـــد فى بنى عامر كانت بينهم وبين بنى نهد مُغاوراتٌ وحروب . فجمعت نهـد لبنى عامر جمعاً بعد جمع ، وأغاروا على طوائف منهم ، واقتتلوا قِتالاً شـديداً ، ثم انهزمت بنو عامر وغنمت بنو نهـد أموالهم ، وقتلوا منهم جماعة . ثم جمعت بنو عامر لبنى نهد . فقالت هند صاحبة عبد الله بن العَجلان لغلام من بنى عامر فقير : هل لك فى خَمس عشر ناقة على أن تأتى قومى فتنذرهم قبل أن تأتيهم بنو عامر ؟ فقال : أفعل . فحملته على ناقة لزوجها ناجية ، وزوّدته تمراً ورطباً من لبن . فركب وجدّ فى السّير وفنِى اللبن ، وأتاهم فنزل بهم وقد يبس لسانه ، فأمر خراشُ بن عبد الله له بلبن وسمن فأُسخن وسقاه إيّاه ، فابتلّ لسانه وتكلّم ، فقال لهم :

أنا رسول هند إليكم تُنذركم . فاجتمعت بنو نهد واستعدّت ، ووافتهم بنو عامر ، فلحقوهم على الخيل فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت بنو عامر . وفى ذلك يقول عبد الله بن العَجلان :

ألم يأتِ هنداً كيف ماصَع[1] قومها بنى عامرٍ إذ جاء يَسْعى نَذيرُها
وقالوا لنـــــا إنّا نُحبُّ لقاءكم وإنّا نُحيِّي أرضكم ونَزُورها
فقلنا إذن لا نَنْكُل الدّهر عنكمُ بصُمِّ القنا اللاّتى الدّماء تميرها
فلا غَرْوَ إن الخيل تَنحطّ بالقَنا تقطَّر[2] مِن تحت العَوالى ذُكورها
تأوّه ممّا مسّها من كريهة وتُصغى الخدودَ والرّماحُ تَصُورها

موته

وذُكر أنه لمّا اشتدّ ما بعبد الله بن العَجلان من السّقم ، خرج سرًّا من أبيه مُخاطراً بنفسه ، حتى أتى أرض بنى عامر ، لا يرهب ما بينهم من الشرّ ، حتى نزل بهم ، وقصد خباء هند ، فلمّا قاربه رآها وهى جالسة على الحوض وزوجها يذود الإبل عن مائه . فلمّا نظر إليها ونظرت إليه رمى بنفسه عن بَعيره ، وأقبل يشتدُّ إليها ، واستقبلته تشتدُّ إليه ، واعتنق كل واحد منهما صاحبه ، وجعلا يبكيان وينتحبان ، ويَشهقان ، حتى سقطا على وجوههما ؛ وأقبل زوج هند لينظر ما حالهما فوجدهما ميّتين .

شعره الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عبد الله ابن العَجلان ، هو :

قد طال شَوقى وعادنى طَربى من ذكر خَوْدٍ كريمة الحسبِ[3]
غَرّاء مثل الهلال صُورتها أو مثل تِمثال صُورة الذّهب

شعر له يغنى فيه

وممّا يُغنّى فيه من شعره :

(١) ماصع : قاتل وجالد . وفى غير التجريد . « كيفما صنع قومها » .

(٢) غير التجريد : « تمطر » .

(٣) غير التجريد : « النسب » .

(١) خَليلَىّ عُوجَا بارك الله فيكما ... وإن لم تكُن هِند لأرضكمُ قَصْدَا
وقُولاَ لها ليس الضَّلالُ أجازنا ... ولكنّنا جُزْنا لِنلْقاكمُ عَمْدا
تخيَّرت من نَعمان عُودَ أراكة ... لهند ولكن مَن يُبلّغه هِنْدا
غداً يكثر الباكُون منّا ومنكمُ ... وتزداد دارى من دِياركم بُعْدا

---

(١) الأبيات فى غير التجريد :

خليلى زورا قبل شحط النوى هندا ... ولا تأمنا من دار ذى لطف بعدا
ولا تعجلا لم يدر صاحبُ حاجة ... أغيا بلاقى فى التعجل أم رشدا
ومرا عليها بارك الله فيكما ... وإن لم تكن هند لو جهيكما قصدا
وقولا لها ليس الضلال أجازنا ... ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا

أخبار
المؤمل بن أسيد المحاربى

نسبه

من مُحارب بن خَصفة بن قَيس عَيلان بن مُضر .

دولتاه

شاعر كوفى من مُخضرمى الدّولتين : العبّاسيّة والأموية . وكانت شُهرته فى العبّاسية أكثر .

وكان من الُجند الُمرتزقة ، معهم ومَن يخُصهم ويرزقهم ويخدمهم من أوليائهم، وانقطع إلى المهدىّ فى حياة أبيه المنصور ، و بعد ذلك .

منزلته فى الشعر

وكان صالح المذهب فى شِعره ، ليس من الفحول .

وكان يهوى امرأة من أهل الِحيرة ، وفيها يقول من قصيدة :

شَفَّ الُمؤمِّل يومَ الِحيرة النظرُ ليت المؤمِّل لم يُخلق له بَصرُ

فيقال: إنّه رأى فى المنام رجُلاً أدخل إصبعه فى عينيه ، وقال : هذا ما تمنَّيت . فأصبح أعمى .

هو والمنصور فى جائزة أجازه بها المهدى

وحكى المُؤمّل قال :

قَدمت على المهدىّ ، وهو بالرّى ، وهو إذ ذاك ولىّ عهد ، فامتدحته بأبيات ، فأَمر لى بعشرين ألف درهم . فكتب إليه أبوه أبو جعفر المنصور ، لمّا بلغه ذلك ، يعذله ويلومه ، ويقول له : إنّما كان ينبغى أن تُعطيه بعد أن يُقيم ببابك سنةً أربعة آلاف درهم . وكتب إلى كاتب المهدى أن يُوجّه إليه بالشّاعر . فطُلبت، فلم يقُدَر علىّ . وكَتب إلى المنصور إنه قد توجّه إلى مدينة السّلام . فأَجلس قائداً من قُواده على جسر النهروان ، وأمَره أن يتصفح النَّاس رجُلاً

رجُلاً . فجعل لا تمرّ به قافلة إلاّ تصفح مَن فيها ، حتى مرّت به القافلة التى أنا فيها ، وسألنى : مَن أنت ؟ فقلت : أنا المُؤمّل بن أُمَيل المحاربى الشّاعر ، أحد زُوّار الأمير المهدى . فقال : إيّاك طلبت . فقال : فكاد قلبى يتصدّع خوفاً من أبى جعفر . فقبض علىّ وأسلمنى إلى الرّبيع ، فأدخلنى إلى أبى جعفر وقال له : هذا الشّاعر الذى أخذ من المهدى عشرين ألف درهم ، قد ظفرنا به . فقال : أدخلوه إلىّ . فأُدخلت إليه ، فسلّمت تسليم مُروّع. فردّ علىّ السّلام ، وقال : ليس ها هُنا إلا خير، أنتَ المُؤمّل بن أُمَيل ؟ فقلت: نعم يا أمير المُؤمنين ، أنا المؤمّل ابن أُمَيل . فقال : أتيتَ غُلاماً فخدعته . فقلت : نعم ، أصلح الله أمير المؤمنين ، أتيتُ غُلاماً غِرّا كريماً ، فخدعته فانخدع . فكأنّ ذلك أعجبه، فقال : أنشدنى ما قلت فيه . فأنشدته :

هو المهدىّ إلاّ أنّ فيه ... مُشابهةً[1] من القمر المنيرِ
تَشابه ذا وذا فهُما إذا ما ... أنارا يُشكلان على البَصير
فهذا فى الظّلام سراج ليل ... وهذا فى النّهار ضياء نُور
ولكنْ فضّل الرحمٰنُ هذا ... على ذا بالمَنابر والسّرير
و بالملك العزيز فذا أمير ... وماذا بالأمير ولا الوَزير
و بعضُ الشّهر ينقُص ذا وهذا ... مُنير عند نُقصان الشّهور
فيابن خليفة الله المُصفّى ... به تعلو مُفاخرة الفَخور
لئن فُتَّ الملوك وقد توافَوْا ... إليك من السُّهولة والوعُور
لقد سبق الملوكَ أبوك حتى ... بقَوْا من بين كابٍ أو حَسير

(١) فى غير التجريد : « مشابه صورة » .

وجئتَ مُصـــلّياً تجرى حَثيثاً وما بك حين تجرى من فُتور
فقال النّاسُ ما هـــذان إلاّ كما بين الخليق إلى الجدير
لئن سَـبق الكبير فأهلُ سَبْق له فَضْل الكبير على الصّغير
وإن بلغ الصّغير مَدى كبير فقد خُلق الصّغير من الكبير

فقال : أحسنت والله ، ولكن هذا لا يساوى عشرين ألف درهم ، فأين المال ؟ فقلت : ها هو ذا . فقال : يا ربيع ، أمض معه فأعطه أربعة آلاف درهم وخُذ الباقى منه .

قال المُؤمّل: فخرج معى الرّبيع وحَط ثقلى، ووزن لى من المال أربعة آلاف درهم ، وأخذ الباقى . فلمّا ولّى المهدى الخلافة وَلِى أبو ثوبان المظالم ، وكان يجلس للناس بالرّصافة ، فإذا ملأ أكياسه رِقاعاً رفعها إلى المهدى ، فرفعتُ إليه رُقعة . فلمّا دخل بها أبو ثوبان جعل المهدى ينظر فى الرّقاع ، حتى وصل إلى رُقعتى ، فضحك فقال له :أبو ثوبان ،أصلح الله أميرَ المؤمنين،ما رأيتك ضحكت من شىء من هذه الرّقاع إلاّ من هذه الرُّقعة . فقال : هذه الرُّقعة أعرف سببها ، رُدُّوا إليه عشرين ألف درهم . فردُّوها إلىّ وانصرفت .

تتمة الحديث فى عماه

وحَكى حُذيفة الطائى قال :

رأيتُ المُؤمّل شيخاً كبيراً نحيفاً أعمى ، فقلت له : صدَقتَ فى قولك:

وقد زعموا لى أنّها نَذرت دَمِى وما لى بحمـــد الله لحم ولا دَم

وأوّل هذا الشِّعر :

حَلمت بكم فى نَومتى فغضبتُم ولا ذَنب لى أن كنت فى اليوم أحلمُ
سأطرد عنّى النوم كيلا أراكم إذا ما أتانى النَّوم والناسُ نُوّم

تُصــــارمنى والله يعلم أنّنى ... أبَرُّ بها من والدَيهـا وأرحمُ
بَرى حبّهـا لحمى ولم يبْق لى دم ... وإن زعموا أنّى صحيح مُســلَّمُ
ستَقتل جِـلداً باليًا فوق أعظم ... وكيف يُبالى القتلَ جلدٌ وأعظمُ

وذُكر فى خبر رؤيا المُؤمّل : أنه رأى فى نومه قائلاً يقول له : أنتَ المتألّى على الله إنه لا يُعذِّب المحبّين ، حيث تقول :

يَكفى المُحبِّين فى الدُّنيا عذابُهمُ ... والله لا عذّبتُهم بعدها سَقَرُ

فقال: نعم . فقال : قد كذبت ياعدوّ الله ، ثم أدخل إصبعيه فى عينيه ، وقال له : أنت القائل :

شفّ المُؤمّلَ يوم الحيرة النَّظر ... ليتَ المؤمّل لم يُخلق له بصرُ

هذا ما تمنّيت . فانتبه رُعباً فإذا هو أعمى .

شعره الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار المُؤمّل :

ألا يا ظَبيــــة البلد ... بَرانى طُولُ ذا الكمدِ
فرُدِّى يا مُعــذِّبتى ... فؤادى أو خُذى جَسدِى
بَليتُ لشِقْوتى بكمُ ... غلاماً ظاهر الجَــلَد
فسوّد هَجْركم شَـعرى ... وبيّض حُبكم كَبِدى(١)

---

(١) الرواية فى غير التجريد :
فشيب حبكم رأسى ... وبيض هجركم كبدى

أبو مالك

النَّضر بن أبى النَّضر

ثم ذَكر أبو الفرج : أبا مالك النضر بن أبى النضر التَّميمى . نشأته

وكان مولده ومَنشْؤه البادية ، ومدح الرَّشيد وخدمه . ولحظته عناية من الفضل بن يحيى ، فبلغ ما أَحبَّ .

وهو متوسِّط الشِّعر ، ولم أختر له إلا ما فيه الغناء . وافتتح به أبو الفرج أخباره ، وهو : المختار من شعره وهو ما فيه الغناء

بكيتُ حِذار البَين عِلماً بما الذى إليه فؤادى عند ذلك صائرُ

وقال أُناس لو صبرتَ وإننى على كل مكروه سِوى البَين صابر

أبو دُهمـــــان

ثم ذَكر أبا دُهمان العَلائى .

زمنه ودولته

وهو شاعر من شُعراء البَصرة من مُخضرمى الدَّولتين . ومدح المهدى .

شعره فى دعوى مضر بن أبا العتاهية

وكان طيِّباً ظريفاً مليح النَّادرة ، وهو القائل لمـَّا ضرب المهـدى أبا العتاهية لتَشْبيبه :

لولا الذى أَحدث الخليفةُ فى الـ ... ـعُشَّـاق من ضَرْبهم إذا عَشِقُوا

لبُحت باْسم الذى أُحبّ ولـ ... ـكنِّى امروٌ قد ثَنانِىَ الفَرَق

شعره الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى لأبى دُهمان فيه الغناء ، هو :

لئن مِصْرَفا تَنَى بمـا كنت أرتجى ... وأَخْلفنى فيها الذى كنت آمُلُ

فمـا كُل ما يخشى الفتى بمُصيبة ... ولا كُل مايرجو الفتى هو نائل

أبو حُزابة

الوليد بن حنيفة

ثم ذَكر أبو الفرج : أبا حُزابة .

نسبه — وهو : الوليد بن حَنيفة ، أحد بنى ربيعة بن حَنظلة بن مالك بن زيد مَناة ابن تميم .

حياته — وهو شاعر من شُعراء الدَّولة الأُمويَّة القُدماء ، بَدوى حَضرى ، سكن البصرة واُكتتب فى الدِّيوان ، وضُرب عليه البعث إلى سجستان ، فكان بها مُدّة ، ثم عاد إلى البَصرة ، وخرج مع ابن الأشعث لمّا خرج على عبد الملك .

قال أبو الفرج : وأظنّه قُتل معه .

صفة شعره — وكان شاعراً راجزاً خبيثاً ، فصيح اللِّسان هجّاء .

شعره الذى فيه الغناء — وشِعره الذى فيه الغناء ، هو :

يَكُرُّ كما كَرَّ الكُليبىّ مُهره[1] — وما كَرَّ إلاّ خَشيةً أنْ يُعيَّرَا

فلاصُلْح حتى تَزحف الخيل والقَنا — بِناو بكم أو[2] يصدُر الأمرُ مَصدرا

وهذا الشِّعر يرثى به أبو حُزابة رجُلاً من بنى كُليب بن يربوع ، يقال له : ناشرة اليربوعى ؛ قُتل بسجستان فى فتنة ابن الزُّبير ؛ وكان سيِّداً شُجاعاً .

وقبل البيت الأول :

أمَا كان فيهم ماجدٌ ذو حَفيظة — يرى المَوت فى بعض المَواطن أجْدَرا

---

(١) بريد . ما كان فى هؤلاء القوم من يكر كما كر ناشرة الكليبى مهره .

(٢) غير التجريد : « أن » .

زهير السكب

ثم ذَكر زُهيرا السَّكب .

نسبه — وهو : زهير بن عُروة بن جَذيمة[1] بن حُجر ، وهو[2] خُزاعى .

لقبه — شاعر جاهلى . وإنما لقِّب : السَّكب ، ببيت قاله ، هو :

* بَرْق يُضىء خِلالَ البَيت أُسكوبُ[3] *

شعره الذى فيه الغناء — وشعره الذى فيه الغناء ، يقوله فى بَنى عمِّه يتشوّقهم . وكان فارقهم لشىء نَقمه منهم :

إذا الله لم يَسْق غير[4] الكرام ... فَسَقَّى وُجوه بنِى حَنْبلِ
وسَقَّى ديارهمُ باكراً ... من الغَيث فى الزَّمن المُمحل
تُكفكفه بالعشىِّ الجَنوب ... وتَقرعه هَبَّة[5] الشَّمْأل
كأنّ الرَّباب دُوَين السَّحاب ... نَعام تعَلَّق بالأَرْجَل

---

(١) غير التجريد : « جلهمة » .

(٢) غير التجريد : « ابن خزاعى » .

(٣) أسكوب : منسكب ، كأنه يسكب المطر .

(٤) غير التجريد : « إلا » .

(٥) غير التجريد : « هزة » .

أخبار النمر بن تولب

نسبه

هو : النَّمر بن تَوْلَب بن أُقَيْش[1] بن عَبد بن كَعب بن عَوف بن الحارث ابن عوف بن وائل بن قيس بن عُكل ـ عوف ـ بن عبد مَناة بن أد بن طابخة ابن الياس بن مُضر بن نزار .

صفته

شاعر مُقل .

زمانه

أدرك الجاهلية ، وأسلم فحسُن إسلامه ، ووفد على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وكتب له كتاباً ، فكان فى أيدى أهله .

جواد فارس

وكان أحدَ أجواد العرب المذكورين ، وفُرسانهم .

حديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم

وحَكى يزيدُ بن عبد الله ، أخو مُطرِّف ، قال :

بينما نحن بهذا المِرْبد ـ يعنى مِرْبد البصرة ـ إذ أتى علينا أعرابىّ أشعثُ الرأس ، فوقف علينا ، فقلنا : والله لكأنَّ هذا الرجلَ ليس من أهل البلد ؟ قال : أجل ؛ و إذا معه قِطْعة من جراب ، أو أديم ، فقال : هذا كتاب كَتبه لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأْناه ، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى زهير ابن أُقيش ـ حى من عكل ـ إنَّكم إن شهدتم أن لا إله إلاَّ الله ، وأنِّى محمد رسول الله ، وأقمتمُ الصلاة ، وآتيتم الزّكاة ، وفارقتم المشركين ، وأعطيتم الخُمس

---

(١) الجمهرة (١٨٨) : « تولب بن زهير بن أقيش » .

من الغنائم وسَهْم النبىّ والصفىّ[١] ، فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسوله ، لكم ما للمُسلمين وعليكم ما عليهم .

فقال له القوم : حدِّثنا ـ رحمك الله ـ ما سمعتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : سمعته يقول : صَوم شهر الصَّبر[٢] وصوم ثلاثة أيّام من كل شهر، يُذْهبن كثيراً من وَحْز الصّدر . فقال له القوم : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أراكم تخافون أنْ أكذبَ على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حديثاً ، ثم أهوى إلى الصّحيفة وانصاع مُدبرا .

حديث امرأته معه

وذُكر أنه كان للنَّمر بن تَوْلب أخٌ يقال له : الحارث بن تَولب ؛ وكان سيّداً مُعظَّماً ؛ فأغار الحارث على بنى أسد ، فسبا امرأة منهم ، يُقال لها : عمرة[٣] بنت نوفل ؛ فوهبها لأخيه النَّمر ، فوطئها فولدت له أولاداً . ثم قالت له فى بعض أيامها : أَزِرْنى أهلى فإنّى قد اشتقتُ إليهم . فقال لها : إنِّى أخاف إن صرتِ إلى أهلك أن تغلبينى على نفسك . فواثقته لترجعنّ إليه . فسافر بها فى الشهر الحرام حتى أَقدمها بلاد بنى أسد ، فلمّا أطلّ على الحىِّ تركتْه واقفاً وانصرفت إلى بيت بَعلها الأوّل ، فمكث طويلاً فلم ترجع إليه . فعرف ماصنعت ، وأنها اختدعته ، فانصرف وقال :

جزَى الله عنَّا عَمرة بنةَ نوفل ... جزاء مُغلٍّ[٤] بالأمانة كاذبِ
لهان عليها أمسِ موقفُ راكبٍ ... إلى جانب السَّرْحات أَخيبَ خائبِ

---

(١) الصفى : ما كان يأخذه رئيس الجيش ويختاره لنفسه من الغنيمة قبل القسمة .

(٢) شهر الصبر : شهر رمضان .

(٣) غير التجريد : « حمزة » .

(٤) مغل : خائن .

ومرّت[1] كأنّ الشمس تحت قناعها بدا حاجب منها وضنّت بحاجب

هي وهو في حجة له

وذُكر أنه حجَّ النَّمر بن تولب بعد هَرب عَمرة منه ، فنزل بمِنى ، ونزلت عَمرة مع زوجها قريباً منه ، فعرفته ، فبعثت إليه بالسّلام وسألته عن خبره ، ووصّته خيراً بولده منها ، فقال :

فَحُيِّيتِ مِن شَحطٍ بخيرٍ[2] حَدِيثُنا ولا يأمنُ الأيام إلاّ مُضلَّلُ

يودّ الفتى طولَ السّلامة جاهداً فكيف تَرى طُول السّلامة يَفْعل

زوجته الثانية

وذُكر أنّه لمّا فارق النَّمر بن تَولب امرأته الأسديّة ، جزع عليها حتى خيف على عقله ، ومكث أياماً لا يَطعم ولا ينام ، فلمّا رأت عشيرتُه ذلك منه ، أقبلوا عليه يلومونه ويصبّرونه ، وقالوا له : إنّ في نساء العرب مَندوحة ومُتَّسعاً ، وذكروا له امرأة من فَخذه الأَدنين ، يقال لها : دعد ، ووصفوها له بالجمال والصَّلاح ، فتزوّجها ووقعت في قلبه وشغلته عن عَمرة ، وفيها يقول :

أَهيم بدَعدٍ ما حَييتُ وإن أَمُت أُوَكِّلْ بدَعد مَن يَهيمُ بها بَعْدِي

وقد تقدمت نِسبة هذا البيتِ إلى نُصيب ، والله أعلم .

من جيد شعره

ومِن جيد شعر النَّمر بن تَولب قولُه :

لا تَغضبنَّ على امرئٍ في ماله وعلى كرائم صُلب مالِكَ فاغْضب

وإذا تُصِبْك خَصاصةٌ فارْجُ الغِنى وإلى الذى يُعطى الرَّغائبَ فارْغب

---

(١) غير التجريد : « صدت » . (٢) غير التجريد . « فحييت عن شحط وخير » .

وقـــوله :

أعاذلَ إن يُضْبِحْ صَـــداىَ بقَفرةٍ بعيداً تناءى ناصرى وقَريبى
تَرَىْ أنّ ما أبقيتُ لم أكُ ربَّه وأنَّ الذى أفنيتُ كان نَصِيبى

شعره الذى فيـــه الغنـــاء

والشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار النَّمر بن تَواب :

سَـــلاَ عن تذكُّره تَـكْتُمَا وكان رهيناً بهـــا مُغرمَا
وأَقْصَر عنهـــــا وآثارُها تُذَكِّره داءه الأَقْـــدما

أخبار مالك بن الرّيب

نسبه

هو : مالك بن الرَّيب بن حَوْط بن قُرط بن حِسْل[1] بن ربيعة بن كابية[2] ابن حُرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تَميم .

صفته

وكان شاعراً فاتكاً لصًّا .

صلاحه بعد فساد

منشؤه فى بادية بنى تَميم بالبصرة ، ثم صار إلى فارس ، ومعه جماعة من اللّصوص ، فأقام هناك يقطع الطريق . فلمّا أستَعمل معاويةُ بن أبى سفيان سعيدَ بن عثمان بن عفّان على خُراسان ، لقى مالك بن الرَّيب فى طريق فارس ، وهو متوجّه إلى خُراسان ، وكان من أجمل النّاس وجْهاً وأحسنهم ثياباً ، فلمّا رآه سعيد أعجبه ، فقال له : مالَك ويحك تُفسد نفسك وتَقطع الطريق ، وما يدعوك إلى الفساد وفيك هذا الفضل ؟ قال : يدعونى إليه العجز عن المَعالى ، ومُواساة ذوى المروءات ، ومكافأة الإخوان . قال : فإنْ أنا أغنيتُك وأستصحبتك أتكفُّ عمّا كنت تعمل ؟ فقال : إى والله أيها الأمير ، أكُفُّ كفًّا لا يكُف أحدٌ أحسنَ منه . فاستصحبه وأجرى له خمسمائة درهم فى كل شهر .

شعره فى فراق ابنته إلى خراسان

ولمّا خرج معه تعلّقت ابنته بثوبه وبكت ، وقالت : أَخشى أن يطول سَفرك ويُفرّق الموت بينى وبينك فلا نلتقى . فأنشأ يقول ، وهو من فاخر الشّعر وجيّده :

---

(١) التجريد : « حنبل » . الجمهرة (٢٠١) : « حبيل » .

(٢) الجمهرة : « كافية » .

ولقد قلتُ لأبنتى وهى تَلْوى(١) بدَخيـلِ الهُموم قلباً كئيبا
وهى تَذرى من الدُّموع على الخدَّ ين من لَوعـةِ الفِراق غُروبا
عَبراتٍ يَـكَدْنَ يَجْرحن ما جُزْ نَ به أو يَدَعْن فيـه نُدوبا
حَذر الحَتْف أن يُصيب أَباها أو يلاقى فى غَير أهلٍ شَعوبا
أَسكُتى قد حَزرتِ بالدَّمع قلبى طال ما حزّ دمعكُن القُلوبا
فعسَى اللهُ أن يُدافع عنِّى ريبَ ما تَحـذرينَ حتى أَؤُوبا
ليس شىءٌ يشـاؤُه ذو المَعالى بعَزيزٍ عليـه فاْدْعى المُجيبا
ودَعى أن تُقَطِّعى الآن قلبى أو تُرِينى فى رِحلتى تَعذيبـا
أنا فى قَبضة الإلٰه إذا كُنْـ ـتُ بعيداً أو كنتُ منكِ قريبا
كم رأيتِ امرأً أُتى مِن بعيد ومُقيماً على الفِراش أُصيبا
فدَعينى من انتحـابكِ إنِّى لا أُبالى إذا اْعتزمتُ النَّحيبـا

وذُكر أنّ أبا عُبيدة قال:

سبب خروجه إلى خراسان

كان سَبب خروج مالك بن الرَّيب إلى خُراسان ، واكتتابه مع سـعيد ابن عثمان ، إنّمـا كان هرباً من ضرطة . فقيل له : كيف كان ذلك ؟ فقـال : مرّ مالك بلَيلى الأخيليّة ؛ فجلس إليها فحادثها طويلاً وأنشـدها ، فأقبلت عليه وأعجبت به حتى طَمع فى وصلها ، ثم إذا هو بفتًى قد جاء إليها كأنّه نصل سيف ، فجلس إليها ، فأعرضت عن مالك وتهاونت به ، كأنّه كان عندها عصفوراً ، وأقبلت على صاحبها مليًّا من نهارها ، فغاظـه ذلك من فعلها ، فأقبل على الرجل فقال : مَن أنت ؟ فقال : تَوْبة بن الحُمَيِّر . فقال : هل لك فى المُصارعة . فقال :

---

(١) غير التجريد : « تبكى » .

ما دعاك إلى ذلك وأنت ضيفنا وجارنا ؟ فقال : لابدّ منه . فقال : لا تفعل . فازداد لجاجاً . فقام توبة فصارعه فصرعه . فلما سقط مالك إلى الأرض ضرط ضرطةً هائلة ؛ وضحكت ليلى منه ، واستحيا ، واكتتب بخراسان ، وقال : لا أقيم في بلد العرب أبداً ، وقد تحدّثت عنّي بهذا الحديث . فلم يزل بخراسان حتى مات ، فقبرُه هناك معروف .

أعجب ما كان له ولأبي حردبة وشظاظ في السرقة

وقيل : كان يَصحب مالكَ بن الرَّيب أيّام تلصّصه لصان ؛ يقال لأحدهما : أبو حردبة ؛ والآخر شظاظ . فاجتمعوا يوماً ، فقالوا : تعالوا نتحدث بأعجب ما عملنا في سَرقنا . فقال أبو حردبة : أعجب ما صنعت وأعجب ما سرقت : أني صحبتُ رُفقة فيها رجل على رَحل ، فأعجبني ؛ فقلت لصاحبي : والله لأسرقنّ رحله ، ثم لا رضيت أو آخذ فيه جِعالة . فرمقتُه حتى رأيته قد خفق برأسه ، فأخذت بخُطام جمله فقدته وعدلتُ به عن الطريق ، حتى إذا صيّرته في موضع لا تخاف فيه الاستغاثة ، أنختُ البعير فصرعتُه ، وأوثقت يديه ورجليه ، وقُدت الجمل فغيّبته. ثم رجعت إلى الرُّفقة وقد فقدوا صاحبهم ، فهم يَسترجعون فقلت : ما لكم ؟ فقالوا : صاحب لنا فقدناه . فقلت : أنا أعلم الناس بأثره . فجعلوا لي جِعالة . فخرجت بهم أتبع الأثر حتى وقعوا عليه . فقالوا : ما لك ؟ فقال : لا أدرى ، نعست فانتبهت لخمسين رجلاً قد أخذوني فقاتلتهم ، فغلبوني . قال أبو حردبة : فجعلت أضحك من كذبه . وأعطوني جِعالتي وذهبوا بصاحبهم .

قال : وأعجب ما سرقت أنه مرّ بي رجل ومعه ناقة وجمل ، وهو على النّاقة ؛ فقلت : لآخذنهما جميعًا . فجعلت أعارضه وقد خَفق برأسه ؛ فدُرت فأخذت الجمل فحللتُه وسُقته وغيّبته في القَصِيم[1] ؛ وهو الموضع الذي كانوا يسرقون فيه .

(١) القصيم : حيث ينبت الغضى .

ثم أنتبه فلم يَر جمله ، فترك راحلته ومضى فى طلب الجمل ، فدُرت فحللتُ عقال ناقته وسُقتها .

فقالوا لأبى حردبة : ويحك ! فحتَّام تكون هكذا ؟ قال: أسكتوا ، فكأنكم بى قد اشتريتُ فرساً وخرجت مجاهداً ، فبينا أنا واقف إذ جاءنى سهم كأنه قِطعة رِشاء فوقع فى نَحرى فمِتُّ شهيداً . فكان كذلك ، تاب بالبصرة ، واشترى فرساً ، وغزى الرُّوم فأصابه سهم فى نَحره ، فاستشهد .

ثم قالوا لشظاظ : أخبرنا أنت بأعجب ما أحدثت فى لُصوصيتك ورأيت فيها . فقال : نعم ، كان فلان من أهل البصرة له بنت عمّ ذات مال كثير ، وهو وليّها ؛ وكانت له نسوة ؛ فخطبها فأبت أن تتزوّجه ؛ فحلف ألّا يزوّجها من أحد ضراراً لها . فخطبها رجل غنىّ من أهل البصرة ، فحرصت عليه ، وأبَى ذلك الولىّ أن يزوّجها منه . ثم إنَّ ولىّ المرأة حجّ ؛ حتى إذا كان على مرحلة من البصرة مات ، فدُفن برابية هناك وعُمل عليه لوح . فتزوّجت المرأة الذى كان يَخطبها .

قال شظاظ : وخرجتْ رُفقة من البصرة ومعهم بُر ومتاع ؛ فبَصُرت بهم وما معهم وأتبعتهم من البصرة حتى نزلوا ؛ فلمَّا ناموا أتيتهم فأخذت من متاعهم. ثم إنَّ القوم أخذونى وضربونى ضرباً شديداً وجرحونى ، وذلك فى ليلة قَرّة ، وسلبونى كل قليل وكثير كان علَىّ ، وتركونى عُريان .

قال : وتماوتّ لهم ، فارتحل القوم ؛ فقلت : كيف أصنع ؟ ثم ذكرت قبر الرجل فنزعت لوحه ، ثم احتفرت فيه سرباً فدخلت فيه ، ثم تمدَّدت على اللّوح ؛ وقلت : لعلّى الآن أفيق وأتبعهم .

قال : ومَرّ الرّجل الذى تزوّج المرأة فى الرُّفقة ، فمرّ بالقبر الذى أنا فيه فوقف

عليه ، وقال لرفقته : والله لأنزلن إلى قبر فلان حتى أنظُر هل يَحمى الآنَ بِضْع فُلانة . قال شظاظ : وعرفت صوتَه فقلعت اللوح ثم خرجت إليه بالسَّيف من القبر ، وقلت : بلى والله لأحمينّها . فوقع الرَّجل على وجهه مغشيًّا عليه ما يتحرّك ولا يعقل ، فسقط من يده خطام الرَّاحلة ، فأخذت وعهدِ الله بخِطامها ، فجلست عليها ، وعليها أداة وثياب ، ونقد كان معه ؛ ثم وجهتُها قَصد مطلع الشمس هارباً من الناس ، فنجوت بها ، فكنت بعد ذلك أسمعه يحدِّث الناس بالبصرة ويحلف لهم أنّ الميّت الذى كان منعه من تزويج المرأة خرج إليه من قبره بسلبه وكفنه ، فبقى يومه ثم هرب منه . والناس يعجبون منه ، فعاقلُهم يكذّب به والأحمق منهم يصدقه ؛ وأنا أعرف القصَّة وأضحك منهم كالمتعجّب .

قالوا : فزدنا . قال : أنا أزيدكم أعجَب من هذا الرّجل وأحمق : إنّى لأمشى فى الطَّريق أبتغى شيئاً أسرقه ، فلا والله ما وجدت شيئاً . وإذا بشجرة ينام تحتها الرّكبان بمكان ليس فيه ظل غيرها ، وإذا أنا برجل على حمار له ، فقلت له : أتسمع ؟ فقال: نعم . فقلت : إنَّ المَقيل الذى تريد أن تَقيل فيه يُخسف فيه بالدَّواب ، فاُحذر . فلم يلتفت إلى قولى . ورمقتُه حتى إذا نام أقبلتُ إلى حماره فاُستقتُه ، حتى إذا برزتُ به قطعتُ طرف ذنبه وأذنيه ، وأخذت الحمار وخبأته ، وأبصرتُه حين اُستيقظ من نومه قام يطلب الحمار ويقفو أثره . فبينا هو كذلك إذ نظر إلى طرف ذنبه وأُذنيه ، فقال : لعمرى لقد حُذرت لو نفعنى الحذر . واستمرّ هارباً خوفاً من أن يُخسف به . فأخذت جميع ما بقى من رَحله فحملته على الحمار ولحقتُ بأهلى .

صلب الحجاج اشظاظ وقصة ذلك

وذُكر أنّ الحجَّاج بن يوسف صلب رجلاً من الشّراة بالبصرة ، وراح عشيًّا لينظر إليه ، فإذا برجل واقف بإزائه مُقبل عليه بوجهه ، فدنا منه ، فسمعه يقول

للمصلوب : طالما ركبت فأعقب[١] . فقال الحجّاج : مَن هذا ؟ فقيل له : هذا شظاظ اللّص . فقال : لا جرم ، والله ليُعْقبنّك . ثم أمر بالمصلوب فأُنزل وصُلب شظاظ مكانه .

مرض ابن الريب وموته وشعره الذى فيه الغناء

وذُكر أنّ مالك بن الرَّيب مَرض عند قُفول سعيد بن عثمان بن عفّان من خُراسان فى طريقه ، فلمّا أشرف على الموت تخلّف عليه مُرة الكاتب[٢] ورجل آخر من قومه من بنى تميم ؛ ومات فى منزله ذلك فدفناه هناك . وقال قبل موته الشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره ، هو :

أيا صاحِبَى رَحلى دنا الموتُ فأنزلا ... برابية إنِّى مُقيمٌ لياليَا
وخُطّا بأطراف الأسِنّة مَضْجعى ... ورُدَّا على عَينَىَّ فَضلَ رِدائيا
ولا تحسُدانى بارك الله فيكما ... على الأرضِ ذاتِ العرضِ أنْ تُوسِعاليا
لعَمْرى لئن غالت خُراسان هامتى ... لقد كنتُ عن بابَىْ خُراسان نائيا
فياليتَ شِعْرى هل أَبيتنَّ ليلة ... بجَنبِ الغَضى أُزجى القِلاصَ النَّواحيا[٣]

(١) أعقب فلان فلاناً : ركبا بالنوبة وعاقبه.
(٢) التجريد : « تخلفت عليه امرأة » .
(٣) غير التجريد : « النواعيا » .

أخبار عبد بنى الحسحاس

اسمه[1] : سُحَيم .

وكان عَبداً نُوبيًّا ، أعجميا ، أسود ، مطبوعاً فى الشعر ، فاشتراه بنو الحسحاس . وهم بطن من أسد . شىء عنه

والحسحاس[2] ، هو ابن نُفاثة بن سَعد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن دُودان ابن أسد بن خُزَيمة . نسب الحسحاس

وأدركَ عَبدُ بَنى الحسحاس النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وتمثل بكلمات من شعره غير موزونة . تمثل النبى صلى الله عليه وسلم بشعره

رُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تمثّل : كفى بالإسلام والشيب ناهياً . فقال أبو بكر – رضى الله عنه – : يا رسول الله ، إنما قال الشاعر :

* كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا *

فجعل لا يطيقه . فقال أبو بكر – رضى الله عنه – : أشهد أنك رسول الله ، وما علّمناه الشعر وما ينبغى له .

وكان مُصعب بن عبد الله بن الزُّبير يَستحسن قول عبد بنى الحسحاس : ما كان يستحسنه مصعب من شعره

أشعارَ عَبْدِ بنى الحسحاسِ قُمْنَ له   عند الفَخار مقام الأصل والوَرِقِ

إن كنتُ عبداً فنفسى حُرة كرماً   أو أسودَ اللّونِ إنى أبيضُ الُخلق

---

(١) أول الجزء المتم العشرين من تجريد الأغانى.

(٢) الجمهرة (١٨٣) : « الحسحاس بن هند بن سفيان بن غضاف بن كعب بن سعد بن عمرو ابن مالك بن ثعلبة » .

قصة شراء بنى الحسحاس له

وذُكر أن عبد الله بن أبى ربيعة كان عاملاً لعثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ فكتب إلى عثمان : إنى قد اُشتريت غلاماً حبشيًّا ، يقول الشعر . فكتب إليه عثمان ـ رضى الله عنه ـ : لا حاجة لى إليه ، اُردده ، فإنما حظُّ أهل العبد الشاعر منه إن شَبع أن يُشبِّب بنسائهم ، وإن جاع أن يهجوهم . فاشتراه أحدُ بنى الحَسحاس .

إنشاده عمر وجواب عمر له

وفى رواية : إن جاع هَرَّ ، وإن شَبع فَرّ .

وأنشد عبدُ بنى الحسحاس عمرَ بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ :

عُميرةَ ودِّع إن تجهَّزت غاديا كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

فقال له عمر : لو قدّمت الإسلام على الشيب لأجزتك .

شعره فى قبح وجهه

وذُكر أنه كان قبيح الوجه ، وفى قُبح وجهه يقول :

أتيتُ نساءَ الحارثيين غُدوة بوجهٍ يراه الله غيرَ جميلِ

فشبّهننى كلباً ولست بفوقه ولا دُونه إن كان غيرَ قليل

بيعه واسترداده وتشبيبه بنساء قومه

وذُكر أن سيده باعه ، فلمّا رحل به الذى اُشتراه ، قال :

أشوقاً ولمّا تَمض لى غيرُ ليلة فكيف إذا سار المَطِيّ بنا عَشْرا[1]

وما كنتُ أَخشى مالكاً أن يَبيعنى بشىء ولو أمست أناملُه صُفْرا

أخُوكم ومَولاكم وكاتِم سرّكم[2] ومَن قد نَشا[3] فيكم وعاشركم دَهْرا

فلمّا بلغهم شعرُه هذا رثوا له ، فاستردّوه ، فكان يُشبِّب بعد ذلك بنسائهم ، فقال :

(١) غير التجريد : « شهرا » .
(٢) غير التجريد : « أخوكم ومولى مالكم وحليفكم » .
(٣) غير التجريد : « ثوى » .

ولقد تحدّر من كريمة بعضهم[1] عرق على متن الفِراش وطِيبُ

وقال فى أُخت سيده ، وكانت عليلة ، وهو من رقيق الشعر :

ماذا يريدُ السَّقام من قمر كُلُّ جَمالٍ لوجهه تبَعُ

ما يرتجى ـ خاب ـ مِن محاسنها أما لَه فى القِباحِ مُتَّسع

غيَّر من لونها وصفَّرها فارتدّ فيه الجمال والبدع

لو كان يَبْغى الفداء قلتُ له ها أنا دون الحبيب يا وَجع

تدبير سيده لقتله وقصة ذلك

وذُكر أن عبد بنى الحسْحاس جالس نِسوة من بنى صُبَير بن يربوع ، وكان من شأنهم إذا جلسوا للغزل أن يتعابثوا بشَق الثياب وشدة المغالبة على إبداء المحاسن ، فقال سُحَيم :

كأنَّ الصُّبيريَّات يوم لَقِيننا ظباءٌ حنتْ أعناقهنَّ المكانسُ

فكم قد شَققنا من رداء مُزَنَّر ومن بُرقع عن ناظِرٍ غيرِ ناعس

إذا شُق بُرد نِيط بالبُرد[2] بُرقع على ذاك حتى كُلُّنا غيرُ لابِس

فيقال : إنه لمَّا قال هذا الشعر اُتهمه مولاه ، فجلس له فى مكان إذا رعى نام فيه ، فلمّا اضطجع تنفَّس الصُّعداء وقال :

يا ذُكرة مالكَ فى الحاضر تذكُرها وأنت فى الصادرِ

من كُلِّ حَسناء[3] لها كَعْثب مثل سَنام البَكرة المائر

(١) غير التجريد : « بعضكم » .

(٢) التجريد : « شق » .

(٣) غير التجريد : « بيضاء لها كفل » . والكعثب : الفرج الضخم .

وظهر سيده من المكان الذى كان فيه كامناً ، فقال له : مالك ؟ فلجلج فى منطقه ، فاستراب به ، فأجمع على قتله . فلما ورد الماء خرجت إليه صاحبته فحادثته وأخبرته بما يُراد به . فقام ينفُض ثوبه ويُعَفِّى أثره ويلقط رضًّا[1] من وَقْفها ـ وهو السِّوار من العاج ـ كان كَسَره فى مُلاعبته لها ، وأنشأ يقول :

أتُكْتَمُ حُيِّيتم على النَّأى تُكْتَما ... تحيةَ مَن أمسى بحُبك مُغرمَا
وما تَكْتُمين إن أتيتُ دَنِيَّةً ... ولا إن ركبنا يا ابنة القوم مَحْرما
ومثلك[2] قد أبرزتُ من خِدر أُمها ... إلى مجلسٍ تجتَرُّ بُرْداً مُسهَّما
وماشية مَشْى القَطاة اتبعتُها ... من السِّير[3] تخشى أهلَها أن تَكلَّما
فقالت صهٍ ياويح غيرك إننى ... سمعتُ حديثاً بينهم يقطُر الدَّما
فنفَّضت ثَوبيها ونظَّرت حولها ... ولم أخشَ هذا الليلَ أن يَتصرّما
أُعفِّى بآثار الثِّياب مَبيتَها ... وألقُط رضًّا من وُقُوف[4] تحطَّما

وغدوا بسُحيم ، عبد بنى الحسحاس ، ليقتلوه ، فرأته امرأة كانت بينه وبينها مودَّة فسَدت ، فضَحكت به شماتة ، فنظر إليها ، وقال :

فإنْ تَضحكى منِّى فيارُب ليلة ... تركتُك فيها كالقِباء المُفرَّجِ

فلما قُدِّم ليُقتل قال :

شُدُّوا وَثاق العبد لا يُفلتكمُ[5] ... إنَّ الحياةَ من المَمات قَريبُ

---

(١) الرض : الكسارة .
(٢) التجريد : وقبلك .
(٣) غير التجريد : « الستر » .
(٤) وقوف : جمع وقف ، وهو السوار من عاج ، وتدمر .
(٥) التجريد : « يفلتنكم » ولا يستقيم به الوزن .

فلقد تحدَّر من جَبِين فَتاتـكم عَرق على جَنْبِ[١] الفِراش وَطِيب

وقُدم فقُتل .

شعره الذى فيه الغناء

والشّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عَبد بنى الحسحاس ، هو:

فمـا بَيضـةٌ بات الظليم يحُفُّها ويرفع عنها جُؤْجُؤاً مُتجافيـــا

وهبَّت شمالٌ آخرَ الليـل قَرّةٌ ولا ثوبَ إلاّ بُردها وردائيـــا

فما زال ثوبى[٢] طَيِّباً من ثيابها إلى الحول حتى أُنهج البُرد[٣] باليا

(١) غير التجريد: « متن » .

(٢) غير التجريد : « بردى » .

(٣) غير التجريد : « الثوب » . وأنهج ، بالبناء للمجهول :أصبح خلقا .

أخبـار حسّان بن تُبّع
ملك حمير

شعره الذى فيه الغناء وخبره

قيل[1] : كان حسّان بن تُبّع أحولَ أعسر ، بعيد الهمّة ، شديد البطش . فدخل إليه يوماً وُجوه قومه ، وهم الأقيال من حِمْير ، فلما أخذوا مواضعهم أنشأ يقول :

أيّها الناس إنّ رَأْيى يُرِينى ... وهو الرأىُ طَوْفةً فى البلادِ
بالعَوالى وبالقنابل[2] تَردى ... بالبطاريق مِشْيةَ العُوّاد
وبجَيش عرمرم عَربىّ ... جحفلٍ يَستجيب صوت المُنادى
من تَميم وخِندف وإياد ... وَبِها ليل حِمْير ومُراد
فإذا سرتُ سارت الشمس[3] خلفى ... ومَعى كالجبال فى كلّ وادى
سَقّنى ثم سَقّ حِمْيرَ قَومى ... كأسَ خَمر أُولى النُّهى والعِماد

وهذا هو الشعر الذى فيه الغناء .

ثم قال لهم : أستعدّوا لذلك ، فلم يراجعه أحد لهَيبته ، فلما كان بعد ثلاث خرج وتبعه الناس ، حتى وطئ أرض العجم ، ثم قال : لأبلغن من البلاد ما لم يبلغ أحد من التبابعة ، فجال بهم فى أرض خراسان ، ثم مضى إلى المغرب فجال

(١) جاءت هذه الترجمة فى الأغانى موصولة بترجمه : « عبد بنى الحسحاس » .
(٢) القنابل : جمع قنبلة ، بالفتح ، وهى الجماعة من الناس ومن الخيل ، والمراد هنا : الخيل .
(٣) غير التحريد : « الناس » .

فيها حتى بلغ رومية فملكها ، وخلف عليها ابن عم له ، وأقبـــل إلى العراق ، حتى إذا صار على شاطئ الفرات ، قالت وُجوه حِمْير : ما لنـــا نُفنى أعمارنا ، نطوف فى الأرض كلها ، ونفرّق بيننا و بين بلادنا وعيالنا ، فما ندرى مَن خَلف عليهم بعدنا . فاتّفقوا على الحديث مع أخيه عمرو فى ذلك ، فقالوا له : كلّم أخاك فى الرّجوع إلى بلده ، وملـكه . فقال : هو أعسر من ذلك وأنـكد . فقالوا : اُقتله وتملّك علينا ، وأنت أحقّ بالمُلك من أخيك ، وأنت أعقل وأحسن نظراً لقومك . فقال : أخاف ألاّ تفعلوا وأكون قد قتلت أخى ، ويخرج المُلك من يدى . فأعطُوه من العهود والمواثيق ما ثلج به صدرُه . فأجمع الرّؤساء كلهم على قتله ، إلاّ رجلاً منهم يقال له : ــ ذو رُعين ــ فإنه خالفهم وقال : ليس هذا برأى ، يذهب المُلك من حِمْير . فشجّعه الناس على قتل أخيه ، فقال ذو رُعين : إن قتلته باد مُلكك . فلمّا رأى ذو رُعين ماأجمع عليه القوم أتاه بصَحيفة مختومة ، فقال : ياعمرو ، إنى مستودعك هذا الـكتاب فضَعه عندك فى مكان حريز ، وكتب فيه :

ألاَ مَن يَشْترى سَهَراً بنوم ... سَعيدٌ مَن يبيت قَريرَ عَيْنِ

فإنْ تكُ حِمْيرٌ غَدرت وخانت ... فمعـــذرة الإله لذِى رُعين

فأتى عمرو أخاه حسّان وهو نائم على فراشه فقتله ، واستولى على مُلـكه ، فلم يُبارَك له فيه . فسلّط الله تعالى عليه السَّهر ، وامتنع منه النوم ، فسأل الأطبّاء والـكُهّان والعُياف ، فقال له كائن منهم : ما قَتل رجل أخاه قطُّ إلاّ امتنع عليه نومه . فقال : هذا عمل رؤساء حِمْير ، حملونى على قتله ليرجعوا إلى بلادهم ولم ينظروا إلىّ ولا لأخى . فجعل يقتل مَن أشـــار عليه منهم بقتله ، فقتلهم رجلاً رجلاً ،

حتى خلص إلى ذى رُعين وأيقن بالشرّ ، فقال له ذو رُعين : ألم تعلم أنى أعلمتُك ما فى قتله ، ونهيتُك و بيَّنت هذا ؟ فقال : وفيم هو ؟ قال : فى الكتاب الذى أستودعتُك . فأتى بالكتاب فقرأه فإذا فيه البيتان . فقال له : لقد أخذت بالحزم . فقال له : إنى خشيت ما رأيتك صنعت بأصحابى ، وتَشَتَّت أمر حِمْير حين قَتل أشرافها واختلفت عليه ، فوثب على عمرو رجل يقال له : لَخنيعة ليس من أهل بيت الملك ، و يُلقَّب : ذا شُناتر الحِميرى . وكان فاسقاً يعمل عمل قوم لُوط ، وكان يبعث إلى أولاد الملوك فإذا حضروا عنده لاط بهم . وكانت حِمْير إذا ليط بالغلام لم تستصلحه للملك ، ولم ترتفع له منزلة عندهم . فكان يقصد إسقاط أولاد الملوك بهذا الفعل عن مَرتبة الملك . فكان إذا أُتى بالغلام منهم فسق به ، ثم يخرج الغلامُ رأسَه من مكان عال يُشرف منه على الحرس وفى فمه السؤك ، فيثب الحرس فيقطعون مشافر ناقة المنكوح . وإذا خرج الغلام صِيح به : أرطب أم يَباس ؟ فمكث بذلك زماناً حتى نشأ من أولاد ملوك حِمْير غلام ، يقال له : زُرعة ذو نُواس. وكانت له ذؤابة ، وبها سُمى : ذو نواس . فلما نشأ قيل له : كأنَّك بالمَلك وقد فعل بك كذا وكذا ، فاتّخذ سكيناً لطيفاً رقيقاً وسمّه وجعل له غُلافاً . فلما دَعى به ذو شناتر جعله بين إخمصه ونعله ، وأتاه على ناقة له يقال لها : سراب ، فأناخها وصعد إليه . فلمّا خلا به وثب إليه ليُجامعه ، كما كان يفعل ، فأنحنى زُرعة فأخذ السّكين فوجأ بطنه بها فقتله ، وأحتز رأسه فجعل السواك فى فيه وأطلعه من الكوّة ، ورفع الحرس رؤوسهم فرأوه ، ونزل زُرعة ذو نواس فصاحوا به : زُرعة ياذا نواس ، أرطب أم يباس ؟ فقال : ستعلم الأحراس ، ألست ذى نواس ، رطب أم يباس ؟

وجاء إلى ناقته فركبها . فلمّا رأى الحرس أُطلاع الرأس صعدوا إليه ، فإذا هو قد قُتل . فأتوا ذا نواس فقالوا : ما ينبغى أن يملكنا غيرك ، بعد أن أرحتنا من هذا الفاسق . واُجتمعت حِمْير إليه ، وهو الذى تهوّد وتسمّى : يوسف . وهو صاحب الأخدود بنجران ، وكانوا نصارى فحرقهم وحرق الإنجيل وهدم الكنائس ، ومن أجله غزت الحبشة اليمن ، لأنّهم نصارى . فلمّا غلبوا على اليمن اُعترض ذو نواس البحر فاُقتحمه على فرسه فغرق .

وقد تقدم ذكر ذلك وما آل إليه أمر الحبش .

مُــرّة بن مِحْــكان

ثم ذكر أبو الفرج : مُرة بن مِحكان .

وكان فى عصر جرير والفرزدق ، فأخملا ذكره لنباهتهما فى الشعر . وكان شريفاً جواداً . وأنه أنهب ماله فى الناس . فحبسه زياد ثم أطلقه . شىء عنه

ولم أختر له إلاّ الشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره ، وهو ممَّــا اُختاره أبو تمّــام فى كتاب الحماسة : شعره الذى فيه الغناء

يا ربّةَ البيت قُومى غير صــاغرة ... ضُمِّى إليك رحالَ القوم والقِرَبَا

فى ليلة من جُمادى ذات أندية ... لا يُبصر الكلب فى ظلمائها الطُّنبا

لا ينَبح الكلب فيها غير واحدة ... حتى يلُف على خيشومه الذّنبا

وحَــكى الرّياشى قال :

سألت أبا عُبيدة عن قول مُرة بن مِحْــكان :

* ضُمِّى إليك رحال القوم والقرَبا *

ما الفائدة فى هذا ؟ فقال : لأنّ الضَّيف إذا نزل بالعرب فى الجاهلية ضمُّوا إليهم رحله و بقى سلاحه معه خوفاً من البَيات[1] . فقال مُرّة يُخاطب اُمرأته :

* ضُمِّى إليك رحال القوم والقِرَبا *

أى : رحال هؤلاء الضّيفان وسلاحهم ، فإنّهم عندى فى عزّ وأَمن مِن البَيات والغارات ، فليسوا ممن يحتاج إلى أن يبت لابساً سلاحه .

---

(١) البيات : الإيقاع بالعدو ليلا .

أخبار العُديل

نسبه

هو : العُديل بن الفَرخ بن معن بن الأَسود بن عمرو بن عوف بن ربيعة بن جابر أبن ثَعلبة بن سُمَىّ[1] بن الحارث بن ربيعة بن عِجْل بن لُجيم بن صَعب بن على أبن بكر بن وائل بن قاسط بن وهب بن أقصى بن دُعمى بن جديلة بن أسد أبن ربيعة بن نزار .

شيء عن عجل جده

وذُكر أن عجلاً كان من محمقى العرب .

قيل له : إنَّ لكل فرس جواداً أسماً ، وإنَّ فرسك هذا سابق جواد ، فسمِّه ، ففقأَ إحدى عينيه وقال : قد سمَّيته الأعور ، وفيه يقول الشاعر :

رَمتْنى بنو عِجـل بداء أبيهمُ ... وهل أحدٌ فى الناسِ أحمقُ من عِجْلِ

أليس أبوهم عارَ عَيْن جواده ... وسارت به الأمثالُ فى الناسِ بالجهل

أموى

والعُديل شاعر مُقل ، من شعراء الدولة الأموية .

هرب لقتله عبده وقصة ذلك

وذُكر أن العُديل كان جَرحه عبد يقال له : دافع[2] ، فترصَّده العُديل حتى ظفر به ليلة فقتله ، فاستعدى سيد دافع عليه الحجَّاج بن يوسف وطالبه بالقَود ، فهرب العُديل من الحجَّاج إلى بلد الرُّوم ، ولجأَ إلى قيصر فأمنه ، وقال فى الحجّاج :

---

(١) وكذا فى الجمهرة (٢٩٥) . وفى التجريد : « شنى » .

(٢) غير التجريد : « دابغ » .

وَدُون يدِ الحجّاج من أن تَنالنى بِساطٌ لأَيدى النّاعجات عريضُ
مَهامه أشـــباه كأنّ سرابها مُلاءٌ بأيدى الغاسلات[1] رَحيض

فبلغ شـــعرُه الحجاج ، فكتب إلى قيصر ملك الرُّوم : لتبعثن به إلىّ أو لأغزينَّك جيشاً يكون أوّله عندك وآخره عندى . فبعث به قيصر إلى الحجّاج. فقال له الحجاج ، لمّـا دخل إليه : أنت القائل :

* ودون يد الحجّاج من أن تنالنى *

فكيف رأيت الله أمكن منك ؟ فقال : بل أنا القائل أيها الأمير :

فلو كنت فى سَلمى أجا وشِعابها لـكان لحجّاجٍ علىّ ســبيلُ
خليل أمير المؤمنين وســيفُه لـكل إمام مُصطفى وخَليـــل
تبنى قُبّة الإسلام حتى كأنّما هدَى الناسَ من بعد الضَّلال رسول

فخلَى سبيله ، وتحمّل دية دافع[2] فى ماله .

خروجه عن الحجاج إلى ابن المهلب

وذُكر أن العُديل اُستأذن يوماً على الحجّاج ، فحجبه الحاجب ، فوثب عليه العُديل وقال : إنّه لن يدخل على الأمير بعد رجالات قريش أكبر منّى ولا أولى بهذا الباب ، فنازعه الحاجب الـكلام ، فأحفظه . وانصرف العُديل عن باب الحجّاج إلى يزيد بن المهلّب ، فلمّـا دخل إليه أنشأ يقول :

لئن أرتج الحجّاجُ بالبُخل بابَه فباب الفتى الأزدى بالعُرف يُفتَحُ
فتًى لا يُبالى الدّهرَ ما قلّ ماله إذا جَعلت أيدى المـكارم تَسنح
يداه يدٌ بالعُرف تَنهب ماحوت وأخرى على الأعداء تَسطو وتَجرح

---

(١) غير التجريد : « الراحضات » . والراحضات : الغاسلات . والرحيض : المغسول .
(٢) غير التجريد : « دابغ »

إذا ما أتاه المُرمِلون تيقّنوا بأنّ الغِنى فيهم وشيكاً سيسرحُ
أقام على العافين حُرّاس بابه يُنادونهم والحُرّ بالحُر يفرح
هلمّوا إلى عُرف الأمير(١) وبابه فإنّ عطاياه على الناس تنفح
وليس كعِلج من ثمود يكُفه عن الجود والمعروف جِذْم مُطوّح

فقال له يزيد بن المهلّب : عرّضت بنا وخاطرت بدمك ، وتالله لا تصل إليك جائزتى وأنت فى حَيزى ، وأمر له بخمسين ألف درهم وأفراس ، وقال : ألحق بعَلياء نجد ، واُحذر أن تعلقك حبائل الحجاج أو تحتجنك محاجنُه ، وابعث إلىّ فى كل عام فلك مثل هذا ، فارتحل . وبلغ الحجاج خبره ، فأحفظه ذلك على يزيد ، وطلب العُديلَ ففاته ، وقال لمّا نجا :

ودون يد الحجاج من أن تنالنى بِساط لأيدى الناعجات عريضُ

ثم ظَفر به الحجاج بعد ذلك ، فقال له أنشدنى قولك :

* ودون يد الحجاج من أن تنالنى *

فقال : لم أَقُل هكذا ، ولكنّى قلت :

إذا ذُكر الحجّاج أضمرتُ خِيفة لها بين أثناء الضُّلوع نَئيضُ

فتبسّم الحجاج وقال : أولى لك ، وعفى عنه ، وفرض له .

شعره فى وائل لتوسطهم لدى الحجاج فى أمره

وذُكر أنه لمّا غضب عليه الحجّاج سألت فيه أشرافُ وائل الحجاجَ ، فأجاب الحجّاجُ سؤالهم . فقال العُديل قصيدته التى يمدح فيها قبائل وائل ، وهى من مختار الشّعر ، أولها :

(١) غير التجريد : « سيب الأمير وعرفه » .

صَرم الغوانى وأستراح عَواذلى وصحوتُ بعد صَبابة وتمايلِ[1]

ومنها :

يأخذْنَ زينتهنّ أحسن ما ترى وإذا عَطِلْن فهنّ غيرُ عَواطل
وإذا خَبَأْن خُدودهن أَرَيْننا حَدق المها وأخذن نَبل[2] القاتل
ورمينَنى لا يستَتِرن بجُنّة إلاّ الصِّبى وعَلِمْن أين مَقاتلى
يَلْبسن أردية الشباب لأهلها ويجُرّ باطلُهن حَبل الباطل
بيَض الأنوق كأنهنّ ومَن يُرد بَيض الأنوق فوَكْرها بمَعاقل
زَعم الغَوانى أنّ جهلَك قد صحا وفَشا برأسك فضلُ شَيْب شامل
ورَآك أهلُك منهمُ ورأيتهم ولقد تكون مع الشّباب الخاذل
وإذا تطاولتِ الجبالُ رأيتنا بفُروع أرعَنَ فوقها مُتَطاول
حَدِبتْ بنو بكر علىّ وفيهمُ كلّ المَكارم والعديد الكامل
خَطروا ورائى بالقَنا وتجمّعت منهم قبائلُ أُردفت بقبائل
إنّ الفَوارس من لُجَيم لم تزل فيهم مَهابة كُل أبيَض فاعل
قومٌ إذا شَهروا السُّيوف رأَوْا لها حقًّا ولم يكُ سَلّها بالباطل
ولئن فخرتُ بهم لِمثْلُ قَديمهم بَسط المفاخر للسان القائل

(١) غير التجريد : « وتمائل » .
(٢) غير التجريد : « سهم » .

عفو الحجاج عنه بعد غضبه عليه

وذُكِر أنه لمّا قدم الحجّاج بن يوسف العراق ، قال العُديل :

دعُوا الجُبنَ يأهل العراق فإنما يُهان ويُسْبَى كُلُّ مَن لا يُقاتلُ
لقد جَرَّد الحجاج للحقِّ سيفَه ألاَ فاستقيمُوا لا يَميلنّ مائل
وخافُوه حتى القوم بين ضُلوعهم كنَزْو القَطا ضُمَّت عليه الحبائل
وأَصبح كالبازى يقلِّب طَرفه على مَرقَبٍ والطيرُ منه دَواخل(١)

فلمّا بلغ الحجاجَ الشعرُ قال : ما تقولون فيه ؟ قالوا : يقول : إنه مَدحك . قال : كلاَّ ، ولكنه حرَّض أهلَ العراق علىّ ؛ وأمر بطلبه ، فهرب ، وقال :

أُخَوَّف بالحجَّاج حتى كأنما تحرَّك عَظْمٌ فى الفُؤاد مَهِيضُ

و بعده البيتان اللذان تقدَّم ذكرُهما . فجدَّ الحجَّاج فى طلبه حتى ضاقت عليه الأرضُ ، فأتى واسطا وأَخذ رُقعة بيده ، ودخل إلى الحجَّاج فى أصحاب المَظالم ، ووقف بين يديه وأنشأ يقول :

ها أنا ذا ضاقتْ بِىَ الأرضُ كلُّها إليك وقد جوَّلتُ كُلَّ مكانِ
فلو كنتُ فى ثَهلان أو شُعبَتَى أَجا لخِلْتُك إلاَّ أن تَصُد تَرانى

فقال له الحجَّاج : العُديل أنت ؟ قال : نعم ، أيها الأمير ، فلوى قَضيبَ خَيْزُران كان فى يده فى عنقه ، وجعل يقول : إيه ،

* بساط لأيدى الناعجات عريض *

فقال : لا بساط إلاَّ عفوك . فقال : اذهب حيث شئت .

---

(١) غير التجريد : « رواحل » .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار العُديل، هو :

فإنْ تكُ من شَيبانَ أُمى فإنَّنى   لأَبيَض عِجلىٍّ[1] عَريض المَفارقِ
وكيف بذكرى أُم هارون بعد ما   خَبطن بأيديهنَّ رَمل الشَّقائق
وإنّا لنغلى فى الشـتاء قُدورنا   ونَضرب تحت اللاَّمعات الخوافق

(١) غير التجريد : « من عجل » .

صخــــر الغى

ثم ذكر أبو الفرج : صخر بن عبد الله الجشمى ، المعروف بصخر ٱلغىّ . نسـبه

وهو أحد بنى جُشم بن عمرو بن الحارث بن تَميم بن ســـعد بن هُذيل .

و إنمـا لقب : صخر ٱلغى ، لخلاعته وشـــدّة بأْسه وكثرة شرِّه . لقبه

و لم أختر له شيئا[1] .

(١) وبعد هذا أسقط ابن واصل ترجمتين أولاهما : لعمرو ذى الـكلب ، والثانية للقيط .

أخبار نُصيب الأصغر

نشأته

هو عبدٌ نشأ باليمامة . واشتراه المهدى فى حياة أبيه أبى جعفر المنصور . فلمّا سمع شعره قال : والله ما هو بدون نُصيب ، مولى بنى مروان ، فأعتقه وزوّجه أمةً يقال لها : جعفرة ، وكنّاه أبا الحجناء ، وأقطعه ضيعة بالسّواد ، وعُمِّر بعده .

شعر له أعجب به الفضل بن يحيى

وحكى إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال :

أنشدتُ الفضلَ بن يحيى قولَ أبى الحجْناء نُصيب :

عنـد الملوك مَضرّة ومَنافع ... وأرى البَرامك لا تَضُرُّ وتَنْفَعُ

إنّ العُروق إذا أستسرَّ بها الثَّرى ... أشِر النّباتُ بها وطاب المَزْرع

وإذا نَكِرْت من أمرئٍ أعراقَه ... وقديمَه فأنظُر إلى ما يَصنع

فأعجبه الشِّعر وقال : والله يا أبا محمد لكأنِّي لم أسمع هذا القول إلاّ السّاعة ، وما له عندى عَيب إلاّ أنِّى لم أكافئه عليه . فقلت له : وكيف ذاك ، أصلحك الله ، وقد وهبتَ له ثلاثين ألف درهم ؟ فقال : لا والله ، ما ثلاثون ألف دينار بمكافأة له ، فكيف ثلاثون ألف درهم ؟

استملاح ابن سليمان لبيت له

وحكى أحمد بن سليمان بن أبى شيخ قال :

كان أبى يستملح قولَ نُصيب ، وقد رأى كثرة الشُّعراء على باب الفضلِ ابن يحيى ، فلمّا دخل الناس إليه ، قال له :

ما لَقِينا من جنود فضل ابن يحيى ... ترك الناس كُلّهم شُعراء

ويقول : ما فى الدنيـا أحسن من هذا المعنى ، على أنه قد أخذ منهم مالاً جليلاً ، ولـكن قلَّمـا سمعت بطبقته مثله .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار نُصيب الأصغر ، هو :

أَلْبَيْن يا ليلى جِمـالك تَرحل ... ليقطَع مِنَّا البينُ ما كان يُوصلُ
تُعلِّلنـا بالوعــد ثُمت تَلْتوى ... بمَوعدها حتى يَموتَ المُعلَّل
ألم ترَ أن الحبل أصبح واهياً ... وأخلف من ليلى الذى كُنتَ تأمُل
فلا الحبل من ليلى يُواتيك وصله ... ولا أنت تَنْهى القلبَ عنها فيذهل

وهذه القصيدة من جيد شـعره ، يمدح بها نُصيبٌ هارونَ الرشـيد ، وفيها يقول :

خَليلىَّ إنِّى ما يزال يشُوقنى ... قطينُ الِحمى فى الظاعن[1] المُتحمِّلِ
أمِن أجل آيات ورَسْم كأنّه ... بقيةُ وَحْىٍ أو رِداءٍ مُسَلْسَـل
جرى الدمعُ من عينيك حتى كأنّه ... تحدَّر دُرٌّ أو جُمان مُفصَّل
فيأيها الزِّنجى مالك والصِّبا ... أَفِقْ من طِلاب البِيض إن كُنتَ تَعقِل
فمِثْلك من أُحبوشة الزِّنج قُطِّعت ... وسـائلُ أسبابٍ بهـا يتوسَّل
قَصــدنا أميرَ المُؤمنين ودونه ... مَهامه مَوماةٍ من الأرض مَجْهل
إلى مَلِكٍ صَلْتِ الجبين كأنّه ... صفيحة مَسْنونٍ جَلا عنه صيقل
إذا أُنبلج البابان والسِّترُ دونه ... بدا مثل ما يبدو الأغرُّ المُحجَّل
شريكان فينا منه عينٌ بَصيرة ... كَلُوءٌ وقَلْبٌ حافظٌ ليس يَغفُل

(١) غير التجريد : « والظاعس » .

وما نازعتْ فينا أُمورَك هفوةٌ ولا خَطْلة فى الرأى والرأى يَخْطَل
فما فات عَينيه وعاه بقلبه فآخِر مايَرْعى ســـواء وأوّل
وما زادك المُلكُ الذى نِلت بَسْطَةً ولكنْ بتَقْوى اللهأنت مُسربل
إذا ما رَهبنا(1) من زمان مُلمَّةً فليس لنا إلا عليك المُعوَّل

وهى طويلة .

غضب المهدى عليه ثم عفوه عنه وجائزته له

وذُكر أن المهدى وجَّه نُصيباً الشاعر مولاه إلى اليمن ، فى شراء إبل مَهرية ، ووجَّه رجلاً من الشيعة معه ، وكتب معه إلى عامل اليمن بعشرين ألف دينار ، فمَدَّ نُصيب يده فى الدنانير يُنفقها فى الأكل والشرب والتَّزويج وشراء الجوارى . فكتب الشيعى بخبره إلى المهدى ، فكتب المهدى بحَمله مُوثقاً فى الحـديد . فلمَّا دخل نُصيب إلى المهدى ، وهو على تلك الحال ، أنشده قصـيدة طويلة ، أولها :

تَأوَّبنى ثِقلٌ من الهم مُوجِـعُ فأرَّق عينى والخَلِيُّون هُجَّعُ
هُمومٌ توالت لو أطاف يَسيرها بسَلْمى لظلَّت شُمُّها تتصدَّع

يقول فيها :

إليك أمــير المؤمنين ولم أجد سواك مُجيراً منك يُدنى ويَمنع
تأمَّلتُ(2) هل من شافعٍ لى لم أجد سوى رحمةٍ أعطاكها اللهُ تَشْفع
لئن جَلَّت الأجرام منِّى وأفظعت لَعفوُك عن جُرمى أجلُّ وأوسع

---

(1) غير التجريد : « دهمتنا » .
(2) غير التجريد : « تلمست » .

ومنهـا :

و إنى لمَولاك الذى إن جفوتَه أتى مُسـتكيناً خاضعاً يتضرّعُ
و إنى لمولاك الضَّعيف فأعفنى فإنى لِعَفْوٍ منك أهلٌ ومَوْضع

فقطع عليه المهدى الإنشاد ، ثم قال : ومَن أعتقك يابن السّوداء ؟ فأومأ بيده إلى موسى الهادى ، وقال : الأمـير موسى يا أمير المؤمنين فقال المهدى لموسى : أعتقته يابُنى ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . فأمضى المهدى ذلك ، وأمر بحديده ففُك عنه ، وأمر له بجارية يقال لها : جعفرة ، جميلة فائقة ، من رُوقة الرَّقيق[1] . فقال له سالم ، قيِّم دار الرَّقيق : لا أدفعها إليك أو تعطينى ألف درهم . فقال قصيدته التى أوَّلها :

أآذنَ الحىُّ فانصاعوا بترحالِ فهاج بَينهُمُ شـوقى وَ بلبالِى

وقام بها مادحاً المهدى ، فلمّـا انتهى منها إلى قوله :

ما زلتَ تبذل لى الأموالَ مجتهدا حتى لأصبحتُ ذا أهل وذا مالِ
زوّجتنى يابن خير الناس جاريةً ما كان أمثالها يُهدى لأمثـالى
زوّجتنى بَضَّة بيضـاء ناعمة كأنّهـا دُرّة فى كفّ لأّال
حتى توهمتُ أنّ الله عجّلها يابن الخلائف لى من خَير أعمالى
فسالنى سـالمٌ ألفاً فقلت له أنّى لىَ الألف ياقُبّحت مِن سالى

---

(١) روقة الرقيق : حسانهن .

هيهـات ألفُك إلاّ أن أجئَ بها ... من فَضل مولًى لطيفِ المَنّ مِفْضال

فأمر له المهدى بألف دينار ، ولسالم بألف درهم .

شعره فى الحبس

وذُكر أنّ نُصيباً حُبس باليمن مدة طويلة ، ثم أشخص إلىّ المهدى ، وقال وهو فى الحبس ، ودخلت إليه ابنته حَجناء فلمّا رأت قيوده بكت ، فقال :

لقد أصبحت حَجناء تَبكى لوالد ... بدِرّة عَين قلّ عنه غَناؤُهَا

أحَجناء صبراً كُلّ نفس رهينة ... بموتٍ ومكتوبٌ عليها بَلاؤها

أحجناء أسبابُ البلاء[1] بمرصَدٍ ... فإنْ لا يُعاجل غَدْوها فَمساؤها

أحجناء إنْ أفلتْ من السجن تَلْقنى ... حُتوفُ مَنايا لا يُرَدّ قَضاؤها

أحجناء إن يُصبح أبوك ونفسه ... قصيرٌ تَمنِّيها طويلٌ عَناؤها[2]

لقد كان فى دُنيا تفَيأ ظلَّها ... عليه ومجلوبٌ إليـه بهاؤها

هو وثمامة فى موت أخيه

وذُكر أنه دخل نُصيب الأصغر على ثُمامة بن الوليد العَبسى، وقد مات أخوه شيبة ، وهو يفرِّق خَيله على الناس ، فأمر له بفرس ، فأبَى أن يقبله ، وبكى وقال :

ياشَيبة الحمد[3] أمّا كنت لى شَجنا ... آليتُ بعدك لاأبكى على شَجَن

أضحت جياد أبن قَعْقاع مُقسَّمة ... فى الأَقْر بين بلاَمَنّ[4] ولا ثَمن

ورَّثتَهم فتعَزَّوا عنك إذ ورثوا ... وما ورثتُك غيرَ الهمّ والحَزن

فجعل ثمامة ومن عنده من أهله وإخوانه يبكون .

---

(١) غير التجريد : « المنايا » .

(٢) غير التجريد : * قليل تمنيها قصير عزاؤها *

(٣) غير التجريد : « الخير » . (٤) غير التجريد : « حمد » .

شيء من أخبار شيبة مع اليزيدى

وذُكِر أنْ شيبة بن الوليد هـذا كان عارض أبا محمد اليزيدى فى شيء من النحو بين يدى الرشيد ، فقال فيه أبو محمد يهجوه ، وهو من جيد الاُستطراد فى الهجو :

عِشْ بجَدٍّ فلن يضرَّكَ نَوكٌ[1] إنمـا عيشُ من ترى بالُجدودِ
عِشْ بجَدٍّ وكُن هبَنَّقة القَيسىِّ[2] جهلاً أو شَيبةَ بن الوليد

(١) النوك : بالضم والفتح : الحمق .

(٢) هبنقـة القيسى : ذو الودعات ، يزيد بن ثروان ، وكان جعل فى عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف مع طول لحيته . فسئل فى ذلك ، فقال : لئلا أضـل . فسرقها أخوه فى ليلة وتقلدها ، فأصبح هبنقة ورآها فى عنق أخيه ، فقال : أخى أنت أنا ، فمن أنا ! فضرب بحمقه المثل .

أبو شُراعة

نسبه

ثم ذكر أبو الفرج : أبا شُراعة أحمد بن محمد بن شُراعة ، أحد بنى بكر ابن وائل .

ما اختاره ابن واصل من شعره

وهو شاعر من شعراء الدولة العبَّاسية ، وأورد له شعراً ، فلم أختر له إلا ثلاثة أبيات ؛ لأن شعره ليس برقيق ولا سهل ، بل هو حُوشى متعقد .

وكان جوَاداً لا يُمسك شيئاً ، وكانت به لُوثة ، وكان كالبَدوىّ فى مذهبه .

و بلغه أن أخاه قال : إن أخى مجنون ، فقد أفقرنا وأفقر نفسه . فقال :

أُنبزُ مَجْنوناً إذا جُدت بالذى ملكتُ و إن دافعتُ عنه فعاقلُ
فداموا على الزُّور الذى قُرِفوا به ودُمت على الإعْطاء ما جاء سائل
أَبَيْتُ وتأبى لى رجالٌ أشحّة[1] على المَجد تَنْميهم تَميم ووائل

---

(١) التجريد : « أعزة » .

أخبار ابن البواب

هو : عبد الله بن محمد بن غياث[1] بن إسحاق . من أهل بخارى . نسبه

وُجّه بجَدّه ، ومعه رهينة ، إلى الحجاج بن يوسف ، فنزلوا عنده بواسط ، وأقطعهم سكة بها ، فاختطوها . ونزلوها طول أيام بنى أمية . وانقطعوا فى الدولة العباسية إلى الربيع فخَدموه . نشأته

وكان محمد بن غِياث يخلف الربيع فى أيام المنصور فى حَجبته . أبوه

وكان عبد الله بن محمد يخلف الفضل بن الربيع فى حَجبة الخلفاء . شىء عنه

وكان صالحَ الشّعر قليله ، راوية لأخبار الخُلفاء . عالماً بأمورهم . وخدم محمدا الأمين بن الرشيد ، فأغناه ومدحه ، ونال من المأمون وعرّض به . صلته بالأمين

وذُكر أنّ المأمون لما أُتى بشعر ابن البواب ، الذى يقول فيه : هو والمأمون

أيبخل فَرْدُ الحسن فردُ صفاته ... علىّ وقد أفردتُه بهَوًى فَرْدِ
رأى اللهُ عبد الله خير عباده ... فملّكه والله أعلم بالعَبد
إلا إنما المأمونُ للناس عِصْمة ... مميّزة بين الضلالة والرُّشد

فقال المأمون : أليس هو القائل :

أعينَىّ جُودا وابكيا لى مُحمدا ... ولا تَذخرا دَمعًا عليه وأَسْعدا
فلا فَرِحَ المأمونُ بالمُلك بعده ... ولا زال فى الدُّنيا طريداً مُشرَّدا

---

(١) غير التجريد : « عتاب » .

هيهات ، واحدة بواحدة ، ولم يصله بشىء .

رضى المأمون عنه

وذُكر أنه لمّا طال سُخط المأمون على أبن البواب قال قصيدةً يمدحه بها ، ودَسّ من غنّى المأمون ببَعضها ، لمّا وجد منه نشاطاً ؛ فسأل عن قائلها فأُخبر ، فرضى عنه وَرده إلى رَسْمه من الخِدمة . والقصيدة هى :

هل للمُحبّ مُعِينُ إذ شَطَّ عنه القرينُ
أبكى العُيونَ وكانت به تَقَرُّ العُيونُ
يأيُّها المأمونُ الـ مبارك المَيْمون
لقد صَفت بك دنيا المُسلمين ودِين
عليك نورُ جَلالٍ ونُورُ مُلْك مُبين
القول منك فِعال والظنُّ منك يَقين
ما من يديك شمال كلتا يدك يَمين
كأنما أنت فى الجو د والتُّقى هارون
من نال من كُل فضل ما ناله المأمون
تألف الناسَ فَضلٌ منه وجودٌ ولِين
كالبدر يبدو عليه سَكينة وسُكون
فالرِّزق من راحتَيه مُقسَّم مَضْمون

شعره الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج ، أخبار بن البواب ، هو :

إذا أبصرتْكَ العينُ من بَعد غاية وأوقعتُ شكًّا فيك أثبتَك القَلْبُ

ولو أن رَكْبًا يَمَّموك لقادَهم نَسِيمُك حتى يَستدِلَّ بك الرَّكْب

وقبل هاتين البيتين :

أَفِقْ أَيُّها القلبُ المعذَّب كم تصبو فلا النأى عن سَلْماك يُسلى ولا القُرْبُ

أقول غـداةَ استخبرتْ مِمّ عِلّتى من الحب كَرْب ليس يُشبهه كَرْب

أخبار
محمد بن عبد الملك الزيات

اسمه وكنيته

هو : محمد بن عبد الملك بن أبان بن أبى حمزة . يُكنى : أبا جعفر .

نشأته

وكان أبوه مُوسراً ، من تجار الكرخ المياسير ، وكان يحثه على التجارة وملازمتها ، فيأبى إلا الكتابة ، وطلبها وقصد المعالى ، فبلغ من ذلك ما طلب . فإن أحواله ترقّت حتى وَزر المعتصم ، ثم للواثق ابنه ، ثم المتوكل ابن المعتصم .

وزر ثلاثة

وهو أول من وزر لثلاثة خُلفاء ، لم يتقدم ذلك لوزير قبله .

منزلته فى الشعر والكتابة

وكان شاعراً مُطيلا مجيداً ، لا يقاس به أحد من الكتّاب ، وإن شاركه إبراهيم بن العباس الصولى فى جَودة الشِّعر ، إلا أن محمداً امتاز عليه بالإطالة . وكان إبراهيم صاحبَ قصار ومَقطوعات ، وكان محمد بليغاً حسن اللفظ إذا تكلم وإذا كتب .

وحكى ابنه عمر بن محمد قال :

حديث ابنه عن نشأته

كان جَدّى موسراً من تُجّار الكرخ ، وكان يريد من أبى أن يتعلّق بالتجّارة ويتشاغل بذلك ، فيمتنع منه ويلزم الأدب وطلبه ، ومخاطبة الكُتّاب ، وملازمة الدواوين . فقال له ذات يوم : والله ما أرى ما أنت مُلازمه ينفعك وليضرنّك ؛ لأنك تدع عاجل المَنفعة ، وما أنت به مكفىّ ، ولك ولأبيك فيه مال وجاه ، وتطلب الآجل الذى لا تدرى كيف تكون فيه فقال : والله لتعلمنّ أيّنا ينتفع بما هو فيه : أنا أو أنت ؟

ثم شخَص إلى الحسن بن سهل بفَم الصُّلح[1] ، فامتدحه بقصيدة ، أولها :

كأنها حين تناءى خَطْوها أخنسُ مَوشيُّ الشَّوى يرعى القُلَلْ

فأعطاه عشرة آلاف درهم . فعاد بها إلى أبيه ، فقال له أبوه : لا ألومك بعد هذا على ما أنت فيه .

شعره فى الحسن لما وصله

وذُكر أن محمد بن عبد الملك ، لمّا وصله الحسنُ بما وصله ، قال له :

لم أمتدحْك رجاءَ المال أطلبُه لكنْ لتُلبسنى التبجيلَ والغُرَرا

وليس ذلك إلا أنَّنى رجلٌ لا أطلُب الوِرْدَ حتى أعرفَ الصَّدرا

من قصيدته فى الحسن بن سهل

ومن جملة القصيدة ، التى مدح بها محمدُ بن عبد الملك الزيّات الحسنَ ابن سهل :

إلى الأمير الحسنِ استنجدتُها أىّ مراد ومُناخ ومَحَلْ

سيف أمير المؤمنين المُنتضى وحِصن ذى الرِّياستين المُعتَقل

أباؤك الغرّ الأُلى جدّهمُ كسرى أنوشروان والناس هَمَل

من كُل ذى تاج إذا قال مضى كُل الذى قال وإنْ همَّ فَعل

فأين لا أين وأين مثلكم وأنتمُ الأملاك والناس خَوَل

ثم ضرب الدهر ضربانه ، فتعطل الحسن بن سهل ، وارتقى محمد بن عبد الملك إلى الوزارة ، ومرض الواثق ، فدخل عليه الحسن بن سهل عائداً ، وعنده وزيره محمد بن عبد الملك ، فجعل الحسن يتكلم فى العلّة وعلاجها ، وما يصلُح

---

(١) فم الصلح : نهر فوق واسط ، فيه كانت دار الحسن بن سهل .

للواثق من الأدوية والعلاج والغذاء أحسن كلام . فحسده محمد بن عبد الملك . فقال له : من أين لك هذا العلم يا أبا محمد ؟ فقال : إنى كنت أستصحب من كل صنعة رؤساء أهلها ، وأتعلم منهم ، ثم لا أرضى إلا ببلوغ الغاية . فقال له محمد ، وكان حسوداً : ومتى ذلك ؟ قال: فى زمان قلتَ فىَّ :

وأين لا أين وأين مثلكم   وأنتمُ الأملاك والناس الخَول

فخجل محمد بن عبد الملك وأطرق وعدل عن الجواب[1] .

قصيدته فى إبراهيم ابن المهدى يتهدده فى دين كان اقترضه من أبيه

وذُكر أنه لما وثب إبراهيم بن المهدى على الخلافة ببغداد ، وخرج على المأمون ، والمأمون إذ ذاك بخُراسان ، اقترض من مَياسير الكرخ مالاً ، فاقترض من عبد الملك الزيات عشرة آلاف ديناراً وقال: أنا أردها إليك إذا جاءنى مال . فلم يتم أمر إبراهيم ، وقدم المأمون ببغداد وتفرقت عن إبراهيم جموعه ، واستخفى، ثم ظهر وظفر به المأمون ورضى عنه ـ وقد تقدم ذكر ذلك ـ فطالبه الناس بأموالهم . فقال : إنما أخذتها للمسلمين وأردتُ قضاءها من فَيْئهم ، والأمر فيها الآن إلى غيرى . فعمل محمد بن عبد الملك الزيات قصيدة يخاطب بها المأمون ويحُضه على الفتك بإبراهيم ، ويحرضه على سفك دمه ، وهى بديعة فى معناها . ومضى بها محمد إلى إبراهيم بن المهدى فأقرأه إياها ، ثم قال له : والله لئن لم تُعطنى المال الذى اقترضته من أبى لأُوصلن هذه القصيدة إلى المأمون . فخاف إبراهيم أن يقرأها المأمون فيتدبر ما قاله فيوقع به ، فقال : خذ منى بعض المال ونجِّم علىَّ بعضه . ففعل ذلك ، بعد أن أحلفه إبراهيم بأوكد الأيمان ألا يُظهر قصيدته فى حياة المأمون . فوفى له بذلك ، ووفى إبراهيم بأداء المال . وقد أوردت القصيدة بتمامها لحسنها وما تضمَّنته من الحكم والفوائد ، وهى هذه :

---

(١) لم يرد هذا الخبر بجملته فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

ألم ترَ أنّ الشيء للشيء علّة | تكون له كالنار تُقدح بالزَّند
كذلك جرَّبت الأمور وإنما | يدُلك ما قد كان قبلُ على البَعْد
وظنّي بإبراهيم أنّ مكانه | سيَبعث يوماً مثل أيامه النُّكد
رأيتُ حُسينا حين صار محمد | بغير أمان فى يَدَيه ولا عَقد
فلو كان أمضى السيفَ فيه بضربة | فصيَّره بالقَاع مُنعفر الخدّ
إذن لم تكن للجُند فيه بقيَّة | فقد كان ما خُبِّرت من خَبر الجُند
همُ قتلوه بعد أن قتلوا له | ثلاثين ألفاً من كُهول ومن مُرد
وما نَصروه عن يدٍ سَلفتْ له | ولا قَتلوه يوم ذلك من حِقْد
ولكنّه الغدرُ الصُّراح وخِفة الـ | حُلوم وبُعد الرأى عن سَنَن القَصد
فذلك يومٌ كان للناس عِبرة | سيبقى بقاء الوَحى فى الحجر الصَّلد
وما يومُ إبراهيمَ إن طال عمره | بأبْعدَ فى المكروه من يومه عِندى
تذكّرْ أمير المؤمنين مُقامه | وأيمانه فى الهَزل منه وفى الجِدِّ
إذا هَزَّ أعواد المنابر باسته | تغنّى بسُعدى أو بمَيَّة أو هِند
ووالله ما مِن توبة نَزعتْ به | إليك ولا مَيل إليك ولا وُدِّ
ولكنّ إخلاص الضمير مُقرِّب | إلى الله زُلفى لا تَخيب ولا تُكدى
أتاك بها طوعاً إليك بأنفه | على رغمه واستأثر اللهُ بالحَمْد
فلا تتركنْ للناس موضع شُبهة | فإنك مجزىّ بحَسْب الذى تُسدى
فقد غَلطوا للناس فى نَصْب مثله | ومن ليس للمنصور بابنٍ ولا المهدى
فكيف بمَنْ قد بايع الناسُ والتقت | ببَيْعَته الركبان غَورًا إلى نَجْد

ومن صكّ تسليمُ الخلافةِ سَمعَه ... ينادى به بين السِّماطين من بُعدِ
وأىّ امرئ سمَّى بها قطُّ نفسه ... ففارقها حتى يُغيَّب فى اللّحد
وتزعم هذى النّابتيّة أنه ... إمام لها فيما تُسِرّ وما تُبدى
يقولون سُنّىٌّ وأية سنة ... تقوم بجَوْن اللون صَعل[1] القفاجَعْد
وقد جعلوا رِخص الطعام لعهده ... زعيماً له باليُمن والكوكب السّعد
إذا ما رأوا يوماً غلاءً رأيتهم ... يحنّون تحناناً إلى ذلك العَهد
وإقباله فى العيد يُوجف حوله ... وجيفُ الجياد واصطكاك القنا الجُرد
ورجّالة يمشون بالبيض حوله ... وقد شيّعوه بالقَضيب وبالبُرد
فإن قلت قد رام الخلافة قبله[2] ... فلم يُؤْت فيما كان حاول من جَد
فلم أجزه إذ خيّب الله سعيَه ... على خَطأٍ إذ كان منه على عَمد
ولم أرض بعد العفو حتى رفعته ... ولَلعَمُّ أولى بالتعهُّد والرِّفد
فليس سواء خارجىٌّ رَمى به ... إليك سَفاه الرأى والرأى قد يُردى
تَعاوت له من كل أوب عِصابة ... متى يُوردوا لا يُصدروه عن الوِرْد
ومَن هُو فى بيت الخلافة يلتقى ... به وبك الآباء فى ذِرْوة المَجد
فمولاك مولاه وجُندك جُنده ... وهل يجمع القَينُ الحسامين فى غِمد
وقد رابنى من أهل بيتك أننى ... رأيت لهم وجداً به أيّما وَجد
يقولون لا تبعد من ابن مُلمة ... صبور عليها النفس ذى مِرّة جَلْد
فَدانى وهانت نفسُه دون جُنده[3] ... عليه لدى الحال التى قَلّ من يَفدى

---

(١) غير التجريد : « صل » .
(٢) غير التجريد : « غيره » . (٣) غير التجريد : « ملكنا » .

على حين أعطى الناس صَفق[1] أكفهم ... علىّ بن موسى بالولاية والعهد
فما كان فينا من أبىَ الضيمَ غيرُه ... كريماً كفى ما فى القبول وفى الردّ
وجرّد إبراهيم للموت نفسه ... وأبدى سلاحاً فوق ذى مَيْعَة نَهْد
وأبلى ولم يبلُغ من الأمر جَهده ... فليس بمذموم وإن كان لم يُجد
فهذى أُمور قد يخاف ذوو النُّهى ... مغبَّتها والله يَهديك للرُّشد

قلت : لقد بالغ محمد بن عبد الملك فى التحريض ، وثم أمور تحتاج إلى تنبيه وشرح . فقوله : تعقيب لابن واصل

* رأيت حُسيناً حين صار محمد *

فالإشارة فيه إلى الُحسين بن على بن عيسى بن ماهان ، وكان فى زمن وقوع الفتنة بين الأمين والمأمون . قد وثب الُحسين هذا على الأمين فخلعه من الخلافة ، وقيّده واعتقله ، ودعى للمأمون ؛ فلو كان الُحسين بادر وقتل الأمين لاستتب له الأمر وانتظم ، وكانت المنّة حصلت للحُسين عند المأمون ، وصار عنده فى المنزلة التى صار عليها طاهر بن الُحسين بعد ذلك بقَتله الأمين ، لكنه تهاون ولم يفعل ذلك ، وعاد الُجند وشغبوا على الحسين ودخلوا على الأمين ، وفكوا عنه قيوده وأعادوه إلى الخلافة . وعفا عن الحسين ، ثم أُستشعر[2] الحسين فدعا للمأمون فلم توافقه الجند ، ثم هرب الحسين بن على بن عيسى ، فتبعه الجند فقتلوه ، وأتوا الأمين برأسه .

والمعنى الذى أراده محمد بن عبد الملك : أن الحسين ترك الحزم ، وفرط بترك قتله الأمين ، فكان فى تركه هلاكه ، فلا تفرط أنت بتهاونك وتركك إبراهيم ، فربما يكون هلاكك فى تركه .

---

(١) غير التجريد : « صفو » . (٢) استشعر ، يريد : استنهض وتجهز للحرب .

وقوله :

* فقد غلطوا للنَّاس فى نصب مثله *

فمعناه أنّ الغلط قد وقع فى إقامة خليفة ليس هاشميًّا ومن بيت الخلافة ، كما جرى لكثير من الخوارج ، فكيف يكون حال إبراهيم ، وهو عمك ، ومن السلالة الهاشمية والعباسية ، ويجمعك وإياه المهدى والمنصور وأباؤهما الأكابر ، فالخوف منه يكون أكثر .

وقوله :

* فإن قلت قد رام الخلافة قبله *

يريد : أنك أيها المأمون إن اعترضت بأن جماعة تعرضوا لهذا الأمر وعفوت عنهم فعَمِّى أولى بالعفو ، فجوابك : إنه ما يسوِّى العربى الجلف الخارجى الذى حسَّن له ضعف العقل طلبَ هذا الأمر وحالَ الهاشمى الذى هو من أهل بيت الخلافة ، فذاك يحسن العفو عنه ، إذ لا تُخاف غائلته ، وهذا لا يحسن لخوف غائلته ، سيما أن عسكرك هم عسكره ، ومواليك هم مواليه ، لأن الأب لكما واحد .

وقوله :

* وقد رابنى من أهل بيتك *

وما بعده .

فمعناه : أن خروج إبراهيم كان سببه أن المأمون كان أراد نقل الخلافة من ولد العباس إلى ولد على بن أبى طالب ، رضى الله عنهما ، وعيّن لولاية العهد بعده علىّ بن موسى الرضى . وأمر الناس بلبس الخضرة ونزع السواد ، الذى هو شعار بنى العباس ، فغضب لذلك بنو العباس ، وكانت عدتهم قد بلغت يومئذ نيفا وثلاثين ألفا ، وأقاموا للخلافة ببغداد إبراهيم بن المهدى . فيقول محمد بن عبد الملك : إن أهلك من بنى العباس شديدو المحبة والتعصب له بسبب

غضبه لهم وقيامه بنُصرتهم . وهذا أوكد فى أنه لا يُؤمَن وثُوبه عليك وقيام أهلك من بنى العباس بنُصرته .

وكانت الأسعار أيضا غلت فى أيام المأمون ورخصت فى أيام إبراهيم ، فاستبشر أهل العراق بولايته لذلك . فلما عاد المأمون عاد غلاء الأسعار ، فأشار محمد فى شعره إلى ذلك تحريضا للمأمون عليه .

وحرّضه أيضا عليه من جهة مَيل أهل السنة إليه وكراهيتهم للمأمون ، لأنه كان مُتشيعا ، فقد بالغ فى التحريض كل المبالغة ، وماترك ممكنا .

تولية المعتصم إياه الوزارة

ولما[1] ولى المعتصم الخلافة فوّض وزارته إلى الفضل بن مروان ، وكان قبل ذلك وزيره فى أيام أخيه المأمون ، ثم نكّب المعتصم الفضلَ بن مروان وولّى محمد بن عبد الملك الزيات الوزارة ، وتمكن عنده تمكنا عظيما .

شرطه لما ولى الوزارة

ولما ولى الوزارة اشترط ألا يلبس القَباء وأن يلبس الدُّراعة ويتقلّد عليها سيفا .

قسوته على الناس وقسوة المتوكل عليه

وكان محمد مع فضله وأدبه جبّاراً قاسى القلب وكان يقول : الرحمة خَوَر فى الطبيعة ، وضعف فى المُنّة[2] ، ومارحمت شيئا قط . فكانوا يطعنون فى دينه بهذا القول . فلما قبَض عليه المتوكل ووضعه فى التنّور الحديد ، قال : ارحمونى . قالوا له : وهل رحمتَ قط فتُرحم ؟ هذه شهادتك على نفسك وحكمك عليها .

وحكى ابنُه هارون بن محمد بن عبد الملك قال :

جلس أبى يوما للمظالم ، فلما انقضى المجلس رأى رجلا جالسا ، فقال له : ألك حاجة؟قال: تُدنينى إليك . فلما أدناه، قال:فإنى مظلوم وقد أعوزنى الإنصاف. قال : ومن ظلمك ؟ قال : أنت ، ولست أصل إليك فأذكر حاجتى . قال : ومن يَحْجُبك عنّى وقد ترى مجلسى منك . قال : يحجبنى عنك هيبتى لك ، وطول لسانك وفصاحتك ، واطراد حجتك . قال : ففيم ظلمتُك ؟ فقال : ضيعتى الفلانية

---

(١) لم يرد هذا الخبر فيما بين أيدينا من أصول الأغانى . (٢) المنة : القوة .

أخذها وكيلُك غصباً بغير ثمن ، فإذا وجب عليك خراج أديته باسمى لئلاّ يثبت لك اسم فى الديوان بملكها فيبطل ملكى ، فوكيلك يأخذ غلّتها وأنا أؤدى خراجها ، وهذا ما لم يُسمع به فى المظالم . فقال محمد : هذا قول يُحتاج فيه إلى بيّنة وإلى شهود وأشياء . فقال له الرجل : تؤمننى من غضبك حتى أجيب . فقال: أمنتك! فقال: البيّنة هم الشهود ، إذا شهدوا فليس يُحتاج معهم إلى شىء ، فما معنى قولك : وأشياء ، أى شىء هذه الأشياء إلا العىّ والحصر والتغطرس . فضحك محمد وقال : صدقت ، والبلاء موّكل بالمنطق ، وإنى أرى فيك مُصطنعاً ، ثم وقّع له بردّ ضَيعته ، وصيّره من أصحابه ، واصطنعه[1] .

هو وأبو دنفش

وذُكر أن أبا دنفْش الحاجب جاء يوما إلى محمد بن عبد الملك الزيات برسالة من المُعتصم ليحضر ، فدخل ليلبس ثيابه ، ورأى أبو[2] دنفش الحجب غلماناً له رُوقة ، فقال : وهو يظن أنه لا يسمع :

وعلى اللِّواط فلا تلومَنْ كاتباً   إن اللِّواط سجيّة الكُتّابِ

فقال محمد :

وكما اللِّواط سجيَّة الكُتّاب   فكذى الخلاق سجيّة الحُجّاب

فاستحيا أبو دنفش واعتذر إليه . فقال: إنما ينفع العذر لو لم يقع الاقتصاص ، فأما وقد كافأتك فلا .

إعتذاره إلى عبدالله ابن طاهر

وذُكر أن عبد الله بن طاهر استبطأ محمد بن عبد الملك الزيات فى بعض أموره ، واتهمه بعدوله عن شىء أراده إلى سواه . فكتب إليه محمد يعتذر ، وكتب فى آخر كتابه :

---

(١) لم يرد هذا الخبر بجملته فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

(٢) التجريد : « ابن » .

أتزعُم أننى أهـوى خليـلاً سواكَ على التّـدانى والبِعادِ
جحدتَ إذن مُوالاتى عليّاً وقلتَ بأننى مولى زِياد

ومما يستحسن فى الشَّيب قولُ محمد بن عبد الملك الزيات : مما يستحسن له فى الشيب

وعائِب عابنى بشَيبٍ لم يَعْدُ لمـا ألمّ وقتَه
فقلتُ إذ عابني بشَيبي يا عائبَ الشَّيب لا بلغتَه

قيل : وكان قاضى القضاة أحمد بن أبى دُوَاد بينه وبين محمد بن عبـد الملك الزيات عداوة شديدة ، فـكان محمد يهجوه ، وكان أحمد يجمع الشعراء ويحرضهم على هجائه ويصلهم . ثم قال فيه بيتين ، كانا أجود ماهُجى به ، وهما : هجاء ابن أبى دواد له

أحسن من خمسين بيتًا سُدى جمعـك إياهـن فى بَيتِ
ما أحوج النـاس إلى مَطرة تَغسلهم مـن وَضر الزيت

وذُكر أن أبا تمام الطائى لمـا مدح محمد بن عبد الملك الزيات بقصيدته التى يقول فيها : بينه و بين أبى تمام

* لهان علينا أن نقول وتفعلا *

فأثابه عليها ، وكتب إليه محمد :

رأيتُك سهل البَيع سمحاً وإنما تغالى إذا ما ضن بالشىء بائعه
فأما الذى هانت بضائع بَيعه فيُوشك أن تبقى عليه بضائعه
هو الماء إن أجممته طاب وِردُه ويَفسد منه ما تُباح شرائعـه

فأجابه أبو تمام :

أباجعفر إن كنتُ أصبحت شاعراً أسامح فى بيعى له من أبايعُه
فقد كنتَ قبلى شاعراً تاجراً به تُساهل من عادت عليك منافعه

فصرتَ وزيرا والوزارة مَكرع   يغصّ به بعد اللذاذة كارعه
وكم من وزير قد رأينا مُسلَّط   فعاد وقد شُدّت عليه مَطالعه
ولله قوسٌ لا تَطيش سهامها   ولله سيفٌ لا تفُل مقاطعه

نكبته ولم تزل منزلة محمد بن عبد الملك الزيات عليّة فى أيام المعتصم ، إلى أن مات ، فلما مات المعتصم وولى ولده الواثقُ الخلافةَ أبقى محمد بن عبد الملك على وزارته ، وجعل القاضى أحمد بن أبى دواد يخلو بالواثق ويغريه به ، وكان فيما بلغه عنه أنه قد عزم على الفتك بالواثق والتدبير عليه ، فقبض الواثق على محمد مُديدة ثم أطلقه ، وردّه إلى وزارته ، وكان جعفر المتوكل يدخل إلى محمد بن عبد الملك ويشكو إليه جفاء أخيه الواثق ، فكان محمد يتجهم المتوكل ويُغلظ له الرد ، إلى أن قال يوما ، والمجلس حفل والمتوكل عنده : ألا يعجبون لهذا العاض كذا وكذا يعادى أمير المؤمنين . ثم سألنى أن أصلح له قلبه ، اذهب ويلك وأَصلِح لأخيك حتى يصلح لك قلبه . فكان الواثق تبلغه إهانة محمد لأخيه المتوكل فيعجبه ذلك ويحسُن موقعه منه . وقال محمد بن عبد الملك للواثق : إن جعفراً يدخل علىّ وله شعر قفا وطُرة ، مثل النساء ، فضحك . وقال له : احلقْهما واُضرب بشعرها وجهه . فلما دخل المتوكل إلى محمد بن عبد الملك فعل به ما أمره الواثق . فخرج من عنده وهو حزين كئيب . فلما توفى الواثق ، واجتمع الأولياء للمشاورة فيمن يقيمونه للخلافة ، أشار محمد بن عبد الملك إلى محمد بن الواثق ، وهو المهتدى ، فأحضروه فوجدوه صغيراً لا يصلح للأمر . وأشار القاضى أحمد بن أبى دُوَاد إلى المتوكل بن المعتصم ، ووافقه على ذلك الأتراك ، وقام أحمد بن أبى دواد وعمّمه بيده وألبسه بُردة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقبّل بين عينيه ، فبايعه الجماعة كلهم ، ولم يتم لابن الزيات ما أراد من صرف الأمر عنه إلى ابن الواثق . فلما تقلد المتوكل الخلافة أسرّ فى نفسه القبضَ على محمد بن عبد الملك ، وخشى إن

عاجل ذلك أن تستتر أسبابه فتفوته بُغيته منه ، فاستوزره وخلع عليه . فلما ركب في الخلافة قال بعض الكُتاب :

راح الشقى بخلعة النُّكر مثل الهدىّ لليلة النَّحْرِ
لا تم شهرٌ بعد خِلعته حتى تَراه طافِيء الجمر

فكان الأمر كما قال . وجعل القاضي أحمد بن أبي دواد يُغرى المتوكل بابن الزيات ويَحُضه على القبض عليه ويَجد لذلك موقعا واستماعا . فما مضى إلا أيام بعد بيعته بالخلافة حتى قُبض عليه وعاقبه أشد العقوبة[1] .

فحكى أحمد الأحول قال :

لما قُبض على محمد بن عبد الملك الزيات تلطفتُ في الوصول إليه ، فرأيته في حديد ثَقيل ، فقلت له : أعزز بما أرى . فقال :

سَل دِيار الحيّ ما غيّرها ومحَاها ومحَى أسطُرَها
وهى الدُّنيا إذا ما انقلبت صَيّرت مَعروفها مُنكرها
إنما الدُّنيا كظلّ زائل نحمد الله كذا قَدّرها

وأمر المتوكل فاستعمل له تَنور حديد ، وجعل فيه مسامير لا يقدر أن يتحرك إلاّ دخلت في جسده ، ثم أحماه له ، فكان يصيح : ارحمونى ! فيقال له : الرحمة خَور في الطبيعة[1] .

عبادة المخنث معه في نكبته

وخرج عليه عبادة المخنَّث فقال : إن تَشونى فشَووك .

ودخل إليه يوما فقال : اسمع يامحمد ، كان في جيراننا حفّار يحفر القبور ،

---

(١) لم يرد هذا الخبر بجملته فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

فمرضت مُخنَّثة من جيرانى ، وكانت صاحبة لى ، فبادر فحفر لها قبراً طمعاً فى الدراهم ، فبرئت هى ومرض هو بعد أيام ، فدخلتْ إليه وهو بالنزع . فقالت له : يا فلان ، حفرت لى قبراً وأنا فى عافية ؟ وما علمت أن من حفر بئر سَوء وقع فيها ، ووحياتك يا محمد ، لقد دفنّاه فى ذلك القبر والعُقبى لك .

ولم يزل ذلك دأبه معه بكايده ويُؤذيه حتى مات[1] .

أسف المتوكل على قتله

ولما مات محمد بن عبد الملك لم يجد له المتوكل من أملاكه من عَيْن ووَرِق وأثاث وضيعة إلا مالاً يزيد على مائة ألف دينار ، فندم المتوكل على قبضه وقتله ، ولم يجد منه عوضاً ، وغضب على أحمد بن أبى دواد بسبب ذلك ، وقال : أطمعنى فى باطل وحملنى على أمر لم أجد منه عوضاً .

رثاء ابن وهب له

ورثاه الحسن بن وهب بقوله :

أميرَ المؤمنين هَدمتَ رُكْناً ... عليه رَحا كُمُ كانت تَدُورُ
سيَبكى المُلك من جَزع عليه ... ويحزن حين تَضطرب الأمور
فمهلاً يابنى العبَّاس مهلا ... فقد كُويت بَغيظكمُ الصُّدور
إلى كم تَنكبون الناسَ ظُلماً ... لكم فى كُل مَلحمة عَقِير
جزيتُم ناصراً لكمُ المَنايا ... ولبس كذالكم يُجزَى النَّصير
قتلتم سابقَ الدنيا إليكم ... وذلك من فِعالكم شَهير
وكان صلاحه لو شِئتموه ... قريباً لا يَحار له البَصير
كأنّ الله صيّركم مُلوكا ... لئلا تعدلوا ولأن تَجُوروا[2]

(١) لم يرد هذا الخبر فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

(٢) لم يرد هذا الخبر فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

شعره الذى فيه الغنـاء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار محمد بن عبد الملك الزيات ، هو :

صَغير هواكِ عذّبنى ... فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعت من قلبى ... هوًى قد كان مُشتركا
وجيش هواكِ[1] يقتُلنى ... وقَتلى لا يَحلُّ لكا
أما ترثى لمُكتئبٍ ... إذا ضحك الحزين[2] بكى

(١) غير التجريد : « وحسن رضاك » .
(٢) غير التجريد . « الخلى » .

أخبــار
عنان جارية الناطفي

نشأتها وشراء الناطفي لها

* كانت عِنان جاريةً من مولَّدات اليمامة ، وبها نشأت وتأدبت . وأشتراها الناطفيّ وربّاها .

شيء عنها

وكانت صَفراء جميلة الوجه ، شكلة ، مليحة الأدب والشعر ، سريعة البديهة ، وكان فُحول الشعر يُساجلونها ويعارضونها فتنتصف منهم .

هي وأبو نواس

وذُكر أن أبا نواس دخل إليها يوماً ، فقال لها :

ما تــأمرين بصَبٍّ ... يكفيــه منك قُطيرهْ

فأجابته :

إيَّاى تَعنى بهـــذا ... عليك فاجلد عُمَيرهْ

فقال لها :

أريد هـــذا وأَخشى ... على يَدِى منك غَيْره

فخجلت وقالت : تَعِسْتَ وتعِسَ مَن يغار عليك .

هو والناطفي وعنان

وحَكى مروان بن أبى حفصة قال :

لقيني الناطفيّ ، فدعاني إلى عِنان ، فانطلقتُ معه ، فدخل إليها قبلى ، فقال لها : قد جئتك بأشعر الناس مروان بن أبى حفصــة ، فوجدها عليلة ، فقالت :

(*) لم ترد هذه الترجمة فيما بين أيدينا من أصول الأغاني.

إنى عن مروان لنى شُغل . فأهوى إليها بسوطه فضَربهــا ، وقال لى : أُدخل ، فدخلت وهى تبكى ، فرأيت الدّموع تَنحدر من عينيها فقلت :

بَــكتْ عِنانٌ فجَرى دمعُها كالدُّر إذ يَستَنُّ من سِمْطهِ

فقالت : وهى تبكى :

فليت مَن يضربها ظالما تجفّ عينــاه على سَوطه

فقلت : أعتق مروان ما يملكه إن كان فى الجن والإنس أشعر منها .

إجازتها شعراً عجز عنه غيرها

وحَكى بعضهم قال :

تصفَّحت كُتباً فوجدت فيها بيتاً ، فجهدت جَهدى أن أجد مَن يُجيزه ، فلم أجد . فقال لى صديق : عليك بعنان جارية الناطفى ، فجئتها فأنشدتها :

مازال يشكو الُحبّ حتى رأيتُه تنفّس فى أحشــائه وتَــكلّمَا

فلم تلبث عنان أن قالت :

ويبكى وأبــكى رحمةً لبُــكائه إذا ما بَــكى دمعاً بكيتُ له دمَا

هى وبعض الشعراء

وذُكر أنه دخل بعض الشعراء على عنان جارية الناطفى ، فقالت عنان :

سَـــقياً لبغداد لا أرى بلداً يسكُنه الساكنون يُشبهها

فقال :

كأنها فِضـــة مموّهــة أخلَص تمويهَهـــا مُموِّههــا

فقالت :

أمناً وخصباً ولا كَبهجتها أرغد أرضٍ ترى وأرْفهها

شعرها الذى فيه الغنــاء

والشعر الذى فيه الغناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار عنانــ ، هو الأول والثالث من هذه الأبيات .

الأصمعى والرشيد فى شأنها بتحريض أم جعفر

وحكى الأصمعى قال :

بعثتْ إلىَّ أم جعفر : إن أمير المؤمنين قد لهج بهذه الجارية عنان ، فإن صرفتَه عنها فلك حُكمك . قال : فكنتُ أتطلّب للقول فيهما موضعاً فلا أجده ، ولا أُقدم عليه هيبةً ، إذ دخلتُ يوماً فرأيت فى وجهه أثر الغضب ، فانخزلت ، فقال : مالك يا أصمعى ؟ قلت : رأيت فى وجه أمير المؤمنين أثر غضب ، فلعن الله مَن أغضبه . فقال : والله لولا أنى لم أجُر فى حُكمٍ متعمداً قطّ لجعلتُ على كل جَبل منه قطعة ــ يعنى الناطفى ــ ما لى فى جاريته أربٌ غير الشعر . فقلت له : والله ما فيها غير الشعر ، أفيسُر أميرَ المؤمنين أن يجامع الفرزدق ؟ فضحك حتى اُستلقى. واتصل قولى بأُم جعفر ، فأجزلت لى الجائزة .

الأصمعى وأبو حفص الشطرنجى والرشيد فى شأنها

وحكى الأصمعى قال :

ما رأيت أثر النبيذ فى وجه الرشيد قط إلاَّ مرّة واحدة ، فإنى دخلت عليه أنا وأبو حفص الشَّطرنجى ، فرأيت التخثّر فى وجهه ، فقال لنا : اُستبقا إلى بيت بل إلى أبيات ، فمن أصاب ما فى نفسي فله عشرة آلاف درهم . فأشفقت ومنعتنى هيبته . فقال أبو حفص :

كلما دارت الزجاجةُ زادتـ ــه اُشتياقاً وحُرقةً فبَكاكِ

فقال : أحسنت ، ولك عشرة آلاف درهم ، فزالت الهيبة عنِّى ، فقلت :

لم يَنلْكِ الرجاء أن تَحضُرينى وتجافت أُمنيّتى عن سِواكِ

فقال : لله درك ، لك عشرون ألف درهم ، وأطرق مليًّا ، ثم رفع رأسه فقال : أنا والله أشعر منكما ، ثم قال :

تمنّيتُ أن يُغشِّينى الإ ــه نُعاساً لعلّ عينى تراكِ

قصة شراء الرشيد لها

وذُكر أن الرشيد طلب من الناطفى أن يبيعه جاريته عنان ، فأبى أن بيعه إياها بأقل من ألف دينار . فامتنع أن يُعطيه هذا الثمن ، وأمر بأن تُرد عليه .

فذُكر أنها دخلت مجلسه فجلست تنتظره ، فدخل إليها الرشيد ، فقال : ويلك ! إن هذا قد اعتاص علىّ فى أمرك . فقالت : وما يمنعك أن تُرضيه وتوفّيه. فقال لها : ليس يقنع بما أُعطيه ، وأمرها بالانصراف . فتصدّق الناطفى بثلاثين ألفاً حين رجعت إليه .

ولم تزل فى قلب الرشيد حتى مات مولاها ، فلمّا مات بعث مسروراً الخادم فأخرجها إلى باب الكُوخ ، وأقامها على سرير وعليها رداء سِنْدى ، قد جَلّلها ، فنُودى عليها فيمن يَزيد ، بعد أن شاور الفقهاء فى بَيعها ، فأشاروا به ، لأنه كان عليه دين ، فكانت تقول وهى على المصطبة : أهان الله مَن أهاننى ، وأذل مَن أذلّنى . فلكزها مسرورٌ بيده ، فبلغ بها مائتى ألف درهم . فجاء رجل فقال : عندى زيادةُ خمسة وعشرين ألفاً . فلكزه مسرور وقال : أتزيد على أمير المؤمنين ؟ فبلغ بها مائتى ألف وخمسين ألف درهم ، وأخذها الرشيد ، ولم يكن فيها شيء يُعاب ، فطلبوا لها عيباً لئلاّ تُصيبها العين ، فأوقعوا بخِنصر رجلها فى الظُّفر شيئاً . وأولدها الرشيد ابنين ماتا صغاراً ، ثم خرج إلى خراسان فمات هنالك ، وماتت بعده .

أخبـــار
الحسن بن وهب بن سعيد

منزلته — هو[1] كاتب شاعر ، مترسل ، فصيح أديب .

منزلة أخيه — ولأخيه سليمان بن وهب محلّ من الكتّاب .

شيء عن ابن أخيه — ووزر عُبيد الله بن سليمان بن وهب للمعتضد ، وعلا محلّه عنده ، ومات وهو وزير له .

شيء عن ابن ابن أخيه — ثم وزر له بعده ابنه القاسم ولابنه المُكتفى بعده .

أصلهم — وكانوا يقولون : إنهم من بنى الحارث بن كعب ، وأصلهم نصارى ، وكان البُحترى كثير المدح لهم .

شعره إلى أخيه فى الحبس — وذُكر أن الواثق حبس سليمان بن وهب ، فكتب إليه أخوه الحسن من بغداد :

خَطْبٌ أبا أيوب جلّ محلُّه ... فإذا جَزِعت من الخطوب فمن لها

إن الذى عَقد الذى انعقدت به ... عُقد المكاره فهو يُحسن حلَّها

فاصبر لعلّ الصبرَ يُعقب راحة ... ولعلَّها أن تنجلى ولعلَّها

وكتب إليه أيضاً ، وهو فى الحبس بسُرّ مَن رأى :

خليلىّ من عَبد المدان تروّحا ... ونُصّا صُدورَ العِيس حَسْرى وطُلَّحا

---

(١) لم ترد هذه الترجمة فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

فإنّ سليمان بن وهب ببَلدة أصاب صَميمَ القَلب منّى فأقرحا
أسائل عنه الحارسين بحَبسه إذا ما أتونى كيف أمسى وأصبحا
فلا يُهنِئِ الأعداءَ حبسُ ابن حُرة يراه العِدى أندى يَمينا وأسمحا
وأنهضَ للأمر الجليل بعَزمه وأقرعَ للباب الأصمِّ وأفتحا

شأنه فى حبس أخيه

وكان الحسن آلى ألاَّ يذوق طعاماً طيباً ، ولا يشرب ماء بارداً ، ما دام أخوه محبوساً ، فوفّى بذلك .

شغفه ببنان وشعره فيها

وحكى محمد بن موسى بن حمّاد قال :

كنتُ فى حداثتى بين يدى الحسن بن وهب ، وكان شديد الشَّغف ببُنان ، جارية محمد بن حماد ، كاتب راشد ، وكُنا عنده يوماً وهى تُغنى و بين أيدينا كانون فحم ، فتأذَّت به فأمرت بأن يباعد ، فقال الحسن :

إنِّى كرهتُ النار حتى أُبعدت وعلمتُ ما مَعناكِ فى إبعادِها
هى ضَرَّةٌ لك فى ٱلتماع ضيائها ونُحس صورتها لدى إيقادها
وأرى صنيعك فى القلوب صَنيعَها فى شوكها وسيالها وقتادها
شركتْك فى كُل الجهات بحُسنها وضيائها وصَلاحها وفَسادها

شعره فى تقبيلها يده

وذُكر أنه دخلت بُنان يوماً على الحسن بن وهب ، وهو مخمور ، فسلّمت عليه وقبّلت يده ، فأرعش وقال :

أقول وقد حاولتُ تقبيل كفِّها وبى رِعدةٌ أهتزُّ منها وأسكنُ
فديتُك إنى أشجعُ الناس كلهم لدى الحرب إلا أننى عنك أجبن

هو و بنان فى وساطتها لكاتبه

وحكى أحمد بن سليمان بن وهب قال :

كان لعمى كاتب يعرف بإبراهيم ، نصرانى ، فسأل بُنان مسألةَ عمِّى أن

يجعل رزقه ألف درهم فى الشهر . فلما شرب أقداحاً وطرب و ثبتْ قائمةً وقالت: ياسيدى: لى حاجة . فقام لقيامها ، فقالت: تجعل رزق إبراهيم ألف درهم . فقال : سمعاً وطاعة . وجلس وأنشأ يقول :

قامتْ فقُمت ولم أكنْ لو لم تقُم ... لأخفَّ وقتاً عندها فأقوما

شفعت لإبراهيم فى أرزاقه ... فوددتُ أنّى كنت إبراهيما

فأجبتُها أنّى مطيعٌ أمرها ... وأراه فرضاً واجباً محْتوما

ما كان أطيبَ يومنا وأسرَّه ... لو لم يكن بفراقها مختوما

ثم إن عمّى صار إلى أبى فأخبره الخبر ، فأمر أبى أن يُجعل لإبراهيم من ماله ألف درهم أخرى بشفاعتها .

هو وأبو تمام فى غلامين لهما

وذُكر أن الحسن بن وهب كان يتعشّق غلاماً رُومياً لأبى تمام ، وكان أبو تمام يتعشّق غلاماً للحسن خَزريا ، فرأى أبو تمام الحسن يوماً يعبث بغلامه ، فقال له : والله لئن أعْنقت إلى الروم لنركضُن إلى الخزر . فقال الحسن: لو شئت لحكّمْتنا واُحتكمت . فقال أبو تمام : ما أُشبّهك إلا بداود وما أشبه نفسى إلا بالخصمين[1] . فقال الحسن : لو كان هذا منظوماً حفظناه ، فأما المنثور فهو عارض لا حقيقة له . فقال أبو تمام :

أبا علىّ لِصَرْف الدهر والعِبَر ... وللحوادث والأيام والغِيَرِ

أعندك الشمس لم يحظ المغيبُ بها ... وأنت مُضطربُ الأحشاء للقمر

أذكرتَنى أمر داود وكنتُ فتى ... مُصرّف القول فى الأهواء والذِّكر

إنّ أنت لم تترك السّير الحثيث إلى ... جآذر الروم أعنقنا إلى الخزر

(١) يشير إلى قوله تعالى فى سورة (ص ٠ ٢٢) : (إذ دخلوا على داود ففزع منهم . قالوا لاتخف خصمان بغى بعضنا على بعض) .

لأبى تمام فى طاعية غلامه

وقيل لأبى تمام : غلامك أطوع للحسن بن وهب من غـلام الحسن لك . فقال : أجل والله ، لأن غلامى يجد عنده مالا وأنا أعطى غلامه قِيلاً وقالاً .

دخول ابن الزيات بينه وبين أبى تمام فى غلاميهما

وذكر أن الوزير محمد بن عبد الملك الزيات كان قد وقف ما بين الحسن بن وهب وبين أبى تمام فى غلاميهما ، فقدم إلى بعض ولده ، وكانوا يجلسون إلى الحسن بن وهب ، بأن يُعلموه خبرها وما يكون بينهما . وعزم غلام أبى تمام على الحجامة ، فـكتب إلى الحسن يُعلمه بذلك ويسـأله أن يُوجه إليه بنبيذ مطبوخ . فوجه إليه بمائة دن ومائة دينار وبخور كثير وخلعة حسنة ، وكتب إليه :

ليت شِعرى ياأملحَ الناسِ عندى هل تداويتَ بالحجامة بَعْدِى
دَفَع الله عنكَ لِي كُلَّ سُوء باكرٍ رائحٍ وإن خُنت عهدى
قد كتمتُ الهوى بمبلغ جَهدى فبدا منه غيرُ ماكنت أُبدى
وخلعتُ العِذار فَلْيعلم النا س بأنِّى إياك أُصفى بوُدِّى
وليقولوا بما أحبُّوا إذا كنـ ت وَصولاً ولم تَرُعْنى بصَـدّ
مَنْ عَذيرى من مُقلتيك ومن إشـ راقِ وجهٍ مِن دون حُمْرة خَدّ

ووضع الرقعة تحت مُصلاّه . وبلغ محمدَ بن عبد الملك خبرُ الرقعة ، فوجّه إلى الحسن ، فشغله بشيء من أمره ، وأمر من أخذ الرقعة من تحت مُصلاّه وجاء بها ، فقرأها وكتب فى ظهرها :

ليتَ شِعرى عن ليت شِعرك هذا أبهَزْلٍ تقوله أم بجِـــدّ
ولئن كنتَ فى المقال مُحقًّا يابن وَهْب لقد تعدَّيت بَعْدى
وتشبّهت بى وكنتُ أرى أنّـ ى أنا العاشق المُتيَّم وَحدى
أترك القَصد فى الأمور ولولا غمراتُ الهوى لأبصرتُ رُشْدى

وأُحب الأخ المُشارك فى الحُـــبّ وإن لم يكُن به مثلُ وَجْدى
إن مولاى عبدُ غيرى ولولا شُؤم جدّى لـكان مولاى عَبْدى
سيِّدى سيِّدى ومولاى من أو رثنى ذلةً وأَضْرع خَــدِّى

ثم وضع الرقعة فى مكانها. فلما قرأها الحسن قال. إنا لله، افتضحت عند الوزير، وحدّث أبا تمام بما كان، ووجّه بالرقعة إليه. فلقيا محمد بن عبد الملك وقالا: إنما جعلنا هذين سببا للمكاتبة بالأشعار لا لريبة. فتصاحك وقال: من يَظُن بكما غير هذا؟ فـكان قوله هذا أشدَّ عليهما من الخبر.

هو وعمه وابنه فى عتابه

وحكى أحمد بن سليمان بن وهب قال:

قال لى أبى: قد عزمت على معاتبة عمك فى حُبه لبنان فقد شُهر بها وافتضح بها، فـكُن معى وأعنّى عليه. وكان هواى مع عمِّى، فقال له أبى، وقد طال عتابه: يا أخى، جُعلت فداك، الهوى ألذّ وأمتع والرأى أنفع وأصوب. فقال عمى متمثلا:

إذا أمرتْنى العاذلاتُ بهَجرها أبتْ كَبِدٌ عما يَقُلن صَديعُ
وكيف أُطيع العاذلات وحُبها يؤرِّقنى والعـاذلات هُجُوع

والتفت إلىَّ ينظر ما عندي، فقلت:

وإنى لَيلحانى على فَرط حُبها رجالٌ أطاعتْهم قلوبٌ صَحائحُ

فنهض أبى مُغضبا وضمّنى عمِّى إليه وقَبّلنى، وانصرفت إلى بنان وحدّثتها بما جرى، وعمّى يسمع، فأخذت العود وغنت:

يلومك فى مودّتها رجالٌ لو أنّهُمُ بدائك لم يَلُوموا

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار الحسن بن وهب، هو:

مالى وللخَمر وقد أُرعشت منِّى يَمِينى هات بالأُخرى
حتى ترانى مائلا مسنداً لا أستطيع الـكأْس بالأُخرى

أخبار سليمان بن وهب

أصله

وكان أصله من سواد واسط .

وكان أخوه الحسن ـ كما ذكرنا ـ يدَّعى النسب إلى الحارث بن كعب ، وكان سليمان ينكر هذا النسب .

عزل المهتدى له من الوزارة ثم رده

ولمّا أفضت الخلافة إلى المهتدى كان يتدين و يُظهر التنسك ، و يتشبه بعمر ابن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ وكان يتسنن ويكره التشيع وأهله ، فكره سليمان بن وهب وقال : هذا رافضىّ لا حاجة لى فيه ، واستوزر جعفر بن محمد ابن عتاب[1] . ولم يزل كذلك حتى مضت سنة من خلافة المهتدى ، ثم رَدَّ المهتدى سليمانَ بن وهب إلى وزارته ، ولُقِّب الوزير حقًّا ، لأن مَن كان قبله كان غير مستحق للوزارة ولا مُستقل بها .

وكان الذى أحوج المهتدى إلى ردّه موسى بن بُغا ، لأنه لمّا قَدم من الجبل كان معه ، وهو كاتبه .

تهنئة هارون بن محمد له بالوزارة

ولمّا جلس للوزارة دخل عليه شاعرٌ يقال له : هارون بن محمد ، فذكر مظلمة له ، وأنشده :

زِيد فى قدْرِك العَلِىّ عُلوٌّ ... يا بنَ وَهْب مِن كاتب و وزيرِ
أنت عينُ الإمام والقَرم مُوسى ... بك تَفترّ عابساتُ الأُمور[2]

---

(١) غير التجريد : « عمار » .

(٢) لم يرد هذا البيت فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

أسفر الشرقُ منك والغربُ عن ضَو ءٍ من العدلِ فاقَ كُلَّ[1] البُدور

أنشر الناسَ غيثُكم بعد ما كا نُوا رُفاتاً من قبلِ يوم النُّشور

شَرَّد الجورَ عدلُكم فسَرَحنا بينكُمْ بين رَوضة وغدير[2]

فوقّع فى ظُلامته بما أراد ، ووصله بمائة دينار .

تهنئة يزيد بن محمد له بالوزارة

وذُكر أن يزيد بن محمد المهدى دخل إلى سُليمان بن وهب ، فأنشده بعد ما وَلِى الوزارة :

وهبتمُ لنا يا آل وَهبٍ مودّةً فأبقت لنا جاهاً ومالاً يُؤَثَّلُ

فمَن كان للآثام والذُّل أرضُه فأرضكُمُ للأَجر والعِزّ مَنزل

رأى الناسُ فوق المجد مقدارَ مجدكم فقد سألوكم فوق ما كان يُسأل

يُقَصِّر عن مَسعاكُمُ كلُّ آخِرٍ وما فاتكم ممّن تقدم أول

بلغتَ الذى قد كنت أمّلته لكم وإن كنتُ لم أبلغ بكم ما أُؤَمِّل

فقطع عليه سليمان الإنشاد وقال له : يا أبا خالد ، فأنت والله عندى كما قال عمرو بن عَقيل لابنه :

أُقهقه مَسرورًا إذا أُبتَ[3] سالماً وأبكى من الإشفاق حين تغيبُ

فقال يزيد : فيسمع منى الوزير آخر الشعر خفيراً لأوله[4] ، وتمم فقال :

ومالىَ حقٌّ واجبٌ غيرَ أننى بجُودكمُ فى حاجتى أتوسَّلُ

وأنكُمُ أفضلتمُ وبررتُمُ وقد يَستتم المُنعم المُتفضِّل

وأوليتمُ فعلاً جميلاً مقدَّما فعُودوا فإن العَوْد بالخير أجمل

---

(١) غير التجريد : « ضوء » .

(٢) غير التجريد : « وسرور » .

(٣) التجريد : « كنت » .

(٤) غير التجريد : « الشعر لا أوله » .

وكم مُلحفٍ قد نال مارام منكمُ ... ويَمنعنا عن مثل ذاك التجمُّل

وعوّدتمونا قبل أن نسأل الغِنى ... ولا بَذل للمعروف والوجه يُبذل

فقال له سليمان بن وهب : لاتبرح والله إلا بقضاء حوائجك ، كائنة ما كانت ، ولو لم أستفد من كِتبة أمير المؤمنين إلا شكرك لرأيت بذلك جَنابى مُمرعاً ، وغرسى مثمراً . ثم وقع فى رقاع كثيرة كانت معه .

رجل من قرابته يرفع إليه حاجته

وذُكر أنه لما ولى سليمان بن وهب وزارة المهتدى قام إليه رجل من ذوى حُرمته ، فقال : أعز الله الوزير ، خادمك المؤمِّل دولتك ، السعيد بأيامك ، المَطوى القَلب على وُدك ، المنشور اللسان بمدَحك ، المرتهن بشُكْر نعمتك ، وقد قال الشاعر :

وفيتُ كلَّ أديب ودَّنى تَمنا ... إلا المؤمِّل دُولاتى وأيّامِى

فإننى صامنٌ ألاَّ أكافئه ... إلا بتَسويفه فَضْلى وإنعامى

وإنى لكما قال القَيسى :

مازلت أمتطى إليها و إليك ، وأستدل بفضلك عليك ، حتى إذا أجننى الليل ، فقبض البصر، ومحى الأثر ، أقام بدنى ، وسافرأملى ، والاجتهاد عذر ، وإذا بلغتُك فهو مرادى فقط . فقال سليمان : لاعليك ، فإنى عارف بوسيلتك ، محتاج إلى كفايتك ، ولست أؤخّر عن يومى هذا النظر فى أمرك ، وتوليتك ما يحسن أثره عليك .

شكاته إلى الباقطانى

وحَكى الحسين(١) بن يحيى الباقطانى قال :

كنت آلف سليمان بن وهب كثيراً ، وأخدمه وأحادثه ، وكان يَخُصنى ويأنس بى ، فأنشدنى لنفسه يذكر نَكبته فى أيام الواثق :

نَوائب الدهر أدَّبتنى ... وإنما يُوعظ الأَديبُ(٢)

---

(١) عبر التجريد : « محمد » .

(٢) عبر المجريد : « الأريب » .

قد ذُقت حُلْواً وذُقت مُرًّا كذاك عيش الفَتى ضُروب

ما مرّ بُؤس ولا نَعـيم إلا ولى فيهمـا نَصيب

هو وابن سوار ورخاص

وذُكر أن سليمان بن وهب كان وهو شاب يتعشّق إبراهيم بن سوّار بن مَيمون ، وكان من أحسن الناس وجها ، وأملحهم أدبا وظرفا ، وكان إبراهيم هذا يتعشّق مُغنِّيةً يقال لها : رُخاص، فسكر إبراهيم ليلة ونام ، فرأت رُخاص سليمان يقبّل إبراهيم ، فلما انتبه لامتْـه وقالت : كيف أصفو لك وقد رأيت سليمان يقبّلك . فهجره إبراهيم ، فكتب إليه سليمان بن وهب :

قُل للذى ليس منْ جَوى هواه خَلاصُ

أئن لثمُتـك سراً فأبصرتنى رُخـاص

وقال فى ذاك قـوم على اُغتيابى حِراص

هَجَـرتَنى وأتتنى شَتيمةٌ وانتقـاص

وسَرَ ذلك قومـا(١) لهم علينا اُخـتراص

فهـاك فاقتصّ منّى إن الجروح قِصاص

وأهدى سليمان إلى رخاص هدايا كثيرة ، فكانوا بعـد ذلك يتناوبون يوما عند إبراهيم ؛ ويوما عند سليمان ، ويوما عند رخاص .

أخباره مع المعتمد

ولما أفضت الخلافة إلى المعتمد بن المتوكل،وغلب على أمره كله أخوه الموفق أبو أحمد الناصر لدين الله ، استكتب الموفق سليمان بن وهب وأبنه عبيدالله بن سليمان ، وإنما

(١) غير التجريد : « ذاك أناسا » .

استكتبهما ليقف على ذخائر موسى بن بغا وودائعه، فلما أُستقصى ذلك نكبهما لكثرة ما همّا، فمات سليمان فى محبسه. ووزر بعد ذلك ابنهُ عبيدالله للمعتضد والمكتفى.

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار سليمان وهب:

أمينَ الخالق البارى ورامى كُلِّ مَخْلوقِ
أدِرْ راحك بالمعشو ق[1] من راحة مَعْشوق

---

(١) غير التجريد: «فى المعشوق».

أخبار
أحمد بن يوسف بن صُبيح

أصله — أصله من الكوفة .

شيء عنه — ومذهبه الرّسائل والإنشاء . وله رسائل معروفة . وكان يتولى ديوان الرّسائل للمأمون .

كنيته — ويكنى ، أبا جعفر .

تلميذه موسى — وكان موسى بن عبد الملك غُلامه وخَريجه .

من شعره — ولأحمد شعر حسن ، منه :

وعامل بالفُجور يأمرُ بالبرِّ كهادٍ يخوضُ فى الظُّلَمِ
أو كطبيب قد شفَّه سَقَم وهو يُداوِى من ذلك السَّقَم
يا واعظَ الناس غيرَ مُتَّعظ ثوبَكَ[1] طهِّر أوْلاً فلا تَلُمِ

شعر له ترضت به مؤنسة المأمون — وذُكر أن المأْمون كانت له جارية ، يقال لها : مؤنسة ، وكان أحمد بن يوسف يتبنَّاها ، فخرج المأْمون إلى الشَّماسية مُتنزهاً ، وخَلّفها عند أحمد بن يوسف الكاتب ، فرجت أن يذكرها إذا صار فى مُتنزّهه فيرسل فى حَملها ، فلم يفعل وتمادى فى غَيبته ، فسألت أحمد بن يوسف أن يقول على لسانها شعراً تُرققه به ، فقال :

ياسيداً فَقْدُه أغرَى بىَ الحَزنا ما ذقتُ بعدك لا نوماً ولا وسَنا

---

(١) غير التجريد : « نفسك » .

ما زلتُ بعدكَ مطويًّا على حُرق أَشْنَى المُقامَ وأَشنى الأهل والوَطنا
ولا ٱلتذذتُ بكأْس فى مُنادمة مُذ قيل لى إنَّ عبد الله قد ظَعنا
ولا أرى حَسناً تبدو محاسنه إلاَّ تذكَّرتُ شوقاً وجهكَ الحسنا

شعره الذى فيه الغناء وقصته

و بعثت به إلى إسحاق الموصلى ، فغنَّاه به ، وٱستحسن ذلك وقال : لمن هذا الشعر ؟ فقال له أحمد بن يوسف: لمؤنسة ياسيدى ، تترضاك وتشكو البعد . فركب من ساعته حتى ترضَّاها ورضى عنها .

وذُكر أنّ المأمون أراد مرّة أن يسافر ويخلِّف مُؤنسة جاريته ، فكتب إليه أحمد بن يوسف بهذا الشعر على لسانها ، وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وٱفتتح به أبو الفرج أخبار أحمد بن يوسف ، وأمر بعض المغنين فغنَّاه فيه ، فلمّا سمعه وقرأ الكتاب أمر بإخراجها إليه ، وهو :

قد كان عَتْبك مرةً مَكتوما فاليومَ أصبح ظاهراً مَعلوماَ
نال الأَعادى سُؤْلهم لا هُنِّئوا لمَّا رأونا ظاعناً ومُقيما
والله لو أَبصرتَنى لرثيت لى والدمعُ يجرى كالُجمان سُجوما
هَبنى أسأتُ فعادة لك أن تُرى مُتطوِّلاً مُتجاوزاً مَظلوما

هو والفضل بن سهل فى يوم دجن

وذُكر أنّ أحمد بن يوسف دخل يوماً على ذى الرياستين الفضل بن سهل ، وزير المأمون ، فى يوم دَجن ، ففتح الدَّواة وكتب :

أَرى غَيا تُؤلِّفه جَنوب وأَحسبُه سَيأتينا بهَطْلِ
فوَجْهُ الرأى أن تَدعو برِطل فتَشربَه وتَدعو لى برِطل

ورَفع الورقة إليه ، فقرأها وضحك ، وقال : هذا من وجه الرأى عندك ، قد قبلناه ولم نرده ، ثم دعا بالطعام والشراب ، فأتموا يومهم .

أخبار العطوى

نسبه — هو : محمد بن عبد الرحمن بن أبى عطيّة .

ولاؤه — مولى بنى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

منشؤه — بصرىّ المولد والنّشأة .

كنيته — يكنى : أبا عبد الرحمن .

من شعراء العباسية — وكان كاتباً شاعراً من شُعراء الدولة العباسية .

لمته بابن دواد — وأتصل بأحمد بن أبى دُواد وتقرّب إليه بمذهبه وتقدُّمه فيه ، وقُوة جدله ، فلمَّا تُوفى أحمد نَقُصت حاله .

رثاؤه لابن أبى دواد — وله فيه مدائح يسيرة ومراثٍ كثيرة ، ومن أحسن مراثيه له قولُه :

وليس صريرُ النَّعش ماتَسمعونه ... ولكنَّه أصلابُ قوم تَقَصَّفُ
وليس نَسيم المِسك ريّا حَنوطه ... ولكنّه ذاك الثَّنـاء المُخلَّف

ثناء ابن الجراح عليه — وقال محمد(١) بن داود فى كتاب الشعراء :

كان للعطوىّ فنٌّ من الشعر لم يُسبق إليه ، ذهب فيه إلى مذهب أصحاب الكلام ، ففاق جميعَ الشُّعراء ، وخَفّ شعره على كُل لسان ، ورُوى ، وأُستعمله الكُتاب وأَخذوا معانيه ، وجعلوه إماما .

---

(١) هو محمد بن داود بن الجراح الكاتب ، كان صديقاً لابن المعتز ووزر له أيام خلافته . كانت وفاته سنة ٢٩٦ هـ . وله فى أخبار الشعراء كتب ثلاثة ، وهى : الورقة ، الشعر والشعراء ، من سمى عمرا من الشعراء .

من رثائه لابن أبى دواد

وممّا رثى به العطوىُّ أحمد بن أبى دُواد :

أحنطْتَه يا نَصْر بالكافور ودفنتَه فى المنزل المهجورِ
هلاّ ببعض خِصاله أحنطْتَه فيضُوع أُفق منازل وقُبور
بالله لو مِن نَشر أخلاق له تُعزَى إلى التقّديس والتّطهير
أحنطتَ مَن سكن الثّرى وعَلا الرُّبى لتزوّدوه عُدةً لمُنشور
فاذهب كما ذَهب الشباب فإنّه قد كان خيرَ مُصاحب وعَشير
والله ما أبّنتُه لأزيدَه شرفاً ولكن نَفثةُ المَصْدور

أخذ معنى لعمر فصاغه شعراً

وذُكر أنّ العَطوى سَمع رجلاً يحدِّث أنّ رجلاً قال لعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ : إنّ فلاناً قد جمع مالاً . فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ : فهل جمع له أيّاماً .

فأخذ العطوىُّ هذا المعنى فقال :

أَرْفِهْ بعيش فتًى يغدو على ثِقةٍ أنّ الذى قَسم الأرزاق يرزقُه
فالعِرْض منه مَصونٌ لايُدنِّسه والوجه منه جَديد ليس يُخلقه
جمعتَ مالاً ففكّر هل جمعت له يا جامعَ المال أيّاماً تُفرِّقه
المالُ عندك مخزونٌ لوارثه ما المالُ مالَك إلاّ حين تُنفقه

من جيد قوله

وممّا يُستجاد له قوله :

وكم قالوا تمنَّ فقلتُ كأساً يطوف بها قَضيب[1] فى كَثيب
ونَدمانٌ يُساقطنى حديثاً كلَحظ الحِبّ أو غَضّ الرّقيب

---

(١) غير التجريد : « من » .

شعره إلى أبى العباس يسأله نبيذاً

وذُكر أن العطوىّ كان يشرب مع أصدقائه من الكُتّاب ، ومعهم قَينة يقال لها : مصباح ، من أحسن الناس وجهاً ، وأطيبهم غناء ، فما زالوا فى قَصْف وعَزْف إلى أن انقطع نبيذهم ، فبَقوْا حَيارى ، وكانوا قريباً من منزل أبى العباس أحمد بن الحسين بن موسى بن جعفر بن محمد العلوىّ ، وكان صديقاً للعطوىّ ، فكتب إليه :

يابن مَن طاب فى المواليد مُذ آ — دم جَرًّا إلى الحسين أبيه
أنا بالقُرب منك عند كريم — قد ألحَّت عليه شُهْب سِنيه
عنده قَينةٌ إذا ما تغنّت — عاد منها الفقيه غيرَ فقيه
تَزْدهينى وأين مثلىَ فى الفَهـ — ـم تُغنّيه ثُم لاتزدهيه
مجلس كالرّياض حُسناً ولكنْ — ليس قُطبُ السرور واللّهو فيه
فأقِمْه بما به يمترى دنّ — عجوزٍ خمّارة مُمْتريه (١)
و بأشياخك الكِرام أولى السُّو — دد مُوسى وجَعفرٍ وأَبيه
أن تَجشّمتنى وإن كان إلاّ — مِثل ما يأنس الفَتى بأخيه

فلمّا وصلت الرُّقعة إلى أبى العباس أرسل إليهم براوية شراب ، فلم يزالوا مجتمعين فى أخفض عيش حتى نَفِدت .

شعره لصديق يستعجله الشراب

وذُكر أنه حَصر عند بعض إخوانه فى الشتاء ، فأكل عنده ، ثم استدعاه الشراب ، وقال : عجّل فإنّ النهار قصير ، ثم أنشأ يقول :

أدر الكأْس قد تعالى النهار — ما يُميت الهُمومَ إلاَّ العُقارُ
صاحِ هذا الشتاء فاغْدُ علينا — إنَّ أيامه لِذاذٌ قِصَار

---

(١) هذا البيت ساقط من أصول الأغانى التى بين أيدينا .

أىّ شىء ألذّ من يوم دَجْن … فيه كأسٌ على النّدامى تُدار
وقِيَــــان كأنّهن ظباء … فإذا قُلْن قالت الأوْتار

وذُكر أنّ العَطوى كان يوماً جالساً فى منزله ، فطرقه صديق له ممن كان يُغنّى بسُرّ مَن رأى ، فقال : قد أهديتُ إليك جوارى اليوم ونبيذاً يكفيك ، وأقام عنده ؛ فدخل إليه غلام أمرد أحسن من القمر ، فاُحتبسوه،وكتب العطوى إلى صديق له من أهل الأدب :

هو وصديق له زاره

يومُنا طيّب به حَسُن القَصـ … فُ وحَثّ الأرطال والطاسات[1]
ما ترى البرق كيف يلمع فيه … ورَشاشاً يَبُل فى الساعات
ولدينـــا ظبىٌ غرير لطيف … قد غنِينا به عن الفَتيات
إن تخلّفت بعد ما تصل الرُّ … قعةُ مِنّا فأنت فى الأموات

فأجابه الرجل :

أنا فى إثر رُقعتى فاعملن ذا … ك على أننى من البَيّاتِ
فافهم الشرط بيننا لا تقُل لى … قد تثاقلتَ فانصرف بحَياتى
لا لسُوء[2] لكنْ لأُمتع نفسى … بحديث الظّبى الغَرير المُواتى

والشعر الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبار العَطوى ، هو :

شعره الذى فيه الغناء

الرّاح والندمان أحسن مَنظرا … مِن كلّ مُلتفّ الحدائق رائقِ
فإذا جمعتَ صَفاءه وصفاءها … فارجُم[3] بكُل مُلمّة من حالق

(١) غير التجريد : « والكاسات » .
(٢) غير التجريد : « لا لسر» .
(٣) غير التجريد : « فارجح » .

أخبار
مُرة بن عبد الله النهدى

نسبه

هو : مُرة بن عبد الله بن هلال بن سيّار النَّهدى .

حديث ليلى معشوقته وزواجها من غيره وموتها ورثاؤه لها

وكان يهوى ابنة عم له يقال لها : ليلى بنت زهير بن بدر بن خلف بن عمرو بن سلمة ، واشتد شغفُه بها ، فخطبها رجل من بنى نهشل ، يقال له : إران ، فقال مُرة يهجوه :

وما كنت أخشى أن تُصيِّر مرةً ... من الدَّهر ليلى زوجةً لإرانِ

لمن ليس ذا لُبٍّ ولا ذا حَفيظة ... لعِرس ولا ذا مَنطق وَبيَانِ

لقد بُليتْ ليلى بشرِّ بَليَّة ... وقد أُنزلت ليلى بدار هَوان

ثم تزوجها الضّحاك بن عبد الله بن الهيثم بن مسروق بن سلمة بن سعد النَّهشلى . فخرج إلى البعث بزاذان ، وهى إذ ذاك مَسلحة لأهل الكوفة ، فخرج بها معه ، فماتت بزاذان ودُفنت هناك ، وقدم رجلان من بَجيلة ، وكانت بجيلة جيرانَ نهد بالكوفة ، فمرَّا على مجلسهم ، فسألوهما عمن بزاذان بنى نهد . فأخبراهم بسلامتهم ، ونعيا إليهم ليلى ، ومُرة فى القوم ، فأنشأ يقول :

أيا ناعِيَىْ ليلى أمَا كان واحد ... من الناس يَنعاها إلىّ سوا كُما

أيا ناعيى ليلى لقد هِجْتُما لنا ... تجاوُبَ نَوح فى الدِّيار كلاكُما

ويا ناعيى ليلى ألم تكُ جِيرة ... عليكم[1] لها حقٌّ فإلاّ نَهاكُما

(١) غير التجريد : « ندامى » .

ويا ناعِيَىْ ليلى لجلّت مُصيبة — بنا فَقْدُ ليلى لا أمرّت قُوا كما
ولا عِشتما إلا حَليفَىْ بليّة — ولا مِتُّ حتى يُشترى كفنا كما
فأشمت والأيام فيها بوائق — بموتكما إنّى أحب رَدَاكما

وقال فيها أيضاً :

كأنك لم تُفجع بشيء تُعزه[1] — ولم تَصطبِرْ للنائباتِ من الدّهرِ
ولم تَر بُؤساً بعد طول غَضارة — ولم تَرْمك الأيام من حيثُ لا تَدرى
سَقى جانبى زاذان والساحةَ التى — بها دَفنوا ليلى مُلِثٌّ من القَطْر
ولا زال خَصْبٌ حيث حلّت عِظامها — بزاذان يُسقَى الغَيثَ من هَطِل غَمْر
وإن لم تُكلِّمنا عِظام وهامة — هناك وأصداء بَقِين مع الصّخر

وقال فيها أيضاً :

أيا قبر ليلى لا يَبِست ولا تَزل — بلادُك تَسقيها من الواكف الدِّيمْ
ويا قبر ليلى غُيِّبت عنك أمها — وخالتُها والناصحون ذوو الذِّمم
ويا قبر ليلى كم جَمال تُكنه — وكم حُزت منها[2] من عَفاف ومن كرم
ويا قبرَ ليلى لو شَهِدْتُك أعولت — عليك رجالٌ من فَصيح ومن عَجم
ويا بيت ليلى إن ليلى مريضة — بزاذان لا خالٌ لديها ولا ابن عَم

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار مُرة النهدى ، هو الأخير من هذه الأبيات والأول والرابع .

---

(١) غير التجريد : « تمده » .

(٢) غير التجريد : « صم فيك » .

قصة أخرى فى موت ليلى معشوقته

وقد رُوى أن مُرة كان تزوجها وكان مكتبه بزاذان ، فأخرجها معه ، ثم ضُرب عليه البعث إلى خُراسان ، فجعلها عند شيخ من أهل منزله هناك ، فأفرد لها الشيخ داراً فكانت فيها ، ومضى لبعثه . ثم قَدم بعد حول فاتى فتى من أهل زاذان قبل وصوله إلى دارها ، فسأله عنها ، فقال : أترى القبر الذى بفناء الدار ؟ قال : نعم . قال : هو والله قبرها . فجاء فأكب عليه يبكى ويندُبها ، وترك مكتبه ولزم قبرها يغدو ويروح ، حتى لحق بها .

أخبـــار
على بن أمية بن أبى أميـــة

شيء عنه

وكان أبوه يكتب للمَهدى على بيت المال وديوان الرسائل والخاتم ، وكان هو مُنقطعاً إلى إبراهيم بن المهدى ، وإلى الفضل بن الربيع ، وقد تقدم خــبر أخيه محمد .

هو وجارية علقتها نفســـه

وحَـكى الحُسين بن الضحاك قال :

كنت فى مجلس قد دُعينا إليه ، ومعنا على بن أمية ، فعلقت نفسُه قَينة دُعيت لنا يومئذ ، فأقبل عليها ، فقال لها : تُغنين :

خبّرينى من الرسولُ إليكِ   وأجعليه من لا يَنم عليكِ
وأشيرى إلى مَن هو باللّحـ   ـظ ليَخفى على الذين لديك

فقالت : نعم ، وغنته لوقتها ، وزادت فيه هذا البيت :

وأقلّى المُزاح فى المنزل اليو   م فإن المُزاح بين يديك

ففطن لما أرادت وسُر بذلك. ثم أقبلت على خادم واقف وقالت : يامسرور ، أُسقنى ماء . وفطن ابن أمية أنها أرادت أن تُعلمه أن مسروراً هو الرسول ، فخاطبه فوجده كما يريد .

ما يستجاد له من شعر

ومما يُستجاد ويغنّى فيه من شعر على بن أُمية :

ياريحُ ما تَصنعين بالدِّمن   كم لك من مَحْو مَنظر حَسَنِ
محـــوتِ آثارنا وأحدثت آثا   راً برَبع الحبيب لم تَـكُن
إنْ تَكُ ياربع قد بَليت من الرِّ   يح فإنّى بالٍ من الحزن

قد كان يارَبْع فيك لى سَكَن فصِرْتَ إذْ بان بعده سَكَنى
حاشاك ياريح أن تكونى على الـ ماشق عَوناً لحادث الزّمن

خبر جارية فى بيت الشعر له

وحكى أبو هِفان قال :

كنا فى مجلس ، وعندنا مُغنية تُغنينا ، وصاحب المنزل يهواها ، فجعلت تكايده وتومىء إلى غيره بالمَزح والتّجميش ، وتَغيظه بجَهدها ، وهو يكاد يموت قلقاً وهمَّا . ويتَنغص عليه يومه . ولّجت فى أمرها ، ثم سقط المِضراب من يدها ، فأكبّت على الأرض لتأخذه ، فضرطت ضرطة سمعها جميع من حضر ، وخَجلت ، فلم تدر ماتقول ، فأقبلت على عشيقها فقالت له : إيش تشتهى أن أغنى لك ؟ فقال : غنى :

ياريح ما تَصنعين بالدِّمن كم لك من مَحْو مَنظر حَسَن

فخجلت ، وضحك القوم ، وصاحب الدار ، حتى أفرطوا : فبكت وقامت من المجلس ، وقالت : أنتم والله قوم سفل ، ولعنة الله على مَن يعاشركم ، وغضبت وخرجت . وكان ذلك سبب القطيعة بينهما وسُلو الرجل عنها .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار على بن أمية : هو :

بأبى أنت يابن مَن لا أُسمِّى لبَعض مَا
يا شبيه الهلا ل كُملل بالأفق[1] أنجُما
راقب الله فى أسيـ ـرك إن كنت مُسلما

---

(١) غير التجريد : « مثلك فى الأفق » .

أخبـــار
أبان بن عبد الحميـــد اللاحقي

نســـبه

هو: أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عُفير[1] ، مولى رَقاش .

بنو رقاش

وبنو رقاش ثلاثة نفر ينتسبون إلى أمهم ، وهم : مالك ، وزيد مناة ، وعامر ، بنو شَيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علىّ بن بكر بن وائل .

تمثله مروان بما أخذه من البرامكة فى شكواه من الرشيد

وحُكى أن مروان بن أبى حفصة شكا إلى بعض إخوانه تغيُّر الرشيد عليه وإمســـاك يده عنه ، فقال : أتشكو الرشيد ويحك بعد ما أعطاك ؟ قال : أتعجب من ذلك ، هذا أبان اللاحقى قد أخذ من البرامكة بقصيدة قالها واحدة ما أخذته من الرشيد فى دَهرى كُله ، سوى ما أخذه منهم ومن أشباههم .

نقله كتاب كليلة ودمنة

وكان أبان اللاحقى قد نَقل للبرامكة كتاب « كليلة ودمنة » فجعله شعراً ، ليسهُل حفظه عليهم ، وهو معروف ، وأوله :

هــذا كتاب أدب ومِحنه ... وهو الذى يُدعى كَليل دِمنه
فيه احتيــالات وفيــه رُشْد ... وهو كتاب وضعتْــه الهِنْد

فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار ، وأعطاه الفضل خمسة آلاف دينار ، ولم يُعطه جعفر شيئاً ، وقال له : يكفيك أن أحفظه وأكون راويتك .

اتصاله بالفضل ابن يحيى

وذُكر أن أبان بن عبد الحميد اللاحقى خرج من البصرة طالبــاً للاتصال بالبرامكة ، وكان الفضل بن يحيى غائباً ، فأقام ببابه ــ لمــا قصدهــ مُديدة لا يصل إليه ، فتوسّل ببعض بنى هاشم فى الوُصلة إليه ، فقال له :

---

(١) فى التجريد : « عفر » .

يا غَزيرَ النّدى ويا جَوهر الجَوْ هر من آل هاشم بالبِطَاحِ
إنّ ظنّى وليس يُخلف ظنى أنت فى حاجتى سبيلُ النجاح
إنّ مِن دونها لَمُصْمتَ باب أنت من دون قُفْله مِفْتاحى
تاقت النفسُ ياخليلَ السماح نحو بحَر النّدى مجُارى الرّياح
ثم فكّرت كيف لى واُستخر تُ الله عند الإمساء والإصباح
فامتدحتُ الأميرَ أصلحه اللـ ه بشعرٍ مُشَهّر الأوضاح

فقال : هات مديحك . فأعطاه شعراً فى الفضل فى هذا الوزن وقافيته :

أنا من بُغية الأمير وكُنْز من كُنوز الأمير ذو أرباح
كاتبٌ حاسب خَطيب أديب ناصحٌ رائدٌ على النُّصاح
شاعرٌ مُفلق أخفُّ من الرِّ يشة فيما يكون تحت الَجناح

وهى طويلة ، يقول فيها :

إنْ دعانى الأمير عاينَ منِّى شَمَّرِيًّا كالبُلبل الصيَّاح

فدعا به ووصله ، وخُص بالفَضل وقَرُب من قلب يحيى أبيه ، وصار صاحب الجماعة وذا أمرهم .

صلته بالرشيد وقصتها

وذُكر أنَّ أبان بن عبد الحميد عاتب البرامكة على تَركهم إيصاله إلى الرشيد ، أو إيصال مدحه إليه . فقالوا : وما تريد بذلك ؟ فقال : أريد أن أحْظى منه بمثل ما حَظى به مروان بن أبى حفصة . فقالوا له : إنّ لمروان مذهباً فى هجاء آل أبى طالب به يحظى وعليه يُعطى ، فاُسلكْه حتى نفعل . فقال : لا أستحل ذلك . فقالوا : لا تجىء أمور الدنيا إلاّ بفعل ما لا يجوز . فقال أبان :

نشدتُ بحق الله مَن كان مُسلما أعمُّ بما قد قلتُه العُجْمَ والعَربْ

أَعَمُّ رسول الله أقربُ زلفةً إليه[1] أم ابْنُ العمِّ فى رُتبة النّسب
وأيهما أولى به وبعهــــده ومَن ذَا له حَقُّ التُّراث بما وَجَب
فإن كان عبّاس أحقَّ بتلكمُ وكان علىٌّ بعد ذاك على سَبب
فأبناء عبّاس همُ يرِثونه كما العمّ لابن العم فى الإرث قد حَجب

وهى طويلة . فقال الفضل : ما يَرد على أمير المؤمنين اليوم شىء أعجب إليه من أبياتك . فركب وأنشدها الرّشيد ، فأمر لأبان بعشرين ألف درهم .

ثم اتصلت بعد ذلك خدمته للرشيد وخُص به .

شعره الذى فيه الغناء وقصته

وكان خرج بالدّيلم على هارون الرشيد يحيى بن عبد الله بن الحسن بن على ابن أبى طالب — رضى الله عنهم — و بايعه مَن هناك ، واجتمع إليه جمع عظيم ، وأهم الرشيدَ أمرُه ، فسيَّر إليه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك ، فراسله ولاطفه حتى أجاب إلى الطاعة ، فأخذ له الفضل أمان الرشيد .

ومدحت الشعراء الفضل بذلك ، فأكثروا . فقال أبان اللاّحقى الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبان اللاّحقى ، وهو :

لقد برّز الفضلُ بن يحيى ولم يزل يُسامى من الغَايات ما كان أرفعا
يراه أمــيرُ المؤمنين لمُلْـكه ويحيى[2] لمّــا أعطى من العَهد مَقْنعا
فأمست بنو العبّاس بعد اختلافها وآل علىّ مثل زَنْدَى يَدٍ معا
قضى بالتى شَدَّت لهارون مُلْـكه وأحيتْ ليحيى نَفْسه[3] فتمتعا

---

(١) غير التجريد : « لديه » .
(٢) غير التجريد : « كفيلا » .
(٣) غير التجريد : « ملكه » .

تعقيب لابن واصل

قلت :

إنّ يحيى لمّا قدم على الرّشيد بأمانه غدر به الرشيد بعد ذلك وسمّه ، فمات مسموماً . وفى ذلك يقول أبو فِراس بن حمدان ، فى القصيدة التى يهجو فيها بنى العباس :

يا جاهداً فى مَساويهم يُكتّمها غَدْرُ الرشيد بيحيى كيف ينْكتِمُ
مانال منهم بنو حَرب و إن عَظُمت تلك الجِناية إلاّ دون نَيْلكم
أأنتمُ آله فيما ترون وفى أظفاركم من بَنيه الطاهرين دَم

أخبار تُوَيْت

وهو : عبد الملك بن عبد العزيز السلولى ، من أهل اليمامة . نسبه

وتُوَيْت :[1] لقبه . لقبه

وهو أحد الشعراء اليماميين ، من طبقة يحيى بن أبى طالب[2] ، وابن أبى حفصة ، ودونه . طبقته

لم يَفِدْ إلى الخلفاء ، ولا مَدح الأكابر ، فخمل ذكره لذلك . خمول ذكره

وكان يهوى امرأة من أهل اليمامة ، يقال لها : سُعدى ويقول فيها الشعر ، ولم تكن رأته ، فمرَّ بها يوماً وهى مع أتراب لها ، فقلن لها : هذا صاحبك ، وكان دميما ، فقامت إليه وقُمن معها ، فضربنه وخرَّقن ثيابه ، فاستعدى عليهن ، فلم يُعده الوالى ، فأنشأ يقول : هو وامرأة هويها من اليمامة

إن الغوانى جَرَّحْن فى جَسدى ... من بعد ماقد فَرَغن من كَبِدِى

وقد شَقَقْن الرِّداء ثُمَّتَ لم ... يُعْدِ عليهنَّ عاملُ البَلد

لم يُعْدنى الأحولُ المَشُوم وقد ... أبصر ما قد صَنَعن فى جَسدى

فلمَّا جرى هذا بينه و بينها عَقد فى قلبها رِقَّة ، فكانت تتعرّض له إذا مرّ

---

(١) غير التجريد . « تويت »

(٢) غير التجريد : « يحيى بن طالب » .

بها ، فاجتاز بها ذات يوم ولم تتوار عنـــه وأرته أنها لم تره ، فلمّـا وقف لميا سترت وجهها بخمارها ، فقال تُوَيْت :

خُذا بدَمى سُعدى فسُعْدى مُنيتُها[1] غداةَ النّقا صادت فؤاداً مُقَصَّدَا
بآية ما ردّت غـــداة لقيتها على طَرف عينيها الرّداءَ المورَّدَا

من شعره فيها وهى فى طريقها إلى الحج

ولقيها يوماً راحلةً نحو مكة ، فأخذ بخِطام بعيرها ، وقال :

قُل للتى خَرجتْ تُريد رِحالَها للحجّ إذ وجدتْ إليه سَـــبيلاَ
ما تَصنعين بحجــةٍ أو عُمْرة لا تُقبلان وقد قَتلتِ قَتيلا
أَحيِى قتيلك ثم حُجى وأنسُكى فيكون حَجّكِ طاهراً مَقبولا

فقالت : أرسل الخطام ، خيّبك الله وقبّحك ، ثم سارت .

من مختار قوله فيها

ومن مختار قوله فيها :

سَلِ الأطلال إن نَفع السُّؤالُ وإن لم يَرْبع الرَّكبُ العِجَالُ
عَن الخود التى قَتلتك ظُلما وليس بها إذا بَطَشت قِتـــال
أياثارات مَنْ قَتَلَتْه سُعدَى دَمِى لا تَطلُبوه لهـــا حَلال
أعارَكِ ما تَبابْتِ به فُؤادى من العينين والجيـــد الغزال
أرِقُّ لهـا وأُشفق بعد قتلى على سُعدى وإن قلَّ النّوال
وما جادت لنا يوماً ببذل يمِينٌ من سُـــعاد ولا شِمَال

شعره الذى فيه الغناء

وقوله ، وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وامتتح به أبو الفرج أخباره :

ما تزال الدّيار فى بُرقة النّجـ ـد لسُعدى بقرقرى تبكيى

---

(١) التجريد : « بينها » .

قد تمحّلتُ[1] كى أرى وَجْهَ سُعْدى ... فإذا كُلّ حيـــلةٍ تُعْيِينى

قلتُ لمّا وقفتُ فى سُدَّة البا ... ب لسُـعدى مقالةَ المِسْكين

أُفعلى بى يا ربّةَ الخِـــدْرِ خيراً ... ومِن الماءِ شَربةً فاسْقِينى

قالت الماء فى الرّكىِّ كثير ... قلت ماء الرّكى لا يَكْفِينى

طرحتْ دُونىَ السّتور ، وقالت ... كلَّ يوم بعِـــلّة تأْتينى

(١) عبر التجريد : « تخيلت » .

أخبار مانى الموسوس

اسمه وكنيته — هو : محمد بن سلام . ويكنى : أبا الحسن .

مصرى — من أهل مصر .

شعره — شاعر ليّن الشعر رقيقه ، لم يقل شعراً إلاَّ فى الغزل .

لقبه — ومانى[1] : لقب غلب عليه .

قدومه بغداد — وقدم بغداد .

تخليطه — فحكى محمد بن عمار قال :

كان مانى يألفنى ، وكان مليح الإنشاد رقيق الشعر غزله ، فكان يُنشدنى الشىء ، ثم يُخالَط فيقطعه .

فى حضرة محمد بن عبد الله بن طاهر — وذُكر أن محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين عزم على الصَّبوح ، وعنده الحسن بن محمد بن طالوت ، فقال له محمد : كنّا نحتاج أن يكون معنا ثالث نأنس به ونلتذ بمحاورته ، فمن ترُى أن يكون ؟ فقال ابن طالوت : قد خطر ببالى رجل ليس علينا فى مُنادمته ثِقل ، قد خلا من إبرام المُجالسين ، وبرئ من ثقل المُؤاسين ، خفيف الوطأة إذا أدنيته ، سريع الوثبة إذا أمرته . قال : مَن هو ؟ قال : مانى الموسوس : فقال محمد : ما أسأت الاُختيار . ثم تقدم إلى صاحب الشرطة بطلبه وإحضاره . فما كان بأسرع من أن قبض عليه صاحب الشرطة

---

(١) غير التجريد : « مان » .

بالكَرخ ، فوافى به باب محمد بن عبد الله بن طاهر ، فأدخل ونُظِّف وأُخذ من شَعَره ، وأُلبس ثيابا نِظافا ، وأُدخل على محمد بن عبد الله ، فلمّا مَثَل بين يديه سلّم ، فردّ عليه السلام ، ثم قال له : أَمَا حان لك أن تزورنا مع شوقنا إليك ؟ فقال له مانى : أعز الله الأمير ، الشّوق شديد ، والوُد عتيد ، والحجاب صعب ، والبواب فَظ ، ولو سهل علينا الإذن لسهلت علينا الزيارة . قال محمد : لقد لَطفت فى الاستئذان . وأمره بالجلوس ، فجلس . وقد كان أُطعم قبل أن يدخل . وأُتى محمد بجارية لإحدى بنات المهدى تُسمَّى : مَنُوسة[1] ، كان يُحب السماع منها ، فأوّل ما غنّت :

ولستُ بناسٍ إذ غدوا فتحمّلوا دُموعى على الخدّين من شدّة الوَجْدِ

وقَولى وقد زالت بعَيْنِى حمُولهم بوادر[2] تُحْدَى لايكُن آخر العهد

فقال مانى : أيأْذن لى الأمير ؟ قال : فيماذا ؟ قال : فيما أسمع . قال : نعم . قال : أحسنت والله . قال : فإن رأيت أن تزيدى فى الشعر هذين البيتين .

وقُمتُ أُناجى القلبَ والدمعُ حائر[3] بمُقلة مَوْقوفٍ على الضُّر والجُهْدِ

ولم يُعْدِنى هذا الأمير بعَدْله على ظالم قد لَجّ فى الهَجر والصَّدِّ

فقال له محمد : من أىّ شىء استعديت يامانى ؟ فاستحيا ، وقال : لا مِن ظالم أيها الأمير ، ولكنَّ الطرب حرّك شوقا كان كامنا فظهر . ثم غنّت .

---

(١) غير التجريد : « منوس » .

(٢) غير التجريد : « بواكر » .

(٣) غير التجريد : * وقمت أناجى الدمع والقلب حائر *

حَجَبوها عن الرِّياح لأنّى قلتُ يا ريحُ بلِّغيها السَّلامَا
لو رضُوا بالحجاب هان ولكنْ مَنعوها يومَ الرّياح الكلاما

فطرب محمد بن عبد الله بن طاهر ، ودعا برطل ، فقال مانى : ما كان على قائل هذين البيتين لو أضاف إليهما هذين :

فتنفّستُ ثم قلت لطَيفى وَيْك إن زُرت طيفَها إلماما
حَيِّها بالسلام سرًّا وإلاّ مَنعوها لِشقْوتى أن تناما

فقال محمد : أحسنت يا مانى . ثم غنّت :

يا خليلىّ ساعةً لا تَريما وعلى ذى صَبابة فأقيما
ما مَررنا بقَصْر زينب إلاّ فَضح الدمعُ سِرّك المكْتوما

فقال : لولا رهبة الأمير لأضفتُ إلى هذين البيتين بيتين ، لا يَردان على سمع ذى لُب فيصدران إلاّ عن أستحسان . فقال محمد : الرغبة فى حُسن ما تأتى به حائلة دون كُل رَهبة ، فهات ما عندك . فقال :

ظَبية كالهِلال لو تلحظ الصَّخـ ـر بطَرفٍ لغادرته هَشيمَا
وإذا ما تبسّمتْ خلتَ ما يبدو من الثغر لُؤلؤاً مَنْظوما

فقال له محمد : أحسن الشعر — ما دام الإنسان يشرب — ما كان مكسوًّا لحناً حَسناً ، تُغني فيه مَنوسة وأشباهها ، فإن كسيت شعرك من الألحان مثل ما غَنّت قبل طاب . فقال : ذاك إليها . فقال له ابن طالوت : يا أبا الحسن ، كيف هى عندك فى حُسنها وجمالها وأدبها وغنائها ؟ قال : هى غاية ينتهى إليها الوصف . قال : قُل فى ذلك شعراً . فقال :

وكيف صَبْر النفس عن غادةٍ تَظلِمها إن قلْت طاووسَهْ

وجرت أن شَبَّهتهــا بانةً في جَنة الفِرْدوس مَغْروسه

وغــــير عدل إن عَدَلنا بهــا لؤلؤةً فى البَحر مَنْفوســـــه

جَلَّت عن الوَصف فما فِكْرة تَلْحقها بالنَّعت مَحْسوســـه

فقال له ابن طالوت : قد وجب شكرك يامانى ، فسـاعدك دهرك ، وعطف عليك القلب ، ونلت سرورك ، وفارقت محذورك ، والله يُديم لنـــا ولك بقاء مَن ببقائه اجتمع شملنا ، وطاب يومنا . فقال مانى :

مُدمِن التَّخفيف موصول ومُطيل اللُّبث مَمْـــلول

وأنا أستودعكم الله ، ثم قام فانصرف . فأمر له محمد بن عبد الله بصــلة . ثم كان كثيراً ما كان يبعث إليه يطلُبه إذا شرب ، فيبرّه و يصله ، و يُقيم عنده .

هيامه بغــلام

وحَــكى بعضُ الــكُتّاب قال :

لقينى مانى بعد انقطاع طويل ، فقال : ماقطعنى عنك إلى أنّى هائم . قلت : بمن ؟ قال : بمن إن شئت أن تراه الســاعة رأيته فعذرتنى . قلت : فأنا معك . فمضى معى حتى وافى باب الطّاق ، فأرانى غلاماً جميل الوجــه ، بين يدي بزاز فى حانوته . فلمّا رآه الغلام غدَا فدخل الحانوت ، و وقف مانى طويلاً ينتظره ، فلم يخرج ، فأنشأ يقول :

ذنبى إليه خُضوعى حين أُبصره وطولُ شَوقى إليه حين أذكُرُه

وما جرحت بلحظ العَين وَجنته إلّا ومِن كَبدى يقتصّ مَحْجِره (١)

نَفسِى على بُخله تَفديه من قمرٍ و إنْ رمانى بذَنْبٍ ليس يَغفره

(١) البيت ليس فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

وعاذلٍ باصطبار القلب يأمرنى فقلتُ من أين لى قلبٌ أصبِّرهُ (١)

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار مانى الموسوس ، هو :

بَنانُ يدٍ تُشير إلى بَنان تجاوَبَتا وما يتكلّمانِ

جرى الإيماء بينهما رسولا فأحكمَ وحْيَه المُتناجيانِ

فلو أبصرتنا(٢) لغضضتُ طَرْفاً عن المتناجيَيْن بلا لِسان

(١) غير التجريد : « لى صبر فأهجره » .
(٢) غير التجريد : « أبصرنه » .

أخبار بكر بن خارجة

أصله

هو رجل من أهل الكوفة ، مولى لبنى أسد .

شىء عنه

وكان ورّاقاً ضيِّق العيش ، مُقتصراً على الكسب بالوارقة ، و يصرف أكثر ما يكسبه إلى النَّبيذ ، وكان مُعاقراً للشُّرب فى منازل الخمّارين وحاناتهم .

وكان طيِّب الشِّعر ، مليحاً مطبوعاً ، خليعاً ماجناً .

شعره فى إراقة أمير الكوفة الخمر

وذُكر أنَّ بعض أُمراء الكوفة حرّم بيع الخمر ، وركب فأراق نبيذ الخمّارين ، فجاء بكر بن خارجة ليشرب عندهم على عادته ، فرأى الخمر مَصبوباً على الرّحاب والطُّرق ، فبكى طويلاً ثم قال :

يا لقومى لِمَا جَنَى السُّلطان ... لا يكونَنْ لما أهان الهوانُ

صَبَّها[1] فى التُّراب من حَلَب الكَرْ ... م عُقاراً كأنَّها الزَّعفران

صَبَّها[1] فى مكان سُوءٍ لقد صا ... دف سَعدَ السُّعود ذاك المكان

من كُميت يُبْدى المِزاج لها ... لؤلؤ نَظْمٍ والفصل منها جُمان

و إذا ما اصطبحتُها صَغُرت فى القَد ... ر عندى من أجلها الخيزران[2]

كيف صَبرى عن بعض نفسى وهل ... يصبر عن بعض نفسه الإنسان

مما يغنى فيه من شعره

ومِمَّا يغنَّى فيه من شعره :

قلبى إلى ما ضَرَّنى داعى ... يُكثر أسقامى وأوجاعِى

(١) عبر التجريد : « قهوة » .

(٢) عبر التجريد « فى القدر تحاماها ذى الجرذان » .

كيف احتراسي من عدوّى إذا ... كان عدوّى بين أضلاعي

أسلمني للحبّ أشياعي[1] ... لمّا سعى بي عندها السّاعي

لمّا دعاني حبّها دعوة ... ناديته لبّيك من داعي

وقد ذكرت هذه الأبيات للعبّاس بن الأحنف، وتقدّمت في أخباره، والله أعلم.

شعره الذي فيه الغناء وقصته

وذكر أنه كان يتعشّق بكر بن خارجة غلاماً نصرانياً من العباديين، وله فيه أرجوزة، يذكر فيها النّصارى وأعيادهم ودياراتهم، منها الشّعر الذي فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار بكر بن خارجة، وهو:

وشادن قلبي به عميد[2] ... شيمته الهجران والصّدود

لا أسأم الحرص ولا يجود ... والصبر عن رؤيته مفقود

زنّاره في خصره معقود ... كأنه من كبدي مقدود

لدعبل في بيتين من شعره

وذكر أنّ دعبلاً قال:

ما يعلم الله أنّي حسدت أحداً قط، كما حسدت بكراً على هذين البيتين، يعني قوله:

زناره في خصره معقود ... كأنّه من كبدي مقدود

(١) عبر التجريد: «وأنجابى».
(٢) عبر التجريد: «معمود».

أخبار إسماعيل القراطيسي

نسبه وولاؤه

هو : إسماعيل بن مَعمر الكوفى ، مولَى الأشاعثة .

شيء عنه

وكان مألفاً للشعراء ، فكان أبو نواس، وأبو العتاهية ، ومُسلم ، وطبقتهم يقصدون منزله ويجتمعون عنده ، ويدعو لهم القِيان والغلمان ، ويساعدهم على فسقهم .

شعره الذى فيه الغناء

وأبياته التى فيها الغناء قوله :

وَيْلى على ساكنٍ شَطَّ الصَّراه ... مِن وَجنتيه شِمتُ بَرْق الحياه
ما تَنقضى من عجب فِكْرتى ... فى خَصلة فرّط فيها الوُلاه
تَرْكُ المحبين بلا حاكم ... لم يُقعِدوا للعاشقين القُضاه

ومنها :

وقد أتانى خَبرٌ ساءنى ... مقالها فى السِّر واسَوْأتاه
أمثلُ هذا يَبتغى وَصْلنا ... أما يرى ذا وجهه فى المراه

هو والعباس بن الأحنف فى معارضة شعر له

وحَكى القراطيسى قال :

قلت للعباس بن الأحنف : هل قلت فى معنى قولى :

* وقد أتانى خبر ساءنى * البيتين ؟

فقال : نعم ؛ ثم أنشدنى :

جارية أعجبها حُسنها ... ومثلُها فى الناس لم يُخْلَق
خبَّرتها أنِّى مُحبٌّ لها ... وأقبلت تَضحك مِن مَنطقى

وأُلتفتت نحو فتــــاة لها ... كالرَّشأ الوَسْنان فى قرطقِ

قالت لهـا قولى لهذا الفتى ... أُنظر إلى وجهك ثم أعشَق

وذُكر أنَّ القراطيسى مدح الفضل بن الرَّبيع . فحرمه ، فقال فيه : شعره فى الفضل حين حرمه الجـائزة

ألا قُل للذى لم يَهد ... ه الله إلى نَفــعِى

لئن أخطأتُ فى مدحيــك ما أخطأتَ فى مَنْعى

لقد أحللتُ حاجاتى ... بوادٍ غير ذى زَرع

أخبار أبي العبر

نسبه

هو : أبو العبّاس أحمد بن محمد - ويلقب : حمدونا الحامض - بن عبد الله ابن عبد الصمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطلب بن هاشم .

جده وهزله

وكان صالح الشِّعر مطبوعه ، يقول الشعر المُستوى في أوّل عُمرِه ، منذ أيام المأمون وهو غلام ، إلى أن وَلِي المتوكل الخلافة ، فترك الجِدّ وعَدل إلى الحمق والرّقاعة والشهرة بذلك .

نفوق شعره الرديء

وقد نيّف على الخمسين ، ورأى شعره مع توسّطه لا يتفق مع أبي تمام والبحتري ونُظرائهما ، فعدل إلى الشعر الرديء المُضحك ، فنَفق به .

وكان مولده بعد خمس سنين من خلافة الرّشيد ، وعُمِّر إلى أيام المتوكل وبعد ذلك ، فكسب بالحمق إضعاف ما كسبه كُل شاعر بالجد ، ونفق في أيام المتوكّل ، وكسب مالاً جليلاً .

دفاع الزبير عنه

وحكى الزُّبير بن بكار قال : قال لي عَمِّي :

ألا يأنف الخليفة لابن عمّه هذا الجاهل ممّا شَهر به نفسه ، وفضح عشيرَته ، والله إنه ليغُرّ بني آدم جميعاً فضلاً عن أهله الأدنين ، أفلا يَردعه ويَمنعه من سوء اختياره . فقلت له : إنه ليس بجاهل كما تقدّر ، وإنما يتجاهل ، وإنّ له أدباً صالحاً وشعراً طيباً ، ثم أنشدته قوله :

لا أقول الله يَظلمني كيف أشكو غير مُتّهم

وإذا ما الدّهر ضَعْضعنى　　لا تَرانى[1] كافرَ النِّعمِ
قَنعت نفسى بما رُزقت　　وتَناهت فى العُلاَ هِممى
ليس لى مالٌ سوى كَرمى　　وبه أَمْنِى مِن العَدم

فقال لى : ويحك ، فلِمَ لا يلزم هذا وشبهه ؟ فقلت له : والله ياعم ، لو رأيت ما يصل إليه بهذه الخرافات لعذرتَه ، فإن ما أستملحته لم ينفق به . قال عمّى ، وقد صعب عليه هذا القول : أنا لا أعذره فى هذا ولو حاز به الدُّنيا بأسرها ، لا عَذرنى الله إن عذرتُه إذن .

هو وأبو العيناء فى شعر للمأمون

وحَكى أبو العَيناء قال :

أنشدت أبا العِبر قولَ المأمون :

ما الحبُّ إلاَّ قُبلة　　وغمز كفٍّ وعَضُدْ
أو كُتُب فيها رُقَى　　أنفذُ من نَفْث العُقَد
من لم يكن ذا حُبَّة[2]　　فإنما يَبغى الوَلد
ما الُحبُّ إلاّ هكذا　　إنْ نُكح الُحبّ فسد

فقال لى : كذب المأمون ، وأكل من خَرائه رِطلين ورُبعاً بالميزان ، فقد أخطأ وأساء ، ألا قال كما قلت :

باض الُحبّ فى قَلبى　　فوا وَيلى إذا فَرّخ
وما ينفعنى حُبِّى　　إذا لم أكنس البَربخ
وإن لم يَطرح الأصلع　　خُرْجيه على المطبخ

(١) غير التجريد : « لم تجدنى » .　　(٢) الحبه : الخروبه .

ثم قال : كيف رأيت ؟ قلت : عجباً من العجب . فقال : ظننت أنك تقول : لا ، فأبلّ يدى وأرفعها ، ثم سكت . فبادرت وأنصرفت خوفاً من شرّه .

شيء من هوسه

وحُكى أنّ أبا العبر كان يجلس بسُرَّ مَن رأى فى مجلس له ، ويجلس إليه المُجّان ويكتبون عنه . فكان يجلس على سُلّم وبين يديه بلاّعة فيها ماء وحمأة وقد سُد مجراها ، وبيده قصبة طويلة ، وعلى رأسه خُف ، وفى رجليه قَلَنسيتان ، ومُسْتمليه فى جوف بئر ، وحوله ثلاثة نفر يدقُّون بالهواوين حتى تكثر الجلبة ويقلّ السماع ، ويصيح مُستمليه من جوف البئر : مَن نسيت[1] عذّبك الله . ثم يُملى عليه أنواعاً من الرّقاعات ، فإن ضحك أحد ممّن حضر قاموا فصبُّوا على رأسه ماء البلاّعة ، إن كان وضيعاً ، وإن كان ذا مروءة رَش هو عليه بالقصبة من مائها ، ثم يُحبس بالكنيف ولا يخرج منه حتى يُغرَّم درهمين .

تغيير كنيته

وكانت كنيته أبا العباس فصيَّرها أبا العبر ، ثم كان يزيد فيها كل سنة حرفاً ، فمات وكنيته : أبو العبر طرد طيل طليرى بك بك بك .

هجران أبيه له وسبب ذلك

وحكى جَحظة قال :

رأيت أبا العبر بسُرَّ مَن رأى ، وكان أبوه شيخاً صالحاً ، وكان لا يُكلمه ، فقال له بعض إخوانه : لِمَ هجرت أبنك ؟ فقال : فَضحنى كما تعلمون بما يفعله بنفسه ، ثم لا يرضى بذلك حتى يُهجّننى ويُضحك الناس منى . فقالوا : وأى شيء من ذاك ، وبماذا هجّنك ؟ قال : أجتاز علىّ منذ أيام ومعه سُلّم ، فقلت : إيش هذا معك ؟ فقال : لا أقول لك . فأخجلنى وأضحك بى كُل مَن كان عندى . فلمّا كان بعد أيام أجتاز بى ومعه سَمكة ، فقلت له : إيش تعمل بهذه؟ فقال أنيكها. فحلفت أنّى لا أكلمه أبدا .

---

(١) عبر التجريد : « يكتب » .

سئل عن محالاته فأجاب

وذُكر أنه سئل أبو العِبر عن هذه المُحالات التى يتكلَّم بها : أى شىء أصلها ؟ فقال : أبكِّر فأجلس على الجسر ، ومعى دواة ودُرج فأكتب كُل شىء من الكلام الذى يقوله الجائى والذّاهب حتى أملأ الدُّرج من الوجهين ، ثم أقطعه عرضاً وطولاً وألصقه مُخالفاً ، فيجيئنى كلام ليس فى الدُّنيا أحمق منه .

فى صيده

وقال بعضهم :

رأيت أبا العِبر واقفاً على بعض آجام سُرَّ مَن رأى و بيده اليسرى قوس جُلاَهق[1] ، وعلى يده اليمنى باشَق[2] ، وعلى رأسه قطعة رئَّة فى حبل مشدود بأُنشوطة ، وهو عُريان فى أيره شعر مفتول مشدود فيه شِصّ وقد ألقاه فى الماء للسمك ، وعلى شفته دُوشاب ملطّخ . فقلت له : خَرب الله بيتك ، إيش هو هذا ؟ فقال: أصطاد يا كشخان يا أحمق بجميع جوارحى ، إذا مرّ بى طائر رميته عن القوس ، فإن سقط قريباً منى فإنى أرسل عليه الباشق ، والرّئة التى على رأسى تجىء الحدأة لتأخذها فتقع فى الوَهَق[3] ، وأمّا الدّوشاب فإنى أصطاد به الذُّباب فأجعله فى الشِّص فتطلبه السَّمكة فتقع فيه ، والشّص فى أيرى إذا مرّت به السمكة أحسست بها فأخرجها .

من لهو المتوكل بـه

وذُكر أنَّ المتوكّل كان يَرمى به فى المَنجنيق إلى الماء ، وعليه قميص ، فإذا علا فى الهواء صاح : الطريق الطريق ، ثم يقع فى الماء ، فيُخرجه السّباحون .

شعره فى رمى المتوكل له فى البركة

وكان أيضاً يُجلسه فى الزلّاقة ، فينحدر فيها حتى يقع فى البِركة ، ثم يطرح شبكة فيُخرجه فيها كما يُخرج السَّمكة ، وفى ذلك يقول فى حماقاته :

---

(١) الجلاهق : البندق الذى يرمى به . (٢) باشق : طائر .

(٣) الوهق : الحبل فى طرفه انشوطة .

وَيأمــــرُ بىَ المَلِكْ فيَطرحنى فى البِركْ
ويصـــطادُنى بالشّبك كأنّى من السَّمك
ويضحك كَك كك كـــك كَكَكَــكْ(١)

هو والمصعبى

وحُــكى أنَّ أبا العِبر قدم مرّة بغداد فى أيام المُستعين ، وجلس للناس ، فبعث إسحاق بن إبراهيم المُصعبى فأخذه وحبسه ، فصاح فى الحبس : لى نصيحة ، فأخرج ، ودعا به إسحاق ، فقال : هات نصيحتك . فقال : على أن تؤُمننى . قال : قد أمنتك . قال : الـكشكية ـ أصلحك الله ـ لا تطيب إلاَّ بالـكشك . فضحك إسحاق وقال : هو فيما أرى مجنون . قال : لا ، هو أُمتخط حوت . فقال : أى شىء أُمتخط حوت ؟ قال : زعمت أنّى أنجيت(٢) يوماً ومافعلت ، إنما أُمتخطت حوتاً . ففهم ماقال وتبسَّم ، وقال : أظن أنى فيك ماء ثوم . فقال : لا ، ولـكنَّك فىَّ ماء بصل . فقال : أخرجوه عنِّى إلى لعنة الله ، ولا يقيم فى بغداد ولا يوماً واحداً .

من شعر فى الجد

ولأبى العِبر أشعار فى الجدّ جيِّدة ، فمن ذلك قوله يخاطب غلاماً أمرد :

أيها الأمرد المُولَع بالهَجْر أفِقْ ما كذا سَبيلُ الرَّشادِ
فـكأنّى بحُسن وجهك قد أُلـ بس فى عارضَيْك ثَوْب حِداد
وكأنّى بعاشِــقَيك وقــد بُدِّ لتْ فيهم من خُلطة ببِعاد
حين تنبو العُيون عنك كما يَنْ قبض السمعُ عن حَديثٍ مُعاد
فاَغنم قبل أن تصـير إلى كا ن وتُضحى فى جُملة الأَضداد

وقوله :

داء دفـــين وهوى بادى أظلم َفجازيك بمِرْصـــــــــاد

---

(١) البيت ساقط من أصول الأغانى التى بين أيدينا .
(٢) أنجى : أتى الغائط .

ياواحـــد العالم[١] فى حُســنه أشمتَ بى هَجْرُك[٢] حُسّادِى
قد كُنت فيما نالنى فى الهوى[٣] أَخفى على أعــيُن عُوّادِى
عبدك تُحيي نفسَــه[٤] قُبلةٌ يجعلها خاتمــــــةَ الزّاد

نصيحته فى الشغل عن المتحدث

وحَــكى ابن أبى أحمد قال :

قال لى أبو العِبر : إذا حدّثك إنسـان حديثاً لا تشتهى أن تسمعه فاشتغل بنتف إبطك ، حتى يكون فى عمل وأنت فى عمل .

بغضه للعلويين

وذُكر أنّ أبا العِبر كان شديد البُغض لعليّ بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ وله فى العلويّين هجاء قبيح .

سبب موته

وكان سبب ميتته أنه خرج إلى الكوفة ليرمى بالبُندق مع الرُّماة فى آجامهم ، فسمعه بعض الكوفيين يقول فى عليّ بن أبى طالب رضى الله عنــه قولاً قبيحاً ، استحلّ به دمه فقتله فى بعض الآجام ، وغرّقه فيها .

شعره الذى فيــه الغنــاء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى العِبر ، هو :

أبكى إذا غَضبْت حتى إذا رضيْت بكيتُ عند الرضى خوفاً من الغَضَب
فالويلُ إنْ غَضِبت والويلُ إن رضيت إن لم يتمّ الرضى فالقلبُ فى تَعب

---

(١) غير التجريد : « الأمة » .
(٢) غير التجريد : « صدك » .
(٣) غير التجريد : * قد كنت مما نال منى الهوى *
(٤) غير التجريد : « مونه » .

أخبــار
مروان بن أبي حفصة الأصغر

(*) هو : مَروان بن أبي الجنوب بن مَروان الأكبر بن أبي حفصة . نسبه

ويُكنى : أبا السِّمط . كنيته

وكان يتشبَّه بجده فى شـعره ، ويمدح المتوكل ويتقرّب إليه بهجاء آل أبي طالب ، فتمكَّن منه وقُرِّب إليه ، وكسب معه مالاً كثيراً . فلمَّا قُتل المتوكّل وأفضت الخلافة إلى أبنه المنتصر ، تجنَّب مذهب أبيـه فى كلِّ أمر ، فطرده وحلف ألاَّ يدخل إليه أبداً ، لمـا كان يسمعه منه فى ذكر على بن طالب — رضى الله عنه — بمـا لا ينبغى . سبب قوله الشعر

وذُكر أنَّ مروان الأصغر أستأذن على المُنتصر ، لمـا ولى الخلافة ، فقال : والله لا أذنتُ للـكافر أبن الزَّانية ، أليس هو القائل : شعره الذى فيه الغنـاء وقصته

وحكّم فيهـا حاكمَيْن أبوكم ... هما خَلعاه خَلْع ذى النعل للنّعْلِ

قولوا له : والله لا وصلت إلىَّ أبداً . فلمَّـا بلغه هذا القول عمـل الشعر الذى فيه الغناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخباره بمدح المُنتصر :

لقد طال جَهدى بالإمام محمـد ... وما كنت أخشى أن يطولَ به عَهْدِى

فأصبحتُ ذا بُعدٍ ودارى قريبة ... فواعجباً من قُرب دارى ومن بُعدى

(*) من تراجم الجزء الحادى عشر .

فياليت أنّ العيد لى عاد مرّة فإنّي رأيت العيد وجهك لى يُبدِى
رأيتك فى بُرد النبى محمــــد كبدر الدُّجى بين العمامة والبُرد

وسأل بنانَ بن عمرو فصَنع لحناً ، وغنّى به المُنتصر ، فلمّا سمعه سأل عن قائلها ، فأخبر ، فقال : أمّا الوصول إلىّ فلا سبيل إليه ، ولـكن أعطوه عشرة آلاف يتحمّل بها إلى اليمامة .

بينه وبين ابن الجهـم

وذُكر أنَّ مَروان بن أبى حفصة كان يكثر من هجو علىّ بن الجهم الشاعر ، وعلىّ يُعرض عنه أنفةً من جوابه ، فما قاله مَروان فيه :

لعمرك ما جَهم بن بدر بشــاعر وهذا علىّ ابنه يدّعى الشِّعرا
ولـكن أبى قد كان جاراً لأمه فلمّا روى الأشعار أوهمنى أمرا

فقال علىُّ بن الجهم :

بلاءٌ ليس يُشــبهه بلاء عداوةُ غير ذى حسَب ودِين
يُبيحيك منه عِرضاً لم يَصُــنه ويَقدح منك فى عِرض مَصون

وذُكر أنَّ ابن الجهم لمّا امتدح المُتوكّل بالقصيدة التى يقول فيها :

اُغتنم جِــدّة الزمان الجــديد واجعل المِهرجان أيمن عِيــد

أنشدها ومَروان الأصغر حاضر ، فغمزه المتوكل على علىّ بن الجهم ، فقال له : يا علىُّ ، أخبرنى عن قولك :

* واجعل المهرجان أيمن عيد *

يوم عيد هو أم يوم لهو ؟ إنّمــا العيد ما تعبّد الله به الناس مثــــل الفطر والأضحى وأيام التشريق والجمعة ، فأمّا المهرجان والنيروز فإنما هما أعياد المجوس ،

فلا يجوز أن يقال لخليفة الله فى عباده وخليفة رسوله فى أمته : أجعل المهرجان عيداً . فلم يلتفت عليٌّ إليه ، وأنشد حتى بلغ قوله :

نحن أشياعكم من آل خُراسا ن أولو قُوّة و بأس شديدِ
نحن أبناء هذه الخِرق السُّو د وأهل التشيّع المَحمود

فقال له مَروان : لو كنتم من أهل التشيّع المحمود ماقتل قَحطبةُ جدّك وصَلبه فى عداوة بنى العباس . فقال المتوكّل : ويلُك أقتل قَحطبةُ جدّك ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين . فأقبل عَلَى محمد بن عبدالله بن طاهر ، فقال له : بحياتى ، الأمر كما قال مَروان ؟ فقال له محمد : و إن كان كما قال فأى ذنب لعلىّ بن الجهم ، قد قتل الله أعداءكم وأبقى أولياءكم . فضحك المُتوكل وقال : شهدتَ والله بها عليه . فقال مَروان فى ذلك :

يا بن جَهْم كيف تهوى مَعشرا صلبوا جدّك فوق الخشَبه
يا إمام العَدل نُصحى لكم نُصح حَقٍّ غير نُصح الكَذَبه
إنّ جدّى مَن رفعتُم ذِكره بكرامات لشُكرى مُوجبه
وأبن جَهم قد قتلتم جدّه وتولّى ذاك منه قَحطبه
خُراسان رأت شيعتكم أنه أهلٌ لضرب الرَّقبه
أتراه بعد ذا ينصحكم لا وربّ الكَعبة المُحتجبه

رثاؤه لطاهر بن الحسين وحديث ذلك

وذُكر أنّ مَروان الأصغر دخل على عبد الله بن طاهر فقال : إنّى تذكّرت فى ليلتى هذه ذا اليمينين ــ يعنى أباه طاهر بن الحسين ــ فبتُّ أرِقاً حزيناً باكياً . فأرْثه فى مقامك هذا بأبيات تجعل لى طريقاً إلى شفاعتك ، ولك حكمك . ففكر ساعة ثم قال :

إنّ المكارم إذ تولّى طاهر قطع الزّمانُ يمينَها وشِمالَها

لو كافحتْه يد المَنون مجاهراً لاقتْ بوقْع سُيوفه آجالَها

أرسى عِماد خليفة فى هاشم ورَمى عِماد خلافة فأزالها

بكت الأعنّة والأسنة طاهراً ولطالما روّى النجيعُ نِهالها

ليت المنون تجانفت عن طاهر ولوت بزورة من تشاء حِبالها

ما كنت لو سَلِمت يمينا طاهر أدرى ولا أسل الحوادث مالها

فقال : أحسنت والله : فقال : خمسون ألف درهم أقضى بها دينى وأصلح بها حالى وأبتاع ضيعة تلاصق ضيعتى . فأمر له بها ، وقال : ربحنا وخسرت ، ولو لم تحتكم لزدتك ، ولك عندنا غد وغد وبعد غد .

أخبار يوسف بن الصيقل

هو : يوسف بن الحجّاج الصَّيقل . — نسبه

قيل : إنه من ثقيف . وقيل : مولاهم . — ولاؤه

وكان كاتباً . — صناعته

مولده ومنشؤه بالكوفة . — مولده

وذُكر أنّ موسى الهادى كان على مُستشرف له عالٍ جدًّا ، وعنده إبراهيم الموصلى يُغَنّيه : — شعره الذى فيه الغناء وقصته

فارس يَضرب الكتيبة حتى تَصدّعا
فى الوغى حين لا يَرى صاحبُ القوس مَنْزعا
وٱستدارت رحالهم[1] بالردينىّ شُرَّعا
ثم ثارت عجاجةٌ تحتها الموتَ مُنْقعا

فقال الهادى : هذا لحن مليح ، ولكن أريد شعراً غير هذا ، فإنه شعر بارد .

وٱلتفت إلى يوسف بن الصَّيقل وقال له : ٱصنع فى هذا اللّون شعراً . فقال :

وهو الشِّعر الذى فيه الغناء ، وٱفتتح به أبو الفرج أخبار يوسف :

لا تَلُمْنى أن أجزعا سيّدى قد تمنّعا
وٱبلأنى إن كان ما بيننا قد تَقَطّعا
إنّ موسى بفضله جمع الفضل أجمعا

---

(١) التجريد : « رحالهم » .

وغنّاه إبراهيم بذلك اللّحن ، ومرّت به إبل ينقُل عليها ، فقال : أوقروها مالاً ، فأُوقرت مالاً وحُملت إليهم ، فاقتسموها ، فأصاب كلّ واحد من الجلساء ستُّون ألف دِرهم .

قصته مع الرشيد حين كمن له فى نهر

وذُكر أنّ الرّشيد لمّا قَدِم الرّقة ، خرج يوسف بن الصّيقل وكَمن له فى نهر جافّ على طريقه ، وكان لهارون خَدم صغار يُسمِّيهم النّمل ، يتقدّمونه بأيديهم قِسىُّ البُندق ، يرمون بها مَن يعترضه فى طريقه ، فلم يتحرّك يوسف حتى رأى قُبّة هارون على ناقة ، فوثب إليه يوسف ، وأقبل الخدم الصغار يَرمونه ، فصاح الرّشيد : كُفُّوا عنه ، فكفُّوا ، وصاح به يوسف :

أغَيثًا تحمل النا قةُ أم تحمل هارونَا
أم الشمسُ أم البدر أم الدُّنيا أم الدِّينا
ألا كُل الذى عَدَّدْ تُ[1] قد أصبح مَقْرونا
على مَفْرق هارون فَـــداه الآدميُّونا

فمدّ الرّشيد يديه ، وقال: مرحباً بك يا يوسف ، كيف كنت بعدى؟ أُدْنُ منِّى . فدنا ، وأمر له بفرس ، وصار إلى جانبه يُنشده ويحدِّثه ، والرشيد يَضحك. وكان طيِّب الحديث ، ثم أمر له بمال ، وأمر أن يُغَنَّى فى الأبيات .

---

(١) غير التجريد : « عقدت » .

ذكر خروج
عبد الله بن يحيى الخارجى ومقتله

نسبه

عبد الله يحيى الكندى ، أحد بنى عمرو بن معاوية أحد الخوارج الإباضية .

وقت خروجه

وكان خروجه فى خلافة مَروان بن محمد ، آخر خلفاء بنى أُمية .

الإباضية

والإباضية[1] : إحدى فِرق الخوارج ، وفرق الخوارج كلهم يَجمعهم تولِّى أبى بكر وعمر – رضى الله عنهما – والبراءة من عثمان وعلى وطلحة والزُّبير وعائشة – رضى الله عنهم – وتكفير أرباب الكبائر وأستحلال قتالهم ومبيهم[1] .

التدبير لخروجه

وكان عبد الله بن يحيى مُجتهداً عابداً ، فرأى باليمن جوراً وعَسفاً ظاهراً وسيرة فى الناس قبيحة . فقال لأصحابه : ما يحلّ لنا المُقام على ما نرى ، ولا يسعنا الصَّبر عليه . فكَتب إلى إخوانه من الخوارج يشاورهم فى الخروج ، فكلّهم أشاروا عليه بذلك ، وقالوا : إن قَدرت ألاّ تبيت ليلة واحدة فاُفعل ، فإنّ العبادة بالعمل الصالح أفضل ، و إنّك لا تدرى متى يأتى أجلك ، ولله خِيرة من العباد يبتعثهم إذا شاء لنُصرة دينه ، ويختصّ بالشهادة منهم مَن يشاء .

فشخَص إليه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدىّ ، أحد بنى سَلمة ، و بلج بن عُقبة ، فى رجال من الإباضية الخوارج . فقدموا عليه بحضرموت ، وحثُّوه على

(١–١) ما بين الرقمين من استطراد المؤلف ، وإن لم يشر إلى ذلك .

الخروج و بايعوه بالخلافة ، وقصدوا دار الإمارة بحضرموت ، وبها إبراهيم بن جبلة بن مَخرمة الكندى ، فأخذوه وحبسوه يوماً ، ثم أطلقوه . فأتى صنعاء ، وأقام يحيى بن عبد الله بحضرموت ، وكَثُرَ جمعه ، وسمَّوه : طالب الحق .

ثم استخلف بحضرموت عبد الله بن قيس الحضرمى ، وتوجّه إلى صنعاء سنة تسع وعشرين ومائة فى ألفين ، و بلغ القاسمَ بن عمر — أخا يوسف بن عمر ، وهو عامل مَروان بن محمد على صنعاء — مسيرهُ ، فاستخلف على صنعاء الضحّاك ابن زَمْل ، وخرج يريد الخوارج فى سلاح وعُدَّة ، وجمع كبير ، فعسكر على مسيرة يومين من أبين قريباً من الليل ، فقال الناس للقاسم : أيها الأمير ، لا نقاتل الخوارج ليلاً . فأَبَى وقاتلهم ، فقتلوا من أصحابه بَشراً كثيراً وانهزموا ليلاً ، فمرَّ بعسكره ، فأمرهم بالرَّحيل ومضى إلى صنعاء فأقام يوماً ، ثم خرج وعسكر قريباً من صَنعاء وخَندق ، وأقبل عبد الله بن يحيى فى الخوارج ؛ فأقام على ميلين من عسكر القاسم ، فوجَّه القاسم إليه يزيد بن الفَيض فى ثلاثة آلاف من أهل الشّام ، وأهل اليمن ، فكانت بينهم مناوشة ، ثم تحاجزوا ، ورجع يزيد إلى القاسم واستأذنه فى بَياتهم ، فأبى أن يأذن له ، فقال له يزيد : والله لئن لم تبيتهم ليفُمنّك . فأبَى أن يأذن له ، وأقاموا يومين لا يلتقون ، فلمّا كان فى الليلة الثالثة أقبل عبد الله ابن يحيى ، فوافاه مع طلوع الفجر ، فقاتلهم الناس على الخندق ، فغلبتْهم الخوارج عليه ودخلوا عسكرهم ، والقاسم يصلّى ، فركب وقاتلهم ، فقُتل فى المعركة ، وقام بأمر الناس يزيد بن الفيض ، فقاتلهم حتى ارتفع النّهار ، وانهزم أهل صنعاء ، ودخل عبد الله بن يحيى صَنعاء فملكها ، وقبض على الضحّاك بن زَمْل ، وإبراهيم ابن جَبله بن مَخرمة ، ثم أطلقهما ، وجمع الخزائن والأموال فأحرزها ، واستولى عبد الله بن يحيى على بِلاد اليمن ، وخَطب الناس ، فقال فى خُطبته :

دخوله المدينة

وأقام عبد الله بن يحيي بصَنعاء أشهرا يُحسن السِّيرة فيهم ويُلين جانبه لهم ، فكثر جمعه وأتته الخوارج من كل جانب . فلمّا كان وقت الحج وجّه أبا حمزة ، وبَلْج بن عُقبة ، وبرهة بن الصبّاح ، إلى مكة فى تسعمائة ، وأمر أبا حمزة أن يُقيم بمكة إذا صدر الناس ، ويُوجّه بَلجاً إلى الشّام . فقَدم أبو حمزة مكة يوم التَرْوية ، وعلى مكة يومئذ عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مَروان . فلمّا قَدِم أبو حمزة مكة فى الخوارج فزع الناس منهم حين رأوهم ، فقالوا : ما لكم ؟ وما جاء بكم ؟ فأخبروهم بخلافهم مَروان وآل مروان والبراءة منهم . فراسلهم عبد الواحد ودعاهم إلى المُدنة إلى أن ينفر الناس النَّفر الأخير . فأجابوا إلى ذلك ، فأصبحوا يوم عَرفة فوقفوا على حدة ، ودَفع عبد الواحد بالناس . فلمّا نَفر عبد الواحد بالناس النّفر الأول خلّى مكة لأبى حمزة وتوجّه إلى المدينة . ودخل أبو حمزة مكة بغير قتال ، واستولى عليها . وكتب عبد الواحد إلى مَروان بن محمد يعتذر من إخراجه من مكة . فكتب مَروان إلى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وهو عامله على المدينة ، يأمره بتوجيه الجيش إلى مكة . فوجّه ثمانية آلاف من قريش والأنصار. ولمّا بلغ أبا حمزة إقبالُ أهل المدينة إليه استخلف على مكة أبرهة بن الصبّاح ، وشخَص إليهم ، وعلى مقدمته بَلْج بن عُقبة . ونزل أهل المدينة بقُديد ، وأميرهم عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان . وقال أبو حمزة لأصحابه : إنّهم لا قُوكم غداً ، وأميرهم ابن عثمان بن عفّان ، أوّل مَن خالف سيرة الخلفاء ، وبدّل سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وقد وضح الصُّبح لذى عينين ، فأكثِروا ذِكر الله وتلاوة القرآن ، ووطّنوا أنفسكم على الصّبر . ثم التقوا يوم الخميس لأيام خلون من صفر سنة ثلاثين ومائة ، فلمّا التقوا قال أهل المدينة لأبى حمزة : ماتقول فى عثمان ؟ فقال : قد برىء منه المسلمون قَبلى ، وأنا مُتبع آثارهم ومُقتدٍ بهم . ثم اقتتلوا ، فانهزم أهل المدينة هزيمةً قبيحة ، وقُتل منهم جمع كبير ، وكان مبلغ

القتلى ألفين ومائتين رجلاً ، منهم من قريش : أربعمائة وخمسون رجلاً ، ومن الأنصار ثمانون . ومن القبائل ألف وسبعمائة . وقُتل من بنى عبد العُزى بن قُصى خاصة أربعون . وقُتل يومئذ أُمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان .

ثم دخل أبو حمزة فى الخوارج المدينة ، فاستولى عليها ، واجتمعت لعبد الله ابن يحيى المتسمّى : طالب الحق ، اليمنُ والحجاز ، ورَقى أبو حمزة الخارجى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :

خطبته فى أهل المدينة

يأهل المدينة ، سألناكم عن وُلاتكم هؤلاء فأسأتم لَعَمْر الله القولَ فيهم ، وسألناكم : هل يَقتلون بالظّن ؟ فقلتم : نعم . وسألناكم : هل يستحلّون المال الحرام ، والفرج الحرام ؟ فقلتم : نعم . فقلنا : تعالوا نحن وأنتم نناشدهم أن يتنحّوا عنّا وعنكم حتى يختار المسلمون لأنفسهم . فقلتم : لا تفعلوا . فقلنا لكم : تعالوا نحن وأنتم حتى نلقاهم ، فإن نظهر نحن وأنتم نأت بمن يُقيم فينا وفيكم كتابَ الله وسُنّة نبيّه ، فإن نظفر نعدل فى أحكامكم ونحملكم على سُنة نبيّكم ، ونقسم فيئكم بينكم . فأبيتم وقاتلتمونا دونهم ، فأبعدكم الله وأسحقكم . يأهل المدينة ، مَررت بكم فى زمان الأحول هشام بن عبد الملك ، وقد أصابتكم عاهة فى ثماركم ، فركبتم إليه تسألونه أن يضع خراجكم عنكم . فزاد الغنيّ غنًى والفقير فقراً ، فقلتم : جزاك الله خيراً ، فلا جزاه الله خيراً ولا جزاكم .

وذُكر أنّ أبا حمزة خَطب على مِنبر المدينة يوماً فقال :

يأهل المدينة ، مالى رأيتُ رسم الدّين فيكم عافياً ، وآثاره دارسة ، لا تقبلون عظة ، ولا تفقهون من أهله حُجّة ، قد بَليتْ فيكم جِدّته ، وانطمست عنكم سُنّته ، ترَون مَعروفه مُنكراً ، والمنكر من غيره معروفاً . ولقد بلغتنى مَقالتكم فى أصحابى ، ولولا معرفتى بضعف آرائكم ، وقلّة عُقولكم ، لأحسنت أدبكم ،

ويحكم ، إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم أُنزل « عليه الكتاب ، وبُيّن له فيه السُّنن ، وشرع له فيه الشَّرائع » . وبيّن له فيه مايأتى ومايذر ، فلم يتقدّم ولم يُحجم إلاّ عن أمر الله ، حتى قبضه الله صلى الله عليه وقد أدّى الذى عليه ، لم يدعكم فى شُبهة من أمركم ، ثم قام من بعده أبو بكر فأخذ بسنَّته ، وقاتل أهل الرِّدة ، وشمّر فى أمر الله حتى قبضه الله إليه والأمة عنه راضية رحمة الله عليه ومغفرته . ثم وَلِى من بعده عمر ، فأخذ بسُنة صاحبه ، وجنَّد الأجناد ومصّر الأمصار ، وجَبى الفىء وقسَّمه بين أهله ، وشمّر عن ساقه ، وحَسر عن ذراعه ، وضرب فى الخمر ثمانين ، وقام فى شهر رمضان ، وغزا العدوّ فى بلاده ، وفتح المدائن والحصون ، حتى قبضه الله إليه ، والأمة عنه راضية ، رحمة الله عليه . ثم وَلِى من بعده عثمان بن عفّان ، فعمل فى ستّ سنين بسُنة صاحبيه ، ثم أحدث أحداثاً أبطل آخرُ منها أوّلاً ، فاضطرب حبل الدِّين بعده ، فطلبها كُل امرئ لنفسه ، وأسرّ كُل رجل منهم سريرة أظهرها الله وأبداها منهم ، حتى مضوا على ذلك . ثم وَلِى على بن أبى طالب ، فوقع فيه أبو حمزة ـ قبحه الله ـ ونال منه بما لا ينبغى ذكره . ثم وَلِى معاوية بن أبى سفيان ، فذكره أيضاً بما لا يحل ذكره ، وبالغ فى الوقيعة . ثم وَلِى بعده ابنه يزيد ، يزيد الخمور ، ويزيد الصقور ، ويزيد الفهود ، ويزيد الصيود ، ويزيد القرود . خالف القرآن ، ونادم القرد وعمل بما يشتهيه . ثم وَلِى مروان بن الحكم ، وأخذ فى شتمه وشتم مَن ولى بعده ، حتى انتهى إلى ذكر عمر بن عبد العزيز ، فقال فيه : بلغ ولم يكد ، وعجز عن الذى أظهر ، حتى مضى لسبيله ، ولم يذكره بخير ولا شر . ثم ولى من بعده يزيد بن عبد الملك ، غُلام ضعيف سَفيه ، غير مَأمون على شىء من أمور المسلمين . ولم يبلغ أشدَّه ، ولم يؤنس رشده ، يأكل الحرام ، ويشرب الحرام ، ويجلس حبابة عن يمينه وسلامة عن يساره ، يغنِّيانه بمزامير الشيطان ، ويشرب الخمر الصّراح المحرّمة

بعينها ، حتى إذا ما أخذت مَأخذها منه وخالطت روحه ودَمه ، وغلبت سورتها على عقله ، مزّق حُلّته ، ثم ٱلتفت إليهما وقال : أتأذنان لى أن أطير ؟ نعم ، فطِر إلى لعنة الله وناره .

ثم ذكر بنى أُمية وأعمالهم وسيرتهم ، وأطنب فى ذلك ، ثم أخـذ فى شَتم الرّافضـة ، فقال : قلّدوا أمرهم أهواءهم ، وجعلوا دِينهم عصبيّة لحزب لزمُوه وأطاعوه فى جميع ما يقوله لهم ، غيًّا أو رشداً ، ينتظرون الدّول فى رجعة الموتى ، يُؤمنون بالبعث قبل يوم السّاعة ، ويدّعون علم الغَيب لمخلوق لا يعلم ما داخل بطنه . ثم قال : فأىّ هؤلاء الفِرق ياأهل المدينة تتبعون ، و بأى مذاهبهم تقتدون؟ وقد بلغتنى مَقالتكم فى أصحابى وما عِبتموه من حداثة أسنانهم ، ويحـكم ؟ هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المذكورون فى الخير إلاّ أحداثاً شُباناً ، مكتهلون والله فى شبابهم ، غَضيضة عن الشرّ أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، مُنحنية أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلّما مرّ أحدهم بآية من ذِكر الجنّة بَكى شوقاً إليها ، وكلّما مرّ بآية من ذِكر النّار شهق خوفاً منها ، كأنّ زفير جَهنم بين أذنيه ، قد أكلت الأرض جِباهم ورُكبهم ، ووصلوا كَلال الليل بكَلال النّهار ، مُصفرة ألوانهم ، ناحلة أجسامهم من طول القيام وكثرة الصّـيام ، حتى إذا ٱلتقت الكتيبتان وأبرقت سيوفها ، وفوّقت سهامها ، وأشرعت رماحها ، لقُوا شبَا الأسـنّة وظُبا السُّيوف بنُحورهم وصدورهم ووجوههم ، فمضى الشّباب منهم قُدما حتى ٱختلفت رجلاه على عُنق فرسه ، وٱختضبت محاسن وجهه بالدّماء ، وعُفّر جبينه فى الثّرى ، وٱنحطّت عليه الطّير من السماء ، وتمزّقته سباع الأرض ، فكم من عَيْن فى منقار طائر ، طالما بكى صاحبها فى جوف الليل من خشية الله ، وكم من وجه رقيق وجبين عتيق قد فلق بعمَد الحديد . ثم بكى ، فقال : آهاً آهاً على فراق الإخوان ، رحمة الله على تلك الأبدان ، وأدخل الله أرواحهم الجنان .

تعقيب لابن واصل

قلت : هؤلاء القوم الذين قال فيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : يحقر أحدكم صلاته عند صلاتهم ، يمرقون من الدِّين كما يمرق السّهم من الرميَّة ، ولا غَرو أن يكونوا كذلك ، وقد كفَّروا المسلمين ، وفارقوا جماعة المؤمنين ، وقدحوا فى أكابر الصّحابة والتّابعين ، وكفّروا أهل القبلة بالكبائر ، وقنّطوا من رحمة الله التى وَسعت كُل شيء .

هزيمته لجند مروان

ولمّا بلغ مروانَ هزيمةُ أهل المدينة واُستيلاء الخوارج عليها ، بعث عبد الملك ابن محمد بن عطيّة السّعدى ، أحد بنى سعد بن بكر ، فى أربعة آلاف اُنتخبهم من جُنده . فسار بهم اُبن عطية إلى المدينة .

ولمَّا بلغ أبا حمزة إقبالُ اُبن عطية إليه ، سيَّر بَلْج بن عُقبة فى ستمائة رجل ، فلقى اُبنَ عطية بوادى القُرى ، لأيام خلت من جُمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة ، فتواقفوا ، ودعاهم بَلْج إلى الكتاب والسُّنة ، وذكر بنى أُمية وظُلمهم ، فشتمهم أهل الشَّام ؛ فحمل عليهم بَلْج وأصحابه ، واُنكشفت طائفة منهم ؛ وثبت اُبن عطية فى عُصبة صبروا معه ، فقُتل بَلْج وأكثر أصحابه ، واُنحازت قطعة من أصحابه نحو المائة إلى جبلٍ فاُعتصموا به ؛ فقاتلهم اُبن عطية ثلاثةَ أيام ، فقتل منهم سبعون ، وجاء ثلاثون إلى أبى حمزة ، فاُغتمُّوا وجزعوا من اُنهزامهم وقالوا : فررنا من الزَّحف . فقال لهم أبو حمزة : ولا تجزعوا ، أنا لكم فئة وإلىّ اُنحزتم .

مقتله

ثم خرج أبو حمزة إلى مكة ، واُستخلف على المدينة رجلاً يقال له : المُفضَّل . فدعا عمرَ بن عبد الرحمن بن أسيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطَّاب الناس إلى قتالهم ، فلم يجد كبير أمر[1] ، لأنَّ القتل كان شاع فى الناس ، وخرج وجوه

---

(١) التجريد : « أحد »

أهل البلد عنه ، فاجتمع إلى عمر البربر والزنج وأهل السّوق والعبيد ، فقاتل بهم الخوارج ، فقُتل المُفضل وعامة أصحابه ، وهرب الباقون ، فلم يبق فى المدينة منهم أحد . وقدم عبد الملك بن عطيّة المدينة فى الجيش الذى معه فأقام شهراً ، وأبو حمزة مُقيم بمكة . فتوجّه ابن عطية إلى مكة ، فصيّر أصحابه فريقين ، ولقى الخوارج من وجهين ، فصيّر طائفة بالأبطح ، وصار هو فى الطّائفة الأخرى بإزاء أبى حمزة ، أسفل مكة ، وصير أبو حمزة أبرهة بن الصباح بالأبطح فى ثمانين فارساً ، فقاتلهم أبرهة ، فانهزم أهل الشام إلى عقبة منى فوقفوا عليها ، ثم كرُّوا عليهم فقاتلوهم ؛ فقتل أبرهة ، وتفرّق الخوارج ، وتبعهم أهل الشام يقتلونهم ، حتى دخلوا المسجد ، والتقى أبو حمزة وابن عطية بأسفل مكة ، فخرج أهل مكة مع ابن عطية . فقُتل أبو حمزة على باب الشِّعب ؛ وأسر من الخوارج أربعمائة ، فدعا بهم ابن عطية فقال لهم : ويلكم ، ما دعاكم إلى الخروج مع هذا ؟ فقالوا : ضَمِن لنا الكنَّة — يريدون : الجنَّة — ، وهى لغتهم . وصلب أبا حمزة وأبرهة بن الصباح ورجلين من أصحابهم على فَم الشّعب . ودخل على بن الحصين داراً من دور قُريش ، فأخرق أهل الشام الدار ؛ فلما رأى ذلك رَمى بنفسه من الدار ، فقاتلهم ، فأسر وقُتل وصُلب مع أبى حمزة ، فلم يزالوا مصلوبين إلى أيام بنى العبّاس .

ولمّا قُتل أبو حمزة بعث ابن عطية برأسه إلى مَروان ، ومضى فَلّ أبى حمزة إلى عُبيد الله بن يحيى المُتسمى : طالب الحق ، فتوجّه للقاء ابن عطية . و بلغ بن عطية خبرُه ، فشخص إليه ، فأكثر أهلُ الشام القتل فى الخوارج ، وأخذوا أثقالهم وأموالهم ، وتشاغلوا بالنهب . فركب عبدالله بن يحيى أكتافهم فكشفهم ؛ وقَتل منهم نحو من مائة رجل وقائداً من قُوّادهم ، يقال له : يزيد بن حمل القُشيرى .

فذمّرهم[1] ابن عطيّة ، فكرّوا وانضم بعضهم إلى بعض ، فقاتلوا حتى أمسوا ، فكفّ بعضهم عن بعض . ثم التقوا فى موضع كثير الشّجر والكرم والحيطان ، فطال القتال بينهم ، وكثر القتل فى الخوارج ، فترجّل عبد الله بن يحيى فى ألف فارس فقاتلوهم حتى قُتلوا جميعاً عن آخرهم ، وانهزم الباقون فتفرّقوا فى كل وجه ، و بعث ابن عطية برأس عبد الله بن يحيى مع ابنه يزيد إلى مَروان .

الشعر الذى فيه الغناء

فقال عمرو ابن الحصين ، مولى بنى تميم ، قصيدة يرثى بها عبد الله بن يحيى وأصحابه ، وأوّلها الشّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج خبر عبد الله بن يحيى ، وهو :

هَبّت قُبيل تبلّج الفَجْر ... هنـدٌ تقول ودمعُها يَجْرى
إن أبصرتْ عينى فدامعهـا ... ينهـلّ واكفُها على النَّحر
أنّى اعتراكَ وكنت عهدىَ لا ... سَرِبَ الدُّموع وكنتَ ذا صَبر

و بعد هذه الأبيات :

أقذًى بعينك لا يُفارقها ... أم عائرٌ أم مالها تَذرى[2]
أم ذِكْرُ إخوان فُجعت بهم ... سَلكوا سبيلَهمُ على خُبْر
فأجبتُها بل ذِكْر مَصرعهم ... لا غيره عبراتها تَمْرى
يا ربّ فاسلكنى سَبيلهمُ ... ذا العرش واشدُد بالتُّقى أَزْرى
فى فِتية صَبروا نفوسهمُ ... للمشرفيّة والقَنا السُّمر
تالله ألقى الدّهر مثلهمُ ... حتى أكونَ رهينةَ القَبر
أوفَى بذمّتهم إذا عَقدوا ... وأعفّ عند العُسر واليُسر

(١) ذمرهم : حضهم .

(٢) العائر : كل ما أعل العين ، والرمد والقذى .

متأهِّلين لِكُلّ صالحة ناهُون مَن لاقُوا عن النُّكْرِ
صُمتٌ إذا حضروا مجالسهم من غير ماعِيٍّ بهم يُزْرِى
متأوِّهون كأن جَمر غَضًى للخَوف بين ضُلوعِهم يَسْرى
فهُمُ كأنَّ بهم جَوًى مَرَضٍ أو مسَّهم طَرَفٌ من السِّحر
كم من أخٍ لك قد فُجعت به قوّام ليلته إلى الفَجر
مُتأوه يتلو قوارع من آى الكتاب، مُفرَّح[1] الصدر

وهى طويلة .

مقتل ابن عطية والانتقام لقتله

ثم أستخلف ابن عطية أبنَه محمد بن عبد الملك على مكة ، وأستخلف على المدينة الوليد بن عروة بن عطية ، وتوجَّه إلى صنعاء ، فلما قَرُب منها هرب منها عامل عبد الله بن يحيى ، ودخل أبن عطية صنعاء وأستولى عليها ، وتتبع الخوارج فى كل موضع يقتُلهم . ثم خرج عليه رجل من أصحاب عبد الله بن يحيى ، يقال له : يحيى بن عبد الله ، من آل ذى الكَلاع ، فبَعث إليه أبنُ عطية أبنَ أخيه عبد الرحمن بن يزيد ، فلقيه فهزمه وقتل أصحابه ، وهرب منه فنجا ، ثم خرج عليه يحيى بن كَرب الحميرى بساحل البحر ، وأنضمّت إليه شُذاذ ، فبعث إليه أبا أمية الكِنْدىّ ، فقتل من أصحابه مائة رجل ، وتحاجزوا عند المساء فهربت إلى حضرموت ، وبها عبد الله بن سعيد ، عامل عبد الله بن يحيى ، وأجتمع إليه جمع كثير ، وأستفحل أمره . و بلغ أبنَ عطية خبره ، فأستخلف أبن أخيه عبد الله بن يزيد على صنعاء . وشخص إلى حضرموت . و بلغ عبد الله بن

(١) غير التجريد : « مفزع » .

سعيد[1] مسير ابن عطية إليه ، فجمع الطَّعام وكل ما يحتاج إليه فى مدينة شِبَام ، وهى حصن حضرموت مخافة الحصار . ثم خرج هو وأصحابه حتى نزلوا على أربع مراحل من حضرموت فى عدد كثير ، فأتاهم ابن عطية فقاتلهم يومه كله ، ثم أصبح فقاتلهم قتالاً كثيراً حتى انتصف النَّهار ، ثم تحاجزوا . وكان ابن عطية قد بعث عسكراً إلى شِبام ليلاً ، فلمّا أمسى من اليوم الثانى تبع عسكره الذى وجَّهه إلى شِبَام ، وأصبح الخوارج لم يروا للقوم أثراً ، فأتبعوهم فوجدوهم قد سبقوهم إلى الحصن ، فأخذوا جميع ما فيه ومَلَكوه . ونصب ابن عطية على الخوارج المسالح ، وقطع عنهم المياه والميرة ، وجعل يقتل مَن قدر عليه ويسبى ويأخذ الأموال .

ثم ورد عليه كتاب مَروان بن محمد يأمره بالتَّعجيل إلى مكة ليحُج بالناس . فصالح أهل حضرموت على أن يردَّ عليهم ما غرموا من أموالهم ، ويولِّى عليهم مَن يختارون . فرضوا بذلك ، وصالحهم وشخص إلى مكة مُتعجلاً مخفًّا . ولمّا نَفَذ كتاب مَروان نَدم على ذلك بعد أيام ، وقال : إنا لله ، قتلت والله ابن عطية ، هو الآن يخرج مُخفًّا مُتعجلاً ليلحق الحج فيقتله الخوارج . فكان كما قال، توجّه إلى مكة فى جماعة يسيرة ، ثم أخذ فى طريق فى أربعة من أصحابه ، وتوجّه باقيهم فى طريق آخر ، وعامت بهم الخوارج ، فوجّهوا فى إثر أصحابه نحو أربعين رجلاً فقتلوهم عن آخرهم . وأدرك سعيد وجمانة ابنا الأخنس الكِنديان ، ابنَ عطية فى أصحابهما ، فعطف عبد الملك بن عطية على سعيد فضربه ، وطعنه جمانة فصرعه عن فرسه ، ونزل إليه سعيد فقعد على صدره . فقال له ابن عطية : هل لك يا سعيد فى أن تكون أكرم العرب أسيراً ؟ فقال له : ياعدوّ الله ،

(١) غير التجريد : معبد .

أترى الله كان يُمهلك وقد قتلت طالب الحقّ ، وأبا حمزة ، و بَلجا ، وأبرهة . فقتله وقتل أصحابه جميعاً . و بعثوا برأسه إلى حضرموت . و بلغ ابنَ أخيه خبرُه ، وهو بصنعاء . فأرسل شُعيباً البارقيّ فى الخيل ، فقتل الرّجال والصّبيان ، و بقَرَ بطون النِّساء ، وأخذ الأموال ، وخَرب القُرى ، فلم يُبق أحداً من قتلة ابن عطيّة إلاّ قتلَه ، ولا من الخوارج باليمن . ولم يزل مُقيماً باليمن إلى أن قُتل مَروان ابن محمد وظهرت الدّولة العبّاسية . وأفضَت الخلافة إلى أبى العبّاس السفّاح .

أخبـــار
عبد الله بن أبي معقل الأنصاري

نسبه

هو : عبد الله بن أبى معقل بن نَهيك بن إساف بن عدىّ بن زَيد بن جُشَم ابن حارثة بن الحـــارث بن الخزرج بن عمرو ــ وهو النَّبيت ــ بن مالك ابن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن امرئ القس بن ثعلبة ابن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان .

وكان يقال لأبيه : منهب الورق . وقيل بل جدّه المُسمى بذلك ، لأنه كسب مالاً ، فعجب أهل المدينة بكثرته ، فأباحهم إيَّاه فنهبوه .

وكان عباد بن نَهيك بن إساف ، عمّ أبيه ، أدرك النبى صلى الله عليه وسلّم ، وصلّى معه القبلتين ، صلى معه الظُّهر ، ركعتيْن منها إلى بيت المقدس ، وركعتيْن إلى الكعبة . وكان شيخاً كبيراً لا فضلَ فيه ، فوضع عنه النبى صلى الله عليه وسلّم الغزو .

وعبد الله بن أبى معقل شاعر مُقل ، من شُعراء الدَّولة الأموية .

وكان كثير الأسفار فى طلب الرِّزق ، فلامته امرأته أم نهيك ، وهى ابنة عمِّه ، على ذلك ، وقد قَدم من مصر ، فلم يلبث أن قال لها : جهِّزينى إلى الكوفة ، إلى المغيرة بن شُعبة . فقد وليها ، وهو صديقى . فجهَّزته ، ثم قالت : لا تزال تتردّد فى أسفارك هذه حتى تموت . فقال لها : أو أثرى .

الشعر الذى فيه الغناء

ثم أنشأ يقول : وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره :

أأمَّ نهيك ارفعى الطرف[1] صاعداً ولا تيأسى أن يُثرى الدهرَ بائسُ

سيُغنيك سَيرى فى البلاد ومَطلبى وبعل التي لم يَخْطُ فى البيت جالس

سأكسب مالاً أو تبيتنَّ ليلةً بصدرك من وجدٍ على وَساوس

ومَن يطلُب المال الممنَّع بالقنا يَعِشْ مُثرياً أو يُودِ[2] فيما يُمارس

ومنها :

فلولا ثلاث هُنّ من عيشة الفتى وجدِّك لم أحفِل مَتى قام رامس

فمنهنّ تحريك الكُميت عنانه إذا ابتدر النَّهبَ البعيدَ الفوارس

ومنهنّ سَبْق العاذلات بشَربة كأنّ أخاها وهو يقظان ناعس

ومنهنّ تجريد الأوانس كالدُّمى إذا ابتزّ عن أكفالهن المَلابس

ثم قدم الكوفة ، فلم يزل مُقيماً بها حتى وَلّى مصعب بن الزبير . فدخل إليه وهو يندب الناس إلى غزوة زرنج[3] ويقول : مَن لها ؟ فوثب عبد الله بن أبى معقل وقال : أنا لها . فقال : اجلس . فقال له : أدننى إليك حتى أكلمك . فأدناه . قال له : قد علمت أنه لا يمنعك منّى إلاّ أنك تعرفنى ، ولو انتدب لها رجل ممّنْ لا تعرفه لبعثته ، فلعلّك تحسُدنى أن أصيب خيراً ، أو أستشهد فأستريح من الدنيا والطَّلب لها . فأعجبه قوله وجزالته ، فولاّه ، فأصاب فى وجهه ذلك مالاً كثيراً ، وانصرف إلى المدينة ، فقال لزوجته : ألم أخبرك فى شعرى أنّه :

(١) التجريد : « الظن » .

(٢) غير التجريد : « أو يرد » .

(٣) زرنج : « قصبة سجستان » .

سيُغنيك سيرى فى البلاد ومَطلبى   وبَعْل التي لم يحظ فى الحىّ جالس

فقالت : بلى والله ، لقد أخبرتنى ، وصدق خبرك .

وفى هذه الغزاة يقول :

إن يعشْ مُصعب فنحن بخَير   قد أتانا من عَيشنا ما نُرجِّى

مَلك يُطعم الطَّعام ويَسقى   لبن البُخْت فى عِسَاس الخَلَنْج[1]

جَلَب الخيل من تهامة حتى   بلغت خيله قُصور زَرَنْج[2]

(١) العساس : جمع عس ، وهو القدح الكبير . والخلنج : شجر .

(٢) زرنج : قصبة سجستان .

أخبار القطامي

اسمه
هو: عُمير بن شُيَيم .

دينه
وكان نصرانيا .

طبقته
وهو شاعر إسلامي ، مُقل مُجيد .

مدحه عبد الواحد ابن سليمان
وذُكر أنَّ القُطامي قدم الشام مادحاً عُمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - فقيل له : إنَّ الشّعر لا يَنْفُقُ عنده ، ولا يُعطى عليه شيئاً ، وهذا عبد الواحد ابن سليمان بن عبد الملك ، فامدحه فمدحه بقصيدته التي أوّلها :

إنَّا مُحيّوك فاسلم أيها الطَّلَلُ ‏ ‏ ‏ وإنْ بَليت وإن طالت بك الطِّيَلُ (١)

فقال له : كم أمّلت من أمير المؤمنين ؟ قال : أملت أن يُعطيني ثلاثين ناقة . قال : قد أمرت لك بخمسين ناقة مُوقرةً بُرًّا وتمراً وثياباً . ثم أمر فدُفع ذلك إليه .

تعقيب للشيباني
ومن هذه القصيدة :

يَمشين رَهْواً فلا الأعجاز خاذلةٌ ‏ ‏ ‏ ولا الصُّدور على الأعجاز تتَّكلُ

وقال أبو عمرو الشّيباني :

لو قال القُطامي بيته هذا في صفة النساء لكان أشعر الناس .

لأعرابي في التعقيب عليه
وحكى رجل ، كان يُديم الأسفار ، قال : سافرت مرّةً إلى الشّام ، فجعلت أتمثّل بقول القطامي :

قد يُدرك المتأنّي بعضَ حاجته ‏ ‏ ‏ وقد يكون مع المُستعجل الزّللُ

(١) الطليل : الدهور .

ومعى أعرابى قد أستعرت منـه مَركبى ، فقال لى : ما زاد قائل هذا الشعر على أن ثبّط الناس عن الحزم ، فهلاّ قال بعد قوله هذا :

وربما ضَرّ بعضَ الناس رَيْثُهُمُ[1] وكان خيراً لهم لو أنهم عجِلوا

تعقيب لابن واصل

قلت :

وقد قال بعض المتأخرين بيتاً ، هو أنصف من هذين البيتين ، وهو :

لا ذا ولا ذاك فى الإفراط أحمده وأحمدُ الأمر ما فى ذاك يَعتدلُ

شعره الذى فيه الغناء

والشِّـــعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار القُطامى ، هو :

يَقْتُلْننا بحديث ليس يَعـــلمه مَن يتّقين ولا مَـكْنونه[2] بادِى

فهُنّ يَنْبِذن من قولٍ يُصِبْن به مواقعَ الماء من ذى الغُلّة الصّادى

وهذا الشّعر من قصيدة يمدح بها القُطامى زُفر بن الحارث ، وكان أسره ، ثم مَنّ عليه وأطلقه . ومن هذه القصيدة :

مَن مُبْلِغٌ زُفرَ القيسىّ مِدْحتَــه عن القُطامى قولاً غـــير إفناد

إنّى وإن كان قومى ليس بينهمُ وبين قومك إلاّ ضَرْبة الهادى[3]

مُثْنٍ عليك بمـا استبقيتَ مَعرفتى وقد تَعرّض منّى مَقْتَـلٌ بادِى

فلن أثيبك بالنّعماء مَشْـــتمةً ولن أبدِّل إحساناً بإفســـاد

(١) غير التجريد : « بطؤهم » .
(٢) الديوان : « مكتومه » .
(٣) الهادى : العنق .

ذكر خبر وقعة ذي قار

بين الفرس وبكر بن وائل

كانت هذه الوَقعة بين الفُرس وبكر بن وائل ، فانتصفت فيها العرب يومئذ من العجم .

زمنها

وكانت بعد وقعة بدر ، والنبيّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

فرُوى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : ذاك يوم انتصفت فيه العرب من العجم ، وبى نُصروا .

ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها

ورُوى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم تمثلت له ، فرفَع يديه ودعا لبنى شَيبان ولجماعة ربيعة بالنصر ، ولم يزل يدعو لهم حتى أُرى هزيمة الفُرس .

ورُوى أنه قال صلى الله عليه وسلم : إيهاً بنى ربيعة ، اللهم انصُر بنى ربيعة .

حديث هذه الوقعة

وكان من حديث هذه الوقعة مُختصراً ، أنّا كُنا قد ذكرنا غَضب كسرى أبرويز بن هُرمز بن أنوشروان على النّعمان بن المُنذر ملكِ الحيرة ، وأنّ النّعمان أتى هانئ بن مَسعود ، أحد بنى ذُهل بن شَيبان ، واستودعه ماله وأهله وسلاحه .

وذُكر أنّه استودع عنده أربعة آلاف شكّة ـ والشكّة : السِّلاح الكامل ـ ووضع وضائع عند أحياء من العرب . ثم أتى كسرى فوضع يده فى يده ، فحَبسه بساباط ـ وقيل : بخانقين ـ حتى مات ، فلمّا هلك النّعمان جعلت بكر بن وائل تُغير على السّواد ، فوفد قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذى الجدّين على كسرى ، فسأله أن يجعل له أكلا وطعمة ، على أن يضمن له على بكر بن وائل ألاّ يدخلوا السّواد ولا يُفسدُوا فيه ، فأقطعه كسرى الأُبلة وما والاها .

ثم إنّ قوماً من عجل وشَيبان أغاروا على السَّواد وأفسدوا ، فغضب كسرى على بكر بن وائل ، و بلغه أنّ حلقة[١] النّعمان وأهله عندهم ، فأرسل كسرى إلى قيس بن مسعود ، فقال : غررتنى من قومك ، وزعمت أنك تكفينيهم . وأمر به فحُبس بساباط ، و بعث إلى هانئ بن مسعود يقول له : إنما كان النّعمان عاملى ، وقد أستودعك ماله وأهله والحَلْقة ، فابعث بها ولا تُكلّفنى أن أبعث إليك و إلى قومك بالجنود ، تقتل المُقاتلة وتَسبى الذرية . فبعث إليه هانئ : إنّ الذى بلغك باطل ، وما عندى كثير ولا قليل ، و إن يكن الأمر كما قيل فإنما أنا أحد رجلين ، إمّا رجل أستُودع أمانة فهو حقيق بردّها إلى مَن أستودعه إيَّاها ، ولن يُسلِم الحُر أمانته ، أو رجل مكذوب عليه فليس ينبغى الملك أن يأخذه بقول عدو أو حاسد . ولمّا بلغ كسرى ذلك أحنقه ما صنعت بكر ابن وائل فى السّواد ، ومَنْع هانئ إيّاه ما منعه ، فأقبل حتى قطع الفُرات ، ودعا بإياس بن قَبيصة الطّائى ، وكان عامله على عين التمر وما والاها ، فاستشاره فى الغارة على بكر بن وائل . قال له إياس : إنّ الملك لا يصلح أن يعصيه أحد من رعيَّته ، و إن تُطعنى لم تُعلِم أحداً لأىّ شىء قطعت الفُرات ، فيرَون أنّ شيئاً من أمر العرب قد كَرَشك[٢] ، ولكن ترجع وتَضرب عنهم وتبعث عليهم العيون حتى ترى غِرّة منهم ، ثم تُرسل خيلاً من العجم فيها بعض القبائل التى تَليهم ، فيُوقعون بهم وقعة الدّهر ويأتونك بطَلِبتك . فقال كسرى : أنت رجل من العرب وبكر بن وائل أخوالك ـ وكانت أم إياس أمامة بنت مسعود ، أُخت هانئ ـ فأنت تتعصَّب لهم ولا تألوهم جَهداً فى المُناصحة . فقال إياس : رأى الملك أفضل . فقام إليه عمرو بن عدىّ بن زيد العبادى ـ وكان كاتبه

---

(١) الحلقة : الدروع والسلاح . (٢) كرشك : غمك .

وترجمانه بالعربية ـ فقال . أقم أيها الملك وأبعث إليهم بالجنود يكفوك . وقام إليه النّعمان بن زُرعة التغلبي ، فقال : أيهـا الملك : إنّ هذا الحى من بكر بن وائل إذا قاظوا[١] بذى قار تهافتوا تَهافُت الجراد فى النار . فعقد كسرى للنّعمان بن زُرعة على تغلب والنمر ، وعقد لخالد بن يزيد البهرانى على قُضـاعة و إياد ، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب ومعه كتيبتاه : الشهباء والدّوسر .

وكانت العرب ثلاثة آلاف ـ وعقد للهامرز على ألف من الأساورة ، وعقد لآخر من الفُرس على ألف ، و بعث معهم باللّطيمة ـ وهى عير كانت تخرج من العراق فيها البز والعطر والألطاف تُوصل إلى باذان عاملة على اليمن ـ وقال : إذا فرغتم من عدوّكم فسيروا بها إلى اليمن . وأمر عمرو بن عدى أن يسـير بها . وكانت العرب تخفر اللّطيمة وتُجيزها حتى تبلغ اليمن . وعهد كسرى إليهم إذا شارفوا بلاد بكر بن وائل أن يبعثوا إليهم النُّعمان بن زُرعة ، فإن أتَوكم بالحلقة ومائة غلام يكونون رُهناء بمـا أخذت سفهاؤهم فاقبلوا منهم ولا تقاتلوهم . ففعلوا ماأمرهم به كسرى ، وسيّروا النُّعمان رسولاً إلى بكر وائل ، فأدّى إليهم الرّسالة ، فأبوا قبول ذلك . وكان الذى حملهم على الامتنـاع من ذلك حَنظلة بن ثعلبة العجلى ، وأمر بقُبته فضُربت بذى قار ، ثم نزل ونزل الناس وأطافوا به ، وقال لهانئ بن مسعود : أخرج هذه الحلقة ـ يعنى حلقة النُّعمان بن المُنـذر ـ فَفرّقها بين قومك ، فإن تظفر فستُرد عليك ، و إن تهلك فأهون مفقود . فأمر بهـا فأُخرجت ففرّقها بينهم . وقال حَنظلة للنُّعمان بن زُرعة : لولا أنك رسول لمـا أبت إلى قومك سـالماً . فرجع النُّعمان إلى أصحابه فأخبرهم بمـا ردّ عليه القوم . فباتُوا ليلتهم يستعدّون ، واستعدّت بكر بن وائل . فلمّـا أصبحوا أقبلت الأعاجم

(١) قاظوا : قضوا القيظ ، وهو الصيف .

نحوهم . وأمر حَنظلة بالظُّعن جميعاً فوقَفها خلف النــاس ، ثم قال : يامعشر بكر أبن وائل ، قاتلوا عن ظُعنكم . ثم قام إلى وَضين راحلة أمرأته ـ وهو بطان النّاقة ـ فقطعه ، ثم تتبَّـــع الظُّعن فقطع وُضُنهن لئلّا يفرعنهن الرجال ، فسمّي يومئذ : مقطّع الوضين . فاقتتل القوم صَدْر نهارهم أشــدّ القتال إلى أن زالت الشمس ، فشدّ الحوفزان ـ وهو الحارث بن شريك ـ على الهامرز فقتله ، وقَتلت بنو عِجل القائد الآخر ، وضرب الله وجوه الفُرس فانهزموا ، وتَتبَّعتهم بكر ابن وائل يقتلونهم ، ولحق أسود بن بجير العجلى النُّعمانَ بن زُرعة ، فقال له : يا نُعمان ، هلُم إلىّ فأنا خير آسرٍ لك وخير لك من العطش . قال : ومَن أنت ؟ قال : الأسود أبن بجير . فوضع يده فى يده فجزّ ناصيته وخلّى سبيله . وحمله الأسود على فَرس له ، وقال له : أنجُ على يده فإنّه أجود من فرسك . وجاء أسود بن بجير على فَرس النعمان أبن زُرعة .

وقُتل خالد بن يزيد البَهرانى ، قتــلَه الأسود بن شريك بن عمرو . وقتل يومئذ عمرو بن عدى بن زيد العبادى ، وأفلت إياس بن قبيصة على فرس كانت عند رجل من بنى تيم الله ، يقال له : أبو ثور ، أرسل بها إليه أبو ثور لمّـا أراد الغزو . فقاتلتهم بكر بن وائل بقية يومهم وليلتهم حتى أصبحوا من الغد ، وقد شارفوا السّواد ، فلم يفلت منهم كبير أحــد ، وأقبلت بكر بن وائل على الغنائم فقَســموها بينهم ، وقسموا تلك اللّطائم بين نسائهم ، وكان أوّل مَن أنصرف إلى كسرى إياس بن قَبيصة ، وكان لا يأتيه أحد بهزيمة جيشه إلاّ نزع كتفيه . فلمّا أتاه إياس سأله عن الخبر ، فقال : قد هزمنا بكر بن وائل وأتيناك بنسائهم . فأعجب ذلك كسرى وأمر له بكُسوة ، ثم أستأذنه إياس عند ذاك ، فقال : إنّ أخى مريض بعين التمر ، وإنمــا أراد أن يتنحّى عنه ، فأذن له كسرى ، فترك فرســه الحمامة

ـ وهى التى كانت عند أبى ثور بالحيرة ـ وركب نَجِيبته ، فلحق بأخيه . ثم أتى كسرى رجل من أهل الحيرة ، فسأل : هل دخل على الملك أحد ؟ فقالوا : نعم ، إياس . فقال : ثكلت إياساً أمه . وظنّ أنه قد حدّثه بالخبر ، فدخل عليه وأخبره بهزيمة القوم وقَتلهم . فأمر فنُزعت كتفاه .

وفخرت بكر بهذه الوقعة فأكثرت . فقال أبو كلب التَّيمى فى ذلك :

لولا فوارسُ لا مِيلٌ ولا عُزل   من اللّهازم ما قِظتم بذى قارِ
إن الفوارس من عِجْل همُ أنفوا   بأن يُخَلُّوا لكسرى عَرصة الدّار
لاقَوا فوارس من عِجْل بِشكّتها   ليسوا إذا قلّصت حربٌ بأغْمار
قدأحسنت ذُهل بنشيبان وماعدلت   فى يوم ذى قار فرسان ابن سيّار
هم الذين أتوهم عن شمائلهم   كما تلبّس وُرّاد بصُدّار

وقال الأعشى :

شعره الذى فيه الغناء

فِدًى لبنى ذُهل بن شيبان ناقتى   وراكبها يوم اللقاء وقلّتِ
همُ ضربوا بالحِنْوحِنو قُراقر   مقدّمة الهامَرْز حتى تولّت

وقال أبو نجدة لجيم بن سعد ، شاعر بنى عِجْل ، وكان مع أحمد بن عبد العزيز ابن دُلف مُنقطعاً إليه ، فى ذلك . وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج خبر وقعة ذى قار :

ياّبن الذين سما كسرى لجمعهمُ   فجلّلوا وجهه قاراً بذى قارِ
دوّخ خُراسان بالجُرد العِتاق و بالبيـ   ـض الرّقاق بأيدى كلّ مِسْعار

وكان سبب قوله هذا الشعر أنّ قائداً من قواد أحمد بن عبد العزيز هَرب إلى

عمرو بن اللّيث صاحب خُراسان ، ففَهِم ذلك أحمد وأقلقه ، فدخل إليه أبو نجدة فأنشده هذين البيتين ، وبعدهما :

المستجير بعمرو عند كُربته كالمُستجير من الرّمضاء بالنّارِ
يا مَن تيمَّم عمراً يستجير به أمَا سمعتَ ببيْتٍ فيه سيَّار

فسُرَّ أحمد بذلك وسُرى عنه ، وأمر لأبى نجدة بجائزة ، وخلع عليه وحمله .

أخبار القحيف

نسبته — ثم ذكر أبو الفرج: القُحيف بن خُمير[1]، أحد بنى طُفيل بن مالك بن خفاجة ابن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

طبقته — وهو شاعر مقل، من شعراء الإسلام.

تشبيبه بخرقاء — وكان يشبّب بخَرقاء، التى كان ذو الرّمة يشبّب بها، وفيها يقول:

وخرقاء لا تَزداد إلاّ ملاحـــة ... ولو عُمِّرت تعمير نُوح وجلّت

وكانت كما قيل: أصبح من الفرس. وجاوزت تسعين سنة.

الشعر الذى فيه الغناء — والشعر الذى فيه الغناء، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار القُحيف، هو:

خليلىّ ما صَبرى على الزّفرات ... وما طاقتى بالهمّ والعَـــبراتِ

تَســـاقطُ نفسى كلّ يوم وليلة ... على إثر ما قد فاتهـــا حَسرات

---

(١) التجريد: «عمر».

أخبار الفند الزمانى

نسبه

ثم ذكر الفِند الزِّمانى .

وهو : سَهل بن شَيبان بن رَبيعة بن زِمّان بن مالك بن صعب بن على أبن بكر بن وائل .

فارس

وهو أحد فرسان ربيعة المعدودين .

لقبه

والفِند : لقب غلب عليه ، شُــبِّه بالفند من الجبل ، وهى القطعة العظيمة ، لعظم خلقه .

عمره

وشهد حرب بكر وتغلب وقد قارب مائة سنة .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبــاره من أبيات الحماسة ، وهو :

صَفحنا عن بنى ذُهل ... وقُلنــا القوم إخوانُ

عسى الأيام أن يَرجِـ ... ـعن قوماً كالذى كانُوا

فلمَّــا صرّح الشرُّ ... فأمسى وهو عُريان

ولم يَبق سوى العُدوا ... ن دِنَّاهم كما دانُوا

و بقيَّة الشعر :

وَطْعنٍ كفَم الزِّق ... غــداً والزِّق ملآن

وبعض الحلم عند الجهـ ... ـل للذلّة إذعان

وفى الشرّ نجاة حيـ ... ـن لا يُنجيك إحْسان

أخبار أبى صخر الهذلى

* هو : عبد الله بن مُسلم(١) السَّهمى ، أحد بنى هُذيل .

نسبه
طبقته

وهو شاعر إسلامى ، من شُعراء الدَّولة الأُموية ، وكان مُواليًا لبنى أُمية ، مُتعصبًا لهم .

مدح عبد الله وعبد العزيز ابنى مروان

وله فى عبد الملك بن مروان ، وأخيه عبد العزيز بن مروان ، مدائح كثيرة .

هو وعبد الله ابن الزبير

وذُكر أنَّه لمَّا تُوفى يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، وظهر عبد الله بن الزُّبير على الحجاز وغلب عليها ، وتشاغل بنو أُمية بالحرب فى مَرج راهط وغيره ، دخل عليه أبو صَخر الهُذلى ليَقبض عطاءه ، وكان عارفًا بهواه فى بنى أُميــة ، فمنعه عطاءه ، فقال : يمنعنى حقًّا لى وأنا امرُؤ مُسلم ، ما أحدثت فى الإسلام حَدثًا ، ولا أخرجت من طاعة يدا . فقال : عليك ببنى أُمية ، فاطلُب عندهم عطاءك . فقال إذن أجدهم سِباطًا أكُفهم ، سمحة أنفسهم ، بُذَّلاً لأموالهم ، وهّابين لمُجتديهم ، كريمة أعراقهم ، شريفة أُصولهم ، زاكية فُروعهم ، قريبًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نَسبهم وسَبَبهم ، ليسوا إذا نُسبوا بأذناب ولا وشائظ(٢) ولا أتباع ، ولا هم من قُريش كفِقَعة(٣) القاع ، لهم السُّؤدد فى الجاهلية والمُلك فى الإسلام ، لا كمن لا يُعدّ فى عِيرها ولا نَفيرها ، ولا حُكم أباؤه فى نَقيرها

---

* من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

(١) التجريد : « مسلم » .

(٢) الوشائظ : جمع وشيظة ، وهى القطعة من العظم تكون زيادة فى العظم الصميم .

(٣) الفقعة ، بكسر ففتح : جمع فقع ، بالفتح ويكسر : الأبيض من الكمأة . والقاع : المنخفض من الأرض . وبها يضرب المثل للذليل ، فيقال : أذل من فقع بقاع ، لأنه يوطأ ويداس .

ولا قِطْميرها ، ليس من أحلافهـا المُطيبين[1] ولا من ساداتها المُطيمين ، ولا جُودائها[2] الوهّابين ، ولا من هاشمها المنتخبين ، ولا عبد شمسها المُسوَّدين ، كيف تُقاس الرُّؤوس بالأذناب ، وأين النّصل من الجفن ، والسِّنان من الزُّج ، والذُّنابى من القُدامى ، وكيف يُفَضَّل الشَّحيح على الجواد ، والسُّوقة على الملك ، والمُجيع بُخلاً على المُطعم فضلا .

فغضب ابن الزُّبير حتى ارتعدت فرائصه ، وعَرِق جبينه ، واهتز من قرنه إلى قـــدمه ، وامتُقع لونه . ثم قال : ياابن البَوّالة على عقِبيها ، يا جلف يا جاهل ، أمَا والله لولا الُحرمات الثلاث : حُرمة الإسـلام ، وحُرمة الحرم ، وحُرمة الشّهر الحرام ، لأخذت الذى فيه عيناك ، ثم أمر به إلى سجن عارم فحبس فيـه مدة ، ثم استوهبته قريش وهذيل ، ومَن له من قريش خؤولة فى هذيل ، فأطلقه بعـد سنة ، ثم أَقسم لا يعطيه عطاء مع المسلمين أبداً .

هو وعبد الملك ابن مروان

فلمّا قتل عبدُ الله بن الزُّبير وأجمع النّاس على عبد الملك بن مروان ، دخل إليه فقرّبه وأدناه ، وقال : لم يخف علىّ خبرك مع الملحد ، ولا ضـاع لك عندى هواك ومُوالاتك . فقال : أما إذ شفى الله نفسى وأرانيه قَتيل سيفك ، وصَريع أوليائك ، مصلوباً مهتوك السـتر ، مفرّق الجمع ، فمـا أُبالى ما فاتنى من الدُّنيا .

ثم استأذنه فى الإنشاد ، فأذن له . فأنشده قصيدته التى أوّلها :

* عَفَت ذاتُ عِرْق عِصْلُها وثُمامهَا[3] *

---

(١) يشير إلى حلف المطيبين ، الذى اجتمع فيه بنو هاشم وبنو زهرة وتيم فى دار ابن جدعان فى الجاهلية وجعلوا طيبا فى جفنة وغمسوا أيديهم وتحالفوا على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم ، فسموا : المطيبين .

(٢) جوداء : جمع الجمع لجواد .

(٣) العصل : شجر الدفلى .

فأقصرْ فلا ما قَدْ مَضى لك راجع ... ولا لذةُ الدُّنيــا يدُوم دوامُهَا
وفَدِّ[1] أمير المؤمنين الذى رَمَى ... بجأواء جُمهورٍ[2] يَسيلُ رُكامها[3]
من أرضِ قرى الزَّيتون مكة بعدما ... غُلبنا عليها واُستُحل حرامها
وإذ عاث فيها الفاسقون فأفسدوا ... فخيفت أقاصيها وطار[4] حمامهـا

فأمر له عبدُ الملك بمـا فاته من العطاء ، و بمثله صلة من ماله ، وكساه وحمله .

شعره الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار صخر ، هو من مختـار شعر هُذيل :

أمَا والذى أبكى وأضحك والذى ... أمات وأحيا والذى أمْره الأَمْرُ
لقد تركتْنى أَحسُد الوحْش أن أرى ... أليفَيْن منها لا يَرُوعهما الزَّجْر
فياحُبهـا زِدْنى جَوًى كلَّ ليلة ... ويا سَلوة الأيام موعدُك الحشْر
ويا هَجر لَيلى قد بلغتَ بىَ المَدَى ... وزِدْتَ على ما لم يكن بَلغ الهَجر
عَجِبت لِسَعى الدَّهر بينى وبينها ... فلمّـا انقضى مابيننا سَكَن الدَّهر

ومنهـــا :

إذا لم يكن بين الخليلين رِدَّة ... سوَى ذِكْرشىءقدمَضىدَرس الذكر
إذا قلتُ هذا حين أسلو يَهيجنى ... نسيمُ الصَّبا من حيثُ يَطَّلع الفَجر
وإنِّى لتعرونى لذكراك رعدة[5] ... كما انتفض العُصـفور بلَّله القطر

---

(١) غير التجريد : « وإن » . (٢) التجريد : « هور » .
(٣) الجأواء : الكتيبة التى يعلوها لون السواد لكثرة الدروع . والركام : السحاب المتراكب . شبهها فى تدافعها به .
(٤) التجريد : « وطل » . أشعار الهذليين : « فخافت فواشيها » . والفواشى : المال الراعى .
(٥) غير التجريد « فترة » .

هَجرتُكَ حتى قيل لا يَعرف الهوَى ... وزُرتك حتى قيل ليس له صَبرُ

ومنهـــا :

وليست عشيّات اللِّوى[1] برواجع ... لنا أبداً ما أورق السَّلم[2] النَّضر

وإنى لآتيها لكيما تثيبنى[3] وأوذ ... نُها بالصَّرم ما طَلع الفجـر

فما هُو إلاّ أن أراها فُجـاءة ... فأبهت لا عُرف لدىّ ولا نُكْر

تكاد يَدى تَندْى إذا ما لمستُها ... ويَنْبت فى أطرافها الوَرق الخضر

ومن جيد شعره ونادره قوله : من جيد شعره

بيـــد الذى شَغف الفُؤاد بكم ... تفريج[4] ما ألقَى مِن الهَـمِّ

همٌّ من أجلك ليس يَكْشِفه ... إلاّ مَليك جائر الحُكم

ويُقرّ عَيْنى وَهْى نازحـة ... ما لا يقرّ بعَين ذى حِلم

إنّى أرى وأظن أنْ سترى ... وَضَح النّهار وعالىَ النَّجْم[5]

ولو أنّنى أُسقى على سَقمى ... بلَمى عوارضها شُفِى سَقمى

ولقد عَجِبتُ لنَبــل مُقتدر ... جرح الفؤاد بها وما يُدمى[6]

يَرمى فيَجرحنى[7] برَميتــه ... فلو أنى أرمى كما يرمى

(١) غير التجريد : « الحمى » .

(٢) السلم : شجر .

(٣) غير التجريد : « وإنى لآتيها وفى النفس هجرها » .

(٤) غير التجريد وأشعار الهذليين : « فرج » .

(٥) هذا البيت ساقط بين أيدينا من أصول الأغانى .

(٦) أشعار الهذليين : « بسط الفؤاد بها ولا يدمى » .

(٧) أشعار الهذليين : « فلا تشويك » .

قد كان صُرم فى الممات لنا   فعَجِلْتِ قبل الموت بالصُّرمِ

فتيقَّنِى(١) أنْ قد كلفتُ بكم   ثم أفعلى ما شئتِ عن عِلْمْ

استشهاد غلام ببيت فى حديث له مع النظام

وذُكر أنَّ إبراهيم النظَّام لقى غلاماً أمرد فاستحسنه ، فقال له : يافتى ، لولا أنه سبق من قول الحكماء ما جعلوا به السّبيل المُثلى إلى مثلك ، فى قولهم : «لا ينبغى لأحد أن يكبر عن أن يسأل، كما لا ينبغى لأحد أن يصغر عن أن يقول» لما أنست لمخاطبتك ولا هَشَشت إلى محادثتك ، ولكنه سبب الإخاء وعقد المودّة، ومحلك من قلبى محل الرّوح من جسد الجبان. فقال الغلام ، وهو لا يعرفه: قال إبراهيم النظَّام : إنَّ الطبائع توافق ما يُشاكلها بالمُجانسة، وتميل إلى ما يوافقها بالمؤانسة ، وكيانى مائل إلى كيانك بكُليتى ، ولو كان الوُدّ الذى أنطوى لك عليه عَرضا ، ما أعتددتُ به ، ولكنه جوهر جسمى ، فبقاؤه ببقاء النفس ، وعدَمه بعدمها ، وأقول كما قال الهذلى :

فاستيقنى أن قد كلفت بكم   ثم أفعلى ما شئتِ عن عِلم

فقال له النظَّام : إنَّما خاطبتك وأنت عندى غلام مُستحسن ، ولو علمت أنك بهذه المنزلة لرفعتك إلى رُتبتها .

(١) عبر المحرر : « فاستيقنى » .

أخبار يحيى بن أبى طالب (*)

قبيلته ودولته

هو شاعر من أهل اليمامة من بنى حَنيفة ، مُقلّ ، من شُعراء الدّولة العبّاسية .

منهجه

وكان فصيحاً غَزِلاً فارساً .

خروجه إلى الرى وموته بها

وركبه دَين فى بلده فهرب إلى الرّى ، فخرج إليها مع بَعث توجّــه إليها ، فمات بها .

شعره الذى فيه الغناء

وقال بالرّى شعره الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره ، وهو :

أَلاَ هَلْ إلى ريح الخُزَامى ونَظرة ... إلى قَرْقرَى قبل الممات سَــبِيلُ
ويا أثلاتِ القاع من بَطْن تُوضَح ... حَنينى إلى أفيائكن[1] طَويل
ويا أثلاتِ القاع قَلبى مُوكَّل ... بكُنّ وجَدْوَى غيركنّ[2] قَليل
ويا أثلاتِ القاع قد مَلّ صُحبتى ... وقُوفى فهل فى ظِلّكنّ مَقِيل

بين إسحاق الموصلى وبين الرشيد فى أمره

وحُكى أنّ إسحاق بن إبراهيم الموصلى غنّى الرّشيد فى شعر يحيى بن أبى طالب:

الأهل إلى شَم الخُزامى ونَظرة ... إلى قَرقرى قبل الممات سَبِيل

فأطربه ، وســأل عن قائل الشِّعر ، فذكره له ، وأعلمه أنه حىّ، وأنه هرب من دين عليه ، وأنشده قوله :

أُريد رُجوعاً نحوكم فَيصُدنى ... إذا رُمته دينٌ علىَّ ثقيــــل

(*) غير التجريد : « يحيى بن طالب » .
(١) غير التجريد : « أطلالكن » .
(٢) التجريد : « خيركن » .

فأمر الرّشيد أن يكتب إلى عامل الرَّى بقضاء دينه عنه ، و إعطائه نفقة ، و إنفاذه إليه . فوصل الكتاب يوم مات يحيى بن أبى طالب .

شعره فى محبوبته بعد أن خرج عنها إلى مكة

وذُكر أنّ يحيى بن أبى طالب كان يجالس أمرأة من قومه و يألفها ، ثم خرج مع والى اليمامة إلى مكة ، فأبتاع منه الوالى إبلاً بتأخير ، فلمّا صار بمكة عُزل الوالى ، فَلَوَى يحيى مالَه مُدة ، وضاق صدره وتشوّق إلى اليمامة وصاحبته التى كان يتحدّث إليها ، فقال :

تصبَّرتُ عنها كارهاً وهجرتُها ... وهِجْرانُها عندى أمرٌ من الصَّبْرِ
إذا أرتحلت نحو اليمامة عُصبة ... دعانى الهوَى وأُهتاج قلبى لِلذِّكْرِ
كأنّ فؤادى كلَّما عنَّ ذِكْرُها ... جناحَا عُقاب رامَ نَهضاً إلى وَكْرِ

أخبـــار
عروة بن حزام بن مُهاصر (1)

قبيله
أحد بنى عُذرة .

عهده
شاعر إسلامي .

هوى عفراء
وهو أحـــد المُتيَّمين الذين قتلهم الهوى ، وكان يهوى ابنة عمّه عَفراء بنت عِقال(2) .

حديث عشقه عفراء
وكان من حديثه أنّ حِزاما أباه هلك ، ونَزَل عُروة ابنه صغيراً فى حِجر عَمّه عقال بن مُهاصر ، وكانت عَفراء تِرْباً لعُروة يَلعبان جميعاً ويكونان معاً ، حتى ألف كل واحد منهما صاحبه إلفاً شديداً ، وكان عقال يقول لعُروة ، لما يَرَى من إلفهما : أبشر فإنَّ عَفراء امرأتك إن شاء الله . فكانا كذلك حتى لحقت عَفراء بالنســاء ، ولحق عُروة بالرِّجال ، فأتى عُروة عمّة له يقال لهـا هند بنت مُهاصر ، فشَكى إليها ما به من حُب عَفراء ، وقال لهـا فى بعض ما يقول لهـا : يا عَمَّة ، إنِّى لأُكلمك وأنا منك مُستحٍ ، ولـكن لم أفعل هذا حتى ضِقت ذرعاً بمـا أنا فيه . فذهبت عمتُه إلى أخيها ، فقالت : يا أخى ، قد أتيتك فى حاجـة أُحبّ أن تُحسن فيها ، فإنّ الله يأجُرك بصلة رحمك فيما أسألك . فقال لهـا : قُولى ، فلن تسأليني حاجة إلاّ رددتُك بهـا . قالت : تزوِّج ابن أخيك عُروة بنتك عَفراء . فقال : ما عنه مذهب ولا هو دون رجل يُرغب فيه ، ولا بنا عنه رغبة ، ولـكنه ليس بذى مال ، وليست عليه عجلة . فطابت نفس عُروة وسكن بعض السُّـكون .

---

(1) الجمهرة لابن حزم (٤٤٩) : « عروة بن حزام بن مالك » .
(2) الجمهرة : « عفراء بنت مهاصر بن مالك » .

وكانت أُمها سيئة الرَّأى فيه ، وتريد لاُبنتها ذا مال ووفر ، وكانت عُرضة ذلك كمالاً وجمالا . فلمّا تكاملت سِنّ عُروة وبلغ أشدّه ، عرف أنّ رجلاً من قومه ذا يسار ومال كثير يَخْطبها ، فأتى عمّه فقال : ياعم ، قد عرفت حقّى وقرابتى ، وأنا ولدك ورُبيت فى حجرك ، وقد بلغنى أنّ رجلاً يخطب عَفراء ، فإن أسعفته بطلبته قَتلتنى وسفكت دَمى ، فأنشدك الله ورحمى وحقّى . فرَقّ له وقال : يا بُنَىّ ، أنت مُعدم وحالنا قريبة من حالك ، ولست مُخرجها إلى سواك ، وأُمها أَبت أن تُخرجها إلاّ بمهر غال . فاُضطربْ واُسترزق الله . فجاء إلى أُمها فلاطفها وداراها ، فأَبت أن تُجيبه إلاّ بما تحتكم من المَهر ، وبعد أن يسوق شطره إليها . فوعدها بذلك ، وعلم أنه لا تنفعه قرابة ولا غيرها إلاّ بالمال الذى طلبوه . فعمل على قصد اُبن عمٍ له مُوسر ، وكان مُقيماً باليمن ، فجاء إلى عمّه وإلى اُمرأته فأَخبرَهما بعَزمه ، فصوّباه ووعداه ألاّ يُحدثا حدثاً حتى يعود ، وصار فى ليلة رحيله إلى عَفراء ، فجلس عندها هو وجوارٍ لها ليلةً يتحدَّثون حتى أصبحوا ، ثم ودَّعها وودَّع الحىّ وشدّ على راحلته . وصحبه فى طريقه فَتيان من بنى هلال اُبن عامر كانا يألفانه ، وكان حياهم مُتجاورين ، وكان فى طول سفره ساهياً يكلّمانه فلا يفهم ، فِكْره فى عَفراء ، حتى يُرد عليه القول مراراً ، حتى قدم على اُبن عمّه فلقيه وعرّفه حاله وما قدم له ، فوصله وكساه وأَعطاه مائة من الإبل . فاُنصرف بها إلى أهله . وكان رجل من أهل الشّام من أنسباء بنى أُمية نزل فى حىّ عَفراء ، فنَحر وأطعم ووهب ، وكان ذا مال عظيم ، فرأى عَفراء ، وكان منزله قريباً من منزلهم ، فأعجبته فخطبها إلى أبيها ، فاُعتذر إليه وقال : قد سمَّيتها باُسم ابن أخ لى يَعدلها عندى ، وما إلى تزويجها إلى غيره سبيل . فقال : إنّنى أُرغبك فى المَهر . فقال : لاحاجة لى إلى ذلك . فعدل إلى أُمها ، فوافق عندها قبولاً لبذله ورغبةً فى ماله ، فأجابت وجاءت إلى عقال فصخبت عليه وآذته وقالت : أىّ

خـــــير فى عُروة حتى تحبس ٱبنتى عليه ، وقد جاء الغنى يطرق عليها بابها ، والله ما تدرى أعُروة حىّ أم ميّت ؟ وهل ينقلب إليك بخير أم لا فتكون قد حرمت ٱبنتك خيرًا حاضرًا و رزقًا سَـنيّا . فلم تزل به حتى قال لها : فإن عاودنى خاطبًا أجبت . فوجّهت إليه : عُد إليـه خاطبًا . فلمّـا كان من غد نحر جُزرًا عدّة وأطعم ووهب ، وجمع الحىّ معه على طعامه ، وفيهم أبو عفراء . فلمّـا طعموا أعاد القول فى الخطبة ، فأجابه و زوّجه ، وساق إليه المَهر ؛ وحُوّلت إليه عفراء ، وقالت قبـــل أن يدخل بها :

يا عُرو إنّ الحىّ قد نَقَضوا عهـــد الإله وحاولوا الغَدْرَ

فى أبيات طويلة .

فلمّـا كان الّليل دخل بها زوجُها ، وأقام فيهم ثلاثًا ، ثم ٱرتحل إلى الشّام .

وعمد أبوها إلى قبر عتيق فجدّده وسوّاه ، وسأل الحىّ كتمان أمرها . وقدم عُروة بعد أيام فنعاها أبوها إليه ، وذهب به إلى ذلك القبر : فمكث يختلف إليه أيّامًا وهو مُضنًى هالك ، حتى جاءته جارية من الحى فأخبرته الخبر ، فتركهم ، وركب بعض إبله ، وأخذ زادًا ونفقةً ورحل إلى الشّام حتى قَدمها ، وسأل عن الرجُل فأُخبر به ودُل عليه ، فقصده وٱنتسب له فى عدنان ، فأكرمه وأحسن ضيافته. فمكث أيامًا حتى أنِسوا به، ثم قال لجارية لهم : هل لكِ فى يدٍ تُولينها ؟ قالت : نعم . قال تدفعين خاتمى هذا إلى مَولاتك . فقالت : ســوأة لك ، أمَا تستحى من هذا القول ! فأمسك عنها ثم أعاد عليهـا وقال : وهى والله بنت عمّى ، وما هنا أحد إلاّ وهو أعزُّ على صاحبه من الناس جميعًا ، فاطرحى هذا الخاتم فى صَبوحها ، فإن أنـكرت عليك فقُولى : أصطبح ضيفُنا قبلك ولعلّه سقط منه ، فرقّت له الأَمَة وفعلت ما أَمرها به . فلمّا شربت عَفراء اللبن رأت الخاتم

فعرفته ، فشَهقت ثم قالت : أصدقيني عن الخبر . فصدقتها . فلمّا جاء زوجها قالت : أتدرى مَن ضيفك ؟ قال : نعم : فلان بن فلان ـ النّسب الذى انتسبه له عروة ـ فقالت : كلا والله ياهذا ، بل هو عُروة بن حزام ابن عمّى ، وقد كتمك نسبه حياء . فبعث إليه فدعاه وعاتبه على كِتمانه إيّاه نفسه ، وقال له : بالرُّحب والسَّعة ، نشدتُك الله إن رِمْت هذا المكان أبداً . وخرج وتركه مع عَفراء ، وأوصى خادماً له بالاستماع إليهما وإعادة ما يسمعه منهما عليه . فلمّا خَلوا تشاكيا ما وَجدا من الفِراق ، فطالت الشَّكوى ، وهو يبكى أحرّ بكاء . ثم أتته بشراب فقال: والله ما دخل جَوفى حرام قط ولا ارتكبته منذ كنت ، ولو كنت استحللت حَراماً لكنت استحللته منكِ ، فأنتِ حظّى من الدُّنيا وقد ذهبت عنّى ، وذهبت بعدك فما أعيش ، وقد أجمل هذا الرّجل الكريم وأحسن ، وأنا أستحى منه ، ووالله ما أقيم بعد علمه بمكانى ، وإنّى أعلم أنّى أرحل إلى منيتى . فبكت وبكا . وانصرف . فلمّا جاء زوجها أخبره الخادم بما جرى بينهما . فقال لها : يا عَفراء ، امنعى ابن عمّك من الخروج . فقالت : لا يمتنع ، هو والله أكرم وأشدّ حياء أن يقيم بعد ماجرَى بينكما . فدعاه وقال له : يا أخى ، اتق الله فى نفسك ، فقد عرفت خبرك ، فإنّك إن رحَلت تَلِفْت ، ووالله لا أمنعك من الاجتماع معها ، ولئن شئت فارقتها وأنزل عنها لك . فجزاه خيراً وأثنى عليه ، وقال : إنما كان الطّمع فيها آفتى ، والآن فقد يئست وقد حملت نفسى على الصّبر ، فإنّ اليأس مُسْلٍ ، ولى أمور ولابدّ من الرُّجوع إليها ، فإن وجدتُ فى نفسى قُوّة على ذلك وإلاّ رجعت إليكم وزُرتكم حتى يقضى الله فى أمرى ما يشاء . فزوّدوه وأكرموه وشيّعوه ، وانصرف . فلمّا رحل عنهم نكس بعد صلاحه وتماثُله وأصابه غشى وخَفقان ، فكان كلّما أُغمى عليه أُلقى على وجهه خِمار لعفراء زوّدته إيّاه ، فيفيق .

شعره بعد لقائه ابن مكحول

ولقيه فى الطريق أبن مكحول عرّاف اليمامة ، فرآه وجلس عنده ، وسأله عمّا به ، وهل هو خَبل أو جنون . فقال له عُروة : ألك خبرة بالأوجاع ؟ قال: نعم . فأنشأ يقول :

وما بِيَ من خَبلٍ وما بِي مَجَنَّةٌ[1] ... ولكن عمّى يا أُخَىّ كَذُوب
أقول لعرّاف اليمامة داوِنى ... فإنَّك إن داويتَنى لأَريب[2]
فوا كبدى أمست رُفاتاً كأنَّما ... يُلذعها بالمُوقدات لَهيب
عشيّة لا عفراءُ منك بعيدة ... فَتسْلو ولا عفراء منك قَريب
عشيّة لا خلفى مكرّ ولا الهوى ... أمامى ولا يَهوى هوايَ غريب
فوالله لا أنساك ماهبّت الصَّبا ... وما عَقبتها فى الرِّياح جَنوب
وإنِّى لَيغشانى لذكراك هِزَّة ... لها بين جلدى والعِظام دَبيب

شعره الذى فيه الغناء

وقال أيضاً الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره :

لَعمرك إنى يوم بُصرى وناقتى ... لمختلف الأهواء يَصطحبانِ
متَى تحملى شوقى وشوقَك تظلَعى ... وما لك بالحِمل الثقيل يَدانِ
ألا ياغُرابَى دِمنة الدار خبِّرا ... أبالبين من عَفراء تَنْتَحِبان
فإن كان حقًّا ما تقولان فاذهبا ... بلحمى إلى وَكْريكما فكُلانى
ولا يعلمنّ الناس ما كان ميتتى ... ولا يأكُلن الطير ما تَذران
جعلت لعرّاف اليمامة حُكمه ... وعرّاف حُجر إنْ هما شَفيانى

(١) فى غير التجريد: «من جنة» مكان «مجنة»، والجنة والمجنة بمعنى . وبما أثبتناه يستقيم الوزن .
(٢) غير التجريد : «لطبيب» .

فما تركا من حيلة يَعلمانها ولا رُقيـة إلاّ وقد رَقيانى
وقالا شفاك الله والله مالنا بما ضُمِّنت[١] منك الضُّلوع يَدان
كأنّ قطاةً عُلِّقت بجَناحها على كبدى من شدّة الخفقان

ومنها يخاطب صاحبيه الهلاليّين :

خَليليَّ من عُليا هلال بن عامر بصَنعاء عُوجا اليومَ فا نتظرانِى
ولا تَزهدا فى الذُّخر عندى وأجملا فإنكما بِى اليوم مُبتليان
ألمّا على عَفراء إنكما غداً بوَشْك النَّوى والبَين مُعترفان
فيا واشِيَىْ عَفراء ويحكما بمَن وما وَالى من حيثُما تَشيان
بمَن لو أراه عانياً لفديتُه ومَن لو رآنى عانياً لفَدانى
متى تكشفا عنِّى القميص تبيَّنا بِى الضُّر من عَفراء يا فتيان
إذن تَريا لَحماً قَليلاً وأعظُماً بَلِينَ وقَلْبا دائمَ الخفَقان
لقد تَركتنى لا أعِى لمحدِّث حديثاً وإن ناجيته ونجانى
فوَيلى على عَفراء ويلٌ كأنه على الصَّدر والأحشاء حدُّ سِنان
أحبّ ابنة العُذرىّ حُبًّا وإن نأت ودانيت منها غير ما هو دانى
إذا رام قلبى هَجرها حال دونه شفيعان من قَلبى لها خَذلان
إذا قلت لا قالا بلى ثم أصبحا جميعاً على الرأى الذى يَريان[٢]
تحمّلت من عَفراء ماليس لى به ولا بالجبال الراسيات يَدان

(١) غير التجريد : « حملت » .
(٢) هذا البيت والذى قبله ليسا فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

فياربّ أنت المُستعان على الذى تحمّلت عن عَفراء مُنذ زمانِ

هو وخارجة فى الطواف

وحَكى خارجة المكى أنه رأى عُروة بن حزام يُطاف به حول البيت ، قال : فدنوت منه ، فقلت له : مَن أنت ؟ فقال : أنا الذى أقول :

أفى كُل يوم أنت رامٍ بلادها بعَينين إنساناهُما غَرِقانِ

أَلا فاْحملانى بارك الله فيكما إلى حاضر الرَّوحاء ثم دعانى

فقلت له : زِدنى . فقال : لاوالله ولا حرفاً واحداً .

هو وابن عباس فى عرفة

وحَكى أبو صالح قال :

كنت مع اْبن عباس بعَرفة ، فأتاه فِتيان يحملون بينهم فتى لم يبق إلاّ خياله ، فقالوا له : ياْبن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، اُدع له . قال : وما به ؟ فقال الفتى :

بنا من جَوى الأحزان فى الصَّدر لوعةٌ تـكاد لها نَفس الشقيق تذوبُ

ولكنَّما أبقى حشاشة مُعول على ما به عُود هناك صَليب

ثم خفت فى أيديهم ، فإذا هو قد مات . فقال اْبن عبَّاس : هذا قتيل الحب لا عَقل ولا قَود .

ثم ما رأيت اْبن عباس فى حديثه يسأل الله إلاّ العافية مما اْبتلى به ذلك الفتى .

قال : وسألت عنه ، فقيل : هذا عُروة بن حزام .

موته ورثاء عفراء له

فذُكر أنه لمّا فارق عَفراء لم يزل يَضْنى فى طريقه حتى مات قبل أن يصل

إلى حيِّه بثلاث ليال . و بلغ خبره إلى عَفراء فأتته وجزعت عليه جزعاً شديداً ، وقالت ترثيه :

ألاَ أيها الرّكبُ المُخبُّون ويْحَكم بحقٍّ نَعَيتُم عُروة بن حِزامِ
فلا تَهنِىء الفِتْيان بعدك لذَّة ولا رَجعوا من غَيبة بسَلام
وقُل للحُبالى لا يُرجِّين غائباً ولا فرحات بعـــده بغُلام

موت عفراء

ولم تزل تردد هذه الأبيات أيّاماً وتندُبه ، حتى ماتت بعد أيام قلائل .

أخبار القتال

هو عبد الله بن المجيب المضرحى بن عامر الهصّان[1] بن كعب ابن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . نسبه

ويكنى أبا المُسيّب . كنيته

والقتّال لقب غلب عليه لتمرّده وفَتكه .

وكان يتحدّث إلى ابنة عم له يقال لها الغالية بنت عُبيد الله ، وكان لها أخ غائب ، يقال له زياد بن عُبيد الله . فلمّا قَدِم رأى القتّال يتحدّث إلى أخته ، فنهاه عنها ، وحلف لئن رآه ثانية ليقتلنه . فلمّا كان بعد ذلك جاء فوجده عندها ، فأخذ له السّيف ، و بَصُر به القتّال ، فخرج هارباً ، وخَرج فى إثره . فلمّا دنا منه ناشده الله والرّحم ، فلم يلتفت إليه . فبينا هو يسعى ، وقد كاد يلحقه ، رأى رُمحاً مركوزاً ــ وقيل : بل وجد سيفاً ــ فأخذه ، وعَطف على زياد فقتله ، وقال : قتله زياداً وشعره فى ذلك

نهيتُ زياداً والمهامه بيننا ... وذكّرته أرحام سَعد وهَيثمِ

فلمّا رأيتُ أنه غيرُ مُنتهٍ ... أملتُ له كَفِّى بلَدْن مُقَوَّم

ولمّا رأيتُ أننى قد قتلتُه ... نَدِمتُ عليه أىَّ ساعة مَندم

وقال أيضاً :

نهيت زياداً والمهامه بيننا ... وذكّرته بالله حَوْلاً مُحرّما

(١) الأصل : «عامر بن الهضاب» تحريف . والتصويب من القاموس «هصص» والمقتضب (٣٦)

فلمّا رأيتُ أنه غيرُ مُنتهٍ ومولاى لا يَزداد إلاّ تَقدُّمَا
أمات له كفِّى بأَبيض صارم حُسام إذا ما صادف العَظم صَمَّما
بكفِّ أمرئٍ لم تخدُم الحىّ أمُّه أخى نَجدات لم يكُن مُتهضَّما

ثم خرج هارباً ، وأصحاب القتيل يطلبونه ، فمر بأبنة عم له تُدعى : زينب ، متنحِّية عن الماء . فدخل عليها ، فقالت له : ويحك ! ما دهاك ؟ فقال : أَلقى علىَّ ثيابك . فألقت عليه ثيابها وألبسته بُرقعها ، وكانت تَمسّ حنَّاء ، فأخذ الحنَّاء ولطَّخ به يديه ، وتنحَّت عنه ، وجدَّ الطلب به ، فلمَّا أتوا البيت وهم يطلبونه ، قالوا : أين الخبيث ؟ قالت لهم : أخذ ها هنا ، لغير الوجه الذى أراد أن يأخذه . فلمَّا عرَف أن قد بعدوا أخذ فى وجه آخر ، فلحق بعماية ، وهو جبل، فاستتر فيه ، وقال فى ذلك :

فمن مُبلغ فِتْيانَ قَومىَ أننى تسمَّيت لما شَبَّت الحربُ زَينبا
وأرخيت جِلبابى على نَبت لِحيتى وأبديتُ للناس البَنان المخَضَّبا

تعقيب لابن واصل

فمكث بعماية زماناً ، يأتيه أخوه بما يحتاج إليه ، وألفه نمر فى الجبل كان يأوى معه فى شِعب .

قلت :

هكذا روى ، والعهدة على ناقله ، فإن العادة تأباه .

قصة النمر الذى ألفه القتال وشعره فى ذلك

قال أبو الفرج :

كان يأوى إلى ذلك الشِّعب نمر ، فراح إليه لعادته ، فلما رأى القتَّال كشَّر عن أنيابه . فأخرج القتَّال سِهامه فنثرها بين يديه ، فضرب بيده وزأر ، فأوتر القتَّال قوسه وأنبض وترها ، فسكن النمر وألفه .

قال : فكان النمر يصطاد الأروى فيجىء بما يصطاد فيُلقيه بين يدى القتَّال ، فيأخذ منه ما يكفيه ويُلقى الباقى للنمر ، فيقوته .

وكان القتَّال يخرج إلى الوحش فيرمى بنَبله فيُصيب منها الشىء بعد الشىء ، فيأتى به الكهف فيأخذ لقُوته بعضَه ويلقى الباقى للنمر ، وكان القتَّال إذا وَرد أقام النمر حتى يشرب ، ثم ينتحى القتَّال ويرد النمر فيشرب .

قال : وفى ذلك يقول القتَّال من قصيدة :

ولى صاحب فى الغار يَعدل صاحبا ... أبو الجون إلاّ أنه لا يُعلِّلُ

قيل : أبو الجون صاحب للقتَّال ، فشبهه به . وبعده :

كلانا عدوٌّ لو يرى فى عدوه ... مهزًّا وكُلٌّ فى العداوة مُجْمِل

إذا ما التقينا كان أُنس حديثنا ... صِمات وطَرف كالمعابل أَطْحل[1]

لنا مَورد قلْت[2] بأرض مُضلة ... شريعتُها لأيِّنا جاء أَول

تضمَّنت الأَروى لنا بِشوائنا[3] ... كلانا له منه سَديف مُخَرْدل[4]

فأغلبه فى صَنعة الزاد أننى ... أُميط الأَذى عنه وما إنْ يُهلِّل

أى ما يسمِّى الله عليه عند صَيده .

قلت :

أنا لا أشك أن هذا القول كذب من القتال ، وليس فى العادة أن النمور تألف الإنسان .

(١) المعابل : جمع معبلة ، وهى نصل طويل عريض ، وأطحل : من الطحلة ، وهى لون بين الغبرة والبياض . وفى غير التجريد : « أكحل » .

(٢) القلت : النقرة فى الجبل . وفى غير التجريد : « صاف » .

(٣) غير التجريد : « بقبولنا » .

(٤) السديف : لحم السنام . ومخردل : مقطع ، يريد قطعاً من اللحم صغاراً .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار القتّال :

أعالىَ أعلى الله جَـدَّك عالياَ وأسقى بريَّاك العِضَـاهَ البَواليا
أعالىَ ما شمس النهار إذا بدت بأحسنَ ممَّـا بين بُرْدَيك عاليا
أعالىَ لو أنَّ النســـاء ببلدة وأنت بأُخرى لاتبعتك ماضيا
أعالىَ لوأشـكو الذى قد أصابنى إلى غُصُنٍ رَطْبٍ لأصبح ذاويا

ومنهـــا :

أعالىَ أخت المالـكيين نولِّى بمـا ليس مَفقوداً وفيه شفائيا
أصارِمتى أُم العلاء وقد رمى بىَ اليأس فى أُم العلاء المَراميا

أخبار الراعى

نسبه

الرّاعى : هو عُبيد بن حُصين بن مُعاوية بن جَنــدل بن قَطن بن حُذيفة ابن الحارث[1] بن نُمير بن عامر بن صعصعة بن مُعاوية بن بكر بن هوازن ابن منصور بن عكرمة بن خَصـفة بن قيس عيلان بن مُضر بن نِزار بن مَعدّ ابن عدنان .

كنيته ولقبه

ويكنى أبا جَندل . والرّاعى لقب غلب عليه لكثرة وصفه الإبل ، وجودة نعته إيّاها .

طبقته

وهو شاعر فحل من شُعراء الإسلام .

تفضيله للفرزدق على جرير

وكان يقضى للفرزدق على جَرير ويفضّله ، وكان قد ضخم أمره ، فلمّا أكثر من ذلك خرج جَرير إلى رجال قومه ، فقال : هل تَعجبون لهذا الرجل الذى يقضى للفرزدق علىّ ويفضّله ، وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم .

هو وجرير

ثم إنّ جريراً تعرض للراعى فوجده راكباً بغلة وابنه جَندل يسير وراءه راكباً مُهراً له ، فلمّا استقبله قال له : مرحباً بك ياأبا جَندل ، وضرب بيساره إلى معرفة بغلته ، وقال يا أبا جَندل ، إنّ قولك يُستمع وأنت تُفضِّل علىّ الفرزدق تَفضيلاً قَبيحاً ، وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم ، وهو ابن عمِّى ، ويكفيك من ذلك إذا ذُكرنا أن تقول : كلاهما شاعر كريم ، فلا تحمل منهُ لا ئمة ولا منِّى ، فبينا هما

---

(١) الجمهرة : « قطن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث » .

كذلك والرّاعى واقف لايردّ على جَرير جوابا ، إذ لحق بالرّاعى ابنــه جَندل . فضرب عجز بغلة أبيه وقال : أراك واقفاً مع كلب بنى كليب ، كأنّك تخشى منــه شرّا أو ترجو منه خيراً . ولمّا ضرب البغلة زَحمت جريرا فسقطت عن رأســه قَلنسيته ، فأخذها ومَسحها وأعادها على رأسه ، وقال :

أجَندل ما تقول بنو نمــير إذا ما الأير فى اُست أبيك غابَا

وانصرف جرير مُغضَباً ، حتى إذا صلى العشاء ومنزله فى عُلية ، قال : ارفعوا لى باطية من نبيذ ، وأسرجوا إلىّ . ففعلوا به ذلك ، فجعل يُهينم ، وهو فى الفراش عُريان ، فقال قصيدة يهجو بها الرّاعى ، فلمّا قال :

فغُض الطرف إنك من نمير فلا كَعباً بلغت ولا كِلابَا

كبّر ووثب وثبة دقّ رأسه السقف ، فسمعت صوته عجوز كانت فى ذلك الموضع ، فقالت : ياقوم ضيفكم مجنون . فجاءوا إليه وهو يحبو ويقول : عضضته والله ، أخزيته والله ، فضحته والله . فقالوا : مالك ياأبا حزرة،فأنشدهم القصيدة ، ثم غدا عليه فأنشــده إيّاها ، ، فلو انشقّت له الأرض لساخ فيها . حتى إذا فرغ منها ركب هو وأصحابه وساروا إلى أرضهم ، فوجدوا الناس فى أهلهم يتناشدون قول جَرير :

* فغُض الطرف إنك من نمـــير * [البيت]

حتى ظنّ أنه له أشياعاً من الجن تبلغ شعره ، فتشــاءمت بنو النمير بالراعى وابنه جندل وسبوهما لمَا لحقهم من العار بهذا البيت .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به الفرج أخبار الراعى ، هو :

ألم تسأل بعارمــــة الديارا عن الحىّ المُفارق أين سَارا

بلى ســـاءلتها فأبت جوابا وكيف سُؤالك الدِّمن القفارا

أخبار جندل بن الراعى

شعره

وابنه : جَندل شاعر ، وهو القائل :

طلبت الهوى العُذرى[1] حتى بلَغته وسيَّرت فى نَجديِّه ما كَفانيا

وقُلت لحلمى لا تنزعنى عن الصّبا وللشَّيب لا تَذْعر علىَّ العَوانيا

بينه وبين امرأته

وذُكر أنه كان لجندل امرأة من عُقيل ، وكان بخيلا ، فنظر إليها يوماً ، فأنشأ يقول :

عُقيليَّة أمَّا أعالى عظامها فعُوج وأما لحمُها فقَليلُ

فقالت العُقيلية مُجيبة له :

عُقيلية حَسناء أزرى بحُسنها طَعام لديك ابْن الرّعاء قليلُ

فجعل جَندل يسُبها و يضربها ، وهى تقول : قلتَ فأجبتُ وكذبت وصدقت ، فما أغضبك ؟

---

(١) غير التجريد : « النورى » .

أخبار عمار ذى كُبار

نسبه

هو : عمّار بن عمرو بن عبد الأكبر .

لقبه وقبيله

ويلقب ذا كُبار[1] . همدانى كوفى .

صفته

وكان ليّن الشّعر ، ماجناً خِمّيرا ، معاقراً للشّراب ، وحُدّ فيه مرّات .

زندقته

وكان هو، وحمّاد الرّاوية ، ومطيع بن إياس، يتنادمون ويجتمعون على شأنهم لا يفترقون ، وكلهم كان متهماً بالزندقة .

نشأته

ونشأ عمّار فى دولة بنى أُمية .

لزومه الكوفة

قال أبو الفرج :

فلم أسمع له بخبر فى الدولة العبّاسية ، وما كان يبرح من الكوفة لغشاء بصره ، وضعف نظره .

شعره الذى فيه الغناء وقصته

وذُكر أنّ حمّادا الرّاوية اُستقدمه هشام بن عبدالملك فى خلافته ، وأمر له بصلة سنيّة وحُملان[2] ، فلمّا قدم عليه اُستنشده أشعاراً من أشعار العرب ، فأنشده إيّاها ، فأقام عنده شهراً يسأله عن أشعار العرب وأيامها ، ومآثرها ومحاسن أخلاقها ، وهو يخبره وينشده . ثم أمر له بجائزة وخلعة وحُملان ، وردّه إلى الكوفة .

فلمّا مات هشام وولىَ الخلافة بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، اُستقدمه

---

(١) غير التجريد : « كنار » .

(٢) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة .

فمـا سأله عن شيء من الجد إلاّ مرة واحدة ، ثم جعل ينشـده من ذلك النحو فلا يلتفت إليه ، حتى جرى ذكر عمّـار ذى كُبار فتشوّقه وسأل عنه .

قال حمّـاد : فمـا ظننت أنّ شـعر عمّـار شيء يُراد أو يعبأ به . ثم قال له الوليد : هل عندك شيء من شعره ؟ فقال : نعم ، أنا أحفظ قصيدة له ، ولـكثرة عبثى بها قد حفظتُها . فأنشده قصيدة ، وهى التى فيها الشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبـار عمّـار ، وهو :

أصبح الحَبل من سـلا مة رثًّا مُجـذَّذا
حبّـذا أنت يا سلا مة ألفين حبّـذا
ثم ألفين مُضـعف ين وألفين هكـذا
فى صَميم الأحشاء منِّى وفى القلب قد جذا
جذوة من صـبابة تركتْه مُفـلّذا[1]

ومنهـا :

أشتهى منك منك منـ ـك مَكاناً مُجنْبـذا[2]
مُدْغمـاً[3] ذا مناكب حسن القدّ مُحتـذى
رابيـاً ذا مجسّـة أخنسـا قد تقنفذا
لم تر العينُ مثـله فى مَنـام ولا كذا
ملء كفى ضجـيعها نال منها تفخّـذا
لو تأمّلتَـه دَهِشْـ ـت وعاينت جهبـذا
طيّب العَرف والمجسّـ ـة واللمس هِرْبذا[4]

(١) مفلذا : مقطعا . (٢) مجنبذ : مرتفع مستدير كالقبة .
(٣) مدغما ، أى أسود ، للشعر الذى عليه .
(٤) الهربذ : واحد الهرابذة ، وهم قومة بيت النار . يشير إلى حرارته .

فأجا[1] فيه فيه فيه بأير كمثل ذا
ليت أيرى وليت حر ك جميعاً تآخذا
فأخذ ذا بشعر ذا وأخذ ذا بشعر ذا

قال حمّاد الرّاوية : فضحك الوليد بن يزيد حتى سقط على قفاه ، وصفّق بيديه ورجليه ، وأمر بالشّراب فأحضر ، وأمرنى بالإنشاد ، فجعلت أنشد هذه الأبيات وأكررها عليه ، وهو يشرب و يصفّق حتى سكر ، وأمر لى بثلاثين ألف درهم ، فقبضتها ، ثم قال : مافعل عمّار ؟ فقلت : حىّ كميّت ، قد غشى بصره وضعف جسمه ، ولا حراك به . فأمر له بعشرة آلاف درهم . فقلت له : ألا أخبر أمير المؤمنين بشىء يفعله لا ضرر فيه عليه ، وهو أحبُّ إلى عمّار من الدُّنيا بحذافيرها لو سيقت إليه ؟ فقال : وما ذلك ؟ قلت : إنه لا يزال ينصرف من الحانات وهو سكران ، فيرفعه الشُّرط فيُضرب الحد ، فقد قُطِّع بالسّياط ، وهو لا يدع الشراب ولا يكُف عنه ، فتكتب بألّا يُعرض له . فكتب إلى عامله بالعراق ألا يَرفع أحدٌ من الحَرس عمّاراً فى سكر ولا غيره إلاّ ضُرب الرّافع له حدَّيْن وأُطلق عمّار .

قال : فأخذت المال وجئتُه به ، وقلت : ما ظننت أن الله يُكسب بشعرك أحداً خيراً ، ولا يسأل عنه عاقل ، حتى كسبت بأوضع شىء قلتَه ثلاثين ألف دينار. فقال : عز علىّ يابن الزانية ذلك لقلة شكرى يابن الفاعلة ، فهات نصيبى منها . فقلت : قد استغنيت عن ذلك بما خُصصت به ، ودفعت إليه العشرة الآلاف فقال : وصلك الله يا أخى وجزاك خيراً ، ولكنها سبب قتلى ، لأنى أشرب بها ما دام معى منها درهم ؛ وأُضرب أبداً حتى أموت . فقلت له : قد كفينك ذلك ؛ وهذا عهد أمير المؤمنين ألا تُضرب ؛ وأن يُضرب كل مَن رفعك حدّين .

---

(١) أجا ، من وجأ ، بمعنى لكز وطعن ، فسهل الهمزة .

فقال : والله لأنا أشدُّ فرحاً بها منّى بالمال ؛ فجُزيت خيراً من أخ صديق . فقبض المال ؛ ولم يزل يَشرب به حتى مات ، وبقيّته عنده .

شعره فى زوجته

وذُكر أنّ عمّاراً كانت له امرأة يقال لها : دُومة بنت رياح ؛ وكان يكنيها أم عَمار ، وكانت قد تخلّقت بخلّته فى شُرب الشراب والمجون والسَّفه حتى يدخل الرِّجال إليها وتجمعهم على الفواحش ؛ ثم حجّت فى إمارة يوسف بن عمر ؛ فقال لها عمّار :

أتّقى الله قد حججتِ فتوبى ... لا يكونَنّ ما صنعتِ خَبالاَ
ويلك يادُوم لا تَدومى على الخمـ ... ـر ولا تُدخلى عليك الرِّجالا
إنّ بالمِصر يُوسفًا فاحذَريه ... لا تَصيرى للعالمين نَكالا
وثَقيف إن ثَقَّفتك بحد ... لا يُساوى الإهاب مِنك قِبالا[1]
قد مَضى ما مضى وقد كان ما كا ... ن وأودى الشبابُ منك قَذالا

فضربته دومة وقالت : أتجعلنى غرضاً لِشعرك ! فطلّقها واشترى جارية حسناء ، فزادت فى أذاه وضربته غيرةً عليه . فشكاها إلى يوسف بن عمر . فوجّه إليها بخدَم من خَدمه وأمرهم بضَربها وكسر نبيذها وإغرامها ثياب عمّار . ففعلوا ذلك ، وبلغوا منها الرِّضى لعمّار ؛ فقال فيها عمّار :

إنّ عِرسى لا فَداها اللّـ ... ـه بنت لرياحِ
كل يوم تُفزع الجُلاّ ... س منها بالصِّياح
كلب دبّاغ عقور ... هرّ من بعدِ نُباح
ولها لونٌ كداجى اللّيـ ... ـل من غير صبَاح
ولسانٌ صارم كالسيـ ... ـف مَشْحُوذ النواحى

(١) القبال : سير فى النعل بين الإصبع الوسطى والتى تليها .

يَقطع الصخرَ ويَفْريـــــه كما تَفرى المسَاحِي

عجّــل الله خلاصى من يديهــا وسَراحى

تُتعب الصّاحب والجا ر وتبغى مَن تُلاحى

زعمتْ أنّي بخيـــل وقد أُخْنى بِي سَماحى

ورأت كفَّىَ صِفْراً من تِلادِى ولقاحى

كذبتْ بنتُ رياح حين همَّت بأطّراحى

حاتم لو كان حيًّا عاش فى ظلّ جَناحى

ولقد أهلـكتُ مالى فى أرتياحى وسَماحى

ثم ما أبقيت شـيئاً غير دارى وسـلاحى

وكُميتٍ بين أشـطا نِ جوادٍ ذى مِراح

يسـبق الخيل بتقر يب وشدٍّ كالرِّياح

ثم غارت وتجنّت وأجدّت فى الصِّياح

لأبتياعى أحسن(1) النسـ وان من فىء الرِّماح

دُمية المحراب حُسناً وحكت بَيْضَ الأداحى

هى أشفى لصدى الظَّمـ ـآن من بَرد القَراح

قلت يا دُومـة بِينى إنَّ فى البَين صلاحى

لستُ عمّن ظفرت كـ فِّى بها اليوم بصَاحى

مشـبع الدُّملج والخلـ خال جَوّال الوشـاح

---

(١) غير التجريد : « أملح » .

هو والقسرى وقد منعه عطاءه

وذُكر أنه حضر عمّار ذو كُبار مع همدان ليقبض عطاءه، فقال له خالد ابن عبد الله القسرى: ما كنت لأعطيك شيئاً. قال: ولِمَ أيها الأمير؟ قال: لأنك تُنفق مالك فى الخمر والفُجور. فقال: هيهات ذاك، وهل بقى فىَّ أرب فى ذلك، وأنا الذى أقول:

أيرُ عمّارٍ أصبح الـ ... يوم رخواً قد انكسرْ
ألـــداء يُرى به ... أم من الهمِّ والضجَر
أَم به أُخذة فقـــد ... تُطلِق الأُخـــذة النُّشر
فلئن كان قُوّس الـ ... يوم أو عَضــه الـكِبَر
فلقـــدماً قَضى ونا ... ل من اللذة الوَطر
وأنا اليوم لو رأى الـ ... حُور عندى لما انتشر
ساقطٌ رأســـه على ... خُصـــيتيه به زَور
كلمـــا شمـــته النُّهو ... ض إلى كُوة عَثر

فضحك خالد وأمر له بعطـائه، فلمّا قبضه قضى منه دينـه وصلحت حاله، فقال:

أصـــبح اليوم أير عمّـــار قد قام واسبطَرّ
أخَـذ الرّزق فاستشـا ... ط قياماً من البَطَر
فهو اليـــوم كالشِّظا ... ظ(١) من النَّعظ والأشر
يترك القِرن فى المكـ ... رّ صريعاً وما فَــتر

---

(١) الشظاظ: خشبة عقفاء محددة الطرف يشد بها الوعاء.

يُسرع العَـــود للطّعا ن إذ أُنصاع ذو الخَور
سَـلم ِنعم الضجيع أنـ ت لنا ليلة الحصر(١)
ليــلة الرّعد والبُرو ق مع الغَــيم والمَطر
ليتنى قــد لقيتُـكم فى خَـلاء من البشَر
فنشرنا حديثنــا عنـدكم كُلَّ مُنتشر
خالياً ليـلة التمـا م بسَلمى إلى السَّـحر
فهى كالدُّرة النقــ ـيّة والوجــه كالقمر

(١) التجريد : « أنت لمن ناله الحصر » .

أخبار
عبد الله بن مُصعب الزُّبيري

نسبه

هو عبد الله بن مُصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبير بن العوّام بن خُويلد ابن أسد بن عبد العُزى بن قُصى.

صفته

شاعر فصيح، خطيب، ذو عارضة وبيان، نادم أوائل الخلفاء من بنى العبّاس، وتولّى لهم أعمالهم.

اختفاؤه من المنصور ثم ظهوره

وكان خرج مع محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنهم ـ لمّا خرج على المنصور، فيمن خرج من آل الزُّبير، فلمّا قُتل محمد ـ رضى الله عنه ـ استتر إلى أن صَفح عنه المنصور، وآمن النّاس جميعاً، فظهر.

استجادة المهدى لشعره

وحَكى محمد بن أبى فروة قال:

دخلت على المهدى فإذا هو يكتب على الأرض بفحمة قولَ عبد الله ابن مُصعب:

فإن يحجبوها أو يحُلْ دون وَصلها ... مقالةُ واشٍ أو وَعيد أميرِ
فلن يمنعوا عينىَّ من دائم البكا ... ولن يُخرجوا[1] ما قد أجنَّ ضَميرى
وما بَرح الواشون حتى بدت لنا ... بطُون الهَوى مقلوبةً لظُهور
إلى الله أشكو ما ألاقى من الجوى ... ومن نَفَسٍ يَعتادُنى وزَفير

(١) التجريد: «يحجبوا».

ويقول : أحسن والله عبد الله بن مَصعب ما شاء .

وبعض النّاس ينسب هذه الأبيات إلى المجنون .

لقبه وسبب ذلك

وكان عبد الله بن مَصعب يلقّب : عائد الكلب ، لقوله :

مالى مرضتُ فلم يَعدْنى عائد مَنكم ويمرضُ كلبكُم فأَعود

وأشدّ من مَرضِى علىَّ صُدودكم وصدود كلبكم علىّ شديد

فلقّب : عائد الكلب ، لذلك .

شعره الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبار عبد الله بن مُصعب :

شطّت ولم تُذب الرّباب ولعل للكُلف الثوابُ

نَعب الغراب فراعنى بالبين إذ نَعب الغراب

أخبار أبى العيال الهُذلى

نسبه

هو : أبو العيال بن أبى عنترة، أحد بنى خفاجة بن سعد بن هُذيل .

عمره

وعُمر إلى خلافة معاوية بن أبى سفيان .

رثاؤه ابن عمه ومنها الشعر الذى فيه الغناء

وكان أبن عمه عبد بن زُهرة ـ ويقال إنه كان أخاه لأُمه أيضاً ـ غزا الرُّوم مع يزيد بن معاوية بن أبى سفيان فى غَزاته التى أغزاها أبوه إيّاها ، وكان أبو العيال أيضاً حاضراً فى تلك الغَزاة ، فأُصيب فى تلك الغَزاة جماعة من المسلمين من فُرسانهم وحُماتهم ، وكانت للرُّوم شوكة شديدة ، فأُصيب فى تلك الغزوة عبد بن زهرة الهذلى وخلق من المسلمين ، ثم فتح الله عليهم. فقال أبو العيال قصيدة يرثى بها أبن عمّه عبد بن زهرة . ومنها الشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى العيال ، وهو :

ألا لله دَرُّكَ مِنْ فتى قَوم إذا رهِبُوا
وقالوا من فتًى للحر ب يرقبنا ويرتقب
فكنت فَتاهمُ فيها إذا تُدعى لها تَثِب

---

(١) التجريد « عنبر » . وزاد أبو الفرج رواية ثانية عن أبى عمرو الشيبانى فقال : « وقال أبو عمرو الشيبانى : ابن أبى عنترة ، بالتاء » .

(٢) لم يرد هذا الخبر فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

ذَكرت أخى فعاودنى صُداع الرّأس والنَّصب[1]
كما يعتـــاد ذات البَوِّ بعد ســـلوّها الطَّرب[2]
فـــدمع العين مَن بُرَحا ء ما فى الصَّدر يَنسكب
كما أودى بماء الشَّنـ ـة الّمخروزة السَّرب
على عَبد بنِ زُهرة طُو ل هذا الليل أكتئب

(١) غير التجريد : « والوجب » .
(٢) هذا البيت ليس فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

أخبار عمارة بن عقيل

هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جَرير ، وقد تقدَّم نسب جدّه جَرير . — نسبه

وهو شاعر مقدم فصيح . — صفته

وكان يسكن بادية البصرة ، ويفد إلى الخلفاء فى الدَّولة العبَّاسية فيجزلون صلته ، ويمدح قوّادهم وكتابهم فيحظى بكل فائدة . — صلة الخلفاء له

وكان النّحويون بالبصرة يأخذون عنه اللّغة . — أخذ نحاة البصرة عنه

وكان سلم الخاسر يقول : شِعر عمارة أشد أستواء من شعر جرير ، لأنَّ جريراً سقط فى شِعره وضعُف ، وما وُجد لعمارة سقطة واحدة فى شِعره . — تفضيل سلم له على جرير

وكان عمارة هجّاء خبيث اللّسان ، فهجا أمرأة ، ثم أتته المرأة فى حاجة ، فجعل يعتذر إليها ، فقالت له : خفض عليك ، فلو ضرَّ الهجاء أحداً لقتلك، وقتل أباك وجدَّك . — هو وأمرأة هجاها

ومن جَيد الشِّعر وفاخره قولُ عمارة بن عقيل : — من جيد شعره

قالت مفدَّاة لمّا أن رأت أرقى ... والهمّ يَعتادنى من طيفه لَمَمُ

أنهبت مالك فى الأدنين آصرة[1] ... وفى الأباعد حتى جنَّك العَدم

فاطلب إليهم تجد ما كنت من حَسن ... تُسدى إليهم فقد بانت بهم حُرَم[2]

---

(١) التجريد : « ناصرة » .

(٢) التجريد : « ثابت لهم صرم » .

فقلت عاذلتى(١) أكثرت لأمتى ولم يمت حاتم هزلاً ولا هَرِم

قدومه البصرة على الواثق

وحَكى بعضهم قال :

قَدم عُمارة البصرة أيَّام الواثق ، فأتاه علماء البصرة ، وأنا معهم ، وكنتُ غلاماً ، فأنشدهم قصيدة يمدح بها الواثق ، فلمَّا بلغ إلى قوله :

وبقيت فى السَّبعين أنهض صاعداً ومضى لِداتى كُلُّهم فتشعبوا

ثم بَكى على ما مَضى من عمره ، فقالوا : أملها علينا . فقال : لا حتى أنشدها أمير المؤمنين ، فإننى مدحت رجلاً مرَّة بقصيدة ، فكتبها منِّى رجل ، ثم سبقنى بها إليه . ثم خرج إلى الواثق ، فلمَّا قَدم أتوه وأنا معهم ، فأملاها عليهم . فقال: أدخلنى إسحاق بن إبراهيم على الواثق ، فأمر لى بخلعة وجائزة ، فجاءنى بها فقلت: قد بَقِى من خلعتى شىء . قال : وَما هو ؟ قلت : خَلع على أمير المؤمنين المأْمون خلعة وسيفاً . فرجع إلى الواثق فأخبره فأمره بإدخالى . وقال : يا عمارة ، ماتصنع بالسَّيف ، أتريد أن تقتل به بقيَّة الأعراب الذين قتلهم بُغا . فقلت : لا ياأمير المؤمنين ، ولكنْ لى شريك فى نخيل لى باليمامة ، وربَّما خاننى فيه ، فلعلِّى أجرّبه عليه. فضحك وقال : قد أمرت لك به قاطعاً ، فدفع إلىّ سيفاً من سُيوفه .

مدحه خالد ابن يزيد

وذُكر أنَّ خالد بن يزيد بن مزيد ، لمَّا بلغه قول عمارة بن عُقيل فيه يمدحه ، وهو من الشِّعر الجيد البالغ فى الجودة :

تأبى خلائق خالد وفَعاله إلاَّ تَجنُّب كل أَمر عائب

فإذا حضَرت الباب عند غدائه أذن الغداء لنا برغم الحاجب

لقيه خالد وقال : قد أوجبت والله علىّ حقَّا ما حييت .

---

(١) غير التجريد : « عاذل قد » .

والشعر الذى فيه الغناء ، وأفتتح به أبو الفرج أخبار عمارة ، هو : شعره الذى فيه الغناء

ما بال عينك طَلّة الأجفان ممّا تفيض مريضة الإنسانِ
مطروفة تهمى الدُّموع كأنّها وَشل تَشلشل دائم[1] التَّهتان

(١) التجريد : « حائم » .

وهـذا آخر المختـار من كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصـفهانى

والحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة على سيِّدنا محمد المصطفى وآله وصحبه .

وكاتبه الفقير إلى عفو الله ومغفرته ، محمد بن محمد بن النَّصيبى

الحلبى ، عفا الله عنه ، يسأل مَن نظر فيه أن يقف على

الورق المكتوب فيه ليعـذره فى عدم التمكن

من تحبـير أصـول الكتابة .

ووافق الفراغ منه فى يوم الخميس منتصف شـوّال

من سنة ست وستين وستمائة بحماة المحروسة ،

ببقاء مولانا مالكها خلد الله سلطانه(١) . . .

(١) يقابل هذا فى الأصل : « بلغت قراءة على المؤلف أبقاه الله تعالى وبيده أصله المنقول منه هذه النسخة يعارضها به . وصح ذلك بجهد الطاقة . وذكر المؤلف أن الأصول التى وقع منها التأليف كانت فى غاية السقم . وحضر المقابلة والقراءة على المؤلف المذكور إلى أخبار مالك بن الصمصامة الإمام العالم الفاضل الصاحب كمال الدين عمرو بن أحمد بن أبى جرادة وذلك فى مجال من آخرها الثالث عشر من ذى القعدة من سنة ست وستين وستمائة وكتب محمد بن محمد بن عبد القاهر بن النصيبى» .

ملحق

يضم :

١ — دراسة للكتاب وتعريف بابن واصل .

٢ — فهرس لتراجم الأجزاء كلها مرتبة على حروف الهجاء .

٣ — فهرس للقوافي .

٤ — أما عن سائر الفهارس فسيضمها جزء سابع .

تمهيد (*)

— ١ —

دراسة للكتاب وتعريف بابن واصل

منذ نحو من الف سنة تزيد قليلا وضع ابو الفرج الاصفهانى كتابه الأغانى ، بعد أن أفنى فى جمعه نحوا من خمسين عاما ، وخرج به على الناس فى عشرين مجلدا ، غنى بها الأدباء ولا يزالون يفنون الى يومنا هذا .

وما كاد هذا الكتاب الكبير يأخذ مكانه فى الوجود حتى أحس أبو الفرج ثقله على نفر من الناس فأخذ فى تيسيره وسمى هذا الميسر « مجرد الأغانى » .

وهذه النزعة التى لمسناها فى أبى الفرج نلمس مثلها فى عصور التأليف المختلفة ، منها ما كان من صنع المؤلف نفسه مثل الذى كان من أبى الفرج ، ومنها ما كان من صنع آخرين جاءوا فى اثر المؤلفين . فالناس دوما لا يستوون فى التحصيل ، كما لا يستوون فى الرغبة ، والمؤلف حين يؤلف حريص على أن يرضى علمه ويرضى قدرته ، ثم هو بعد هذا حريص على أن يفيد من عمله كثيرون ، فهو لهذا أسير نزعتين ، نزعة تستجيب لمنطقه ، ونزعة تستجيب لمنطق الناس . وهو أحرص على الأولى منه على الثانية ما دام يحيا لعلمه ، وحرصه على الثانية من حرصه على نفع الناس . وتلك رغبة يجب ألا تكلف العالم أن يهون ، بل تحقيقها يتم فى مثل هذا التجريد الذى فعل مثله أبو الفرج ، والذى فعل مثله من جاء بعد أبى الفرج من تيسير ، وتلخيص ، واختيار ، ونهذيب ، وتجريد ، وتذييل ، وشرح ، وتتميم ، وتبويب ، وايضاح . وانك لتجد كثرة كثيرة من أمثال هذه الكتب التى تحمل هذه الأسماء وأشباهها ، والتى قصد فيها الى تقريب هذه الكتب التى لا تتقبلها الا عقول قليلة من عقول الناس كافة .

(*) أبو الفدا (٤ : ٣٨) – بغية الوعاة للسيوطى – تاريخ آداب اللغة العربية ، لجورجى زيدان – تاريخ حماة للصابونى – دائرة المعارف الإسلامية – شذرات الذهب – المقفى للمقريزى – نكت الهميان للصفدى – الوافى بالوفيات للصفدى .

فحين وضع أبو على الفارسى كتابه الايضاح فى النحو (٣٧٧ هـ) ، نجد الجرجانى عبد القاهر بن عبد الرحمن (٤٧١ هـ) يضع عليه شرحا فى ثلاثين مجلدا ، ثم يلخصه ويسميه المقتصد .

وبعـد أن وضع هشام الكلبى (٢٠٦ هـ كتابه جمهرة الأنساب) جاء ياقوت الحموى (٦٢٦ هـ) واقتطع منها كتابا سماه المقتضب .

ونجد كتاب السمعانى (٥٦٢ هـ) الذى ألفه فى الأنساب يتناوله من بعده ابن الأثير أبو الحسن على بن محمد (٦٣٠ هـ) بالتلخيص ويسمى مختصره « اللباب » ، ثم يحس السيوطى (٩١١ هـ) أن تلخيص ابن الأثير فى حاجة الى تلخيص ، فيستخرج منه كتابه الذى سماه « لب اللباب » .

ومثل هذا الذى فعل بكتاب الأنساب للسمعانى فعل بكتاب الكمال فى أسماء الرجال لابن النجار (٦٤٣ هـ) فانا نجد المزى يوسف بن الزكى (٧٤٢ هـ) يهذبه ويسمى كتابه تهذيب الكمال ، ثم اذا ابن حجر يتناول هذا التهذيب بتهذيب ويسمى كتابه تهذيب تهذيب الكمال . ثم يحس ابن حجر نفسه حاجة الناس الى مزيد من التهذيب فيلخص تهذيبه فى كتاب يسميه التقريب .

غير أننا نلاحظ أن هذا التفاوت بين العلماء وبين القـراء بدأ يتسع مع العصر العباسى الرابع بدخول السلاجقة بغداد سنة (٤٤٧ هـ) ثم أخذ يطغى بدخول المغول بغداد سنة ٦٥٦ هـ ، وحين انتهى العصر المغولى بدخول العثمانيين مصر سـنة ٩٢٣ هـ عاش التأليف أكثر ما عاش على التيسـير والتلخيص وما اليهما ، الى أن استوى له ــ أعنى للتأليف ــ نهج لا تعقيب عليه ، وغدا المؤلفون ييسرون ما قد يدق ويصعب بشروح وتعليقات لا تدع مجالا لتناول جديد .

ولكننا ما زال بين أيدينا تراث ضخم نحن فى حاجة الى عرض ميسراته ومختصراته كى نصل المبتدئين به فيشبوا راغبين فى الرجوع الى مطولاته ، كما نحن ملزمون بعرض ما ننشره منه محققا فى صور مشروحة معلق عليها لتغنى بهذه عن التيسير شيئا ولتضم عليها أوساط الناس الى من بعدهم .

ولقد كان هذا التيسير للمؤلفات القديمة عملا تمليه الحاجة العلميـة ولا تزال تمليه ، وكان لابد من أن يفرغ له مؤلفون يتولونه حتى يبقى الناس موصولين بعلمهم الأول ، وحتى يجتمع عامتهم وخاصتهم على قضـايا مشتركة ، وحتى لا نعيش العـامة بمعزل عن الخاصـة فلا تكون ثمـة وحدة فكرية .

ولقد وجدنا من هؤلاء العلماء المؤلفين الذين نصبوا أنفسهم لهذا الواجب الدقيق من أفرغ جهده له وكاد ما صدر عنه يكون كله تيسيرا ، من هؤلاء العالمان المصريان ابن منظور والسيوطى ، فقد ترك أولهما ـ أعنى ابن منظور ـ وراءه نحوا من أحد عشر كتابا ، عشرة منها جاءت اختصارا لكتب سابقة وهى : زهر الآداب للحصرى القيروانى ، ويتيمة الدهر للثعالبى ، ونشوار المحاضرة للتنوخى ، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، وتاريخ بغداد للسمعانى ، وفصل الخطاب للتيفاشى ، وصفوة الصفوة لابن الجوزى ، ومفردات ابن البيطار ، والذخيرة لابن بسام ، والحيوان للجاحظ .

فهذه الكتب العشرة كلها قدمها ابن منظور لقراء عصره مختصرة ، ويكاد يكون كتابه الحادى عشر وهو لسان العرب نوعا من هذا التيسير وان جاء مخالفا لها فى المنهج ، فقد جمع فيه ابن منظور كتبا وزاد وبوب .

ونعد للسيوطى كثرة من هذه المختصرات ، منها : مختصر الروضة فى الفروع ، وبغية الوعاة .

وما من شك فى أن هذه الجهود الطيبة التى كانت لابن منظور والسيوطى واخوانهما من قبلهما ومن بعدهما كان لها أثرها فى بقاء الحياة العلمية سائدة ، وفى ضم جمهرة اليها ما كانت لتنضم الا بهذا السبب الواصل . ورجلنا ابن واصل ، الذى سنحدثك عنه ، كان من رجال هذه المدرسة .

— ٢ —

ابن واصل

هو جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل ، أبو عبد الله المازنى التميمى ، وفى حماة كان مولده لليلتين خلتا من شوال سنة أربع وستمائة (٦٠٤ هـ) فنسب اليها فقيل : الحموى .

والذين ترجموا له لم يعرضوا لنشأته فى تفصيل ويكادون يكونون جميعا مجمعين على عبارة واحدة تصف تلك الحياة الأولى ، وهى أنه سمع وحدث عن الحافظ زكى الدين البرزالى بدمشق وحماة ، لا يذكرون له شيخا غير هذا . ثم يستطردون فيقولون : انه برع فى العلوم الشرعية والعقلية والأخبار وأيام الناس ، وصنف ودرس وأفتى ، وبعد صيته واشتهر اسمه ، وكان من أذكياء العالم ، وانه كان يشتغل فى نحو من ثلاثين علما . وقد ذكروا له نوادر من حفظه وذكائه .

يحكى أثير الدين أبو حيان يقول : قدم علينا المذكور ـ يعنى ابن واصل ـ القاهرة مع المظفر فسمعت منه وأجاز لى جميع رواياته ومصنفاته وذلك بالكبش من القاهرة يوم الخميس التاسع والعشرين من المحرم سنة تسعين وســـتمائة .

ويقول الصفدى فى كتابه الوافى بالوفيات : وهو من بقايا من رأينا من أهل العلم ، الذين فتحت بهم المائة السابعة .

ثم يمضى الصفدى فى القول فيقول : وانشدنى لنفسه مما كتب لصاحب حماة الملك المنصور ناصر الدين محمد بن المظفر :

يا ســـيدا ما زال نجـم سعده
في فلك العلياء يعـــلو الأنجمـــا
احسانك الغمـــر ربيـــع دائم
فلم يرى فى صـــفر محـرما ؟

وذلك أن المنصور صاحب حمـــاة كانت عادته فى صـــفر أن يقطع الرواتب كلها .

ويقول قطب الدين عبد الكريم الحلبى فى حقه : الامام العالم ذو الفنون فخر العلوم ، كان مفردا بعلم الأصول والعلوم العقلية .

ويقول أبو الفدى فى كتابه « المختصر فى أخبار البشر » : وكان فاضلا اماما مبرزا فى علوم كثيرة ، مثل المنطق والهندسة وأصول الدين والفقـــه والهيئة والتاريخ .

الى أن يقول : ولقد ترددت اليه بحماة مرارا كثيرة وكنت أعرض عليه ما أحمله من أمثال كتاب اقليدس وأستفيد منه . وكذلك قرأت عليه شرحه لمنظومة ابن الحاجب فى العروض ، وصححت أســماء من له ترجمـــة فى كتاب الأغانى .

ويحكى السديد الدمياطى اليهودى يقول : جاء ليلة الى عند الشيخ علاء الدين بن النفيس فى بعض سفراته الى القاهرة ـ يعنى ابن واصل ـ ونام عنده تلك الليلة ، فصلى العشاء الأخير وانفتح بينهما باب البحث ، فلم يزالا الى أن طلع الضوء .

والمراجع كلها مجمعة على أنه كان قاضى القضاة الشافعية فى حماة ، ولكنها لم تذكر متى كان ذلك ، وكم سنة بقى فى هذا القضاء . وليس ثمة من سند فى هذا غير قول الصفدى عنه أنه ولى القضاء مدة طويلة . فنحن نعرف أن ابن واصل كانت له رحلات كثيرة الى دمشق وبيت المقدس وحلب والكرك

وبغداد ومكة والمدينة والقاهرة وانه أقام فى مصر سنوات طويلة عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وانه قد شـــهد فى أثناء مقامه فى مصر حملة لويس التاسع الصليبية ، كما شهد احتضار الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك .

ونعرف بعد هذا انه فى سنة تسع وخمسين وستمائة خرج سفيرا الى منفرد بن فردريك الثانى ملك صقلية .

يذكر ذلك أبو الفدا ويقول : وكان توجهه الى الامبراطور ــ ومملكته جزيرة صقلية ــ رسولا من جهة الملك الظاهر بيبرس ، صاحب مصر والشام .

ويقول الصفدى فى كتـــاب « نكت الهميان » : وقيل انه جهزه بعض ملوك مصر ــ اظنه الصالح ــ الى ملك الفرنجة .

وقد نقل أبو الفدا حديث تلك الرحلة عن ابن واصل فذكر شيئا يتصل بمنفردبن فردريك والنزاع حول عرشه . ولكن الصفدى اقتصر فيها على ذكر شيء يتصل بابن واصل ، فقال : ان الملك طرح عليه ثلاثين سؤالا فى علم المناظرة . فبات ابن واصل ليلته ثم صحبه بالجواب ، مما جعل الملك يعجب .

ولقد ظل هذا الرجل حريصا على الاستزادة مكبا على القراءة الى أن غلب عليه الفكر آخر حياته فصار يذهل عن أحوال نفسه وعمن يجالسه .

ولقد أضر فى آخر حياته ، لا ندرى متى كان ذلك ، ولكنا نميل الى أنه كان فى أخريات حياته التى امتدت الى ما يربى على تسعين عاما ، فلقـــد كانت وفاته سنة سبع وتسعين وستمائة ، رابع عشر من شوال ، ودفن بتربته بعقبة يبرين وكان عمره عندها نحوا من أربع وتسعين سنة .

ــ ٣ ــ

مؤلفات ابن واصل

والذين ترجموا لابن واصل يذكرون له من الكتب :

١ ــ الأنبروزية (بالزاى) فى المنطق . ذكرها أبو الفدا فقال : وله مصنفات حسنة منها الأنبروزية فى المنطق ، صنفها للانبروز ملك الفرنج صاحب صقلية لما توجه رسولا اليه فى أيام الظاهر بيبرس الصالحى ، وكذلك ذكرها الصابونى فى كتابه تاريخ حماة بالزاى .

وأشار الصفدى اليها فقال : وأجاب الانبرور (بالراء) عن مسائل سأله اياها فى علم المناظرة .

ولم يرد لها ذكر فى سائر المراجع التى كتبت عن ابن واصل كما لم يذكرها حاجى خليفة فى كتابه كشف الظنون .

والكتاب كما يبدو من تسميته منسوب الى الكلمة الأجنبية Emperor بمعنى امبراطور .

ولقد كان الصفدى قريبا فى تسميته على حين ابعد أبو الفدا فجعلها بالزاى ، أو لعلها من أخطاء النسخ والطبع .

٢ ــ التاريخ الصالحى : كذا ذكره الصفدى فى كتابه الوافى بالوفيات . وذكر السيوطى فقال : التاريخ الصالح . غير أننا نجد الصفدى يعود فيذكره فى كتابه « نكت الهميان » باسم التاريخ الصالحى . ولم يذكر حاجى خليفة كتابا بهذا الاسم أو ذاك . وكان الظن أن هذا الكتاب هو مفرج الكروب الذى سيأتى ذكره بعد ، وكاد يدفعنا الى هذا ان مرجعين من المراجع الثلاثة التى ذكرته ، وهما الوافى والنكت ، لم يشيرا الى مفرج الكروب ، وكان ذكره ــ أعنى مفرج الكروب ــ فى المرجع الثالث ، وهو البغيـــة ، مما أبعـــد هـــذا الظن .

والصالحى الذى جاء ذكره فى عنوان هذا الكتاب هو الظاهر بيبرس ، ونحن نظن لهذا أنه تاريخ خاص بهذا الملك ، وقد علمنا صلة ابن واصل به ، اذ كان رسوله الى ملك الروم ، واذا اضفنا الى هذا ان وفاة بيبرس كانت سنة ٦٧٦ هـ . أى قبل وفاة ابن واصل بنحو من ثمانية وعشرين عاما ، كاد هذا الظن يصبح ترجيحا .

٣ ــ شرح الجمل : ذكره الصفدى فى كتابه النكت والوافى ولم يزد . وذكره السيوطى وقال : شرح الجمل فى المنطق للخونجى ، وكتاب الخونجى الأفضل أبى عبد الله محمد (٦٤٩ هـ) اختصار لكتاب أستاذه ابن مرزوق التلمسانى المعروف باسم نهاية الأمل .

٤ ــ شرح الموجز : ذكره الصـــفدى فى الوافى وقال : شرح الموجـــز للأفضل ، ثم ذكره فى النكت وقال : شرح الموجز للأفضل الخونجى . وقال عنه السيوطى : شرح الموجز فى المنطق للخونجى .

٥ ــ شرح قصيدة ابن الحاجب فى العروض والقوافى : كذا ذكره الصفدى فى كتابه . وذكره السيوطى باسم : شرح قصيدة ابن الحاجب فى العروض .

٦ ــ مختصر الأدوية المفردة لابن البيطار . كذا ذكره الصفدى فى الوافى ، وذكره فى النكت باسم : مختصر الأدوية لابن البيطار . وسماه السيوطى

مختصر المفردات لابن البيطار . وكتاب ابن البيطار اسمه : جامع الأدوية المفردة . لأنه جمع فيـه كتب من تقدموه فى هذا التأليف مثل ابن وافد (٣٦٠ هـ) وأبى الصلت الأندلسى (٥٢٩ هـ) وأبى الفضل عبد الكريم المهندس (٥٩٩ هـ) وعبد اللطيف البغدادى (٦٢٩ هـ) وابن الصورى (٦٣٩) . قال حاجى خليفة : ويسمى مفردات ابن البيطار .

٧ ــ مختصر الأربعين : ذكره النكت والوافى ، كما ذكرته البغية ، ولم تزد هذه كلها على هذا الاسم شيئا ، وقد أشار اليه حاجى خليفة عند الكلام على « الأربعين فى أصول الدين » للامام فخر الدين الرازى (٦٠٦ هـ) فقال : وقد لخصه القاضى سراج الدين أبو الثناء محمود بن أبى بكر الأيوبى، وسماه اللباب ، والشيخ جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله .

٨ ــ مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب : ذكره ابو الفدا والسيوطى . وقال الصفدى فى الوافى : وله تاريخ ، فلعله يقصد هذا الكتاب . وقال عنه حاجى خليفة : مفرج الكروب فى أخبار ملوك بنى أيوب .

٩ ــ هداية الألباب فى المنطق : ذكره الصفدى فى كتابيه النكت والوافى ، كما ذكره السيوطى فى البغية .

ثم هذا الكتاب الذى سنحدثك عنه :

— ٤ —

كتاب التجـــريد

١٠ ــ تجريد الأغانى : ذكره الصــــفدى فى الوافى وقال : « واختصر الأغانى » ثم ذكره فى النكت وقال : « واختصر الأغانى ، وملكت باختصاره نسخة عظيمة الى الغـاية فى ثلاثة مجلدات » . وقال عنـه أبو الفـدا : « واختصر الأغانى اختصارا حسنا » . وقال عنـــه السيوطى وهو يذكر مؤلفات ابن واصل : « ومختصر كتاب الأغانى » . كما ذكره الصـــابونى فى كتابه تاريخ حماة من بين ما ذكر من مؤلفات لابن واصل بالاسم الذى ذكره به السيوطى ، وقد ذكره حاجى خليفة مع المختارات من كتاب الأغانى ولم يشر الى اسمه .

غير أن النسخة الخطية التى انتهت الينا من هذا الكتاب تحمل على صدرها هذا العنوان الذى ذكرناه ، وهو « تجريد الأغانى » . وهى وان لم

تكن من وضع ابن واصل فهى الصق بمنهجه الذى اشار اليه فى تقديمه لهذا الكتاب وأدل عليه ، اذ يقول فى مقدمته لهذا الكتاب : واتفق أنه ذكر بمقره العالى — يعنى صاحب حماة — الذى هو محط الفضل والافضال ، واليه يشد الرحال ذوو الآمال ، كتاب ابى الفرج الأصبهانى المعروف بالأغانى الكبير وما احتوى عليه من الفضل الغزير والعلم الكثير ، غير أنه قد شانه بذكر الأصوات وما احتوت عليه من أنواع النغم والايقاعات ، بما لا فائدة فى ذكره ، واذ كان المباشرون لهذه الصناعة فى زمننا هذا انما يعرفونها عملا لا علما ، وغيرهم فلا ينتفعون بشىء مما ذكر ولا يحيطون به فهما . فخرج أمره المطاع بان يجرد من ذلك كله ومن الأسانيد والتكرارات ، ومما لا فائدة فى ذكره من الأخبار والأشعار المشتركات ، ويقتصر على غرر فوائده ، ودرر فوائده ، فبادر المملوك — يعنى نفسه — الى امتثال مرسومه العالى ، واضاف اليه فوائد اخر تتعلق به ، وشرح بعض المستغلق من ألفاظ .

فها انت ذا ترى أن التجريد كان منهج ابن واصل فى هذا الكتاب ، وأن هذا العنوان يكاد يكون له يترجم به ما قاله فى المقدمة ، وأن الذين سموه بغير هذا الاسم كان ذلك منهم اجتهادا ، ولقد كان الصفدى يملك أن يلقى ضوءا على هذا الاسم ، فلقد ذكر انه ملك نسخة خطية من هذا الكتاب ، وعليها خط ابن واصل بعد ما أضر ، ولكنه كما قدمت لك لم يقل عن ابن واصل غير انه اختصر كتاب الأغانى دون أن يذكر اسم هذا المختصر .

وقد اغنانا ابن واصل بكلامه فى مقدمته الذى سقته لك عن أن تحدثك عن كتاب الأغانى مادة ، ونحب أن نزيدك عنه شيئا يتصل به كمتا ، وهو أن هذا الكتاب فى عشرين مجلدا تبلغ صفحات كل مجلد منها ما يقرب من ثلثمائة صفحة ، وان تجريد ابن واصل لا يكاد يبلغ جزاين من أجزاء كتاب الأغانى ، أزيد هذا لأنى أحب أن اضمها فائدة أخرى الى الفوائد التى ساقها ابن واصل عن التخفف مما لا طائل معه .

ولعلك قد أدركت معى من تقديم ابن واصل ان حاجة العصر كانت تقضى بما فعل ابن واصل وغيره من المؤلفين الذين اختصروا وجردوا واختاروا وشرحوا ، ولعلك أدركت من النظر فى كتب ابن واصل التى مرت بك أن من بين الكتب العشرة التى عملها ما يربى على النصف شرحا واختصارا وتجريدا .

وكتاب الأغانى هذا الذى جرده ابن واصل ، سبقه فيه صاحبه — أعنى ابا الفرج — بهذا التجريد ، وما كان ذلك الا عن هذا الاحساس نفسه الذى احس به ابن واصل . ولقد سمى ابو الفرج كتابه هذا الذى جرده « مجرد

الأغانى » وقد خصه بكل ما غنى فيه دون الأخبار . وهذا الاحساس الذى أحس به أبو الفرج نحو كتابه الأغانى أحس بغيره من بعده آخرون . فنرى ابن المغربى أبا القاسم الحسين بن على بن حسين (٤١٨ هـ) يختار منـه قدرا يتفق واقبال الناس على القراءة ، وكما فعل ابن المغربى فعل من بعده الأمير الكاتب محمد بن عبد الله الحرانى المسبحى (٤٢٠ هـ) ثم الكاتب الحلبى ابن باقيا أبو القاسم عبد الله بن محمد (٤٨٥ هـ) ، وأبو الحسين أحمد بن الرشيدى ، ثم كان هذا الجهد الذى قام به ابن واصل (٦٩٧ هـ) . ولا ندرى أكان ذلك عن قصور فى تلك المختارات التى سبقته أم لفقدانها . وبعد ابن واصل كان ثمة جهد مماثل لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١ هـ) فوضع كتابه « مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى » .

غير أن هذه المختصرات كلها لا نملك منها غير اثنين ، هما : تجريد ابن واصل ، ومختار ابن منظور .

ويعنينى هنا أن أشير اشارة خفيفة الى ما بين الكتابين من فروق ، بعد أن اصبحا بين ايدى الناس ، او أوشكا .

فأبن واصل قد تخفف :

(أ) من أنواع النغم والايقاعات .

(ب) من الأسانيد .

(ج) من التكرار .

(د) من الأخبار المشتركة ، وكذلك الأشعار .

كما أضاف الى الكتاب :

(هـ) فوائد تتصل به .

(و) شروحا لما استغلق .

ثم هو بعد هذا كله :

(ز) قد حفظ لنا الأغانى بترتيب مؤلفه .

(ح) وقدم لنا صورة من كتاب الأغانى أقرب الى الصـــحة وأدق فى ترتيب التراجم . لقربه شيئا من عهد أبى الفرج ، ولوقوعه فيما أظن على نسخة سليمة من كتاب الأغانى ، التى ردت التراجم المفقود ــ التى استدركها دى ساسى فى جزء أضافه ــ الى اماكنها من الكتاب ، ولسوف نجد الى جانب هذا تراجم استقرت فى أماكن غير التى استقرت فيها فى مطبوعة دار الكتب .

أما عن نهج ابن منظور فهو بعيد عن هذا ، واظنه لم يستأنس بما عمل

ابن واصل ، بل كان استئناسه بمختصر رجل آخر ، هو أبو الحسين احمد ابن الرشيدى الذى أشرت اليه فيمن اختصروا كتاب الأغـــانى . ثم هو بعـــد هـــذا :

١ — رتب الكتاب ترتيبا آخر غير الذى وضعه عليه أبو الفرج ، فوضعه على حروف الهجاء .

٢ — ثم هو لم يتخفف من الكثير من المكرر .

٣ — ثم انه لم يكن له تعقيب على الأخبار ولا شرح للألفاظ كما فعل ابن واصـــل .

٤ — وهو بعد هذا لم يوفق الى نسخة سليمة كما وفق ابن واصل . ولكنه على هذا جاء بمرض لا يخلو من فائدة .

فهرس تراجم الكتاب

(أ)

(ب)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهرست القــوافى

« ل »

« هـ »

الدار التونسية للطباعة والنشر